تفسير القرآن العظيم

(تفسير ابن كثير)

للإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي

تحقيق

عبد الرزاق المهدي

المجلد الثامن

سورة الطور - سورة الناس

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

تفسير القرآن العظيم

(تفسير ابن كثير)

للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل
ابن كثير القرشي الدمشقي
(٧٠١ - ٧٧٤ هـ)

تحقيق
عبد الرزاق المهدي

المجلد السادس

سورة الطور - سورة الناس

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

تفسير القرآن العظيم
(تفسير ابن كثير)

1432هـ - 2011 م
ISBN: 978-9953-27-015-9

الناشر
دار الكتاب العربي

العنوان : بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن
ص.ب. : 11-5769 بيروت 1107 2200 لبنان
هاتف : 861178 - 862905 - 800811 - 800832 (+9611)
فاكس : 805478 (+9611) بريد إلكتروني daralkitab@idm.net.lb
مواقعنا: www.dar-alkitab-alarabi.com
www.academiainternational.com

سُورَةُ الطُّورِ

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[٦٣٢٢] قال مالك عن الزُهريِّ، عن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم، عن أبيه: سَمِعتُ النبيَّ ﷺ يقرأُ في المغربِ بالطورِ، فما سَمِعتُ أحداً أحسَنَ صوتاً ـ أو: قراءة ـ منه[١]. أخرجاه من طريق مالك.

[٦٣٢٣] وقال البخاريُّ: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن محمد بن عبد الرحمن بن نَوْفَلٍ، عن عُروَة، عن زينبَ بنتِ أبي سَلَمة، عن أم سَلَمَة قالت: شَكَوتُ إلى رسولِ الله ﷺ أنّي أشتَكِي، فقال: «طُوفي من وَرَاءِ الناسِ وأنتِ راكبةٌ». فَطُفت ورسولُ الله ﷺ يُصَلِّي إلى جنبِ البيتِ يقرأ بالطورِ وكتابٍ مَسْطُورٍ[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

يُقسِم تعالى بمخلوقاته الدالَّة على قُدرته العظيمةِ: أنّ عذابه واقعٌ بأعدائه، وأنه لا دافعَ له عنهُم. فالطُورُ هو: الجبلُ الذي يكون فيه أشجارٌ، مثل الذي كَلَّم الله عليه موسى، وأرسلَ منه عيسى. وما لم يَكُن فيه شجَرٌ لا يسمى طُوراً، إنما يقال له: جبلٌ. ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾، قيل: هو اللوحُ المحفوظُ. وقيل: الكتبُ المنزَّلةُ المكتوبةُ التي تُقرأ على الناس جِهاراً، ولهذا قال: ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾.

[٦٣٢٤] ثبت في الصحيحين أنَّ رسُول الله ﷺ قال في حديثِ الإسراء بعد مُجاوَزته إلى السماء السابعة: «ثم رُفع بي إلى البيتِ المعمُورِ، وإذا هو يدخلُه في كلِّ يومَ سبعُون ألفاً لا يعودُون إليه آخرَ ما عليهم». يعني يَتَعبَّدون فيه ويطوفون به، كما يطُوف أهلُ الأرض بكَعبَتِهم. كذلك ذاك البيتُ المعمور، هو

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٧٦٥ و٣٠٥٠ ومسلم ٤٦٣/١٧٤ وأبو داود ٨١١ والنسائي ٩٨٧ وفي «التفسير» ٥٤٩ وابن ماجه ٨٣٢.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٤ و١٦١٩ و٤٨٥٣ ومسلم ١٢٧٦/٢٥٨ وأبو داود ١٨٨٢ والنسائي ٢٩٢٥ وفي «التفسير» ٥٤٨ وابن ماجه ٢٩٢٧.

كعبةُ أهل السماء السابعة. ولهذا وُجِد إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ مُسنِداً ظهره إلى البيت المعمُور، لأنه باني الكعبةِ الأرضيَّةِ، والجزاء من جنس العمل، وهو بِحيالِ الكعبةِ، وفي كلِّ سماءٍ بيتٌ يَتَعبَّد فيه أهلُها، ويُصَلُّون إليه، والذي في السماء الدُّنيا يقال له[1]: بيتُ العِزَّةِ. والله أعلم.

[٦٣٢٥] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عَمَّار، حدثنا الوليدُ بن مُسلِم، حدثنا رَوحُ بن جَنَاح، عن الزهرِيِّ، سَعِيد بن المُسيِّب، عن أبي هُرَيرَةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «في السماءِ السابعة بيتٌ يقال له: المعمُور بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهرٌ يقال له: الحيوان، يدخله جبريلُ كلَّ يوم، فَيَنْغَمِسُ فيه انغماسةً، ثم يخرج فينتفض انتفاضةً تَخرُّ عنه سَبعُون ألف قطرة، يخلُق الله من كلِّ قطرةٍ مَلَكاً يُؤمَرُون أن يَأتوا البيتَ المعمُور، فَيُصَلُّون فيه، فيفعلُون، ثم يَخرُجون فلا يعودُون إليه أبداً، ويُولَّى عليهم أحدهم، يُؤمَرُ أن يَقِفَ بهم من السماء مَوقِفاً يُسَبِّحون الله فيه إلى أن تَقُوم الساعةُ»[2]. هذا حديث غريب جداً، تفرد به رَوحُ بن جَنَاح هذا، وهو القُرَشِيُّ الأُمَوِيُّ مولاهم أبو سعيد الدمشقي، وقد أنكر هذا الحديثَ عليه جماعةٌ من الحُفَّاظ منهم: الجُوزجَاني، والعُقَيلي، والحاكم أبُو عبد الله النَّيسابوري، وغيرهم، قال الحاكم: لا أصلَ له من حديثِ أبي هُرَيرة، ولا سعيد، ولا الزهرِيِّ.

وقال ابنُ جَرير: حدثنا هَنَّاد بن السَّرِي، حَدَّثنا أبو الأحوص، عن سِمَاكِ بن حَرْبٍ، عن خالد بن عَرْعَرَةَ: أن رجلاً قال لعلي: ما البيتُ المعمورُ؟ قال: بيتٌ في السماءِ ويقال له: الضُّراحُ، وهو بِحيال الكعبةِ من فَوقِها، حُرمَتُه في السماء كَحُرمةِ البيت في الأرضِ، يُصَلِّي فيه كلَّ يوم سَبعُون ألفاً من الملائكةِ، لا يَعودُون فيه أبداً. وكذا رواه شُعبَةُ وسفيان الثوريُّ، عن سماك. وعندهما أن ابنَ الكَوَّاء هو السائلُ عن ذلك. ثم رواه ابن جرير عن أبي كُرَيب، عن طَلْقِ بن غَنَّام، عن زائدَة، عن عاصم، عن عَلِيِّ ابن ربيعة قال: سأل ابنُ الكَوَّاء عليًّا عن البيت المعمُور، قال: مَسجِدٌ في السماء يقال له: الضُّرَاحُ، يدخَلُه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودُون فيه أبداً. ورواه من حديث أبي الطفيل، عن علي بمثله. وقال العوفي، عن ابن عباس: هو بيتٌ حذاء العَرْشِ، تعمُره الملائكة، يُصَلِّي فيه كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودُون إليه. وكذا قال عكرمةُ، ومجاهدٌ، والربيعُ بن أنس، والسديُّ، وغيرُ واحدٍ من السلَفِ.

[٦٣٢٦] وقال قتادةُ: ذُكِر لنا أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تَدرُون ما البيتُ المعمورُ؟» قالوا: الله ورسولُه أعلمُ. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكَعْبَةِ، لو خَرَّ لَخَرَّ عليها، يُصَلِّي فيه كُلَّ يوم سَبعُون ألفَ مَلَكٍ، إذا خَرَجُوا منه لم يَعُودوا آخِرَ ما عليهم»[3]. وزعم الضحَّاك أنه يعمُره طائفةٌ من الملائكة يقال لهم: الجنُّ، من قبيلة إبليسَ، فالله أعلم.

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ ومسلم ١٦٤/ ٢٦٤ من حديث قتادة عن أنس به وتقدم.

(٢) لا أصل له في المرفوع. أخرجه العقيلي ٢/ ٥٩ ـ ٦٠، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٤٧. ساقه العقيلي في ترجمة روح بن جناح، وقال: لا يتابع عليه. وقال ابن حبان في ترجمة روح بن جناح: يروي عن الثقات ما إذا سمعها الإنسان الذي ليس بالمتبحر في صناعة الحديث شهد لها بالوضع. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يتهم به إلا روح بن جناح، قال الحافظ عبد الغني: هذا حديث منكر، ليس له أصل عن الزهري، ولا عن سعيد، ولا عن أبي هريرة. ولا يصح عن رسول الله ﷺ من هذه الطريق، ولا من غيرها اهـ. ونقل الذهبي في «الميزان» ٢٧٩٩ عن أبي أحمد الحاكم قوله: حديثه في البيت المعمور، لا أصل له.

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٢٩٧ عن قتادة. وهذا مرسل. والمرسل من قسم الضعيف. وورد بنحو هذا السياق من وجوه. أخرجه الطبري ٣٢٢٩٩ عن ابن زيد مرسلاً و ٣٢٣٠٠ و ٣٢٣٠١ عن أنس مرفوعاً وإسناده حسن. وشطره الثاني في الصحيح.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾، قال سفيانُ الثوري، وشعبةُ، وأَبو الأحوص، عن سِمَاكٍ، عن خالد بن عَرْعَرَة، عن عَليّ: ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾، يعني: السماء. قال سفيانُ: ثم تلا: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ۝٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وكذا قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والسديُّ، وابن جُرَيج، وابنُ زيد، واختاره ابن جرير. وقال الربيعُ بنُ أَنَس: هو العَرشُ. يعني أنه سَقْفٌ لجميع المخلوقات، وله اتِّجاهٌ، وهو مُرادٌ مع غيره كما قاله الجمهورُ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾، قال الربيعُ بنُ أَنَسٍ: هو الماءُ الذي تحت العَرشِ، الذي يُنزِلُ الله منه المطرَ الذي تحيا به الأجسادُ في قُبورها يوم مَعادها. وقال الجمهور: هو هذا البحرُ. واختُلف في معنى قوله: المسجور، فقال بعضهم: المرادُ أنه يُوقَد يوم القيامة ناراً كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ [التكوير: ٦]، أي: أُضرِمَت فتصير ناراً تتأجّجُ، محيطةً بأهل الموقف. رواه سَعِيد بن المُسَيَّب، عن علي بن أبي طالب، ورُوِي عن ابن عباس. وبه يقول سعيدُ بن جُبَير، ومجاهدٌ، وعبد الله بن عُبَيد بن عُمَير، وغيرهم. وقال العلاءُ بن بدر: إنما سُمّي البحرَ المسجورَ لأنه لا يُشرَب منه ماءٌ، ولا يُسقَى به زرعٌ، وكذلك البحارُ يومَ القيامةِ. كذا رواه عنه ابنُ أبي حاتم. وعن سَعِيد ابن جُبَير: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾، يعني: المرسَل. وقال قتادة: المسجور: المملوءُ. واختاره ابن جرير. وَوَجَّهَهُ بأنه ليس مُوقداً اليومَ فهو مملوءٌ. وقيل: المرادُ به الفارغُ، قال الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، عن ذي الرمَّة، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾، قال: الفارغ؛ خَرَجت أَمَةٌ تستَسقِي فرجَعَت فقالت: إنَّ الحوضَ مَسْجورٌ، تعني: فارغاً. رواه ابن مَرْدَوَيه في مسانيدِ الشعراءِ. وقيل: المراد بالمسجُور الممنوعُ المكفُوف عن الأرض لئلا يغمُرَها فَيُغرِقَ أهلَها. قاله علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وبه يقول السديُّ وغيره، وعليه يدلُّ الحديث الذي رَوَاه الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في مُسنَدِه فإنه قال:

[٦٣٢٧] حدثنا يزيد، حدثنا العَوّامُ، حدثني شيخٌ كان مرابطاً بالساحل قال: لقيتُ أبا صالح مولَى عُمَر بن الخطاب فقال: حدثنا عُمَر بن الخطاب، عن رسولِ الله ﷺ قال: «ليس من ليلةٍ إلا والبحرُ يُشرِف فيها ثلاثَ مَرّات، يَستأذِنُ الله تعالىٰ أن ينفَضِحَ عليهم، فَيَكُفُّه الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ»(١).

[٦٣٢٨] وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا الحسنُ بن سفيان، عن إسحاق بن راهَويه، عن يزيدَ ـ وهو ابن هارون ـ عن العَوّام بن حوشب، حدثني شيخٌ مرابط قال: خرجتُ ليلةً لِحَرَسِي لم يخرُج أحدٌ من الحَرَس غيري، فأتيتُ الميناءَ فَصَعِدتُ، فَجَعل يُخَيَّل إليّ أن البحرَ يُشرِف يحاذي رُؤوسَ الجبالِ، فَعَل ذلك مِراراً وأنا مُستيقِظٌ، فلقيتُ أبا صالح فقال: حدثنا عُمَر بن الخطاب أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما مِن لَيلةٍ إلا والبحرُ يُشرِفُ ثلاثَ مراتٍ يَستأذِنُ الله تعالىٰ أن يَنفضِحَ عليهم، فَيَكُفُّه الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ»(٢). فيه رجلٌ مُبهمٌ لم يُسَمَّ.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾، هذا هو المقسَم عليه، أي: لَواقعٌ بالكافرِينَ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾، أي: ليس له دافعٌ يدفَعُه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

قال الحافظُ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي، حدثنا مُوسَى بن داود، عن صالح المُرّي، عن جَعفَرِ ابن زَيدِ العَبْدِي قال: خَرَج عُمَر يَعُسُّ المدينةَ ذات ليلة، فمرَّ بدار رجلٍ من المسلمين، فوافقه قائماً يُصَلِّي،

---

(١) أخرجه أحمد ٤٣/١ ح ٣٠٥. وإسناده ضعيف جداً، فيه راوٍ لم يسمّ وأبو صالح مجهول.

(٢) إسناده ضعيف جداً كسابقه.

فوقف يستمِعُ قراءته فقرأ: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾، قال: قَسَمٌ ـ وَرَبِّ الكعبةِ ـ حَقٌّ. فنزل عن حِمَاره واستند إلى حائطٍ، فمكَثَ مَلِيّاً ثم رَجَع إلى منزله، فمكث شهراً يعودُه الناس، لا يدرون ما مَرَضُه، ـ رضي الله عنه ـ.

وقال الإمام أبو عُبَيد في فضائل القرآن: حدثنا مُحمَّد بن صالح، حدثنا هشام بن حَسَّان، عن الحسنِ: أن عُمَرَ قرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾، فَرَبا لها رَبْوَةً عِيدَ منها عِشْرِينَ يَوْماً. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾ ـ قال ابنِ عباس وقتادةُ: تتَحَرك تحريكاً. وعن ابن عباس: هو تَشَقُّقها، وقال مجاهد: تَدُور دوراً. وقال الضحَّاكُ: استدارتها وتحريكُها لأمرِ الله، وموجُ بعضِها في بعضٍ. وهذا اختيارُ ابنِ جَرِير أنه التحرُكُ في استدارةٍ. قال: وأنشد أبو عُبَيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَوْرُ السَّحَابَةِ، لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾، أي: تذهَبُ فتصير هباءً مُنبثّاً، وتُنسَفُ نَسْفاً، ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لهم ذَلك اليومَ من عذاب الله وَنَكالِه بهم، وعِقَابه لهم، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾، أي: هُم في الدنيا يخوضُون في الباطل، ويَتَّخِذُون دينهم هُزُواً ولَعِباً، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾، أي: يُدفَعُون ويُساقُون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾. وقال مجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب، والضحَّاكُ، والسديُّ، والثوري: يُدفَعُون فيها دَفْعاً. ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾، أي: تقولُ لهم الزَّبانية ذلك تقريعاً وتوبيخاً، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ اصْلَوْهَا﴾، أي: ادخُلوها دخول مَن تغمُره مِن جميع جهاتِه، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾، أي: سواءٌ صَبَرتُم على عَذَابها ونَكالها أم لم تَصْبِروا، لا مَحيدَ لكم عنها ولا خَلاَص لكم منها، و﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي: ولا يَظلِمُ الله أحداً، بل يُجَازي كُلّاً بعَمله.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾

يُخبر تعالى عن حالِ السعَداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧﴾، وذلك بِضدِّ ما أُولئِكَ فيه من العذاب والنَّكال، ﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾، أي: يَتفكَّهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصنافِ الملاذِّ، من مآكِلَ ومشارِبَ وملابِسَ ومساكِنَ ومراكِبَ وغير ذلك، ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، أي: وقد نَجَّاهم من عذاب النار، وتلك نعمةٌ مُستقِلَّة بِذَاتها على حِدَتها مع ما أُضِيف إليها من دُخول الجنَّة، التي فيها من السُّرُورِ ما لا عينٌ رأت، ولا أُذن سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩﴾، كقولِهِ تعالىٰ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤]، أي: هذا بذاك، تَفَضُّلاً منه وإحساناً. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾، قال الثوري، عن حُصَين، عن مجاهد، عن ابن عباس: السرُر في الحِجَال(١).

[٦٣٢٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليَمَان، حدثنا صفوانُ بن عَمرو: أنه سَمِع الهيثم بن مالك الطائي يقول: إن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الرجلَ لَيَتَّكِىء المُتَّكأَ مقدارَ أربعينَ سنةً ما يَتَحوَّلُ عنه ولا يَمَلُّه، يأتيه ما اشتهت نفسُه ولذَّت عينُه»(٢).

---

(١) الحجلة: القبة.

(٢) هذا مرسل. الهيثم بن مالك، تابعي صغير. فالخبر ضعيف.

وحدثنا أبي، حدثنا هُدْبَةُ بن خالد، عن سُليمان بن المغيرة، عن ثابتٍ قال: بَلَغنا أن الرجُلَ لَيَتَّكِيءُ في الجَنَّة سبعين سنة، عندَه مِن أزواجِه وخَدَمه وما أعطاه الله من الكَرَامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرةٌ فإذا أزواجٌ له لم يكن رَآهُنَّ قبل ذلك، فيقلن: قد آن لك أن تجعَلَ لنا منك نَصِيباً. ومعنى ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾، أي: وُجوهُ بعضِهم إلى بعضٍ، كقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾. ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾، أي: وجعلنا لهم قريناتٍ صالحات، وزوجاتٍ حساناً من الحُورِ العين. وقال مجاهد: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾: أنكحناهم بحُورٍ عِينٍ، وقد تقدَّم وصفهُن في غير موضع بما أغنى عن إعادَتِهِ ههنا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

يخبر تعالى عن فَضْلِه وكَرَمه، وامتنانه ولُطفه بخلقه وإحسانِه: أنَّ المؤمنين إذا اتَّبعَتْهُم ذُرِّياتهم في الإيمان يُلحِقُهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عَمَلهم، لِتقرَّ أعيُنَ الآباءِ بالأبناءِ عندهم في منازلهم، فيجمَع بينهم على أحسَنِ الوجوه، بأن يرفَع الناقص العَمَلِ بكامِلِ العَمَل، ولا ينقُص ذاك من عَمَله ومَنزلته، لِلتَّساوي بينه وبين ذاك، ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

[٦٣٣٠] قال الثوريُّ، عن عَمرُو بن مُرَّة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: إنَّ الله ليرفَعُ ذُرِّية المُؤمِن في دَرجته، وإن كانوا دُونَه في العمل، لتقرّ بهم عينُه، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[1]. رواه ابنُ جَرير وابن أبي حاتم من حديث سُفيان الثوري، به. وكذا رواه ابنُ جرير من حديث شُعبة عن عمرو بن مُرّة به. ورواه البزّار، عن سهل بن بحر، عن الحسن بن حَمّاد الورّاق، عن قيس بن الربيع، عن عَمرو بن مُرّة، عن سَعِيد، عن ابن عباس مرفوعاً، فَذَكره، ثم قال: وقد رواه الثوريُّ، عن عَمرِو بن مُرّة، عن سَعِيد، عن ابن عباس موقوفاً. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيَد البيرُوتي، أخبرني محمد بن شُعَيب، أخبرني شيبان، أخبرني ليث، عن حبيب بن أبي ثابت الأسدي، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، قال: هم ذُرِّية المؤمن، يموتُون على الإيمان، فإن كانت منازلُ آبائِهم أرفَع من منازلهم أُلحِقُوا بآبائهم، ولم يُنقَصُوا من أعمالهم التي عَمِلوا شيئاً.

[٦٣٣١] وقال الحافظُ الطَّبَراني: حدثنا الحُسَين بن إسحاقَ التُّستري، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن

---

(١) هكذا أخرجه الثوري وغير واحد موقوفاً، وأخرجه البزار ٢٢٦٠ عن ابن عباس مرفوعاً. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٧٠: فيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف اهـ. وقال عنه أحمد: كان كثير الخطأ. وله أحاديث منكرة. وكان وكيع وابن المديني يضعفانه. وقال النسائي والدارقطني: متروك. وضعفه يحيى، وقال: لا يكتب حديثه اهـ «الميزان» ٦٩١١. فالرجل ضعيف، وهو سيء الحفظ، وقد خالفه الثوري وشعبة فروياه موقوفاً، أخرجه الطبري ٣٢٣٣٨ و ٣٢٣٤١ وهما إماما هذا الشأن، فالصواب موقوف والمرفوع ضعيف، والله أعلم.

غزوان، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبَّاس ـ أظُنُّه عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دَخَل الرجلُ الجنةَ سأل عن أبويه وزَوْجَتِه ووَلده، فيقال: إنهم لم يَبلغُوا دَرَجَتَك. فيقول: يا ربِّ، قد عَمِلتُ لي ولهم. فيُؤمَرُ بإلحاقهم به» وقرأ ابن عباس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ﴾... الآية[١].

وقال العَوفيُّ، عن ابن عباسٍ في هذه الآية: يقول: والذين أدرك ذريتُهم الإيمانَ فَعَمَلوا بطاعتي ألحقتُهم بإيمانِهم إلى الجنَّة، وأولادهم الصغار تُلحقُ بهم. وهذا راجع إلى التفسير الأول، فإنَّ ذاك مُفسَّرٌ أصرح من هذا. وهكذا يقول الشعبي، وسعيد بن جُبَير، وإبراهيمُ، وقتادة وأبو صالحٍ، والربيعُ بنُ أنسٍ، والضحَّاكُ، وابنُ زيد. وهو اختيار ابن جرير.

[٦٣٣٢] وقد قال عبدُ الله بن الإمام أحمدَ: حدثنا عثمانُ بن أبي شَيبة، حدثنا محمد بن فُضَيل، عن محمد بن عُثمان، عن زَاذانَ، عن علي قال: سَألت خَديجةُ النبيَّ ﷺ عن وَلَدين ماتَا لها في الجاهليَّة، فقال رسولُ الله ﷺ: «هما في النار». فلما رأى الكراهَة في وجهها قال: «لو رأيتِ مكانَهما لأبغَضتِهما». قالت: يا رسولَ الله، فولَدَيَّ منكَ. قال: «في الجنَّةِ». قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية[٢]. هذا فضلُه تعالى على الأبناء ببَركة عمل الآباء، وأما فضلُه على الآباءِ ببَركَةِ دُعاءِ الأبناء، فقد قال الإمامُ أحمدُ:

[٦٣٣٣] حدثنا يزيدُ، حدثنا حَمَّاد بن سَلَمة، عن عاصم بن أبي النَّجُود، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفَعُ الدرجَة للعبدِ الصالِح في الجَنَّة فيقولُ: يا ربِّ، أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفارِ ولدك لك»[٣]. إسنادُه صحيح، ولم يُخرِّجُوه من هذا الوجه، ولكن له شاهدٌ.

[٦٣٣٤] في صحيح مسلم، عن أبي هُرَيرَةَ، عن رسولِ الله ﷺ: «إذا مات ابنُ آدَمَ انقطَع عملُه إلاَّ مِن ثلاثٍ: صَدَقةٍ جاريةٍ، أو عِلمٍ يُنتفَعُ به، أو وَلَدٍ صالح يدعُو له»[٤].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، لمَّا أخبرَ عن مقام الفضل، وهو رفعُ دَرَجةِ الذرِّية إلى منزلةِ الآباءِ من غير عمل يَقتضِي ذلك أخبرَ عن مقام العَدْلِ، وهو أنه لا يُؤاخِذُ أحداً بذنبِ أحدٍ، فقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، أي: مُرْتَهِنٌ بعَمَله، لا يُحمَل عليه ذنبُ غيره من الناس، سواءٌ كان أباً أو ابناً، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤١].

وقولُهُ: ﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾، أي: وألحقناهم بفواكِهَ ولحوم من أنواع شتَّى، مما يُستَطابُ ويُشتَهى. وقولُهُ: ﴿يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾، أي: يَتعاطَون فيها كأساً، أي: من الخَمْر. قاله الضحاك. ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾، أي: لا يَتكلَّمُون عنها بكلام لاغ، أي: هَذيانٍ، ولا إثم، أي: فُحش، كما تتكلَّم به الشَّرَبَةُ من أهل الدنيا. وقال ابنُ عباس: اللغوُ: الباطلُ، والتأثيمُ: الكَذِبُ. وقال مجاهد: لا يَستَبُّون ولا

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الطبراني ١٢٢٤٨ وفي «الصغير» ٦٤٠ من حديث ابن عباس. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٦٩: فيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، وهو ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه في الإسراء: ١٥.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٥٠٩ وإسناده حسن لأجل عاصم، وله شاهد عن أبي سعيد، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٩١٥ بسند ضعيف.

(٤) أخرجه مسلم وغيره، وتقدم.

يُؤْثَمُون. وقال قتادة: كان ذلك في الدنيا مع الشيطان. فَنَزَّه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فَنَفى عنها ـ كما تقدَّم ـ صُداع الرأس، ووَجَع البطن، وإزالة العَقل بالكُلِّية. وأَخبَرَ أنها لا تحمِلُهم على الكلام السيِّىء الفارغ عن الفائدةِ المُتَضمِّن هَذَياناً وفُحْشاً، وأخبر بحُسن مَنْظَرِها، وطِيبِ طَعْمِها ومَخْبَرِها فقال: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٦ ـ ٤٧]، وقال: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩]، وقال هاهنا: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾: إخبار عن خَدَمهم وحَشَمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤُ الرطب المكنُون، في حُسنِهم وبَهائهم ونَظافَتِهم وحُسنِ مَلابِسِهم، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٨]. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾، أي: أقبلوا يتحادَثُون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادثُ أهلُ الشراب على شَرابهم إذا أَخَذَ فيهم الشرابُ بما كان من أمرهم، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾، أي قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من رَبِّنا مُشفِقين من عذابِهِ وعِقابِه، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾، أي: فَتَصدَّق علينا وأجارنا مما نخافُ، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾، أي: نَتَضرَّع إليه، فاستجابَ لنا وأعطانا سُؤلَنا، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[٦٣٣٥] وقد وَرَد في هذا المقامِ حديثٌ، رواه الحافظ أبو بكر البزّار في مُسنَدِه فقال: حدثنا سَلَمة ابن شَبِيبٍ، حدثنا سعيد بن دينار، حدثنا الربيع بن صَبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دَخَل أهلُ الجَنّةِ الجنةَ اشتاقُوا إلى الإخوان، فَيَجِيءُ سَرِيرُ هذا حتى يُحاذِيَ سريرَ هذا، فَيَتحدَّثان، فَيَتكىءُ هذا ويَتكِىءُ هذا، فَيَتحدَّثان بما كان في الدنيا، فيقولُ أحدُهما لصاحِبِه: يا فلان، تَدرِي أيَّ يومَ غَفَرَ الله لنا؟ يومَ كُنَّا في موضعِ كذا وكذا، فَدَعَونا الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ فغَفَرَ لنا»(١). ثم قال البزارُ: لا نعرفه يُروَى إلا بهذا الإِسنادِ. قلت: وسَعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم: هو مجهول، وشيخه الربيع بن صَبِيح قد تكَلَّم فيه غيرُ واحدٍ من جِهَةِ حِفْظِه، وهو رجلٌ صالحٍ ثِقَةٌ في نَفْسِه.

وقال ابنُ أبي حاتِم: حدثنا عَمْرو بن عبد الله الأَوْدِيُّ، حدثنا وكيعٌ، عن الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن مَسْرُوقٍ، عن عائشَةَ أنها قرأت هذه الآيةَ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾، فقالت: اللهُمَّ، مُنَّ علينا وقِنَا عذابَ السَّموم. إنك أنت البرُّ الرحيمُ. قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال: نعم.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً رسولَه ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ بأن يُبلِّغَ رسالته إلى عباده، وأن يُذَكِّرهم بما أنزل الله عليه، ثم نَفَى عنه ما يَرْمِيه به أهلُ البُهتان والفُجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا

(١) إسناده ضعيف. أخرجه البزار ٣٥٥٣، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٧٧٠: رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان، وقد وُثقا اهـ وفيه عنعنه الحسن، وهو مدلس. فالخبر واهٍ. والله أعلم.

مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾، أي: لستَ بِحَمْدِ الله بكاهن كما تقولُه الجَهَلَةُ من كُفَّار قريش. والكاهن: الذي يأتيه الرَّئِيُّ من الجانِّ بالكلمة يَتَلقَّاها من خَبَرِ السَّماء، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾، وهو الذي يَتَخبَّطه الشيطانُ من المسِّ. ثم قال تعالى مُنكِراً عليهم في قولهم في الرسُولِ ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾؟، أي: قَوَارع الدهر. والمنونُ: الموتُ. يقولُون: نَنْظُره ونَصْبِر عليه حتَّى يأتيَه الموتُ فنستريحُ منه ومن شأنِه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾، أي: انتظِرُوا فإني منتظرٌ معكم، وستعلَمُون لمن تكونُ العاقبةُ والنُّصرَةُ في الدنيا والآخرة.

قال محمد بن إسحاقَ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهدٍ، عن ابن عباس: إنَّ قريشاً لما اجتمعُوا في دار النَّدْوَةِ في أمرِ النبيِّ ﷺ قال قائلٌ منهم: احتبِسُوه في وَثَاقٍ، ثم تَربَّصُوا به رَيْبَ المنُونِ حتى يَهلِكَ، كما هَلَكَ مَن كان قبلَه من الشعراءِ: زُهَيرٌ والنابغةُ، إنما هو كأحدِهم. فأنزل الله تعالىٰ في ذلك من قولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾، أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلَمُون في أنفسِهم أنها كَذب وزُورٌ؟ ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، أي: ولكن هُم قومٌ ضُلَّالٌ مُعانِدُون، فهذا هو الذي يحمِلُهم على ما قالوه فيك. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾، أي: اختلقَه وافتراه مِن عند نفسه، يعنونَ القرآن. قال الله تعالىٰ: ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: كفرُهم هو الذي يَحمِلُهم على هذه المقالةِ، ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾، أي: إن كانُوا صادِقين في قولهم: تقَوَّله وافتراه، فَلْيأْتوا بمثل ما جاء به محمدٌ من هذا القرآن، فإنَّهم لو اجتمعُوا هم وجَميع أهلِ الأرضِ من الجنِّ والإنسِ ما جاءُوا بمثله، ولا بِعَشْرِ سُوَرٍ [من] مثلِه، ولا بِسُورةٍ من مثلِهِ.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

هذا المقامُ في إثباتِ الربُوبيَّةِ وتَوحيدِ الألُوهيَّةِ، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾، أي: أَوُجِدُوا من غير مُوجِدٍ أم هُم أوجدُوا أنفسَهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خَلَقهم وأنشأهُم بعد أن لم يكونُوا شيئاً مذكوراً.

[٦٣٣٦] قال البخاريُّ: حَدَّثنا الحُمَيدِيُّ، حدثنا سُفيان قال: حَدَّثُوني عن الزهريِّ، عن محمد بن جُبَير بن مُطعِم، عن أبيه قال: سَمِعت النبيَّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ كاد قَلْبي أن يَطِيرَ[١]. وهذا الحديث مُخَرَّج في الصَّحِيحين من طُرُقٍ، عن الزهريِّ، به. وجُبَير بن مُطعم كان قَدْ قَدِم على النبي ﷺ بعد وقعة بَدرٍ في فداءِ الأَسَارى، وكان إذ ذاكَ مُشرِكاً، وكان

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٥٤، وهو معلول لجهالة المخبر لابن عيينة، وأخرجه البخاري ٧٦٥ و٣٠٥٠ ومسلم ٤٦٣ وغيرهما من طرق عن ابن عيينة وغيره إلىٰ قوله «بالطور» وانظر «الفتح» ٨/ ٦٠٣.

سماعُه هذه الآيةَ من هذه السورة من جُملة ما حَمَله على الدخول في الإسلام بعد ذلك. ثم قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾، أي: أَهُم خَلَقُوا السمواتِ والأرض؟! وهذا إنكارٌ عليهم في شِرْكِهم بالله، وهم يَعلَمُون أنه الخالقُ وحدَه، لا شَريكَ له. ولكنَّ عَدَم إيقانهم هو الذي يَحمِلُهم على ذلك، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾، أي: أَهُم يتصرَّفون في المُلكِ وبيدهم مفاتيحُ الخزائن؟ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾، أي: المحاسِبُون للخلائق، ليس الأمرُ كذلك، بل الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ هو المالك المتصرِّف الفعَّال لما يُريد.

وقولُه تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾، أي: مرقاةٌ إلى المَلأ الأعلى، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، أي: فَلْيَأتِ الذي يستمِع لهم بحجَّةٍ ظاهرةٍ على صِحَّةِ ما هم فيه من الفعَال والمَقَال، أي: وليس لهم سبيلٌ إلى ذلك، فَلَيسُوا على شيءٍ، ولا لَهُم دليلٌ. ثم قال مُنكِراً عليهم فيما نَسبُوه إليه من البناتِ، وجَعْلِهم الملائكة إناثاً، واختيارهم لأنفسهم الذكُورَ على الإناثِ، بحيثُ إذا بُشِّر أحدُهم بالأنثى ظَلَّ وجهُه مُسودّاً وهو كَظِيم. هذا وقد جَعَلُوا الملائكةَ بناتِ الله، وعَبَدُوهم مع الله، فقال: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾، وهذا تهديدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أكِيدٌ، ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: أجرةً على إبلاغِك إيَّاهم رسالة الله؟ أي: لستَ تسألُهم على ذلك شيئاً، ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾، أي: فَهُم من أدنى شيءٍ يَتبرَّمون منه، ويُثقِلُهم وَيَشُقُّ عليهم، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾، أي: ليس الأمرُ كذلك، فإنه لا يعلَمُ أحدٌ من أهل السموات والأرض الغيبَ إلا الله، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾، يقول تعالى: أم يُريدُ هؤلاء بقولهم هذا في الرسُول وفي الدينِ غُرورَ الناسِ وكيدَ الرسولِ وأصحابِه، فَكَيْدُهم إنما يرجعُ وبالُه على أنفُسِهم، فالذين كَفَرُوا هم المَكِيدُون، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾. وهذا إنكارٌ شديد على المشركين في عبادتِهم الأصنامَ والأندادَ مع الله. ثم نَزَّه نفسَه الكريمةَ عما يَقُولُون ويَفتَرُون ويُشرِكُون، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن المشركين بالعِناد والمكابرة للمحسُوس: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾، أي: عليهم يُعَذَّبون به لَما صَدَّقُوا ولَمَا أيقنُوا، بل يقولُون: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ أي: مُتَراكِم. وهذه كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ ـ ١٥]. قال الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، أي: دَعْهُم ـ يا محمد ـ ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾، وذلك يومَ القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾، أي: لا ينفعهُم كيدُهم ومكرُهم الذي استعملُوه في الدنيا، لا يُجدِي عنهم يومَ القيامة شيئاً، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، أي: قبل ذلك في الدار الدنيا، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١]. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: نُعذِّبهم في الدنيا، ونَبْتَليهم فيها بالمصائب، لَعَلَّهم يرجِعُون وينيبون فلا يفهمون ما يُراد بهم، بل إذا جَلَّى عنهم مما كانوا فيه عادُوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، كما جاء في بعض الأحاديث:

[٦٣٣٧] «إنَّ المنافق إذا مَرِض وعُوفي مَثَلُه في ذلك كَمَثل البعير، لاَ يدرِي فيما عَقَلوه ولا فيما أرسلُوه»[١].

وفي الأثر الإلهي: كم أَعْصِيك ولا تُعَاقِبُني؟ قال الله تعالىٰ: يا عبدِيَ، كم أُعاقِبُك وأنتَ لا تَدْرَي؟. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: اصبِرْ على أذاهُم ولا تُبَالِهم، فإنَّك بِمَرأىً منَّا وتحت كَلاءَتِنا، والله يعصِمُك من الناس.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال الضحَّاكُ: أي إلى الصلاة: سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِك، وتبارك اسمُك، وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرُك. وقد رُوي مثله عن الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وغيرهما. وَرَوى مسلم في صحيحه، عن عُمَر أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة.

[٦٣٣٨] ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبي سعيد وغيره، عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك[٢]. وقال أبو الجَوزاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، أي: من نَوْمِك من فراشك. واختاره ابن جرير.

[٦٣٣٩] ويتأيَّدُ هذا القولُ بما رواه الإمام أحمد: حدَّثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثني عُمَير بن هانىء، حدثني جُنَادة بنُ أبي أُمَيَّة، حدثنا عُبادَةَ بن الصَّامتِ عن رسولِ الله ﷺ قال: «من تَعَارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيء قدير. سبحَان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حولَ ولا قُوَّة إلا بالله، ثم قال: رَبِّ اغفر لي ـ أو قال: ثم دَعَا ـ استُجيب له، فإن عَزَم فتوضَّأ ثم صلَّى تُقبِّلت صلاتُه»[٣]. وأخرجه البخاري في صحيحه، وأهل السنن، من حديث الوليد بن مسلم، به. وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال: من كلِّ مجلِسٍ. وقال الثوريُّ، عن أبي إسحاق، عن أبي الأَحْوَصِ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، قال: إذا أراد الرجلُ أن يقومَ من مجلسه قال: سُبحانَكَ اللهُمَّ وبحمدك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو النَّضر إسحاق بن إبراهيم الدِّمشقي، حدثنا محمدُ بن شُعَيب، أخبرني طلحة بن عمرو الحَضْرَمي، عن عطاءِ بن أبو رَبَاح: أنه حَدَّثه عن قول الله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، يقول حين تقومُ من كلِّ مجلِسٍ، إن كنتَ أحسنتَ ازددتَ خيراً، وإن كان غيرَ ذلك كان هذا كفارةً له.

[٦٣٤٠] وقد قال عبد الرزاق في جَامِعه: أخبرنا معمرٌ، عن عبد الكريم الجَزَري، عن أبي عُثمَان الفَقِير: أن جبريلَ عَلَّم النبي ﷺ إذا قَام من مَجْلِسه أن يقول: سُبحانَكَ اللهُمَّ وبحمدِك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ. أَستغفِرُك وأتوبُ إليك. قال معمر: وسَمِعتُ غيره يقول: هذا القولُ كَفَّارة المجالِسِ[٤]. وهذا مرسَلٌ، وقد وردَت أحاديثُ مُسنَدَةٌ من طُرُق ـ يُقَوِّي بعضُها بعضاً ـ بذلك.

[٦٣٤١] فمن ذلك حديث ابن جُرَيج، عن موسى بن عقبة، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن

(١) ضعيف جداً. أخرجه أبو داود ٣٠٨٩ بسند ضعيف جداً؛ فيه من لم يسمّ، وأبو منظور مجهول.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ١١٥٤ وأبو داود ٥٠٦٠ والترمذي ٣٤١٤ والنسائي ٨٦١ وابن ماجه ٣٨٧٨.

(٤) مرسل. أخرجه عبد الرزاق ١٩٧٩٦ مرسلاً، ويشهد لأصله ما بعده.

أبي هُرَيرَةَ، عن النبي ﷺ أنه قال: «من جَلَس في مجلس فَكَثُر فيه لَغطُهُ فقال قبل أن يقومَ من مجلسه: سبحانَكَ اللهم وبحمدِك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليكَ، إلا غُفرَ له ما كان في مجلسه ذلك»[1]. رواه الترمذيُّ ـ وهذا لفظه ـ والنسائيُّ في اليوم والليلة، من حديث ابن جُريج. وقال الترمذيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ». وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: إسناده على شرط مسلم، إلا أن البخاري علله. قلت: عَلَّله الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو حاتم، وأبو زُرعَةَ، والدارقطني، وغيرهم. ونَسَبُوا الوهم فيه إلى ابن جُرَيج. على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جُرَيج إلى أبي هُرَيرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ بنحوه.

[٦٣٤٢] ورواه أبو داود ـ واللفظ له ـ والنسائيُّ، والحاكم في المستدرك، من طريق الحجَّاج بن دينار، عن [أبي] هاشم، عن أبي العالية، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول بأخَرَةٍ إذا أرادَ أن يَقُوم من المجلس: «سُبحانَكَ اللهُمّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، إنك لَتَقُولُ قولاً ما كنتَ تقولُه فيما مضى؟! قال: «كفارة لما يكونُ في المجلس»[2]. وقد روي مرسلاً عن أبي العالية، والله أعلم.

[٦٣٤٣] وهكذا رَوَاه النسائيُّ والحاكمُ، من حديثِ الربيع بن أنس، عن أبي العاليةِ عن رافع بن خَدِيج، عن النبي ﷺ مثله سواء[3]. ورُوي مُرسلاً أيضاً، والله أعلم. وكذا رَوَاه أبو داود عن عبد الله بن عَمرو أنه قال: كَلِماتٌ لا يتكلم بهنَّ أحدٌ في مَجلِسِه عند قيامِه ثلاث مرَّاتٍ إلا كُفِّر بِهنَّ عنه، ولا يقولُهُنَّ في مجلس خير ومجلس ذكر إلاَّ خُتِم له بِهنَّ كما يُختَمُ بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدكَ، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. وأخرجه الحاكم مِن حديث أم المؤمنين عائشة، وصححه، ومن رواية جُبَير بن مطعم. ورواه أبو بكر الإسماعيليُّ عن أمير المؤمنين عُمَر بن الخطاب، كلُّهم عن النبي ﷺ. وقد أفردت لذلك جزءاً على حِدَةٍ بذكرِ طُرقه وألفاظه وعلله، وما يتعلَّق به، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾، أي: اذكُره واعبدُه بالتلاوةِ والصَّلاة في الليل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، قد تَقَدَّمت في حديثِ ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم، أي: عند جنوحها للغيبوبة.

[٦٣٤٤] وقد وَرَدَ في حديث ابن سِيلاَنَ، عن أبي هُرَيرة مرفُوعاً: «لا تَدَعُوهما وإن طَرَدتكم الخيل» يعني ركعتي الفجر[4]، رواه أبو داود. ومن هذا الحديث حُكِيَ عن بعض أصحابِ الإمام أحمدَ القولُ بوجوبهما، وهو ضعيفٌ، لحديث:

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٤٣٣ وابن حبان ٥٩٤ والحاكم ١/ ٥٣٦ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، لكن سهيل فيه ضعف، وللحديث شواهد.

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود ٤٨٥٩ والنسائي ١٠٢٥٩ ورجاله ثقات.

(٣) صحيح. أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» ١٠٢٦٠ والحاكم ١/ ٥٣٧ وسكت عليه هو والذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٤١: رجاله ثقات اهـ وللحديث شواهد وطرق، وهو صحيح.

(٤) ضعيف. أخرجه أبو داود ١٣٥٨ وأحمد ٢/ ٤٠٥ والطحاوي في «شرح المعاني» ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧. ومداره على ابن سيلان. قال الذهبي: لا يُعرف. قيل اسمه: عبد ربه، وقيل: جابر. فالخبر واهٍ.

[٦٣٤٥] «خَمْسُ صلواتٍ في اليوم والليلةِ». قال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: «لا إلا أن تَطَوَّع»[١].

[٦٣٤٦] وقد ثبت في الصَّحِيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: لم يكُن رسولُ الله ﷺ على شيءٍ من النوافل أشدَّ تَعاهُداً منه على ركعتَي الفَجْرِ[٢].

[٦٣٤٧] وفي لفظ لِمُسلمٍ: «ركعتا الفَجْرِ خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٣].

آخر تفسير سورة الطور، ولله الحمد والمنة

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٦ و٢٦٧٨ ومسلم ١١ وأبو داود ٣٩١ والنسائي ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨ ومالك ١/ ١٧٥ وأحمد ١/ ١٦٢ وابن حبان ١٧٢٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١١٦٩ ومسلم ٧٢٣ ح ٩٤.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٧٢٥ ح ٩٦ من حديث عائشة.

سورة النجم

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

وهي مكيّة

[٦٣٤٨] قال البخاريُّ: حدثنا نصرُ بن علي، أخبرني أبو أحمد، يعني الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيدِ، عن عبد الله قال: أول سُورة أُنزِلَت فيها سَجْدَةٌ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، قال: فَسَجد رسول الله ﷺ وسَجد مَن خَلْفَه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفّاً من تُرابٍ فَسَجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قُتِلَ كافراً، وهو أُميّة بن خَلَفِ[١]. وقد رَوَاه البخاريُّ أيضاً في مواضع، ومُسلِم، وأبو داود، والنسائيُّ، من طرق، عن أبي إسحاق، به، وقولُه في المُمتَنعِ: إنه أميّةُ بن خَلَفٍ في هذه الرواية، مُشكِلٌ، فإنه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عُتبةُ بن رَبِيعة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾

قال الشعبيُّ وغيرُه: الخالِقُ يُقسِمُ بما شاء من خَلْقه، والمخلوقُ لا ينبغِي له أن يُقسِم إلاّ بالخالق. رواهُ ابن أبي حاتم. واختلف المفسرُون في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ فقال ابي أبي نَجيح، عن مجاهد: يعني بالنجم الثُرَيَّا إذا سَقَطت مع الفجر. وكذا رُوي عن ابن عباس، وسفيانَ الثَّوريُّ، واختارهُ ابنُ جُرير. وزعم السديُّ أنها الزهَرَةُ. وقال الضحاك: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾: إذا رُمي به الشياطينُ. وهذا القول له اتجاهٌ. وَرَوىٰ الأعمشُ، عن مجاهدٍ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾، يعني: القرآن إذا نَزل. وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠] وقولهُ تعالىٰ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادةُ للرسول ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ بأنه بارٌّ راشِدٌ تابع للحقّ ليس بِضَالّ وهو: الجاهلُ الذي يَسلُك على غير طريقٍ بغير علم، والغاوي: هو العالمُ بالحقّ، العادِلُ عنه قصداً إلى غيره، فنزه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ رسولَهُ وشَرْعَهُ عَن مُشابهة أهل الضَّلاَلِ كالنَّصارىٰ وطرائقِ اليهود، وعن عِلْم الشيءِ وكتمانه والعَمَل بخلافه، بل هو ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غايةِ الاستقامة والاعتدالِ والسَّدادِ، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾، أي: ما يقولُ قولاً عن هَوَىٰ وغرَض، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾، أي: إنما يقولُ ما أُمِرَ به، يُبَلِّغه إلى الناسِ كاملاً موفَّراً من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، كما رواه الإمام أحمد:

[٦٣٤٩] حدثنا يزيدُ، حدثنا حَريز بن عُثمان، عن عبد الرحمن بن مَيْسَرَةَ، عن أبي أمامة أنه سَمِع

(١) صحيح، أخرجه البخاري ١٠٦٧ و١٠٧٠ و٣٨٥٣ ومسلم ٥٧٦ وأبو داود ١٤٠٦ وأحمد ١/ ٤٠١.

رسول الله ﷺ يقول: «لَيَدخُلَنَّ الجنةَ بشفاعةِ رجلٍ ليس بنبيّ مثلُ الحَيَّين ـ أو: مثل أحد الحَيَّين ـ ربيعةَ ومُضَرَ». فقال رجل: يا رسولَ الله، أوَ مَا ربيعةُ من مُضَرَ؟ قال: «إنما أقول ما أقولُ»[١].

[٦٣٥٠] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا يحيىٰ بن سعيد، عن عُبَيد الله بن الأخنَسِ، أخبرنا الوليدُ بن عبد الله، عن يوسف بن مَاهَك، عن عبد الله بن عَمرو قال: كنتُ أكتُب كلَّ شيءٍ أسمَعُه من رسولِ الله ﷺ أريدُ حِفْظَه، فنهتني قريشٌ فقالوا: إنك تكتُب كلَّ شيءٍ تسمعهُ من رسول الله ورسول الله ﷺ بَشَرٌ يَتَكلَّم في الغضب. فأمْسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيدِه ما خَرَج منِّي إلاّ حَقٌّ»[٢]. ورواه أبو داود عن مُسَدَّد وأبي بكر بن أبي شَيْبَةَ، كلاهما عن يحيىٰ بن سعيد القطان، به.

[٦٣٥١] وقال الحافظ أبو بكر البزَّارُ: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن زيد بن أسلَمَ، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما أخبرتُكم أنَّه من عند الله فهو الذي لا شَكَّ فيه»[٣]. ثم قال: لا نعلَمُه يُروَىٰ إلاّ بهذا الإسنادِ.

[٦٣٥٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا ليثٌ، عن محمد، عن سَعيد بن أبي سَعِيد، عن أبي هُرَيرةَ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لا أقولُ إلاّ حقّاً». قال بعضُ أصحابِه، فإنك تُداعِبنَا يا رسول الله؟ قال: «إني لا أقول إلاّ حقاً»[٤].

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾

يقول تعالىٰ مخبراً عن عبدِه ورسُوله محمد ﷺ أنه عَلَّمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، وهو جبريلُ ـ عليه السلام ـ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وقال هاهنا: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، أي: ذو قُوَّةٍ. قاله مجاهد، والحسن، وابنُ زَيد. وقال ابن عباس: ذو منظر حَسَن. وقال قتادة: ذو خَلْقٍ طَوِيل حَسَنٍ. ولا منافاة بين القولين، فإنه ـ عليه السلام ـ ذو منظر حَسَنٍ، وقُوَّةٍ شَدِيدةٍ.

[٦٣٥٣] وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية أبي هُرَيرة وابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحِلُّ الصدَقةُ لِغَنيٍّ، ولا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[٥]. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ يعني: جبريل ـ عليه السلام ـ. قاله مجاهدٌ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٦٧ وإسناده حسن في الشواهد لأجل ابن ميسرة، لكن له شواهد.

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٦٤٦ وأحمد ٢/ ١٩٢ وإسناده قوي، وله شواهد.

(٣) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح، وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه البزار كما في «المجمع» ٨٣٧ وإسناده حسن، وفي الباب أحاديث.

(٤) لم أره في «المسند» بهذا الإسناد، وإنما أخرجه أحمد ٢/ ٣٦٠ من طريق أسامة بن زيد عن سعيد المقبري به، وإسناده حسن لأجل أسامة بن زيد، وهو الليثي.

(٥) تقدم في سورة التوبة آية ٦٠.

والحسنُ وقتادةُ، والربيع بن أنس. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝﴾ يعني جبريلَ، استوىٰ في الأفق الأعلىٰ، قاله عكرمةُ وغيرُ واحدٍ، قال عكرمةُ: والأفقُ الأعلىٰ الذي يأتي منه الصبحُ، وقال مجاهد: هو مطلَع الشمسِ. وقال قتادةُ: هو الذي يأتي منه النهارُ. وكذا قال ابنُ زيدٍ وغيرُهم.

[٦٣٥٤] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبو زُرعَةَ، حدثنا مُصَرِّف بن عمرو اليامِيُّ أبو القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مُصَرِّف، حدثني أبي، عن الوليد ـ هو ابنُ قيس ـ عن إسحاقَ بن أبي الكَهْتَلَة ـ أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود ـ أن رسولَ الله ﷺ لم يَرَ جبريلَ في صُورته إلاّ مَرَّتين، أما واحدةٌ فإنه سأله أن يراه في صُورته فَسَدَّ الأُفُق، وأما الثانية فإنه كان معه حيثُ صَعِدَ، فذلك قولُه: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝﴾[(١)].

وقد قال ابنُ جَرير ها هنا قولاً لم أَرَه لغيره، ولا حكاه هو عن أحدٍ، وحاصلهُ: أنه ذهب إلى أن المعنىٰ: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾، أي: هذا الشديدُ القوىٰ ذو المرّة هو ومحمد ﷺ بالأُفق الأعلىٰ، أي: استويا جميعاً بالأفق، وذلك ليلةَ الإسراءِ، كذا قال، ولم يُوافِقه أحدٌ على ذلك. ثم شَرَع يُوَجِّه ما قال من حيث العربية فقال: وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ﴾، فَعَطَف بالآباء على المكنّىٰ في ﴿كُنَّا﴾ من غير إظهارِ «نحن»، فكذلك قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ ﴿وَهُوَ﴾. وقال: وذَكَر الفرَّاءُ عن بعض العربِ أنه أنشدَه:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ الـنَّـبـعَ يَـصْـلُـبُ عُـودُه ... ولا يَـسْـتَـوِي والـخِـرْوَعُ الـمُـتَـقَـصِّـفُ

وهذا الذي قاله من جهة العربية مُتَّجه، ولكن لا يُساعِده المعنىٰ على ذلك، فإن هذه الرؤيَة لجبريل لم تكن ليلةَ الإسراءِ، بل قَبْلَها ورسولُ الله ﷺ في الأرض، فَهَبط عليه جبريل ـ عليه السلام ـ وَتَدَلَّىٰ إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خَلَقَهُ الله عليها، له سِتُّمئةِ جَناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرىٰ عند سَدْرة المُنتهىٰ، يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤيةُ الأُولىٰ في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريلُ ـ عليه السلام ـ أَوّل مرّة، فأوحىٰ الله إليه صَدْرَ سورة اقرأ، ثم فَتَر الوحيُ فترةً ذهبَ النبي ﷺ فيها مِراراً ليتردّىٰ من رُؤوس الجبال، فكُلَّما هَمَّ بذلك ناداه جبريلُ من الهَوَاء: «يا محمدُ، أنتَ رسولُ الله حقاً، وأنا جبريل»[(٢)] فيسكُنُ لذلك جاشُهُ، وتَقَرُّ عينُه، وكلما طال عليه الأمرُ عاد لمثلها، حتىٰ تَبَدَّىٰ له جبريلُ، ورسولُ الله ﷺ في الأبطَح، في صُورَتِه التي خَلَقه الله عليها، له سِتُّمئة جَناح قد سَدَّ عظم خَلْقِهِ الأُفُقَ، فاقترب منه، وأوحىٰ إليه عن الله ـ عزّ وجلّ ـ ما أمره به، فَعَرف عند ذلك عظمةَ المَلَكِ الذي جاءه بالرسالة، وجَلالَة قَدْره وعلوّ مكانته عند خَالِقِهِ الذي بعثه إليه.

[٦٣٥٥] فأما الحديثُ الذي رواه الحافظُ أبو بكر البزّار في مُسنَدِه حيث قال: حدثنا سَلَمةُ بن شَبيب، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عُبَيد، عن أبي عِمْران الجَوْني، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بينا أنا قاعدٌ إذ جاء جبريل ـ عليه السلام ـ فَوَكَز بين كَتِفَيَّ، فقمت إلىٰ شجرة كَوَكْرَي الطير، فَقَعد في أحدهما وقعدت في الآخر. فَسَمَتْ وارتفعتْ حتىٰ سَدَّت الخافِقَين وأنا أُقَلِّب طَرْفِي، ولو شِئتُ أن أَمسَّ السماء لَمَسِستُ، فالتفت إليّ جبريل كأنه حِلْس لاطِئٌ فَعَرفتُ فضلَ علْمه بالله عَلَيَّ. وفُتح لي بابٌ من أبواب السماء ورأيت النور الأعظَمَ، وإذا دونَ الحِجابِ رفرفة الدُّرِّ والياقوتِ، وأوحي إليَّ ما شاء الله

---

(١) إسناده ضعيف، لكن المتن محفوظ وسيأتي.

(٢) ورد ذلك عن الزهري مرسلاً. ومراسيل الزهري واهية، وقد تقدم هذا الخبر مطولاً.

أن يُوحَىٰ»[١] ثم قال البزَّارُ: لا يرويه إلاَّ الحارث بن عُبيد، وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة. قلتُ: الحارث بن عُبَيد هذا هو أبو قُدَامة الإِيادي، أخرج له مسلمٌ في صَحِيحه إلاَّ أن ابن معِين ضعفهُ، وقال: ليس هو بشيء، وقال الإِمام أحمد: مضطربُ الحديثِ، وقال أبو حاتم الرزايّ: يُكتب حَدِيثه ولا يُحتجُّ به، وقال ابن حبان: كَثُر وَهَمه فلا يجوزُ الاحتجاج به إذا انفرَد، فهذا الحديث من غرائبِ رِوَاياته، فإن فيه نَكَارة، وغَرَابةَ ألفاظٍ، وسياقاً عجيباً، ولعله منامٌ، والله أعلم.

[٦٣٥٦] وقال الإِمامُ أحمدُ: حدثنا حجّاجٌ، حدثنا شَرِيك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رَأَىٰ رسولُ الله ﷺ جبريلَ في صورته وله سِتمئةِ جِناح، كل جناح منها قد سَدَّ الأفق، يسقُط من جناحِه من التهاويل والدرِّ والياقوت ما الله به عليم[٢]. انفرد به أحمد.

[٦٣٥٧] وقال أحمد: حدثنا يحيىٰ بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن إدريس بن مُنَبِّه، عَن وَهب بن مُنَبِّه، عن ابن عباس قال: سأل النبيُّ ﷺ جبريلَ أن يَرَاه في صورته، فقال: ادعُ ربَّك. فدعا ربَّه ـ عز وجل ـ فَطَلع عليه سوادٌ من قبل المشرق، فجعل يرتفعُ وينتشرُ، فلما رآه النبيُّ ﷺ صَعِق، فأتاه فَنَعَشَه ومسح البُزَاق عن شِدْقه[٣]، انفرد به أحمدُ.

[٦٣٥٨] وقد رواهُ ابن عساكر ـ في ترجمة عُتبة بن أبي لَهَب، ـ من طريق محمد بن إسحاق، عن عُثمانَ بن عُروة بن الزبَير، عن أبيه، عن هَبَّار بن الأسود قال: كان أبو لَهب وابنه عُتْبَةُ قد تَجهَّزا إلى الشام، فَتَجهَّزت معهما، فقال ابنه عُتبة: والله لأنطلقنَّ إلى محمد وَلأُوذِيَنَّه في ربِّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فانطلق حتىٰ أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا محمد! هو يكفُر بالذي دنا فتدلَّىٰ، فكان قابَ قوسَين أو أدنىٰ. فقال النبي ﷺ «اللهُمَّ ابعث إليه كَلْباً من كِلاَبِكَ». ثم انصرف عنه فرجَع إلىٰ أبيه فقال: يا بُنَيَّ، ما قلتَ له؟ فذكر له ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللهُمَّ سَلِّط عليه كلباً من كلابك» قال: يا بُنَيَّ، والله ما آمنُ عليك دُعاءَه، فَسِرنا حتىٰ نزلنا الشرَاة ـ وهي مَأسدةٌ ـ ونزلنا إلى صَوْمَعَةِ راهب، فقال الراهب: يا معشرَ العرب، مَا أنزلكم هذه البلادَ، فإنها تسرح الأسُدُ فيها كما تسرح الغنم؟ فقال لنا أبو لهب: إنكُم قد عَرَفُتم كبَر سنِّي وحَقِّي، وإن هذا الرجل قد دعا علىٰ ابني دعوةً ـ والله ـ ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومَعَةِ، وافرِشُوا لابني عليها ثم افرِشُوا حولها. ففعلنا، فجاء الأسد فَشَمَّ وجوهَنا، فلما لم يجد ما يُريد تَقَبَّض، فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع، فَشَمَّ وجهَه ثم هَزَمه هَزمة فَفَضَخ رأسه، فقال أبو لَهَب: قد عَرَفتُ أنه لا يَنفلتُ عن دَعْوَةِ مُحَمَّد[٤].

---

(١) إسناده ضعيف. وتقدم في أول سورة الإسراء.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٣٩٥ وهو حسن دون لفظ «كل جناح منها» فإنه غريب تفرد به شريك، وقد ساء حفظه لما تولىٰ القضاء، وسيأتي.

(٣) منكر. أخرجه أحمد ٢٩٦٧ والبزار ٢٢٦١ والطبراني ١١٠٣٣ عن ابن عباس به. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٧٤ بعد أن عزاه للبزار: إدريس ابن بنت وهب بن منبه، يكتب حديثه في الرقاق، كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات. ثم كرره ١١٩٤٢ وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات اهـ. مع أن مداره على إدريس عند الجميع. وقد اعتمد الهيثمي توثيق ابن حبان له، وقد خالفه ابن عدي حيث ضعفه وكذا الدراقطني فإنه قال: متروك كما في «الميزان» ٦٨١. ثم إن المتن منكر ومن ذلك «ومسح البزاق عن شدقه» فهو من أوهام إدريس هذا، ولا يتابع عليه.

(٤) إسناده ضعيف، فهو مرسل، وفيه عنعنة ابن إسحاق، ولا يصح وسيأتي في سورة «تبت».

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ أي: فاقترب جبريلُ إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرضِ، حتىٰ كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين، أي: بِقَدْرِهما إذا مُدًّا. قاله مجاهد، وقتادة، وقد قيل: إن المراد بذلك بُعدُ ما بين وَتَر القوس إلىٰ كبدها، وقولُهُ تعالىٰ: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، قد تقدَّم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثباتِ المُخبَر عنه ونَفي ما زاد عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، أي: ما هي بألين من الحِجارة، بل هي مثلُها أو تَزيدُ عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٧] أي: ليسُوا أقلَّ منها بل هم مئةُ ألفٍ حقيقةً، أو يَزيدون عليها. فهذا تحقيقٌ للمخبر به لا شكَّ ولا تَرَدُّد، فإن هذا ممتنع ها هنا، وهكذا هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾. وهذا الذي قُلناه من أنَّ هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ إنما هو جبريلُ ـ عليه السلام ـ، هو قولُ أمِّ المؤمنين عائشةَ، وابنِ مسعود، وأبي ذَرٍّ، وأبي هرَيرةَ، كما سَنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

[٦٣٥٩] ورَوَىٰ مسلم في صحيحه، عن ابن عباس أنه قال: رأىٰ مُحمَّدٌ ربَّه بفؤاده مرَّتين[١]، فجعَلَ هذه إحدَاهما.

[٦٣٦٠] وجاء في حديثِ شَريك بن أبي نَمرٍ، عن أنس في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلىٰ»[٢] ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشيَاء فيها من الغرابة، فإن صحَّ فهو محمول على وقت آخر وقصَّةٍ أخرىٰ، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسولُ الله ﷺ في الأرض لا ليلةَ الإسراءِ، ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، فهذه هي ليلةُ الإسراء، والأولىٰ كانَتْ في الأرضِ.

[٦٣٦١] وقد قال ابن جرير: حدثنا مُحمَّد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سُليمَان الشيباني، حدثنا زِرُّ بن حُبيش قال: قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل له سِتُّمئة جَناح»[٣].

[٦٣٦٢] وقال ابن وهب: حدثنا ابن لَهيعَةَ: عن أبي الأسود، عن عُروَةَ، عن عائشة قالت: كان أول شأنِ رسولِ الله ﷺ أنه رأىٰ في منامه جِبريلَ بأجياد[٤]، ثم إنه خَرَج ليقضيَ حاجَتَهُ فَصرخَ به جبريلُ: يا محمدُ، يا محمَّدُ. فنظر رسول الله ﷺ يَميناً وشِمالاً فلم يَرَ شيئاً ـ ثلاثاً ـ ثم رفع بَصَرَهُ فإذا هو ثانٍ إحدىٰ رجلَيه على الأخرىٰ على أُفُق السماء فقال: يا محمدُ! جبريلُ جبريلُ ـ يسكنه ـ فهرَب النبي ﷺ حتىٰ دخل في الناس، فَنَظر فلم يَرَ شيئاً ثم خرج من الناس، ثم نظر فرآه، فدخل في الناس فلم يَرَ شيئاً، ثم خرج فنظَرَ فرآه، فذلك قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾، يعني جبريل إلى محمد، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ ويقولون: القابُ نِصفُ الإصبع، وقال بعضهم: ذراعين كان بينهما[٥]. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث ابن وَهْب، به. وفي حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر شاهد لهذا.

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٦ ح ٢٨٥، وسيأتي.

(٢) منكر. تفرد به شريك، وقد تفرد في حديثه بمناكير، وتقدم في الإسراء.

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٤٤٥ وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير ابن أبي الشوارب فإنه من رجال مسلم.

(٤) أجياد: موضع بمكة.

(٥) أخرجه الطبري ٣٢٤٤٨ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، ولبعضه شواهد وبعضه غريب.

[٦٣٦٣] وروى البُخاريُّ، عن طَلْق بن غَنَّام، عن زائدة، عن الشَّيباني قال: سألتُ زِرّاً عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، قال: حَدَّثنا عبدُ الله: أن محمداً ﷺ رأىٰ جبريل له ستمئة جناح[١].

[٦٣٦٤] وقال ابنُ جرير: حدثني ابن بَزِيع البغدادي، حدثنا إسحاقُ بن منصورَ، حدثنا إسرائيل، عن إسحاقَ، عن عبد الرحمن بن يزيدَ، عن عبد الله. ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾، قال: رأىٰ رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليه حُلَّتا رَفْرَفٍ، قد مَلأَ ما بينَ السماءِ والأرض[٢]. فَعَلىٰ ما ذكرناه يكون قولُه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾، معناه: فأوحىٰ جبريلُ إلى عبد الله محمَّدٍ ما أوحىٰ. أو: فأوحىٰ الله إلى عبده محمد ما أوحىٰ بواسطة جبريل. وكلا المعنيين صحيح. وقد ذُكِر عن سَعِيد بن جُبَير في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾، قال: أوحىٰ إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الانشراح: ٤] وقال غيره: أوحىٰ إليه أن الجَنَّة مُحَرَّمة على الأنبياء حتىٰ تدخُلها، وعلى الأمم حتىٰ تدخُلها أمتك.

[٦٣٦٥] وقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾، قال مسلم: حدثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن حُصين، عن أبي العالية، عن ابن عباسٍ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾، قال: رآه بفؤاده مرَّتين[٣]، وكذا رواه سِماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، مثله. وكذا قال أبو صالح والسُّدِّي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرَّتين. وَقد خالفه ابنُ مسعود وغيره. وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولةٌ على المقيدة بالفؤاد. ومن روىٰ عنه بالبصر فقد أَغْرَبَ، فإنه لا يصحُّ في ذلك شيءٌ عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقولُ البَغَويُّ في تفسيره: وذهب جماعةٌ إلى أنه رآه بعَينه، وهو قول أَنسٍ والحسن وعِكْرِمةُ، فيه نظر، والله أعلم.

[٦٣٦٦] وقال التِّرمِذِيُّ: حدثنا محمد بن عَمْرو بن نَبْهان بن صَفْوان، حدثنا يحيىٰ بن كَثِير العنْبَرِيُّ، عن سَلْم بن جَعْفَر، عن الحكم بن أَبَانَ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عَبَّاس قال: رَأَىٰ محمدٌ ربَّه، قلت: أليس الله يقولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قال: وَيْحَكَ! ذاك إذا تَجَلَّىٰ بِنُوره الذي هو نُورُه، وقد رأىٰ رَبَّهُ مَرَّتين[٤]. ثم قال: «حَسَنٌ غريب».

[٦٣٦٧] وقال أيضاً: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سُفيانُ، عن مُجَالِدٍ، عن الشَّعبي قال: لقي ابنُ عباس كعباً بِعَرفَة، فسأله عن شيء فَكَبَّر حتىٰ جاوبته الجبالُ، فقال ابنُ عباس: إنَّا بنو هاشم، فقال كعب: إن الله قَسَم رؤيته وكلامَه بين محمد وموسىٰ، فَكَلَّم موسىٰ مَرَّتين وراٰه محمدٌ مَرَّتين.

وقال مسروق: دخلت على عائشة فقلت: هل رأىٰ مُحمَّد ربَّه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء قفَّ له شعري. فقلت: رويداً ثم قرأتُ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ فقالت: أين يُذهَبُ بك؟ إنما هو جبريل، مَن أخبرك أن مُحمَّداً رأىٰ ربه أو كَتَم شيئاً مما أُمِر به، أو يعلم الخَمْسَ التي قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٥٦.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٢٤٧٠ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٦ ح ٢٨٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٢٧٩، ولا يصح هذا عن ابن عباس وتقدم الكلام علىٰ ذلك.

﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[1] [لقمان: ٣٤]، فقد أعظم على الله الفرية، ولكنه رَأى جبريل، لم يَرَه في صُورَته إلاّ مَرَّتين، مرةً عند سِدْرَة المنتهىٰ ومَرّة في أجياد، له ستُمِئة جَنَاحٍ قد سَدَّ الأفُق.

[٦٣٦٨] وقال النسائيُّ: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخُلَّة لإبراهيم، والكلام لموسىٰ، والرؤية لمحمد عليهم السلام؟![2].

[٦٣٦٩] وفي صحيح مسلم، عن أبي ذَرٍّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: هل رأيتَ رَبَّك؟ فقال: «نورٌ أنَّىٰ أراه»، وفي رِوَايةٍ: «رأيت نُوراً»[3].

[٦٣٧٠] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشَجُّ، حدثنا أبو خالد، عن موسىٰ بن عُبيدة، عن محمد بن كَعب قال: قالوا يا رسول الله! رأيتَ رَبَّك؟ قال: «رأيته بفؤادي مَرَّتين» ثم قرأ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾[4].

[٦٣٧١] ورواه ابنُ جرير، عن ابن حُمَيد، عن مِهْرَان، عن موسىٰ بن عُبَيْدَةَ، عن محمد بن كَعب، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يا رسولَ الله، هل رأيت ربَّك؟ قال: «لم أَرَه بعيني، ورأيته بِفُؤادِي مَرَّتين» ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[5].

ثم قال ابنُ أبي حاتم: وحدثنا الحسن بن محمد بن الصبَّاح، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ، أخبرني عَبّاد بن منصور قال: سألتُ عِكْرِمَة عن قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾، فقال عكرمةُ: تُريد أن أُخبِرَك أنه قد رآه؟ قلتُ: نعم. قال: قد رَآه. ثم: قد رآه. قال: فسألتُ عنه الحسنَ فقال: رَأىٰ جَلالَه وعَظَمته ورِدَاءه.

[٦٣٧٢] وحدثنا أبي، حدثنا محمد بن مُجاهِد، حدثنا أبو عامر العَقَدي، أخبرنا أبو خَلدة، عن أبي العالية قال: سُئل رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال «رأيت نهراً، ورأيت وراء النهرِ حجاباً، ورأيت وراءَ الحجابِ نوراً لم أرَ غيرَ ذلك»[6]. غريبٌ جداً.

[٦٣٧٣] فأما الحديثُ الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا أسودُ بن عامر، حدثنا حَمَّاد بن سلمة، عن قتادَةَ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأيتُ رَبِّي ـ عز وجلَّ ـ»[7]. فإنه حديثٌ إسنادُه على شرْط الصحيح، لكنه مُختصرٌ من حديث المنام، كما رواه الإمامُ أحمدُ أيضاً:

---

(١) والحديث أخرجه الترمذي ٣٢٧٨ وإسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد، وصدره من كلام كعب، وأما خبر عائشة، فهو عند البخاري ٤٦١٢ و٤٨٥٥ ومسلم ١٧٧ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ دون لفظ «في أجياد»، وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٥٨ وابن خزيمة في «التوحيد» ٢٨٥ وإسناده صحيح، لكن هو محمول علىٰ المتقدم قبل حديثين.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨ ح ٢٩١.

(٤) فيه موسىٰ بن عبيدة، وهو الربذي، ضعيف الحديث، وقد صح هذا من كلام ابن عباس وغيره كما تقدم.

(٥) واهٍ. أخرجه الطبري ٣٢٤٥٢ وفيه موسىٰ بن عبيدة واهٍ.

(٦) ضعيف جداً. فهو مرسل؛ ومع إرساله المتن منكر جداً.

(٧) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٠ ح ٢٦٢٩ والآجري ١٠٤٧ وقال الهيثمي ١/ ٧٨ ـ ٧٩: رجاله رجال الصحيح، وهو كما قال، لكنه محمول علىٰ المتقدم قبل ستة أحاديث.

[٦٣٧٤] حَدَّثنا عبدَ الرزّاق، حدثنا معمرٌ، عن أيوبَ، عن أبي قلابة عن ابن عباس: أن رَسُول الله ﷺ قال: «أتاني ربِّي الليلة في أحسَن صُورَة ـ أحسبه يعني في النوم ـ فقال: يا محمد، أَتَدرِي فيم يَختَصمُ الملأُ الأعلىٰ؟ قال: قلت: لا. فَوَضع يده بين كتفيَّ حتىٰ وجدتُ بَرْدَها بين ثديَيّ ـ أو قال: نَحرِي ـ فعلمت ما في السموات وما في الأرض، ثم قال: يا محمدُ، هل تَدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قال: قلتُ نعم، يختصمُون في الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات والدرَجات؟ قال: قلت: المكثُ في المساجدِ بعد الصلوات، والمشيُ على الأقدام إلى الجُمُعات، وإبلاغُ الوضوءِ في المَكَاره. من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم وَلَدته أُمُّه. وقال: قلْ يا محمدُ إذا صليتَ: اللهُمَّ، إني أسألك فِعْلَ الخيراتِ وَتَرْكَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وإذا أردتَ بعبادِكَ فتنةً أن تَقبِضَني إليك غير مفتُونٍ، قال: والدرجاتُ: بذلُ الطعام، وإفشاءُ السلام، والصلاةُ بالليلِ والناسُ نيامٌ»[١]. وقد تقدَّم في آخر سُورَةِ ص، عن معاذ نحوه.

[٦٣٧٥] وقد رواه ابنُ جرير من وجه آخر عن ابن عباس، وفيه سياقٌ آخَرُ وزيادةٌ غريبةٌ؛ فقال: حدثني أحمد بن عيسىٰ التَّميمي، حدثني سليمان بن عمْران بن سَيَّار، حدثني أبي، عن سَعيد بن زَرْبِي، عن عُمَر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «رأيتُ رَبِّي في أحسن صورة فقال لي: يا محمدُ! هل تَدْرِي فيم يختصمُ الملأ الأعلىٰ؟ فقلت: لا، يا ربِّ، فَوَضع يده بين كتفي فوجدت بَرْدَها بين ثَدْيَيَّ، فعلمتُ ما في السموات والأرض، فقلت: يا ربِّ، في الدرجاتِ والكفَّارات، ونَقْل الأقدام إلى الجُمُعاتِ، وانتظار الصلاةِ بعد الصلاةِ. فقلت: يا ربِّ، إنكَ اتخذتَ إبراهيم خليلاً، وكَلَّمتَ موسىٰ تكليماً، وفعَلْتَ وفعلتَ فقال: ألم أشرح لك صدرَك؟ ألم أضعْ عَنكَ وزرَكَ؟ ألم أفعَلْ بك؟ ألم أفعَلْ [بك]؟ قال: فأفضىٰ إليَّ بأشياء لم يُؤذَن لي أن أُحدِّثكُموهَا. قال: فذاك قولُه في كتابه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ فجُعِل نورُ بَصَري في فُؤادي، فنظرتُ إليه بفُؤَادي»[٢]، إسناده ضعيف.

[٦٣٧٦] وقد ذكر الحافظ ابنُ عَسَاكِر بسنده إلى هَبَّار بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ: أن عُتبَةَ بن أبي لهب لما خَرَج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة: اعلموا أني كافرٌ بالذي دنا فتدلىٰ. فبلغ قولهُ رسول الله ﷺ فقال: «سَلَّطَ الله عليه كلباً من كلابِهِ». قال هَبَّارٌ: فكنت معهم، فنزلنا بأرضٍ كثيرةِ الأُسدِ، قال: فلقد رأيتُ الأسدَ جاء فجعل يَشَمُّ رؤوس القوم واحداً واحداً، حتىٰ تخطَّىٰ إلى عُتبَة فاقتطع رأسَه من بينهم. وذكر ابنُ إسحاق وغيرُه في السِّيرة: أن ذلك كان بأرضِ الزَّرقاءِ، وقيل بالسَّراة، وأنه خافَ ليلتئذ، وأنهم جعلُوه بينهم وناموا من حَوْلِهِ، فجاء الأسد فجعل يَزْأَرُ، ثم تخطاهم إليه فَضَغَم رأسه، لعنه الله[٣].

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ هذه هي المرةُ الثانية

(١) جيد. أخرجه أحمد ١/ ٣٦٨ ورجاله ثقات، لكن فيه إرسال، وتقدم في أواخر سورة «ص».

(٢) صدره صحيح له شواهد وطرق، وعجزه «فقلت يا رب» منكر أخرجه الطبري ٣٢٤٦٣ بهذا الإسناد، من حديث ابن عباس، وضعفه المصنف رحمه الله. وعلته، سعيد بن زربي، قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: عنده عجائب، وقال الدارقطني ضعيف اهـ، «الميزان» ٣١٧٧. وعجزه منكر فقط.

(٣) هو مرسل. والمرسل من قسم الضعيف عند أهل الحديث، وسيأتي في سورة «تبت».

التي رأىٰ رسُولُ الله ﷺ فيها جبريلَ على صُورتِهِ التي خَلَقه الله عليها، وكانت ليلةَ الإِسراءِ. وقد قدَّمنا الأحاديث الواردة في الإِسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سُبحَان بما أغنىٰ عن إعادته ها هنا، وتقدَّم أنَّ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان يُثبت الرؤية ليلة الإِسراءِ، ويستشهِدُ بهذه الآية. وتابَعَه جماعةٌ من السلَفِ والخلَفِ، وقد خالفه جماعاتٌ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين وغيرُهم.

[٦٣٧٧] وقال الإِمامُ أحمدُ: حدثنا حسنُ بن موسىٰ، حدثنا حَمَّاد بن سلمة، عن عاصم بن بَهْدَلَة، عن زِرّ بن حُبَيشٍ، عن ابن مسعود في هذه الآية. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ جبريلَ وله ستُّمئة جَناح، ينتثرُ من ريشِه التهاويلُ: الدرُّ والياقوتُ»(١). وهذا إسناد جيد قوي.

[٦٣٧٨] وقال الإِمام أحمد أيضاً: حدثنا يحيىٰ بن آدم، حدثنا شَرِيك، عن جامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: رأىٰ رسول الله ﷺ جبريلَ في صُورَتهِ وله سِتُّمئة جَناح، كلُّ جناحٍ منها قد سدَّ الأفقَ: يسقُط من جَنَاحه من التهاويل والدرِّ والياقوت ما الله به عليمٌ(٢). إسنادُه حَسَنٌ أيضاً.

[٦٣٧٩] وقال الإِمامُ أحمدُ أيضاً: حَدَّثنا زيدُ بن الحُباب، حدثني حُسَين، حَدَّثني عاصمُ بن بَهْدَلَة قال: سمِعت شقيق بن سَلمة يقولُ: سمِعتُ ابنَ مسعود يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «رأيت جبريل على سِدرَة المنتهىٰ، وله ستُّمئةِ جناحٍ». سألت عاصماً عن الأجنحةِ، فَأَبى أن يُخبِرَني، قال: فأخبَرَني بعضُ أصحابه أنَّ الجناح ما بينَ المشرقِ والمغرب(٣). وهذا أيضاً إسناد جيد.

[٦٣٨٠] وقال الإِمامُ أحمدُ: حدثنا زيدُ بن الحُباب، حدثني حُسين، حدثني عاصم بن بَهْدَلة حدثني شَقِيقٌ قال: سَمِعتُ ابن مسعود يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «أتاني جبريلُ ـ عليه السلام ـ في خُضْرٍ معلق به الدر»(٤). إسناده جيد أيضاً.

[٦٣٨١] وقال الإِمامُ أحمدُ: حدثنا يحيىٰ، عن إسماعيل، حدثنا عامر قال: أتىٰ مسروق عائشة فقال: يا أُمّ المؤمنين، هل رأىٰ محمدٌ ﷺ ربَّه ـ عزَّ وجلَّ؟ قالت: سبحانَ الله! لقد قَفَّ شعري لما قلتَ، أين أنتَ من ثلاثٍ من حَدثكهنِ فقد كذب: من حدَّثك أن محمداً رأىٰ ربه فقد كَذب، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١] ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كَذَب، ثم قَرَأَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]. . . الآية، ومَن أخبرك أن محمداً قد كَتَم فقد كَذَب، ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٥) [المائدة: ٦٧] ولكنه رأىٰ جبريل في صُورَتِهِ مرتين.

[٦٣٨٢] وقال الإِمام أحمد أيضاً: حدثنا مُحمَّد بن أبي عَدِيّ، عن داودَ، عن الشعبيِّ، عن مَسرُوقٍ قال: كنتُ عند عائشة فقلت: أليس الله يقولُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾؟ فقالت: أنا أوَّلُ هذه الأمَّةِ سألَ رسولَ الله ﷺ عنها، فقال: «إنما ذاكَ جبريلُ». لم يَرَه في صُورته التي خُلِق

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤٦٠ وإسناده حسن لأجل عاصم بن بهدلة.
(٢) أخرجه أحمد ١/ ٣٩٥ وتقدم قبل قليل.
(٣) حسن. أخرجه أحمد ١/ ٤٠٧ وإسناده حسن لأجل عاصم بن بهدلة، وجوده المصنف.
(٤) حسن. أخرجه أحمد ١/ ٤٠٧ وإسناده كسابقه.
(٥) والحديث أخرجه أحمد ٦/ ٤٩ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم.

عليها إلاّ مرّتين. رآه مُنهَبِطاً من السماء إلى الأرضِ، ساداً عظمُ خَلْقِه ما بينَ السماء والأرض[١]. أخرجاه في الصحيحين، من حديث الشعبي به.

[٦٣٨٣] رواية أبي ذرٍّ، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا هَمَّام، حدثنا قتادةُ، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذرّ: لو رأيتُ رسولَ الله ﷺ لسألتُهُ. قال: وما كنتَ تسألُه؟ قال: كنت أسألُه: هل رأىٰ ربَّه عَزَّ وجَلَّ؟ فقال: إني قد سألتُه فقال: «قد رأيته نوراً أنّىٰ أراه؟!»[٢]. وهكذا وقع في رواية الإمام أحمدَ.

[٦٣٨٤] وقد أخرجه مسلمٌ من طريقَين بلفظَين فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبَةَ، حدثنا وكيعٌ، عن يزيدَ بن إبراهيم، عن قتادةَ، عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذَرٍّ قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربك؟ فقال: «نورٌ أنّى أراه؟!»[٣].

[٦٣٨٥] وقال: حدثنا محمد بن بَشّار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادةَ، عن عبد الله ابن شقيق قال: قلت لأبي ذَرّ: لو رأيتُ رسولَ الله ﷺ لسألتُه. فقال: عن أيِّ شيءٍ كنتَ تسألُه؟ قال: كنتُ أسألُه: هل رأيتَ ربَّك؟ قال أبو ذَرٍّ: قد سألتُ فقال: «رأيتُ نوراً»[٤]، وقد حَكَىٰ الخَلاَّلُ في عِلَلِه أن الإمَام أحمد سُئل عن هذا الحديث فقال: ما زلتُ مُنكراً له، وما أدري ما وجهه!

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عَون الواسطي، أخبرنا هُشَيم، عن منصور، عن الحكم، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر قال: رآه بقلبه، ولم يَرَه بعينه. وحاول ابن خُزَيمة أن يَدَّعي انقطاعه بين عبد الله بن شَقِيق وبين أبي ذر، وأما ابنُ الجَوزِي فتأوّله على أن أبا ذَرّ لعلّه سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراءِ، فأجابه بما أجابه به، ولو سأله بعد الإسراءِ لأجابه بالإثبات. وهذا ضعيفٌ جداً، فإن عائشةَ أمّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قد سألت عن ذلك بعد الإسراءِ ولم يثبت لها الرؤية. ومن قال: إنه خاطبها على قدر عقلها. أو حاول تخطئتها فيما ذهبَتْ إليه ـ كابن خُزَيمة في كتاب التوحيد ـ فإنه هو المُخطىء، والله أعلم.

[٦٣٨٦] وقال النسائيُّ: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشيم، عن منصور، عن الحكم، عن يَزيد بن شَرِيك، عن أبي ذَرٍّ قال: رأىٰ رسول الله ﷺ رَبَّه بقلبه، ولم يَرَهُ بِبَصَره[٥].

[٦٣٨٧] وقد ثبت في صحيح مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن علي بن مُسْهر، عن عبد المَلِك بن أبي سُلَيمان، عن عطاء بن أبي رَبَاح، عن أبي هُرَيرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾، قال: رأىٰ جبريلَ ـ عليه السلام ـ[٦].

وقال مجاهدٌ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ قال: رأىٰ رسولُ الله ﷺ جبريلَ في صورته مَرّتين، وكذا قال قتادةُ، والربيعُ بن أنس، وغيرُهم. وقولُه تعالىٰ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾، قد تقدَّم

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٦١٢ و٤٨٥٥ ومسلم ١٧٧/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩ والترمذي ٣٠٦٨ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ و٤٢٩. وأحمد ٦/ ٢٤١.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ١٤٧ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨ ح ٢٩١.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨ ح ٢٩٢.

(٥) أخرجه النسائي ١١٥٣٦ ورجاله رجال البخاري ومسلم، ليس فيه إلا عنعنة هشيم، وهو مدلس، لكن لأصله شواهد.

(٦) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٥ ح ٢٨٣.

في أحاديث الإسراء أنه غَشِيتها الملائكةُ مثل الغِرْبان، وغَشيها نورُ الربّ، وغَشِيها ألوانٌ ما أدري ما هي؟

[٦٣٨٨] وقال الإمامُ أحمد: حدثنا مالك بن مِغْوَل، حدثنا الزبير بن عَدِي، عن طلحة، عن مُرَّة، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: لما أُسرِي برسولِ الله ﷺ انتهي به إلى سِدْرَةِ المنتهىٰ، وهي في السماء السابعة، إليها يَنتهِي ما يعرج به من الأرض فَيُقبَضُ منها، وإليها يَنتهي ما يُهبَطُ به من فوقها فَيُقبَضُ منها: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾، قال: فَرَاشٌ من ذَهب، قال: وأُعطِي رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعطِي الصلوات الخمس وأُعطي خواتيم سُورَةِ البقرة، وغُفر لمن لا يُشرِك بالله من أمّته المُقحِماتُ[١]. انفرد به مسلم.

[٦٣٨٩] وقال أبو جعفر الرازيّ، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي هُرَيرة أو غيره ـ شكَّ أبو جعفر ـ قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهىٰ إلىٰ السدرة فقيل له: إن هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغِربان حين يَقَعْن على الشجر، قال: فَكَلَّمه عند ذلك، فقال له: سَلْ[٢]. وقال ابنُ أبي نَجيح، عن مجاهد: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾، قال: كان أغصانُ السِّدرة لؤلؤاً وياقوتاً وزبرجَداً، فرآها محمدٌ، ورأىٰ ربَّه بقلبه.

[٦٣٩٠] وقال ابنُ زيد، : قيل: يا رسولَ الله، أيُّ شيءٍ رأيتَ يغشَىٰ تلك السِّدرَة؟ قال: «رأيتُ يغشَاها فَرَاشٌ من ذَهَبٍ، ورأيتُ على كلِّ ورقةٍ من وَرَقِها مَلَكاً قائماً يُسبِّح الله ـ عز وجل ـ»[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾، قال ابن عباس: ما ذَهَب يميناً ولا شمالاً، ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ ما جاوزَ ما أُمِرَ به. وهذه صفةٌ عظيمةٌ في الثبات والطاعةِ. فإنه ما فَعَل إلاّ ما أُمِر به، ولا سَأل فوق ما أُعطي، وما أحْسَن ما قال الناظمُ:

رَأىٰ جَنَّةَ المَأوَىٰ وَمَا فَوْقَهَا، وَلَو ... رَأىٰ غَيْرُه مَا قَدْ رَآه لَتَاهَا

وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾، كقوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]، أي: الدالَّةِ علىٰ قُدرتنا وعَظمتنا، وبهاتين الآيتين استدلَّ مَن ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تَقع، لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾، ولو كان رأىٰ ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس، وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان.

[٦٣٩١] وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحة، عن الوليد بن قيس، عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلَة ـ قال محمد: أظنه عن ابن مسعود ـ أنه قال: إنَّ محمداً لم يَرَ جبريلَ في صُورته إلاّ مرَّتين، أما مَرَّةً فإنه سأله أن يُريه نفسه في صُورتِه فأراه صورته، فَسَدَّ الأفق، وأما الأخرىٰ فإنه صَعِد معه حين صَعِد به. وقولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، قال: فلما أحَسَّ جبريلُ ربَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ عاد في صورته وسجد، فقولُه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قال: خَلْقَ جبريلَ ـ عليه السلام ـ[٤]. هكذا رواه الإمام أحمد، وهو غريب.

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٣ ح ٢٧٩ وأحمد ١/ ٣٨٧.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٢٥٢٤ وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٢٥١٩ وهو مرسل، ومع إرساله ابن زيد واهٍ.

(٤) أخرجه أحمد ١/ ٤٠٧ وإسناده ضعيف لجهالة إسحاق، ولصدره شواهد، وعجزه منكر.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مُقرِّعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأندادِ والأوثان، واتِّخاذهم لها البيوت مُضاهاةً للكعبةِ التي بَناها خليل الرحمن ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾ وكانت اللاَّت صخرةً بيضاءَ منقوشةً وعليها بيتٌ بالطائفِ له أستار وسَدنَة، وحوله فِناءٌ مُعَظَّمٌ عند أهل الطائف، وهم ثَقِيف ومن تابعها يَفتخِرُون بها على مَن عداهم مِن أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقُّوا اسمها من اسم الله، فقالوا: اللاَّت، يَعنُون مؤنثةٍ منه ـ تعالىٰ الله عن قولهم علواً كبيراً ـ وحَكَىٰ عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس: أنهم قَرَؤوا «اللاَّتّ» بتشديد التاء، وفسَّروه بأنه كان رجلاً يَلُتّ للحَجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفُوا على قَبره فعبدُوه.

وقال البخاريُّ: حدثنا مسلم ـ وهو ابن إبراهيم ـ حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾، قال: كان اللاتُ رجلاً يلت السَّويقَ سَوِيقَ الحاجِّ، قال ابنُ جرير: وكذا العُزَّىٰ من العَزيز. وكانت شجرةً عليها بناءٌ وأستارٌ بنخلَةَ، وهي بين مكةَ والطائفِ، [و] كانت قريشٌ يعظمونها.

[٦٣٩٢] كما قال أبو سفيان يوم أُحد لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم، فقال رسولُ الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مَوْلَىٰ لكُم»(١).

[٦٣٩٣] وَرَوىٰ البخاريُّ من حديث الزُّهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمن، عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن حَلَفَ فقال في حَلِفِه: واللات والعُزَّىٰ، فَلْيقُل: لا إله إلاّ الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقَامِرْك، فَليتصدَّق»(٢). وهذا محمولٌ علىٰ من سَبق لسانُه في ذلك، كما كانت ألسنتُهم قد اعتادته في زَمن الجاهلية.

[٦٣٩٤] كما قال النسائي: أخبرنا أحمدُ بن بكَّار وعبد الحميد بن محمد قالا: حدثنا مَخْلَد، حدثنا يونُس، عن أبيه: حدثني مصعبُ بن سَعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: حَلفتُ باللاَّت والعُزَّىٰ، فقال لي أصحابي: بئسَ ما قلتَ! قُلْتَ هُجراً! فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: «قُل: لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قدير. وانفُث عن شِمالك ثلاثاً وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم لا تَعُدْ»(٣). وأما مَناة فكانت بالمُشَلَّل ـ عند قديد، بين مَكَّة والمدينة ـ وكانت خُزاعة

---

(١) تقدم تخريجه في آل عمران.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٦٠ و٦١٠٧ و٦٣٠١ و٦٦٥٠ ومسلم ١٦٤٧/٥ وأبو داود ٣٢٤٧ والترمذي ١٥٤٥ والنسائي ٣٧٧٥ وفي «التفسير» ٥٦٦ وابن ماجه ٢٠٩٦.

(٣) أخرجه النسائي ٣٧٧٦ و٣٧٧٧ وفي «التفسير» ٥٦٥ وابن ماجه ٢٠٩٧ وأحمد ١٨٣/١، ١٨٦ ـ ١٨٧ وابن حبان ٤٣٦٥ وإسناده علىٰ شرط مسلم، ويشهد لأصله ما قبله.

والأوسُ والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويُهلُّون منها للحجّ إلى الكعبة، وَروَىٰ البخاري عن عائشة نحوه. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيتُ أُخَر تعظِّمها العرب كتعظيم الكعبةِ غير هذه الثلاثة التي نَصَّ عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرَدَ هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

قال ابنُ إسحاق في السيرة: وقد كانت العربُ اتخذت مع الكعبة طواغيتَ، وهي بيوتٌ تُعظِّمها كتعظيم الكعبة، بها سَدَنَةٌ وحُجّابٌ، وتُهدي لها كما يُهدَىٰ للكعبة، وتطوفُ بها تطوافها بها، وتنحَر عندها، وهي تعرف فضلَ الكعبة عليها، لأنها كانت قد عَرَفت أنها بيتُ إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ومسجدُه فكانت لِقُرَيش وبني كنانَة العُزّىٰ بنخلَة، وكانت سدنتها وحُجّابها بني شيبان من سُلَيم حلفاء هاشم. قلتُ: بعثَ إليها رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد فهدمها، وجَعَل يقول:

يَـا عُـزّ، كُـفْـرَانَـك لا سُـبْـحَـانَـكْ   إنِّـي رأيـتُ الله قَـدْ أهَـانَـكْ[1]

[٦٣٩٥] وقال النسائيُّ: أخبرنا علي بن المنذر، أخبرنا ابنُ فُضَيل، حدثنا الوليد بن جُمَيع، عن أبي الطفَيل قال: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكّة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزّىٰ فأتاها خالدٌ وكانت على ثلاث سَمُراتٍ[2] فَقَطَع السَّمُرات، وهدَم البيتَ الذي كان عليها. ثم أتىٰ النبي ﷺ فأخبَرَه، فقال: «ارجِعْ فإنكَ لم تَصنَع شيئاً». فَرَجع خالد، فلما أبصرَتْه السَّدنةُ ـ وهم حَجَبتُها ـ أمعنُوا في الجبَل وهم يقولُون: يا عُزّىٰ، يا عُزّىٰ. فأتاها خالد فإذا امرأة عُريانة ناشرةٌ شعرها تحفن الترابَ على رأسها، فَغمسها بالسيفِ حتىٰ قَتَلها، ثم رجع إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرَه، فقال: «تلك العُزّىٰ»[3].

قال ابنُ إسحاق: وكانت اللاّتُ لثقيفَ بالطائفِ، وكان سَدَنتها وحُجابها بني مُعَتّب، قلتُ: وقد بعثَ إليها رسولُ الله ﷺ المُغيرةَ بن شُعبَةَ وأبا سفيان صَخْرَ بن حَرب، فَهَدَماها وجَعلا مكانها مَسجِدَ الطائفِ.

[٦٣٩٦] قال ابنُ إسحاقَ: وكانت مناةُ للأوسِ والخزرج ومَن دَانَ بِدِينهم من أهل يثربَ على ساحل البحر من ناحية المُشلّل بِقُدَيد، فبعثَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيان صَخْرَ بن حرب فهدمها، ويقال: عليّ بن أبي طالب. قال: وكانت ذُو الخَلَصةِ لِدَوس وخَثْعَم وبَجِيلَة، ومَن كان ببلادهم من العرب بِتَبالَةَ، قلتُ: وكان يقال لها: الكعبة اليمانية، وللكعبة التي بمكّة: الكعبةُ الشامية. فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البَجَلي فهَدَمه، قال: وكانت فَلْس لطيىء ولَمن يليها بجبلَي طَيِّىءٍ بين سلمىٰ وأَجا، قال ابن هشام: فَحَدَّثني بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه عَليّ بن أبي طالب فَهدَمَه، واصطفَىٰ منه سَيْفَين: الرَّسُوبَ والمِخْذَم، فَنَفَّله إياهما رسولُ الله ﷺ، فهما سيفا علي. قال ابن إسحاقَ: وكان لحمير وأهل اليَمَن بيتٌ بصنعاء يقال له: رِئَام. وَذَكر أنه كَلبٌ أسودٌ، وأن الحبرين اللذين ذَهَبا مع تُبّع استخرجاه وقَتَلاه، وهَدَما البيتَ، قال ابنُ إسحاقَ: وكانت رُضاءُ بيتاً لبني رَبيعة بن كعبِ بن سعدِ بن زيْد مناةَ بن تَميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هَدَمها في الإسلام.

---

(١) ذكر ابن هشام في «السيرة» ٤/ ٦٢ بعض هذا الخبر، وانظر ما بعده.

(٢) سَمُرات: جمع سمرة؛ وهي شجرة الطلح.

(٣) أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٦٧ وأبو يعلىٰ ٩٠٢ وأبو نعيم في «الدلائل» ٤٦٣ والبيهقي ٥/ ٧٧ وإسناده لين لأجل الوليد بن جُميع، والحديث بذكر خروج المرأة غريب جداً إن كان المراد أنها عاشت بعد الموت أو أنها من الجن، وأما إن كانت مما جعلها السدنة لتظهر أشياء تدل علىٰ حياة العزىٰ، فغير بعيد.

وَلَـقَـدَ شَـدَدْتُ عَـلَـىٰ رُضَـاءِ شَـدَّةً ... فَـتَـرَكْـتُـهـا قَـفْـراً بِـقَـاعٍ أَسْـحَـمَـا

قال ابن هشام: يُقال إنه عاش ثلاثمئة وثلاثين سنة، وهو القائل:

وَلَـقَـدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَـيَـاة وَطُـولِـهَـا ... وعُـمِّـرْتُ مِـنْ عَـدَدِ الـسِّـنـيـنَ مِـئِـيـنـا

مِـئَـة حَـدَتْـهـا بَـعْـدهـا مِـئَـتـان لـي ... وازْدَدْتُ مِـنْ عَـدَدِ الـشُّـهُـور سِـنـيـنـا

هَـلْ مـا بَـقِـي إلاّ كَـمَـا قَـدْ فَـاتَـنَـا ... يَـوْمٌ يَـمُـرُّ وَلَـيْـلَـةٌ تَـحْـدُونَـا

قال ابن إسحاقَ: وكان ذو الكَعَبَاتِ لبكرٍ وتَغلِبَ ابني وائل، وإيادٍ بسَنْدَادِ، وله يقول أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة:

بَـيْـنَ الـخَـوَرْنَـقِ والـسَّـدِيـر وَبَـارِقٍ ... والـبـيـتِ ذِي الـكَـعَـبَـات مِـنْ سَـنْـدَادِ(١)

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾، أي: أتجعلُون له ولداً، وتجعلون ولدَه أنثىٰ، وتختارُون لأنفُسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوقٌ مثلكُم هذه القسمة لكانت ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾، أي: جَوراً باطلةً، فكيف تُقَاسِمونَ ربَّكُم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جَوراً وسَفَهاً؟ ثم قال منكراً عليهم فيما ابتدعُوه وأحدثُوه من الكَذب والافتراء والكفر، من عِبادةِ الأصنام وتَسْمِيتها آلهة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: من تلقاءِ أنفُسكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: من حُجَّةٍ، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾، أي: ليس له مستندٌ إلاّ حُسن ظنهم بآبائهم الذين سَلَكُوا هذا المسلكَ الباطلَ قبلهم، وإلاّ حظُّ نفوسِهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، أي: ولقد أرسلَ الله إليهم الرسلَ بالحقِّ المنير والحجّةِ القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به، ولا انقادُوا له.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤﴾، أي: ليس كلُّ مَن تَمنَّى خيراً حَصَل له، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٣] ما كُلُّ مَن زعم أنه مهتدٍ يكونُ كما قال، ولا كلُّ مَن وَدَّ شيئاً يحصلُ له.

[٦٣٩٧] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عَوَانة، عن عُمَر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تَمنَّى أحدُكم فَلْينظُرْ ما يَتمنَّى، فإنه لا يَدْرِي ما يُكتَبُ له من أمنيته»(٢).

تَفرَّد به أحمد.

وقولُهُ تبارك وتعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾، أي: إنما الأمرُ كلُّه لله، مالِك الدنيا والآخرةِ، والمتصرِّف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاءَ كان، وما لم يَشَأْ لم يكن. وقولُهُ تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾، كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فإذا كان هذا في حَقِّ الملائكةِ المُقرَّبين، فكيف ترجُون أيها الجاهلون شفاعَةَ هذه الأصنام والأندادِ عند الله، وهو تعالى لم يَشْرَع عبادتَها ولا أَذِن فيها، بل قد نَهَى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزلَ بالنهي عن ذلك جميعَ كُتُبه؟

---

(١) هذا مرسل، ولأكثره شواهد، وانظر «المغازي» للواقدي ٣/ ٩٨٤ ـ ٩٨٦.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٢/ ٣٥٧ و ٣٨٧ والبخاري في «الأدب المفرد» ٧٩٤ والقضاعي ٧٦٨.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

يقولُ تعالى مُنكِراً على المشركين في تَسْمِيتهم الملائكة تسميةَ الأنثى، وجَعْلِهم لها أنها بناتُ الله كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علمٌ صحيح يُصدِّق ما قالوه، بل هو كَذِبٌ وزورٌ وافتراء وكفرٌ شَنيع. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾، أي: لا يُجدِي شيئاً، ولا يقومُ أبداً مقامَ الحقِّ.

[٦٣٩٨] وقد ثَبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إيَّاكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث»(١).

وقولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾، أي: أَعرِض عن الذي أعرَض عن الحقِّ واهجُره. وقولُهُ جلَّ جلاله: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، أي: وإنما أكثرُ هَمِّه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك ما لا خيرَ فيه. ولهذا قال جلَّت عظمته: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾، أي: طلبُ الدنيا والسعيُ لها هو غايةُ ما وَصَلُوا إليه.

[٦٣٩٩] وقد روىٰ الإمام أحمدَ، عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار مَن لا دار له، ومالُ مَن لا مال له، ولها يجمَعُ من لا عقل له»(٢).

[٦٤٠٠] وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر هَمِّنا، ولا مبلغَ عِلمنا»(٣). وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾، أي: هو الخالقُ لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدِي من يشاء، ويُضِلُّ من يشاء، وذلك كلُّه عن قُدرته وعِلمه وحِكمته، وهو العادلُ الذي لا يجورُ أبداً، لا في شرعِه ولا في قَدَره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

يُخبر تعالى أنه مالكُ السموات والأرض، وأنه الغنيُّ عما سواه، الحاكمُ في خَلْقِه بالعَدلِ، وخَلَق الخلق بالحق، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾، أي: يُجازي كُلاً بعمله، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ. ثم فَسَّر المحسنين بأنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾، أي: لا يتعاطَون المحرَّماتِ والكبائر وإن وَقَع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]. وقال هاهنا: ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) تقدم في النساء: ١٢.

(٢) مضى في سورة البقرة، آية: ٢١٢.

(٣) حسن. أخرجه عن ابن عمر الترمذي ٣٥٠٢ وحسنه الحاكم ١/٥٢٨ وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾. وهذا استثناءٌ منقطعٌ، لأن اللمَم من صغائر الذنوب ومحقَّرات الأعمال.

[٦٤٠١] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ما رأيتُ شيئاً أشبَهَ باللمَم مما قال أبو هُريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله كَتَب على ابن آدم حَظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينِ النظرُ، وزنا اللسانِ النطقُ، والنفسُ تَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفرجُ يُصَدِّق ذلك أو يُكَذِّبه»[1]. أخرجاه في الصحيحين، من حديث عبد الرزّاق، به.

وقال ابنُ جَرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، أخبرنا ابنُ ثَورٍ، حدثنا معمَرٌ، عن الأعمش، عن أبي الضُحَى أن ابنَ مسعود قال: زِنَا العَينينِ النظرُ، وزنا الشفتَينِ التقبيلُ، وزنَا اليدين البطشُ، وزنَا الرجلينِ المشيُ، ويُصَدِّق ذلك الفرجُ أو يُكَذِّبه، فإن تقدَّم بفرجه كان زانياً، وإلا فهو اللَّمَمُ. وكذا قال مسروقٌ، والشعبيُّ. وقال عبد الرحمن بن نافع ـ الذي يقال له: ابن لُبَابة الطائفي ـ قال: سألتُ أبا هريرة عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾، قال: القُبلة، والغَمزة، والنَّظرة، والمُبَاشرة، فإذا مَسَّ الخِتَانُ الخِتَانَ فقد وجبَ الغُسل، وهو الزِّنا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابنُ المُثنَّى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهدٍ أنه قال في هذه الآية: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾، قال: الذي يلِمُّ بالذنب ثم يَدَعُه، قال الشاعر:

إنْ تَـغْـفِـرِ الـلـهُـمّ تَـغْـفِـرِ جَـمًّـا وَأيّ عَـبْـدٍ لَـكَ مَـا أَلَـمَّـا!

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا جَرير، عن منصور، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾، قال: الرجلَ يلِمّ بالذنب ثم يَنزِعُ عنه، قال: وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إنْ تَـغْـفِـرِ الـلـهـم تَـغْـفِـرْ جَـمًّـا وَأيّ عَـبْـد لَـكَ مـا أَلَـمَّـا!

وقد رواه ابنُ جرير وغيره مرفوعاً.

[٦٤٠٢] قال ابن جرير: حدثني سُليمان بن عبد الجبار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زَكَرِيَّا بنُ إسحاقَ، عن عَمرو بن دينار، عن عطاءٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾، قال: هو الرجلُ يلِمُّ بالفاحشةِ ثم يَتوب، وقال: قال رسول الله ﷺ:

إنْ تَـغْـفِـرِ الـلـهُـمَّ تَـغْـفِـرْ جَـمًّـا وَأيّ عَـبْـدٍ لَـكَ مَـا أَلَـمَّـا![2]

وهكذا رواه الترمذي، عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري، عن أبي عاصم النبيل. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. وكذا قال البزار: لا نَعْلَمُه يُروَى مُتَّصلاً إلا من هذا الوجه. وساقه ابنُ أبي حاتم والبَغَوِيُّ من حديث أبي عاصم النبيلِ، وإنما ذكره البغوي في تفسير سورة تنزيل، وفي صِحَّتِه مرفوعاً نَظَرٌ.

[٦٤٠٣] ثم قال ابنُ جرير: حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع، حدثنا يَزِيدُ بن زُرَيع، حدثنا يونُس، عن

---

(١) مضى في سورة النور، آية: ٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٢٨٤ والطبري ٣٢٥٦٧ والحاكم ٢/ ٤٦٩ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي؛ وهو كما قالا، فإن زكريا بن إسحاق فمن فوقه من رجال البخاري ومسلم، ومن دون زكريا توبع. والمتن غريب، فإنه شعر موزون، والظاهر أن النبي ﷺ ردد هذا على لسانه، لا أنه من كلامه.

الحَسَن، عن أبي هُرَيرَة ـ أراه رَفَعه ـ في ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾، قال: اللمَّةُ من الزنا ثم يتوبُ ولا يعود، واللمة من السَّرقة، ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شُرب الخمر، ثم يتوبُ ولا يعود، قال: فذلك الإلمام[1].

وحَدَّثنا ابن بشار، حدثنا ابنُ أبي عَديّ، عن عَوفٍ، عن الحسن، في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾، قال: اللمَمُ من الزنا أو السرقةِ أو شُربِ الخمر، ثم لا يعودُ.

وحدثني يعقوبُ، حدثنا ابنُ علية، عن أبي رَجاءٍ، عن الحسن في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾، قال: كان أصحابُ رسول الله ﷺ يقولون: هو الرجلُ يُصِيب اللَّمة من الزنا، واللَّمَّة من شرب الخمر، فَيَجتَنِبُها، ويتوبُ منها. وقال ابنُ جرير، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾: يلِمُّ بها في الحِين. قلتُ: الزنا؟ قال: الزنا ثم يتوبُ. وقال ابنُ جرير أيضاً: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابنُ عُيَينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: اللَّمَم: الذي يلم المَرَّةَ. وقال السُّديُّ: قال أبو صالح: سُئِلتُ عن اللمم فقلتُ: هو الرجل يُصِيب الذنبَ ثم يتوبُ. وأخبرتُ بذلك ابنَ عباس فقال: لقد أعانك عليها مَلَك كريم. حكاه البغوي. ورَوَى ابن جرير من طريق المُثَنّى بن الصباح ـ وهو ضَعِيفٌ ـ عن عمرو بن شُعَيب: أن عبدَ الله بن عَمرو قال: اللَّمم: ما دون الشِّرْك. وقال سفيان الثوريُّ، عن جابر الجُعْفي، عن عطاءٍ، عن ابن الزُّبير: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾، قال: ما بين الحدَّين: حد الدنيا وعذاب الآخرة. وكذا رواه شعبةُ، عن الحكم، عن ابن عباس، مثلَه سواء. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾: كلُّ شيءٍ بين الحدَّين: حَدِّ الدنيا وحد الآخرة، تكفره الصلواتُ، وهو اللمَم، وهو دونَ كُلِّ مُوجِب، فأما حد الدنيا فكلُّ حد فرض الله عقوبتَه في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيءٍ خَتَمه الله بالنار، وأخَّر عقوبته إلى الآخرة. وكذا قال عكرمة، وقتادةُ، والضحاك.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾، أي: رحمتُه وَسِعَت كلَّ شيءٍ، ومغفرتُه تَسَع الذنوبَ كلَّها لمن تاب منها، كقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]. وقولُه تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، أي: هو بَصِيرٌ بكم، عليمٌ بأحوالكم وأفعالِكم وأقوالكم التي تصدر عنكم وتقع منكم، حين أنشأ أباكُم آدمُ من الأرض، واستخرجَ ذُرِّيته من صُلبِه أمثالَ الذَّرِّ، ثم قَسَمهم فريقين: فريقاً للجنةِ وفريقاً للسعير. وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ﴾: قد كَتَب الملك الذي يُوَكَّلُ به رِزقَه وأجلَه وعَمَله، وشَقِيٌّ أم سَعِيدٌ. قال مكحول: كُنَّا أجِنَّةً في بطون أمهاتنا، فَسَقط منا مَن سقط، وكُنَّا فيمن بقي ثم كُنَّا مَرَاضِعَ فهلَكَ منا من هلك. وكُنَّا فيمن بقي ثم صِرنا يَفَعَةً، فهلك منا من هلك. وكنا فيمن بقي ثم صرنا شُبَّاناً فهلك منا من هلك. وكنا فِيمَن بقي ثم صِرنا شُيوخاً ـ لا أبا لك ـ فماذا بعد هذا ننتظر؟! رواه ابن أبي حاتم عنه. وقولُه تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ﴾، أي: تمدحُوها وتشكُروها وتَمُنُّوا بأعمالكم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾. كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

[٦٤٠٤] وقال مسلم في صحيحه: حدثنا عَمرو الناقد، حدثنا هاشِم بن القاسم، حدثنا الليثُ، عن يَزِيد بن أبي حَبيب، عن محمد بن عمرو بن عَطَاء قال: سَمَّيتُ ابنتي بَرَّةَ، فقالت لي زينبُ بنتُ أبي سَلَمة:

---

(١) أخرجه الطبري ٣٢٥٦٩، وإسناده ضعيف لانقطاعه، فإن الحسن لم يسمع أبا هريرة.

إنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَى عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ بَرَّةَ فقال رسولُ الله ﷺ : «لا تُزَكُّوا أنفسكم، إن الله أعلَمُ بأهل البِرِّ منكم». فقالوا: بِمَ نُسَمِّيها؟ قال: «سَمُّوها زَيْنَب»[١] .

[٦٤٠٥] وقد ثبت أيضاً في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال: حدثنا عَفَّان، حدثنا وُهَيب، حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَة، عن أبيه قال: مَدَحَ رجلٌ رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسولُ الله ﷺ : «وَيْلَكَ! قطعتَ عنق صاحبك ـ مِرَاراً ـ إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسِبُ فلاناً ـ والله حَسِيبُه، ولا أُزَكِّي على الله أحداً ـ أَحْسِبه كذا وكذا، إن كان يعلَمُ ذلك»[٢] . ثم رواه عن غُنْدَرٍ، عن شُعبَةَ، عن خالد الحذاء، به. وكذا رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، من طرق، عن خالد الحذاء، به.

[٦٤٠٦] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا وكيعٌ، وعبد الرحمن قالا: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن هَمَّام بن الحارث قال: جاء رجلٌ إلى عثمانَ فأثنى عليه في وَجهه، قال: فَجَعل المِقدادُ بن الأسود يحثُو في وجهه الترابَ ويقول: أمَرنا رسولُ الله ﷺ إذا لَقِينا المدَّاحين أن نحثُوَ في وُجُوههم التراب[٣] . وَرَواهُ مسلِمٌ وأبو داوُدَ، من حديثِ الثَّورِيِّ، عن منصورٍ، به.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

يقولُ تعالى ذامًّا لمن تولى عن طاعة الله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٢]. ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾، قال ابن عباس: أطاع قليلاً ثم قَطَعه. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جُبَير، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد. قال عكرمة، وسعيدٌ: كمثل القوم إذا كانوا يحفِرُون بئراً، فَيَجِدُون في أثناء الحَفْر صَخْرَةً تمنعهُم من تَمَام العمل، فيقولون: (أكْدَينا)، ويتركُون العمل. وقولُهُ تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾، أي: أعندَ هذا الذي قد أمسكَ يدَه خشيةَ الإنفاق، وقَطَع معرُوفَه، أعندهُ علمُ الغيبِ أنه سينفَد ما في يَدِه، حتى قد أمسَكَ عن معرُوفِه، فهو يَرَى ذلك عِياناً؟! أي: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسكَ عن الصَّدَقةِ والمعروفِ والبرِّ والصلةِ بُخلاً وشُحًّا وهَلَعاً.

[٦٤٠٧] ولهذا جاء في الحديث: «أنْفِق بلالُ، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[٤]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. وقولُهُ تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾، قال سعيد بن جبير، والثوري: أي: بَلَّغ جَميع ما أُمِرَ به. وقال ابنُ عباس: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ لله بالبلاغ. وقال سعيد بن جُبَير: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ ما أمر به. وقال قتادة: ﴿وَفَّىٰٓ﴾ طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا القول هو اختيارُ ابن جرير، وهو يشمَل الذي قبله، ويشهَدُ له قوله تعالى:

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٤٢ ح ١٨ و ١٩.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٦٢ ومسلم ٣٠٠٠ ح ٦٥ وأبو داود ٤٨٠٥ وابن حبان ٥٧٦٦ وأحمد ٥/٤١ و ٤٥.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٢ والبخاري في «الأدب المفرد» ٣٣٩ وأبو داود ٤٨٠٤ والترمذي ٢٣٩٣ وابن ماجه ٣٧٤٢ وأحمد ٥/٦.

(٤) مضى في سورة البقرة، آية: ٢١٢.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فقامَ بجميع الأوامر، وترَكَ جميعَ النواهي، وبَلّغ الرسالةَ على التمام والكمال، فاستحقّ بهذا أن يكونَ للناسِ إماماً يُقتَدَى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

[٦٤٠٨] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا آدمُ بن أبي إياس العسْقَلاني، حدثنا حَمَّاد بن سلمة، حدثنا جعفرُ بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامَةُ قال: تلا رَسُول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾، أتدري ما وفى؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وَفَّى عَمل يوم بأربع رَكَعات من أول النهار»[١]. ورواه ابنُ جرير من حديث جَعفر بن الزُبير، وهو ضَعِيفٌ.

[٦٤٠٩] وقال الترمذيُّ في جامعه: حدثنا أبو جعفر السِّمناني، حدثنا أبو مُسهِر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن بَحِير بن سعد، عن خالد بن مَعْدَان، عن جُبَير بن نُفَير، عن أبي الدرداء وأبي ذَرٍّ، عن رسول الله ﷺ عن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أنه قال: «ابنَ آدم! اركَعْ لي أربعَ ركعات من أول النهار أكفِكَ آخره»[٢].

[٦٤١٠] قال ابنُ أبي حاتم ـ رحمه الله ـ: حدثنا أبي، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابنِ لهيعة، حدثنا زَبَّان بن فائدٍ، عن سَهل بن مُعَاذِ بن أنس، عن أبيه، عن رَسُولِ الله ﷺ أنه قال: «ألا أُخبِرُكم لِمَ سَمَّى الله إبراهيم خَليله الذي وَفَّى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾»[٣] [الروم: ١٧]. حتى ختم الآية. ورواه ابن جرير عن أبي كريب، عن رِشْدِين بن سعد، عن زَبَّان، به.

ثم شرع تعالى يُبَيِّن ما كان أوحاه في صُحُف إبراهيم وموسى فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾، أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذُنوب فإنما عليها وِزرُها، لا يحمِلُه عنها أحد كما قال: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ أي: كما لا يُحمَل عليه وِزرُ غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كَسَب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ـ رحمه الله ـ ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداءُ ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عَمَلهم ولا كسبهم. ولهذا لم يندُب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حَثّهم عليه، ولا أرشدَهم إليه بنصٍّ ولا إيماء، ولم يُنقَل ذلك عن أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القُرُبات يُقتَصَر فيه على النصوص، ولا يُتَصرَّفُ فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاءُ والصدقةُ فذاك مُجمعٌ على وصولهما، ومَنصُوصٌ من الشارع عليهما.

[٦٤١١] وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسانُ انقطعَ عمله إلا من ثلاث: من ولدٍ صالح يدعُو له، أو صَدَقَةٍ جاريةٍ من بعده، أو عِلْمٍ ينتفع به»[٤] ـ

---

(١) إسناده ضعيف لأجل جعفر والقاسم، وقد تقدم.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٤٧٥.

(٣) وتقدم الحديث في سورة البقرة: ١٢٤، وهو ضعيف.

(٤) مضى في سورة البقرة، آية: ١٢٨.

فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سَعْيِهِ وكدِّه وعمله.

[٦٤١٢] كما جاء في الحديث: «إنَّ أطيبَ ما أكَل الرجلُ من كَسْبه، وإنَّ ولدَه مِنْ كَسْبِهِ»(١). والصدقةُ الجاريةُ كالوقف ونحوه هي من آثار عَمَله ووَقْفِه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢].. الآية. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناسُ بعدَه هو أيضاً من سَعيه وعمله.

[٦٤١٣] وثبتَ في الصحيح: «من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثلُ أُجور من اتبعه، من غير أن يَنقصَ من أجورِهم شيئاً»(٢).

وقولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾، أي: يومَ القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥]، أي: فيخبركم به، ويَجزيكم عليه أتَمَّ الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشرٌّ. وهكذا قال ها هنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾، أي: الأوفَر.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾

يقولُ تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾، أي: المَعادُ يوم القيامة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سُوَيد بن سَعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن عبد الرحمن بن سَابط، عن عمرو بن ميمون الأَوْديِّ قال: قام فينا معاذُ بن جبل فقال: يا بني أَودٍ! إني رسولُ رسولِ الله إليكم، تعلَمُون أن المعادَ إلى الله، إلى الجنةِ أو إلى النارِ.

[٦٤١٤] وذكر البغوي من رواية أبي جَعفرٍ الرازيِّ، عن الربيع بن أنسٍ، عن أبي العاليةِ، عن أُبَيِّ بن كعبٍ، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾، قال: «لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ»(٣).

[٦٤١٥] قال البغوي: وهذا مِثلُ ما رُوي عن أبي هُريرة مرفوعاً: «تَفكَّروا في الخَلْقِ ولا تَفكَّرُوا في الخالق، فإنه لا تُحيطُ به الفكرة»(٤). كذا أورده، وليس بمحفُوظٍ بهذا اللفظ.

---

(١) صحيح. أخرجه النسائي ٧/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ وابن ماجه ٢١٣٧ عن عائشة.

(٢) مضى في سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٢ من حديث أُبي بن كعب، وفيه عيسى بن أبي عيسى. ضعيف، وضعفه ابن حبان، ولينه أحمد، وقال الفلاس: سيىء الحفظ، وفيه الثعلبي أيضاً، وهو غير قوي، فإنه يرفع الموقوف، ويصل المنقطع. لكن لمعناه شواهد.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٢ معلقاً بدون إسناد. وأخرجه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» ١٠/ ١٩٢ من حديث أبي هريرة، وفيه مجاهيل. وأبو عبد الرحمن السلمي الصوفي اتهمه الذهبي. وله شاهد من حديث ابن عمر. أخرجه اللالكائي في «السنة» ١/ ١١٩/ ١ ـ ٢ والبيهقي في «الشعب» ١٢٠ والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ٢٦٠ ومداره على الوازع بن نافع، وهو متروك كما قال الهيثمي وغيره. واكتفى البيهقي بقوله: هذا إسناد فيه نظر اهـ. ولأصله شواهد، انظر «الصحيحة» ١٧٨٨.

[٦٤١٦] وإنما الذي في الصَّحيح: «يأتي الشيطانُ أحدَكُم فيقول: مَن خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: مَن خَلَق رَبَّك؟ فإذا بلغ أحدُكم ذلكَ فليستعِذْ بالله ولْيَنْتَهِ»[١].

[٦٤١٧] وفي الحديث الآخَرِ الذي في السنَنِ: «تفكَّرُوا في مخلوقاتِ الله، ولا تَفكَّروا في ذاتِ الله، فإنَّ الله خَلَق مَلَكاً ما بين شَحْمَةِ أُذُنه إلى عاتِقِه مَسِيرةُ ثلاثمئةِ سنة»[٢]. أو كما قال. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾، أي: خَلَقَ في عباده الضَّحك والبُكاء وسَبَبَهُما، وهما مختلفان. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾، كقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، كقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٤٠].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾، أي: كما خَلَق البَداءة هو قادر على الإعادة، وهي النشأةُ الآخرةُ يومَ القيامة. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾، أي: مَلَّك عبادَه المال، وجعله لهم قُنْيَةً مُقيماً عندهم، لا يحتاجُون إلى بَيعه، فهذا تمامُ النِّعمةِ عليهم. وعلى هذا يدورُ كلامُ كثير من المفسِّرين، منهم أبو صالح، وابنُ جرير، وغيرهما. وعن مجاهد: ﴿أَغْنَىٰ﴾: مَوّل، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أخدم. وكذا قال قتادة. وقال ابن عباس، ومجاهد أيضاً: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أعطى، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أرضى. وقيل: معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، قاله الحضرميّ بن لاحق. وقيلَ: ﴿أَغْنَىٰ﴾ مَن شاء مِن خَلْقِه ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أفقرَ مَن شاء منهم، قاله ابن زيد. حكاهما ابن جرير. وهما بَعيدان من حيث اللفظ.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابنُ زيد، وغيرهم: هو هذا النَّجمُ الوقَّاد الذي يقال له: مِرزَمُ الجَوزاءِ، كانت طائفة من العرب يعبدونه. ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾، وهم: قومُ هود. ويقال لهم: عادُ بنُ إرَم بن سام بن نُوح، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨]، فكانوا من أشدِّ الناس وأقواهُم وأعتاهُم على الله تعالىٰ وعلى رسوله، فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٧]، أي: متتابعة.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾، أي: دَمَّرهم فلم يُبقِ منهم أحداً، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾، أي: من قبل هؤلاء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾، أي: أشدَّ تمرُّداً من الذينَ من بعدِهم، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾، يعني مدائِنَ [قوم] لُوطٍ، قَلَبها عليهم فَجعل عالِيَها سافِلَها، وأمطر عليها حجارةً من سِجِّيل مَنضُودٍ. ولهذا قال: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾، يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٣].

قال قتادة: كان في مدائن قوم لُوطٍ أربعةُ آلافِ ألفِ إنسانٍ، فانضرم عليهم الوادي شيئاً من نار ونِفْطٍ

---

(١) متفق عليه، وتقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو نعيم ٦/ ٦٦ ـ ٦٧ من حديث عبد الله بن سلام. وإسناده ضعيف شهر بن حوشب، صدوق سيىء الحفظ، ولم يسمع من ابن سلام، وعنه عبد الجليل وهو غير قوي، وعجزه منكر جداً. لكن لعله يتقوىٰ بما قبله، والله أعلم. وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ٣٤٢ بعد أن ذكر طرقه وشواهده: وكلها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى في صحيح مسلم عن أبي هريرة اهـ ومراده الحديث المتقدم. لكن يشهد لصدره، والله تعالى أعلم.

وقَطِرَانِ كفم الأتُونِ. رواه ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن محمد بن وهب بن عَطِيّة، عن الوليد بن مسلم، عن خُلَيدٍ، عنه، به. وهو غَرِيبٌ جداً.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾؟ يا محمد. والأول أولى، وهو اختيار ابن جَرير.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾، يعني محمداً ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾، أي: من جنسِهم، أُرسِل كما أُرسِلُوا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾، أي: اقتربتِ القَريبةُ، وهي القيامةُ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾، أي: لا يدفعُها إذاً من دُون الله أحدٌ، ولا يَطَّلِعُ على عِلمِها سواهُ. والنذير: هو الحَذِرُ لما يُعَاينُ من الشرِّ الذي يخشَى وقوعَه فيمن أنذرَهُم، كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

[٦٤١٨] وفي الحديث: «أنا النذِيرُ العُريان»[1]. أي: الذي أعجلَه شِدَّةُ ما عاين من الشرِّ عن أن يَلْبَسَ عليه شيئاً، بل بادَرَ إلى إنذار قومِه قبلَ ذلك، فجاءهم عُرْيانَ مسرعاً، مُناسِبٌ لقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾، أي: اقتربت القريبةُ، يعني يوم القيامة. كما قال في أول السورة التي بعدها: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

[٦٤١٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا أنسُ بن عياض، حدثني أبو حازِمُ ـ لا أعلم إلا عن سَهْل بن سَعدٍ ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إيَّاكم ومُحقَّرات الذنوب، فإنما مثل مُحقَّرات الذنُوبِ كمثل قَوْمٍ نَزلُوا في بطنِ وادٍ، فجاء ذا بعودٍ وجاء ذا بِعُودٍ، حتى أنضجُوا خُبزَتَهم، وإن مُحقَّراتِ الذنوب متى يؤخَذ بها صاحبُها تُهلِكه». وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ: ـ قال أبو ضَمْرَة: لا أعلمه إلا عن سَهْلِ بن سَعْدٍ ـ قال: «مَثَلي ومثلُ السَّاعةِ كهاتَين» ـ وفرَّقَ بين أُصبُعَيه الوُسطى والتي تَلي الإبهام ـ ثم قال: «مثلي ومثلُ السَّاعة كمثل فَرَسَيْ رهَان»، ثم قال: «مثلي ومثلُ السَّاعة كمثلِ رَجُلٍ بَعَثه قومُه طَلِيعةً، فلما خشي أن يُسبَقَ ألاحَ بثوبه: أُتِيتم أُتِيتم». ثم يقول رسولُ الله ﷺ: «أنا ذلك»[2]. وله شواهدُ من وُجُوهٍ أُخَر من صِحَاح وحِسَانٍ.

ثم قال تعالى مُنكِراً على المشركين في استماعهم القرآنَ وإعراضِهم عنه وتَلَهِّيهِمْ: ﴿تَعْجَبُونَ﴾ من أن يكون صَحِيحاً، ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاءً وسُخرِيَةً، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾، أي: كما يفعلُ المُوقِنُون به، كما أخبر عنهم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾، قال سُفيان الثوريُّ، عن أبيه، عن عكرمة عن ابن عباس قال: الغناء هي يَمَانِيَةٌ، اسمِدْ لنا: غَنِّ لنا. وكذا قال عِكْرَمَةُ. وفي رواية عن ابن عباس: ﴿سَٰمِدُونَ﴾: مُعرِضُون. وكذا قال مجاهد، وعكرمة. وقال الحسنُ: غافِلُون. وهو رواية عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب. وفي رواية عن ابن عباس: تَسْتَكبِرُون. وبه يقولُ السديُّ. ثم قال تعالىٰ آمراً لعباده بالسُّجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾، أي: فاخضعُوا له وأخلِصُوا وَوَحِّدُوا.

[٦٤٢٠] قال البُخاريُّ: حدثنا أبو مَعْمَر، حدثنا عبدُ الوارث، حدثنا أيُوبُ، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس

---

(١) هو بعض حديث أخرجه مسلم ٢٢٨٣ وغيره.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٥/٣٣١ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

قال: سَجَد النبي ﷺ بالنَّجمِ، وسَجَد معه المسلمُون والمشركون والجنُّ والإنسُ[١] . انفرد به دون مسلم.

[٦٤٢١] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا إبراهيمُ بن خالد، حدثنا رَبَاح، عن مَعْمَرٍ، عن ابن طاوس، عن عكرمةَ بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وَدَاعة، عن أبيه قال: قرأ رسولُ الله ﷺ بمكة سورةَ النَّجْم، فسجد وسَجَد مَن عنده، فرفعتُ رأسي وأبيتُ أن أسجُد، ولم يكن أسلَم يومئذ المُطَّلب، فكان بعد ذلك لا يسمَعُ أحداً يقرأ بها إلا سَجَد معه[٢] . وقد رواه النسائي في الصَّلاة، عن عبد الملك بن عبد الحميد، عن أحمدَ بن حَنْبَلٍ به.

آخرُ تفسير سورة النجمِ، ولله الحمدُ والمنَّةُ

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري ٤٨٦٢.

(٢) أخرجه النسائي ١٠٣٠ وأحمد ٦/ ٤٠٠ ورجاله ثقات سوىٰ جعفر بن المطلب وثقه ابن حبان وحده علىٰ قاعدته، تفرد عنه عكرمة بن خالد فهو مجهول، فالإسناد ضعيف.

سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

ويقال: سورة اقتربت الساعة؛ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[٦٤٢٢] قد تقدَّم في حديثِ أبي واقدٍ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربتِ الساعةُ، في الأضحَى والفِطْرِ(١). وكان يقرأ بهما في المحافلِ الكبارِ، لاشتمالهما على ذِكْرِ الوعدِ والوعيد وبَدْءِ الخَلْقِ، وإعادَتِهِ، والتوحيد، وإثباتِ النبوَّاتِ، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

يُخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفَراغ الدنيا وانقضائِها، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]. وقد وردت الأحاديثُ بذلك.

[٦٤٢٣] قال الحافظ أبو بكر البزَّار: حدثنا محمد بن المثنى وعَمرو بن علي قالا: حدثنا خَلَفُ ابن موسى، حَدَّثني أبي، عن قتادةَ، عن أنس: أن رسول الله ﷺ خَطَب أصحابَه ذات يوم، وقد كادت الشَّمسُ أن تَغرُبَ فلم يَبْقَ منها إلا شِفٌّ يسير، فقال: «والذي نفسي بيده ما بَقِي من الدُّنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه»، وما نرى من الشَّمس إلا يسيراً(٢). قلتُ: هذا حديثٌ مدارُه على خَلَفِ بن مُوسَى بن خَلَف العَمِّيِّ، عن أبيه. وقد ذكره ابنُ حِبَّانَ في الثِّقات، وقال: رُبَّما أخطأ.

حديث آخر يُعضِّد الذي قبله ويُفَسِّره.

[٦٤٢٤] قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دُكَين، حدثنا شَريك، حدثنا سَلَمةُ بن كُهَيل، عن مجاهد،

---

(١) تقدم في سورة «ق».

(٢) حسن. فيه موسىٰ بن خلف ضعفه ابن معين، وفي رواية: لا بأس به. وقال غيره: ليس بالقوي. وذكره الذهبي في «الميزان» ٨٨٥٨ وقال: قال ابن عدي: رأيت أحمد بن حنبل صحح هذه الرواية. ثم ذكر الذهبي هذا الحديث. ونقل عن أبي حاتم قوله: صالح الحديث. وقال أبو داود: ليس به بأس ليس بذاك. والله تعالى أعلم. والشف اليسير: الشيء القليل.

عن ابن عُمَر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشَّمسُ على قُعَيقِعَانَ بعد العصرِ، فقال: «ما أعمارُكم في أعمارِ من مَضَى إلا كما بَقِي من النَّهار فيما مَضَى»[١].

[٦٤٢٥] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا حُسَين، حدثنا محمّد بن مُطَرِّف، عن أبي حازم، عن سَهل بن سَعدٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «بُعِثتُ والسَّاعةُ هكذا». وأشار بأصبعَيه: السَّبَّابةِ والوُسطى. أخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينارٍ[٢].

[٦٤٢٦] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا محمد بن عُبَيد، حدثنا الأعمش، عن أبي خالد، عن وهب السُّوَائي قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كَهَذِهِ من هذه إن كادت لَتَسبِقُني»، وجَمَع الأعمشُ بين السَّبابةِ والوُسطى[٣].

[٦٤٢٧] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أبو المُغِيرة، حدثنا الأوزاعيُّ، حدثني إسماعيلُ بن عُبَيدِ الله قال: قَدِمَ أَنَس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فسأله: ماذا سَمِعتَ من رسول الله ﷺ يذكُر به السَّاعةَ؟ فقال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أنتم والسَّاعةُ كهاتَين»[٤]. تفرَّد به أحمد، رحمه الله.

[٦٤٢٨] وشاهدُ ذلك أيضاً في الصحيح في أسماءِ رسُولِ الله ﷺ: أنه الحاشرُ الذي يُحشَرُ النَّاس على قدميه[٥].

[٦٤٢٩] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا بَهزُ بن أَسدٍ، حدثنا سُلَيمان بن المغيرة، حدثنا حُمَيد بن هلال، عن خالد بن عُمَير قال: خَطَب عُتبَةُ بن غزوان ـ قال بَهزٌ: وقال قبل هذه المرة ـ خطَبنا رسولُ الله ﷺ قال: فحَمِد الله تعالىٰ وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الدُّنيا قد آذنت بصَرْم، وولَّت حَذَّاء، ولم يبق منها إلا صُبَابة كصُبَابة الإناء يَتَصابُّها صاحبها، وإنَّكم منتقلون منها إلى دار لا زوالَ لها، فانتقلُوا منها بخيرِ ما بِحَضْرَتكم، فإنه قد ذُكِرَ لنا أن الحَجَر يُلقَى من شَفِير جهنَّم فَيهوي فيها سبعين عاماً ما يُدرِك لها قعراً، والله لتملؤنَّه، أفعجبتم! والله لقد ذُكرَ لنا أن ما بين مِصرَاعَي الجنَّةِ مسيرةُ أربعينَ عاماً، ولَيَأتِيَنَّ عليه يومٌ وهو كَظِيظٌ من الزِّحام»[٦]. وذكر تمام الحديث، انفرد به مسلم.

وقال أبو جعفر بنُ جَرِيرٍ: حدثني يعقوبُ، حدثني ابن عُلَيَّة، أخبرنا عطاءُ بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: نزلنا المدائنَ فَكُنَّا منها على فَرسخ، فجاءت الجمعةُ، فحَضَر أبي وحضرتُ معه، فَخَطَبنا حُذَيفة فقال: ألا إنَّ الله يقولُ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾، ألا وإنَّ السَّاعةَ قد اقتربت، ألا

---

(١) حسن. أخرجه أحمد ٢/ ١١٦ وإسناده حسن في الشواهد لأجل شريك. وقعيقعان: جبل بمكة.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٦ و٦٥٠٣ ومسلم ٢٩٥٠ وأحمد ٥/ ٣٣٨ وابن حبان ٦٦٤٢.

(٣) حسن. أخرجه أحمد ٤/ ٣٠٩ والطبراني ٢٢/ ١٢٦ وإسناده ضعيف، فيه عنعنة الأعمش، وهو مدلس، وله شاهد أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٨ وفيه بشير بن مهاجر، وهو وإن روىٰ له مسلم ووثقه ابن معين وغيره، فقد قال أحمد: منكر الحديث، يأتي بالعجب، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. لكن يصلح حديثه شاهداً لما قبله، والله أعلم.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٣ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم، وله شواهد.

(٥) متفق عليه، وتقدم.

(٦) أخرجه أحمد ٤/ ١٧٤ وهو عند مسلم ٢٩٦٧ موقوف وسياقه يدل على ذلك، ومن ذلك لفظ «ذُكر لنا» ولكن له حكم الرفع، فمثله لا يقال بالرأي، والله أعلم. والصرم: الانقطاع والذهاب. وحذاء: مسرعة. والصبابة: بقية الشراب. ويتصابها: يشربها. وكظيظ: ممتلىء.

وإنَّ القمَرَ قد انشقَّ، ألا وإنَّ الدنيا قد آذنت بِفراقٍ، ألا وإنَّ اليوم المِضمارُ وغداً السباقُ، فقلت لأبي: أيستبق النَّاسُ غداً؟ فقال: يا بُنَيَّ، إنك لجاهلٌ، إنما هو السباقُ بالأعمالِ. ثم جاءت الجمُعة الأخرى فحضَرنا فَخَطب حُذَيفة فقال: ألا إن الله ـ عز وجَلَّ ـ يقولُ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾، ألا وإنَّ الدُّنيا قد آذنت بفراقٍ، ألا وإنَّ اليومَ المضمارُ وغداً السباقُ، ألا وإنَّ الغاية النارُ، والسابقُ مَن سَبَق إلى الجنَّةِ. وقولُهُ تعالى: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾: قد كان هذا في زمانِ رسُولِ الله ﷺ كما ثَبَت ذلك في الأحاديثِ المتواترةِ بالأسانيدِ الصَّحيحَةِ.

[٦٤٣٠] وقد ثبتَ في الصحيح عن ابنِ مسعُودٍ أنه قال: خَمسٌ قد مَضَين: الرُّوم، والدُّخَان، واللِّزَام، والبَطْشَةُ، والقَمَرُ[(١)]. وهذا أمر مُتَّفقٌ عليه بين العلماء أن انشقاقَ القمرِ قد وَقَع في زمان النبي ﷺ وأنَّه كان إحدى المعجزاتِ الباهراتِ.

ذكرُ الأحاديثِ الواردة في ذلك:

[٦٤٣١] رِوايةُ أنَسِ بن مالكٍ: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمَرٌ، عن قتادةَ، عن أنس بن مالك قال: سأل أهلُ مكَّة النبي ﷺ آيةً، فانشقَّ القَمَرُ بمكة مرَّتين، فقالَ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾[(٢)]. وَرَواه مسلمٌ، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزَّاق.

[٦٤٣٢] وقال البخاريُّ: حدثني عبدُ الله بن عبد الوهَّاب، حدثنا بشرُ بن المفضَّل، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أنَّ أهل مكَّة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُرِيَهم آية، فأراهم القَمَر شِقَّين، حتى رَأوا حِرَاءَ بينهما[(٣)]. وأخرجاه أيضاً من حديث يونُسَ بن محمد المؤدِّب، عن شَيبان، عن قتادةَ. ورواه مسلم أيضاً، من حديث أبي داودَ الطيالسي، ويحيى القطان، وغيرهما، عن شعبة، عن قتادة، به.

[٦٤٣٣] روايةُ جُبَير بن مُطعِم ـ رضي الله عنه ـ: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا محمدُ بن كَثير، حدثنا سليمان بن كَثير، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جُبَير بن مُطعَم، عن أبيه قال: [انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا:] سَحَرنا محمَّدٌ. فقالوا: إن كان سَحَرَنا فإنه لا يستطيعُ أن يسحَرَ النَّاسَ كُلَّهم[(٤)]. تَفَرَّدَ به الإمامُ أحمدُ من هذا الوجه، وأسنده البَيهقيُّ في «الدلائل» من طريق محمد بن كَثِير، عن أخيه سُليمان بن كثير، عن حُصَين ابن عبد الرحمن، به. وهكذا رواه ابنُ جرير من حديث محمد بن فُضَيل وغيره، عن حُصَينٍ، به. ورواه البَيهقيُّ أيضاً من طريق إبراهيم بن طَهمان وهُشَيم، كلاهما عن حُصَين، عن جُبَير بن محمد بن جُبَير بن مُطعِم، عن أبيه، عن جَدِّه، فذكره.

[٦٤٣٤] رواية عبد الله بن عباس، ـ رضي الله عنهما ـ: قال البخاريُّ: حدثنا يحيى بن بُكَير، حدثنا بكر، عن جعفر، عن عِرَاك بن مالكٍ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن ابن عباس قال: انشق القمر في

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الروم آية ٣.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٠٢ ح ٤٦ وأحمد ٣/١٦٥.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٨٦٨ ومسلم ٢٨٠٢ ح ٤٧.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٤/٨١ ـ ٨٢ والبيهقي في «دلائل» ٢/٢٦٨ والطبري ٣٢٧٠٥ ومداره على جبير بن محمد، وهو مقبول، لكن للحديث شواهد وطرق.

زمان رسول الله ـ ﷺ[١] ـ. رواه البخاريُّ أيضاً ومسلمٌ، من حديث بَكْر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عِرَاك، به مثله.

[٦٤٣٥] وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي هند، عن عليِّ ابن أبي طلحة، عن ابن عباسٍ في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾، قال: قد مَضَى ذلك، كان قبل الهجرة، انشقَّ القمرُ حتى رَأوا شقَّيه[٢]. وروى العَوْفي، عن ابن عباس، نحو هذا.

[٦٤٣٦] وقال الطبرانيُّ: حدثنا أحمد بن عمرو البَزَّار، حدثنا محمد بن يحيىٰ القُطَعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جُرَيج، عن عَمرو بن دينار، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: كُسِفَ القمر على عهدِ رسول الله ﷺ فقالوا: سُحِرَ القَمَرُ. فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾[٣].

[٦٤٣٧] رواية عبد الله بن عُمَر: قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدَّثنا أبو العباس الأصمُّ، حدثنا العباس بن محمد الدُّوريُّ، حدثنا وَهْب ابن جَرير، عن شُعْبة، عن الأعمش، عن مجاهدٍ، عن عبد الله بن عُمَرَ في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾، قال: وقد كان ذلك على عهدِ رسول الله ﷺ انشقَّ فِلقَتَين: فِلقَة من دُونِ الجَبَلِ، وفِلقةٌ من خَلْفِ الجَبَل، فقال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ اشهَدْ»[٤]. وهكذا رواه مسلم والترمذيُّ، من طُرُق عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، به. قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود. وقال الترمذيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

[٦٤٣٨] روايةُ عبد الله بن مسعود: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن أبي مَعْمَرٍ، عن ابن مسعُودٍ قال: انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظرُوا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدُوا»[٥]. وهكذا رواه البخاري ومسلم، من حديث سفيان بن عُيَينة، به. وأخرجاه من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر عبد الله بن سَخْبَرَة، عن ابن مسعود، به.

[٦٤٣٩] وقال ابنُ جَريرٍ: حَدَّثني عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرَّمْلي، حدثنا عَمِّي يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن رَجُلٍ، عن عبد الله قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ بمِنًى، فانشق القمر، فأخذَت فرقة خَلْفَ الجَبَل، فقال رسولُ الله ﷺ: «اشهدُوا، اشهَدُوا»[٦]. قال البخاريُّ: وقال أبو الضحَى، عن مسروق، عن عبد الله: بمكَّة.

[٦٤٤٠] وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا أبو عَوَانَة، عن المُغِيرة، عن أبي الضَّحَى، عن مسرُوقٍ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال: انشقَّ القمرُ على عَهدِ رسول الله ﷺ فقالت قُرَيشٌ: هذا سِحْرُ ابن أبي كَبْشَة. قال:

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٦٦.

(٢) متن صحيح. أخرجه الطبري ٣٢٧١٠، وفيه إرسال، لكن المتن صحيح بشواهده.

(٣) أخرجه الطبراني ١١/ ١١٦٤٢ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٥٩ والترمذي ٣٢٨٨ والبيهقي ٢/ ٢٦٧.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٣٨٦٩ ومسلم ٢٨٠٠ ح ٤٤ والترمذي ٣٢٨٥ وأحمد ١/ ٣٧٧ وابن حبان ٦٤٩٥.

(٦) أخرجه الطبري ٣٢٦٩٧ وإسناده ضعيف، فيه من لم يسمّ، وقوله «بمنى» منكر، والصواب أنه بمكة.

فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السُّفَّار، فإنَّ محمَّداً لا يستطيعُ أن يسحَرَ الناس كُلَّهم. قال: فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك»[1].

[٦٤٤١] وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس مُحمَّد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدُّوري، حدثنا سعيد بن سُلَيمان، حدثنا هُشَيْم، حدثنا مُغِيرة، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، عن عبد الله قال: انشقَّ القمر بمكَّة حتَّى صار فِرْقَتين، فقال كُفَّار قريش أهل مكَّةَ: هذا سِحْرٌ سَحَركم به ابنُ أبي كَبْشَة، انظروا السُّفَّار فإن كانوا رأوا ما رأيتُم فقد صدق، وإن كانوا لم يَرَوا مثل ما رأيتُم فهو سِحْرٌ سحركم به. قال: فَسُئِلَ السُّفَّار، قال: وقَدِمُوا من كل وجهٍ، فقالوا: رأيناه. وَرَواه ابنُ جَرير من حديث المغيرة، به وزاد: فأنزلَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[2]. ثم قال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، أخبرنا أيوب، عن محمد ـ هو ابن سِيرينَ ـ قال: نُبِّئت أن ابنَ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ كان يقولُ: لقد انشق القمر.

[٦٤٤٢] وقال ابن جرير أيضاً: حدثني مُحمَّد بن عُمَارة، حدثنا عمرو بن حَمَّاد، حدثنا أسباطٌ، عن سِماكٍ، عن إبراهيمَ، عن الأسود، عن عبد الله قال: لقد رأيت الجبل في فَرْج القَمَرِ حين انشقَّ[3].

[٦٤٤٣] ورواه الإمامُ أحمدُ عن مُؤمَّل، عن إسرائيل، عن سِمَاك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتىٰ رأيت الجبل من بين فرجتي القمر[4].

[٦٤٤٤] وقال ليث عن مجاهد: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فِرْقَتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشهَدْ يا أبا بكر». فقال المشركون: سَحَرَ القمر حتى انشقَّ[5].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾، أي: دليلاً وحجَّةً وبرهاناً ﴿يُعْرِضُوا۟﴾، أي: لا يَنقادُون له، بل يُعرِضون عنه ويتركونه وَرَاء ظهورهم، ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، أي: ويقولون: هذا الذي شاهدناه من الحُجَج سِحْرٌ سَحَرنا به. ومعنى ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾، أي: ذاهبٌ. قاله مجاهد، وقتادة، وغيرهما، أي: باطلٌ مُضمَحِل، لا دَوَامَ له. ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾، أي: كذبوا بالحقِّ إذ جاءهم، واتبعُوا ما أمرتهم به آراؤُهم وأهواؤُهم من جَهلِهم وسَخَافة عقلهم. وقولُهُ تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾، قال قتادة: معناه أن الخيرَ واقعٌ بأهلِ الخير، والشرَّ واقعٌ بأهلِ الشرِّ. وقال ابن جُرَيج: مُستقر بأهله. وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾، أي: يوم القيامة. وقال السديُّ: ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾، أي: واقع. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾، أي: من الأخبار عن قِصَص الأمم المكذبين بالرسل، وما حَلَّ بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يُتلَى عليهم في هذا القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، أي: ما فيه واعظٌ لهم عن الشِّرك والتمادي على التكذيب. وقولُهُ

---

(١) صحيح. أخرجه الطيالسي ٢٩٥ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم.
تنبيه: رواية ابن عمر وابن عباس وغيرهما مراسيل. وابن مسعود فقط أدرك انشقاق القمر، والظاهر أن ابن عباس وغيره إنما سمعوه من ابن مسعود وأمثاله كأبي بكر الصديق وغيره، والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/٢٦٦ وإسناده علىٰ شرط الصحيح، وأخرجه الطبري ٣٢٦٩٩ من وجه آخر وإسناده علىٰ شرط الشيخين، وله طرق.

(٣) أخرجه الطبري ٣٢٦٩٨ وإسناده غير قوي لأجل سماك بن حرب، لكن أصله محفوظ.

(٤) أخرجه أحمد ١/٤٥٦، وهو كسابقه.

(٥) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٢٧١٤ وهذا مرسل، ومع إرساله ليث ضعيف، والوهن فقط بذكر أبي بكر.

تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾، أي: في هدايته تعالى لمن هَدَاه وإضلالِه لِمَن أضلَّه، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾، يعني: أيُّ شيء تغني النذر عمَّن كَتَب الله عليه الشَّقاوةَ، وختم على قلبه؟ فمن الذي يَهدِيه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

يقولُ تعالى: فَتولَّ يا محمدُ عن هؤلاء الذين إذا رَأَوا آية يُعرِضُون ويقولون: هذا سحرٌ مُستمِرٌّ، أعرِض عنهم وانتظِر لهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾، أي: إلى شيءٍ مُنكر فَظِيع، وهو مَوقِفُ الحساب، وما فيه من البلاءِ، بل والزلازلِ والأهوال، ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾، أي: ذليلةً أبصارُهم، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾، وهي القبورُ، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾، أي: كأنهم في انتشارهم وسُرعةِ سَيرهم إلى موقف الحساب إجابةً للدَّاعي ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في الآفاق، ولهذا قال: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾، أي: مُسرعين ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ﴾، لا يُخالِفون ولا يَتأخَّرون، ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، أي: يوم شديدُ الهولِ عبوسٌ قمطريرٌ، ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: ٩ ـ ١٠].

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قبلَ قومك يا محمدُ ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾، أي: صَرَّحُوا له بالتكذيبِ واتَّهموه بالجنون، ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾، قال مجاهد: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾، أي: استُطِير جُنوناً. وقيل: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾، أي: انتهرُوه وزجَرُوه وأوعدُوه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. قاله ابنُ زيد، وهذا مُتوجِّه حَسَن. ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾، أي: إنِّي ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ أنت لِدينِك. قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾، قال السديُّ: هو الكثير، ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾، أي نَبعت جميع أرجاءِ الأرض حتى التنانيرِ التي هي مَحالُّ النيران نَبعت عُيوناً، ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾، أي: من السَّماء ومن الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾، أي: أمرٍ مُقدَّر. قال ابن جُريج، عن ابن عباس: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ كثير، لم تُمطر السَّماءُ قبل ذلك اليوم ولا بعدَه، إلاّ من السحاب؛ فُتِحت أبوابُ السماء بالماء من غير سَحَابٍ ذلك اليوم، فالتقى الماءان على أمرٍ قد قُدِر. وروى ابنُ أبي حاتم أن ابن الكَوَّاء سأل عليّاً عن المَجَرَّةِ فقال: هي شَرَجُ السَّماءِ، ومنها فُتِحت السماءُ بماءٍ مُنهمِرٍ. ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾، قال ابنُ عباس، وسعيدُ بن جُبير، والقُرَظي، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ: هي المسامير. واختاره ابنُ جرير، قال: وواحِدُها دِسَار، ويقال: دَسِير كما يقال: حَبِيكٌ وحِبَاك، والجمعُ حُبُك. وقال مجاهد: الدُّسر: أضلاعُ السَّفينة. وقال عكرمة والحسنُ: هو صدرُها الذي يُضرَبُ به الموجُ. وقال الضَّحاك: الدسُر: طرفاها وأصلُها. وقال العوفي، عن ابن عباس: هو كَلْكَلُها، أي صدرها. وقولُهُ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: بِأَمرنا

بمرأى منا وتحت حِفظنا وكَلاَءتنا، ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾، أي: جزاءً لهم على كُفرهم بالله وانتصاراً لنوح ـ عليه السّلام ـ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾، قال قتادةُ: أبقى الله سفينةَ نُوح حتى أدركها أوَّل هذه الأمَّة. والظَّاهرُ أن المراد من ذلك جنسُ السفن، كقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١ ـ ٤٢]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١ ـ ١٢]. ولهذا قال ها هنا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أي: فهل من يَتذكَّر ويتَّعظ؟

[٦٤٤٥] قال الإمامُ أحمد: حدثنا حجّاج، حدثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن، مُدَّكر أو مذّكر؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ مدَّكر(١).

[٦٤٤٦] وهكذا رَواه البخاريُّ: حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله قال: قرأت على النبي ﷺ: «فهل من مُذَّكر». فقال النبي ﷺ: «﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾»(٢).

[٦٤٤٧] وروى البخاريُّ أيضاً من حديث شُعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٣)؟

[٦٤٤٨] وقال: حدثنا أبو نُعيم، حدثنا زُهَيْر، عن أبي إسحاقَ: أنه سَمِع رَجُلاً يسأل الأسودَ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أو: «مُذَّكر»؟ قال: سَمِعت عبد الله يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. وقال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقرؤُها: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ دالاً(٤). وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه، من حَدِيث أبي إسحاق.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾، أي: كيف كان عذابي لمن كَفَر بي وكَذَّب رُسُلي ولم يَتَّعظ بما جاءت به نُذُري؟ وكيف انتصرتُ لهم، وأخذت لهم بالثّأر؟ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾، أي: سَهَّلنا لفظَه، ويَسَّرنا معناه لمن أراده، ليتذكَّر الناسُ. كما قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾(٥). وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧]. قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾، يعني: هَوّنا قراءَته. وقال السديُّ: يَسّرنا تِلاوته على الألسُن. وقال الضحّاك، عن ابن عبّاسٍ: لولا أن الله يَسّره على لسانِ الآدميين ما استطاع أحدٌ من الخلق أن يتكلم بكلام الله ـ عزّ وجَلّ ـ. قلتُ: ومن تَيسيره ـ تعالى ـ على الناس تلاوةَ القرآن ما تقدّم عن النبي ﷺ أنه قال:

[٦٤٤٩] «إن هذا القرآن أُنزِلَ على سبعةِ أحرُفٍ»(٦). وأوردنا الحديث بطُرُقه وألفاظه بما أغنى عن إعادتِه ها هنا، ولله الحمد والمنّةُ. وقولُهُ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أي: فهل من مُتذكِّر بهذا القرآنِ الذي قد يَسَّر الله حِفظَه ومعناه؟ وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: فهل من مُنزَجِرٍ عن المعاصي؟

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١/ ٣٩٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٤.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٠.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧١ ومسلم ٨٢٣ ح ٢٨٠ و٢٨١ وأبو داود ٣٩٩٤ والترمذي ٢٩٣٧ والنسائي في «التفسير» ٥٧٥.

(٥) ص: ٢٩.

(٦) متفق عليه، وتقدم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن رافع، حدثنا ضَمرَة، عن ابن شَوذَب، عن مَطَرٍ ـ هو الورّاق ـ في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: هل من طالب علم فيُعان عليه؟ وكذا علَّقه البخاري بصيغة الجزم، عن مَطَر الورّاق. ورواه ابنُ جرير، وروَى عن قتادة مثلَه.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن عادٍ قوم هُودٍ: أنهم كَذَّبوا رَسُولهم أيضاً، كما صَنَع قومُ نوح، وأنه تعالى أرسلَ ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، وهي الباردةُ الشَّديدةُ البردِ، ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾، أي: عليهم. قاله الضَّحاك، وقتادة، والسديُّ، ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ عليهم نحسُه ودماره، لأنه يوم اتّصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخرويّ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾، وذلك أن الرِّيحَ كانت تأتي أحدَهم فترفعه حتى تُغَيِّبه عن الأبصار، ثم تَنْكُسُه على أُمِّ رأسه، فيسقطُ إلى الأرض، فتَثلغ رَأسَه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

وهذا إخبارٌ عن ثمودَ أنهم كَذَّبوا رَسُولهم صالحاً، ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾، يقولون: لقد خِبنا وخَسِرنا إن سَلَّمنا كُلُّنا قيادَنا لواحدٍ منا! ثم تَعَجَّبوا من إلقاءِ الوحي عليه خاصّةً من دونهم، ثم رَمَوه بالكَذِب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾، أي: مُتَجاوِزٌ في حَدِّ الكَذِب. قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾. وهذا تهديدٌ لهم شديد، ووَعِيدٌ أكيدٌ. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾، أي: اختباراً لهم، أخرجَ الله تعالىٰ لهم ناقةً عظيمةً عُشَراء من صَخْرَةٍ صَمَّاءَ طِبقَ ما سألوا، لتكونَ حُجّة الله عليهم في تصديقِ صالح ـ عليه السَّلام ـ فيما جاءَهُم به. ثم قال تعالىٰ آمراً لعبدِه ورسُولِه صالح: ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾، أي: انتظِر مَا يؤول إليه أمرهم، واصبر عليهم، فإن العاقبة والنَّصرَ لك في الدُّنيا والآخرة. ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾، أي: يومٌ لهم ويومٌ للنّاقة. كقوله: ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥]. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾، قال مجاهد: إذا غابت حَضَروا الماء، وإذا جاءت حَضَرُوا اللبن. ثم قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾، قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمُه قُدَار بنُ سَالِفٍ، وكان أشقى قومه. لقوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس: ١٢]. ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾، أي: فجسَر ﴿فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: فعاقبتُهم فكيف كان عذابي على كُفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾، أي: فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخَمَدوا وهَمَدوا كما يهمَد يَبِيس الزَّرع والنَّباتِ. قاله غير واحد من المفسِّرين. والمحتظِر ـ قال السديُّ ـ: هو المَرْعى بالصحراء حين يَيْبَسُ ويحترقُ وتَسْفيه الرِّيح. وقال ابنُ زيدٍ: كانت العربُ يجعلُون حِظاراً على

الإبلِ والمواشِي من يَبِيس الشَّوكِ، فهو المرادُ من قوله: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾. وقال سَعيد بنُ جُبَير: هشيم المحتظر: هو التُّرابُ المتناثِرُ من الحائِطِ. وهذا قولٌ غريبٌ، والأوّل أقوى. والله أعلم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن قوم لُوط كيف كذَّبوا رسُولَهم وخالفُوه، وارتكبُوا المكروه من إتيانِ الذكور، وهي الفاحشةُ التي لم يَسبقهم بها أحد من العالمين. ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يُهلِكه أُمَّةً من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل ـ عليه السلام ـ فَحمل مَدائنهم حتى وصلَ بها إلى عَنان السماءِ، ثم قَلَبها عليهم وأرسلَها، وأُتبِعَت بحجارةٍ من سِجِّيل منضودٍ، ولهذا قال ها هنا: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾، وهي: الحجارة، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾، أي: خَرجوا من آخر الليل فَنَجُوا مما أصابَ قومَهم، ولم يُؤمِن بلوطٍ من قومه أحدٌ ولا رجلٌ واحد، حتى ولا امرأتُه، أصابَها ما أصابَ قومها. وخَرجَ نبيُّ الله لوطٌ وبناتٌ له من بين أظهُرهم سالماً لم يمسَسْه سوءٌ. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾، أي: ولقد كان قبلَ حُلولِ العذابِ بهم قد أنذرَهم بأسَ الله وعذابَه، فما التفتُوا إلى ذلك، ولا أصغَوا إليه، بل شَكُّوا فيه وتمارَوا به، ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾، وذلك ليلة وَرَد عليه الملائكةُ: جبريلُ، وميكائيلُ، وإسرافيلُ في صورة شَبابٍ مُردٍ حِسَانٍ مِحنةً من الله بهم، فأضافَهم لوطٌ ـ عليه السلام ـ وبعثَتِ امرأتُه العجوزُ السَّوءُ إلى قومِها، فأعلمتْهم بأضياف لوط، فأقبلُوا يُهرَعون إليه من كلِّ مكان، فأغلقَ لوطٌ دونَهم البابَ، فجعلوا يُحاوِلُون كسرَ البابِ، وذلك عَشِيَّة، ولوطٌ ـ عليه السلام ـ يُدافِعُهم ويُمانِعُهم دونَ أضيافِهِ، ويقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ يعني نساءَهُم، ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١]، ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، أي: ليس لنا فيهن أرَبٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]. فلما اشتدَّ الحالُ وأبَوا إلا الدخُول، خرج عليهم جبريلُ عليه السلام ـ فَضَرب أعيُنَهم بطَرَفِ جَناحه، فانطمست أعيُنُهم. يقال: إنها غارت من وجوهِهم. وقيل: إنه لم يبقَ لهم عيونٌ بالكُلِّية، فَرجَعُوا على أدبارِهم يتحسَّسُون بالحيطانِ، ويَتوعَّدُون لوطاً ـ عليه السلام ـ إلى الصباح. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾، أي: لا محيدَ لهم عنه، ولا انفكاكَ لهم منه، ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

يقول تعالى مُخبراً عن فِرعَوْن وقومِهِ إنهم جاءهم رسولُ الله مُوسَى وأخوه هارون بالبِشارةِ إن آمنوا، والنِّذارة إن كَفرُوا، وأيَّدهما بمعجزاتٍ عظيمةٍ وآياتٍ متعدِّدةٍ، فَكَذَّبوا بها كُلِّها، فأخذهم الله أخذ عزيز مُقتدر، أي: فَأبادهم ولَم يُبْقِ منهم مُخبراً ولا عيناً ولا أثراً. ثم قال تعالىٰ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾، أي: أيُّها المشركون من كُفَّار قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾، يعني من الذين تَقدَّم ذكرُهم ممن أُهلِكوا بسبب تكذيبهم الرُّسل، وكُفرهم

بالكتب: أأنتم خيرٌ أم أولئك؟ ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾، أي: أم معكم من الله براءة ألاّ ينالكم عذابٌ ولا نكال؟!. ثم قال تعالى مُخبراً عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾، أي: يعتقدون أنهم يتناصرون، بعضهم بعضاً، وأنّ جَمْعَهم يُغني عنهم مَن أرادَهُم بسوءٍ، قال الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾، أي: سيتفرّق شَملُهم ويُغلَبُون.

[٦٤٥٠] قال البخاريُّ: حدثنا إسحاقُ، حدثنا خالدٌ، عن خالدٍ ـ وقال أيضاً: حدثنا محمد حدثنا عَفّان بن مسلم، عن وُهَيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: وهو في قُبّةٍ له يوم بدرٍ: «أنشدك عهدك ووعدَك، اللهُمّ إن شئتَ لم تُعبَدْ بعدَ اليوم أبداً». فأخذ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بيده وقال: حَسْبُكَ يا رسول الله! ألححتَ على ربِّك. فخرج وهو يَثِبُ في الدِّرْعِ، وهو يقول: «﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾»(١). وكذا رواه البخاريّ والنسائيّ في غير موضع، من حديث خالد ـ وهو ابنُ مهران الحذاء ـ به.

[٦٤٥١] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدّثنا أبي، حَدّثنا أبو الربيع الزّهراني، حدثنا حَمّاد، عن أيّوب، عن عِكْرِمةَ قال: لما نَزَلَتْ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾، قال عمر: أيّ جَمْعٍ يُهزَمُ؟ أي جَمْعٍ يُغلَبُ؟ قال عمر: فلما كان يومُ بدرٍ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَثِبُ في الدِّرْعِ، وهو يقول: «﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾». فَعَرفتُ تأويلها يومئذ(٢).

[٦٤٥٢] وقال البُخاريُّ: حدثنا إبراهيمُ بن موسى، حدثنا هشامُ بن يُوسُفَ: أن ابن جُرَيج أخبرهم: أخبرني يوسفُ بن ماهَكَ قال: إني عند عائشة أم المؤمنين، فقالت: نَزَل على محمّد ﷺ بمكّة وإني لجارية ألعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾(٣). هكذا رواه ها هنا مُختصراً. وَرَواه في فضائل القرآن مُطوّلاً، ولم يُخرِجه مسلم.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾

يُخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضَلالٍ عن الحق، وسُعُرٍ مما هُم فيه من الشكُوكِ والاضطرابِ في الآراء، وهذا يَشمَلُ كُلَّ مَنِ اتّصف بذلك من كافرٍ ومُبتَدعٍ من سائر الفرق. ثم قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، أي: كما كانوا في سُعُرٍ وشَكٍّ وتَردُّدٍ أورثَهُم ذلك النّارَ، وكما كانوا ضُلّالاً سُحِبُوا فيها على وجوههم، لا يدرُون أين يَذهَبُون. ويقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وكقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣]، أي: قَدَّر قَدَراً، وهدى الخلائق إليه. ولهذا

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٩١٥ و٣٩٥٣ و٤٨٧٥ و٤٨٧٧ والنسائي في «التفسير» ٥٧٧.
(٢) هذا مرسل. ويشهد له ما قبله.
(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٦.

يَستَدِلُّ بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنَّةِ على إثبات قَدَرِ الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبلَ كونِها وكتابَتِه لها قبل بَرْئها، ورَدُّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما وَرَد في معناها من الأحاديث الثابتاتِ على الفِرْقة القَدَرية الذين نَبَغُوا في أواخر عصر الصحابة. وقد تَكلَّمنا على هذا المقام مفصلاً، وما ورد فيه من الأحاديث في شَرْحِ كتاب الإيمان من صحيح البُخاري ـ رحمه الله ـ ولْنذكُر ها هنا الأحاديثَ المتعلِّقةَ بهذه الآية الكريمة.

[٦٤٥٣] قال أحمدُ: حدثنا وَكِيعٌ، حدثنا سُفيانُ الثوري، عن زياد بن إسماعيل السَّهمي، عن محمد بن عَبَّاد بن جعفر، عن أبي هُريرة قال: جاء مشركو قُريش إلى النبّي ﷺ يُخاصِمُونَه في القَدَرِ، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[١]. وهكذا رواه مُسلمٌ والتِّرمِذيُّ وابنُ ماجه، من حديث وكيع، عن سفيان الثوري، به.

[٦٤٥٤] وقال البَزّار: حدثنا عمرو بن عليّ، حدثنا الضحّاك بن مخلَد، حدثنا يونس بن الحارث، عن عَمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جَدِّه قال: ما نَزَلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، إلا في أهل القَدر[٢].

[٦٤٥٥] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سَهل بن صالح الأنطاكي، حدثني قُرَّةُ بن حَبِيب، عن كِنانَةَ، حدثنا جرير بن أبي حازم، عن سعيد بن عمرو بن جَعدَة، عن ابن زُرارة، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه تَلاَ هذه الآية: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، قال: «نَزلت في أُناسٍ من أُمّتي يكونُون في آخِرِ الزَّمانِ، يُكَذِّبُون بقَدَرِ الله»[٣].

وحدثنا الحسَنَ بن عرفة، حدثنا مروان بن شجاع الجَزَري، عن عبد الملك بن جُرَيج، عن عطاء بن أبي رَبَاح قال: أتيتُ ابن عباس وهو يَنْزِع من زَمْزَمَ، وقد ابتلّت أسافلُ ثيابه، فقلت له: قد تُكلِّم في القُدَرِ. فقال: أو قد فعلُوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآيةُ إلاّ فيهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، أولئك شِرارُ هذه الأمَّةِ، فلا تعودُوا مَرْضَاهم، ولا تُصَلُّوا على مَوْتَاهم، إنْ رأيتُ أحداً منهم فَقَأْتُ عينيه بِإصبعَيَّ هاتَين. وقد رواه الإمامُ أحمد من وجه آخر، وفيه مرفوع.

[٦٤٥٦] فقال: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوَتِه، عن محمد بن عُبَيد المكي، عن عبد الله بن عباس قال: قيل له: إنَّ رَجُلاً قَدِمَ علينا يُكَذِّب بالقَدَرِ. فقال: دُلُّوني عليه ـ وهو أعمى ـ قالوا: وما تَصنَعُ به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعَضَّنَّ أنفه حتى أقطعَه، ولئن وقعت رقبتُه في يدي لأدُقَّنها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فِهْرٍ يَطُفنَ بالخزرج، تَصْطَفِقُ أَلْياتُهنَّ مُشرِكات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهِيَنَّ بهم سوءُ رأيهم حتى يُخرِجُوا الله من

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٦ والترمذي ٢١٥٧ و٣٢٩٠ وابن ماجه ٨٣ والواحدي ٧٧٥.

(٢) أخرجه البزار ٢٢٦٥ وقال الهيثمي ١١٣٨٣: فيه يونس بن الحارث وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ٥٣١٦ من حديث زرارة، وفيه مجاهيل كما قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٨٥. ثم إن المتن منكر مع ضعف إسناده. فإن القدرية، ليسوا في آخر الزمان، وإنما ظهروا قديماً وأدركهم صغار الصحابة، كابن عباس وابن عمر وأنس وابن عمرو وغيرهم. فالخبر واهٍ. ثم لفظ «نزلت» بعيد أن يكون من كلامه ﷺ.

أن يكون قَدَّر خَيراً، كما أخرجوه من أن يكون قَدَّر شرّاً»(١). ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجّاج، عن مُحمَّد بن عبيد، فذكر مثله. لم يُخرِجُوه.

[٦٤٥٧] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بنُ أبي أيُّوب، حدثني أبو صخر، عن نافع قال: كان لابن عُمَر صَدِيقٌ من أهل الشام يُكاتِبُه، فكتب إليه عبدُ الله بن عُمَر: إنه بَلَغني أنك تكلَّمتَ في شيءٍ من القَدَر، فإياك أن تكتُبَ إليّ، فإنّي سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أُمّتي أقوام يُكَذِّبون بالقَدَرِ»(٢). رواه أبو داود، عن أحمدَ بن حَنْبَل، به.

[٦٤٥٨] وقال أحمدُ: حدثنا قُتَيبة، حدثنا رِشْدين، عن أبي صخر حُمَيد بن زياد، عن نافع، عن ابن عُمَر قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة مَسْخٌ، ألا وذاك في المُكَذِّبين بالقَدَر والزِّنديقية»(٣). ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي صَخر حُمَيد بن زياد، به. وقال الترمذي: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غريب».

[٦٤٥٩] وقال أحمد: حدثنا أنسُ بن عِيَاضٍ، حدثنا عُمر بن عبد الله مولى غُفْرَةَ، عن عبد الله بن عُمَر: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لِكُلِّ أُمّةٍ مجوسٌ، ومجوسُ أُمّتي الذين يَقُولون: لا قَدَر. إن مَرِضُوا فلا تعودوهم، وإن ماتُوا فلا تَشْهَدُوهم»(٤). لم يُخرِجه أحدٌ من أصحابِ الكُتُب الستّةِ من هذا الوجه.

[٦٤٦٠] وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سَمِعتُ ابنَ عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ شيءٍ بقَدَرٍ، حتى العَجْزِ والكَيْسِ»(٥). ورواه مسلم منفرداً به، من حديث مالك.

[٦٤٦١] وفي الحديث الصحيح: «استعِنْ باللّهِ ولا تَعْجِز، فإن أصابَكَ أمرٌ فَقُل: قَدَّرَ الله وما شاء فَعَل،

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٣٠ ح ٣٠٤٦ وإسناده ضعيف، له علتان: فيه من لم يسمّ. ومحمد بن عبيد المكي ضعفه أبو حاتم كما في «الميزان» ٧٩١٦. وكرره أحمد ٣٠٤١٧ وفيه المكي والعلاء بن الحجاج، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي ٢١٥٢ وابن ماجه ٤٠٦١ وأحمد ٢/ ٩٠ ح ٥٦٠٧ من حديث ابن عمر، وفيه حميد بن زياد أبو صخر، وهو من رجال مسلم لكن ضعفه ابن معين في رواية ووثقه في أخرى. وقال أحمد: لا بأس به. وأما ابن عدي فقال: وهو عندي صالح، وإنما أنكر عليه حديث «المؤمن يألف» وحديث القدرية. ومع ذلك حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ١٠٨ ح ٥٨٣٣ والترمذي ٢١٥٣ من حديث ابن عمر. وإسناده ضعيف. أما حميد بن زياد، فهو موثق. ولكن علته رشدين بن سعد جاء في «الميزان» ٢٧٨٠: قال أحمد: لا يبالي عمّن روى، وليس به بأس في الرقاق. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال الجوزجاني: عنده مناكير كثيرة. وقال النسائي: متروك اهـ. فالرجل ضعيف، والمتن منكر بهذا التمام.

(٤) إسناده ضعيف. أخرجه أحمد ٢/ ٨٦ وابن الجوزي في «العلل» ٢٢٧ من حديث ابن عمر. وقال ابن الجوزي: لا يصح. قال ابن حبان: عمر مولى غفرة، يقلب الأخبار، لا يحتج به. وورد من وجه آخر أخرجه ابن الجوزي ٢٢٥ والطبراني في «الأوسط» ٢٥١٥ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٨٧٤: فيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح، وضعفه غيره اهـ. وقال ابن الجوزي: لا يصح. قال ابن معين: ابن منظور، ليس بشيء. وقال ابن حبان يروي عن أبي حازم ما لا أصل له. وفي الباب أحاديث بهذا المعنى لا يصح فيها شيء. راجع «العلل» لابن الجوزي و «المجمع» للهيثمي، والله تعالى أعلم.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٥ ح ١٨ وأحمد ٢/ ١١٠.

ولا تَقُل: لو أني فَعَلتُ لكان كَذَا. فإن (لو) تفتحُ عَمَل الشيطانِ»[١].

[٦٤٦٢] وفي حديث ابن عَبّاسٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «واعلم أن الأمَّة لو اجتَمعوا على أن يَنفعُوك بشيء، لم يكتبه الله لكَ، لم ينفعوكَ. ولو اجتَمَعُوا على أن يَضرُّوك بشيء، لم يكتُبه الله عَلَيك، لم يَضرُّوك. جَفَّتِ الأقلامُ وطُويَتِ الصحُف»[٢].

[٦٤٦٣] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا الحسنُ بن سَوّارٍ، حدثنا اللَّيثُ، عن معاويةَ، عن أيُّوبَ بنِ زيادٍ، حدثني عُبَادة بن الوليد بن عُبَادة، حدثني أبي قال: دخلتُ على عُبَادة وهو مريضٌ أتخايَلُ فيه الموتَ، فقلت: يا أبتاه! أوصِني واجتهِدْ لي. فقال: أجْلِسُوني. فلما أجلَسُوه قال: يا بُنَيّ! إنك لم تَطْعَم الإيمانَ، ولم تبلغ حَقَّ حقيقة العلم بالله، حتى تؤمِن بالقَدَر خَيْرِه وشرِّه. قلت: يا أبتاه، وكيفَ لي أن أعلَمَ ما خيرُ القَدَر وشرُّه؟ قال: تعلم أن ما أخطَأَك لم يكن ليُصِيبك، وما أصابَك لم يكن لِيُخطِئَكَ. يا بُنيّ، إني سَمِعت رسول الله ﷺ يقولُ: «إن أول ما خَلَق الله القلم. ثم قال له: اكتُب. فَجَرى في تلك الساعة بما هو كائِنٌ إلى يوم القيامة». يا بُنَيّ، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار[٣]. ورواه الترمذيُّ عن يحيى بن موسىٰ البَلْخي، عن أبي داودَ الطيالسي، عن عبد الواحد بن سُلَيم، عن عطاء بن أبي رَبَاحٍ، عن الوليد بنُ عُبادَةَ، عن أبيه، به. وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

[٦٤٦٤] وقال سُفيان الثَّوري، عن منصور، عن رِبعي بن خراش، عن رَجُلٍ، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُؤمن عبد حتى يُؤمِن بأربع: يشهَدُ أنْ لا إله إلا الله، وأنّي رسولُ الله، بَعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خَيرِه وشَرِّه»[٤]. وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل، عن شُعبَةَ، عن منصور به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شُعبَة، عن منصور، عن ربعي عن علي فذكره. وقال: هذا عندي أصح، وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن رِبعيّ، عن علي، به.

[٦٤٦٥] وقد ثَبت في صحيح مُسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره، عن أبي هانىء الخَوْلاَنيّ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كَتَب مقادِير الخلائِقِ قبل أن يخلُق السَّمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة»[٥]. زاد ابن وهب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾. ورواه الترمذيُّ وقال: «حسنٌ صحيح غريب».

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾. وهذا إخبارٌ عن نُفوذِ مَشِيئته في خَلْقِهِ كما أخبر بنُفوذِ قَدَره فيهم، فقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾، أي: إنما نأمر بالشيء مَرّةً واحدةً، لا نحتاج إلى تأكيدٍ بثانيةٍ، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصِلاً موجوداً كلَمْح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٦٤ والنسائي ٦٢١ من حديث أبي هريرة.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الزمر آية ٣٨.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣١٧ وهو حديث حسن، وسيأتي في سورة القلم.

(٤) فيه راوٍ لم يسمّ. لكن للحديث شواهد كثيرة. انظر سنن الترمذي ٢١٤٤، والحديث صحيح بشواهده.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٣ ح ١٦ والترمذي ٢١٥٦ وأحمد ٢/ ١٦٩ وابن حبان ٦١٣٨ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥. كلهم من حديث عبد الله بن عمرو.

إذَا مــا أرَادَ الله أمْــراً فــإنَّــمــا يَقُولُ لـهُ: كُنْ، قـولَـةً، فـيَـكُـونُ

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾، يعني أمثالَكُم وسَلَفكم من الأمم السالفة المُكذِّبين بالرسُل، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أي: فهل من مُتَّعِظٍ بما أخزى الله أولئك، وقدَّر لهم من العذاب. كما قال تعالىٰ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾، أي: مكتوبٌ عليهم في الكتُب التي بأيدي الملائكة ـ عليهم السلامُ ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾، أي: من أعمالهم ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾، أي: مجمُوعٌ عليهم ومُسَطَّر في صَحَائِفهم، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

[٦٤٦٦] وقد قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أبو عامر، حدثنا سَعِيد بن مُسلِم بن بَانَكَ: سمِعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثني عَوفُ بن الحارث ـ وهو ابن أخي عائشة لأمها ـ عن عائشة أن رسولَ الله ﷺ كان يقول: «يا عائشة! إياكِ ومُحقَّراتِ الذنوب فإن لها من الله طالباً»[١]. ورواه النسائي وابن ماجه، من طريق سعيد بن مسلم بن بَانَك المدني. وثقه أحمد، وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم. وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مُسلِم هذا من وجه آخر، ثم قال سعيد: فَحَدَّثت بهذا الحديث عامرَ بن هشام فقال لي: ويحكَ يا سَعِيد بن مسلم. لقد حدثني سُلَيمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغَره، فأتاه آتٍ في منامه فقال له: يا سليمان.

لا تَـحْـقِـرَنَّ مـن الـذُّنُـوب صَـغـيـراً إنَّ الـصـغـيـرَ غَـداً يَـعُـودُ كَـبـيـرا
إنَّ الـصـغـيـرَ ولَـو تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُ عِـنـدَ الإلَـه مُـسَـطَّـرٌ تَـسْـطِـيـرَا
فَازجُرْ هَوَاكَ عَنِ البَطالة، لا تَكُنْ صَعْبَ القِياد، وشَمِّرنْ تَشمِيرا
إنَّ الـمُـحِـبَّ إذا أحَـبَّ إلَـهَـهُ طَارَ الـفُـؤادُ وألـهِـمَ الـتَّـفْـكِـيـرَا
فَـاسْـألْ هِـدَايـتَـك الإلـهَ بِـنِـيَّـةٍ فَـكَـفـى بِـربِّـكَ هَـادِيـاً ونَـصِـيـرَا

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾، أي: بعكس ما الأشقياءُ فيه من الضَّلال والسعُر، والسَّحب في النَّارِ على وُجُوههم، مع التَّوبيخ والتَّقريعِ والتَّهديد.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾، أي: في دار كرامَةِ الله ورضوانِهِ، وفَضلِهِ وامتنانِه وجودِه وإحسانه، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مُقتَدِر على ما يشاء مما يطلبُون ويُريدون.

[٦٤٦٧] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عَمرو بن أوس، عن عبد الله بن عَمرو ـ يَبلُغ به النبيَّ ﷺ قال: «المقسطون عند الله على منابرَ من نُورٍ، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذي يعدلون في حُكمِهم وأهليهم وما وَلوا»[٢]. انفرد بإخراجه مسلم والنسائيُّ، من حديث سُفيَان بن عُيَينة، بإسناده مثله.

آخرُ تفسير سورة «اقتَربَتِ»، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٢٤٣ وأحمد ٦/ ٧٠ والدارمي ٢/ ٣٠٣ وابن حبان ٥٥٦٨ وإسناده علىٰ شرط البخاري.

(٢) تقدم تخريجه في سورة ص آية ٢٥ والحجرات آية ١٠.

سُورَةُ الرَّحمٰن

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

وَهِيَ مكية

[٦٤٦٨] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عفّان، حدثنا حمّاد، عن عاصم، عن زِرّ: أن رَجُلاً قال: كيف تَعرِفُ هذا الحرفَ: (ماءٍ غير يَاسنٍ. أو: آسِنٍ) فقال: كُلَّ القرآن قد قَرَأْتَ؟ قال: إني لأقرأ المُفَصَّلَ في ركعةٍ واحِدَةٍ. فقال: أهذّاً كهذِّ الشعرِ، لا أبا لكَ؟ قد علمتُ قرائِنَ النبيِّ ﷺ التي كان يَقْرُنُ قرينتَيْنِ قرينتَيْنِ مِن أوّلِ المُفَصَّل. وكان أولُ مُفَصَّل ابنِ مسعود ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾[(١)].

[٦٤٦٩] وقال أبو عيسى التِّرمِذيُّ: حدثنا عبدُ الرحمن بن واقد أبو مسلم السّعديّ، حدثنا الوليد بن مسلم، عن زُهَير بنِ محمد، عن محمد بن المُنكَدِر، عن جابر قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ على أصحابه فَقَرأ عليهم سورة الرحمن، من أولها إلى آخرها، فسكتُوا فقال: «لقد قرأتُها على الجنّ ليلةَ الجنّ، فكانوا أحسَنَ مَرْدُوداً منكم، كنتُ كُلَّما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾، قالوا: لا بشيءٍ من نِعَمك ـ رَبَّنا ـ نُكَذِّب، فلك الحمدُ»[(٢)]. ثم قال: «هذا حَدِيث غريب، لا نعرِفُه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زُهَير بن محمد». ثم حَكَى عن الإمام أحمد أنه كان يَسْتَنْكِرُ روايةَ أهلِ الشام عن زُهَير بن محمد هذا. وَرَواه الحافظ أبو بكر البَزّار، عن عَمرو بن مالك، عن الوليد بن مسلم. وعن عبد الله بن أحمد بن شَبُّويَه، عن هشام بن عمار، كلاهما عن الوليد بن مسلم، به. ثم قال: لا نعرفه يُرْوَى إلا من هذا الوجه.

[٦٤٧٠] وقال أبو جعفر بنُ جَرير: حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البَصريّ قالا: حدثنا يحيى بن سُلَيم، عن إسماعيل بن أميّة، عن نافع، عن ابن عُمَر: أن رسول الله ﷺ قرأ سورةَ الرحمن ـ أو: قُرِئَت عنده ـ فقال: «ما لي أسمَعُ الجنَّ أحسن جواباً لربِّها منكم»؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ما أَتَيتَ على قول الله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾؟ إلا قالتِ الجنُّ: لا بشيءٍ من نِعمَةِ ربنا نُكَذِّب»[(٣)]. ورواه الحافظ البزّارُ، عن عَمرو بن مالك، به. ثم قال: لا نعلَمُه يُروَى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، بهذا الإسناد.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤١٢ وإسناده حسن إلى زرّ، وهو تابعي كبير. والهذ في القراءة: السرعة.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٢٩١ والحاكم ٢/ ٤٧٤ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٣٢ من حديث جابر، وفيه زهير بن محمد، وهو منكر الحديث في رواية أهل الشام عنه، وهذا منها. وانظر ما بعده.

(٣) أخرجه البزار ٢٢٦٩ والطبري ٣٢٩٢٨ من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيف، فيه عمرو بن مالك اتهمه ابن عدي بسرقة هذا الحديث من زهير بن محمد. وذكره الألباني في «الصحيحة» ٢١٥٠ فلم يصب. وانظر مزيد الكلام عليه في «تفسير القرطبي» ٥٧٥١ والشوكاني عند هذه الآية بتخريجي. والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

يُخبر تعالى عن فَضله ورَحمتِه بخلقِه، أنّه أنزل على عباده القرآن، ويَسَّر حفظَه وفهمَه على مَن رحِمه، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ ـ قال الحسن: يعني النُّطقَ. وقال الضحّاك، وقتادة، وغيرهما: يعني الخيرَ والشرّ. وقولُ الحسن ها هنا أحسنُ وأقوى؛ لأن السياقَ في تعليمه تعالى القرآنَ، وهو أداءُ تلاوتِهِ، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخَلْقِ، وتسهيل خُروج الحروفِ من مواضِعِها من الحَلق واللّسانِ والشفَتَين، على اختلاف مخارِجِها وأنواعِها. وقولُهُ تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾، أي: يجريان متعاقبين بحساب مُقنَّن لا يختلِفُ ولا يضطرِبُ، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦].

وعن عِكْرِمَة أنه قال: لو جَعَل الله نُورَ جميع أبصارِ الإنسِ والجنّ والدواب والطير في عَيْنَيْ عبدٍ، ثم كَشَف حجاباً واحداً من سبعين حجاباً دُون الشمس، لما استطاع أن يَنظُرَ إليها. ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزءٌ من سبعين جزءاً من نور العرش، ونورُ العرش جزءٌ من سبعينَ جزءاً من نور السِّتر. فانظُر ماذا أعطى الله عبدَه من النور في عينيه وقت النظر إلى وَجه ربِّهِ الكريم عياناً؟! رواه ابن أبي حاتم[1]. وقولُهُ تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ ـ قال ابنُ جرير: اختلف المفسِّرون في معنى قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساقٍ، فَروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: النَّجمُ ما انبسَط على وَجهِ الأرضِ، يعني من النَّباتِ. وكذا قال سعيد بن جُبَير، والسُّديُّ، وسُفيانُ الثَّوري. وقد اختاره ابنُ جَرير، رحِمه الله تعالى. وقال مجاهدٌ: النَّجمُ الذي في السماء. وكذا قال الحسنُ، وقتادةُ: وهذا القولُ هو الأظهر، والله أعلَمُ، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].. الآية.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾، يعني العدلَ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وهكذا قال ها هنا: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾، أي: خَلَق السموات والأرضَ بالحقّ والعَدْلِ، لِتكونَ الأشياءُ كلُّها بالحقّ والعدل. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾، أي: لا تَبخَسوا الوَزْنَ، بل زِنُوا بالحقّ والقِسْطِ، كما قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ [الشعراء: ١٨٢]. وقولُهُ تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾، أي: كما رَفَع السماء وضَعَ الأرض ومَهَدَها، وأرساهَا بالجبالِ الرّاسياتِ الشّامخاتِ، لتستقِرَّ

---

(١) هو من الإسرائيليات الباطلة.

لما على وَجهِها من الأنام، وهم: الخلائقُ المختلفةُ أنواعهُم وأشكالُهم وألوانُهم وألسنُهم، في سائر أقطارها وأرجائها.

قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ: الأنامُ: الخَلْقُ، ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾، أي: مُختلِفَةُ الألوانِ والطعومِ والروائح، ﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾: أفرده بالذكر لشرَفه ونفعه، رُطَباً ويَابِساً. والأكمامُ ـ قال ابن جُرَيج، عن ابن عباس: هي أوعيةُ الطَّلْع. وهكذا قال غير واحد من المفسِّرين، وهو الذي يطلعُ فيه القِنْوُ ثم ينشقُّ عن العنقُود، فيكون بُسْراً، ثم رُطَباً، ثم يَنضجُ ويَتَناهى يَنْعُه واستواؤه.

وقال ابنُ أبي حاتم: ذُكرَ عن عَمرو بن علي الصَّيرفي: حدثنا أبو قُتَيبة، حدثنا يونُس بنُ الحارث الطائفي، عن الشَّعبي قال: كَتَبَ قَيْصَر إلى عُمَر بن الخطاب: أُخبِرُكَ أنَّ رسلي أتتني من قِبَلك، فزعَمَت أن قبلكم شجرةً ليست بخليقةٍ لشيء من الخير، تُخرِجُ مثلَ آذانِ الحمير، ثم تَشَقَّقُ مثلَ اللؤلؤ، ثم تخضرّ فتكون كالزُمُردِ الأخضرِ، ثم تحمرُ فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالُوذَجٍ[1] أُكِل، ثم تَيْبَسُ فتكون عِصْمَةً للمقيم وَزَاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صَدَقَتْني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شَجَر الجنة. فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عبد الله عُمَر أمير المؤمنين إلى قيصَرَ ملكِ الروم: إنَّ رُسُلَك قد صَدَقوكَ، هذه الشجرةُ عندنا، وهي الشجرةُ التي أنبتها الله على مَرْيَم حين نُفِسَت بعيسى ابنِها، فاتَّقِ الله ولا تَتَّخِذ عيسى إلهاً من دون الله فإن ﴿مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦٠]. وقيل: الأكمامُ: رقابُها، وهو الليفُ الذي على عُنُق النَّخلةِ. وهو قولُ الحسنِ وقتادةُ.

﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾، قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾، يعني: التبن. وقال العَوفي، عن ابنِ عباسٍ: ﴿ٱلۡعَصۡفِ﴾: ورقُ الزرع الأخضرِ الذي قُطِع رُؤوسُه، فهو يُسمَّى العَصْفَ إذا يبِسَ. وكذا قال قتادة، والضحاك، وأبو مالك: عصفه: تِبنُه. وقال ابنُ عباس، ومجاهد، وغير واحد: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾، يعني: الورق. وقال الحسن: هو ريحانُكم هذا. وقال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾: خَضِرُ الزَرْعِ. ومعنى هذا ـ والله أعلم ـ أن الحبَّ كالقَمْحِ والشعير ونحوهما له في حال نباته عَصْفٌ: وهو ما على السنبلة، وريحان: وهو الوَرَقُ الملتف على ساقِهَا. وقيل: العصفُ: الورق أول ما ينبت الزرع بقلاً. والرَّيحانُ: الورق، يعني: إذا أَدْجَنَ وانعقد فيه الحبُ، كما قال زَيد بنُ عَمرو بن نُفَيل في قصيدتِهِ المشهورة:

وَقُولاَ له: مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ في الثَّرَى ... فَيُصْبِح منه البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيا؟

وَيُخْرِجِ مِنْه حَبَّهُ فِي رُؤوسِهِ ... فَفِي ذاكَ آياتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾، أي: فبأي الآلاء ـ يا معشرَ الثَّقلَين، من الإنس والجنِّ ـ تُكَذِّبان؟ قاله مجاهد، وغير واحد. ويدلُّ عليه السِّياقُ بعده، أي: النِّعَمُ ظاهرةٌ عليكم وأنتم مَغمُورون بها، لا تَستطيعُون إنكارها ولا جحدها، فنحن نَقُول كما قالت الجنُّ المؤمنون: اللهُمَّ، ولا بشيء من آلائِكَ رَبَّنا نُكَذِّب، فلك الحمدُ. وكان ابن عباس يقول: لا، بأيِّها يا ربُّ. أي: لا نكذب بشيء منها.

[٦٤٧١] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عُروَةَ، عن

(١) الفالوذ والفالوذج: هو السمن يخلط بالدقيق مع العسل.

أسماء بنتِ أبي بكر قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يقرأ، وهو يُصلّي نحو الركن قبل أن يَصْدَع بما يؤمَر، والمشركون يستمعون: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1].

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

يذكُر تعالى خَلْقَه الإنسانَ من صَلْصَالٍ كالفخّار، وخَلْقه الجانَّ من مارجٍ من نارٍ، وهو: طرفُ لَهَبِها. قاله الضّحاك، عن ابن عباس. وبه يقول عكرمةُ، ومجاهدٌ، والحسنُ، وابنُ زيدٍ. وقال العَوفِيُّ، عن ابن عبّاس: ﴿مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾: من لَهَبِ النار، من أحسنها. وقال عَليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾: من خالصِ النارِ. وكذا قال عكرمةُ: ومجاهدٌ، والضّحّاكُ، وغيرهم.

[٦٤٧٢] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمَرٌ، عن الزهريِّ، عن عُروةَ، عن عائشة قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «خُلِقت الملائكة من نورٍ، وخُلِق الجانُّ من مارج من نارٍ، وخُلِق آدمُ مما وُصِفَ لكم»[2]. ورواه مسلمٌ، عن محمد بن رافع وعَبْد بن حُمَيد، كلاهُما عن عبد الرزاق، به.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾؟ تقدم تفسيرُه. ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾﴾، يعني مشرِقَي الصيف والشّتاءِ، ومغرِبي الصَّيفِ والشّتاءِ. وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، وذلك باختلافِ مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبُروزها منه إلى الناس. وقال في الآية الأخرى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٩]. وهذا المرادُ منه جنسُ المشارق والمغارب، ولما كان في اختلافِ هذه المشارقِ والمغاربِ مصالحُ للخلقِ من الجنِّ والإنسِ قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾، قال ابن عباس: أي أرسلَهُما. وقولُهُ: ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾، قال ابنُ زيدٍ: أي مَنَعهما أن يلتقيا، بما جعل بينهما من البرزَخ الحاجز الفاصل بينهما. والمرادُ بقوله: ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾، المِلْحَ والحُلْوَ، فالحُلو هذه الأنهار السّارحةُ بين الناس. وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾﴾ [الفرقان: ٥٣]. وقد اختار ابنُ جريرٍ ها هنا أنَّ المراد بالبحرَين: بحرَ السَّماءِ وبحرَ الأرض. وهو مروي عن مجاهد، وسعيد بن جُبير، وعطية، وابن أَبْزَى. قال ابن جرير: لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السَّماءِ، وأصدافِ بحر الأرض. وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المرادَ بذلك ما ذهب إليه، فإنه لا يُساعِده اللَّفظُ، فإنه تعالى قد قال: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾، أي: وَجعل بينهما برزخاً، وهو الحاجزُ من الأرض، لئلا يَبغِيَ هذا على هذا، وهذا على هذا، فَيُفسِدَ كل واحد منهما الآخر، ويُزيله عن صفته التي هي مقصودةٌ منه. وما

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٣٤٩ والطبراني ٢٤/ ٨٦ ـ ٨٧، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٨٦: فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٩٦ وأحمد ٦/ ١٥٣ و١٦٨ وابن حبان ٦١٥٥.

بين السَّماءِ والأرض لا يُسمَّى برزخاً وحِجْراً محجُوراً. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾، أي: من مجموعهما، فإذا وُجِد ذلك لأحدهما كَفَى، كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]. والرسلُ إنما كانوا في الإنس خاصَّةً دون الجنِّ، وقد صَحَّ هذا الإطلاق. واللؤلؤُ معروف، وأما المَرجان فقيل: هو صغارُ اللؤلؤ. قاله مجاهد، وقتادة، وأبو رَزِين، والضحاك. ورُوِي عن عَلِيٍّ. وقيل: كبارُه وجَيِّدُه. حكاه ابنُ جرير عن بعض السلف. ورَوَاه ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس، وحكاه عن السديِّ عمن حَدَّثه، عن ابن عباسٍ. ورُوِي مثلُه عن عليٍّ، ومجاهد أيضاً ومُرَّة الهَمْدانيِّ. وقيل: هو نوعٌ من الجَوَاهِر أحمَرُ اللون. قال السديُّ عن أبي مالك، عن مسروق، عن عبد الله قال: المرجان: الخرزُ الأحمَرُ، قال السديُّ: وهو البُسَّذ بالفارسية. وأما قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢]، فاللحمُ من كُلٍّ مِنَ الأُجَاج والعَذْب، والحِلْيَةُ إنما هي من المالح دُونَ العَذْبِ. قال ابن عباس: ما سقطت قطرةٌ من السماء في البحر، فوقَعت في صَدَفةٍ إلاَّ صار منها لؤلؤةٌ. وكذا قال عكرمةُ، وزاد: فإذا لم تقع في صَدَفةٍ نبتت بها عَنبَرةٌ. ورُوِي من غير وَجْهٍ عن ابن عباس نحوُه.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن بن مَهدي، حدثنا سُفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: إذا أمطرت السماء فتحتِ الأصدافُ في البحرِ أفواهَها، فما وقع فيها يعني من قطر فهو اللؤلؤ. إسنادُه صحيحٌ. ولما كان اتخاذُ هذه الحليةِ نعمةً على أهل الأرضِ امتَنَّ بها عليهم فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾، يعني السفنَ التي تجري ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾، قال مجاهدٌ: ما رُفِعَ قَلْعُه من السفن فهي مُنْشأة، وما لم يُرفَع قلعه فليس بِمُنشأةٍ، وقال قتادة: ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: يعني المخلوقات. وقال غيره: المُنشِآت ـ بكسر الشين ـ: يعني الباديات. ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾، أي: كالجبالِ في كِبَرِها، وما فيها من المتاجِر والمكاسِب المنقولة من قُطر إلى قُطر، وإقليم إلى إقليم، مما فيه صلاح للناس في جَلْب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع. ولهذا قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا العَرَارُ بن سُوَيد، عن عُمَيرة بن سعد قال: كنتُ مع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على شاطىء الفُراتِ إذ أقبلت سفينةٌ مرفوعٌ شراعُها، فَبَسط عليٌّ يديه ثم قال: يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾. والذي أنشأها تَجري في بُحورِهِ ما قتلتُ عُثمانَ، ولا مالأتُ على قَتْلِهِ.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

يُخبر تعالى أن جميع أهلِ الأرض سَيَذْهَبون ويَمُوتون أجمعُون، وكذلك أهل السماوات، إلاَّ مَن شاء الله، ولا يبقَى أحدٌ سوى وجهه الكريم، فإن الربَّ ـ تعالى وتقدس ـ لا يموتُ، بل هو الحيُّ الذي لا يموتُ أبداً. قال قتادة: أنبأ بما خلق، ثم أنبأ أنَّ ذلك كُلَّه فانٍ.

[٦٤٧٣] وفي الدعاء المأثور: «يا حَيُّ، يا قَيُّوم، يا بديعَ السَّمواتِ والأرضِ، يا ذا الجَلالِ والإكرام، لا إلَه إلا أنتَ، برحمتك نَستغِيثُ، أَصلِحْ لنا شَأننا كُلَّه، ولا تَكِلْنا إلى أنفسِنا طرفةَ عينٍ، ولا إلى أَحَدٍ من

خَلْقِك»[١] . وقال الشعبيُّ: إذا قرأت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ ، فلا تسكت حتى تقرأ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ . وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وقد نَعت تعالى وجهه الكريمَ في هذه الآية الكريمة بأنه ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، أي: هو أهل أن يُجَلَّ فلا يُعصَى، وأن يُطاعَ فلا يُخالف، كقوله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، وكقوله إخباراً عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ : ذو العَظمة والكِبْرياء. ولما أخبَرَ تعالىٰ عن تساوي أهل الأرض كُلهم في الوفاةِ، وأنهم سَيَصِيرُون إلى الدَّارِ الآخرةِ، فَيَحكم فيهم ذُو الجلالِ والإكرام بحكمه العَدْلِ قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ . وقولُهُ تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ ، وهذا إخبارٌ عن غِناهُ عما سواه، وافتقار الخلائِق إليه في جميع الآناتِ، وأنهم يسألونه بلسان حالِهم وقَالِهم، وأنه كُلَّ يوم هو في شأن. قال الأعمشُ، عن مجاهد، عن عُبَيد بن عُمَير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ، قال: مِن شأنه أن يُجِيبَ داعياً، أو يُعطِيَ سائلاً، أو يَفُكَّ عانِياً، أو يَشْفِي سَقِيماً.

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد قال: كُلَّ يوم هو يُجِيب داعياً، ويَكشِفُ كَرْباً، ويُجِيبُ مُضطَرّاً، ويَغفِر ذَنْباً. وقال قتادة: لا يستغني عنه أهلُ السّمواتِ والأرضِ، يُحيي حَيّاً، ويُميت مَيّتاً، ويُرَبِّي صغيراً، ويَفُكُّ أسيراً، وهو مُنْتهى حاجاتِ الصالحين وصَرِيخهم، ومنتهى شَكْوَاهم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان الحِمْصِي، حدثنا جَرير بن عثمان، عن سُوَيد بن جَبَلَة ـ هو الفَزارِيُّ ـ قال: إنَّ ربَّكم كلَّ يومٍ هو في شأنٍ، فَيُعتِقُ رِقاباً، ويُعطِي رِغاباً، ويُقحِمُ عِقاباً.

[٦٤٧٤] وقال ابن جرير: حدثني عبد الله بن محمد بن عَمْرو الغزّي، حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف الفِرْيَابي، حدثني عمرو بن بكر السَّكْسَكِيُّ، حدثنا الحارث بن عَبْدَة بن رباح الغَسّاني، عن أبيه، عن مُنِيب بن عبد الله بن منيب الأزدِيِّ، عن أبيه قال: تَلاَ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ، فقلنا: يا رسولَ الله، وما ذاك الشّأنُ؟ قال: «أن يغفِرَ ذنباً، ويُفَرِّج كَرْباً، ويرفَع قوماً، ويضَع آخرين»[٢] .

[٦٤٧٥] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عَمّار، وسليمان بن أحمد الواسطي قالا: حدثنا الوزير بن صَبِيح الثقفي أبو روح الدمشقي ـ والسياق لهشام ـ قال: سَمِعتُ يونس بن مَيْسَرَة ابن حَلْبَس يُحَدِّث عن أم الدَّرداء، عن أبي الدَّرداءِ، عن النبيِّ ﷺ قال: «قال الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ـ قال ـ: مِن شأنه أن يغفِرَ ذنباً، ويُفَرِّج كَرْباً ويَرْفَع قوماً، ويضع آخرين»[٣] . وقد رَوَاه ابنُ عساكِرَ من طرق

---

(١) ورد منجماً في عدة أحاديث، منها ما أخرجه الترمذي ٣٥٢٤ من حديث أنس «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» وفيه يزيد الرقاشي ضعيف. ومنها حديث أبي بكرة «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» أخرجه أبو داود ٥٠٩٠ والنسائي ٦٥٦ وإسناده حسن. ولم أجد «ولا إلى أحد......».

(٢) إسناده ضعيف جداً . أخرجه الطبري ٣٣٠١٢ والبزار ٢٢٦٦. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٣٨٨: فيه من لم أعرفهم اهـ وفيه عمرو بن بكر السكسكي، وهو متروك. وانظر ما بعده.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٠٢ وابن أبي عاصم ٣٠١ وابن حبان ٦٨٩ والبزار ٢٢٦٧، قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير بن صبيح عن درجة الحفظ والإتقان. وأخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٢٤ من طريق آخر وأعله بعبد الرحمن بن يحيى المخزومي، وفيه نظر، فإن المخزومي، صدوق. وإنما علته الوليد بن مسلم، فإنه عنعن، وهو مدلس، يدلس التسوية. ونقل ابن الجوزي عن الدارقطني أنه صوب الوقف، وسبقه إلى ذلك الإمام البخاري فذكره ٨/ ٦٢٠ عن =

مُتعدِّدة، عن هشام بن عمَّارٍ، به. ثم ساقه من حديث أبي هَمَّام الوليد بن شجاع، عن الوَزير بن صَبِيح قال: ودلّنا عليه الوليد بن مسلم، عن مُطَرف، عن الشعبيّ، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، ـ فذكره. قال: والصحيح الأول، يعني إسنادَه الأولَ. قلت: وقد رُوي موقوفاً، كما علّقه البخاريُّ بصيغةِ الجَزم، فجعله من كلام أبي الدَّرداء، فالله أعلم.

[٦٤٧٦] وقال البزَّار: حدثنا محمد بن المُثَنَّى، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البَيْلَماني، عن أبيه، عن ابن عُمَر، عن النبي ﷺ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، قال: «يغفر ذنباً، ويكشِفُ كَرْباً»[(١)].

ثم قال ابنُ جرير: وحدثنا أبو كُرَيبٍ، حدثنا عُبَيد الله بن موسى، عن أبي حَمْزة الثمَالي، عن سعيد ابن جُبير، عن ابن عباس: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرَّةٍ بيضاء، دفتاه ياقوتةٌ حمراءُ، قلمُه نور، وكتابُه نور، عرضُه ما بين السماء والأرض، ينظُر فيه كُلَّ يوم ثلاثمئة وستين نظرةً، يخلُق في كل نَظْرةٍ، ويُحيي ويميت، ويعزُّ ويُذِلّ، ويفعَلُ ما يشاء.

﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ٣٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦﴾

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ٣١﴾، قال: وَعِيدٌ من الله تعالى للعباد، وليسَ بالله شُغلٌ وهو فارغٌ. وكذا قال الضحاك: هذا وَعِيدٌ. وقال قتادة: قَدْ دَنَا من الله فراغٌ لخلقه. وقال ابن جُرَيج: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾، أي: سنقْضِي لكم. وقال البخاريُّ: سَنُحاسِبُكم، لا يشغله شيءٌ عن شيءٍ، وهو معروفٌ في كلام العَرَبِ، يقال: لأتفرَّغَنَّ لك، وما به شُغلٌ، يقول: لآخُذَنَّكَ على غِرَّتِكَ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾، الثقلان: الإنسُ والجنُّ.

[٦٤٧٧] كما جاء في الصحيح: «يَسْمَعُها كُلُّ شيء إلا الثقلَين». وفي رواية: «إلا الجنَّ والإنس»[(٢)].

[٦٤٧٨] وفي حديث الصور: «الثقلان الإنس والجن»[(٣)]. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾، أي: لا تستطيعون هَرَباً من أمر الله وقَدَره، بل هو محيطٌ بكُم، لا تقدِرُون على التخلُّص من حُكمِهِ، ولا النفوذِ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتُم أُحِيطَ بكم. وهذا في مقام المحشر، الملائكةُ مُحدِقَةٌ بالخلائِق، سبعُ صفوفٍ من كل جانب، فلا يقدِرُ أحدٌ على الذهاب ﴿إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾، أي: إلا بأمر الله، ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠ ـ ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ

= أبي الدرداء موقوفاً معلقاً بصيغة الجزم، وهو أرجح لأنه اختيار إمام الصنعة محمد بن إسماعيل البخاري، وإمام النقاد علي بن عمر الدارقطني، والله تعالىٰ أعلم. ومع ذلك صححه الألباني في «السنة» ٣٠١ وانظر ما بعده.

(١) إسناده ضعيف جداً. أخرجه البزار ٢٢٦٨ وفيه محمد بن عبد الرحمن البيلماني. قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف. واتهمه ابن عدي وابن حبان. فالإسناد ضعيف جداً.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

﴿مَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۢ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧]. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾. قال عليُّ بن أبي طَلْحَة، عن ابن عبّاس: الشوَاظُ هو لَهَبُ النار. وقال سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: الشواظ: الدُّخانُ. وقال مجاهد: هو: اللَّهَبُ الأخضرُ المنقطع. وقال أبو صالح: الشواظ: هو اللَّهَبُ الذي فوق النار ودون الدخان. وقال الضحاك: ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾: سَيْلٌ من نَارٍ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَنُحَاسٌ﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: دُخَانُ النَّارِ. ورُوِيَ مثله عن أبي صالح، وسعيد بن جُبَير، وأبي سِنَان. وقال ابنُ جَرير: والعرب تسمي الدخان نُحَاساً ـ بضم النون وكسرها ـ والقراء مُجمِعَة على الضم، ومِن النحَاس بمعنى الدخان قول نابغة بَنِي جَعْدَة:

يُضِيءُ كَضَوءِ سِراجِ السَّلِيـ ـطِ، لَم يَجعَلِ اللَّه فيه نُحَاسا

يعني دُخاناً، هكذا قال.

وقد روى الطبرانيُّ من طريق جُوَيبر، عن الضحاك: أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشُّواظ فقال: هو اللَّهَبُ الذي لا دُخَان معه. فسأله شاهداً على ذلك من اللغةِ، فأنشده قول أُمَيَّة بن أبي الصَّلت في حَسَّان:

ألا مَنْ مُبلِغٌ حَسَّانَ عَنِّي مُغَلغَلَةً تَدِبُّ إلى عُكَاظِ
ألَيسَ أبُوكَ فِينا كَان قَيناً لَدَى القَينَاتِ فَسْلاً في الحِفَاظِ[1]
يَمَانِيّاً يَظَلُّ يَشُبُّ كِيراً وَيَنفُخُ دَائباً لَهَبَ الشُّوَاظِ

قال: صَدَقْتَ، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لَهَب له. قال: فهل تعرفُه العربُ؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بني ذُبْيان يقول:

يُضِيءُ كَضَوءِ سِرَاجِ السَّلِيـ ـطِ، لَمْ يَجعَلِ الله فيه نُحَاسا

وقال مجاهدٌ: النحَاس: الصفر، يُذاب فَيُصَبُّ على رؤوسهم. وكذا قال قتادةُ. وقال الضحَّاك: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: سَيْلٌ من نحاس. والمعنى على كل قول: لو ذهبتُم هاربين يوم القيامة لَرَدَّتكم الملائكةُ والزبانيةُ بإرسالِ اللَّهَبِ من النار والنحاس المُذاب عليكم لترجِعُوا، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يوم القيامة، كما دَلَّت عليه هذه الآيةُ مع ما شاكلَها من الآياتِ الواردةِ في معناها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٦]، وقولِهِ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقولِه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١ ـ ٢].

(١) الفَسْلُ: الرَّذْل من الرجال.

وقولُهُ تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾، أي: تَذُوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في السّبْكِ، وتَتلوّنُ كما تَتَلوّنُ الأصباغ التي يُدهَن بها، فتارةً حمراءَ وصفراءَ وزرقاءَ وخضراءَ، وذلك من شدّةِ الأمرِ وهَوْلِ يومِ القيامةِ العظيم.

[٦٤٧٩] وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أحمدُ بن عبد الملك، حدثني عبدُ الرحمن بن أبي الصَّهباء، حدثنا نافعٌ أبو غالب الباهليُّ، حدثنا أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُبعَثُ الناس يومَ القيامةِ والسّماءُ تَطِشُّ عليهم»(١). قال الجَوْهَريُّ: الطَّشُّ: المَطرُ الضَّعِيفُ. وقال الضحّاك، عن ابنِ عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾، قال: هو الأدِيم الأحْمَرُ. وقال أبو كُدَيْنَةَ، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عبّاس: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾: كالفَرَسِ الوَرْدِ. وقال العَوْفي، عن ابن عباس: تَغَيّر لونُها. وقال أبو صالح: كالبِرْذَون الوَرْدِ، ثم كانت بعد كالدُّهان. وَحَكَى البَغَوِيُّ وغيره: أن الفَرَسَ الوَرْدَ تكونُ في الربيع صَفْرَاء، وفي الشتاءِ حَمْرَاء، فإذا اشتد البردُ اغبرّ لونها. وقال الحسنُ البَصريّ: تكون ألواناً. وقال السدّيُّ: تكون كَلَون البغلة الوَرْدَةِ، وتكون كالمُهل كَدِرديّ الزيتِ، وقال مجاهد: ﴿كَالدِّهَانِ﴾: كألوان الدُّهان. وقال عطاء الخراساني: كلون دُهْن الوَرْدِ في الصفرة. وقال قتادة: هي اليوم خضراءَ، ويومئذٍ لونها إلى الحُمْرَة، يومٌ ذِي ألوانٍ. وقال أبو الجَوزاءِ: في صفاءِ الدهنِ. وقال ابن جُرَيج: تَصِير السماءُ كالدُّهن الذائبِ، وذلك حين يُصِيبها حَرُّ جهنم.

وقولُهُ تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾، وهذه كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦]، فهذا في حال، وثَمّ في حال يُسأل الخلائقُ عن جَميع أعمالهم، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]. ولهذا قال قتادةُ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾، قال: قد كانت مسألةٌ، ثم خُتِم على أفواهِ القَوم، وتَكَلّمت أيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون. وقال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلَمُ بذلك منهم، ولكن يقول: لِم عَمِلتُم كذا وكذا؟ فهذا قول ثانٍ. وقال مجاهد في هذه الآية لا يسأل الملائكة عن المُجرِم، يُعرَفون بسيماهم. وهذا قول ثالث. وكأن هذا بعد ما يُؤمَر بهم إلى النار، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يُقادُون إليها ويُلقَون فيها، كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾، أي بعلامات تظهر عليهم. وقال الحسن وقتادة: يعرفونهم باسوداد الوُجوهِ وزرقة العيون. قلتُ: وهذا كما يُعرَف المؤمنون بالغُرّة والتحجِيل من آثار الوضوء.

وقولُهُ تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾، أي: تجمع الزبانية ناصيته مع قدميه، ويلقونه في النار كذلك. وقال الأعمش، عن ابن عباس: يُؤخَذ بناصِيته وقَدَميه، فيُكسَر كما يُكسَر الحَطَب في التنور. وقال الضحاك: يُجمَع بين ناصيته وقدميه في سِلْسِلَةٍ من وراءِ ظهرِه. وقال السُّديّ: يُجمَعُ بين ناصية الكافر وقَدَميه، فتربط ناصيتُه بقدميه، ويُفتَلُ ظهرُه.

[٦٤٨٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا أبو توبة الرَّبيع بن نافع، حدثنا معاوية بن سَلّام، عن أخيه زيد بن سلّام، أنه سمع أبا سلّام ـ يعني جَدّه ـ أخبرني عبد الرحمن، حدثني رجل من كِنْدَة قال: أتيتُ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٢٦٧ وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن أبي الصهباء، وهو مجهول لم يوثقه غير ابن حبان على قاعدته، وقال الذهبي في ترجمته: لم يصح حديثه. وأخرجه أبو يعلى ٤٠٤١ من طريق أبي غالب عن العلاء بن زياد عن أنس موقوفاً، وهو أصح.

عائشةَ فدخلتُ عليها، وبَيني وبينَها حِجابٌ، فقلت: حَدَّثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعةٌ لا يَملِك لأحدٍ فيها شفاعةً؟ قالت: نعم، لقد سألتُه عن هذا وأنا وهو في شِعَارٍ[١] واحدٍ قال: «نعم، حين يُوضَع الصِّراط، لا أملِكُ لأحد فيها شفاعةً، حتى أعلم أين يُسلَك بي؟ ويوم تَبْيَضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ، حتى أنظر ماذا يُفعَل بي ـ أو قال: يُوحَى ـ وعند الجِسْر حين يَستَحِدُّ ويستحِرُّ» فقالت: وما يَستَحِدُّ وما يَستحِرُّ؟ قال: «يَستَحِدُّ حتى يكون مثلَ شَفرَةِ السَّيفِ، ويستحِرُّ حتى يكون مثل الجَمْرَةِ، فأمَّا المؤمِنُ فَيُجيزُه لا يَضُرُّه، وأما المنافِقُ فيتعلَّق حتى إذا بلغ أوسَطه خَزَّ في قَدَميه فَيَهْوِي بيدِيه إلى قَدَميه» ـ قالت: فهل رأيتَ من يسعَى حافياً فتأخذهُ شوكةٌ حتى تكاد تنفذُ قَدَمَيه، فإنها كذلك يَهْوِي بيدهِ ورأسِه إلى قَدَميه، فَتَضرِبه الزبانية بخطَّافٍ في ناصِيتِه وقَدَميه، فتقذفه في جَهَنَّم، فَيَهْوِي فيها مقدارَ خمسين عاماً. قلتُ: ما ثِقَلُ الرجل؟ قالت: ثقل عشر خَلِفات سِمَان، فيومئذ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾[٢]. هذا حديث غريبٌ جداً، وفيه ألفاظ مُنكَرٌ رفعُها، وفي الإسناد مَن لم يُسَمّ، ومثله لا يُحتَجُّ به، والله أعلم.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، أي: هذه النَّارُ التي كنتمُ تُكذِّبون بوجُودِها، ها هي حاضرةٌ تُشاهِدُونها عياناً؛ يُقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً وتصغيراً وتحقيراً. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾، أي: تارة يُعَذَّبون في الجحيم، وتارةً يُسقون من الحَمِيم، وهو الشَّرابُ الذي هو كالنحاس المُذاب، يُقطِّع الأمعاءَ والأحشاءَ. وهذه كقولهِ تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿ءَانٍ﴾، أي: حَارٌّ، قد بلغ الغايَة في الحرارةِ، لا يُستطاع من شِدَّة ذلك. قال ابنُ عباس في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾، أي: قد انتهى غَلْيُه، واشتد حَرُّه. وكذا قال مجاهد وسعيد بنُ جبير، والضحَّاك، والحَسَن، والثوريُّ والسديُّ. وقال قتادةُ: قد أَنَى طبخُه منذ خَلَق الله السَّمواتِ والأرض. وقال محمد بن كعب القُرَظيُّ: يؤخذُ العبد فيُحرِّكُ بناصيتهِ في ذلك الحَمِيم، حتى يذوبَ اللَّحمُ ويبقى العظمُ والعينان في الرأس. وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾. والحميم الآن: يعني الحارّ. وعن القرظي رواية أخرى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حاضر. وهو قول ابن زيد أيضاً، والحاضر، لا ينافي ما رُوِي عن القرظي أولاً أنه الحارُّ، كقوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٥]، أي: حارّة شديدةِ الحرِّ لا تُستَطاع، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، يعني استواءه ونُضجَه. فقوله: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: حَميم حارٌّ جداً. ولما كان معاقبة العصاة المجرمين، وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وَعَدْلِهِ ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجُرهم عمَّا هُم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك، قال مُمتنّاً بذلك على بَريَّتِه: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) الشعار: ما ولي الجسد من الثياب.

(٢) إسناد ضعيف، فيه راو لم يسمّ، والمتن منكر، وهو شبه موضوع.

قال ابنُ شَوْذَبٍ، وعطاءُ الخراساني: نَزلت هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مُصَفَّى، حدثنا بقيةُ، عن أبي بكر بن أبي مَرْيَم، عن عطية بن قيس في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾: نزلت في الذي[1] قال: أحْرِقوني بالنارِ لَعَلّي أضِلُّ الله، قال: تاب يوماً وليلةً بعد أن تكلَّم بهذا، فَقَبِل الله منه، وأدخله الجنَّة. والصحيح أن هذه الآية عامَّة، قاله ابنُ عباس وغيره، يقول الله تعالى: ولمن خاف مقامَه بين يَدَي الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يوم القيامة، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، ولم يَطْغَ ولا آثر الحياةَ الدنيا، وعَلِم أن الآخرَة خيرٌ وأبقى، فأدَّى فرائِضَ الله، واجتنبَ محارمه، فله يومَ القيامةِ عند ربِّه جنتان.

[٦٤٨١] كما قال البخاري رحمه الله: حدَّثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا عبدُ العزيز بن عبد الصمد العَمِّي، حدثنا أبو عِمْران الجَوْنِيُّ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قَيس، عن أبيه: أنَّ رسُول الله ﷺ قال: «جَنّتان من فِضّةٍ، آنيتُهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلاّ رداءُ الكبرياء على وَجْهِهِ في جَنَّة عَدْنٍ»[2]. وأخرجه بقيَّةُ الجَمَاعةِ إلاّ أبا داودَ، من حَدِيث عبد العزيزِ، به.

[٦٤٨٢] وقال حمادُ بن سلمة، عن ثابت، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه ـ قال حَمَّاد: ولا أعلمه إلا قد رَفَعه ـ في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، وفي قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، قال: «جنتان من ذَهَبٍ للمقربين، وجَنَّتان من وَرِقٍ لأصحاب اليمين»[3].

[٦٤٨٣] وقال ابن جرير: حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصْري، حدثنا ابنُ أبي مَرْيَم، أخبرنا محمد بن جعفر، عن محمد بن أبي حَرْمَلة، عن عطاء بن يَسَارٍ، أخبرني أبو الدَّرداء: أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾. فقلت: وَإنْ زنى وإن سَرَق؟ فقال: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾». فقلت: وإن زَنَى وإن سَرَق يا رسول الله؟ فقال: «وإنْ رَغِمَ أنفُ أبي الدَّرْداء»[4]. رواه النسائي من حديث محمد بن أبي حَرْمَلة، به. ورواه النسائي أيضاً عن مُؤَمّل بن هشام، عن إسماعيل، عن الجُريري، عن موسى، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبي الدرداء، به. وقد روي موقوفاً على أبي الدرداء. ورُوي عنه أنه قال: إن من خاف مقام ربه لم يَزْنِ ولم يسرق. وهذه الآية عامَّة في الإنس والجنّ، فهي من أدَلّ دليلٍ على أن الجنَّ يدخلُون الجنة إذا آمنُوا واتقوا، ولهذا امتَنَّ الله تعالى على الثَّقَلين بهذا الجزاء فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم نَعَت هاتين الجنتين فقال: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾، أي:

---

(١) له قصة جاء ذكرها في حديث صحيح. وقد تقدم. لكن لا يصح كون سبب النزول كان لأجله.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٠ ومسلم ١٨٠ والترمذي ٢٥٢٨ وابن ماجه ١٨٦ وأحمد ٤/ ٤١١.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٠٨٩ وإسناده ضعيف لضعف مؤمّل بن عبد الرحمن.

(٤) حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٨٠ وأحمد ٦/ ٤٤٢ و٤٤٧ والطبري ٣٣٠٨٨ والبغوي ٤١٨٩ من طرق عن ابن أبي حرملة به، وهذا إسناد علىٰ شرط البخاري ومسلم. وكرره النسائي ٥٨١ والطبري ٣٣٠٨٧ وابن أبي عاصم في «السنة» ٩٧٥ وابن خزيمة في «التوحيد» ٥٣٣ من وجوه متعددة، وكرره الطبري ٣٣٠٩٠ و٣٣٠٩١ موقوفاً؛ ونقل الحافظ في «الفتح» ١١/ ٢٧ عن البخاري قوله: لا يصح. لكن ذكر الحافظ له طرقاً يدل علىٰ أنه حسن، بل الطريق الأول بمفرده صحيح، والله أعلم.

أغصانٍ نَضِرةٍ حسنة، تَحمِلِ من كلِّ ثمرة نضيجةٍ فائقةٍ، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة. أن الأفنان أغصانُ الشجر، يَمَسُّ بعضُها بعضاً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا مُسلم بن قُتَيبة، حدثنا عبد الله بن النُّعمان، سَمِعتُ عِكْرِمة يقول: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾، يقول: ظلُّ الأغصانِ على الحيطانِ، ألم تَسْمَع قولَ الشاعر حيث يقولُ:

ما هَاجَ شَوقَكَ من هَدِيل حَمَامةٍ ... تَدْعُو على فَنَنِ الغُصُون حماما

تَدْعُوا أبا فَرْخَيـنِ صادَفَ طَاوِياً ... ذا مِخْلَبَيـنِ مـن الصقُورِ قَطَامَا

وحكى البَغَويُّ عن مجاهد، وعكرمة، والضحَّاك، والكلبي: أنه الغصنُ المستقيمُ. قال: وحدثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا عطاء بن السائب، عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عباس: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾: ذواتا ألوانٍ. قال: ورُوي عن سعيد بن جُبَير، والحَسَن، والسديّ، وخُصَيفٍ، والنَّضرِ بن عَرَبي، وأبي سِنَانٍ مثلُ ذلك. ومعنى هذا القول أنَّ فيهما فُنوناً من الملاذِّ، واختاره ابنُ جَرير. وقال عطاءٌ: كل غُصن يجمَعُ فُنوناً من الفاكهة. وقال الربيع بن أنس: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ واسعتا الفناء. وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافاة بينها والله أعلم. وقال قتادةُ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾، يُنبِيء بفضلها وسعَتها ومَزِيَّتها على ما سِواها.

[٦٤٨٤] وقال محمدُ بن إسحاق، عن يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سَمِعتُ رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى ـ فقال: «يَسِير في ظل الفَنَن منها الراكب مئة سنةٍ ـ أو قال: يَستَظِلُّ في ظل الفنن منها مئة راكب، فيها فَرَاش الذهب، كأن ثمرها القِلالُ»[١]. رواه الترمذي من حديث يونس بنُ بُكَير، به. ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾، أي: تَسْرَحان لِسَقْي تلك الأشجارِ والأغصانِ فَتُثمِرُ من جميع الألوان، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قال الحسن البصري: إحداهما يقال لها (تَسْنِيم)، والأخرى (السَّلْسَبِيلُ). وقال عَطِية: إحداهما من ماء غير آسنٍ، والأخرى من خَمْرٍ لذَّةٍ للشاربين. ولهذا قال بعد هذا: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾، أي: مِن جَميع أنواع الثِّمارِ مما يعلَمُون وخَيرٌ مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أذن سَمِعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. قال إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس: ما في الدنيا ثمرةٌ حلوةٌ ولا مرَّةٌ إلا وهي في الجنة حتى الحنظَلة. وقال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء. يعني أنَّ بين ذلك بَوناً عَظِيماً، وفرقاً بَيِّناً في التفاضل.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

يقول تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾، يعني أهلَ الجنة. والمراد بالاتكاء ها هنا: الاضطجاعُ. ويقال: الجلوسُ على صفة التربّع. ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، وهو: ما غَلُظ من الدِّيباج. قاله عكرمة، والضحَّاك، وقتادة.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥٤١ وإسناده ضعيف، فيه عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، وأصله عند البخاري ٦٥٥٣ ومسلم ٢٨٢٨ بسياق آخر، وليس فيه ذكر «الفنن».

وقال أبو عِمْران الجوني: هو الديباج المَعْمُول بالذهب، فَنَبَّه على شرف الظُّهارة بشرف البِطانة. وهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى. قال أبو إسحاق، عن هُبَيرَة بن يَرِيم، عن عبد الله بن مسعود قال: هذه البطائِنُ فكيفَ لو رأيتُم الظُّواهر؟ وقال مالك بن دينارٍ: بطائنها من إستبرقٍ، وظواهرُها من نُورٍ. وقال سُفيان الثَّوريُّ ـ أو: شَريك ـ: بطائنها من إستَبرقٍ، وظواهرُها من نور جامدٍ. وقال القاسم بن محمد: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من الرحمة. وقال ابن شوذب، عن أبي عبد الله الشامي: ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهِرَ، وعلى الظواهر المحابس، ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله تعالى. ذكر ذلك كُلَّه الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله. ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ أي ثمرهما قريب إليهم متى شاؤوا تناولوه على أي صفة كانوا كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤]، أي: لا تمتنعُ مِمَّن تناولَها، بل تَنْحَطُّ إليه من أغصانها، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ولما ذكر الفُرش وعَظمتها قال بعد ذلك: ﴿فِيهِنَّ﴾، أي: في الفُرُش ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، أي: غَضِيضاتٌ عن غير أزواجِهِنَّ، فلا يَرَيْنَ شيئاً أحسَنَ في الجنَّةِ من أزواجِهِنَّ. قاله ابن عباس، وقتادةُ، وعطاءٌ الخراساني، وابنُ زيد.

[٦٤٨٥] وقد وَرَد أن الواحدة منهن تقولُ لِبَعلها: «والله ما أَرَى في الجَنَّةِ شيئاً أحسَنَ منك، ولا في الجنَّةِ شيءٌ أحبُّ إلي منكَ، فالحمدُ لله الذي جَعَلك لي، وجَعَلني لَكَ»(١).

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾، أي: بل هن أبكارٌ عُرُبٌ أترابٌ، لم يطأهُنَّ أحدٌ قبلَ أزواجِهِنَّ من الإنس والجن. وهذه أيضاً من الأدلة على دخولِ مُؤمِني الجنِّ الجنةَ. قال أرطاةُ بن المُنذِر: سُئِل ضمرةُ بن حَبيب: هل يدخل الجنُّ الجنةَ؟ قال: نعم، ويَنْكِحُون، للجنِّ جِنِّيَاتٌ، وللإنس إنسيَّاتٌ. وذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾. ثم قال يَنعتهُنَّ للخُطَّاب: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾، قال مجاهدٌ والحسنُ، والسدِّيُّ، وابنُ زيدٍ، وغيرهم: في صفاءِ الياقوت، وبياضِ المَرجانِ، فجعلوا المرجان ها هنا اللؤلؤ.

[٦٤٨٦] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا عَبيدة بن حُمَيد، عن عطاءِ ابن السائب، عن عَمرو بن ميمون الأودِيِّ، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من نِسَاءِ أهل الجَنَّة لَيُرى بياضُ ساقها من وراء سَبعين حُلَّةٍ من الحَرير، حتى يُرَى مُخُّها، وذلك أن الله تعالى يقولُ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ فأمَّا الياقوتُ فإنه حَجَرٌ لو أدخلتَ فيه سِلْكاً ثم استصفيتَه لرأيتَه من وَرائِهِ»(٢). وهكذا رواه الترمذيُّ من حديث عَبيدة بن حُمَيد وأبي الأحوصِ، عن عطاءِ بن السائب، به. ورَواه موقوفاً، ثم قال: «وهو أصحُّ».

[٦٤٨٧] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عَفَّان، حدثنا حَمَّاد بن سَلَمة، أخبرنا يونُس، عن محمد بن سِيرينَ، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ قال: «للرَّجُلِ من أهل الجنَّةِ زَوجتانِ من الحُورِ العين، على كلِّ واحدة سبعونَ

---

(١) هو عجز حديث أخرجه البيهقي في «البعث» ٦٦٨ من حديث أبي هريرة، وفيه راوٍ لم يسمَّ.

(٢) الراجح وقفه، أخرجه الترمذي ٢٥٣٣ والطبراني ١٠٣٢١ والطبري ٣٣١٢٣ وهناد في «الزهد» ١١ وابن حبان ٧٣٩٦ وأبو الشيخ في «العظمة» ٥٨٤ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٧٩، وإسناده ضعيف، ابن السائب اختلط. لكن الظاهر أن الوهم فيه من عبيدة بن حميد، فهو، وإن كان ثقة، فقد وصفه الحافظ بأنه ربما أخطأ، وقد خالفه غير واحد. فأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/١٠٧ والطبري ٣٣١٢٤ والترمذي ٢٥٣٤ وهناد ١٠ من أربعة طرق عن ابن السائب عن ابن ميمون عن ابن مسعود موقوفاً. فهو الراجح. والله أعلم.

حُلَّةً، يُرَى مُخُّ ساقها من وراء الثِّيابِ»[١] . تفرَّد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

[٦٤٨٨] وقد رَوَاه مسلم من حديث إسماعيل بن عُلَيَّة، عن أيوب، عن محمد بن سِيرينَ قال: إما تفاخرُوا وإما تَذَاكروا، والرجالُ أكثَرُ في الجنَّةِ أم النِّساءُ؟ فقال أبو هريرة: أوَ لَمْ يقل أبو القاسم ﷺ: «إنَّ أوَّلَ زُمرَةٍ تدخلُ الجنةَ على صورة القَمَر ليلةَ البدر، والتي تليها على أضوءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السماء، لِكلِّ امرىءٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرَى مُخُّ سُوقهما من وراء اللحم، وما في الجَنَّة أعزَبُ»[٢]؟ وهذا الحديث مُخَرَّجٌ في الصَّحِيحَين، من حديث هَمَّام بن مُنَبِّه وأبي زُرْعَة، عن أبي هُريرة رضي الله عنه.

[٦٤٨٩] وقال الإمامُ أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا محمد بن طلحةَ، عن حُمَيد، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لَغُدوةٌ في سبيل الله أو رَوحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولقابُ قَوْسِ أحَدِكم ـ أو مَوضَعُ قِدِّه ـ يعني سَوْطِهِ ـ من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو اطَّلعتِ امرأةٌ من نساءِ أهلِ الجنَّةِ إلى الأرض لملأت ما بينَهُما ريحاً، ولَطَابَ ما بينهما، ولَنَصيفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٣] . وَرَواه البخاري من حديث أبي إسحاق، عن حُمَيد، عن أَنَسٍ بنحوه.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾، أي: ما لمن أحسَن في الدنيا العمَلَ إلاَّ الإحسانُ إليه في الدارِ الآخِرَةِ. كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

[٦٤٩٠] وقال البَغَوِيُّ: أخبرنا أبو سعيد الشرَيحِيّ، حدثنا أبو إسحاق الثَّعلبي، أخبرني ابن فَنجويه، حدثنا ابن أبي شيبة، حَدَّثنا إسحاق بن إبراهيم بن بَهْرَام، حدثنا الحجاج بن يوسف المكتِبُ، حدثنا بشر بن الحُسَين، عن الزُّبير بن عَدِيٍّ، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠﴾، وقال: «هل تَدرُون ما قال رَبُّكم»؟ قالوا: الله ورسولُه أعلَمُ. قال: «يقول: هل جزاءُ مَن أنعمتُ عليه بالتوحيد إلا الجنة»[٤] . ولما كان في الذي ذُكِرَ نِعَمٌ عظيمةٌ لا يُقاوِمها عَمَلٌ، بل مُجَرَّد تفضُّلٍ وامتنانٍ، قال بعد ذلك كلِّه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٤٩١] ومما يتعلَّق بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾، ما رواه الترمذي والبَغَوي، من حديث أبي النَّضر هاشم بن القاسم، عن أبي عَقِيل الثقفي، عن أبي فَرْوَةَ يزيدَ بن سِنَان الرُّهاوِيِّ، عن بُكير بن فَيروز، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن خافَ أدلج، ومن أدْلَجَ بَلَغَ المنزِل، ألاَ إنَّ سِلعة الله غاليةٌ، ألا إنَّ سلعَةَ الله الجنةُ»[٥] . ثم قال الترمذيُّ: «غَرِيبٌ، لا نَعرِفه إلا مِن حديثِ أبي النضر».

[٦٤٩٢] وَرَوى البَغَوِيّ من حديث علي بن حجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حَرْمَلة ـ

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٣٤٥ وإسناده على شرط مسلم، وانظر ما بعده.
(٢) صحيح. تقدم في سورة الزمر آية ٧٣.
(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٩٦ وأحمد ٣/ ٢٦٤.
(٤) أخرجه البغوي في «تفسيره» ٤/ ٢٥١، وإسناده ضعيف جداً، مداره على بشر بن حسين الأصبهاني. قال البخاري: فيه نظر، وقال الدارقطني: متروك. وقال أبو حاتم: يكذب على الزبير بن عدي. وهذا رواه عن الزبير.
(٥) حسن. أخرجه الترمذي ٢٤٥٢ والحاكم ٤/ ٣٠٨ والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٢٤٩ من حديث أبي هريرة. وإسناده ضعيف، لأجل يزيد بن سنان. وتصحف عند البغوي إلى «شيبان» وللحديث شاهد من حديث أبي ابن كعب. أخرجه الحاكم ٤/ ٣٠٨ وسكت عليه، وكذا الذهبي، ورجاله ثقات، وفي عبد الله بن محمد بن عقيل كلام وحديثه حسن في الشواهد. والله أعلم.

مولى حُوَيطب بن عبد العُزّى ـ عن عطاء بن يَسار، عن أبي الدَّرداء: أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يَقُصُّ على المِنبَر وهو يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾. فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾. فقلت الثالثة: وإن زَنى وإن سَرَق يا رسولَ الله؟ فقال: «وإنْ، رَغِمَ أنفُ أبي الدرداءِ»[(١)].

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

هاتان الجنتان دون اللَّتين قبلهما في المرتبة والفَضِيلة والمنزِلة بنصّ القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٤٩٣] وقد تقدم في الحديث: «جَنَّتان من ذَهَب آنيتُهما وما فيهما، وجَنَّتان من فِضّة آنيتُهما وما فيهما، فالأُوليان للمُقرَّبين، والأُخريان لأصحاب اليَمينِ»[(٢)]. وقال أبو مُوسى: جَنَّتان من ذهب للمقرَّبين، وجنتان من فِضة لأصحاب اليمين. وقال ابن عباس: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، من دونهما في الدَّرَج. وقال ابنُ زيد: من دونهما في الفَضلِ. والدليل على شرف الأُولَيين على الأُخرَيَين وجوه أحدها: أنه نَعَت الأُوليين قبل هاتين، والتقديمُ يَدُل على الاعتناء. ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾. وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني. وقال هناك: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾، وهي الأغصان أو الفُنون في الملاذ، وقال ها هنا: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾، أي: سَوْداوان من شِدّة الرِّيِّ [من الماء]. قال ابن عباس في قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾: قد اسودّتا من الخُضرة، من شدة الرِّيِّ من المَاءِ.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا ابن فُضَيل، حدثنا عَطاء بن السائب، عن سعيد ابن جُبَير عن ابن عباس: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾، قال: خضراوان. ورُوِيَ عن أبي أيوب الأنصاري، وعبدِ الله ابن الزبير، وعبدِ الله بن أبي أوفَى، وعكرمة، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد ـ في إحدى الروايات ـ وعطاءٍ، وعطيةَ العَوفي، والحسن البصري، ويحيى بن رافع، وسُفيان الثَّوري، نحو ذلك.

وقال محمد بن كعب: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾: مُمتلِئتان من الخُضرة. وقال قتادةُ: خَضراوان من الرِّيِّ ناعمتان. ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضُها في بعض. وقال هناك: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾، وقال ها هنا: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ. أي فَيّاضتان. والجريُ أقوى من النَّضخ. وقال الضحاك: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾، أي: ممتلئتان لا تنقطعان. وقال هناك: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾، وقال ها هنا: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾، ولا شك أنّ الأولى أعمّ وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهةٍ، وهي نكرة في سياق الإثبات لا تَعُمّ. ولهذا فُسِّر قولُه: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ من باب عطف

---

(١) أخرجه البغوي ٤/ ٣٨٦ وهو حديث حسن، وتقدم.

(٢) تقدم قبل أحاديث.

الخاص على العام، كما قرره البخاريُّ وغيره، وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرَفهما على غيرهما.

[٦٤٩٤] قال عَبْدُ بن حُمَيد: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا حُصَين بن عمر، حدثنا مخارق، عن طارق بن شهاب، عن عُمَر بن الخطاب قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمَّدُ، أفي الجنة فاكهة؟ قال: «نعم فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمّانٌ»، قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ «قال: نعم وأضعاف». قالوا: فيقضون الحوائج؟ قال: «لا، ولكنهم يَعرَقُون ويَرْشَحُون، فَيُذهِب الله ما في بُطونهم من أذَىً»[١]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الفضل بن دُكَين، حدثنا سفيان، عن حَمّاد، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: نخلُ الجَنّةِ سُعَفُها كِسوَةٌ لأهلِ الجَنّة، منها مُقَطّعاتهم، ومنها حُلَلُهم، وكَرَبُها ذهب أحمر، وجُذوعها زُمُرُدٌ أخضرُ، وثَمَرُها أحلَى من العَسَل، وألينُ من الزبدِ، وليس له عَجَمٌ.

[٦٤٩٥] وحَدَّثنا أبي: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حَمّاد ـ هو ابن سَلَمة ـ عن أبي هارون، عن أبي سَعيد الخُدرِيِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «نظرتُ إلى الجَنّة فإذا الرُّمانة من رُمّانها كمِثل البَعيرِ المُقْتَب»[٢].

ثم قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾. قيل: المراد خَيرَاتٌ كثيرةٌ حَسَنة في الجنّة، قاله قتادة. وقيل: خَيراتٌ: جمع خَيْرَةٍ، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخُلُقُ الحسنة الوجه، قاله الجمهور، ورُوِي مرفوعاً عن أم سَلَمة[٣]. وفي الحديث الآخر الذي سَنُورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالىٰ: أن الحور العين يُغَنّين: نحن الخَيْرات الحسان، خُلِقنا لأزواجٍ كرام. ولهذا قرأ بعضهم: (فيهن خَيِّرات)، بالتشديد ﴿حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم قال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾، وهناك قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، ولا شكَّ أن التي قد قَصَرَتْ طَرْفَها بِنَفْسِها أفضلُ ممن قُصِرت، وإن كانَ الجَميعُ مُخَدَّراتٍ. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عَمرو بن عبد الله الأوْدِيّ، حدثنا وكيعٌ، عن سفيانَ، عن جابر، عن القاسم بن أبي بَزَّةَ، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: إنَّ لكلِّ مسلم خَيْرةً ولكلِّ خَيْرةٍ خيمةً، ولكل خَيمةٍ أربعة أبواب، يدخل عليه كل يوم تُحفَةٌ وكرامة وهَدِيّة لم تكن قبل ذلك، لا مَرِحَاتٍ ولا طَمّاحات، ولا بخِراتٍ ولا دَفِرَاتٍ، حورٌ عين، كأنّهن بيضٌ مكنونٌ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

[٦٤٩٦] قال البخاريُّ: حدثنا محمد بن المثنّى، حدثنا عبدُ العزيز بنُ عبدِ الصمَدِ، حدثنا أبو عمران الجَوْنِيُّ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قَيس، عن أبيه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنةِ خَيمةً من لؤلؤةٍ مُجَوَّفةٍ، عرضُها سِتُّون ميلاً، في كل زاويةٍ منها أهلٌ ما يَرَونَ الآخرين، يطوفُ عليهم المؤمنون»[٤]. ورواه أيضاً من حديث أبي عِمْرَان، به وقال: «ثلاثون ميلاً».

[٦٤٩٧] وأخرجه مسلم من حديث أبي عِمران، به، ولفظه: «إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ

---

(١) أخرجه عبد بن حميد والحارث كما في «المطالب العالية» ٤٦٧٧ بهذا الإسناد، ونقل الأعظمي عن البوصيري قوله: فيه حصين بن عمر، وهو ضعيف اهـ وأصل الحديث له شواهد. وإن كان ضعيفاً بهذا الإسناد، والله أعلم.

(٢) في إسناده أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين. وهو متروك الحديث، وكذبه حماد بن زيد، والجوزجاني، فالخبر واهٍ. والمقتب: الذي شُدّ عليه القتب، وهو رحل صغير على قدر سنام البعير.

(٣) هو عند الطبري ٣٣١٧٢ مختصر. وطوله الطبراني. انظر المجمع ٧/ ١١٨ ـ ١١٩ والدرر ٦/ ٢١١ ـ ٢١٢ وأعله الهيثمي بسليمان بن أبي كريمة، وقال: ضعفه ابن عدي، وأبو حاتم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٩ وانظر ما بعده.

واحدةٍ مُجَوَّفةٍ، طولُها سِتُّون ميلاً، للمؤمن فيها أهلُون يطوفُ عليهم المؤمن فلا يَرَى بعضُهم بعضاً»(١).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسنُ بن أبي الربيع، حدثنا عبد الرزَّاق، أخبرنا معمَرٌ، عن قتادة أخبرني خُلَيد العصري، عن أبي الدرداءِ قال: الخيمةُ لؤلؤةٌ واحدة، فيها سبعون باباً من دُرٍّ.

وحدثنا أبي، حدثنا عيسى بن أبي فاطِمَةَ، حدثنا جَرِير، عن هشام، عن محمد بن المثنَّى، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾، وقال: في خيام اللؤلؤ، والخيمةُ من لؤلؤة واحدةٍ، أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، عليها أربعةُ آلافِ مصراعٍ من الذَّهَب.

[٦٤٩٨] وقال عبد الله بن وَهْب: أخبرنا عَمرو أن دَرّاجاً أبا السَّمح حَدَّثه عن أبي الهيثم، عن أبي سَعيد، عن النبي ﷺ قال: «أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً الذي له ثمانونَ ألفَ خادمٍ، واثنتانِ وسبعُونَ زوجةً، وتُنصَبُ له قُبةٌ من لؤلؤ وَزبرجَدٍ وياقوت، كما بين الجابية وصنعاء»(٢). ورواه التِّرمذي من حديث عمرو ابن الحارث، به. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾: قد تقدَّم مثلُه سواءً، إلا أنه زادَ في وصف الأوائلِ بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الرفرف: المحابِسُ. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادةُ، والضحاك، وغيرهم: هي المحابسُ. وقال العلاء بن بدر: الرَّفرفُ على السرير، كهيئة المحَابَس المتدلِّي. وقال عاصم الجَحْدَريّ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾، يعني: الوَسَائد. وهو قول الحسن البصري في رواية عنه. وقال أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جُبَير في قوله تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾، قال: الرَّفرف رياضُ الجنَّةِ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾، قال ابنُ عباس، وقتادةُ، والضحاك، والسديُّ: العبقري: الزرابيّ. وقال سعيد بن جبير: هي عِتَاقُ الزرابي، يعني: جِيادَهَا. وقال مجاهد: العبقري: الديباج. وسُئِل الحسن البصري عن قوله تعالىٰ: ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾، فقال: هي بُسُط أهلِ الجنةِ ـ لا أبالَكُم ـ فاطلبوها. وعن الحسن رِوَايةٌ: أنها المَرَافق. وقال زيدُ بن أسلم: العبقريُّ: أحمرُ وأصفرُ وأخضرُ. وسئل العلاء بن زيد عن العبقريِّ فقال: البسطُ أسفلَ من ذلك. وقال أبو حَزْرَةَ يعقوبُ بن مجاهد: العبقريُّ: من ثياب أهل الجنة، لا يعرفه أحد. وقال أبو العالية: العبقريُّ: الطنافس المُخْمَلَةُ، إلى الرِّقة ما هي! وقال القُتَيبي: كل ثوب مُوَشًّى عند العرب عبقريّ. وقال أبو عُبَيدة: هو منسوبٌ إلى أرض يُعمَل بها الوشي. وقال الخليل بن أحمد: كلُّ شيءٍ نَفِيسٍ من الرِّجال وغير ذلك يُسمَّى عند العرب عَبْقَرِيّاً.

[٦٤٩٩] ومنه قولُ النبيّ ﷺ في عُمَر: «فلم أر عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فَرْيَه»(٣). وعلى كل تقدير فصفة مَرَافِقِ أهل الجَنَّتين الأُولَيين أرفعُ وأعلَى من هذه الصِّفة، فإنه قد قال هناك: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، فنعت

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم (٢٨٣٨) (٢٤) والترمذي ٢٥٢٨ وأحمد ٤/ ٤١١ وابن حبان ٧٣٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٦٢ وابن حبان ٧٤٠١، وإسناده ضعيف لأجل دراج، وبخاصة في روايته عن أبي الهيثم. وعند الترمذي علة أخرى، وهي رشدين بن سعد متروك الحديث، وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد ٢/ ٥٣٧. وقال ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ٢٢٣: فيه سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي، وشهر بن حوشب ضعفه مشهور. والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٦٦٤ و٧٠٢٢ و٧٤٧٥ ومسلم ٢٣٩٢ وأحمد ٢/ ٣٦٨ وابن أبي شيبة ١٢/ ٢١ وابن حبان ٦٨٩٨ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث.

بَطَائِنَ فُرُشِهم وسكت عن ظهائرها، اكتفاءً بما مَدَح به البطائنَ بطريق الأولى والأحرى. وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفاتِ المتقدمة: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝﴾، فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلى المراتب والنهايات، كما في حديث جبريل لما سَأَل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان. فهذه وجوهٌ عَدِيدة في تَفضِيل الجنتين الأُوليين على هاتين الأخريين، ونسألُ الله الكَرِيم الوهَّاب أن يجعلنا من أهلِ الأوليين.

ثم قال تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، أي: هو أهلٌ أن يجَلَّ فلا يُعصَى، وأن يُكرم فَيُعبَدَ، ويُشكَرَ فلا يُكفر، وأن يُذكَرَ فلا يُنسى. وقل ابن عباس: ﴿ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: ذي العَظَمةِ والكبرياءِ.

[٦٥٠٠] وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عُمَير بن هانىء، عن أبي العَذراء، عن أبي الدَّرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أجِلُوا الله يُغفر لَكُم»(١).

[٦٥٠١] وفي الحديث الآخر: «إنَّ من إجلال الله إكرامَ ذِي الشَّيبة المسلمِ، وَذِي السلطانِ، وحاملِ القرآنِ غير الغَالي فيه ولا الجافي عنه»(٢).

[٦٥٠٢] وقال الحافظ أبو يَعْلَى: حدثنا أبو يوسفَ الجيزيُّ، حدثنا مُؤمَّل بن إسماعيل، حدثنا حَمَّاد، حدثنا حُميد الطَّويل، عن أَنسٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَلِظُوا بياذا الجلال والإكرام»(٣). وكذا رواه الترمذي، عن محمود بن غَيلان، عن مُؤمَّل بن إسماعيل، عن حَمَّاد بن سلمة، به ثم قال: غلط المؤمَّل فيه، وهو غَرِيبٌ وليس بمحفوظٍ، وإنما يُروَى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ.

[٦٥٠٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاقَ، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حَسَّان المقدسي، عن ربيعةَ بن عامرٍ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَلِظُوا بِذِي الجَلاَلِ والإكرام»(٤). ورواه النسائيُّ من حديثِ عبد الله بن المُبَارَكِ، به. قال الجوهري: أَلَظَّ فُلانٌ بِفُلانٍ: إذا لَزِمه، وقولُ ابن مسعود: «أَلِظُوا بياذَا الجلاَلِ والإكْرَام» أي: الزمُوا. ويقال: الإلْظاظُ هو الإلحاحُ. قلت: وكلاهُما قريب من الآخر ـ والله أعلم ـ وهو المداومة واللزوم والإلحاحُ.

[٦٥٠٤] وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة، من حديث عبد الله بن الحارث، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سَلَّم لا يقعُد يعني بعد الصلاة إلا قَدْر ما يقول: «اللهُمَّ أنتَ السلامُ ومِنكَ السلامُ، تباركْتَ ذا الجَلاَلِ والإكرام»(٥).

آخر تفسير سُورةِ الرحمنِ، ولله الحمْدُ والمنَّةُ

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ٥/ ١٩٩ والطبراني كما في «المجمع» ١٧٦٧٦ وقال الهيثمي: فيه أبو العذراء ولم أعرفه وبقية رجال أحمد وثقوا. وقال الذهبي في الميزان: مجهول.

(٢) حديث حسن، وتقدم.

(٣) جيد. أخرجه الترمذي ٣٥٢٢ وأبو يعلى ٢٧٣٣ وإسناده ضعيف، مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٧ من وجه آخر، وفيه يزيد الرقاشي ضعيف، لكن يشهد له ما بعده.

(٤) جيد. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٨٣ وأحمد ٤/ ١٧٧ والحاكم ١/ ٤٩٨ وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناده حسن، ويتأيد بما قبله.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٥٩٢ وأبو داود ١٥١٢ والنسائي ٣/ ٦٩ و٩٥ و٩٦ والترمذي ٢٩٨ و٢٩٩ وابن ماجه ٩٢٤ وأحمد ٦/ ٦٢ وابن حبان ٢٠٠٠.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

وَهِيَ مَكِّيَّة

[٦٥٠٥] قال أبو إسحاق، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسولَ الله! قد شِبْتَ! قال: «شَيَّبَتني هودٌ، والواقعة، والمرسلاتُ، وعَمَّ يَتَساءَلُون، وإذا الشمسُ كُوِّرت»[١]. رَوَاه الترمذي وقال: «حَسَنٌ غَرِيب».

[٦٥٠٦] وقال الحافظُ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعُودٍ بسنده إلى عَمرو بن الربيع بن طَارق المِصْرِيِّ: حدثنا السَّري بن يحيى الشيباني، عن أبي شجاع، عن أبي ظبية قال: مَرِض عبد الله مَرَضه الذي تُوُفِّي فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي؟ قال: ذُنُوبي. قال: فما تَشتَهِي؟ قال: رحمةَ ربي. قال: ألا آمر لك بِطَبيب؟ قال: الطَّبيبُ أمرضني. قال: ألا آمر لك بعَطاء؟ قال: لا حاجَةَ لي فيه. قال: يكونُ لبناتِك مِن بَعدك؟ قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي يَقرأن كلَّ ليلة سورةَ الواقعةِ، إني سَمِعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كُلَّ ليلة لم تُصِبه فاقةٌ أبداً»[٢]. ثم قال ابن عساكر: كذا قال، والصواب عن شجاع، كما رواه عبد الله بن وهب، عن السَّريِّ.

[٦٥٠٧] وقال عبدُ الله بن وهب: أخبرني السَّريّ بن يحيى أنَّ شجاعاً حَدَّثه، عن أبي ظبية، عن عبد الله بن مسعود قال: سَمِعت رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورةَ الواقعةِ كل ليلة لم تُصِبه فاقةٌ أبداً»[٣]. فكان أبو ظبية لا يَدَعُها. وكذا رواه أبو يَعْلَى، عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن مُنِيب، عن السَّرِيِّ بن يحيى، عن شجاع، عن أبي ظبية عن ابن مسعود، به.

[٦٥٠٨] ثم رواه أبو يعلىٰ عن إسحاق بن أبي إسرائيل، عن محمد بن المُنِيب العَدَني، عن السري ابن يحيى، عن أبي ظبية، عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الواقعة في كلِّ ليلةٍ لم تُصِبه

---

(١) جيد. أخرجه الترمذي ٣٢٩٧ وتقدم في أول سورة هود.

(٢) ضعيف. أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» ٢٢٦ وابن الجوزي في «العلل» ١٥١ وابن السني ٦٨٠ وابن وهب كما في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٧١ والبيهقي في «الشعب» ٢٤٩٨ و ٢٤٩٩ و ٢٥٠٠ من حديث ابن مسعود، ومداره على شجاع، وهو مجهول، قال ابن الجوزي: قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع، والسري، لا أعرفهما، ونقل ابن عراق في «تنزيه الشريعة» ١/ ٣٠١ عن الذهبي في كتابه «تلخيص الواهيات» قوله: شجاع لا يدرىٰ من هو. ونقل شيخنا الأرناؤوط في «جامع الأصول» عن المنادي في «الفيض» عن الزيلعي قوله: هو معلول من وجوه. أحدها: الانقطاع ـ بين أبي ظبية وابن مسعود ـ كما بينه الدارقطني وغيره. والثاني: نكارة المتن كما ذكر أحمد. والثالث: ضعف رواته كما قال ابن الجوزي. والرابع: اضطرابه. وقد أجمع على ضعفه أحمد، وأبو حاتم، وابنه، والدارقطني وغيرهم اهـ. وكذا ابن الجوزي والذهبي. وانظر «جامع الأصول» ٧٢٥٧ والأذكار شرح ابن علان ٣/ ٢٧٩. وكذا ضعفه الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٧١ بعد أن أبان علله.

(٣) انظر تخريج الحديث السابق.

فاقة أبداً». لم يذكر في سنده «شجاعاً»، قال: وقد أمرتُ بَنَاتِي أن يَقرأنها كلَّ ليلَةٍ. وقد رواه ابن عساكر أيضاً من حديث حجاج بن نُصَير وعثمانَ بن اليَمانِ، عن السَّرِيِّ بن يحيى، عن شجاع، عن أبي فاطمة قال: مَرِض عبد الله، فأتاه عثمانُ بن عفان يعودُه، فذكر الحديث بطوله[١]. قال عثمانُ بن اليَمَان: كان أبو فاطمةَ هذا مولىً لعلي بن أبي طالب.

[٦٥٠٩] وقال أحمدُ: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا إسرائيلُ ـ ويحيى بن آدم، حدثنا إسرائيلُ ـ عن سِمَاك بن حَرْبٍ، أنه سَمِع جابر بن سَمُرَةَ يقول: كان رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي الصَّلواتِ كنحوِ من صلاتِكُم التي تُصَلُّونَ اليوم، ولكنه كان يُخَفِّف، كانت صلاته أخفَّ من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجرِ الواقعة ونحوها من السور[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾

الواقعةُ: مِن أسماءِ يوم القيامةِ، سُمِّيت بذلك لِتحقُّق كَونها ووجُودِها، كما قال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)﴾. وقولُه تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)﴾، أي: ليس لوقُوعها إذا أراد الله كونها صارفٌ يَصرِفُها، ولا دافعٌ يدفعُها، كما قال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧]، وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعارج: ١ ـ ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]. ومعنى ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كما قال محمد ابن كعب: لا بُدَّ أن تكونَ. وقال قتادة: ليس فيها مَثْنَوِيَّةٌ ولا ارتدادٌ ولا رَجعةٌ. قال ابنُ جرير: «والكاذبة» مصدر كالعاقبة والعَافِية. وقولُه تعالىٰ: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣)﴾، أي: تخفِضُ أقواماً إلى أسفل سَافلينَ إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعِزَّاء، وترفَعُ آخرينَ إلى أعلى عِلِّيين إلى النَّعِيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وُضعاء. وهكذا قال الحسن، وقتادةُ، وغيرُهما. وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا يزيدُ بن عبد الرحمن بن مُصعَب المَعْنِيُّ، حدثنا حُمَيد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن أبيه، عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: تَخفِضُ أناساً وتَرفَعُ آخرين. وقال عُبيد الله العَتَكي، عن عثمان بن سُرَاقة ابن خالة عُمَر بن الخطاب: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣)﴾، قال: الساعة خَفَضَت أعداء الله إلى النار، ورفعتْ أولياءَ الله إلى الجنَّةِ. وقال محمدُ بن كعب: تخفِض رجالاً كانوا في الدنيا مُرتفعين، وترفعُ رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين. وقال السديُّ: خَفَضت المتكبِّرين ورفعَتِ المتواضعين. وقال العَوفيّ، عن ابن عباس: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣)﴾: أسمعت القريب والبعيد، وقال عِكْرِمةُ: خَفَضت فأسمعَتِ الأدنى، ورفعت فأسمعَتِ الأقصى. وكذا قال الضَّحاكُ، وقتادةُ. وقولُه تعالىٰ: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤)﴾، أي: حُرِّكت تحريكاً فاهتزَّت واضطربَت بِطُولها وعَرْضها. ولهذا قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وقتادة، وغير واحد

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق.

(٢) جيد. أخرجه أحمد ٥/ ١٠٤ وإسناده علىٰ شرط مسلم.

في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾، أي: زُلزلت زلزالاً. وقال الربيع بن أنس: تُرَجّ بما فيها كرَجّ الغِرْبَالِ بما فيه. وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج: ١]. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥﴾، أي: فُتِّتَتْ فَتّاً. قاله ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ، وغيرهم. وقال ابنُ زيدٍ: صارتِ الجبالُ كما قال الله تعالى: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]. وقولُهُ: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾، قال أبو إسحاق، عن الحارثِ، عن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كرهَج الغُبار يسطَعُ ثم يذهَبُ، فلا يبقى منه شيءٌ. وقال العَوفيُّ، عن ابن عَبَّاسٍ في قوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾: الهباءُ الذي يَطِير من النارِ إذا اضطرمَت يطيرُ منه الشررُ، فإذا وقع لم يكُن شيئاً. وقال عكرمة: المُنبَثُّ: الذي قد ذَرته الريحُ وبَثّته. وقال قتادةُ: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ كَيَبِيس الشجرِ الذي تَذْرُوه الرِّياح. وهذه الآية كأخواتِها الدَّالَّةِ على زَوَالِ الجبال عن أماكنها يومَ القيامةِ، وذَهابها وتَسْيِيرها ونَسْفِها، وصيرُورتها كالعِهن المنفوش.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾، أي: ينقسم الناسُ يوم القيامة إلى ثلاثة أصنافٍ: قَومٌ عن يمينِ العَرش، وهم الذين خَرَجوا من شق آدم الأيمن، ويُؤتَون كُتبَهم بأيمانهم ويؤخَذُ بهم ذات اليمين. قال السديُّ: وهم جمهورُ أهل الجنة. وآخرون عن يَسَار العرش، وهم الذين خَرَجوا من شق آدَم الأيسر، ويُؤتَون كُتُبهم بشمائلهم، ويؤخَذُ بهم ذات الشمال. وهم عامَّةُ أهل النار ـ عياذاً بالله من صَنيعهم ـ وطائفةٌ سابِقُون بين يَدَيه عز وجل وهم أخصُّ وأحظىٰ وأقربُ من أصحاب اليمين الذين هم سادتُهم، فيهم الرسلُ والأنبياءُ والصدِّيقون والشهداء وهم أقلُّ عدداً من أصحاب اليمين. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. وهكذا قَسَّمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقتَ احتِضَارهم، وهكذا ذَكرهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية، وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه، كما تقدَّم بيانه. قال سفيان الثوري، عن جابر الجُعفي، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾، قال: هي التي في سورة الملائكة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾. وقال ابن جُريج، عن ابن عَبَّاس: هذه الأزواجُ الثلاثةُ هم المذكورون في آخر السورة وفي سُورة الملائكةِ. وقال يزيد الرَّقاشي: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾، قال: أصنافاً ثلاثة. وقال مجاهدٌ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾، يعني: فِرَقاً ثلاثةً. وقال ميمون بن مهران: أفواجاً ثلاثةً. وقال عُبَيد الله العَتَكِي، عن عثمان بن سُرَاقة، ابن خالةِ عمر بن الخطاب: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾: اثنانِ في الجَنَّة، وواحدٌ في النار.

[٦٥١٠] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مُحمَّد بن الصباح، حدثنا الوليد بن أبي ثَور، عن سِمَاك، عن النعمان بن بشير قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير: ٧]، قال: الضرَباء، كلُّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾، قال: هم الضُّرَباء[1].

---

(١) إسناده ضعيف لضعف الوليد، ورفعه غريب جداً وحسبه أن يكون موقوفاً.

[٦٥١١] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى، حدثنا البَرَاء الغَنَوِيّ، حدثنا الحَسَن، عن مُعاذِ بن جبل: أن رسول الله ﷺ تَلاَ هذه الآية: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾، فقبَضَ بيدِه قَبْضتَين فقال: «هذه للجنةِ ولا أُبالي، وهذه للنَّارِ ولا أُبالي»(١).

[٦٥١٢] وقال الإمام أحمدُ أيضاً: حدثنا حسن، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا خالد بن أبي عِمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «أتدرون من السَّابقُون إلى ظلِّ الله يومَ القيامةِ؟» قالوا: الله ورسولُه أعلم. قال: «الذين إذا أُعطوا الحقَّ قَبِلُوه، وإذا سُئِلُوه بَذَلُوه، وحَكَمُوا للناس كَحُكْمِهم لأنفسِهم»(٢). وقال محمد بن كعب وأبو حَزْرَة يعقوبُ بن مجاهد: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾: هم الأنبياءُ ـ عليهم السلامُ ـ. وقال السديُّ: هم أهلُ عِلِّيين. وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾، قال: يُوشَعُ بن نُونٍ، سَبَقَ إلى موسى، ومؤمن آل يس، سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبقَ إلى رسول الله ﷺ. رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاَّس، عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزَّاز، عن شُعَيب بن الضحَّاك المدائني، عن سفيان بن عُيَينة، عن ابن أبي نَجِيح، به.

وقال ابنُ أبي حاتم: وذَكَر محمد بن أبي حَمَّاد، حدثنا مهران، عن خارجة، عن قُرَّة، عن ابن سيرينَ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾، الذين صَلَّوا إلى القبلتين. ورواه ابن جرير من حديث خارجة، به. وقال الحسنُ وقتادةُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾، أي من كلِّ أُمَّةٍ. وقال الأوزاعيُّ، عن عثمان بن أبي سَوْدَةَ أنه قرأ هذه الآية. ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾، ثم قال: أولهم رَوَاحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله. وهذه الأقوال كلُّها صحيحة، فإنَّ المرادَ بالسابقين هم المبادرُونَ إلى فعل الخيراتِ كما أُمِرُوا، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فمَن سابَقَ في هذه الدنيا وسَبَقَ إلى فعل الخير كان في الآخرةِ من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاءَ من جِنْس العَمَلِ، وكما تَدِين تُدان. ولهذا قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن زكريا القَزَّاز الرازيُّ، حدثنا خارجة بن مُصعَب، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يَسَار، عن عبد الله بن عَمرو قال: قالت الملائكةُ: يا ربِّ، جعلتَ لبني آدَمَ الدنيا فهم يأكلُون ويشربُون ويتزوَّجُون، فاجعل لنا الآخرة. فقال: لا أفعلُ. فراجَعُوا ثلاثاً، فقال: لا أجعلُ مَن خلقتُ بيدَيَّ كمن قلت له: كُن، فكانَ. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾. وقد رَوَى هذا الأثر الإمام عثمانُ بن سَعِيدٍ الدارميُّ في كتابه (الرد على الجَهمية)، ولفظُه: فقال الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ: لن أجعَلَ صالح ذُرِّية مَنْ خلقتُ بيدَيَّ كمن قلت له: كُن، فكان.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣٩. وإسناده ضعيف جداً. له علتان: الحسن لم يسمع من معاذ بل توفي معاذ سنة ١٨ والحسن ولد بعد سنة (٢٠). وفيه البراء بن عبد الله الغنوي، ضعفه أحمد وابن معين وابن حبان وأبو الوليد والنسائي. وقال ابن عدي: أحاديثه عن أبي نضرة غير محفوظة. ولا أعلم أنه يروي عن غيره اهـ «الميزان». وأعله الهيثمي في «المجمع» ١١٣٩٨ بالانقطاع. وبالبراء الغنوي، لكن نقل عن ابن عدي قوله: وهو أقرب إلى الصدق منه إلى الضعف اهـ. وتقدم أنه ضعفه غير واحد. وهذا المتن منكر بذكر الآيتين، وبدونهما له شواهد كثيرة راجع «المجمع» ٧/ ١٨٦ ـ ١٨٩، والله أعلم.

(٢) ضعيف. أخرجه أحمد ٦/ ٦٩ من حديث عائشة، ورجاله ثقات سوى ابن لهيعة، فقد ضعفه الجمهور بسبب اختلاطه. والله أعلم.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقرَّبين أنهم ثُلَّة، أي: جماعةٌ من الأولين، وقليل من الآخرين. وقد اختلفُوا في المراد بقوله: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ و ﴿ٱلْآخِرِينَ﴾. فقيل: المراد بالأولين الأممُ الماضيةُ، وبالآخرين هذه الأمَّةُ. هذا روايةٌ عن مجاهد، والحسنِ البصري، رواها عنهما ابنُ أبي حاتم، وهو اختيارُ ابن جَرِيرٍ.

[٦٥١٣] واستأنسَ بقوله ﷺ: «نحن الآخِرُون السابِقُون يومَ القيامة»[١]. ولم يحكِ غيرَه، ولا عَزَاه إلى أحدٍ.

[٦٥١٤] ومما يُستأنسُ به لهذا القولِ ما رواه الإمامُ أبو محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عيسى بن الطبَّاع، حدثنا شريك، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، شَقَّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجنة، ثُلُثَ أهل الجنة، بل أنتم نصفُ أهلِ الجنة ـ أو: شطر أهلِ الجنة ـ وتُقاسِمُونهم النِّصفَ الثاني»[٢]. ورواه الإمام أحمد، عن أسود بن عامر، عن شريك، عن محمد بيَّاع المُلاءِ، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة، فذكره.

[٦٥١٥] وقد رُوِي من حديث جابر نحوُ هذا؛ رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار. حدثنا عبد ربه بن صالح، عن عُروةَ بن رُوَيم، عن جابر بن عبد الله، عن النبيِّ ﷺ: لما نزلت: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾، ذُكِر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾، قال عُمَر: يا رسول الله، ثُلَّةٌ من الأولين وقليلٌ منا؟ قال: فَأُمسِكَ آخر السورة سنة، ثم نَزَل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عُمَرُ، تَعَال فاسمَعْ ما قد أنزلَ الله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، ألا وإنَّ مِن آدَمَ إليَّ ثُلَّةٌ، وأمتي ثُلَّة، ولن نَسْتَكمِلَ ثُلُثَنا حتى نَسْتَعِين بالسودان من رعاة الإبل، ممن شَهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له»[٣]. هكذا أورَدَه في ترجمة عُرْوَة بن رُوَيم، إسناداً ومتناً، ولكن في إسناده نظر.

[٦٥١٦] وقد وَرَدت طُرُق كثيرةٌ مُتعدِّدةٌ بقوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنَّةِ»[٤]... الحديثَ بتمامه، وهو مفردٌ في صفة الجنة ولله الحمدُ والمِنَّة. وهذا الذي اختاره ابنُ جرير ها هنا فيه نظر، بل هو قولٌ ضَعِيفٌ، لأنَّ هذه الأمة هي خيرُ الأمم بنص القرآن، فيبعُد أن يكون المُقرَّبون في غيرها أكثَرَ منها،

(١) هو بعض حديث متفق عليه، وهو في فضل يوم الجمعة، وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة محمد بن عبد الرحمن وأبيه، وأخرجه أحمد ٢/ ٣٩١ عن شريك به لكن قال: عن محمد بياع الملاء عن أبيه، وهما واحد. وقال الهيثمي في «المجمع» ١/ ١١٨: محمد وأبوه لم أعرفهما.

(٣) في إسناده عبد ربه بن صالح، وثقه ابن حبان وحده. وفيه عروة بن رويم، وهو كثير الإرسال. ذكره الحافظ في «التهذيب» وأشار إلى أن روايته عن جابر قيل: إنها مرسلة اهـ والمتن غريب، وفيه نكارة.

(٤) تقدم مطولاً.

اللهُمَّ إلا أن يُقابل مجموعُ الأمم بهذه الأمّة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم، فالقولُ الثاني في هذا المقام هو الراجحُ، وهو أن يكونَ المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾، أي: من صَدْرِ هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾، أي: من هذه الأمّة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصَّباح، حدثنا عَفّان، حدثنا عبد الله بن بكر المُزَني، وسمعت الحسن أتى على هذه الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، فقال: أما السّابقون فقد مَضوا، ولكن اللهُمّ اجعلنا من أصحاب اليمين.

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السري بن يحيى قال: قرأ الحسنُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، قال: ثُلّة ممن مَضى من هذه الأمّة.

وحَدّثنا أبي، حدّثنا عبد العزيز بن المُغيرة المِنقَري، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سِيرِينَ أنه قالَ في هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، قال: كانوا يقولُون أو يرجُون أن يكونوا كلُّهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أنّ الجميع من هذه الأمة. ولا شَكَّ أن أوّل كُلّ أمة خيرٌ من آخرها، فَيحتَمِل أن تعم الآية جميع الأمم، كُلُّ أمة بحسبها.

[٦٥١٧] ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسولَ الله ﷺ قال: «خيرُ القرون قرني، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونَهم»[(١)] . . . الحديثَ بتمامه.

[٦٥١٨] فأما الحديثُ الذي رواه الإمامُ أحمدُ: حَدّثنا عبد الرحمن، حدثنا زيادُ أبو عُمَرَ، عن الحسن، عن عَمّار بن ياسر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثلُ أُمّتي مثلُ المَطرِ، لا يُدْرَى أَوّلُه خيرٌ أم آخِرُهُ»[(٢)]. فهذا الحديثُ بعدَ الحكم بصحّةِ إسناده محمولٌ على أن الدِّين كما هو محتاج إلى أوّلِ الأمةِ في إبلاغِه إلى مَن بعدهم، كذلك هو محتاجٌ إلى القائمين به في أواخرها، وتَثبيتِ الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضلُ للمتقدِّم. وكذلك الزَّرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدةَ الكبرى على الأول، واحتياجُ الزرع إليه آكَدُ، فإنه لولاه ما نَبَت في الأرض ولا تَعلّق أساسُه فيها.

[٦٥١٩] ولهذا قال ـ عليه السلامُ ـ: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرينَ على الحقّ، لا يضرُّهم من خَذَلَهم ولا من خالفهم إلى قيامِ الساعة». ـ وفي لفظ: «حَتّى يأتي أمرُ الله وهُم كذلك»[(٣)]. والغرضُ أن هذه الأمة أشرفُ من سائر الأمم، والمقرّبون فيها أكثرُ من غيرها. وأعلىَ منزلة، لِشَرَف دينها وعِظَم نَبيِّها.

[٦٥٢٠] ولهذا ثَبَت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وفي لفظ: «مع كُلِّ ألف سبعونَ ألفاً» وفي آخر: «مع كلّ واحدِ سبعُون ألفاً»[(٤)].

[٦٥٢١] وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هاشم بن مَرْثِد الطبراني، حدثنا محمد ـ هو ابنُ

---

(١) تقدم في سورة الفرقان آية ٣٨. وقوله «خير القرون» هكذا اشتهر على الألسنة، ولكنه لم يرد في حديث صحيح ولا حسن، ولكن ورد في الصحاح والسنن بلفظ: «خير الناس قرني» وبلفظ «خيركم قرني». والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٣١٩ وهو حديث حسن، له شواهد، وتقدم.

(٣) تقدم في سورة البقرة آية ١٢٩.

(٤) تقدم تخريجه.

إسماعيلَ بن عَيَّاش ـ حدثني أبي، حدثني ضَمْضَمُ ـ يعني ابن زُرعة ـ عن شُرَيح ـ هو ابن عُبَيد ـ عن أبي مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفسي بيدِه لَيُبْعَثَنَّ منكم يومَ القيامة مثلَ الليلِ الأسودِ زُمرةٌ جميعُها يُحِيطُون الأرض، تقولُ الملائكة: لَمَا جاء مع محمد ﷺ أكثرُ مما جاء مع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ»[(١)].

[٦٥٢٢] وحَسَنٌ أن يُذكَر ها هنا الحديثُ الذي رَواه الحافظُ أبو بكر البَيْهَقِيُّ في «دلائل النبوة» حيث قال: أخبرنا أبو نصر بنُ قتادَةَ، أخبرنا أبو عَمْرو بن مَطَر، حدثنا جَعفر بن محمد بن المُستَفاض الفِرْيَابِيُّ، حدثني أبو وهب الوليدُ بن عبد الملك بن عبد الله بن مُسَرِّح الحَرّانيّ، حدثنا سُلَيمان بن عطاء القُرَشي الحَرّانيّ، عن مَسْلَمَة بن عبد الله الجُهَنيّ، عن عمه أبي مَشْجَعَةَ بن ربعيّ، عن ابن زَمْل الجُهَني ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى الصبح قال وهو ثانٍ رجليه: «سبحانَ الله وبِحَمْدِهِ، وأستغفرُ الله إن الله كان تَوّاباً» ـ سبعين مرة ـ ثم يقول: «سبعين بسبعمئة، لا خير لمن كانت ذنُوبه في يوم واحدٍ أكثَرَ من سبعمئة». ثم يقول ذلك مَرّتين، ثم يستقبل الناسَ بوَجهه، وكان تُعجبُه الرؤيا، ثم يقول: «هل رأى أحدٌ منكم شيئاً»؟. قال ابن زَمْلٍ: فقلتُ: أنا يا رسول الله، فقال: «خَيْرٌ تَلَقّاه، وشَرٌّ تُوَقّاه، وخيرٌ لنا، وشرٌّ على أعدائنا، والحمد لله ربِّ العالمين، اقصُص رؤياك». فقلت: رأيتُ جميعَ الناس على طريقٍ رَحبٍ سَهل لاحِبٍ، والناسُ على الجَادَّة منطلقين، فبينما هم كذلك إذ أشفَى ذلك الطريقُ على مَرْج لم تَرَ عيني مثله يَرِفُّ رفيفاً، يقطُر ماؤه، فيه من أنواع الكلأ، قال: وكأني بالرُّعْلَة الأولى حين أشفَوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يميناً ولا شمالاً، قال: فكأني أنظر إليهم مُنطَلِقين. ثم جاءت الرّعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافاً، فلما أشفوا على المرج كَبّروا ثم أكبُّوا رَوَاحلهم في الطريق، فمنهم المُرتع، ومنهم الآخِذُ الضِّغثِ. ومَضَوا على ذلك. قال: ثم قَدم عُظْمُ الناس فلما أشفَوا على المرج كَبّروا وقالوا: هذا خيرُ المنزل. كأني أنظرُ إليهم يَميلون يميناً وشمالاً، فلما رأيتُ ذلك لَزِمتُ الطريقَ حتى آتي أقصى المَرْجِ، فإذا أنا بكَ يا رسولَ الله على مِنبَرٍ فيه سبعُ دَرَجاتٍ وأنت في أعلاها درجةً، وإذَا عن يمينك رجل آدم شَثْلٌ أقنى، إذا هو تَكَلَّم يسمُو فيفرَع الرجالَ طُولاً، وإذا عن يسارك رجلٌ رَبْعَةٌ تارٌّ كثيرُ خيلانِ الوجه، كأنما حُمِّم شعره بالماء، إذا هو تَكَلّم أصغيتُم إكراماً له، وإذا أمامَ ذلك رجلٌ شيخٌ أشبَهُ النّاسِ بكَ خَلقاً ووَجهاً، كُلُّكم تَؤُمُّونه تُريدُونَه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاءُ شارفٌ، وإذا أنت يا رسولَ الله كأنك تبعثُها. قال: فامتقع لونُ رسولِ الله ﷺ ساعة ثم سُرِّي عنه. فقال رسول الله ﷺ: «أمّا ما رأيت من الطريق السهل الرَّحب اللاحِب، فذاك ما حَمَلْتُكم عليه من الهُدَى وأنتم عليه. وأما المَرْج الذي رأيتَ فالدنيا وغَضارَةُ عَيشِها، مضيتُ أنا وأصحابي لم نتعلّق منها بشيءٍ، ولم تَتَعلق منا، ولم نُرِدها ولم تُرِدْنا. ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثرُ منا أضعافاً، فمنهم المُرتِعُ ومنهم الآخذ الضِّغث، ونَجَوا على ذلك. ثم جاء عُظْمُ الناس فمالوا في المَرْجِ يميناً وشمالاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأما أنتَ فمضيتَ على طريقةٍ صالحةٍ فلن تَزَال عليها حتى تلقاني، وأمّا المِنبر الذي رأيت فيه سبَع درجات وأنا في أعلاها درجة، فالدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ، أنا في آخرها ألفاً. وأما الرجلُ الذي رأيتَ على يميني الآدَمُ الشَثْلُ فذاك موسى ـ عليه السلام ـ، إذا تَكلّم يعلُو الرجالَ بِفَضل كلامِ الله إياه، والذي رأيتَ عن يساري التّارُّ الرَبعة الكثيرُ خِيلان الوَجه كأنما حُمِّم شعرُه بالماء فذاك عيسى ابن مريَمَ، نُكرِمه لإكرام الله إياه. وأما الشيخُ الذي رأيتَ أشبه الناسِ بي خَلقاً ووَجهاً فذاك أبُونا إبراهيم، كُلُّنا نَؤمُّه ونَقتدي به. وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثُها، فهي الساعةُ، علينا تقومُ، لا نبيَّ بعدي ولا أمّةَ بعد أمتي».

---

(١) ضعيف. أخرجه الطبراني ٣٤٥٥ وقال الهيثمي ١٨٦٨٥: فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.

قال: فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلاَّ أن يجيء الرجلُ، فيُحدِّثه بها مُتبرِّعاً[(١)].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥﴾ ـ قال ابن عباس: أي مَرمُولة بالذَّهبِ، يعني: منسوجةً به. وكذا قال مجاهد، وعكرمةُ، وسعيد بن جُبَير، وزيدُ بن أسلَمَ، وقتادةُ، والضحاك، وغيره. وقال السديُّ: مَرمُولة بالذهب واللؤلؤ. وقال عكرمة: مُشَبَّكة بالدر والياقوت. وقال ابنُ جرير: ومنه سمِّي وَضينُ الناقة التي تحت بطنها، وهو فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، لأنه مضفورٌ، وكذلك السرر في الجنة مَضفُورةٌ بالذهب واللآلىء. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦﴾، أي: وجوهُ بعضِهم إلى بعضٍ، ليس أحدٌ وراءَ أحدٍ. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧﴾، أي: مُخلَّدون على صفةٍ واحدةٍ، لا يَكبَرون عنها ولا يَشِيبون ولا يَتغيَّرون، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨﴾، أمَّا الأكوابُ فهي الكيزانُ التي لا خَراطيمَ لها ولا آذانَ، والأباريقُ: التي جمعت الوصفين. والكؤوس: الهنابات، والجميعُ من خَمرٍ من عَينٍ جاريةٍ مَعينٍ، ليس من أوعية تتقطَّع وتفرَّغ، بل من عُيونٍ سارِحَةٍ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾، أي: لا تُصَدِّع رؤوسَهم ولا تنزِفُ عقولَهم، بل هي ثابتةٌ مع الشدَّة المُطرِبة واللَّذةِ الحاصلةِ. ورَوَى الضحَّاكُ، عن ابن عباس أنه قال: في الخَمر أربعُ خِصَالٍ: السكر، والصداع، والقَيء، والبول. فَذَكر الله تعالىٰ خمرَ الجنَّةِ ونَزَّهها عن هذه الخصال. وقال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جُبَير، وعطيَّة، وقتادةُ، والسديُّ: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾، يقول: ليس لهم فيها صداعُ رأسٍ. وقالوا في قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾، أي: لا تَذهبُ بِعُقولهم. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، أي: وَيَطُوفُونَ عَلَيهم بما يَتَخيَّرون من الثِّمار. وهذه الآيةُ دليلٌ على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيُّر لها، ويدلُّ على ذلك: حديث عِكْراشِ بن ذُؤيبٍ الذي، رواه الحافظ أبو يَعلى الموصلي ـ رحِمه الله ـ في مُسنَدِه:

[٦٥٢٣] حدثنا العبَّاسُ بن الوليد النَّرسِيُّ، حدثنا العلاءُ بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سَوِيَّةَ، حدثنا عُبَيد الله بن عِكْرَاش، عن أبيه عِكْرَاش بن ذُؤَيبٍ قال: بعثني بنو مُرَّة في صَدَقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فَقَدِمْتُ المدينة فإذا هو جالسٌ بين المهاجرين والأنصار، وقَدِمتُ عليه بإبلٍ كأنها عُروق الأَرْطَى[(٢)]، قال: «مَنِ الرجل؟» قلت: عِكرَاشُ بن ذُؤَيب. قال: «ارفع في النَّسبِ»، فانتسبت له إلى مُرَّة ابن عُبيد، وهذه صَدَقة مُرَّة بنُ عبيد. فتَبَسَّم رسولُ الله ﷺ وقال: «هذهِ إبلُ قومي، هذه صَدَقاتُ قومي». ثم أَمَر بها أن تُوسَم بميسَم إبلِ الصدَقةِ وتُضمَّ إليها. ثم أَخذَ بيدي فانطلقنا إلى مَنزِل أم سَلَمة، فقال: «هل من طعام؟» فأُتينا بجفنة كثيرة الثَّريد والوَذْر[(٣)]، فجعل يأكُل منها، فأقبلت أَخبطُ بيدي في جَوَانبها، فقبضَ رسولُ الله ﷺ بيده

---

(١) ضعيف جداً. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٧/٣٦ ـ ٣٨ وابن حبان في «المجروحين» ١/٣٢٩ ـ ٣٣١ من حديث ابن زمْل الجهني. قال ابن حبان: سليمان بن عطاء شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني أشياء موضوعة، لا تشبه حديث الثقات، فلست أدري التخليط فيها منه، أو من مسلمة بن عبد الله اهـ. ومسلمة الجهني مجهول. قاله أبو حاتم كما في «التهذيب» ١٠/١٤٤ اهـ وبعض المتن منكر جداً، من ذلك «فالدنيا سبعة آلاف سنة» فهذا باطل لا أصل له. وقوله: لاحب: واسع. والجادّة: وسط الطريق. وأشفى: أشرف. والرعلة: الجماعة القليلة أو التي تتقدم غيرها. ولم يظلموا الطريق: لم يعدلوا عنها. والضغث: ملء اليد من الحشيش المختلط. وشثل: غليظ الأصابع خشنها. والأقنى: من أنفه مرتفع من الأعلى ومحدودب من الوسط. والتّار: الممتلىء الجسم. والخيلان: جمع خال، وهو الشامة. والعجفاء: الهزيلة. والشارف: المسنّة.

(٢) الأرطى: ضرب من الشجر.

(٣) الوذرة: قطعة اللحم الصغيرة، لا عظم فيها.

اليُسرى على يَدِي اليُمنى، فقال: «يا عكْرَاشُ، كُلْ مِنْ موضعٍ واحدٍ، فإنه طعامٌ واحدٌ». ثم أُتينا بطبق فيه تمرٌ ـ أو رُطَبٌ، شكَّ عبيد الله رُطَباً كان أو تمراً ـ فجعلتُ آكُلُ من بَيْنِ يَدِي، وجالت يَدُ رسولِ الله ﷺ في الطبَقِ، وقال: «يا عِكْرَاش، كُلْ من حيثُ شِئْتَ، فإنه غيرُ لونٍ واحدٍ». ثم أُتينا بماءٍ فَغَسل رسول الله ﷺ يدَه ومَسَح بِبَلَلِ كَفَّيه وَجْهَه وذِرَاعَيْه ورأسه ثلاثاً، ثم قال: «يا عكراشُ، هذا الوضوء مما غَيَّرتِ النَّارُ»[١]. وهكذا رواه الترمذيُّ مُطَوَّلاً وابنُ ماجه جميعاً، عن محمد بن بَشَّار، عن أبي الهُذَيْل العلاء بن الفَضْلِ، به. وقال الترمذي: «غريبٌ لا نَعرِفه إلا مِنْ حَدِيثه».

[٦٥٢٤] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا بَهز بن أسد وعفان ـ وقال الحافظ أبو يَعْلَى: حدثنا شيبانُ ـ قالوا: حدثنا سليمانُ بن المغيرة، حدثنا ثابتٌ قال: قال أنس: كان رسولُ الله ﷺ تُعجِبُه الرؤيا، فَرُبَّما رأى الرجلُ الرؤيا فسألَ عنه إذا لم يكُن يَعرِفه، فإذا أُثني عليه معروفٌ كان أعجَبَ لرؤياه إليه، فأتته امرأةٌ فقالت: يا رسول الله! رأيتُ كأني أُتِيتُ فَأُخرجت من المدينة فَأُدخِلتُ الجنّةَ، فَسَمعت وَجْبَةً ارتَّجت لها الجنةُ، فنظرت فإذا فلان بن فلان، وفلان بنُ فلان ـ فسَمَّت اثني عشَر رجلاً كان النبيّ ﷺ، قد بَعَث سريَّةً قبل ذلك ـ فَجِيءَ بهم عليهم ثياب طُلْس[٢] تَشْخَبُ أوداجُهم، فقيل: اذهبُوا بهم إلى نهر البيدخ ـ أو: البيذاج ـ قال: فغُمِسُوا فيه، فَخَرجُوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصَحْفةٍ من ذهب فيها بسرٌ فأكلُوا من بُسْره ما شاؤوا، فما يَقلِبونها من وجه إلا أكلُوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلتُ معهم. فجاء البشيرُ من تلك السريَّة، فقال: كان من أمرنا كذا وكذا، فأصيب فلان وفلان. حتى عدَّ اثني عشر رجلاً، فدعا رسولُ الله ﷺ المرأة فقال: «قُصِّي رؤياكِ». فَقَصَّتها، وجعلت تقول: فجيء بفلان وفلان كما قال[٣]. هذا لفظُ أبي يَعْلَى، قال الحافظُ الضياءُ: وهذا على شَرْطِ مُسلمٍ.

[٦٥٢٥] وقال الحافظُ أبو القاسم الطَّبَراني: حدثنا مُعَاذ بن المُثَنَّى، حدثنا علي بن المَدِيني، حدثنا ريحانُ بن سَعِيد، عن عَبَّاد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قِلَابَة، عن أبي أَسْمَاءَ، عن ثَوْبَانَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرجُلَ إذا نَزَع ثمرةً في الجنة عادَت مكانَها أخرى»[٤].

[٦٥٢٦] وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾؛ قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا سَيَّار بنُ حاتم، حدثنا جعفر بن سُليمان الضُّبَعي، حدثنا ثابتٌ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ طيرَ الجَنَّة كأمثالِ البُخْتِ[٥] يرعَى في شَجَر الجنَّةِ». فقال أبو بكر: يا رسولَ الله! إن هذه لَطيرٌ ناعمة. فقال: «أكلَتُها أنعَمُ منها ـ قالها ثلاثاً ـ وإني لأرجو أن تكونَ ممن يأكلُ منها»[٦]. تَفَرَّد به أحمد من هذا الوجه.

---

(١) أخرجه الترمذي ١٨٤٨ وابن ماجه ٣٢٧٤ وإسناده ضعيف، له علتان. العلاء بن الفضل، ضعفه الحافظ في «التقريب». وشيخه ابن عكراش. قال الذهبي في «الميزان» ٥٣٨٣: فيه جهالة، وقال ابن حبان: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مجهول اهـ وفي التهذيب عن البخاري قال: لا يثبت حديثه.

(٢) الثوب الأطلس: المغبرّ.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١٣٥ وإسناده على شرط مسلم، وكذا صححه الحافظ المقدسي.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٤٤٩ والبزار ٣٥٣٠ وقال الهيثمي ١٨٧٣١: ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات.

(٥) هي نوق خراسان، وما وراء النهر.

(٦) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٢٢١ وقال الهيثمي: ١٨٧٣٣: ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم، وهو ثقة اهـ. وقال الحافظ: صدوق. وجوده المنذري في «الترغيب» ٥٥٠٦، وصححه العراقي في «الإحياء» ٤/ ٥٢٤، وله شواهد.

[٦٥٢٧] وروَى الحافظ أبو عبد الله المقدِسيُّ في كتابه صِفةُ الجَنَّةِ من حديث إسماعيل بن علي الخُطَبِيّ، عن أحمد بن علي الخُيُوطي، عن عبد الجَبَّار بن عاصم، عن عبد الله بن زيادٍ، عن زُرعةَ، عن نافعٍ، عن ابن عُمَر قال: ذُكِرَتْ عند النبي ﷺ طُوبَى، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر هل بَلَغك ما طُوبَى»؟ قالَ: الله ورسولُه أعلَمُ. قال: «طُوبى شجرةٌ في الجَنَّةِ، ما يعلم طولَها إلا الله، يسيرُ الراكبُ تحتَ غُصن من أغصانها سَبعِينَ خريفاً، وَرَقها الحُلَل، يَقَعُ عليها الطيرُ كأمثال البُختِ». فقال أبو بكر: يا رسولَ الله، إنَّ هناك لطيراً ناعماً. قال: «أنعم منه مَن يأكله، وأنتَ منهم إن شاء الله»(١).

[٦٥٢٨] وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾: ذُكِر لنا أنَّ أبا بكر قال: يا رسولَ الله، إنِّي أرى طيرها ناعمةً كما أهلها ناعمونَ. قال: «مَن يأكُلها ـ والله يا أبا بكر ـ أنعَمُ منها، وإنها لأمثال البُختِ، وَإني لأحتَسِبُ على الله أن تأكُلَ منها يا أبا بكر»(٢).

[٦٥٢٩] وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني مُجاهد بن موسى، حدثنا مَعن بن عيسى، حَدَّثني ابنُ أخي ابن شهاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك: أن رسولَ الله ﷺ سُئِل عن الكَوثر فقال: «نهرٌ أعطانيه ربي ـ عزَّ وجلَّ ـ في الجنة، أشدُّ بياضاً من اللَّبنَ، وأحلَى من العَسَل، فيه طيورٌ أعناقُها يعني كأعناق الجُزُرِ». فقال عمر: إنها لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «آكِلُها أنعَمُ منها»(٣). وكذا رواه الترمذي عن عَبْد بنِ حُمَيد، عن القَعْنبي، عن محمد بن عبد الله بن مُسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس وقال: «حسن».

[٦٥٣٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثَنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطَّنافسي، حدثنا أبو معاوية، عن عُبَيد الله بن الوليد الوَصَّافي، عن عطية العَوفي، عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجنَّة لطيراً فيه سبعُون ألف رِيشَة، فيقع على صَحْفَةِ الرجل من أهل الجنة فينتفض، فيخرج من كلِّ ريشة، يعني لوناً أبيضَ من اللبن، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس منها لونٌ يُشبِه صاحبه ثم يطير»(٤). هذا حديث غريب جداً، والوَصَّافي وشيخُه ضعيفان.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث، حدثنا خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي حازم، عن عطاءٍ، عن كعبٍ قال: إنَّ طائر الجنةِ أمثالُ البُخت يَأكُلْنَ مما خُلق من ثمرات الجنة، ويَشرَبْنَ من أنهار الجنة، فَيَصْطَفِفْنَ له، فإذا اشتهى منها شيئاً أتاه حتى يَقَع بين يديه، فيأكلُ من خارِجه وداخِلِه، ثم يطير لم ينقُص منه شيءٌ. صَحِيحٌ إلى كَعبٍ.

[٦٥٣١] وقال الحسن بن عَرَفة: حَدَّثنا خلفُ بن خَلِيفة، عن حُمَيد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنك لتنظرُ إلى الطيرِ في الجنَّة فتشتهيه، فَيَخِرُّ بين يدَيك مشوِيّاً»(٥).

---

(١) إسناده ضعيف، فيه مجاهيل، وعجزه محفوظ بما قبله دون صدره.

(٢) هذا مرسل، لكن يصلح شاهداً في أحاديث الباب.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٤٢ وأحمد ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ وهناد في «الزهد» ١٣٦ والحاكم ٢/ ٥٣٧ وأبو نُعيم ٣٤٢ وإسناده صحيح، ابن أخي ابن شهاب هو محمد بن عبد الله بن مسلم، والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. والجزر: النوق.

(٤) ضعيف جداً. أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٤٠ وله علتان، عبيد الله الوصّافي، ضعيف، وكذا عطية بن سعد العوفي. ضعيف كما ذكر المصنف، والمتن منكر.

(٥) ضعيف جداً. أخرجه أبو نعيم «صفة الجنة» ٣٤١ وابن عدي ٢/ ٦٩٨ والعقيلي في «الضعفاء» ١/ ٢٦٨ وإسناده واهٍ، فيه حميد بن عطاء الأعرج، وهو ضعيف متروك، والصحيح موقوف.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: قرأ بعضهم بالرفع، وتقديره: ولهم فيها حورٌ عينٌ. وقراءة الجرّ تحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون الإعرابُ على الإتباع بما قبلَه، لقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾. كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]. والاحتمال الثاني: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلّدون عليهم الحورُ العين، ولكن يكون ذلك في القُصور، لا بين بعضهم بعَضاً، بل في الخيام يطوفُ عليهم الخُدّام بالحُورِ العينِ، والله أعلم. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾، أي: كأنهن اللؤلؤ الرَّطبُ في بَيَاضِه وصَفائه، كما تقدم في سورة الصافات: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾. وقد تقدم في سُورةِ الرّحمنِ وصفُهنّ أيضاً، ولهذا قال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾، أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازاةٌ لهم على ما أَحسنُوا من العمل. ثم قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾، أي: لا يسمَعُون في الجنة كلاماً لاغياً، أي: غثّاً خالياً من المعنى، أو مشتمِلاً على معنى حَقيرٍ أو ضَعيفٍ، كما قال: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ [الغاشية: ١١]، أي: كلمةً لاغيةً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾، أي: ولا كلاماً فيه قبحٌ، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾، أي: إلا التسليمُ منهم بعضُهم على بعضٍ. كما قال تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] وكلامهم أيضاً سالمٌ من اللّغو والإثم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

لما ذَكر تعالى مآلَ السابقين ـ وهم المُقرَّبون ـ عطفَ عليهم بذكر أصحاب اليمين ـ وهم الأبرارُ ـ كما قال ميمونُ بن مِهران: أصحابُ اليمين مَنزِلةً دونَ المقرَّبين ـ فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾، أي: أيُّ شيءٍ أصحابُ اليمين؟ وما حالُهم؟ وكيفَ مآلُهم؟ ثم فَسّر ذلك فقال تعالىٰ: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾، قال ابنُ عباسٍ، وعكرمةُ، ومجاهد، وأبو الأحوص، وقَسامة بن زُهَير، والسَّفر بن نُسَير، والحسن، وقتادةُ، وعبد الله بنُ كثير، والسديُّ، وأبو حَزْرَةَ، وغيرهم: هو الذي لا شَوْكَ فيه. وعن ابن عبّاس: هو المُوقَر بالثَّمرِ. وهو رواية عن عكرمة، ومجاهد. وكذا قال قتادة أيضاً: كنا نُحدَّث أنه المُوقر الذي لا شوك فيه. والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سِدْرَ الدنيا كثيرُ الشوْك قليلُ الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا، لا شَوْكَ فيه، وفيه الثَّمر الكَثير الذي قد أثقل أصله.

[٦٥٣٢] كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجّاد: حدثنا محمد بن محمد ـ هو البَغَوي ـ، حدثني حَمْزَة بن عباس، حدثنا عبد الله بن عثمان، حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر قال: كان أصحابُ رسول الله ﷺ يقولون: إنّ الله لينفعُنا بالأعراب ومسائلهم؛ قال: أقبل أعرابيٌ يوماً فقال: يا رسولَ الله! ذكر الله في الجنةِ شجرةً تُؤذي صاحِبَها؟ قال رسولُ الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السِّدْرُ، فإنّ له شوكاً مؤذياً فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله يقول: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾، خَضَد الله

شَوْكَه[١]، فجعل مكان كُلِّ شوكة ثَمَرةً، فإنها لتنبت ثمراً تَفَتَّقُ الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام، ما فيها لون يُشبِهُ الآخر»[٢].

[٦٥٣٣] طريق أخرى، قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن أبي داود: حدثنا محمد بن المُصَفَّى، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا يحيى بن حَمْزَة، حدثني ثَور بن يَزِيد، حدثني حَبِيب بن عُبَيد، عن عُتْبَة بن عَبْدِ السلمي قال: كنتُ جالساً مع رسولِ الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسولَ الله! أسمَعُك تذكر في الجنة شجرةً لا أعلَمُ شجرةً أكثر شوكاً منها؟ يعني الطَّلحَ. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يجعَلُ مكانَ كلِّ شوكة منها ثمرة مثل خُصْوَةِ التَّيس الملبُودِ، فيها سبعون لوناً من الطَّعام، لا يُشبِه لونُ الآخر»[٣]. وقولُهُ: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾، الطلحُ: شجَر عظام يكون بأرض الحجاز، من شَجَر العِضَاه، واحدته طلحَةٌ، وهو شجر كثير الشوك، وأنشد ابن جرير لبعض الحُدَاة:

بَـشَّـرَهـا دَلِـيـلُـهـا وقـالا: غـداً تَـرَيـنَ الـطَّـلْـحَ والْـجِـبالاَ

وقال مجاهدٌ: ﴿مَّنضُودٍ﴾، أي: مُتَراكِمُ الثَّمر، يُذَكِّر بذلك قريشاً، لأنهم كانوا يُعْجَبُونَ من وَجٍّ، وظِلاَلِه من طَلْحٍ وسِدْرٍ. وقال السديُّ: ﴿مَّنضُودٍ﴾: مصفوفٍ. قال ابن عباس: يُشبِه طلح الدنيا، ولكن له ثَمرٌ أحلَى من العَسَل. قال الجَوهري: والطَّلحُ لغةٌ في الطَّلْع. قلتُ: وقد رَوَى ابنُ أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد، عن شيخ من همْدَان قال: سَمِعت علياً يقول: هذا الحرف في ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾، قال: طَلْع منضود. فعلى هذا يكون هذا من صفة السِّدْرِ، فكأنه وصَفَه بأنه مخضُود وهو الذي لا شَوْكَ له، وأنَّ طَلْعه منضُودٌ، وهو كثرةُ ثَمَرِهِ، والله أعلم. وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا أبو معاوية، عن إدريس، عن جعفر بن إياس، عن أبي نَضْرَةَ عن أبي سعيدٍ ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾، قال: المَوْزُ. قال: ورُوِي عن ابن عباس، وأبي هُرَيرة، والحسن، وعكرمة، وقسامة بن زُهَير، وقتادة، وأبي حَزْرة، مثل ذلك. وبه قال مجاهد، وابنُ زيد ـ وزاد فقال: أهلُ اليمن يُسَمُّون الموزَ الطلحَ. ولم يحك ابنُ جرير غير هذا القول.

[٦٥٣٤] وقولُهُ تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾. قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هُريرة ـ يبلُغ به النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في الجنَّةِ شجَرةً يسيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّها مئةَ عام لا يَقطَعُها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾»[٤]. ورواه مسلم من حديث الأعرج، به.

[٦٥٣٥] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا سُرَيج، حدثنا فُلَيح، عن هِلاَل بن علي، عن عبدِ الرحمن بن أبي عَمْرة، عن أبي هريرة: قال قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنة شجرةً يَسِيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّها مئة سَنَةٍ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾»[٥]. وكذا رواه البُخاريُّ، عن محمد بن سِنَان، عن فُلَيحٍ، به. وكذا رواه عبد

---

(١) خضد العود: كسره وقطعه.

(٢) صحيح. رجاله ثقات، لكنه مرسل، وهو في «زوائد الزهد» ٢٦٣ عن صفوان به، وعزاه المنذري في «الترغيب» ٥٥١١ لابن أبي الدنيا، وقال: إسناده حسن. ووصله الحاكم ٢/ ٤٧٦ بذكر أبي أمامة، وإسناده حسن، وصححه، ووافقه الذهبي، ويشهد له ما بعده.

(٣) صحيح. وأخرجه الطبراني ١٧/ ١٣٠ وأبو نعيم ٦/ ١٠٣ وفي «صفة الجنة» ٣٤٧ من طرق عن يحيى به، وهذا إسناد صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم سوى حبيب فإنه من رجال مسلم، وقال الهيثمي ١٠/ ١٨٧٣٠: رجاله رجال الصحيح.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨١ ومسلم ٢٨٢٦ وأحمد ٢/ ٤١٨ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٤٠٣.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٥٢ وأحمد ٢/ ٤٨٢.

الرزاق، عن مَعمر، عن هَمّام بن مُنبِّه، عن أبي هُرَيرة. وكذا رواه حَمّاد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هُرَيرة. والليث ابن سعد، عن سعيد المقبريّ، عن أبيه، عن أبي هُريرة. وعوف، عن ابن سِيرِينَ، عن أبي هُرَيرَة [به].

[٦٥٣٦] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا محمد بن جعفر وحَجّاج قالا: حدثنا شُعبَةُ، سَمِعتُ أبا الضَّحّاك يُحدِّث عن أبي هُريرة، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنَّ في الجنّةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها سبعينَ، أو مئةَ سنةٍ، هي شجرة الخلد»(١).

[٦٥٣٧] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنَان، حدثنا يزيد بن هارونَ، عن محمد بن عَمرو، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيرَةَ، عن رَسُولِ الله ﷺ قال: «في الجنّةِ شجرةٌ يسيرُ الرّاكبُ في ظلِّها مئةَ عامٍ ما يقطعُها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾»(٢). إسناد جيد، ولم يُخرِجوه. وهكذا رواه ابن جرير، عن أبي كُريب، عن عَبْدَة وعبد الرحيم، عن محمد بن عمرو، به. وقد رواه التِّرمذيُّ، من حديث عبد الرحيم بن سُلَيمان، به.

وقال ابنُ جرير: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا مِهرَانُ، حدثنا إسماعيلُ بن أبي خالدٍ، عن زيادٍ مولى بني مخزوم، عن أبي هريرة قال: إنَّ في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مئةَ سنةٍ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾. فبلغ ذلك كعباً فقال: صَدَق، والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمَدٍ لو أن رَجُلاً رَكِب حِقَّةً أو جَذَعةً، ثم دَارَ بأصْلِ تلك الشجرةِ ما بَلَغها حتى يسقط هَرَماً إن الله تعالىٰ غرسها بِيَدِه ونَفَخَ فيها من رُوحِه، وإنَّ أفنانَها لمن وراء سُور الجنّةِ، وما في الجنة نهرٌ إلاّ وهو يخرُج من أصل تلك الشجرة.

[٦٥٣٨] وقال الحافظ أبو يعلَى الموصلي: حدثنا محمدُ بن مِنهالٍ الضريرُ، حدثنا يزيد بن زُرَيع، عن سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قولِ الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾، قال: «في الجنةِ شجرةٌ يسيرُ الراكبُ في ظِلِّها مئةَ عامٍ لا يقطَعُها»(٣). وكذا رواه البخاري، عن رَوح بن عبد المؤمن، عن يزيد بن زُرَيع، به، وهكذا رواه أبو داودَ الطَّيالسيُّ، عن عمران بن داود القطان، عن قتادةَ، به. وكذا رواه معمرٌ، وأبو هلال، عن قتادة، به.

[٦٥٣٩] وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسَهل بن سَعد، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنّةِ شجرةً يسيرُ الراكب الجواد المُضمَّر السَّريعُ مئةَ عامٍ ما يقطَعُها»(٤). فهذا حديثٌ ثابت عن رسول الله ﷺ، بل متواترٌ مقطوعٌ بصحَّته عند أئمة الحديث النُّقّاد، لتعدُّد طُرُقه، وقُوّةِ أسانيده، وثِقَة رِجالَه.

[٦٥٤٠] وقد قال الإمام أبو جعفر بنُ جَريرٍ: حدثنا أبو كُرَيبٍ، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حُصَين قال: كُنّا على باب في موضع، ومعنا أبو صالح وشَقِيق ـ يعني الضَّبيَّ ـ فحدَّث أبو صالح قال: حدثني أبو هُريرة قال: إنَّ في الجنة شجَرةً يسيرُ الراكبُ في ظِلِّها سبعين عاماً. قال أبو صالح: أتكَذِّب أبا هريرة؟ قال: ما

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٥٥ و٤٦٢ ولفظ «وهي شجرة الخلد» غريب في هذا المتن ولعله مدرج وتقدم الكلام علىٰ ذلك، وأصل الحديث صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٢٣ والطبري ٣٣٣٧٨ وإسناده حسن، وله طرق، لكن لفظ «واقرأوا....» مدرج من كلام أبي هريرة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٥١ والترمذي ٣٢٨٩ وأحمد ٣/ ٢٣٤ وأبو يعلىٰ ٢٩٩١ وعبد الرزاق ٢٠٨٧٦.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٥٣ ومسلم ٢٨٢٨.

أكذب أبا هُريرة، ولكني أكذبك أنت. فشَقَّ ذلك على القراء يومئذٍ[١]. قلت: فقد أبطل من كَذَّب بهذا الحديث، مع ثُبوته وصِحَّته ورَفْعِه إلى رسول الله ﷺ.

[٦٥٤١] وقال الترمِذيُّ: حدثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا زِياد بن الحسن بن الفُرات القَزّاز، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي حازم، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنّةِ شجرةٌ إلا ساقُها من ذَهَب»[٢]. ثم قال: «حسن غريب».

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا الحَسَن بن أبي الربيع، حَدَّثنا أبو عامر العَقَدي، عن زَمْعَةَ بن صالح، عن سلمة بن وَهرام، عن عكرمَةَ، عن ابن عباس قال: الظل الممدودُ شجرةٌ في الجنة على ساق ظلها قدرُ ما يسير الراكب في كُلِّ نواحيها مئة عام. قال: فيخرج إليها أهلُ الجنة، أهلُ الغُرَف وغيرهم، فيَتَحَدَّثُون في ظِلِّها. قال: فيشتهي بعضُهم ويذكر لَهْوَ الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرّك تلك الشجرة بكلِّ لَهْوٍ في الدنيا. هذا أثر غريب، وإسناده جيد قَوِيّ حسن.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجّ، حدثنا ابن يَمَان، حدثنا سفيان، حدثنا أبو إسحاق، عن عَمرو بن ميمون في قوله تعالىٰ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾، قال: سبعُونَ ألفَ سنة. وكذا رواه ابنُ جرير عن بُندار، عن ابن مهدي، عن سفيان، مثله. ثم قال ابن جرير: حدثنا ابنُ حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾، قال: خمسمئة ألف سنة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا حُصين بن نافع، عن الحسن في قول الله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ قال: في الجنة شجرةٌ يسير الراكب في ظلها مئة سنة لا يقطعها.

[٦٥٤٢] وقال عوف، عن الحسن: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجنّةِ لشجرةً يسيرُ الراكب في ظلها مئة عام، لا يقطعُها»[٣]. رواه ابن جرير. وقال شَبِيبٌ، عن عِكرمة، عن ابن عباس: في الجنة شَجَرٌ لا يَحمِلُ، يُستظَلّ بِهِ. رواه ابن أبي حاتم. وقال الضحاك، والسديُّ، وأبو حَزْرَةَ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾: لا ينقطِعُ، ليس فيها شمسٌ ولا حَرٌّ، مثل قبلِ طُلُوع الفَجْرِ. وقال ابنُ مسعودٍ: الجَنَّةُ، سَجْسَج، كما بين طُلوع الفجرِ إلى طُلُوع الشمسِ. وقد تقدَّمت الآيات كقوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله: ﴿فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]، إلى غير ذلك من الآيات. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾، قال الثوري: يَعْني يجري في غير أُخدودٍ. وقد تقدَّم الكلامُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥].. الآية، بما أغنى عن إعادته ها هنا. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، أي: وعندهُم من الفَوَاكه الكثيرةِ والمتنوّعة في الألوان ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمِعت، ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا

(١) أخرجه الطبري ٣٣٣٨٣ وقد صح مرفوعاً لكن بلفظ «مائة عام» بدل «سبعين عاماً». قلت: وشقيق أحد الخوارج، لذا أنكر ذلك.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٢٥ وابن حبان ٧٤١٠ والخطيب ٥/١٠٨ وابن أبي داود في «البعث» ٦٦ وفيه زياد بن الحسن، مختلف فيه. فقال أبو حاتم: منكر الحديث. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الدارقطني: لا بأس به، ولا يحتج به اهـ وبقية رجاله ثقات. وورد عن سلمان موقوفاً أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/٣٣٣ والبيهقي في «البعث» ٢٨٨ ـ ٢٨٩ وأبو نعيم ١/٢٠٢. ولعل الموقوف أشبه، والله أعلم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٣٨١ مرسلاً، وقد صح موصولاً كما تقدم.

﴿قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، أي: يُشبِه الشكلُ الشكلَ، ولكن الطعمَ غيرُ الطعم.

[٦٥٤٣] وفي الصحيحين في ذكر سِدْرَة المنتهى قال: «فإذا وَرَقُها كآذان الفِيَلة ونبقها مثل قِلاَل هَجَر»(١).

[٦٥٤٤] وفيهما أيضاً، من حديث مالك، عن زيد، عن عطاء بن يَسَار، عن ابن عباس قال: خُسِفت الشمس، فصلّى رسولُ الله ﷺ والناسُ معه، فذَكر الصلاة. وفيه: قالوا: يا رسولَ الله! رأيناك تناولتَ شيئاً في مَقامِكَ هذا ثم رأيناك تَكَعْكَعْتَ. قال: «إني رأيتُ الجَنّة، فتناولت منها عُنقوداً، ولو أخذته لأكلتُم منه ما بَقِيت الدنيا»(٢).

[٦٥٤٥] وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبدُ الله بن جعفر، حدثنا عُبَيد الله، حدثنا ابنُ عَقِيل، عن جابر قال: بينا نحنُ في صلاة الظهر، إذ تقدَّم رسول الله ﷺ فتقدَّمنا معه، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخَّرَ، فلما قَضَى الصلاة قال له أُبَيُّ بن كعب: يا رسولَ الله! صنعتَ اليومَ في الصلاة شيئاً ما كنتَ تصنعه؟ قال: «إنه عُرِضَتْ عليَّ الجنةُ وما فيها من الزَّهرة والنضرة، فتناولتُ منها قِطْفاً من عِنَب لآتيَكم به، فَحِيلَ بيني وبينه، ولو أتيتكُم به لأكَل منه مَن بين السَّماءِ والأرضِ لا ينقصُونه»(٣). وروى مسلم، من حديث أبي الزبير، عن جابر، نحوه.

[٦٥٤٦] وقال الإمام أحمد: حدثنا عليُّ بن بحر، حدثنا هشامُ بن يوسف، أخبرنا معمَرُ، عن يحيى ابن أبي كثير، عن عامر بن زيد البَكَاليِّ: أنه سَمِعَ عُتبةَ بن عَبْد السلَمي يقول: جاء أعرابيٌ إلى رسول الله ﷺ، فسأله عن الحوضِ وذكر الجَنّة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهةٌ؟ قال: «نعم، وفيها شَجَرَةٌ تُدعى طُوبَى»، [] فذَكَر شيئاً لا أدرِي ما هُو؟ قال: أيّ شَجَرِ أرضِنا تشبِه؟ قال: «ليست تُشبه شيئاً من شَجَر أرضِكَ؟» فقال النبي ﷺ «أتيتَ الشام؟» قال: لا. قال: «تُشبِه شجرةً بالشام تدعى الجَوزة، تَنبُت على ساقٍ واحد، وينفرِشُ أعلاها»، قال: ما عِظَمُ أصلِها؟ قال: «لو ارتحلَت جَذَعَةٌ من إبل أهلِكَ ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر تَرْقُوتها هرماً». قال: فيها عنب؟ قال: «نعم». قال: فما عظَم العنقُودِ؟ قال: «مسيرة شهر للغُراب الأبقع، لا يفترُ». قال: فما عِظَم الحَبّة؟ قال: «هل ذبح أبوك تَيساً من غَنَمه قَطُّ عظيماً؟» قال: نعم. قال: «فَسَلخ إهابَه فأعطاه أمك، فقال: اتّخذي لنا منه دَلْواً؟» قال: نعم. قال الأعرابي: فإن تلك الحبةَ لَتُشبِعُني وأهلَ بيتي؟ قال: «نعم وعامّة عَشِيرَتِكَ»(٤).

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾، أي: لا تنقطِع شتاءً ولا صيفاً، بل أكلُها دائمٌ مستمرٌ أبداً، مهما طلبُوا وجَدُوا، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء. قال قتادة: لا يَمنعهم من تَناولها عُودٌ ولا شوك ولا بُعدٌ.

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ و٣٨٨٧ ومسلم ١٦٤ ح ٢٦٤ وابن حبان ٧٤١٥ وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٩٠ و٤٣١ و٧٤٨ و٩٢٠٢ ومسلم ٩٠٧ وأبو داود ١١٨٩ والنسائي ٣/١٤٦ ـ ١٤٨ ومالك ١/١٨٦ ـ ١٨٧ وأحمد ١/٢٩٨ و٣٥٨ ـ ٣٥٩ وابن حبان ٢٨٣٢.

(٣) صحيح. إسناده حسن لأجل ابن عقيل، فإنه حسن الحديث، وتوبع عند مسلم ٩٠٤.

(٤) أخرجه أحمد ٤/١٨٣ والطبراني ١٧/١٢٦ وإسناده ضعيف لجهالة عامر بن زيد.

[٦٥٤٧] وقد تقدم في الحديث: «إذا تناول الرجلُ الثمرة عادت مكانها أخرى»(١).

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾، أي: عالية وطيئة ناعمة.

[٦٥٤٨] قال النسائي وأبو عيسى الترمذي: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا رشدين بن سعد، عن عَمرو ابن الحارث، عن دَرّاج، عن أبي الهَيْثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾، قال: «ارتفاعُها كما بين السماء والأرضِ، ومَسِيرة ما بينهما خَمسُمئةِ عام»(٢). ثم قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حَسَنٌ غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سَعدٍ قال: وقال بعضُ أهل العلم: معنى هذا الحديث: ارتفاعُ الفُرُش في الدرجات، وبعدُ ما بين الدَّرجَتين كما بين السماء والأرضِ». هكذا قال: إنه لا يُعرَفُ هذا إلا من رواية رِشدين بن سَعدٍ، وهو المصري، وهو ضعيفٌ، وهكذا رواه أبو جعفر بن جرير، عن أبي كُرَيب، عن رشدين، به. ثم رواه هو وابن أبي حاتم، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، فذكره. وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن نُعَيم بن حماد، عن ابن وهب. وأخرجه الضِياء في صفة الجنة من حديث حرملة، عن ابن وهب، به، مِثله. ورواه الإمام أحمدُ، عن حسن بن موسى، عن ابن لَهيعة، حدثنا دَرّاج، فذكره. وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو معاوية، عن جُوَيبر، عن أبي سهل ـ يعني كَثِير بن زِيَادٍ ـ عن الحسن: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾، قال: ارتفاع فراشِ الرجُلِ من أهل الجنة مَسِيرةُ ثمانين سنةً.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، جَرَى الضميرُ على غير مذكورٍ لكن لما دلَّ السياق، وهو ذِكرُ الفُرُش على النِّساءِ اللاتي يُضاجعْنَ فيها، أكتفى بذلك عن ذكرهنَّ، وعاد الضميرُ عليهنَّ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣١ ـ ٣٢]، يعني الشمسَ، على المشهور من قول المفسرين. وقال الأخفش في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾: أضمرَهُنَّ ولم يذكُرهُنَّ قبلَ ذلك. وقال أبو عبيدة: ذُكِرْنَ في قوله تعالىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾. فقولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾، أي: أعدناهنَّ في النشأة الآخرة، بعدَما كُنَّ عجائز رُمصاً صِرنَ أبكاراً عُرباً، أي: بعد الثُّيوبةِ عُدْنَ أبكاراً عُرباً، أي: مُتحبِّباتٍ إلى أزواجِهنَّ بالحَلاوةِ والظَرافةِ والمَلاحَةِ، وقال بعضهم ﴿عُرُبًا﴾، أي: غَنِجاتٍ.

[٦٥٤٩] قال موسى بن عُبَيدة الرَّبَذيّ، عن يزيدَ الرَّقاشيِّ، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾، قال: «أنشَأ عجائزَكُنَّ في الدنيا عُمْشاً رُمصاً»(٣). رواه الترمذِيُّ، وابن جرير، وابن أبي حاتم. ثم قال الترمذِيُّ: «غريبٌ، ومُوسَى ويزيدُ ضَعِيفان».

[٦٥٥٠] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمَّدُ بن عَوف الحِمْصيُّ، حدثنا آدم ـ يعني ابن أبي إيَاس ـ حدثنا شيبانُ، عن جابر، عن يَزيد بن مُرَّةَ، عن سلمة بن يَزِيدَ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ في قولِه: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ

---

(١) تقدم قبل أحاديث.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٤ والطبري ٣٣٣٩٠ من حديث أبي سعيد. قال الترمذي: حسن غريب اهـ ورشدين ضعيف لكن توبع عند الطبري ٣٣٣٩١ وغيره. وإنما مداره على دراج، وهو ضعيف، وبخاصة في روايته عن أبي الهيثم. وهذا منها، والله أعلم.

(٣) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٦ والطبري ٣٣٣٩٥ و٣٣٣٩٦ و٣٣٣٩٧ والبيهقي في «البعث» ٣٨٠ وإسناده واهٍ، موسىٰ ويزيد واهيان.

إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ ﴾، «يعني: الثيب والأبكار اللاتي كُنَّ في الدنيا»(١).

[٦٥٥١] وقال عبد بن حُميد: حدثنا مُصعَب بن المِقدام، حدثنا المُبارك بن فَضالة، عن الحسن قال: أتت عجوزٌ فقالت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يُدْخِلَني الجنة. فقال: «يا أمّ فلان، إن الجَنَّة لا تدخلها عَجوزٌ». قال: فَوَلَّت تبكي قال: «أخبِرُوها أنها لا تدخلُها وهي عَجوزٌ، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾»(٢). وهكذا رواه الترمذي في الشمائل، عن عَبْد بنِ حُميد.

[٦٥٥٢] وقال أبو القاسم الطَّبَرانيُّ: حدثنا بكر بن سهل الدِّمياطيُّ، حدثنا عَمرو بن هَاشِم البَيْرُوتيُّ، حدثنا سليمان بن أبي كَرِيمة، عن هشام بن حَسَّانَ، عن الحَسَن، عن أمه، عن أم سَلَمَة قالت: قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾، قال: «حُورٌ: بِيضٌ، عِينٌ: ضِخَامُ العُيُونِ، شُفْرُ الحوراءِ بمنزلة جناح النَّسْرِ». قلتُ: أخبِرني عن قولِهِ تعالىٰ: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾، قال: «صفاؤهُنَّ صفاءُ الدُّرِّ الذي في الأصداف، الذي لم تَمَسَّه الأيدِي». قلتُ: أخبِرني عن قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن: ٧٠]. قال: «خَيْراتُ الأخلاقِ، حِسَانُ الوجوه». قلت: أخبِرني عن قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٩]، قال: «رِقَّتُهن كَرِقَّةِ الجِلْدِ الذي رأيتِ في داخلِ البيضةِ مما يلي القِشْرَ، وهو الغِرْقِىءُ». «قلت: يا رسولَ الله! أخبِرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾. قال: «هُنَّ اللواتي قُبِضن في دار الدنيا عَجائز رُمْصاً شُمْطاً، خلقهُنَّ الله بعد الكِبر، فجعلهن عذارَى عُرُباً: مُتعشِّقاتٍ مُتحبِّباتٍ، أتراباً على ميلادٍ واحد». قلت: يا رسول الله! نساء الدنيا أفضلُ أم الحورُ العِينُ؟ «قال: بل نساءُ الدنيا أفضلُ من الحُورِ العِين، كَفَضلِ الظِّهارةِ على البِطانة». قلت: يا رسول الله، وَبِمَ ذاك؟ قال: «بصلاتهنَّ وصيامهنَّ وعبادتهنَّ الله عز وجل، ألبس الله وجوهَهُنَّ النورَ، وأجسادَهُنَّ الحريرَ، بيضَ الألوان، خُضرَ الثياب، صُفرَ الحُلي، مجامِرُهنَّ الدرُّ، وأمشاطُهُنَّ الذهَب، يَقُلْن: نحن الخالداتُ فلا نموتُ أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأسُ أبداً، ونحن المقيماتُ فلا نظعَنُ أبداً، ألا ونحنُ الراضياتُ فلا نسخَطُ أبداً، طُوبَى لمن كُنَّا له وكان لنا». قلتُ: يا رسولَ الله! والمرأة مِنَّا تَتَزَوَّجُ زوجَين والثلاثة الأربعة، ثم تموتُ فتدخل الجنة ويدخلون مَعَها، مَن يكونُ زوجُها؟ قال: «يا أمّ سلمة! إنها تُخَيَّر فتختارُ أحسنهم خُلُقاً، فتقولُ: يا ربِّ! إن هذا كانَ أحسنَ خُلقاً مَعِي فَزَوِّجْنِيه، يا أُمّ سلمة ذَهَب حسنُ الخلقِ بخير الدنيا والآخرة»(٣).

[٦٥٥٣] وفي حديث الصور الطَّويلِ المشهُورِ أنّ رسولَ الله ﷺ يشفَع للمؤمنين كلِّهم في دخولِ الجنَّةِ، فيقول الله: قد شَفَّعتُك وأذِنتُ لهم في دخولها. فكان رسولُ الله ﷺ يقول: «والذي بَعَثني بالحقِّ ما أنتم في الدنيا بأعرفَ بأزواجكم ومساكِنكم من أهل الجَنَّة بأزواجهم ومساكِنهم، فيدخلُ الرجلُ منهم على ثِنْتَيْنِ وسَبْعين زَوْجَةً، سبعين مما يُنشِئُ الله، وثِنْتَيْن من وَلَد آدمَ، لهما فَضْلٌ على مَن أنشأ الله، بعبادتهما الله في

(١) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٣٩٣ والطبراني ٦٣٢١ من حديث سلمة بن يزيد. وإسناده ضعيف جداً، لأجل جابر بن يزيد الجعفي، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ١١٣٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢٤٠ والبغوي في «التفسير» ٤/ ٢٨٣، وهو مرسل. لكن أصله صحيح، ففي الباب أحاديث.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٤٠٢ والطبراني كما في «المجمع» ١٨٧٥٥ وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٦١ من حديث أم سلمة. وقال الهيثمي: في إسناده سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف اهـ وضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: أحاديثه مناكير.

الدنيا، يدخلُ على الأُولى منهما في غُرفةٍ من ياقُوتةٍ، على سَريرٍ من ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ باللؤلؤ، عليه سبْعون زوجاً من سُنْدُس وإسْتَبْرق، وإنه ليضَع يدَه بين كَتِفَيها، ثم ينظُر إلى يَدِه من صَدْرِهَا من وَرَاءِ ثيابها وجِلْدِها ولَحْمِهَا، وإنه لينظُر إلى مُخِّ ساقِها كما ينظرُ أحدُكم إلى السِّلك في قَصَبةِ الياقُوتِ، كبدهُ لها مرآة، يعني وكبدها له مرآة، فبينما هو عِندَها لا يملها ولا تمله، ولا يأتيها من مَرَّةٍ إلا وجدَها عَذْراء، ما يَفْتر ذَكرُه ولا تشتكي قُبُلها إلا أنه لا مَنِيّ ولا مَنِيّة، فبينما هو كذلك إذ نُودِي: إنا قد عرفنا أنّكَ لا تَمَلُّ ولا تُمَلُّ، إلا أن لك أزواجاً غيرها. فيخرُج، فيأتيهنّ واحدةً واحدةً، كُلّما جاءَ واحدةً قالت: والله ما في الجنة شيءٌ أحسنُ منكَ، وما في الجنة شيءٌ أحبُّ إليّ مِنكَ»(١).

[٦٥٥٤] وقال عبد الله بن وهب: أخبرني عَمرو بن الحارث، عن دَرّاج، عن ابن حُجَيرةَ، عن أبي هُرَيْرَة، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال له: أَنَطأ في الجنة؟ قال: نعم، والذي نَفسي بيده، دَحْماً دحْماً(٢)، فإذا قام عنها رَجَعت مُطهَّرة بكراً»(٣).

[٦٥٥٥] وقال الطبرانيُّ: حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي، حدثنا محمد بن عبد الملك الدَّقيقي الواسطي، حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسِطِيُّ، حدثنا شَريك، عن عاصم الأحول، عن أبي المُتَوكِّل، عن أبي سَعِيد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أهلَ الجنّةِ إذا جامعُوا نساءَهم عُدْنَ أبكاراً»(٤).

[٦٥٥٦] وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عِمْران، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعطَى المؤمن في الجنّةِ قُوّةَ كذا وكذا في النساءِ». قلت: يا رسولَ الله! ويَطِيق ذلك؟ قال: «يُعطى قُوّةَ مئةٍ»(٥). ورَواه التِّرمذي من حديث أبي داودَ وقال: «صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

[٦٥٥٧] وَروى أبو القاسم الطبراني من حديث حُسَين بن علي الجُعفي، عن زائدةَ، عن هشام بن حَسَّان، عن محمد بن سيرينَ. عن أبي هُريرة قال: قيلَ: يا رسولَ الله، هل نصل إلى نسائنا في الجنّةِ؟ قال: «إنَّ الرجُلَ لَيَصِلُ في اليوم إلى مئةِ عذراءَ»(٦). قال الحافظ أبو عبد الله المَقْدِسيُّ: هذا الحديث عِنْدي على شَرْطِ الصحيح، والله أعلم.

وقولُهُ: ﴿عُرُبًا﴾، قال سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: يعني مُتَحَبِّبات إلى أزواجهنّ، ألم تَرَ إلى النّاقةِ الضَبعَةِ، هي كذلك. وقال الضحّاك، عن ابن عباس: العُرُب: العواشِقُ لأزواجهنّ، وأزواجُهنّ لهن عاشقون. وكذا قال عبد الله بن سَرْجِس، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وأبو العاليةِ، ويحيى بن أبي كثير، وعطيةُ، والحسنُ، وقتادةُ، والضحاكُ، وغيرهم. وقال ثَورُ بن زَيد، عن عِكْرِمَةَ قال: سُئِل ابن عباس عن قوله: ﴿عُرُبًا﴾، قال: هي المَلِقَةُ لزوجها. وقال شعبة، عن سماك، عن عِكْرَمَةَ: هي الغَنِجة. وقال الأجلح بن عبد

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» ٦٦٩ وغيره، وإسناده ضعيف، وتقدم الكلام على حديث الصور باستيفاء.

(٢) دحمهُ: دفعه بشدة.

(٣) إسناده ضعيف، لأنه من رواية درّاج عن أبي الهيثم. وتقدم تخريجه.

(٤) إسناده ضعيف جداً. أخرجه البزار ٣٥٢٧ والطبراني في «الصغير» ٢٤٩ وفيه معلىٰ بن عبد الرحمن الواسطي. وهو متروك. واتهمه الدارقطني وعلي المديني بالكذب.

(٥) حسن. أخرجه الطيالسي ٢٠١٢ وإسناده لا بأس به لأجل عمران القطان، لكن له شواهد منها الآتي.

(٦) صحيح. أخرجه الطبراني في الأوسط ٥٢٦٣ وأبو نعيم ٣٧٣ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم، وقال الضياء: علىٰ شرط الصحيح، ووافقه ابن كثير.

الله، عن عِكْرَمة: هي الشَّكِلَة. وقال صالح بن حيَّان، عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ في قوله: ﴿عُرُبًا﴾، قال: الشَّكِلَة بلغة أهل مكة، والغَنِجَةُ بلغة أهل المدينة. وقال تميم بن حَذْلَم: الحسنة التَّبَعُّلِ. وقال زيد بن أسْلم، وابنه عبد الرحمن: العُرُبُ: حَسَناتُ الكَلَامِ.

[٦٥٥٨] وقال ابنُ أبي حاتم: ذُكِر عن سهل بن عثمان العَسكري: حدثنا أبو علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «﴿عُرُبًا﴾ قال: كَلامُهُنَّ عَرَبيٌّ»(١).

وقولهُ: ﴿أَتْرَابًا﴾، قال الضَّحاك، عن ابن عباس: يعني في سِنٍّ واحدةٍ، ثلاثٍ وثلاثين سنة. وقال مجاهد: الأتراب: المستويات. وفي رواية عنه: الأمثال. وقال عطية: الأقران. وقال السديُّ: ﴿أَتْرَابًا﴾، أي: في الأخلاقِ، المتواخياتُ بينهن، ليس بينهن تباغضٌ، ولا تحاسُدٌ، يعني: لا كما كُنَّ في الدنيا ضرائرَ متعاديات. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا أبو أسامة، عن عبد الله بن الكهف، عن الحسن ومحمد: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾، قالا: المستوياتُ الأسنانِ، يَأتلِفنَ جميعاً، ويَلْعَبْن جميعاً.

[٦٥٥٩] وقد روى أبو عيسى الترمذي، عن أحمد بن مَنيع، عن أبي معاويةَ، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سَعد، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن في الجَنَّةِ لَمُجتَمعاً للحُورِ العِين، يَرفَعْنَ أصواتاً لم تَسمَعِ الخلائقُ بمثلها، يقلن: نحن الخالداتُ فلا نَبيدُ، ونحن النَّاعماتُ فلا نَبأسُ، ونحن الرَّاضِيَاتُ فلا نسخَطُ، طُوبى لمن كان لنا وكُنَّا له»(٢). ثم قال: «هذا حديثٌ غريبٌ».

[٦٥٦٠] وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عُمَر، حدثنا ابنُ أبي ذئب، عن فلان بن عَبد الله بن رافع، عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الحور العينَ لَيُغنِّينَ في الجَنَّة، يقلن: نحن خَيِّرات حسان، خُبِئْنا لأزواج كرام»(٣). قلتُ: إسماعيل بن عُمَر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات.

[٦٥٦١] وقد رَوَى هذا الحديث الإمامُ عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدُحَيم، عن ابن أبي فُدَيك، عن ابن أبي ذِئْبٍ، عن عَون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع، عن ابنٍ لأنس، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الحور العين يُغَنِّين في الجنة: نحن الحُورُ الحِسان، خلقنا لأزواج كرام»(٤). وقوله تعالىٰ: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾، أي خُلِقْنَ لأصحاب اليمين، أو: ادُّخِرْنَ لأصحاب اليمين، أو زُوِّجْنَ لأصْحَاب اليمين، والأظهر أنه مُتعلِّق بقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، فَتقديُره: أنشأناهنَّ لأصحابِ اليَمين. وهذا توجيه ابن جرير.

---

(١) إسناده ضعيف جداً. فهو منقطع بين ابن أبي حاتم، وبين سهل بن عثمان. ومنقطع أيضاً بين علي بن الحسين، وجده علي رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٦٤ وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن، وشيخه مجهول، لكن لأصله شاهد أخرجه أبو نعيم ٤٣١ من حديث ابن أبي أوفى، وإسناده ضعيف، وانظر ما بعده.

(٣) حسن. عزاه المصنف لأبي يعلى، ولعله في «المسند الكبير» وإسناده ضعيف فلان بن عبد الله، ولعل الصواب «عون» كما هو الآتي إلا أن أحد الرواة جهله فقال «فلان»، وفي الإسناد من لم يسمّ، لكن للحديث شواهد.

(٤) حسن. وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٤٣٢ و٤٣٣ والبيهقي في «البعث» ٣٧٨ وإسناده ضعيف لجهالة عون، وفيه من لم يسم، وله شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه أبو نعيم ٤٣٠ وإسناده حسن في الشواهد، وانظر «صحيح الجامع» ١٦٠٢.

رُوي عن أبي سُلَيمان الدّاراني ـ رحمه الله ـ قال: صَلّيتُ ليلةً، ثم جلستُ أدعو، وكان البردُ شديداً، فجعلتُ أدعُو بيدٍ واحدةٍ، فأخذتني عيني فنمت، فرأيتُ حوراءَ لَم يُرَ مِثلُهَا وهي تقول: يا أبا سليمانَ، أتدعُو بيدٍ واحدةٍ وأنا أُغذى لك في النعيم من خمسمئةِ سنةٍ؟! قلتُ: ويحتمل أن يكونَ قولُه: ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ مُتعَلّقاً بما قبله، وهو قوله: ﴿أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾، أي: في أسنانهم.

[٦٥٦٢] كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومُسلِم، من حديث جَرير، عن عُمارة بن القعقاع، عن أبي زُرعَةَ، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أوّلُ زُمرةٍ يدخُلُون الجنّة على صُورةِ القَمَر ليلةَ البدر، والذين يَلُونهم على ضَوءِ أشدّ كوكبٍ في السماء إضاءةً، لا يَبولُون ولا يَتغوّطون، ولا يَتفلُون ولا يَتمخّطون، أمشاطُهم الذهب، ورشحهم المِسْكُ، وَمَجامِرُهم الألَوّة، وأزواجهُم الحورُ العِين، أخلاقهم على خلق رَجُلٍ واحدٍ، على صُورةِ أبيهم آدَمَ، سِتُّون ذِراعاً في السَّماءِ»[١].

[٦٥٦٣] وقال الإمامُ أحمد: حدثنا يزيدُ بن هارونَ وعَفّان قالا: حدّثنا حماد بن سَلَمة ـ وروى الطبرانيُّ، واللفظ له، من حديث حَمّاد بن سَلَمة ـ عن علي بن جُدعان، عن سَعيد بن المُسَيّب، عن أبي هُرَيرَة قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخل أهلُ الجَنّةِ الجنّةَ جُرداً مُرداً بِيضاً جِعَاداً مُكَحّلين، أبناءَ ثلاثٍ وثلاثينَ، وهم على خَلْق آدم سِتُّون ذِراعاً في عَرْضِ سَبْعَةِ أذرع»[٢].

[٦٥٦٤] وَرَوَى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، عن عِمران القطان، عن قتادة، عن شهر ابن حَوْشَبٍ، عن عبد الرحمن بن غَنْم عن مُعَاذ بن جَبَل: أن رسولَ الله ﷺ قال: «يدخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ جُرداً مُرداً مُكَحّلين أبناء ثلاثٍ وثلاثين سَنَةً»[٣]. ثم قال: «حسنٌ غريب».

[٦٥٦٥] وقال ابن وهب: أخبرنا عمرو بن الحارث أنّ دَرّاجاً أبا السمح حَدّثه عن أبي الهيثم، عن أبي سَعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أهل الجَنّةِ من صغيرٍ أو كبيرٍ، يُرَدُّون بني ثلاث وثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار»[٤]. ورواه الترمذي عن سُوَيد بن نصر، عن ابن المبارك، عن رِشْدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، به.

[٦٥٦٦] وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا القاسمُ بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثني رَوّاد بن الجراح العَسْقَلانيُّ، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رِئَابٍ، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخلُ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ على طُولِ آدم، سِتِّين ذراعاً بذراع المَلِك! على حُسْن يوسُفَ، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد، جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحّلون»[٥].

[٦٥٦٧] وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد وعباسُ بن الوليد قالا: حدثنا عمر، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُبعَثُ أهلُ الجنّة على صورةِ

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٤٦ ومسلم ٢٨٣٤ وأحمد ٢/٣١٦.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٢/٢٩٥ وإسناده على شرط مسلم.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٤٥ بإسناد حسن في الشواهد.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٥٦٢ وابن المبارك في الزهد ٤٢٢ وإسناده ضعيف لضعف دراج عن أبي الهيثم.

(٥) إسناده ضعيف لضعف روّاد بن الجراح، وقد تفرد فيه بألفاظ منكرة لم يتابع عليها.

آدم في ميلادِ عيسى ثلاثٍ وثلاثين، جُرداً مُرداً مُكَحَّلين، ثم يُذهَبُ بهم إلى شجرة في الجنة فَيُكسَون منها، لا تَبلَى ثيابُهم ولاَ يفنى شبابُهم»[١]. وقولُه تعالىٰ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾، أي: جَماعَةٌ من الأولين، وجَماعةٌ من الآخرين.

[٦٥٦٨] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا المُنذِر بن شاذان، حدثنا محمد بن بَكّار، حدثنا سعيد بن بَشِير، عن قتادة، عن الحسن، عن عِمران بن حُصين، عن عبد الله بن مسعودٍ ـ قال: وكان بعضُهم يأخذُ عن بعض ـ قال أكْرَينا[٢] ذاتَ ليلة عندَ رسولِ الله ﷺ ثم غَدَونا عليه، فقال: «عُرِضت عليَّ الأنبياءُ وأتباعُها بأُمَمِها، فَيَمرُّ عليَّ النبيُّ والنبيُّ في العصابة، والنبيُّ في الثَّلاثة، والنبيُّ ليس معه أحد. وتَلاَ قتادة هذه الآية: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، قال: حتى مَرّ عليَّ مُوسَى بن عمران في كَبْكَبَة من بني إسرائيلَ، قال: قلتُ: رَبِّي! من هذا؟ قال: هذا أخوكَ موسى بن عمران ومن تَبِعه من بني إسرائيلَ. قال: قلتُ: ربِّ، فأين أُمّتي؟ قال: انظر عن يمينك في الظِّراب. قال: فإذا وُجُوه الرِّجال، قال: قال: أرَضِيت؟ قال: قلتُ: قد رَضِيتُ، رَبِّ. قال: انظر إلى الأفق عن يَسارِك. فإذا وُجُوه الرِّجال. قال: أرَضَيت؟ قال: قال: رَضِيتُ، ربِّ. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً، يُدخلون الجنّة بغير حساب». قال: وأنشأ عُكّاشة بن مِحْصَن من بني أسدٍ ـ قال سعيدٌ: وكان بَدْرِياً ـ قال: يا نَبِيّ الله! ادع الله أن يجعَلَني منهم. قال: فقالَ: «اللهُمّ اجعَلْهُ منهُم». قال: ثم أنشأ رجلٌ آخر، قال: يا نبي الله! ادعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «سَبَقك بها عُكّاشة». قال: فقال رسول الله ﷺ فإن استطعتم ـ فِدَاكم أبي وأمي ـ أن تكونُوا من أصحاب السبعين فافعلوا، وإلا فكونوا من أصحاب الظِّراب[٣]، وإلا فكونوا من أصحاب الأُفُق، فإني قد رأيتُ ناساً كثيراً قد تأشَّبوا أحوالهم. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا رُبُع أهل الجنة». فكَبَّرنا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنة». قال: فَكَبَّرنا، قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنة». قال: فكبَّرنا. ثم تلا رسولُ الله ﷺ هذا الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾. قال: فقلنا بيننا: مَن هؤلاء السبعُون ألفاً؟ فقلنا: هم الذين وُلِدوا في الإسلام ولم يُشركوا، قال: فَبَلَغه ذلك، فقال: «بل هم الذين لا يكتَوُون ولا يسترقُون ولا يَتَطيَّرون، وعلى ربهم يتوكَّلُون»[٤]. وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين، عن قتادة، به نحوه. وهذا الحديثُ له طُرُق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها.

[٦٥٦٩] وقال ابنُ جرير: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا مِهران، حدثنا سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «هُما جميعاً من أمتي»[٥].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٢٥٥ و«الحلية» ٣/ ٥٦ والطبراني في «الصغير» ٢/ ١٤ ورجاله رجال مسلم، وقال الحافظ في «التقريب»: اختلف في سماع هارون من أنس، وقال الهيثمي ١٠/ ٣٩٨: إسناده جيدا! والحديث محفوظ دون ذكر فقرة الشجرة. فقد تفرد به هارون في هذا الحديث، والله أعلم.

(٢) أكرىٰ: سهر في طاعة الله، وأكرىٰ الحديث: أطاله اهـ. قاموس.

(٣) الظرب: الجبل الصغير.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ١/ ٤٠١ و٤٢٠ وأبو يعلىٰ ٥٣٣٩ والطبري ٣٣٤٤٠ و٣٣٤٤١ من طرق عن قتادة به، ورجاله رجال الصحيح، لكن فيه عنعنة الحسن، وهو مدلس، وتوبع عند أحمد ٣٩٧٩ تابعه العلاء بن زياد، وهو ثقة، وللحديث شاهد عن جابر، أخرجه البزار ٣٥٤٠ و٣٥٤١ وفي أحدهما مجالد بن سعيد، وهو لين الحديث، لكن يصلح شاهداً.

(٥) أخرجه الطبري ٣٣٤٤٥ وابن عدي ١/ ٣٨٧. وإسناده ضعيف، قال ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٥٨: أبان بن =

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

لما ذكر تعالى حالَ أصحابِ اليمين، عَطَف عليهم بذكر أصحابِ الشِّمال، فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾. أي: أيُّ شيءٍ هم أصحاب الشمال؟ ثم فسَّر ذلك فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾، وهو الهواءُ الحارُّ، ﴿وَحَمِيمٍ﴾، وهو: الماءُ الحارُّ، و﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ قال ابن عباس: ظِلُّ الدُّخان. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وأبو صالح، وقتادة، والسدِّي، وغيرهم. وهذه كقوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٩ ـ ٣٤]. ولهذا قال ها هنا: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾، وهو: الدخان الأسود، ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾، أي: ليس طيِّبَ الهُبُوبِ ولا حَسَنَ المنظر، كما قال الحسنُ وقتادةُ. ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾، أي: ولا كريم المنظرِ. وقال الضحَّاك: كلُّ شرابٍ ليس بعَذْبٍ فليس بكريم. وقال ابنُ جرير: العربُ تُتْبِعُ هذه اللفظةَ في النفي، فيقولون: هذا الطَّعامُ ليس بطيِّبٍ ولا كريم، هذا اللحم ليس بسَمِين ولا كريم، وهذه الدار ليست بنظيفةٍ ولا كَريمةٍ. ثم ذَكَرَ تعالى استِحقاقَهم لذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾، أي: كانوا في الدَّار الدُّنيا مُنَعَّمِين مُقبِلين على لذَّاتِ أنفسِهم، لا يَلْوُون على ما جاءتهم به الرسل. ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ أي: يُصَمِّمون ولا يَنْوُون توبةً، ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾. وهو الكُفر بالله، وجَعْلُ الأوثانِ والأنداد أرباباً من دون الله. قال ابن عباس: الحِنثُ العظيمُ: الشِّرْكُ. وكذا قال مجاهد، وعكرمةُ، والضحاك، وقتادةُ والسُّدِّي وغيرهم. وقال الشعبي: هو اليَمِين الغَمُوس. ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾. يعني أنهم يَقُولون ذلك مُكَذِّبين به مُستبعِدين لوُقُوعه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، أي: أخْبِرْهُم يا محمد: أنَّ الأولين والآخرين من بني آدم سَيُجمَعون إلى عَرَصات القيامة، لا نُغادِر منهم أحداً، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٤ ـ ١٠٥]. ولهذا قال ها هنا: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾، أي: مُؤَقَّت بوقت مُحَدَّد، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾، وذلك أنهم يُقبَضُون ويُسجَرون حتى يأكلُوا من شَجَر الزَّقُّوم، حتى يملؤوا منها بطونَهم، ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾، وهي الإبلُ العِطَاش، واحدها أهيَم، والأنثى هَيْماء، ويقال: هائِمٌ وهائمة. قال ابن عباس، ومجاهدٌ، وسعيد بن جُبَير، وعكرمة: الهيمُ: الإبل العطاش الظِّماء. وعن عكرمة أنه قال: الهِيم: الإبلُ المِرَاض، تَمُصُّ الماء مَصّاً ولا تَرْوَى. وقال السُّدِّيُّ: الهيمُ داءٌ يأخذ الإبلَ فلا تَرْوَى

= أبي عياش، متروك. قال ورواه إسحاق والطبراني من حديث أبي بكرة، موقوفاً، ومرفوعاً. والموقوف أولى بالصواب، وعلي بن زيد ضعيف اهـ. والمتن منكر، والصواب في «الأولين» من مضى.

أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يَرْوَون من الحَمِيم أبداً. وعن خالد بن مَعْدَان: أنه كان يكرَهُ أن يشرَبَ شُرْبَ الهِيم عَبَّةً واحدةً من غير أن يَتَنَفَّس ثلاثاً. ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾، أي: هذا الذي وَصَفنا هو ضِيَافَتهم عند ربِّهم يوم حسابهم، كما قال في حقِّ المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]، أي: ضيافةً وكرامةً.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

يقولُ تعالى مُقرِّراً للمَعَاد، ورَدّاً على المكذبين به من أهل الزَّيْغ والإلحاد، من الذين قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وقولُهم ذلك صَدَرَ منهم على وَجْهِ التكذيب والاستِبْعَادِ، فقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾، أي: نحن ابتدأنا خلْقَكُم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكُوراً، أفليس الذي قَدَرَ على البَدْأَةِ بقادر على الإعادة بطريق الأَوْلى والأحرىٰ، فلهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾، أي: فهلا تُصدِّقون بالبعث! ثم قال مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، أي: أأنتم تُقِرُّونه في الأرحام وتخلُقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾، أي: صرَّفناه بينكم. ـ وقال الضحاك: ساوى فيه بين أهل السماء والأرض ـ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، أي: وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾، أي: نُغيِّر خَلْقَكم يومَ القيامة، ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: من الصِّفات والأحوال. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾، أي: قد عَلِمتُم أن الله أنشأكُم بعد أن لم تكونُوا شيئاً مذكوراً، فَخلقكم وجَعَل لكم السَّمعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ، فهلا تتذكَّرون وتعرِفون أن الذي قَدَر على هذه النشأة، وهي البَدْأَةُ، قادرٌ على النشأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٧]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧ ـ ٧٩]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٤٠].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾، وهو شَقُّ الأرضِ وإثارتُها والبَذْر فيها، ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾، أي: تُنبِتُونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾، أي: بل نحن الذين نُقِرُّه قرارَه ونُنبِتُه في الأرض.

[٦٥٧٠] قال ابنُ جرير: وَقَد حدثني أحمد بن الوليد القرشي، حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجَرْمي، حدثنا مخلَد بن الحُسَين، عن هشام، عن محمد عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولَنَّ: زَرَعتُ

ولكن قل: حرثتُ». قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[1]. ورواه البزّار عن محمد بن عبد الرحيم، عن مسلم الجَرْمي، به.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مُوسَى بن إسماعيل، حدثنا حَمّاد، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن: لا تقولوا: زَرَعنا، ولكن قولوا: حَرَثْنا. ورُوِي عن حُجْرِ المَدَرِيّ أنه كان إذا قرأ: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ وأمثالها، يقول: بل أنتَ يا ربِّ!

وقولُهُ تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾، أي: نحن أنبتناه بلُطفنا ورَحمتنا، وأبقيناه لكُم رحمة بكُم، ولو نشاءُ لجعلناه حُطاماً، أي: لأيبسناهُ قبل استوائِهِ واستِحْصادِهِ، ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾. ثم فَسَّر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، أي: لو جعلناهُ حُطاماً لظَلْتم تفَكّهون في المَقالة، تُنَوِّعون كلامَكُم، فتقولون تارةً: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ أي: لَمُلقَوْن. وقال مجاهد، وعكرمة: إنا لمُولَع بنا. وقال قَتادة: مُعَذَّبون. وتارة تقولون: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾. وقال مجاهد أيضاً: إنا لمغرمون: مُلقَون للشرِّ، بل نحن مُحارَفون، وقاله قتادة، أي: لا يَنْبُتُ لنا مالٌ، ولا يُنتجُ لنا رِبحٌ. وقال مجاهد: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾، أي: محدُودُونَ، يعني: لا حَظَّ لنا. قال ابنُ عباس، ومجاهد: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾. تَعْجَبُون. وقال مجاهد أيضاً: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تفجَعُون وتحزَنُون على ما فاتكم من زَرْعِكم. وهذا يرجع إلى الأول، وهو التعجُّب من السَّببِ الذي من أجله أُصِيبُوا في مالهم. وهذا اختيار ابن جرير. وقال عكرمة: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تلاومون. وقال الحسن، وقتادة، والسديُّ: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾، تَندَمُون. ومعناه إمّا على ما أنفقتم، أو على ما أسلفتُم من الذنوب. قال الكسائي: تَفَكَّه من الأضداد، تقولُ العربُ: تفكَّهْتُ بمعنى تَنَعَّمْتُ، وتَفَكَّهتُ بمعنى حَزِنت.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾، يعني: السَّحابُ. قاله ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وغير واحد. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾، يقول: بل نحنُ المنزلون. ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾، أي: زُعاقاً مُرّاً لا يصلُح لشُربٍ ولا زرعٍ، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾، أي: فهلاّ تشكرون نعمةَ الله عليكم في إنزاله المطَرَ عليكم عَذْباً زُلالاً! ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحل: ١٠ ـ ١١].

[٦٥٧١] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عُثمان بن سَعيد بن مُرَّة، حدثنا فُضَيل بن مرزُوق، عن جابرٍ، عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ: أنه كان إذا شَرِب الماءَ قال: «الحمدُ لله الذي سقاناه عَذْباً فراتاً برَحمتِهِ، ولم يجعله مِلْحاً أجاجاً بذُنُوبنا»[2].

ثم قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١﴾، أي: تَقدحُون من الزِّناد، وتَسْتخرِجُونها من أصلِها، ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾، أي: بل نحن الذين جَعَلناها مُودعَةً في مَوضِعها، وللعَرَب شجرتان،

---

(١) أخرجه البزار ١٢٨٩ «كشف» وابن حبان ٥٧٢٣ والطبري ٣٣٤٩٢ وأبو نعيم ٨/ ٢٦٧ والبيهقي ٦/ ١٣٨ وفي «الشعب» ٥٢١٧ و٥٢١٨، وإسناده حسن رجاله ثقات معروفون سوى مسلم بن أبي مسلم الجرمي، وقد وثقه ابن حبان والخطيب في «تاريخ بغداد» ١٣/ ١٠٠ وصحح إسناده الشيخ شعيب في «الإحسان» وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ٤/ ١٢٠: مسلم بن أبي مسلم لم أجد من ترجمه! وقال البيهقي في «السنن» ٦/ ١٣٨ غير قوي وأسنده عن مجاهد من قوله اهـ. قلت: الإسناد من جهة الصنعة قوي، مسلم الجرمي روى عنه غير واحد من الثقات وقد وثقه الخطيب وابن حبان، ومن فوقه رجال مسلم، لكن يُخشى الوهم في رفعه، والله أعلم؛ فقد ورد من قول مجاهد ومن قول أبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) ضعيف جداً. فهو معضل. ومع ذلك فيه جابر وهو ابن يزيد الجعفي، ضعيف. وكذبه أبو حنيفة.

إحداهما: المَرْخُ، والأخرى: العَفَار، إذا أُخِذَ منهما غصنان أخضران فَحُكَّ أحدُهما بالآخر تناثَرَ مِن بينِهما شَرَرُ النَّارِ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾، قال مجاهد، وقتادةُ: أي تُذَكِّر النارَ الكبرى.

[٦٥٧٢] قال قتادة: ذُكِر لنا أنّ رسول الله ﷺ قال: «ناركُم هذه التي تُوقِدون جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جَهنَّم». قالوا: يا رسول الله! إن كانت لكافية! قال: قد ضُرِبت بالماء ضَربتَين أو: مَرَّتَين ـ حتى يستنفع بها بنو آدم ويَدْنُوا منها»[١].

[٦٥٧٣] وهذا الذي أرسَله قتادة، قد رَوَاه الإمامُ أحمدُ في مُسنَده فقال: حدثنا سفيانُ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرَجِ، عن أبي هُرَيرة، عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ نَارَكُم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضُرِبت بالبحر مَرَّتين، ولولا ذلك ما جَعَل الله فيها منفعة لأحدٍ»[٢].

[٦٥٧٤] وقال الإمام مالك، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيرة أن رسول الله ﷺ قال: «نارُ بني آدَم التي يُوقِدُون جزءٌ من سبعينَ جزءاً من نارِ جهنَّم». فقالوا: يا رسولَ الله! إن كانت لكافيةً. فقال: «إنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً»[٣]. رواه البخاري من حديث مالك، ومسلم من حديث أبي الزناد. ورواه مسلم، من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَر عن هَمَّام، عن أبي هُرَيرة، به: وفي لفظ: «والذي نفسي بيده، لقد فُضِّلت عليها بتسعةٍ وستين جزءاً، كُلُّهن مثل حَرِّها»[٤].

[٦٥٧٥] وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمدُ بن عَمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَامي، حدثنا مَعن بن عيسى القَزّاز، عن مالك، عن عمه أبي السهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتَدرُون ما مَثَلُ نارِكم هذه مِن نارِ جَهَنَّم؟ لهي أشد سواداً من نارِكم هذه بسبعين ضِعفاً»[٥]. قال الضِّياء المَقْدسي: وقد رَوَاه ابن مصعب، عن مالك، ولم يرفعه، وهو عندي على شرط الصحيح.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادةُ، والضَّحَّاك، والنَّضرُ بن عَرَبي: معنى «المُقْوين»: المسافرين، واختاره ابنُ جرير، وقال: ومنه قولهم: أقوتِ الدَّارُ إذا رَحَل أهلها. وقال غيره: القِيُّ والقَوَاءُ: القفر الخالي البعيد من العمران. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: المقوي هنا الجائع. وقال ليث بن أبي سُليم، عن مجاهد: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾: للحَاضِر والمُسَافِرِ، لكلِّ طعام لا يُصْلِحهُ إلا النار. وكذا رَوَى سفيان، عن جابر الجعفي، عن مجاهد. وقال ابن أبي نَجِيح، عن مُجَاهِدٍ قوله: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: للمُسْتَمتِعين، الناس أجْمَعين. وكذا ذُكِر عن عِكْرِمَة. وهذا التفسيرُ أعمُّ من غيره، فإن الحاضِرَ والبادِيَ من غنِيٍّ وفَقِيرٍ الكلُّ محتاجُون للطَّبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع. ثم من لُطفِ الله تعالى أن أودَعَها في الأحجار، وخالِصِ الحَدِيد، بحيث يَتَمَكَّن المسافر من حَمْلِ ذلك في متاعه وبين ثِيابه،

---

(١) أخرجه الطبري ٣٣٥١٢ مرسلاً، لكن يتأيد بما بعده.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٤٤ وابن حبان ٧٤٦٣ والحميدي ١١٢٩ وإسناده على شرط البخاري ومسلم، لكن لفظ «ضربت...» غريب، والحديث متفق عليه دون هذه الزيادة، والله أعلم.

(٣) متفق عليه وتقدم تخريجه في سورة التوبة عند الآية ٨١.

(٤) أخرجه مسلم بإثر ٢٨٤٣، وتقدم.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٤٨٩ وإسناده صحيح، إبراهيم من رجال البخاري ومن فوقه رجال الشيخين، لكن أشار الضياء إلى أنه روي موقوفاً، ولعله أشبه فالمشهور تضعيف الحرارة سبعين ضعفاً، والله أعلم.

فإذا احتاجَ إلى ذلك في مَنْزِله أخرجَ زَنْدَه وأورَى، وأوقَد نارَه فاطَّبخ بها واصطَلى، واشتوَى واستأنَس بها، وانتفع بها سائِرَ الانتفاعاتِ. فلهذا أُفرِد المسافرون وإن كان ذلك عامًا في حَقِّ الناس كُلِّهم.

[٦٥٧٦] وقد يُستَدَلُّ له بما رواه الإمام أحمدُ وأبو داودَ من حديث أبي خِدَاش حِبَّانَ بن زَيد الشَّرْعَبِيِّ الشَّاميِّ، عن رَجُلٍ من المهاجرين من قَرَنٍ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «المسلمون شُرَكاءُ في ثلاثة: النَّارُ، والكَلأُ، والماء»[١].

[٦٥٧٧] وروى ابن ماجه بإسناد جَيِّد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ لا يُمنَعْنَ: الماء، والكَلأُ، والنار»[٢].

[٦٥٧٨] وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثلُ هذا، وزيادةُ: «وثَمَنُه حرام»[٣]. ولكن في إسناده عبدُ الله بن خِرَاش بن حَوْشب وهو ضعيف، والله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾، أي: الذي بِقُدرته خلَق هذه الأشياءَ المختلفةَ المتضادَّة: الماءَ العذبَ الزلالَ البارد، ولو شاء لجعله مِلْحاً أُجاجاً كالبحارِ المُغرِقة. وخلَق النار المُحرِقة، وجعل ذلك مصلحةً للعباد، وجعل هذه منفعةً لهم في مَعَاشِ دُنياهم، وزاجراً لهم في المَعَادِ.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾

قال جُوَيبر، عن الضَّحَّاك: إن الله لا يُقسِم بشيء من خلقه، ولكنه استفتاحٌ يَستفتِحُ به كلامَه. وهذا القولُ ضعيفٌ. والذي عليه الجمهورُ أنه قسم من الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يُقسِم بما شاء من خَلْقِه، وهو دليل على عظمته. ثم قال بعض المفسرين: (لا) ها هنا زائدة، وتقديره: أُقسِم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير، عن سعيد بن جُبَير. ويكون جوابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾. وقال آخرون: ليست (لا) زائدة لا معنى لها، بل يؤتى بها في أول القَسَم إذا كان مُقسَماً به على مَنفيّ.

[٦٥٧٩] كقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «لا، والله مَا مَسَّت يَدُ رسول الله ﷺ يدَ امرأة قطُّ»[٤]. وهكذا ها هنا تقدير الكلام: لا. أقسمُ بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحرٌ أو كهانة، بل هو قرآن كريم. وقال ابن جرير: وقال بعضُ أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾، فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد فقيل: أقسم. واختلفُوا في معنى قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ فقال حكيم بن جُبَير، عن سَعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: يعني نجومَ القرآن، فإنه نَزَل جملةً ليلةَ القدرِ من السماء العُليا إلى السَّماءِ الدُّنيا، ثم نَزَل مُفرّقاً في السِّنينَ بعدُ. ثم قرأ ابن عباس هذه الآية.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٦٤ وأبو داود ٣٤٧٧ وإسناده صحيح، وجهالة الصحابي لا تضر، وله شواهد.

(٢) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٣، وفي «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، رجاله موثقون.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٢ من حديث ابن عباس. وأعله البوصيري في «الزوائد» بقوله: عبد الله بن خراش ضعفه أبو زرعة والبخاري وغيرهما وقال محمد بن عمار الموصلي: كذاب اهـ. والوهن في لفظ «وثمنه حرام» فقط. فإن الحديث بدون هذه الزيادة له شواهد كما ترى.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٧١٣ ومسلم ١٨٦٦ وغيرهما، وتقدم.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: نَزَل القرآنُ من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السَّفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجَّمته السَّفرةُ على جبريل عشرينَ ليلةً، ونجَّمه جبريلُ على محمد ﷺ عشرينَ سنةً، فهو قولُه: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾: نجومِ القرآن. وكذا قال عِكْرِمة، ومجاهدٌ، والسُّديُّ، وأبو حَزْرَة. وقال مجاهدٌ أيضاً: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ في السماء، ويقال: مَطَالعها ومشارقها. وكذا قال الحسنُ، وقتادةُ: وهو اختيارُ ابنِ جَرير. وعن قتادة: مواقعُها: منازِلُها. وعن الحسن أيضاً: أن المراد بذلك انتثارُها يومَ القيامة. وقال الضحاك: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾، يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهليةِ إذا مُطِروا قالوا: مُطِرنا بنَوْءِ كذا وكذا. وقولُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾، أي: وإن هذا القسم الذي أقسمتُ به لَقَسمٌ عظيمٌ، لو تعلمونَ عظمتَه لَعَظَّمتُم المُقسَم به عليه، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾، أي: إن هذا القرآن الذي نَزَل على محمدٍ لَكِتابٌ عظيمٌ. ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ أي: مُعَظَّمٌ في كتاب مُعَظَّم محفوظٍ مُوَقَّر. قال ابنُ جرير: حدثني إسماعيل بن موسى، أخبرنا شَرِيك، عن حَكِيم، ـ هو ابن جُبَير ـ عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ قال: الكتاب الذي في السماء. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، يعني الملائكة. وكذا قال أنسٌ، ومجاهد، وعكرمةُ، وسعيد بن جُبَير، والضحاك، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، وأبو نَهيك، والسُّديُّ، وعبد الرحمن بنُ زيدِ بن أَسْلَمَ، وغيرهم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابنُ عبد الأعلى، حدثنا ابنُ ثَور، حدثنا مَعْمَرٍ، عن قتادة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، قال: لا يَمَسُّه عند الله إلا المُطَهَّرون، فأما في الدنيا فإنه يمسُّه المجوسيُّ النَّجِسُ، والمنافِقُ الرِّجسُ. وقال: وهي في قراءة ابن مسعود: «ما يمسه إلا المطهرون». وقال أبو العالية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، ليس أنتم، أنتم أصحابُ الذنوب. وقال ابنُ زيد: زَعمت كُفَّارُ قُرَيشٍ أنَّ هذا القرآن تَنَزَّلت به الشَّياطينُ، فأخبَرَ الله تعالى أنه لا يَمَسُّه إلا المُطَهَّرون كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢]. وهذا القولُ قولٌ جيِّدٌ، وهو لا يخرُج عن الأقوالِ التي قبلَه. وقال الفَرَّاءُ: لا يَجد طَعْمَه ونَفعَه إلا مَن آمَن به. وقال آخرون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، أي: من الجنابة والحدث. قالوا: ولفظ الآية خَبَرٌ ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن ها هنا المصحف.

[٦٥٨٠] كما رَوَى مسلم عن ابن عُمَر: أن رسول الله ﷺ نهى أن يُسَافَرَ بالقرآن إلى أرض العَدُوِّ مخافة أن يناله العَدُوُّ[١].

[٦٥٨١] واحتجُّوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في مُوَطَّئِه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزم: أنَّ في الكتاب الذي كَتَبه رسول الله ﷺ لِعَمرو بن حزم: أن لا يَمَسَّ القرآنَ إلاَّ طاهر[٢].

[٦٥٨٢] وروى أبو داود ـ في المراسيل، من حديث الزهري قال: قرأتُ في صحيفةٍ عند أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حَزم: أن رسولَ الله ﷺ قال: «ولا يَمَسّ القرآنَ إلا طاهرٌ»[٣]. وهذه وِجادةٌ جَيِّدَةٌ. قد قرأها الزُّهريُّ وغيرُه، ومثلُ هذا يَنبغي الأخذُ به. وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حَزم، وعبد الله بن عُمَر، وعثمان بن أبي العاصي، وفي إسناد كُلٍّ منها نَظَرٌ، والله أعلم.

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٩٩٠ ومسلم ١٨٦٩ وأبو داود ٢٦١٠ وأحمد ٢/٧ وابن حبان ٤٧١٥.

(٢) أخرجه مالك ١/١٩٩ وتقدم.

(٣) خبر كتاب عمرو بن حزم، مشهور عند الفقهاء وأهل السير، وتقدم غير مرة، وأنه حسن صحيح.

وقولُهُ تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي: هذا القرآنَ مُنزَّل من ربِّ العالمين، وليس هو كما يقولون: إنه سحرٌ، أو كَهانة، أو شعرٌ، بل هو الحقُّ الذي لا مِرْيةَ فيه، وليس وراءه حَقٌّ نافع. وقولُهُ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾، قال العَوفيُّ، عن ابن عباس: أي: مُكَذِّبون غير مُصَدِّقين. وكذا قال الضَّحَّاكُ، وأبو حَزْرَة، والسُّديُّ. وقال مجاهد: ﴿مُّدْهِنُونَ﴾، أي: تُريدون أن تُمَالِئُوهم فيه وتركَنُوا إليهم. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾، قال بعضهم: يعني وتجعَلُون رزقكم بمعنى شُكْرِكم أنكم تُكَذِّبُون، أي: تُكَذِّبون بَدَلَ الشُّكرِ. وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها: (وتجعلون شُكْرَكم أنكم تُكَذِّبون) كما سيأتي. وقال ابنُ جَرير: وقد ذُكِر عن الهيثم بن عَدِيٍّ: أن من لغة أزدشَنُوءة: ما رَزَق فلانٌ، بمعنى: ما شَكَر فلانٌ.

[٦٥٨٣] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا حُسَين بن محمد، حدثنا إسرائيل: عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، يقول: شُكْرَكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، تقولون: مُطِرنا بِنَوْءِ كذا وكذا، بِنَجْمِ كذا وكذا»[١]. وهكذا رواه ابنُ أبي حاتم عن أبيه، عن مُخَوَّلُ بن إبراهيم النَّهدِي ـ وابنُ جَرير، عن محمد بن المُثنى، عن عُبَيدِ الله بن مُوسَى، وعن يَعقُوبَ بن إبراهيم، عن يحيى بن أبي بُكير، ثلاثتُهم عن إسرائيلَ، به مرفُوعاً. وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن مَنيع، عن حُسَين بن محمد ـ وهو المروزيُّ ـ به، وقال: (حَسَنٌ غَرِيبٌ). وقد رواه سفيان الثوري، عن عبد الأعلى، ولم يَرْفَعه. وقال ابنُ جرير: حدثنا محمد بن بَشّار، حدثنا محمدُ بن جعفرٍ، حدثنا شُعبةُ، عن أبي بشرٍ، عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: «ما مُطِرَ قومٌ قَطُّ إلا أصبَحَ بعضُهم كافراً، يقولون: مُطِرْنا بَنوْءِ كذا وكذا. وقرأ ابنُ عبَّاسٍ: (وتجعَلُون شُكركم أنكم تكذبون)». وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابنِ عبَّاس.

[٦٥٨٤] وقال مالك في الموطأ، عن صالح بن كَيسان، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبَةَ بن مسعُودٍ، عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ أنه قال: صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبح بالحديبية في إثْرِ سَمَاءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبلَ على الناس فقال: «هل تَدرُون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «قال: أصبَحَ من عبادِي مؤمنٌ بي وكافر، فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافِرٌ بالكواكب. وأما من قال: «مُطِرنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافِرٌ بي مؤمن بالكواكب»[٢]. أخرجاه في الصَّحِيحَين، وأبو داودَ والنَّسائي، كلُّهم من حديث مالكٍ، به.

[٦٥٨٥] وقال مسلم: حدثنا مُحمَّد بن سَلَمة المُرَادِيُّ وعَمرو بن سَوّادٍ، حدثنا عبد الله بن وَهب، عن عَمرو بن الحارث: أن أبا يُونسَ حَدَّثه عن أبي هُريرة، عن رَسُولِ الله ﷺ أنه قال: «ما أَنزَلَ الله من السَّماءِ من برَكَة إلا أصبح فريقٌ من الناس بها كافِرين، يَنزِلُ الغيثُ فيقولون: بِكَوْكَبِ كَذَا وكَذَا»[٣]. تَفَرّد به مسلمٌ من هذا الوجه.

[٦٥٨٦] وقال ابنُ جرير: حدثني يونُس، أخبرني سُفيانُ، عن محمد بن إسحاقَ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمِيِّ، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُرَيرة: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الله لَيُصبحُ القومَ

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٥ والطبري ٣٣٥٥٥ و ٣٣٥٥٦. وعبد الأعلى ضعيف، ومع ذلك رواه الثوري عند الطبري ٣٣٥٥٤ و ٣٣٥٦٢ عن عبد الأعلى به موقوفاً على علي، وهو أصح فالثوري أحفظ من إسرائيل. والمرفوع ضعفه أحمد شاكر في «المسند» ١٠٨٧ والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤١٤٧ ومسلم ٧١ وأبو داود ٣٩٠٦ والنسائي ٣/ ١٦٥ ومالك ١/ ١٩٢.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٧٢.

بالنعمةِ أو يمسيهم بها، فَيُصبِحُ بها قومٌ كافرين، يقولون: مُطِرنا بنَوْءِ كذا وكذا». قال محمد ـ هو ابن إبراهيم ـ: فذكرتُ هذا الحديث لسعيد بن المُسَيِّب، فقال: ونحن قد سَمِعنا من أبي هُرَيرة، وقد أخبرني مَن شهِد عُمَر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو يَستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عبَّاسُ، يا عَمَّ رسولِ الله، كم بَقِي من نَوْءِ الثُّريا؟ فقال: العلماءُ يَزعمُون أنها تعترِضُ في الأفق بعد سُقُوطِها سبعاً. قال: فما مَضَت سَابعةٌ حتى مُطِروا[١]. وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النَّوءَ يُؤثِّر بنفسه في نزول المطر؛ فإن هذا هو المنهيُّ عن اعتقاده. وقد تقدَّم شيء من هذه الأحاديث عند قوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

[٦٥٨٧] وقال ابنُ جريرٍ: حَدَّثني يونُس، أخبرنا سُفيان، عن إسماعيل بن أمَيَّة ـ أحسَبه أو غيره ـ أن رسول الله ﷺ سَمِع رجلاً ـ ومُطِروا ـ يقولُ: مُطِرنا ببعض عَثانين الأسد. فقال: «كَذبْت! بل هو رِزقُ الله»[٢].

[٦٥٨٨] ثم قال ابن جرير: حدثني أبو صالح الصَّراريُّ، حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي، حدثنا جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «ما مُطِرَ قومٌ من ليلةٍ إلا أصبَحَ قومٌ بها كافرينَ. ثم قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾، يقول قائل: مُطِرنا بِنَجمِ كذا وكذا»[٣].

[٦٥٨٩] وفي حديث عن أبي سَعيد مرفُوعاً: «لو قُحِط الناسُ سبعَ سِنين ثم مُطِروا لقالوا: مطرنا بنوء المِجْدَحِ»[٤]. وقال مجاهد: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ قال: قولُهم في الأنواء: مُطِرنا بِنوءِ كذا، وبنوء كذا، يقول: قولُوا: هو من عند الله، وهو رزقُه. وهكذا قال الضحاكُ وغير واحد. وقال قتادةُ: أمَّا الحسَنُ فكان يقولُ: بئسَ ما أخذ قومٌ لأنفسِهم، لم يُرزَقُوا من كتاب الله إلا التكذيب. فمعنى قَولِ الحسن هذا: وتجعَلُون حَظَّكم من كتابِ الله أنكم تُكذِّبون به. ولهذا قال قبله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾، أي: الروحُ ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي الحلق، وذلك حين الاحتِضار، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾

---

(١) أخرجه الطبري ٣٣٥٦١ ورجاله ثقات، لكن فيه عنعنة ابن إسحاق، ومع ذلك للحديث طرق وشواهد.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٥٦٠ هكذا وهو ضعيف. إسماعيل بن أمية تابعي هذا إن كان هو أرسله وإن كان راويه الذي لم يسمّ فيكون له علة ثانية، وهي جهالة مرسله. والعثانين: المطر بين السحاب والأرض مثل السبل، واحدها عثنون. والأسد: أي برج الأسد.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٥٦٦ وإسناده ضعيف لأجل جعفر بن الزبير، والقاسم بن عبد الرحمن. وللحديث شواهد دون ذكر الآية. والله أعلم.

(٤) أخرجه الدارمي ٢/ ٣١٤ والحميدي ٧٥١ والنسائي ٣/ ١٦٥ وابن حبان ٦١٣٠ ومداره على عتاب بن حنين، وهو مقبول، وثقه ابن حبان وحده، فالإسناد لين، والحديث محفوظ دون ذكر السنين و«المجدح». والمجدح: نجم تزعم العرب أنه يمطر.

[القيامة: ٢٦ ـ ٣٠]، ولهذا قال ها هنا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾، أي: إلى المحتضر وما يُكابِده من سَكَرات الموتِ، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾، أي: ولكن لا ترونهم. كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١ ـ ٦٢]. وقولُهُ: ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا﴾، معناه: فهلاّ ترجِعُون هذه النَّفسَ التي قد بلغتِ الحلقومَ إلى مكانها الأول، ومَقَرِّها في الجَسَدِ إن كنتم غير مَدِينين. قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني مُحاسَبين. ورُوِي عن مجاهد، وعِكْرِمة، والحسنِ، وقتادة، والضَّحّاك، والسُّدِّيّ، وأبي حَزْرَة، مثله. وقال سعيد بن جُبير، والحسن البَصْري: ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾: غير مُصَدِّقين أنكم تُدانُون وتُبعَثُون وتجزون، فردُوا هذه النَّفسَ. وعن مجاهدٍ: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غير مُوقِنينَ. وقال مَيْمون بنِ مهرانَ: غير مُعَذَّبين مَقْهُورِين.

﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

هذه الأحوالُ الثلاثة هي أحوالُ الناس عند احتضارهم: إمّا أن يكُون من المقرَّبين أو يكونَ ممن دونَهم من أصحاب اليمين. وإمّا أنْ يكونَ من المُكَذِّبين بالحقِّ الضَّالِّين عن الهُدَى، الجاهلين بأمرِ الله. ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ﴾، أي: المحتضِرَ ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وهم الذين فَعَلوا الواجباتِ والمستحبّاتِ، وتركُوا المحرَّمات والمكروهَاتِ وبعضَ المباحات، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾، أي: فلَهُم روحٌ وريحان، وتُبَشِّرهم الملائكةُ بذلك عند الموت.

[٦٥٩٠] كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: «أيّتها الروح الطَّيِّبة في الجَسَدِ الطَّيب كنت تَعمُرينه، اخرُجي إلى رَوْحٍ وريحانٍ، وربٍّ غير غضبانٍ»(١). قال علي بن طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَرَوْحٌ﴾، يقول: راحةٌ. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يقول: مستراحةٌ. وكذا قال مجاهد: إن الرَّوح: الاستراحة. وقال أبو حَزْرة: الرَّاحةُ من الدنيا. وقال سَعيد بن جُبَير، والسُّدِّيّ: الرَّوح الفَرَحُ. وعن مجاهد: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: جَنَّةٌ ورخاءٌ. وقال قتادة: فروحٌ ورحمَةٌ. وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جُبَير: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزقٌ. وكل هذه الأقوال متقاربة صَحِيحة، فإن من مات مُقَرَّباً حَصَل له جميعُ ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾. وقال أبو العالية: لا يفارِق أحدٌ من المقربين حتى يُؤتَى بغُصن من ريحان الجنَّةِ، فَيَقبَضُ روحه فيه. وقال محمد بن كَعب: لا يموتُ أحدٌ من الناس حتى يعلَم: أمن أهلِ الجَنَّةِ هو أم من أهل النار؟ وقد قدَّمنا أحاديثَ الاحتضارِ عند قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ولو كُتِبت ها هنا لكان حَسَناً! ومن جُملتها.

[٦٥٩١] حديثُ تميم الدَّارِيّ، عن النبي ﷺ، يقول: «يقولُ الله لملك الموت: انطلق إلى وَلِيِّي فأتني به فإني قد ضربته بالسَّراء والضَّرَّاء فوجدتُه حيثُ أحبّ، ائتني به فَلأُريحنَّه. قال: فينطلق إليه مَلَكُ الموت ومعه خمسمئة من الملائكة، معهم أكفانٌ وحَنُوطٌ من الجَنَّة، ومعهم ضَبَائر الريحان، أصلُ الرَّيحانةِ واحد

(١) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم: ٢٧.

وفي رأسها عشرون لوناً، لكلِّ لونٍ منها ريحٌ سِوَى ريح صاحبه، ومعهُم الحريرُ الأبيضُ فيه المسكُ»[١]. وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم، وقد وَرَدت أحاديثُ تتعلّق بهذه الآية.

[٦٥٩٢] قال الإمامُ أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا هارون، عن بُدَيل بن مَيْسَرة، عن عبد الله بن شَقِيق، عن عائشة أنها سَمِعت رسولَ الله ﷺ يقرأ: «فَرُوح وَرَيحان» برفع الراء[٢]. وكذا رواه أبو داود، والترمذيُّ، والنسائي، من حديث هارونَ ـ وهو ابنُ موسى الأعورُ ـ به، وقال الترمذي: «لا نَعْرِفُه إلاَّ مِن حديثِه». وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحدَه، وخالَفهُ الباقُون فقرؤوا: ﴿فَرَوْحٌ﴾، بفتح الراء.

[٦٥٩٣] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا حَسَنٌ، حدثنا ابن لَهيعة، حدثنا أبو الأسود محمدُ بن عبد الرحمن بن نوفَلٍ، أنه سَمِعَ دُرَّة بنتَ مُعاذٍ تُحدِّث، عن أمّ هانىء: أنها سألت رسولَ الله ﷺ أنتزاورُ إذا مِتنا، ويَرى بعضُنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تكون النَّسَمُ طَيراً يَعلَقُ بالشجرِ، حتى إذا كان يومُ القيامةِ دَخَلت كلُّ نفس في جَسدها»[٣]. هذا الحديثُ فيه بِشارة لكلِّ مؤمن، ومعنَى (يَعلَق) يأكلُ.

[٦٥٩٤] ويشهد له بالصِّحة أيضاً ما رواهُ الإمامُ أحمدُ عن الإمام محمد بن إدريسَ الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزُهريِّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّما نَسَمةُ المؤمن طائرٌ يَعلَقُ في شَجَرِ الجَنّة، حتى يَرْجِعَه الله إلى جَسَدِه يوم يبعَثُه»[٤]. وهذا إسناد عظيمٌ، ومتنٌ قويمٌ.

[٦٥٩٥] وفي الصَّحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أرواحَ الشُهَداءِ في حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ في الجَنَّةِ حيثُ شاءَت، ثم تَأوِي إلى قَنَادِيلَ مُعَلَّقةٍ بالعَرْشِ»[٥]... الحديث.

[٦٥٩٦] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عفان، حدثنا هَمّام، حدثنا عَطَاءُ بن السائب قال: كان أولُ يوم عَرَفت فيه عبد الرحَمن بن أبي ليلى: رأيتُ شيخاً أبيضَ الرَّأسِ واللِّحيةِ على حمار، وهو يتبَعُ جنازَةً، فسمعتُه يقول: حَدَّثني فلان بنُ فلان، سَمِع رسول الله ﷺ يقول: «مَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَه، ومَن كره لقاءَ الله كَرِه الله لقاءَه». قال: فأكبَّ القوم يبكُون، فقال: «ما يُبكِيكم؟» فقالوا: إنا نكرَهُ الموت. «قال: ليس ذاك، ولكنهُ إذا حُضِر ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، فإذا بُشِّر بذلك أحبَّ لقاءَ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ لِلِقائه أحبُّ. ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، فإذا بُشِّر بذلك كَرِه لقاءَ الله، والله للقائه أكرَهُ»[٦]. هكذا رواه الإمام أحمد، وفي الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ شاهد لمعناه.

---

(١) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم، آية ٢٧.

(٢) جيد. أخرجه أبو داود ٣٩٩١ والترمذي ٢٩٣٨ والنسائي في «التفسير» ٥٨٦ وأحمد ٦/ ٦٤ وأبو يعلى ٤٥١٥ والحاكم ٢/ ٢٣٦ وإسناده حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٤٢٥ والطبراني ٢٤/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، ودرّة لم أجد لها ترجمة، وأصله محفوظ بما بعده.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٤٥٥ ورجاله رجال الشيخين سوى الشافعي، وهو ثقة إمام.

(٥) صحيح. وتقدم في البقرة، آية: ١٥٤.

(٦) إسناده ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ٢٥٩ وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وتفرد بذكر الآيات، وهو متفق عليه بدون ذكر الآيات. انظر صحيح مسلم ٢٦٨٤ وغيره.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾، أي: وأمّا إن كان المُحتضر من أصحاب اليمين، ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي: تُبَشِّرهم الملائكة بذلك، تقولُ لأحدِهم: سلامٌ لَكَ، أي: لا بأسَ عليكَ، أنتَ إلى سلامةٍ، أنتَ من أصحابِ اليمين. وقال قتادةُ: وابنُ زيدٍ: سَلِم من عَذابِ الله، وسَلَّمت عليه ملائكة الله. كما قال عِكْرمة: تُسَلِّم عليه الملائكة، وتُخبِرُه أنه مِن أصحاب اليمين. وهذا معنى حَسَنٌ، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]. وقال البخاريُّ: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾، أي: مُسلَّم لك، أنّك من أصحاب اليمين. وأُلغِيَتْ (أنَّ) وبقي معناها، كما تقول: أنتَ مُصَدَّقٌ مسافرٌ عن قليل. إذا كان قد قال: إني مسافر عن قليل. وقد يكونُ كالدُّعاءِ له، كقولك: سَقياً لك من الرجال، وإن رفعتَ (السلام) فهو من الدُّعاءِ. وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية، ومال إليه، والله أعلم.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾، أي: وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحقِّ، الضالِّين عن الهُدَى، ﴿فَنُزُلٌ﴾، أي: فَضِيافةٌ ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾، وهو المذاب الذي يُصهَرُ به ما في بُطُونهم والجلود، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾، أي: وتَقريرٌ له في النّارِ التي تغمُره من جميع جهاته. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾، أي: إنَّ هذا الخبرَ لهو الحقُّ اليقينُ الذي لا مِرْيَةَ فيه، ولا مَحيدَ لأحدٍ عنه. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

[٦٥٩٧] قال أحمد: حَدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا مُوسَى بن أيوب الغافقي، حَدَّثني عَمّي إياس ابن عامر، عن عُقبَةَ بن عامر الجُهَنيِّ قال: لما نَزَلَتْ على رسول الله ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾، قال: «اجعلُوها في رُكُوعكم»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، قال رَسُول الله ﷺ: «اجعلُوها في سُجُودِكم»[1]. وكذا رواه أبو داود وابن ماجه، من حديث عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب، به.

[٦٥٩٨] وقال رَوْحُ بن عُبَادة: حدثنا حَجّاجُ الصَّوَّاف، عن أبي الزبَير، عن جابرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قال: سبحانَ الله العظيم وبِحَمدِهِ غُرِست له نخلةٌ في الجنّة»[2]. هكذا رواه التِّرمِذِيُّ من حديث رَوح، ورواه هو والنَّسائي أيضاً من حديث حَمّاد بن سَلَمة، من حديث أبي الزُّبير عن جابر، عن النبيِّ ﷺ، به وقال الترمذي: حَسَنٌ غريب، لا نَعرِفه إلا من حديث أبي الزُّبَير.

[٦٥٩٩] وقال البُخاريُّ في آخر كِتابه؛ حدثنا أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ٨٦٩ وابن ماجه ٨٨٧ والطيالسي ١٠٠٠ وأحمد ٤/ ١٥٥ والدارمي ١/ ٢٦٩ وابن حبان ١٨٩٨ والحاكم ١/ ٢٢٥ وصححه، ووافقه الذهبي، ومداره علىٰ موسىٰ بن أيوب، وقد وثقه ابن حبان وابن معين في رواية، وقال في أخرىٰ: منكر الحديث. وشيخه موسىٰ قال عنه الحافظ: مقبول. أي حيث يتابع، ولم يتابع علىٰ هذه الحديث، فالحديث ضعيف، لا حجة فيه، والصواب أن صفة الصلاة تلقاها النبي ﷺ عن جبريل، وانظر «ضعيف أبي داود» ١٨٤.

(٢) حسن. أخرجه الترمذي ٣٤٦٤ و٣٤٦٥ والنسائي ٨٢٧ وابن حبان ٨٢٦ والحاكم ١/ ٥٠١، وفيه عنعنة أبي الزبير، لكن له شاهد، أخرجه الحاكم ١/ ٥١٢ من حديث أبي هريرة، وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناده لين لأجل أبي سنان القسملي، لكن يصلح شاهداً لما قبله، والله أعلم.

عُمارة بن القعقاع، عن أبي زُرْعة، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلمتان خَفِيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحانَ الله وبحمدِه، سُبحانَ الله العظيمِ»[1]. ورواه بقيةُ الجماعةِ إلا أبا داود، من حديث محمد بن فُضَيل، بإسنادِهِ، مثله.

آخر تفسيرِ سُورةِ الواقعة، ولله الحمدُ والمنَّةُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٠٦ و٦٦٨٢ و٧٥٦٣ ومسلم ٢٦٩٤ والترمذي ٣٤٦٧ والنسائي ٨٣٠ وابن ماجه ٣٨٠٦ وأحمد ٢/ ٢٣٢ وابن حبان ٨٣١.

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

[٦٦٠٠] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا يزيدُ بن عبدِ رَبِّه، حدثنا بقيَّةُ بن الوليد، حدثني بَحِير بن سَعْدٍ، عن خالد بن مَعْدَان، عن ابن أبي بلال، عن عِرْباضِ بن سارية: أنه حدَّثهم أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ المُسَبِّحات قبل أن يرقُدَ، وقال: «إنَّ فيهنَّ آيةً أفضلَ مِن ألفِ آيةٍ»[١]. وهكذا رَواه أبو داودَ، والتِّرمذيُّ، والنَّسائيُّ، من طرق عن بَقِيَّةَ، به. وقال التِّرمِذيُّ: (حَسَنٌ غَريب). ورواه النسائي عن ابن أبي السَّرح، عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح عن بَحِير بن سعد، عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ . . . فذكره مُرْسلاً، لم يذكر عبد الله بن أبي بلال، ولا العِرْباض بن سَارِية. والآية المُشارُ إليها في الحديث هي ـ والله أعلم ـ قولُهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾، كما سيأتي بيانُه إن شاء الله، وبه الثقةُ وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾

يُخبر تعالى أنه يُسَبِّح له ما في السماوات والأرض، أي: من الحيوانات والنباتاتِ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقولُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾، أي: الذي قد خَضَع له كلُّ شيءٍ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾، في خَلْقِه وأمرِهِ وشَرْعِهِ. ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾، أي: هو المالك المتصرِّفُ في خلقه، فَيُحيي ويُميت، ويُعطِي مَن يشاءُ، ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: ما شاء كانَ، وما لم يشأ لم يكُن. وقولُهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، وهذه الآيةُ هي المشارُ إليها في حديث عِرْباض بن سارية: أنها أفضلُ مِن ألفِ آيةٍ. وقال أبو داودَ: حدَّثنا عباسُ بن عبد العظيم، حدثنا النضرُ بن محمد، حدثنا عِكْرِمة ـ يعني ابنَ عَمَّار ـ حدثنا أبو زُمَيل قال: سَألتُ ابنَ عبَّاسٍ فقلت: مَا شيءٌ أجِدُه في صَدرِي؟ قال: ما هُوَ؟ قلت: والله لا أتكلَّم

---

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ٥٠٥٧ والترمذي ٣٠٨٩ وأحمد ٤/١٢٨ والنسائي في «اليوم والليلة» ٧١٣ و ٧١٤ وابن السني ٦٨٢ من حديث العرباض، وفيه بقية مدلس لكن صرح بالتحديث عند أحمد، وفيه عبد الله بن أبي بلال، وهو مجهول. قال الذهبي في «الميزان» ٤٢٣٤: ما روىٰ عنه سوىٰ خالد بن معدان. وهذه إشارة من الذهبي إلى جهالته، وأما الحافظ فقال في «التقريب»: مقبول. أي حيث يتابع، وله علة ثانية حيث أخرجه النسائي من وجه آخر عن غير بقية عن خالد بن معدان مرسلاً. وتناقض الألباني فذكره في «ضعيف أبي داود» ١٠٧٣ و«صحيح الترمذي» ٢٣٣٣.

به. قال: فقال لي: أشيءٌ من شكٍّ؟ قال: ـ وضحك ـ قال: ما نجا من ذلك أحدٌ. قال: حتى أنزل الله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]. . الآية قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسِكَ شيئاً فقُل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾. وقد اختلفت عباراتُ المفسِّرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعةَ عشرَ قولاً. وقال البُخاريُّ: قال يحيى: الظَّاهرُ على كلِّ شيءٍ علماً، والباطنُ على كلِّ شيءٍ علماً. [و] قال شيخنا الحافظ المِزّي: يحيى هذا هو ابنُ زيادٍ الفرَّاءُ، له كتابٌ سمَّاه (معاني القرآن). وقد وَرَد في ذلك أحاديث.

[٦٦٠١] فمن ذلك ما قال الإمام أحمدُ: حدثنا خَلَف بن الوليد، حدثنا ابن عَيَّاش، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدعُو عند النَّوم: «اللهُمّ، ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم، رَبَّنا وربّ كل شيء، مُنَزِّل التوراةِ والإنجيلِ، والفُرقان، فالقَ الحبِّ والنَّوى، لا إله إلا أنت، أعوذُ بكَ من شرّ كُلِّ شيءٍ أنتَ آخِذٌ بناصيته، أنتَ الأوَّلُ ليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخِرُ ليس بعدَك شيء، وأنت الظاهرُ ليس فوقَك شيء، وأنت الباطنُ ليس دُونَك شيءٌ. اقضِ عنا الدَّين، واغنِنا من الفقر»(١).

[٦٦٠٢] ورواه مسلم في صحيحه: حدثني زُهَير بن حَرْبٍ، حدثنا جَرير، عن سُهَيل قال: كان أبو صالح يأمُرنا إذا أراد أحدُنا أن ينامَ: أن يضطَجِع على شِقِّه الأيمن، ثم يقول: «اللهُمّ، رَبَّ السمواتِ وربَّ الأرضِ وربَّ العرشِ العظيم، رَبَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنَّوى، ومُنَزِّل التوراةِ والإنجيلِ والفُرقان، أعوذُ بكَ من شرِّ كلِّ ذي شَرٍّ أنت آخذ بناصيته، اللهُمّ أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلَك شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدَك شيءٌ، وأنت الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنت الباطِن فليس دونك شيءٌ، اقضِ عنا الدَّينَ، واغنِنا من الفقرِ». وكان يَرْوي ذلك، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ(٢).

[٦٦٠٣] وقد روى الحافظ أبو يعلَى الموصلي في مُسنده عن عائشة أم المؤمنين نحوَ هذا، فقال: حدثنا عقبة، حدثنا يونس، حدثنا السريُّ بن إسماعيل، عن الشعبيِّ، عن مَسرُوقٍ، عن عائشةَ أنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يأمرُ بفراشِه فيُفرشُ له مُستقبلَ القبلةِ، فإذا أوَى إليه تَوَسَّد كَفَّه اليمنى، ثم هَمَس ـ ما يُدرَى ما يقولُ ـ فإذا كان في آخر الليل رَفَع صوتَه فقال: «اللّهُمّ، ربَّ السَّمواتِ السَّبعِ وربَّ العرشِ العظيم، إله كُلِّ شيءٍ، وربَّ كُلِّ شيءٍ، ومُنَزِّلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والفُرقانِ، فالقَ الحبِّ والنَّوَى. أعوذُ بكَ من شَرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخذ بناصيته. اللهم، أنتَ الأوَّلُ الذي ليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر الذي ليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنت الظَّاهرُ فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونَكَ شيءٌ، اقضِ عنا الدَّينَ، واغنِنا من الفَقرِ»(٣). السَّريُّ بن إسماعيلَ هذا ابنُ عَمِّ الشعبيِّ، وهو ضعيفٌ جداً، والله أعلم.

[٦٦٠٤] وقال أبو عيسى التِّرمِذيُّ عند تفسير هذه الآية: حدثنا عَبْدُ بن حُمَيد وغيرُ واحد ـ المعنى واحدٌ ـ قالوا: حدثنا يُونُس بن محمد، حدثنا شَيبانُ بن عبد الرحمن، عن قتادةَ قال: حدث الحسنُ، عن أبي هُرَيرة قال: بينما رسولُ الله ﷺ جالسٌ وأصحابُه إذْ أتَى عليهم سَحابٌ، فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما هذا؟

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٠٤ وإسناده صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٧١٣ ح ٦١ عن أبي صالح عن أبي هريرة، وقد صرح برفعه.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه أبو يعلى ٤٧٧٤ بهذا الإسناد وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ١٢١: فيه السري بن إسماعيل، وهو متروك اهـ وكذا أعله ابن كثير به، وفي صدره نكارة، فالحديث المتقدم فيه أنه كان يدعو به عند نومه، وأما هذا ففيه أنه كان في آخر الليل.

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العَنَان، هذه رَوَايا الأرض يَسُوقُه إلى قوم لا يَشكُرونه ولا يَدْعُونه. ثم قال: هل تدرُون ما فَوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلَمُ. قال: فإنها الرَّقيع، سقفٌ محفوظ، وموجٌ مكفوفٌ. ثم قال: هل تدرُون كم بينكُم وبينها؟ قالوا: الله ورسولُه أعلمُ. قال: بينكم وبينها خمسُمئة سنةٍ. ثم قال: هل تَدرُون ما فوقَ ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك سماءً بَعْد سَمَاءٍ بُعدُ ما بينهما مسيرة خمسمئة سنة ـ حتى عَدّ سبع سموات ـ ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض. ثم قال: هل تدرُون ما فوقَ ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوقَ ذلك العرشَ، وبينَه وبينَ السماء مثل بعدُ ما بين السماءين، ثم قال: هل تدرُون ما الذي تحتكم؟ قالوا: الله ورسولُه أعلم. قال: فإنها الأرضُ. ثم قال: هل تَدرُون ما الذي تحتَ ذلك. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنَّ تحتها أرضاً أُخرَى بينهُما مسيرة خمسمئة سنة ـ حتى عَدّ سبع أرضين ـ بين كلِّ أرضَينِ مسيرةُ خمسمئة سنةٍ، ثم قال: والذي نفسُ محمدٍ بيده لو أنَّكم دَلَّيتم بحبلٍ إلى الأرضِ السُّفلى لهبَطَ على الله، ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[1]. ثم قال التِّرمذيُّ: (هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوَجه، ويُروَى عن أَيُّوبَ ويونُسَ ـ يعني ابنَ عُبَيد ـ وعليِّ بن زيد قالوا: لم يَسْمَع الحسنُ من أبي هُرَيرة. وفَسَّر بعضُ أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هَبَطَ على علمْ الله وقُدْرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كُلِّ مكان، وهو على العَرْشِ، كما وَصَفَ في كتابه) انتهى كلامه.

[٦٦٠٥] وقد رَوَى الإمام أحمدُ هذا الحديث عن سُرَيج، عن الحكم بن عبد الملك، عن قَتَادَة، عن الحَسَن، عن أبي هُرَيرة عن النبيِّ ﷺ فذكره، وعنده: «ويُعدُ ما بين الأرضَين مسيرةُ سبعمئةِ عام». وقال: «لو دَلَّيتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله». ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[2]. ورَوَاه ابن أبي حاتم والبَزَّار من حديث أبي جَعفر الرازيِّ، عن قتادة، عن الحَسَنِ، عن أبي هُريرة... فذكر الحديث، ولم يذكر ابن أبي حاتم آخرَه وهو قوله: (لو دَلَّيتم بحبل)، وإنما قال: (حتى عَدّ سَبع أَرَضِينَ بين كلِّ أرضين مسيرةُ خمسمئةِ عام)، ثم تلا: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾. وقال البزار: لم يَرْوِه عن النبي ﷺ إلا أَبُو هُرَيرة.

[٦٦٠٦] ورَوَاه ابن جرير، عن بِشرٍ، عن يَزِيد، عن سعيد، عن قتادة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، ذُكِر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ ثار عليهم سَحَاب، فقال: هل تدرون ما هذا[3]. وذَكَر الحديثَ مثلَ سياقِ الترمذي سواء، إلا أنه مرسَلٌ من هذا الوجه، ولعل هذا المحفوظ، والله أعلم. وقد روي من حديث أبي ذَرٍّ الغفاري ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ورواه البزّار في مسنده، والبيهقيُّ في كتابِ «الأسماءِ والصِّفاتِ»، ولكن في إسناده نظر، وفي مَتْنِه غرابةٌ ونكارةٌ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلمُ.

وقال ابنُ جَرِيرٍ عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: حدثنا ابنُ عبدِ الأعلى، حدثنا ابنُ ثَورٍ، عن معمَرٍ، عن قتادةَ قال: التقى أربعةٌ من الملائكة بين السماء والأرض، فقال بعضُهم لبعضٍ: مِن أينَ جئت؟ قال أَحدُهم: أرسلني ربي ـ عَزَّ وجَلَّ ـ من السَّماءِ السابعة وتركتُه ثَمَّ. قال الآخر: أرسلني ربي ـ عَزَّ وجَلَّ ـ

---

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه بين الحسن وأبي هريرة. وتقدم الكلام عليه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٠، وإسناده كسابقه.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٥٩٣ عن قتادة مرسلاً، ومع إرساله ذكره بصيغة التمريض، فإن قال قائل: ألا يشهد لحديث أبي هريرة المتقدم؟ والجواب: هو أنه لا يشهد لما قبله لأن مخرجه واحد، فالموصول والمرسل فيه قتادة. فتنبه، والله أعلم.

من الأرض السابعة وتركته ثَمّ. قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته ثمّ. قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثَمّ. وهذا غريب جداً، وقد يكون الحديث الأولُ موقوفاً على قتادةَ كما رُوِي ها هنا من قوله، والله أعلم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

يُخبر تعالى عن خَلْقِهِ السَّماواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبَرَ باستوائِهِ على العَرْش بعد خلقهنّ. وقد تقدَّمَ الكلامُ على هذه الآيةِ وأشباهها في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادَتِه ها هُنا. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أي: يعلَمُ عَدَد ما يدخُل فيها من حَبٍّ وقَطْرٍ، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، من زرْعٍ ونبات وثِمَار، كما قال: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقولُهُ: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: من الأمطارِ، والثلوج والبَرَدِ، والأقدار والأحكَام مع الملائكة الكرام، وقد تقدَّم في سورة البقرة أنه ما ينزل من قَطْرةٍ من السماء إلا ومعَها ملك يُقرِّرُها في المكان الذي يأمُر الله به حيث يشاء تعالى. وقولُهُ: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، أي: من الملائكةِ والأعمال.

[٦٦٠٧] كما جاء في الصحيح: «يُرْفَع إليه عَمَل الليل قبل النهار، وعَمَلُ النَّهارِ قبل الليل»(١).

وقولُهُ تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، أي: رقيبٌ عليكم، شهيدٌ على أعمالكم حيث أنتم، وأينَ كنتُم، من برٍّ أو بحرٍ، في ليلٍ أو نَهارٍ، في البيوتِ أو القِفار، الجميعُ في علمه على السَّواء، وتحتَ بَصَرِه وسَمْعِهِ، فيسمَعُ كلامَكُم ويرىٰ مكانكم ويعلم سرَّكم ونجواكم، كما قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود: ٥]. وقال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ١٠]، فلا إله غيرُه ولا ربَّ سِواه.

[٦٦٠٨] وقد ثبت في الصحيح أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لجبريل، لما سأله عن الإحسان: «أن تَعبُدَ الله كأنك تَرَاه، فإن لم تكن تراه فإنه يَرَاكَ»(٢).

[٦٦٠٩] ورَوَى الحافظُ أبو بكر الإسماعيلي من حَدِيث نَصر بن خُزَيمة بن جُنَادة بن محفوظِ بن عَلْقَمة، حدثني أبي، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن عبد الرحمن بن عائذٍ قال: قال عمر: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: زَوِّدني كلمةً أعِشْ بها. فقال: «استَحِ الله كما تَستَحِي رجُلاً من صَالحِ عَشِيرتك لا يُفارِقُك»(٣). هذا حديثٌ غريبٌ.

---

(١) صحيح، وتقدم.

(٢) متفق عليه، وتقدم.

(٣) ضعيف. عبد الرحمن بن عائذ. ضعفه الأزدي، ووثقه النسائي. وهو كثير الإرسال. قال ابن أبي حاتم: روىٰ عن عمر مرسلاً. فالخبر ضعيف.

[٦٦١٠] وروى أبو نُعيم من حديث عبد الله بن مُعاوِيَة الغاضِرِيِّ مرفوعاً: «ثلاثٌ مَن فعلهن فقد طَعِم الإيمان: من عبد الله وحدَه، وأعطى زكاةَ ماله طيبةً بها نفسُه في كلِّ عام، ولم يُعطِ الهَرِمَةَ ولا الدَّرِنَةَ[١]، ولا الشَّرَط اللَّئيمة ولا المَرِيضة، ولكن من أوسط أموالكم، وزَكَّى نفسه». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، ما تزكيةُ المرءِ نفسَه؟ فقال: «يعلَم أنَّ الله مَعَه حيثُ كان»[٢].

[٦٦١١] وقال نُعَيم بن حَمَّاد ـ رحمه الله ـ: حَدَّثنا عثمانُ بن سَعيد بن كثير بن دينار الحِمْصيُّ، عن محمد بن مُهاجِر، عن عُروةَ بن رُوَيم، عن عبد الرحمن بن غَنْم، عن عُبادة بن الصَّامِت قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أفضل الإيمان أن تعلَم أن الله مَعَك حيثما كُنت»[٣]. غريب. وكان الإمام أحمدُ يُنشِد هذين البيتين:

إذَا ما خَلوتَ الدهرَ يوماً فَلاَ تَقُلْ   خَلَوتُ، ولَكِن قُل: عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلاَ تَحسَبَنَّ اللّهَ يَغفُلُ ساعَةً   وَلاَ أنَّ مَا يَخفَى عَلَيهِ يَغِيبُ

وقولُه تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥﴾، أي: هو المالكُ للدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ [الليل: ١٣]، وهو المحمودُ على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ: ١]. فجميعُ ما في السماوات والأرض مِلْكٌ له، وأهلُهما عَبيدٌ أرقَّاءُ أذلاَّءُ بين يديه كما قال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥]. ولهذا قال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾. أي: إليه المرجعُ يومَ القيامة، فيحكُم في خلقه بما يشاءُ، وهو العادلُ الذي لا يَجور ولا يظلِم مثقال ذرَّةٍ، بل إن يَكُن أحدُهم عَمِل حسنةً واحدةً يُضاعِفها إلى عشر أمثالِها. ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وكما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقولُه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾، أي: هو المتصرِّف في الخلق، يُقلِّب الليل والنهار ويُقدِّرهما بحكمته كما يشاء، فتارةً يَطول الليل ويقصُر النهار، وتارةً بالعكس، وتارة يتركُهما مُعتدِلَين. وتارةً يكون الفصلُ شتاءً ثم رَبيعاً ثم قيظاً ثم خَريفاً، وكلُّ ذلك بحكمته وتقديرِه لما يُريده بخلقه، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، أي: يعلَم السَّرائرَ وإن دَقَّتْ وخَفِيَتْ.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ

(١) الدرن والشرط: رذالة المال وشراره.

(٢) حسن. أخرجه أبو داود ١٥٨٢ عن عبد الله بن سالم من كتابه وجادة من حديث عبد الله بن معاوية، وهذا ضعيف، لكن وصله البيهقي ٤/٩٦ وإسناده حسن، رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٨٧٩١ وقال الهيثمي: في المجمع ٢٠٤: تفرد به عثمان بن كثير، ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح. قلت: فالحديث بهذا الإسناد ضعيف.

دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

أَمَرَ تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسُولِهِ على الوجه الأكمل، والدّوام والثّباتِ على ذلك والاستمرار، وحَثَّ على الإنفاق مما جعلكم مُستخلَفين فيه، أي: مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي مَن قبلكم ثم صار إليكم. فأرشدَ تعالى إلى استعمال ما استخلَفَهُم فيه من المال في طاعتِهِ فإن يفعلُوا وإلاّ حاسَبهُم عليه وعاقبهم، لِتَركهم الواجبات فيه. وقولُهُ تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: فيه إشارةٌ إلى أنه سيكون مُخَلَّفاً عنك، فلعلَّ وارثك أن يُطِيع الله فيه، فيكون أسعدَ بما أنعم الله به عليك منك، أو يَعصِي الله فيه فتكونَ قد سعيتَ في معاونته على الإثم والعُدوان.

[٦٦١٢] قال الإمام أحمد: حدثنا محمدُ بن جعفر، حدثنا شُعبةُ، سَمِعت قتادة يُحدِّث، عن مُطَرِّفٍ ـ يعني ابنَ عبد الله بن الشّخّير ـ عن أبيه قال: انتهيتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ [التكاثر: ١]، يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك من مالكَ إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لَبِستَ فأبليتَ، أو تَصدَّقتَ فأمضيتَ؟ وَرَواه مسلم من حديث شُعبَةَ، به، وزاد: «وما سِوَى ذلك فذاهبٌ وتارِكُه للنّاسِ»[(١)].

وقولُهُ تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، ترغيبٌ في الإيمانِ والإنفاق في الطّاعةِ. ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾، أي: وأيُّ شيءٍ يمنعكم الإيمان والرسولُ بين أظهرُكم، يدعُوكم إلى ذلك، ويبين لكم الحُجَج والبراهين على صِحَّة ما جاءكم به؟

[٦٦١٣] وقد رَوَينا في الحديث من طُرُق في أوائل شرح (كتاب الإيمان) من صَحِيح البُخاري: أن رسولَ الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: أيُّ المؤمنين أعجبُ إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكةُ. قال: وما لهم لا يُؤمِنونَ وهم عند ربِّهم؟ قالوا: فالأنبياء. قال: ما لهم لا يُؤمنون والوحيُ ينزل عليهم. قالوا: فنحن؟ قال: وما لكم لا تُؤمِنُون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجبُ المؤمنين إيماناً قومٌ يجيئون بعدَكُم يجدون صُحُفاً يُؤمِنُون بما فيها[(٢)]. وقد ذكرنا طَرَفاً من هذا في أول سُورةِ البقرة عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقولُهُ تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾، كما قال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧]. ويعني بذلك بيعةَ رسول الله ﷺ. وزعَم ابنُ جَريرٍ: أنَّ المرادَ بذلك الميثاقُ الذي أُخِذَ عليهم في صُلب آدمَ. وهو مذهبُ مجاهدٍ فالله أعلم. وقولُهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، أي: حُجَجاً واضحات، ودلائلَ باهراتٍ، وبراهينَ قاطعاتٍ، ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، أي: من ظُلماتِ الجَهل والكُفر والآراء المتضادَّة إلى نُورِ الهدىٰ واليَقينِ والإيمان، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسُلَ لهدايةِ الناس، وإزاحةِ العِلل وإزالةِ الشُّبَهِ. ولمّا أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق، ثم حَثَّهم على الإيمان، وبيَّن أنه قد أزال عنهم مَوانِعه، حَثَّهم أيضاً على الإنفاق فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾، أي: أنفِقُوا ولا تخشَوا فقراً وإقلالاً، فإن الذي أنفقتم في سبيلِه هو مالِكُ السّمواتِ والأرض، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنهما، وهو مالِكُ العرش بما حَوَى، وهو القائل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]. وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٥٨ وأحمد ٤/ ٢٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري وغيره، وتقدم.

﴿ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فمَن توكَّل على الله أنفقَ، ولم يخشَ من ذي العرش إقلالاً، وعلم أن الله سيُخلِفه عليه. وقولُهُ تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾، أي: لا يستوي هذا ومَن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكَّةَ كان الحالُ شديداً، فلم يكن يُؤمِن حينئذ إلا الصِّدِّيقون، وأما بعدَ الفتح فإنه ظهر الإسلامُ ظُهوراً عَظيماً، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً. ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. والجمهورُ على أن المراد بالفتح ها هنا فتح مكة. وعن الشعبيِّ وغيره أن المرادَ بالفتح ها هنا صُلْحُ الحُدَيبية.

[٦٦١٤] وقد يُستَدلُّ لهذا القول بما قال الإمام أحمد: حدثنا أحمدُ بن عبد الملك، حدثنا زُهَير، حدثنا حُمَيدٌ الطويلُ، عن أنسٍ قال: كان بين خالدِ بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عَوفٍ كلامٌ، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتُمونا بها؟ فَبلغَنا أنَّ ذلك ذُكِر للنبي ﷺ، فقال: «دَعُوا لي أصحابي، فوالذي نَفسِي بيده لو أنفقتُم مثلَ أُحُدٍ ـ أو: مثلَ الجبالِ ـ ذهباً، ما بلغتُم أعمالَهم»[١]. ومعلومٌ أن إسلامَ خالدِ بن الوليد المواجَه بهذا الخطاب كان بين صُلحِ الحديبية وفَتْح مكة، وكانت هذه المشاجرةُ بينهما في بني جَذيمة الذين بَعَث إليهم رسولُ ﷺ خالدَ بن الوليد بعد الفتح، فجعلُوا يقولون: (صَبَأنا، صَبَأنا)، فلم يُحسِنُوا أن يقولوا (أسلمنا)، فأمر خالدٌ بقتلهم وقَتْلِ مَن أُسِر منهم، فخالفه عبدُ الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عُمَر، وغيرهما. فاختَصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك.

[٦٦١٥] والذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نَفسِي بِيَدِه لو أَنفَقَ أحدُكم مثل أُحُدٍ ذَهباً ما بَلَغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»[٢]. .

[٦٦١٦] وَرَوى ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، من حديث ابن وهب: أخبرنا هِشَام بنُ سعدٍ، عن زيد ابن أسلَمَ، عن عطاء بن يَسَار، عن أبي سعيد الخُدريِّ أنه قال: خَرَجنا مع رسولِ الله ﷺ عام الحُديبية، حتى إذا كنا بعُسفَانَ قال رسول الله ﷺ: «يُوشِك أن يأتي قومٌ تَحقِرُون أعمالَكم مع أعمالهم». فقلنا: مَن هُم يا رسول الله؟ أَقُرَيشٌ؟ قال: لا، ولكن أهلُ اليَمَن، هم أرَقُّ أفئدَةً وألينُ قلوباً». فقلنا: هُم خيرٌ منا يا رسول الله؟! قال: «لو كان لأحدِهم جَبَلٌ من ذَهَبٍ فأنفقَه ما أدركَ مُدّ أحَدِكم ولا نَصِيفه، ألاَ إنَّ هذا فضلُ ما بيننا وبين النـاس، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»[٣]. وهذا الحديثُ غريبٌ بهذا السياق.

[٦٦١٧] والذي في الصَّحيحين من رواية جماعةٍ، عن عطاءِ بن يسار، عن أبي سَعِيد ـ ذَكَرَ الخوارج ـ: «تحقِرون صَلاتَكم مع صلاتهم، وصِيامكم مع صِيامهم، يَمرُقُون من الدِّينِ كما يمرُقُ السهمُ من الرميَّة». . . الحديث[٤].

[٦٦١٨] ولكن رَوَى ابنُ جرير هذا الحديثَ من وجه آخر، فقال: حَدَّثني ابنُ البَرْقِيِّ، حدثنا ابنُ أبي

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣/٢٦٦ وإسناده على شرط البخاري، وتقدم.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الفتح آية ٢٩.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٦١٠، وفيه هشام بن سعد، وهو ضعيف الحديث، وقد صح هذا في الخوارج، لا في أهل اليمن، والوهم من هشام بن سعد.

(٤) متفق عليه، وتقدم.

مَرْيَم، أخبرنا محمد بن جَعفر، أخبرني زيد بن أسلَم، عن أبي سعيد التمّار، عن أبي سَعِيد الخُدري(١): أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُوشِك أن يأتي قومٌ تَحقِرون أعمالَكم مع أعمالِهم». قلنا: مَن هُم يا رسول الله؟! قُريشٌ؟ قال: «لا، هُمْ أَرَقُّ أفئدَةً، وألينُ قُلوباً». وأشار بيده إلى اليَمَن، فقال: «هُم أهلُ اليمنِ، ألا إنَّ الإيمانَ يمانٍ، والحكمةَ يمانيةٌ». فقلنا: يا رسول الله! هم خيرٌ منا؟ قال: «والذي نفسي بيده لو كان لأحدِهم جَبَلٌ من ذهب يُنفِقُه ما أدّى مُدَ أحَدِكم ولا نَصِيفَه». ثم جَمَع أصابعه ومَدّ خِنصرَه وقال: «ألا، إنَّ هذا فضلُ ما بيننا وبين الناس، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾». فهذا السياقُ ليس فيه ذكرُ الحُدَيبية، فإن كان ذاك محفوظاً كما تقدَّم، فَيَحتَمِل أنه أُنزِل قبل الفتح إخباراً عما بعده، كما في قوله تعالى في سورة المزمل ـ وهي مكية، من أوائل ما نزَل ـ: ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]. . الآية، فهي بشارة بما يُستَقبَلُ، وهكذا هذه. والله أعلمُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعني المُنفِقين قبل الفتح وبعده، كلُّهم لهم ثوابٌ على ما عَمِلوا، وإن كان بينهم تفاوتٌ في تفاضُل الجزاءِ، كما قال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥].

[٦٦١٩] وهكذا الحديث الذي في الصحيح: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ»(٢). وإنما نَبَّه بهذا لِئلاّ يُهدَرَ جانبُ الآخرَ بمَدْحِ الأوّل دون الآخرِ، فيَتوهم مُتوهِّم ذَمَّه، فلهذا عَطَف بِمَدْحِ الآخرِ والثناءِ عليه، مع تَفضِيل الأوّل عليه، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: فَلِخبرتِه فاوت بين ثوابِ مَن أنفقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وقاتَلَ، ومَن فَعَل ذلك بعد ذلك، وما ذاكَ إلا لِعلْمِه بقصد الأول وإخلاصِه التّامِّ، وإنفاقِه في حال الجَهْدِ والقلة والضيق.

[٦٦٢٠] وفي الحديث: «سَبَق دِرْهَمٌ مئةَ ألفِ»(٣). ولا شكَّ عند أهلِ الإيمان أنَّ الصِّدِّيق أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ له الحظ الأوفرُ من هذه الآية، فإنه سَيِّد مَن عَمِل بها من سائر أُمَم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كُلَّه ابتغاءَ وجهِ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ ولم يكن لأحدٍ عنده نعمةٌ يجزيه بها.

[٦٦٢١] وقد قال أبو محمد الحُسَين بن مسعود البَغَويُّ عند تفسير هذه الآية: أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشّريحيّ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدثنا أبو إسحاق الفَزَاريّ، حدثنا سفيان بن سعيد، عن آدم بن علي، عن ابن عُمَر قال: كنتُ عند النَّبيِّ ﷺ وعنده أبو بكر

---

(١) كذا وقع في سائر النسخ. وهو عند الطبري ٣٣٦١١ عن زيد عن أبي سعيد التمار مرسلاً. ليس فيه ذكر أبي سعيد الخدري، فهو إما سبق قلم من ابن كثير رحمه الله، أو أنه سقط من تفسير الطبري، ويكل حال التمار هذا مجهول. وقد أخرجه سعيد بن منصور كما في «الدر» ٦/ ٢٤٩ عن زيد بن أسلم مرسلاً، وهو أصح. فالمتن غريب، والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٦٤ وابن ماجه ٧٩ و ٤١٦٨ وأحمد ٢/ ٣٦٦ و ٣٧٠ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ٦٢٣ و ٦٢٤ وابن حبان ٥٧٢١ و ٥٧٢٢ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٣) حسن. أخرجه النسائي ٥/ ٥٩ وابن خزيمة ٢٤٤٣ وابن حبان ٣٣٤٧ والحاكم ١/ ٤١٦ وإسناده حسن لأجل محمد بن عجلان.

الصديق، وعليه عباءةٌ قد خَلَّها في صدره بِخِلال، فنزل جبريلُ فقال: مالي أرَى أبا بكر عليه عباءةٌ قد خَلَّها[١] في صَدْرِهِ بِخِلاَلٍ؟ فقال: «أنفق ماله عليَّ قبل الفتح». قال: فإن الله يقول: اقرأ عليه السلام، وقل له: أراضٍ أنتَ عني في فقرِك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله: «يا أبا بكر! إن الله يقرأُ عليك السلام، ويقول لك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟». فقال أبو بكر رضي الله عنه: أسخطُ على ربي ـ عَزَّ وجَلَّ ـ؟! إنّي عن ربِّي رَاضٍ[٢]. هذا الحديثُ ضَعِيفُ الإسنادِ من هذا الوجهِ.

قولُهُ تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾، قال عمر بن الخطاب: هو الإنفاقُ في سبيل الله. وقيل: هو النَّفقةُ على العيال. والصَّحيحُ أنه أعمُّ من ذلك، فكل مَن أنفق في سبل الله بنيَّةٍ خالصَةٍ وعزيمة صادقة دَخَلَ في عُمُوم هذه الآية، ولهذا قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾، أي: جزاءٌ جميلٌ، ورزقٌ باهرٌ ـ وهو الجنَّةُ ـ يوم القيامة.

[٦٦٢٢] قال ابنُ أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عَرَفة، حدثنا خَلَف بن خَلِيفَةَ، عن حُمَيدُ الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن مسعُودٍ قال: لما نَزَلت هذه الآيةُ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾، قال أبو الدَّحداح الأنصاري: يا رسول الله! وإنَّ الله لَيرِيدُ منَّا القرضَ؟ قال: «نعم، يا أبا الدَّحداح»! قال: أرِني يَدَك يا رسولَ الله! قال: فَنَاوله يدَه، قال: فإني قد أقرضتُ ربِّي حائطي ـ وله حائطٌ فيه ستُمائة نخلةٍ، وأمُّ الدَّحداح فيه وعيالُها، قال: فجاء أبو الدَّحداح فناداها: يا أم الدَّحداح! قالت: لبيك. فقال: اخرُجي، فقد أقرضتُه رَبِّي ـ عَزَّ وجَلَّ ـ. وفي رواية أنها قالت له: رَبح بيعُك يا أبا الدَّحداح! ونَقَلت منه متاعَها وصِبيانها، وأنَّ رسول الله ﷺ قال: «كم من عَذْقٍ رَدَاح، في الجنَّة لأبي الدَّحداح». وفي لفظ: «ربَّ نخلةٍ مُدَلاَّة عروقُها درٌّ وياقوتٌ، لأبي الدَّحداحِ في الجنَّةِ»[٣].

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّـٰتٌ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَـٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدِّقين أنَّهم يومَ القيامة يسعَى نورُهم بين أيديهم في عَرَصاتِ القيامة، بحسَبِ أعمالهم، كما قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ في قولِهِ: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، قال: على قَدْرِ

---

(١) خلّها: عقدها.

(٢) أخرجه البغوي في «تفسيره» ٤/٢٦٩، وهو حديث باطل لا أصل له. فيه العلاء الحنفي، وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمته، وقال: هو متروك. وهذا الخبر كذب.

(٣) إسناده ضعيف لضعف حميد الأعرج وهو ابن عمار، وقد صح حديث أبي الدحداح عند قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وتقدم.

أعمالهم يمرُّون على الصِّراطِ، مِنهُم من نورُه مثلُ الجبل، ومنهُم مَن نورُه مثل النخلة، ومِنهم مَن نورُه مثلُ الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نورُه في إبهامه يَتّقِدُ مرّةً ويَطْفَأُ مرّةً. رَوَاه ابنُ أبي حاتِمٍ، وابنُ جَرِيرٍ.

[٦٦٢٣] وقال قتادةُ: ذُكِر لنا أن نبيَّ الله ﷺ كان يقولُ: «مِن المؤمنينَ مَن يُضِيءُ نُورُهِ من المدينة إلى عَدَنِ أَبْيَنَ وصنعاءَ فدُونَ ذلك، حتى إن من المؤمنين من يُضِيءُ نورُه موضع قدميه»(١). وقال سفيانُ الثَّوريُّ، عن حُصَين، عن مجاهد، عن جُنادة بن أبي أُميّة قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسِيماكم وحُلاكم، ونجواكم ومجالِسِكم، فإذا كان يومُ القيامة قيلَ: يا فلانُ! هذا نورُك. يا فلانُ! لا نُورَ لك. وقرأ ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

وقال الضحاك: ليس أحدٌ إلا يعطَى نُوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفِيء نورُ المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقُوا أن يطْفَأَ نورُهم كما طفىء نورُ المنافقين، فقالوا: ربَّنا أتمِمْ لنا نورَنا. وقال الحسنُ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني على الصِّراطِ.

[٦٦٢٤] وقد قال ابن أبي حاتم رَحِمه الله: حدثنا أبو عُبَيد الله ابنُ أخي ابن وهب، أخبرنا عَمِّي، عن يزيدَ بن أبي حَبيب، عن سَعدِ بن مسعود: أنه سَمِع عبد الرحمن بن جُبَير يُحدِّث: أنه سَمِعَ أبا الدرداء وأبا ذَرٍّ يُخبران عن النبي ﷺ قال: «أنا أول مَن يُؤذَن له يومَ القيامةِ بالسُّجودِ، وأوّلُ من يُؤذَنُ له برفع رأسه، فأنظر من بين يَدَيَّ ومنِ خلفي، وعن يَميني وعن شمالي، فأعرِفُ أُمّتي من بين الأمم». فقال له رجلٌ: يا نبيَّ الله! كيف تعرفُ أُمّتك من بين الأُمَم، وما بين نوحٍ إلى أُمّتك؟ قال: أعرِفُهم، مُحجَّلون من أثرِ الوضوء، ولا يكونُ لأحدٍ من الأمم غيرهم، وأعرِفهم يُؤتونَ كُتُبهم بأيمانهم، وأعرِفهُم بسيماهم في وجُوههم، وأعرِفُهم بنُورهم يسعَى بين أيديهم وذرِّيتهم»(٢).

وقولُهُ تعالى: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾، قال الضحاك: أي: وبأيمانهم كُتُبهم. كما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الإسراء: ٧١]. وقولُهُ: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، أي: يُقال لهم: بشراكم اليوم جنّاتٌ، أي: لكُم البشارةُ بجنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، أي: ماكِثِين فيها أبداً، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.
وقولُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، وهذا إخبارٌ منه تعالى عمّا يقع يوم القيامة في العَرَصات من الأهوالِ المزعجةِ، والزلازِلِ العظيمَةِ، والأُمور الفظيعَةِ، وَأنّه لا ينجُو يومئذٍ إلاّ من آمن بالله ورسولِه، وعَمِل بما أَمَر، وتَرَك ما عنه زَجَر.

قال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عَبْدَة بن سُلَيمان، حدثنا ابن المبارك، حدثنا صَفوان بن عَمرو، حدثني سُلَيم بن عامر قال: خَرجنا على جنازة في باب دِمَشْقَ، ومعنا أبو أُمامَةَ الباهلي، فلما صُلّي على الجنازة وأخذُوا في دفنِها، قال أبو أمامة: أيها النّاسُ! إنكم قد أصبحتُم وأمسيتم في منزلٍ تَقْتَسِمُون فيه الحسناتِ والسيئاتِ، وتُوشِكُون أن تَظعَنُوا منه إلى منزلٍ آخر، وهو هذا ـ يُشير إلى القَبر ـ بيتِ الوحدةِ،

(١) أخرجه الطبري ٣٣٦١٤ عن قتادة مرسلاً، ومع إرساله هو بصيغة التمريض. وقد أخرجه الطبري ٣٣٦١٦ عن ابن مسعود موقوفاً، وهو أصح. لكن الآية شاهد بذلك والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف، وله علتان، ضعف ابن أخي ابن وهب، وجهالة سعد بن مسعود، وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٧٨ من طريق آخر عن أبي صالح عن الليث عن حبيب عن جبير، وأبو صالح ضعيف، وحبيب مدلس، وقد أسقط سعد بن مسعود لجهالته، وبعض المتن محفوظ له شواهد، وبعضه الآخر منكر، ومن ذلك «وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم» فهذا لا يصح، فليس هو خاص بهذه الأمة، بل عام في كل مؤمن من الأمم المتقدمة.

وبيتِ الظُّلمة وبيتِ الدُّودِ، وبيتِ الضِّيق، إلاَّ ما وسَّع الله، ثم تنتقِلُون منه إلى مواطنِ يوم القيامة، فإنكم في بعضِ تلكَ المواطِن حينَ يغشى النَّاسَ أمرٌ من الله، فَتَبْيَضُّ وجوه وتَسْوَدُّ وجوهٌ، ثم تنتقِلون منه إلى منزلٍ آخَرَ فتغشى النَّاسَ ظلمةٌ شديدةٌ، ثم يُقسَمُ النورُ فَيُعطى المؤمن نوراً، ويُتْرَكُ الكافِرُ والمنافق فلا يُعطَيان شيئاً. وهو المثلُ الذي ضَرَبه الله في كتابه، قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾. إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فلا يَسْتَضيء الكافرُ والمنافقُ بنورِ المؤمنِ كما لا يَستَضِيء الأعمى بنُور البَصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾، وهي خدعة الله التي خَدَع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. فيرجِعُون إلى المكان الذي قُسِم فيه النُّورُ، فلا يجدون شيئاً فَينصرِفُون إليهم وقد ضُرِب بينهم بِسُورٍ له بابٌ، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ . . . الآية، يقول سُلَيم بن عامر: فما يزال المنافقُ مغترًا حتى يُقسَمَ النُّورُ، ويُميِّز الله بين المؤمن والمنافق.

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا ابن حَيْوَة، حدثنا أرطاةُ بن المنذر، حدثنا يوسفُ بن الحَجَّاج عن أبي أمامة قال: تُبعثُ ظلمةٌ يوم القيامة، فما مِن مُؤمِن ولا كافِرٍ يَرَى كَفَّه، حتى يبعَثَ الله بالنُّور إلى المؤمنين بِقَدْرِ أعمالهم، فَيتْبعهُم المنافقون فيقولُون: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. وقال العَوفيُّ، والضحاك، وغيرهما، عن ابن عبَّاسٍ: بينما الناس في ظُلمةٍ إذْ بعثَ الله نُوراً، فلما رأى المؤمنونَ النورَ توجَّهُوا نحوَه، وكان النُّورُ دليلاً من الله إلى الجنَّةِ، فلَمَّا رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقُوا اتَّبعُوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذٍ: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فإنا كُنَّا معكم في الدنيا. قال المؤمنون: ﴿ارْجِعُوا﴾ من حيثُ جئتُم من الظلمَةِ، فالتمِسوا هنالك النُّورَ.

[٦٦٢٥] وقال أبو القاسم الطَّبَراني: حدثنا الحَسَن بن عَلُّويَة القَطَّان، حدثنا إسماعيلُ بن عيسى العَطَّار، حدثنا إسحاقُ بن بشر أبو حُذَيفةَ، حدثنا ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُلَيكَةَ، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله يدعُو النَّاسَ يوم القيامة بأسمائِهم ستراً منه على عبادِه. وأما عند الصِّراط فإن الله يُعطِي كلَّ مؤمن نُوراً، وكلَّ منافق نُوراً، فإذا استووا على الصراط سَلَب الله نُورَ المنافقين والمنافقات، فقال المنافقُون: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾. فلا يَذْكر عند ذلك أحدٌ أحداً»[1].

وقولُه تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ بَاطِنُهُۥ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، قال الحسنُ، وقتادةُ: هو حائطٌ بين الجنة والنار. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلَمَ: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾. وهكذا رُوي عن مجاهدٍ ـ رحمه الله ـ وغير واحدٍ. وهو الصحيحُ. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾، أي: الجنَّةُ وما فيها، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، أي: النَّارُ. قاله قتادةُ، وابنُ زيدٍ، وغيرهما. قال ابنُ جريرٍ: وقد قيل: إن ذلك السورَ سورُ بيتِ المقدس عند وادي جَهَنَّم. ثم قال: حدثنا ابن البرقي، حدثنا عَمرو ابن أبي سَلَمة، عن سعيد بن عطية بن قَيسٍ، عن أبي العوَّام ـ مُؤَذِّن بيت المقدِس ـ قال: سَمِعتُ عبد الله ابن عَمرو يقول: إنَّ السورَ الذي ذَكَر الله في القرآن: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ بَاطِنُهُۥ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، هو السور

---

(١) باطل. أخرجه الطبراني ١١٢٤٢، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٤٤٣: فيه إسحاق بن بشر، وهو متروك اهـ. وكذبه الدارقطني، وكذا علي المديني. وله شاهد بإسناد ساقط. أخرجه ابن عدي ١/ ٣٤٣ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/ ٢٤٨ وقال ابن الجوزي، لا يصح، والمتهم به إسحاق. قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يأتي عن الثقات بالأشياء الموضوعات، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب اهـ. وصح عند مسلم «تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم......».

الشرقي باطنه المسجدُ وما يليه، وظاهره وادي جَهَنَّم. ثم رَوَى عن عُبادة بن الصَّامت، وكعب الأحبار، وعلي بن الحُسَين زينِ العابدين، نحو ذلك. وهذا محمُولٌ منهم على أنهم أرادوا بهذا تَقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أنَّ هذا هو الذي أُرِيدَ من القرآن هذا الجِدارُ المعيَّن ونفسُ المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جَهَنَّم؛ فإن الجنة في السموات في أعلى عِلِّيِّينَ، والنار في الدرَكات أسفلَ سافلين. وقولُ كعبِ الأحبارِ: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرَّحمةِ الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وتُرَّهاته. وإنما المراد بذلك سورٌ يُضرَب يوم القيامة لِيَحجُز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهَى إليه المؤمنون دخلُوه من بابه، فإذا استكملوا دُخُولهم أُغلِقَ البابُ ويبقَى المنافقونَ من ورائه في الحيرة والظلمَةِ والعذابِ، كما كانوا في الدار الدُّنيا في كُفرٍ وجَهلٍ وشَكٍّ وحيرَة.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، أي: ينادِي المنافقون المؤمنين: أما كُنَّا معكُم في الدار الدنيا، نشهَدُ معكم الجُمُعاتِ، ونصلي معكم الجَماعات، ونقف معكم بعَرَفاتِ، ونحضر معكم الغزواتِ، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى، قد كنتُم معنا، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾، قال بعضُ السلف: أي: فتنتُم أنفسَكم بالّلذّاتِ والمعاصي والشهواتِ، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، أي: أخَّرتم التَّوبةَ من وقتٍ إلى وقتٍ. وقال قتادةُ: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحقِّ وأهله. ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾، أي: بالبَعثِ بعد الموتِ، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾، أي: قلتم؛ سَيُغفر لنا. وقيل: غرَّتكم الدنيا. ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، أي: ما زلتُم في هذا حتى جاء الموتُ، ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾، أي: الشَّيطانُ. قال قتادة: كانوا على خُدعَةٍ من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قَذَفهم الله في النَّارِ. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: أنكم كنتُم معنا بأبدانٍ لا نيَّةَ لها ولا قلوبَ معها، وإنما كنتم في حَيرةٍ وشَكٍّ، فكُنتم تُراؤون الناس ولا تذكُرون الله إلا قليلاً. قال مجاهدٌ: كان المنافِقُون مع المؤمنين أحياءً يُناكِحُونهم ويَغشَونهم ويُعاشِرُونهم، وكانوا معهم أمواتاً، ويُعطَون النُّورَ جميعاً يوم القيامة، ويطْفَأُ النُّورُ من المنافقين إذا بلغوا السُّورَ، ويُمَاز بينهم حينئذ.

وهذا القولُ من المؤمنين لا يُنافِي قولَهم الذي أخبر الله به عنهم، حيث يقولُ وهو أصدقُ القائلين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٧]. فهذا إنما خَرَج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ. ثم قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، كما قال تعالى ها هنا: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: لو جاء أحدُكم اليومَ بمِلْءِ الأرض ذَهَباً ومثلَه معه لِيفتدِيَ به من عذابِ الله ما قُبِل منه. وقولُهُ: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾، أي: هي مَصيركم وإليها مُنقَلَبُكم. وقولُهُ: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾، أي: هي أولَى بِكم من كُلِّ منزلٍ على كُفرِكم وارتيَابِكم. وبئس المصيرُ.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

يقولُ تعالى: أما آنَ للمؤمنين أن تخشع قلوبُهم لذكر الله، أي: تَلِين عند الذِّكر والموعظة وسَماع القرآن، فتفهَمُه وتَنقادُ له وتسمعُ له وتُطِيعه.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا صالح المُرّي، عن قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قُلُوب المهاجِرين فعاتَبَهم على رأس ثلاثَ عشرةَ من نُزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾... الآية، رواه ابنُ أبي حاتمٍ، عن الحسن بن محمد بن الصَّبّاح، عن حُسَين المروزِيّ، عن ابن المبارك، به.

[٦٦٢٦] ثم قال هو ومُسلِمٌ: حدثنا يونُس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وَهب، أخبرني عَمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال ـ يعني اللَّيثِيّ ـ عن عَونِ بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعُودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: ما كان بين إسلامنا وبينَ أن عاتبنا الله بهذه الآيةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾... الآية، إلا أربعِ سنين[1]. كذا رواه مسلم في آخر الكتاب. وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية، عن هارونَ بن سعيد الأيلِيّ، عن ابن وَهب، به. وقد رواهُ ابن ماجه من حديث مُوسَى بن يعقُوب الزَّمعِيّ، عن أبي حازم، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه، مِثلَه. فجعله من مُسنَدِ ابن الزُّبَير. لكن رواه البزّار في مسنده من طريق موسى بن يعقوبَ، عن أبي حازم، عن عامرٍ، عن ابن الزُّبير، عن ابن مسعُودٍ، فذكره.

[٦٦٢٧] وقال سُفيانُ الثوري؛ عن المسعُوديّ، عن القاسم قال: مَلَّ أصحابِ رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حَدِّثنا يا رسول الله! فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[2] [يوسف: ٣]. قال: ثم مَلُّوا مَلَّة فقالوا: حَدِّثنا يا رسولَ الله! فأنزل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. ثم ملوا مَلّة فقالوا: حدِّثنا يا رسولَ الله! فأنزل الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

[٦٦٢٨] وقال قتادة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: ذُكِرَ لنا أن شَدّاد بن أوس كان يَرْوِي عن رسول الله ﷺ قال: «إن أوّل ما يُرفَعُ من الناس الخُشُوع»[3]. وقولُهُ: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: نَهى الله المؤمنين أن يَتَشبَّهوا بالذين حُمِّلوا الكتاب قبلَهم من اليهودِ والنصارَى، لمّا تطاوَلَ عليهم الأمدُ بَدَّلوا كتابَ الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونَبَذُوه وراءَ ظهُورهم، وأقبلُوا على الآراءِ المختلِفَة والأقوال المؤتفِكَة، وقَلَّدُوا الرجالَ في دين الله، واتخذوا أحبارَهم ورُهبانهم أرباباً من دُونِ الله، فعند ذلك قَست قلوبُهم، فلا يَقبَلُون موعظةً، ولا تَلِين قلوبُهم بوعدٍ ولا وعيد. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾، أي: في الأعمال، فقلوبُهم فاسدةٌ، وأعمالهم باطلةٌ. كما قال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، أي: فَسَدت قلوبُهم فقست وصارَ من سجِيَّتِهم تحريفُ الكَلِم عن مواضِعِه، وتركُوا الأعمالَ التي أُمِرُوا بها، وارتكبُوا ما نُهُوا عنه، ولهذا نَهى الله المؤمنين أن يَتَشبَّهوا بهم في شيءٍ من الأمور الأصليَّة والفرعيَّة.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشامُ بن عَمّار، حدثنا شهابُ بن خِرَاش، حدثنا حجّاج ابن

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٢٧ ح ٢٤ والنسائي في «التفسير» ٥٨٨.

(٢) وتقدم تخريج الحديث عندها، وهو مرسل ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٦٤٢ عن قتادة عن شداد بن أوس، وهو منقطع بينهما، كما هو واضح في صيغة قتادة. وأخرجه الطبراني ٧١٨٣ عن قتادة عن الحسن عن شداد به، وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٨١٤: فيه عمران ابن داور القطان، ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد وابن حبان. وله شاهد من حديث أبي الدرداء أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ٢٨١٣ وقال الهيثمي: إسناده حسن. وفي الباب عن عوف بن مالك أخرجه أحمد ٦/ ٢٦ ـ ٢٧ ح ٢٣٤٧٠ وإسناده لا بأس به. فالحديث حسن بشواهده إن شاء الله.

دينار، عن منصور بن المعتمر، عن الربيع بن عُمِيلة الفَزَاري قال: حدثنا عبد الله بن مسعودٍ حديثاً ما سَمِعتُ أعجبَ إليّ منه، إلاّ شيئاً من كتاب الله ـ أو: شيئاً قاله النبيُّ ﷺ، قال[1]: «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمدُ فَقسَت قلوبُهم اخترعُوا كتاباً من عند أنفسهم، استهوته قلوبُهم واستحلَّته ألسنتهم واستلذَّته، وكان الحقُّ يحولُ بينهم وبين كثير من شَهواتهم فقالوا: تعالَوا ندعُ بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فَمَن تابعنا عليه تَركناه، ومن كَرِه أن يُتابِعَنا قَتَلْناه. ففعلوا ذلك، وكان فيهم رجلٌ فقيهٌ، فلما رأى ما يَصنعُون عَمَدَ إلى ما يَعرِف من كتابِ الله فَكَتَبه في شيءٍ لطيفٍ، ثم أدرجَه، فَجَعله في قرن ثم عَلّق ذلك القرن في عُنُقه، فلما أكثروا القتلَ قال بعضُهم لبعض: يا هؤلاء، إنكم قد أفشيتم القتلَ في بني إسرائيل، فادعُوا فلاناً فاعرِضُوا عليه كتابَكُم، فإنه إن تابعكم فَسيُتابِعكم بقيّةُ النّاسِ، وإن أبى فاقتلُوه. فدعَوا فلاناً ذلك الفقيهَ فقالوا: تُؤمِن بما في كتابنا؟ قال: وما فيه؟ اعرِضُوه عليّ. فعرضُوه عليه إلى آخره، ثم قالوا: أتؤمن بهذا؟ قال: نعم، آمنت بما في هذا ـ، وأشار بيده إلى القَرْنِ ـ آمنتُ بما في هذا ـ فتركوه، فلما ماتَ نبشُوه فوجدُوه مُتعلّقاً ذلك القرنَ، فوجدُوا فيه ما يعرَف من كتاب الله، فقال بعضُهم لبعضٍ: يا هؤلاء، ما كنا نسمَعُ هذا أصابَهُ فِتنةٌ. فافترقت بنُو إسرائيلَ على ثِنْتَين وسبعين مِلّةً، وخيرُ مِلَلِهم ملةُ أصحابِ ذي القَرْنِ». قال ابن مسعود: أوشَكَ بكم إن بقيتُم ـ أو: بَقِي من بَقي منكم ـ أن تَرَوا أموراً تُنكِرُونها، لا تستطيعون لها غَيْراً فَبِحَسْبِ المرءِ منكُم أن يعلَم الله من قلبِه أنه لها كَارِهٌ.

وقال أبو جعفر الطَّبريُّ: حدثنا ابنُ حُمَيدٍ، حدثنا جَرِير، عن مُغيرَة، عن أبي معشر، عن إبراهيم قال: جاء عِتْرِيس بنُ عُرقُوبٍ إلى ابن مسعود فقال: يا عبدَ الله! هَلَك مَن لم يأمر بالمعروف وَيَنْهَ عن المنكر. فقال عبد الله: هَلَكَ مَن لم يعرِف قلبُه معروفاً ولم يُنكِر قلبُه منكراً، إنَّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمدُ وقَسَت قلوبُهم، اخترعُوا كتاباً من بين أيديهم وأرجُلهم، استهوته قلوبُهم واستحلَّته ألسنتُهم، وقالوا: نَعرِضَ بَني إسرائيلَ على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه، ومَن كَفَر به قتلناه. قال: فجعل رجلٌ منهم كتابَ الله في قَرْن، ثم جعل القَرْن بين ثُنْدُوتَيه فلما قيل له: أتؤمِنُ بهذا؟ قال: آمنتُ به ـ ويُومىء إلى القرن بين ثُنْدُوتَيْهِ ـ ومالي لا أومن بهذا الكتاب؟ فَمِنْ خَيرِ مِلَلِهم اليومَ مِلّةُ صاحب القَرْنِ.

وقولُه تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾: فيه إشارةٌ إلى أنه ـ تعالى ـ يُلين القلوبَ بعد قَسوتها، ويَهدِي الحَيارى بعد ضَلّتها، ويُفرّج الكروب بعد شِدّتها، فكما يُحيي الأرضَ الميّتة المُجدِبة الهامِدَة بالغيث الهَتّان، كذلك يَهدي القلوبَ القاسِية ببراهينِ القُرآن والدّلائلِ، ويُولج إليها النُّور بعد ما كانت مُقفَلَةً لا يَصِل إليها الواصلُ، فسبحانَ الهادِي لمن يشاءُ بعد الإضلالِ، والمُضِلُّ لمن أراد بعد الكَمالِ، الذي هو لما يشاءُ فَعّالٌ، وهو الحَكَمُ العدلُ في جميع الفعَال، اللطيفُ الخبيرُ الكَبيرُ المُتعال.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

يُخبر تعالى عَمّا يُثِيب به المصدِّقين والمُصدِّقات بأموالهم على أهل الحاجةِ والفقر والمسكَنةِ، ﴿وَأَقْرَضُوا۟

(١) القائل ابن مسعود، فالخبر موقوف لا مرفوع.

ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، أي: دفعُوه بنيّة خالصة ابتغاء وجهِ الله، لا يُريدون جزاءً ممن أعطَوه ولا شُكُوراً. ولهذا قال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ أي: يقابلُ لهم الحسنةَ بعشرِ أمثالِها، ويُزاد على ذلك إلى سبعمئةِ ضعفٍ وفوقَ ذلك، ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، أي: ثواب جزيلٌ حسنٌ، ومَرجعٌ صالحٌ ومآبٌ كريم. وقولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾: هذا تمامُ الجملةِ، وَصَفَ المؤمنين بالله ورسله بأنهم صدِّيقون. قال العَوفيُّ، عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾: هذه مفصولة، ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. وقال أبو الضحى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. وهكذا قال مسروق، والضحاك، ومقاتل بن حَيّان، وغيرهم.

وقال الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مَسرُوقٍ، عن عبدِ الله في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، قال: هم ثلاثة أصناف: يعني المصدِّقين، والصدِّيقين، والشهداء. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ففرّق بين الصديقين والشُّهداء، فدل على أنهما صنفان. ولا شك أن الصدّيق أعلى مقاماً من الشّهيد.

[٦٦٢٩] كما رواه الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ في كتابه الموطّأ، عن صفوانَ بن سُلَيم، عن عطاء بن يَسَار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهلَ الجَنّةِ ليتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقهم، كما يَتراءون الكوكَب الدُّريَّ الغابرَ في الأفق من المشرقِ أو المغرب، لِتَفاضُلِ ما بينَهُم». قالوا: يا رسولَ الله! تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهم؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيدِه رجالٌ آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين»[١]. اتفقَ البخاريُّ ومسلمٌ على إخراجِهِ من حديث مالك، به. وقال آخرون: بل المرادُ من قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صدِّيقون وشهداء. حكاه ابن جرير عن مجاهد.

[٦٦٣٠] ثم قال ابن جرير: حدثني صالحُ بن حرب أبو مَعْمَرٍ، حدثنا إسماعيل بن يحيى، حدثنا ابن عَجلان، عن زيد بن أسلَم، عن البراء بن عازِبٍ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مؤمنو أُمَّتي شهداءُ». قال: ثم تَلاَ النبيُّ ﷺ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٢]. هذا حديث غريب. وقال أبو إسحاق، عن عَمْرو بن مَيْمونٍ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، قال: يجيؤون يومَ القيامةِ معاً كالإصبعين.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي: في جَنّاتِ النّعيم.

[٦٦٣١] كما جاء في الصحيحين: «إنّ أرواحَ الشهَداءِ في حَواصِلَ طير خُضرٍ تسرَحُ في الجنّةِ حيثُ شاءت، ثم تأوِي إلى تلك القناديل، فاطّلَع عليهم ربك اطّلاعةً فقال: ماذا تُريدون؟ فقالوا: نحبُّ أن تَرُدّنا إلى الدار الدنيا فنقاتلَ فيك، فَنُقتَلَ كما قُتِلنا أوّل مرّةٍ. فقال: إني قضيتُ أنهم إليها لا يَرْجِعون»[٣]. وقولُهُ تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، أي: لهم عند ربِّهم أجرٌ جزيلٌ ونورٌ عظيمٌ يسعَى بين أيدِيهم، وهُم في ذلك يَتفاوَتُون بحسَبِ ما كانوا في الدار الدُّنيا من الأعمال.

---

(١) تقدم تخريجه في سورة النساء آية ٦٩.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٣٦٥٣، وفيه إسماعيل بن يحيىٰ الشيباني. وهو متروك. ونقل الذهبي في «الميزان» ٩٦٦ عن يزيد بن هارون أنه كذبه.

(٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ١٥٤.

[٦٦٣٢] كما قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لَهيعةَ، عن عطاء بن دينار، عن أبي يزيدَ الخَولانيّ، قال: سَمِعت فَضالة بن عُبَيد يقول: سَمِعتُ عُمَر بن الخطاب يقول: سَمِعت النبي ﷺ يقول: «الشُّهداءُ أربعةٌ، رجلٌ مؤمن جيِّد الإيمان، لَقِي العدوَّ فصدق الله فقُتل، فذلك الذي ينظر النَّاسُ إليه هكذا ـ وَرَفَع رأسه حتى سَقَطت قَلَنسوة رَسُول الله ﷺ، أو قَلَنسُوةُ عُمَر ـ والثاني مُؤمِنٌ لقي العدوَّ فكأنما يُضرَب ظهرُه بشَوكِ الطَّلح، جاءه سَهْمٌ غَرْبٌ فقتله، فذاك في الدرجة الثانية. والثالث رجلٌ مؤمن خَلَط عملاً صالحاً وآخرَ سيِّئاً لَقِي العدو فَصَدَق الله حتى قُتِل، فذاك في الدرجة الثالثة. والرابع رجل مؤمن أسرَف على نفسه إسرافاً كثيراً، لقي العدو فصَدَق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الرابعة»[(١)]. وهكذا رواه علي ابن المديني، عن أبي داود الطَّيالسيِّ، عن ابن المبارك، عن ابن لَهيعة، وقال: هذا إسناد مصريٌّ صالح. ورَوَاه التِّرمِذيُّ من حديث ابن لَهيعة وقال: حسن غريب.

وقولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: لما ذكر السُّعَداء ومآلهم، عَطَف بذكر الأشقياء وبَيَّنَ حَالَهم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾

يقولُ تعالى مُوهناً أمرَ الحياة الدنيا ومحقِّراً لها: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي: إنما حاصل أمرِها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)﴾ [آل عمران: ١٤]. ثم ضَرَب تعالى مثلَ الحياةِ الدُّنيا في أنها زهرةٌ فانيةٌ ونعمةٌ زائلةٌ فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، وهو: المطرُ الذي يأتي بعد قُنوط الناس، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨]. وقولُه تعالى: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾، أي: يُعجِب الزُّرَّاعَ نباتُ ذلك الزَّرع الذي نَبَت بالغيثِ؛ وكما يُعجب الزُّرَّاعَ ذلك كذلك تُعجب الحياةُ الدنيا الكفارَ، فإنهم أحرصُ شيءٍ عليها وأميلُ الناسِ إليها، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾، أي: يَهيج ذلك الزَّرعُ فتراهُ مصفرًّا بعدما كان خَضِراً نَضِراً، ثم يكون بعد ذلك كُلِّه إلى أن يَصِير يَبَساً متحطماً، هكذا الحياةُ الدُّنيا تكون أولاً شابَّةً، ثم تكتَهِلُ، ثم تكون عَجُوزاً شوهاءَ، والإنسان كذلك يكونُ في أوَّلِ عُمُره وعُنفوانِ شبابه غَضّاً طَرِيًّا ليِّن الأعطافِ، بَهِيَّ المنظرِ، ثم إنه يشرع في الكُهُولة فتتغير طباعهُ ويَنْفَدُ بعضُ قواه، ثم يكبَرُ فَيَصيرُ شيخاً كبيراً ضعيفَ القِوى قَليل الحركةِ، يُعجِزهُ الشيءُ اليسيرُ، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)﴾ [الروم: ٥٤]. ولـما كان

---

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ١٦٤٤ وأحمد ١/٢٢ ـ ٢٣ وابن المبارك في «الجهاد» ١٢٦ وابن أبي عاصم ١٨٦ وأبو يعلى ٢١٦ و٢٥٢، وإسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة اختلط، وأبو يزيد مجهول. وقد توبع ابن لهيعة عند الطيالسي ٤٥ و١٣٣ فعلة الحديث أبو يزيد. وكان علي المديني قال: إسناد صالح لأنه من رواية ابن المبارك عن ابن لهيعة، لكن لم يتنبه لشيخ ابن لهيعة.

هذا المثلُ دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغِها لا محالةَ، وأنَّ الآخرة كائنةٌ لا محالةَ، حَذَّر من أمرها ورغَّب فيما فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إمَّا هذا وإمَّا هذا: إما عذابٌ شديدٌ، وإما مغفرةٌ من الله ورضوان. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، أي: هي متاعٌ فانٍ غارٌ لمن رَكَن إليه، فإنه يغترُّ بها وتُعجبه حتى يعتقِدَ أنه لا دارَ سِواها ولا معادَ وراءَها، وهي حَقِيرةٌ قليلةٌ بالنسبة إلى الدار الآخرة.

[٦٦٣٣] قال ابنُ جَرير: حدثنا عليُّ بن حَربِ المَوصِليُّ، حدثنا المُحاربيُّ، حدثنا محمد بن عَمرو، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَوضِعُ سوطٍ في الجنَّةِ خَيرٌ من الدنيا وما فيها. اقرؤوا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾»(١). وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة، والله أعلم.

[٦٦٣٤] وقال الإمامُ أحمد: حدثنا ابنُ نُمَير ووَكِيعٌ، كلاهما عن الأعمش، عن شَقِيق، عن عبدِ الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلْجَنَّةُ أقربُ إلى أحَدِكم من شِرَاك نَعْلِهِ، والنَّارُ مثلُ ذلك»(٢). انفردَ بإخراجه البخاريُّ في (الرِّقاقِ)، من حديث الثوريِّ، عن الأعمش، به. ففي هذا الحديثِ دليلٌ على اقتراب الخير والشرِّ من الإنسان، وإذا كان الأمرُ كذلك فلهذا حَثَّه الله على المبادرةِ إلى الخيراتِ، من فِعْل الطاعاتِ، وتَرْكِ المحرَّماتِ، التي تُكفِّر عنه الذنوب والزلأتِ، وتُحَصِّل له الثوابَ والدَّرجاتِ، فقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والمرادُ جِنسُ السماءِ والأرض، كما قال في الآية الأخرى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال ها هنا: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، أي: هذا الذي أهلهم الله له هو مِن فَضلِه ومَنِّهِ عليهم وإحسانِه إليهم.

[٦٦٣٥] كما قَدَّمنا في الصحيح أن فُقراء المهاجرين قالوا: يا رسولَ الله! ذَهَب أهلُ الدُّثُور بالدرجات العلى والنَّعيم المقيم. قال: «وما ذاك؟». قالوا: يصلون كما نصلِّي، ويَصُومون كما نصوم، ويتصدَّقون ولا نتصدق، ويعتِقُون ولا نعتِق. قال: «أفلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتُموه سبقتم من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلاَّ مَن صنع مثل ما صنعتم. تُسَبِّحُون وتكبرون وتحمَدُون دُبُر كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين». قال: فرجَعُوا فقالوا: سَمِع إخوانُنا أهلُ الأموالِ ما فَعَلنا، فَفَعلُوا مثله! فقال رسولُ الله ﷺ: «ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء»(٣).

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

يُخبر تعالى عن قَدَرِه السابق في خَلْقِه قبل أن يبرأ البريَّة، فقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ

(١) تقدم تخريجه في سورة آل عمران ١٨٥، وهو في الصحيح دون ذكر الآية، فإنه مدرج.
(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٨٨ وأحمد ١/ ٤٤٢.
(٣) تقدم تخريجه، وهو في الصحيح.

أَنفُسِكُمْ﴾، أي: في الآفاق وفي نُفُوسِكم، ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، أي: من قَبْلِ أن نخلقَ الخَلِيقَةَ ونَبرأَ النَّسَمَةَ. وقال بعضُهم: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، عائدٌ على النُّفُوسِ، وقيل: عائد على المُصِيبة. والأحسن عودةُ على الخَلِيقَةِ والبرية، لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير: حدثني يعقوبُ، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنتُ جالساً مع الحَسَنِ فقال رجلٌ: سَلْهُ عن قَولِهِ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾، فسألته عنها، فقال: سُبحَانَ الله! ومَن يشُكُّ في هذا؟ كلُّ مصيبةٍ بينَ السَّماءِ والأرضِ ففي كتاب الله من قبل أن يبرأَ النَّسَمَةَ. وقال قتادةُ: ما أصاب مِن مصيبةٍ في الأرض. قال: هي السُّنونَ. يعني: الجَدْبِ، ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾، يقول: الأوجاعَ والأمراضَ. قال: ويبلغنا أنه ليس أحدٌ يصيبه خَدشُ عُودٍ ولا نَكْبَةُ قَدَمٍ، ولا خَلَجانُ عِرْقٍ إلا بذَنْبٍ، وما يعفُو الله عنه أكثرُ.

وهذه الآيَة الكريمة من أدلِّ دليلٍ على القَدَرِيَّةِ نُفاة العلمِ السابق ـ قَبَّحهم الله ـ.

[٦٦٣٦] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حَيْوَةُ وابن لَهِيعةَ قالا: حدثنا أبو هانيء الخَوْلانيُّ: أنه سَمِع أبا عبد الرحمن الحُبُليَّ يقولُ: سَمِعت عبدَ الله بن عَمرو بن العاص يقول: سَمِعت رسولَ الله ﷺ يقول: «قَدَّر الله المقاديرَ قبل أن يخلقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ». وَرَواه مسلمٌ في صحيحه، من حديث عبد الله بن وهب وَحيْوة بن شُرَيح ونافع بن يزيدَ، ثلاثتُهم عن أبي هانيءٍ، به. وزاد ابنُ وهبٍ: «وكان عرشه على الماء»[1]. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وقولُهُ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي: إنَّ علمه تعالى الأشياءَ قَبْلَ كَونها وكتابَتِه لها طِبْقَ ما يُوجَدُ في حينها سَهْلٌ على الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لأنه يعلَمُ ما كان وما يكُون، وما لم يكُن لو كان كيفَ كان يكُون.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، أي: أعلمناكم بتقدُّمِ عِلْمنا وسَبْقِ كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وُجودها، لِتعلَمُوا أنَّ ما أصابكم لم يكن لِيُخطِئَكُم، وما أخطَأكُم لم يَكُن لِيُصِيبكُم، فلا تأسوا على ما فاتكم، فإنه لو قُدِّر شيءٌ لكان، «ولا تفرحوا بما أتاكم»، أي: جاءكم، ويقرأ: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي أعطاكم. وكلاهما متلازمٌ، أي: لا تَفخَرُوا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإنَّ ذلك ليس بِسعْيكم ولا كَدِّكم، وإنَّما هو عن قَدَر الله ورزْقِه لكم، فلا تَتَّخذوا نِعَم الله أشراً وبَطراً، تفخَرُون بها على الناس، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، أي: مختال في نفسه مُتكبِّر فَخُور، أي: على غيره. وقال عكرمةُ: ليس أحدٌ إلا وهو يفرَحُ ويحزَنُ، ولكن اجعلُوا الفَرَحَ شُكراً والحزنَ صَبْراً. ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾، أي: يفعلُونَ المنكرَ ويحضُّون الناسَ عليه، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾، أي: عن أمرِ الله وطاعته، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، كما قال موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، أي: بالمُعجزات، والحُجج الباهرات، والدلائل القاطعاتِ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وهو النَّقلُ الصِّدْقُ، ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾، وهو: العَدْلُ. قاله مجاهد، وقتادةُ، وغيرهما.

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٣ والترمذي ٢١٥٦ وأحمد ٢/٦٩ وابن حبان ٦١٣٨.

وهو الحقُّ الذي تشهَدُ به العقولُ الصَّحيحةُ المستقيمة المخالفةُ للآراء السَّقيمةِ، كما قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن: ٧]، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾، أي: بالحقِّ والعدلِ وهو: اتِّباعُ الرُّسُل فيما أخبرُوا به، وطاعتُهم فيما أُمروا به، فإن الذي جاؤوا به هو الحقُّ الذي ليس وراءه حقٌّ، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]. أي: صِدقاً في الإخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي. ولهذا يقولُ المؤمنون إذا تبوَّؤوا غُرفَ الجنَّاتِ، والمنازلَ العالياتِ، والسُّرُرَ المصفُوفات: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، أي: وجعلنا الحديدَ رَادِعاً لمن أبى الحقَّ وعانَدَه بعد قيام الحُجَّةِ عليه، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكَّة بعد النُّبوَّة ثلاثَ عشرةَ سنةً تُوحى إليه السُّور المكيَّة، وكلها جدَالٌ مع المشركين، وبيانٌ وإيضاحٌ للتوحيد، وتبيانٌ ودلائلُ، فلما قامت الحجة على مَن تخلَّف منهم، شرع الله الهجرة. وأمرهم بالقتالِ بالسيوف، وضَرْبِ الرِّقاب والهامِ لمن خالفَ القرآن وكَذَّب به وعانَدَه.

[٦٦٣٧] وقد رَوَى الإمام أحمدُ وأبو داودَ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثَوبانَ، عن حَسَّان ابن عَطية، عن أبي المنيب الجرشي الشامي، عن ابن عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بُعِثت بالسَّيفِ بين يَدَي السَّاعةِ حتى يُعبَدَ الله وحدَه لا شَريك له، وجُعِلَ رِزقِي تحتَ ظِلِّ رُمحِي، وجُعِل الذِّلةُ والصَّغارُ على من خَالَفَ أمرِي، ومَن تَشبَّه بقوم فهو منهم»[(١)]. ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، يعني: السِّلاحَ كالسُّيوفِ، والحِراب، والسِّنان، والنِّصال، والدُّروع، ونحوها. ﴿وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، أي: في معايِشهم كالسِّكة والفَأس والقَدوم، والمِنشار، والإزميل، والمجْرفَة، والآلات التي يُستعان بها في الحِراثة والحِياكة والطبخ والخَبْزِ، وما لا قَوام للناس بدونه، وغير ذلك. قال علباء بن أحمَرَ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ثلاثةُ أشياء نَزَلت مع آدم: السِّندان والكَلْبَتان[(٢)] والمِيقَعة. يعني: المِطْرَقَة. رَوَاه ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم. وقولُهُ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾، أي: من نِيَّته في حَمْلِ السِّلاحِ نُصرةُ الله ورُسُله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، أي: هو قويٌّ عَزيزٌ، ينصُر من نَصَره مِن غير احتياجٍ منه إلى النَّاسِ، إنما شَرَع الجهادَ ليبلُوَ بعضَكم ببعضٍ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٢٦ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٢٧﴾

يُخبر تعالى أنه منذ بعثَ نوحاً ـ عليه السلام ـ لم يُرسِل بعده رَسُولاً ولا نبياً إلا مِن ذُرِّيته، وكذلك إبراهيم ـ عليه السلام ـ خليلُ الرحمن، لم يُنزل من السماء كتاباً ولا أرسَلَ رسولاً ولا أوحَى إلى بَشَرٍ من بعده، إلا وَهُوَ مِن سُلالَته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]،

---

(١) تقدم في سورة البقرة آية ١٠٤.

(٢) الكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى.

حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيلِ عيسى ابن مريَمَ الذي بَشَّر بعدَه بمُحَمَّدٍ ـ صلواتُ الله وسلامُه عليهما ـ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾، وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه، ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، وهم الحواريُون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، أي: رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلْقِ. وقولُهُ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾، أي: ابتدعها أُمَّةُ النصارى، ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: ما شَرعناها لَهُم، وإنما هم التزمُوها مِن تِلْقَاءِ أنفُسِهم. وقولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾، فيه قولانِ، أحدُهما: أنَّهم قَصَدُوا بذلك رضوانَ الله، قاله سعيد بن جُبير، وقتادةُ، والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك، إنما كتبنا عليهم ابتغاءَ رِضْوان الله. وقولُهُ تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، أي: فما قامُوا بما التزمُوه حَقَّ القيام. وهذا ذمٌّ لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يَأمرُ به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزمُوه مما زَعَمُوا أنه قُرْبَةٌ يُقرِّبهم إلى الله عزَّ وجلَّ.

[٦٦٣٨] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا إسحاق بن أبي حَمْزَة أبو يعقوب الرازي، حدثنا السندي بن عبدويه، حدثنا بكير بن مَعروف، عن مُقاتل بن حَيَّان، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جدِّه ابن مسعود قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يابن مسعود»؛ قلت: لَبَّيكَ يا رسولَ الله! قال: «هل عَلِمْتَ أنَّ بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعينَ فرقةً؟ لم ينجُ منها إلا ثلاثُ فِرَقٍ قامَتْ بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، فَدَعت إلى دين الله ودين عيسى ابنِ مريم، فقاتلت الجبابرةَ فقُتِلت فَصَبرت ونَجَتْ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوَّة بالقتال، فقامت بين الملوك والجبابرة، فدعوا إلى دينِ الله ودين عيسى ابن مَرْيَم، فَقُتِلت وقُطِعت بالمناشير وحُرِّقت بالنيران، فَصَبرت ونجت. ثم قامت طائفة أُخرى لم يكن لها قُوَّةٌ بالقتال ولم تُطِق القيام بالقسط، فَلَحِقت بالجبالِ فَتعبَّدت وتَرَهَّبت، وهم الذين ذَكر الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾»[١].

[٦٦٣٩] وقد رَوَاه ابنُ جَرير بلفظ آخَرَ من طريق أخرى. فقال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا داودُ بن المُحبَّر، حدثنا الصَّعق بن حَزْنٍ، حدثنا عَقِيلِ الجَعْدِيُّ، عن أبي إسحاق الهَمْدانيِّ، عن سُوَيد بن غَفَلة، عن عبدِ الله بن مَسعُودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «اختلف مَن كان قبلنا على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، نجا منهم ثلاثٌ وهلك سائرهُم»... وذكر نحو ما تقدم، وفيه: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: هم الذين آمنوا بي وصَدَّقوني، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، وهم الذين كَذَّبوني وخالفُوني[٢]. ولا يُقدَحُ في هذه المتابعة لحال داود بن المُحبَّر، فإنه أحد الوضاعين للحَديث لكن قد أسنده أبو يَعْلَى، وسنده: عن شَيْبَانَ بن فَرُّوخ، عن الصَّعق بن حَزْن، به مثل ذلك. فَقَوِي الحديثُ من هذا الوجه.

---

(١) ضعيف. أخرجه الطبراني ١٠٣٥٧ وفيه بكير بن معروف. ضعفه ابن المبارك. وشيخه مقاتل بن حيان، وثقه قوم، وضعفه آخرون. وقد روى مناكير. وشيخه القاسم ثقة. وأما أبو عبد الرحمن فلم يسمع من أبيه ابن مسعود سوى أحرف يسيرة. فالخبر واهٍ له ثلاث علل.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٦٧٧ وفيه داود بن المحبر، وهو متروك متهم بالكذب. لكن توبع، فقد أخرجه الحاكم ٢/ ٤٨٠ والطبراني ١٠٥٣١ كلهم من طريق الصعق بن حزن بهذا الإسناد. سكت الحاكم، وقال الذهبي: ليس بصحيح. فإن الصعق وإن كان موثقاً، فإن شيخه منكر الحديث. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧٤٠: فيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث اهـ. وقال ابن حبان في «المجروحين» ٢/ ١٩٢: منكر الحديث. يروي عن الثقات مالا يشبه حديث الأثبات، فبطل الاحتجاج بما روى، وإن وافق فيه الثقات.

وقال ابنُ جَرير، وأبو عبد الرحمن النسائي ـ واللفظ له ـ: أخبرنا الحُسَين بن حُرَيث، حدثنا الفضلُ ابن موسى عن سُفيان بن سَعيدٍ، عن عَطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان مُلوكٌ بعد عيسى ـ عليه السلام ـ بَدَّلت التوراة والإنجيل، فكان منهم مؤمنون يقرؤون التوراةَ والإنجيلَ، فَقِيل لِملُوكهم: ما نَجد شيئاً أشدَّ من شَتم يشتموناه هؤلاء، إنهم يقرؤون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. . . هؤلاء الآيات، مع ما يَعيبُوننا به من أعمالنا في قِراءَتهم، فادعُهم فَلْيَقرَؤوا كما نقرأ، وَلْيُؤمِنُوا كما آمنّا. فَدَعاهم فَجمعهم وعَرَض عليهم القَتْلَ أو يتركُوا قراءةَ التوراة والإنجيل، إلا ما بَدّلوا منها، فقالوا: ما تُريدون إلى ذلك؟ دَعُونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطُوانةً، ثم ارفعُونا إليها، ثم أعطُونا شيئاً نرفَعُ به طَعامنا وشرابنا فلا نَرِدُ عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفةٌ: ابنُوا لنا دُوراً في الفيافي، ونحتَفِرُ الآبار ونَحترِثُ البقولَ فلا نَرِدُ عليكم ولا نَمرُّ بكم. وليس أحد من القبائل إلا له حَميمٌ فيهم، فَفَعَلُوا ذلك، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾. والآخرون قالوا: نتعبَّدُ كما تعبَّد فلان، ونَسيحُ كما ساحَ فلانٌ، ونَتّخِذُ دوراً كما اتَّخذ فلانٌ، وهم على شِرْكِهم لا علم لهم بإيمانِ الذين اقتدَوا بهم، فلما بُعِث النبيُّ ﷺ ولم يبقَ منهم إلاَّ القليلُ، انحطَّ منهم رجلٌ من صَوْمَعَته، وجاء سائحٌ من سِياحَتِه، وصاحبُ الدير من دَيره، فآمنوا به وصَدَّقُوه، فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: أجْرَين بإيمانهم بعيسى ابن مريم ونَصْبِ أنفسهم والتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد ﷺ وتَصْدِيقهم، قال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾: القرآنَ، واتِّباعَهم النبيَّ ﷺ قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذين يَتَشبَّهُون بكم ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. هذا السياق فيه غرابةٌ وسيأتي تفسيرُ هاتين الآيتين الأُخريَين على غير هذا، والله أعلم.

[٦٦٤٠] وقال الحافظُ أبو يعلَى الموصِليُّ: حدثنا أحمدُ بن عيسى، حدثنا عبدُ الله بن وهب، حدثني سَعِيد بن عبد الرحمن بن أبي العَمياء، أن سَهلَ بن أبي أمامة حَدَّثَهُ، أنه دَخلَ هو وأبوه على أَنَسِ ابن مالك بالمدينةِ زَمَان عُمَرَ بن عبد العزيز وهو أمير وهو يُصَلِّي صلاة خَفِيفَةً كأنها صلاةُ مسافرٍ أو قريباً منها، فلما سلَّم قال: يرحمُكَ الله، أرأيتَ هذه الصلاة المكتوبةُ أم شيءٌ تنفلته؟ قال: إنها المكتوبةُ، وإنها صلاةُ رسولِ الله ﷺ ما أخطأتُ إلا شيئاً سهوتُ عنه إن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تُشَدِّدُوا على أنفسكم فَيُشَدَّد عليكم، فإن قوماً شَدَّدُوا على أنفسهم فَشُدِّد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والدِّيارات ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾. ثم غَدَوا من الغدِ فقالوا نَركبُ فننظرُ ونعتبرُ، قال: نعم: فَرَكِبُوا جميعاً، فإذا هم بديارٍ قفرٍ قد باد أهلُها وانقرضُوا وفنوا، خاويةً على عروشها، فقالوا: أتعرفُ هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها، هؤلاءِ أهلُ الدِّيار، أهلكهم البغيُ والحسدُ، إن الحسدَ يُطفىءُ نُورَ الحسنات، والبَغي يُصَدِّق ذلك أو يكَذِّبه، والعينُ تزني والكَفُّ والقَدَم والجَسَدُ واللِّسان، والفرج يُصدِّق ذلك أو يكذِّبه[1].

[٦٦٤١] وقال الإمامُ أحمد: حدثنا يَعْمَرُ، حدثنا عبد الله، أخبرنا سُفيان، عن زيدٍ العَمِّيِّ، عن أبي

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٠٤ وأبو يعلىٰ ٣٦٩٤ وإسناده ضعيف لجهالة سعيد بن عبد الرحمن، حيث وثقه ابن حبان وحده، وانظر «الضعيفة» ٣٤٦٨.

إياس، عن أنسِ بن مالك أن النبي ﷺ قال «لكل نبيٍّ رَهبانيَّةٌ، ورَهبانيَّةُ هذه الأمَّةِ الجهادُ في سبيل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ»(١).

[٦٦٤٢] ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماءَ، عن عبد الله بن المبارك، به، ولفظه: «لِكلِّ أمَّةٍ رهبانيَّةٌ، ورَهبانيَّةُ هذه الأمَّةِ الجهادُ في سبيل الله»(٢).

[٦٦٤٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا حُسَين ـ هو ابن محمد ـ حدثنا ابن عَيَّاش ـ يعني إسماعيلَ ـ عن الحجاج بن مَرْوَان الكَلاَعِيّ، وعَقِيل بن مُدرِك السلميّ عن أبي سعيد الخُدري ـ رضي الله عنه ـ أن رَجُلاً جاءه فقال: أوصني. فقال: «سألتَ عما سألتُ عنه رسول الله ﷺ من قَبلِك، أُوصِيكَ بتقوى الله فإنه رأسُ كلِّ شيء، وعليكَ بالجهادِ رهبانيَّةُ الإسلامِ، وعليكَ بذكرِ الله وتِلاَوةِ القُرآنِ فإنه رُوحُكَ في السماءِ، وذِكرُكَ في الأرض»(٣). تفرد به أحمد، والله تعالىٰ أعلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

وقد تقدَّم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حَمَلَ هذه الآية على مُؤمني أهل الكتاب، وأنهمُ يُؤتَون أجرَهم مرَّتين كما في الآية التي في القَصَص.

[٦٦٤٤] وكما في حديث الشعبي عن أبي بُرْدَة، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثَةٌ يُؤتَون أجرَهم مَرَّتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بِنبيِّه وآمنَ بي فله أجرانِ، وعبدٌ مملوكٌ أدَّى حقَّ الله وحقَّ مَواليه فله أجرانِ، ورجلٌ أدَّبَ أمَتَهُ فأحسَنَ تأديبها ثم أعتقَها وتزوَّجها فله أجران»(٤). وأخرجاه في الصحيحين. ووافق ابنَ عباس على هذا التفسير الضَّحَّاكُ، وعُتبة بن أبي حكيم، وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير.

وقال سعيدُ بن جُبَير: لما افتخر أهلُ الكتاب بأنهم يُؤتَون أجرهم مَرَّتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾، أي: ضِعفَين، وزادهُم: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾، يعني: هُدًى يُتبَصَّرُ به من العَمَى والجهالة، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾. ففضلهم بالنور والمغفرة. ورواه ابن جرير عنه.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

---

(١) حسن. أخرجه أحمد ٣/ ٢٦٦ وأبو يعلىٰ ٤٢٠٤ وابن المبارك ١٦ وابن أبي عاصم ٣٣ كلاهما في الجهاد، وإسناده ضعيف لضعف زيد العمّيّ. وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه أبو داود ٢٤٨٦ وفيه القاسم بن عبد الرحمن ضعيف، وتابعه عفير بن معدان، أخرجه الطبراني ٧٧٠٨ وهو ضعيف. وله شاهد من مرسل معاوية بن قرة، أخرجه سعيد بن منصور ٢٣٠٩ ورجاله ثقات. وانظر ما بعده.

(٢) هذا اللفظ أصح، وانظر التخريج السابق، والآتي.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٨٢ وابن أبي عاصم ٣٤ وإسناده ضعيف، عقيل مقبول، ولم يدرك أبا سعيد.

(٤) متفق عليه، وتقدم.

وقال سعيد بن عبد العزيز: سأل عُمر بن الخطاب حبراً من أحبار يَهُودَ: كم أفضلُ ما ضُعِّفَ لكم حَسَنَةٌ؟ قال: كِفْلٌ ثلاثمئةٍ وخمسُون حسنةً. قال: فَحَمِدَ الله عُمَرُ على أنه أعطانا كِفْلَين. ثم ذَكَر سعيدٌ قولَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ـ قال سعيد: والكفلان في الجمعة مثل ذلك. رواه ابن جرير.

[٦٦٤٥] ومما يُؤَيِّد هذا القول ما رواه الإمام أحمد: حدثنا إسماعيلُ، حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثَلُكم ومثلُ اليهودِ والنصارى كَمثل رَجُلٍ استعمل عُمّالاً، فقال: مَن يعمَلُ لي من صلاة الصُّبح إلى نصف النهار على قيراطٍ قيراطٍ؟ ألا فَعَمِلت اليهودُ. ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ؟ ألا فعملت النصارى. ثم قال: من يعمَلُ لي من صلاة العصر إلى غُرُوب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم. فَغَضِبتِ النصارى واليهودُ، وقالوا: نحنُ أكثرُ عملاً وأقلُّ عطاءً. قال: هل ظلمتكم من أجرِكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فإنما هو فَضْلي أُوتيه من أشاء»[1].
قال أحمد: وحَدَّثناه مُؤَمَّل، عن سفيان، عن عبد الله بن دِينَار، عن ابن عُمَر، نحو حديثِ نافعٍ، عنه. انفرد بإخراجه البُخَاريُّ فرَوَاه عن سُلَيمان بن حَرْب، عن حَمَّاد، عن أيوب، عن نافعٍ، به، وعن قُتَيبةَ، عن الليث، عن نافع، بمثله.

[٦٦٤٦] وقال البُخاريُّ: حدثني محمدُ بن العلاء، حدثنا أبو أُسامة، عن يزيد، عن أبي بُرْدَة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «مثلُ المسلمينَ واليهود والنَّصارَى كمثلِ رجُلٍ استأجر قوماً يعمَلُونَ له عمَلاً يوماً إلى الليلِ على أجرٍ معلُوم، فَعَمِلُوا إلى نصفِ النهار فقالوا: لا حاجةَ لنا إلى أَجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لنا، وما عَمِلنا باطلٌ. فقال لهم: لا تفعلوا، أكمِلوا بقية عَمَلِكم وخُذُوا أجركم كاملاً، فَأَبوا وتَرَكوا، واستأجر آخَرِين بعدهم فقال: أكملوا بقيّة يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر. فعملوا حتى إذا حينَ صَلُّوا العصرَ قالوا: ما عملنا باطل، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال: أكمِلُوا بقية عملكم، فإن ما بقي من النهار شيء يسيرٌ. فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعمَلُوا له بَقِيّة يومهم فعملوا بَقِيّة يَوْمِهم حتى غابت الشَّمسُ، فاستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مَثَلُهم ومثل ما قبلوا من هذا النُّور»[2]. انفرد به البخاريُّ.

ولهذا قال تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، أي: ليتحققُوا: أنهم لا يقدرون على رَدِّ ما أعطاه الله، ولا إعطاءِ ما منع الله، ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.
قال ابن جرير: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾، أي: لِيَعْلَم. وقد ذُكِرَ عن ابن مسعود أنه قرأها (لِكَي يَعْلَمَ). وكذا حطَّان بن عبد الله، وسعيد بن جُبَير. قال ابن جرير: لأنَّ العرب تجعل (لا) صلةً في كلِّ كلام دخل في أوله أو آخره جحدٌ غير مُصرَّح، فالسابق كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بالله ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥].

آخر تفسير سورة الحديد، ولله الحمد والمنّة

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٢/٦ والبخاري ٣٤٥٩ والترمذي ٢٨٧١ وابن حبان ٦٦٣٩.
(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٥٨ و٢٢٧١.

سورة المجادلة

ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)﴾

[٦٦٤٧] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن تَميم بن سَلَمة، عن عَرْوَة، عن عائشةَ قالت: الحمدُ لله الذي وَسِعَ سَمْعُه الأصوات، لقد جاءت المجادِلةُ إلى النبيِّ ﷺ تُكلِّمه وأنا في ناحيةِ البيتِ، ما أسمعُ ما تقولُ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾... إلى آخر الآية[1]. وهكذا رواه البخاريُّ في كتاب التوحيد تعلِيقاً فقال: وقال الأعمش، عن تميم بن سَلَمة، عن عُرْوة، عن عائشةَ، فذكره. وأخرجه النسائيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ أبي حاتم، وابنُ جَرِير، من غير وَجْهٍ، عن الأعمشِ، به.

[٦٦٤٨] وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش، عن تَميم بن سَلَمة، عن عُرْوَة، عن عائشة أنها قالت: تبارَكَ الذي أَوْعَى سمعُه كلَّ شيءٍ، إني لأسمعُ كلام خَوْلة بنتِ ثعلبةَ، ويخفَى عَليَّ بعضُه، وهي تشتكي زَوْجَها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسولَ الله! أكلَ شبابي، ونَثَرْتُ له بطني، حتى إذا كَبِرَت سِنِّي، وانقطع وَلَدِي، ظاهَرَ مِنِّي! اللهُمَّ، إني أشكو إليك. قالت: فما بَرِحتْ حتى نَزَل جبريلُ بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. وقال: وزوجُها أوسُ بنُ الصَّامت وقال ابن لهيعة، عن أبي الأسود عن عروة: هو أوس بن الصامت. وكان أوسُ امرءاً به لمم، فكان إذا أخذه لَمَمُهُ واشتدَّ به يُظاهِرُ من امرأتِه، وإذا ذَهَب لم يقل شيئاً. فأتت رسولَ الله تَستَفْتِيه في ذلك وتَشْتَكِي إلى الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾... الآية[2]. وهكذا رَوَى هشام بن عروة، عن أبيه: أنَّ رجُلاً كان به لمم. فَذَكر مثلَه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة، حدثنا جرير ـ يعني ابن حازم ـ قال: سمعتُ أبا يزيدَ يُحدِّث قال: لَقِيت امرأةٌ عُمَرَ ـ يقال لها: خولةُ بنتُ ثعلبةَ ـ وهو يسير مع الناس، فاستوقَفَتْه فوقَفَ لها ودَنا منها وأصغَى إليها رأسَه، ووضَعَ يَدَيه على مَنْكِبَيْهَا حتى قَضت حاجَتَها وانصرَفَتْ. فقال له رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، حبستَ رجالاتِ قُرَيشٍ على هذه العجوز؟! قال: ويحكَ! وتَدْرِي من هذه؟

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٦/٤٦ والبخاري ٧٣٨٥ تعليقاً والنسائي ٣٤٦٠ وفي «التفسير» ٥٩٠ وابن ماجه ١٨٨ و٢٠٦٣ وعبد بن حميد ١٥١٤ وابن جرير ٣٣٧٢٦، وإسناده على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الطبري ٣٣٧٢٧ وإسناده ضعيف ولأصله شواهد كثيرة، دون ذكر نزول جبريل.

قال: لا. قال: هذه امرأةٌ سَمِعَ الله شكواها من فَوقِ سَبْعِ سمواتٍ وهذه خولةُ بنت ثعلبة، وايمُ الله لو لم تَنصرِف عَنّي إلى الليل ما انصرفتُ حتى تَقْضِي حاجَتَها إلا أن تحضرَ صلاةٌ فَأُصلِّيَها، ثم أرجِعَ إليها حتى تَقْضِي حاجَتَها. هذا منقطِعٌ بين أبي يزيد وعُمَرَ بن الخطاب. وقد رُوِي من غير هذا الوجه. وقال ابنُ أبي حاتم أيضاً: حدثنا المُنْذِرُ بن شاذان، حدثنا يعلَى، حدثنا زكريا، عن عامر قال: المرأةُ التي جادَلَت في زوجها خولةُ بنتُ الصامت، وأمها مُعاذَةُ التي أنزل الله فيها: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]: صوابه: خَوْلَةُ امرأةُ أَوْس بن الصَّامتِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

[٦٦٤٩] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا سعدُ بن إبراهيم ويعقوبُ قالا: حدثنا أبي، حدثنا محمَّدُ بن إسحاق، حدثني معمر بن عبد الله بن حَنْظَلة، عن يوسفَ بن عبد الله بن سَلاَم، عن خُوَيلة بنتِ ثعلبةَ قالت: قالت: فِيَّ ـ والله ـ وفي أوسِ بن الصامتِ أنزل الله صَدْرَ سُورة «المجادلة». قالت: كنتُ عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خُلُقه، قالت: فدَخلَ عَلَيَّ يوماً فراجعتُه بشيءٍ فَغَضِبَ فقال: أنت عليّ كَظَهْرِ أُمي. قالت، ثم خَرَج فجلسَ في نادي قومه ساعةً، ثم دخل عليّ فإذا هو يُريدني على نفسي، قالت: قلتُ: كلاَّ، والذي نفسُ خُوَيْلَة بيده لا تخلُص إليّ وقد قُلتَ ما قُلتَ حتى يحكم الله ورسولُه فينا بحكمه. قالت: فَوَاثَبني وامتنعتُ منه، فَغَلبتُه بما تَغلِبُ به المرأةُ الشَّيخَ الضعيف، فألقيتُه عنّي، قالت: ثُمَّ خرجتُ إلى بعض جاراتي، فاستعرتُ منها ثياباً، ثم خرجتُ حتى جِئتُ رسولَ الله ﷺ فجلست بين يَدَيه، فذكرتُ له ما لَقِيتُ منه، وجعلتُ أشكو إليه ما ألقى من سُوءِ خُلُقه. قالت: فَجَعَل رسول الله ﷺ يقول: «يا خُوَيْلَة، ابنُ عَمِّك شَيخٌ كبيرٌ، فاتَّقِي الله فيه». قالت: فوالله ما بَرِحتُ حتى نَزَلَ فِيَّ القرآنُ، فَتَغشَّى رسولَ الله ﷺ ما كان يَتَغشَّاه، ثم سُرِّيَ عنه، فقال لي: «يا خُوَيلة، قد أنزل الله فيكِ وفي صاحبكِ، ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: «مُرِيه فَلْيُعْتِقْ رقبةً». قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله! ما عنده ما يَعتِقُ. قال: «فليصمْ شهرين مُتَتابعين». قالت: فقلتُ: والله إنه شيخٌ كبيرٌ، ما به من صيام. قال: فَلْيُطعِمْ سِتينَ مِسكيناً وَسْقاً من تمر. قالت: فقلت: والله يا رسولَ الله! ما ذاك عِندَه. قالت: فقال رسولُ الله ﷺ: «فإنَّا سَنُعِينُه بعَرَقٍ من تَمر». قالت: فقلت: يا رسول الله! وأنا سأُعِينُه بعَرَقٍ آخَرَ، قال: فَقَد أصبتِ وأحسَنْتِ فاذهَبي فتصدَّقِي به عنه، ثم استَوْصِي بابنِ عَمِّك خيراً. قالت: ففعلت[1]. ورَواه أبو داود في كتاب الطلاق من سُنَنه من طريقَين، عن محمد بن إسحاق ابن يَسارٍ، به. وعنده: خولةُ بنتُ ثعلبةَ، ويقالُ فيها: خولةُ بنتُ مالكِ بن ثعلبةَ. وقد تُصَغَّر فيقال: خُوَيلة. ولا

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٤١٠ ـ ٤١١ وأبو داود ٢٢١٤ وإسناده حسن في الشواهد لأجل معمر، فإنه مقبول، لكن للحديث شواهد.

منافاةَ بين هذه الأقوالِ، فالأمرُ فيها قريب، والله أعلم. هذا هو الصحيحُ في سَبَب نُزولِ صَدر هذه السورة، فأما حديث سَلَمة بن صَخْر فليس فيه أنه كان سببَ النزولِ، ولكن أمرٌ بما أنزل الله في هذه السورة، من العتق أو الصيام أو الإطعام.

[٦٦٥٠] كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيدُ بن هارونَ، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عَمرو بن عطاءٍ، عن سُلَيمان بن يَسارٍ، عن سَلَمة بن صَخرٍ الأنصاريّ قال: كنتُ امرأً قد أُوتيتُ من جِمَاع النساء ما لم يُؤتَ غيري، فلما دخل رَمَضان، تظهَّرتُ من امرأتي حتى يَنسلِخَ رمضان، فَرَقاً من أن أُصِيب في ليلتي شيئاً فَأَتتابعُ في ذلك إلى أن يُدرِكَني النهار، وأنا لا أقدِرُ أن أنزِعَ. فبينا هي تخدُمني من الليل إذ تَكَشَّف لي منها شيءٌ، فَوَثبتُ عليها، فلما أصبحتُ غَدَوتُ على قَومي فأخبرتُهم خَبَرِي وقلت: انطلِقُوا معي إلى النَّبيِّ ﷺ فَأُخبِرَه بِأَمرِي. فقالوا: لا، والله لا نفعلُ؛ نتخوَّف أن ينزل فينَا ـ أو يَقُولَ فينا رسولُ الله ﷺ مقالةً يبقى علينا عارُها، ولكن اذهَبْ أنتَ فاصنَعْ ما بدا لَكَ. قال: فخرجتُ حتى أتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرته خَبَرِي. فقال لي: «أنتَ بِذاكَ؟» فقلتُ: أنا بِذاك. فقال: «أنتَ بِذاكَ؟» فقلت: أنا بذاك. قال: «أنت بذاكَ؟» قلت: نعم، ها أناذا فَأمضِ فيَّ حكم الله تعالى، فإنِّي صابرٌ له. قال: «أعتِقْ رقبَةً». قال: فضربتُ صفحَة رَقبتي بِيدي وقلتُ: لا، والذي بَعَثك بالحقِّ ما أصبحتُ أملِكُ غيرَها، قال: «فَصُم شهرَين» قلت: يا رسولَ الله! وهل أصابني ما أصابَني إلاَّ في الصيام؟ قال: فَتَصدَّق. فقلت: والذي بعثك بالحق لقد بِتْنا ليلَتَنا هذه وَحشَى[1]، ما لنا عَشاءٌ. قال: اذهب إلى صاحب صَدَقةِ بني زُرَيق فَقُلْ له فَلْيدفَعْها إليكَ، فَأَطْعِمْ عنك منها وَسْقاً من تمرٍ سِتِّينَ مِسكيناً، ثم استعِنْ بسائِرِه عَلَيْكَ وعلى عِيالِكَ. قال: «فَرَجَعْتُ إلى قومي فقلتُ: وَجَدْتُ عندكُم الضِّيقَ وسُوءَ الرأي، وَوجَدْتُ عندَ رسول الله ﷺ السَّعَةَ والبركَةَ؛ قد أمر لي بِصَدقتِكم، فادفعوها إليّ»[2]. فَدَفَعُوها إليّ. وهكذا رَوَاه أبو داود، وابن ماجه، واختصره الترمذي وحَسَّنه. وظاهرُ السياقِ: أن هذه القصةَ كانت بعد قصة أوسٍ بن الصَّامتِ وزوجته خُوَيلة بنتِ ثعلبةَ، كما دلّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل.

[٦٦٥١] قال خُصَيف، عن مجاهد، عن ابن عباس: أوَّلُ من ظاهر من امرأته أوسُ بن الصامت، أخو عُبادة بن الصامت، وامرأته خولةُ بنتُ ثعلبَةَ بن مالك، فلما ظاهر منها خَشِيت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: «يا رسولَ الله! إنَّ أوساً ظاهَرَ منِّي، وإنا إن افترقنا هَلَكنا، وقد نَثَرْتُ بطنِي منه، وقَدُمت صُحْبَتُه وهي تشكُو ذلك وتَبكِي، ولم يكن جاء في ذلك شيءٌ. فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾، إلى قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فدعاه رسولُ الله ﷺ فقال: «أتقدِرُ على رقبةٍ تعتِقُها»؟ قال: لا والله يا رسولَ الله! ما أقدِرُ عليها؟ قال: فَجمع له رسولُ الله ﷺ حتى أعتَقَ عنه، ثم راجَعَ أهلَه[3]. رواه ابن جرير. ولهذا ذهَب ابنُ عباس والأكثرون إلى ما قلناه، والله أعلم. فقولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم﴾ أصلُ الظِّهار مُشْتَقٌّ من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانُوا إذا ظاهر أحدٌ من

---

(١) بات وَحشاً: أي جائعاً.

(٢) حسن. أخرجه أبو داود ٢٢١٣ والترمذي ٣٢٩٩ وابن ماجه ٢٠٦٢ والحاكم ٢/ ٢٠٣ وابن الجارود ٧٤٤ وفيه عنعنة ابن إسحاق عند الجميع، وهو مدلس، لكن أخرجه الترمذي ١٢٠٠ والحاكم ٢/ ٢٠٤ من وجه آخر، وللحديث شواهد.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٧٣٠ وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن، وهو ضعيف، وخُصيف بن عبد الرحمن سيء الحفظ، وأصل الحديث محفوظ بشواهده. وفيه ألفاظ غريبة.

امرأته قال لها: أنتِ عليّ كظهر أُمّي. ثم في الشرع كان الظِّهار في سائر الأعضاءِ قياساً على الظهر، وكان الظهارُ عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمّةِ وجعَلَ فيه كفارةً، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يَعْتَمِدُونه في جاهليتهم. هكذا قال غير واحد من السلف.

[٦٦٥٢]قال ابنُ جرير: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي حمزةَ، عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان الرَّجلُ إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنتِ عليّ كظهرِ أُمّي حَرُمت عليه، فكان أولَ مَن ظاهَرَ في الإسْلام أوسٌ، وكانت تحته ابنةُ عمٍّ يقال لها: «خُوَيلة بنتُ ثعلبة» فظاهر منها، فَأُسقِطَ في يَدَيه، وقال: ما أراكِ إلا قد حَرُمتِ عليّ. وقالت له مثلَ ذلك، قال: فانطَلِقي إلى رسول الله ﷺ. فأتت رسولَ الله فوجدَت عنده ماشِطةً تمشط رأسه، فقال: «يا خُوَيلة، ما أُمِرنا في أمْرِك بشيء». فأنزل الله على رسوله ﷺ فقال: «يا خُوَيْلَةُ، أبشري» قالت: خيراً. فقرأ عليها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾. . . إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾. قالت: وأيُّ رقبةٍ لنا؟ والله ما يَجدُ رقبةً غيري. قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾، قالت: والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصرُه! قال: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾. قالت: من أين؟ ما هي إلا أكلةٌ إلى مثلها! قال: فدعا بشطر وَسْق ـ ثلاثين صاعاً، والوسقُ: سِتون صاعاً ـ فقال: لِيُطْعِم ستِّين مسكيناً ولْيُراجِعْكِ»[1]. وهذا إسنادٌ جيد قويٌّ، وسياقٌ غريبٌ، وقد رُوِي عن أبي العالية نحوَ هذا.

[٦٦٥٣]فقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهَرَوِيُّ، حدثنا علي بن عاصم، عن داود بن أبي هندٍ، عن أبي العالية قال: كانت خولة بنت دُلَيج تحتَ رجلٍ من الأنصار، وكان ضريرَ البصرِ فقيراً سيِّىء الخلق، وكان طلاقُ أهل الجاهلية إذا أراد الرَّجل أن يُطلِّق امرأته، قال: أنتِ عليّ كظهر أمي، وكان لها منه عَيِل أو عيِّلان، فنازعته يوماً في شيء، فقال: أنتِ عليّ كظهر أمي، فاحتَمَلت عليها ثيابَها حتى دخلَت على النبيِّ ﷺوهو في بيتِ عائشةَ، وعائشةُ تغسِل شِقّ رأسِهِ، فقدمت عليه ومَعَها عَيِلُها، فقالت: يا رسولَ الله! إنَّ زوجي ضريرُ البصر، فقيرٌ لا شيءَ له، سَيِّئُ الخُلُقِ، وإني نازعتُه في شيءٍ فَغَضِب، فقال: «أنتِ عليّ كَظَهرِ أمّي»، ولم يرد به الطلاقَ، ولي منه عَيِل ـ أو: عَيِّلان ـ فقال: ما أعلمُكِ إلا قد حَرُمت عليه. فقالت: أشكُو إلى الله ما نَزَل بي وأبا صِبْيَتي. قال: ودارت عائشةُ فغسَلَت شِقَّ رأسِه الآخر، فدارت معها، فقالت: يا رسولَ الله! زَوجي ضَرِيرُ البَصَر، فقيرٌ سَيِّء الخُلُق، وإن لي منه عَيِّلاً أو عَيِّلين، وإني نازعتُه في شيءٍ فَغَضِب وقال: أنتِ عليّ كظهر أمّي، ولم يُرِد به الطلاق! قالت: فَرَفع إليّ رأسَه وقال: ما أعلمُكِ إلا قد حَرُمتِ عليه. فقالت: أشكُو إلى الله ما نَزَلَ بي وأبا صِبْيَتي؟ قال: ورأت عائشةُ وجه النبي ﷺتغيَّر، فقالت لها: وراءَكِ وراءَكِ؟ فتنحت، فمكثَ رسولُ الله ﷺفي غَشَيانِهِ ذلك ما شاء الله، فلما انقطع الوحيُ قال: يا عائشةُ، أين المرأة؟ فدعتها، فقال لها رسولُ الله ﷺ: اذهبي فَأْتيني بزوجِك. فانطلقت تسعَى فجاءت به، فإذا هو ـ ضَرِيرُ البصرِ، فقير، سيِّىء الخُلُق. فقال النبيُّ ﷺ: أستعيذ بالله السميع العليم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾. قال النبيُّ ﷺ: أتجدُ رقبة تُعتِقُها من قبل أن تمسَّها؟. قال: لا. قال: أفتستطيعُ أن تَصُوم شهرَين مُتتابعين؟ قال: والذي بَعَثك بالحقّ، إني إذا لم آكُل المرّتين والثلاث يكاد يعشو بصري. وقال: أفتستطيعُ أن تُطعِم سِتِّين مسكيناً؟. قال: لا، إلا تُعِينَني. قال: فأعانه رسولُ الله ﷺفقال: «أطعِم سِتِّين مِسكيناً». قال: وحَوّل الله

(١) أخرجه الطبري ٣٣٧١٧ وإسناده حسن، وله شواهد، وانظر ما بعده.

الطلاق، فجعله ظِهاراً[١]. ورواه ابنُ جرير، عن ابن المثنى، عن عبد الأعلى، عن داود، سمعت أبا العالية، فذكره نحوه، بأخصَرَ من هذا السياق. وقال سَعِيد بن جُبَير: كان الإيلاءُ والظهارُ من طلاقِ الجاهلية فوَقَّت الله الإيلاء أربعةَ أشهر، وجعَلَ في الظهارِ الكفَّارة. رواه ابن أبي حاتم، بنحوه. وقد استدلَّ الإمامُ مالكٌ: على أن الكافر لا يدخلُ في هذه الآية بقوله: ﴿مِنكُم﴾، فالخطابُ للمؤمنين. وأجاب الجُمهور بأن هذا خَرج مخرَجَ الغالب فلا مفهومَ له، واستدل الجمهور عليه بقوله: ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾، على أن الأمَة لا ظهار منها، ولا تدخُل في هذا الخطاب.

وقولُه تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْۚ﴾ أي: لا تصيرُ المرأةُ بِقولِ الرجُلِ: أنتِ عليَّ كظهر أُمي، أو كأمي أو «مثل أمي»، وما أشبه ذلك، لا تصير أُمَّه بذلك، إنما أُمُه التي وَلَدته. ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾، أي: كلاماً فاحشاً باطلاً، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، أي: عما كان منكُم في حال الجاهليّة، وهكذا أيضاً عما خَرَج من سَبْقِ اللسانِ ولم يَقْصِد إليه المتكلم.

[٦٦٥٤] كما رواه أبو داود أنَّ رسول الله ﷺ سَمِع رجلاً يقول لامرأته: يا أُختي. فقال: أختُك هي؟![٢] فهذا إنكار، ولكن لم يُحَرِّمها عليه بمجرَّدِ ذلك، لأنه لم يَقصِده، ولو قَصَده لَحَرُمَت عليه، لأنه لا فَرْق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم، مِن أخت وعَمَّةٍ وخالةٍ، وما أشبه ذلك.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾، اختلف السلفُ والأئمةُ في المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ فقال بعضُ الناس: العودُ هو أن يعودَ إلى لفظ الظهار فَيُكرِّره. وهذا القولُ باطلٌ وهو اختيارُ ابن حَزم وقَولُ داودَ، وحكاه أبو عَمر بن عبد البر، عن بُكَير بن الأشَجّ والفرّاء، وفرقة من أهل الكلام. وقال الشافعي: هو أن يُمسِكَها بعد الظهار زماناً يُمكنُه أن يُطلِّق فيه فلا يُطلِّق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعودَ إلى الجماع، أو يعزم عليه، فلا يَحلُّ له حتى يُكفِّر بهذه الكفَّارة. وقد حُكِي عن مالك: أنه العزمُ على الجمَاع والإمساكِ، وعنه: أنه الجماعُ. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه، ورفْع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجُل من امرأته فقد حَرَّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفَّارةُ، وإليه ذهبَ أصحابُه، والليثُ بن سَعدٍ. وقال ابنُ لَهيعة: حدثني عطاء، عن سعيد بن جُبير: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾، يعني: يُريدون أن يعودُوا في الجِماع الذي حَرّموه على أنْفُسِهم.

وقال الحسن البصري: يعني الغِشْيَانَ في الفَرْج. وكان لا يرى بأساً أن يغشَى فيما دُون الفرج قبل أن يُكَفِّر. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾، والمسُّ: النكاحُ. وكذا قالَ عطاءٌ، والزهريُّ، وقتادةُ، ومقاتلُ بن حَيَّانَ. وقال الزهريُّ: ليس له أن يُقبِّلها ولا يَمسَّها حتى يُكَفِّر.

[٦٦٥٥] وقد رَوَى أهلُ السنَن من حديث عِكْرِمة، عن ابن عباس أن رَجُلاً قال: «يا رسولَ الله! إني ظاهرتُ من امرأتي فوقعتُ عليها قبل أن أُكَفِّر. فقال: ما حَمَلك على هذا يرحمُكَ الله؟ قال: رأيتُ خَلْخالها في ضَوْءِ القَمَر. قال: فلا تَقْرَبها حتى تفعلَ ما أمَرَك الله عزَّ وجلَّ»[٣]. وقال الترمذيُّ: حَسَنٌ غريب صَحيح. ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مُرْسلاً. قال النسائيُّ: وهو أولى بالصواب.

---

(١) أخرجه الطبري ٣٣٧١٤ وهذا مرسل، وفي بعض ألفاظه غرابة وبعضه شاهد لما قبله.

(٢) ضعيف. أخرجه أبو داود ٢٢١٠ من طرق عن أبي تميمة مرسلاً، وكرره ٢٢١١ عن أبي تميمة عن رجل من قومه، والصواب رواية الجماعة.

(٣) حسن أخرجه أبو داود ٢٢٢٣ والترمذي ١١٩٩ والنسائي ٦/ ١٦٧ وابن الجارود ٧٤٧ والحاكم ٢/ ٢٠٤ والبيهقي ٧/ ٣٨٦ وإسناده لا بأس به، وله شواهد.

وقولُه تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، أي: فإعتاق رقبةٍ كاملةٍ من قبل أن يتماسا، فها هنا الرقبةُ مطلقةٌ غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القَتْلِ مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ ما أطلق ها هنا على ما قُيِّد هناك لاتِّحادِ الموجب، وهو عتقُ الرقبةِ.

[٦٦٥٦] واعتضَد في ذلك بما رواه عن مالك بِسنَدِهِ، عن مُعاوية بن الحكم السلمي، في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «أعْتِقْها فإنها مُؤمِنَة»[1]. وقد رواه أحمدُ في مسنده ومسلمٌ في صحيحه.

[٦٦٥٧] وقال الحافظ أبو بكر البَزّار: حدثنا يوسفُ بن موسى، حدثنا عبدالله بن نُمَير، عن إسماعيل بن مُسلم، عن عَمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس قال: أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ فقال: إني ظاهرتُ من امرأتي ثم وقعتُ عليها قبل أن أُكَفِّر. فقال رسول الله ﷺ: ألم يَقُلِ الله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾. قال: أعجبتني؟ قال: «أمسِك حتَّى تُكفِّر»[2]. ثم قال البزار: لا يُروَى عن ابن عباس بأحسنَ من هذا، وإسماعيل بن مسلم تُكُلِّم فيه، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم، وفيه من الفقه أنه لم يأمُره إلا بكفَّارةٍ واحدةٍ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ أي: تُزْجَرون به، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: خبيرٌ بما يُصلِحُكم، عَليمٌ بأحوالكم. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ﴾، قد تقدَّمت الأحاديث الواردةُ بهذا على الترتيب، كما ثَبَت في «الصحيحين» في قصة الذي جامَع امرأته في رمضان. ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾، أي: شَرَعنا هذا لهذا. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾، أي: محارمُه فلا تَنْتَهِكُوها. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: الذين لم يُؤمِنُوا ولا التزمُوا بأحكام هذه الشريعة، لا تَعتقدوا أنهم ناجُون من البلاءِ، كَلَّا، ليس الأمرُ كما زَعَمُوا، بل لهم عذابٌ أليمٌ، أي: في الدنيا والآخرةِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾

يُخبِر تعالى عَمَّن شاقُّوا الله ورسوله وعانَدُوا شرعه، ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾، أي: أُهِينوا ولُعِنوا وأُخزُوا، كما فعل بمن أشبَهَهُم مِمَّن قبلهم، ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾، أي: واضحاتٍ لا يُخالِفُها ويُعانِدُها إلا كافرٌ فاجرٌ مكابِرٌ، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، أي: في مقابلَة ما استكبروا عن اتِّباع شَرْع الله، والانقيادِ له، والخُضوع لَدَيه. ثم قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، وذلك يومَ القيامة، يجمَعُ الله الأولين والآخرين في صَعيدٍ واحدٍ، ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاۚ﴾، أي: يُخبِرُهم بالذي صَنَعُوا من خيرٍ وشرٍ، ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾، أي: ضَبَطه الله وحَفِظه عليهم، وهم قد نَسُوا ما كانوا عملوا، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، أي: لا يَغيبُ عنه

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٥٣٧ وأبو داود ٩٣٠ وأحمد ٥/ ٤٤٧ و٤٤٨ وابن حبان ١٦٥ وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف لضعف إسماعيل بن مسلم، وبهذا الإسناد أخرجه الحاكم ٢/ ٢٠٤ وقال الذهبي: إسماعيل واهٍ اهـ لكن لأصله شواهد.

شيءٌ، ولا يخفى ولا ينسى شيئاً. ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطةِ عِلْمِهِ بخلقِهِ واطِّلاعِه عليهم، وسَماعِه كلامَهم، ورؤيته مكانَهم حيث كانُوا وأين كانوا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾، أي: من سرِّ ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، أي: يَطَّلع عليهم ويسمَعُ كلامَهُم وسرَّهم ونجواهم، ورُسُله أيضاً مع ذلك تكتُب ما يتناجون به، مع عِلم الله به وسَمْعِه لهم، كما قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٨]. وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]. ولهذا حَكَى غيرُ واحدٍ الإجماعَ على أن المراد بهذه الآية مَعِيَّةُ علم الله تعالى، ولا شكَّ في إرادةِ ذلك ولكن سَمْعَه أيضاً مع عِلْمِه محيطٌ بهم، وبَصره نافذٌ فيهم، فهو ـ سبحانَه ـ مُطَّلعٌ على خلقِهِ، لا يَغيب عنه من أمورهم شيءٌ. ثم قال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعِلْم، واختتَمها بالعِلْم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

قال ابنُ أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ قال: اليهودُ.

[٦٦٥٨] وكذا قال مقاتل بن حيان، وَزاد: «كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مُوادَعةٌ، وكانوا إذا مَرَّ بهم رجُل من أصحاب النبي ﷺ جَلَسُوا يتناجون بينهم، حتى يَظُنَّ المؤمن أنهم يَتناجون بِقَتْلِه ـ أو: بما يكره المؤمنُ ـ فإذا رأى المؤمن ذلك ـ خشيَهم، فترك طريقَه عليهم... فنهاهُم النبيُّ ﷺ عن النَّجوى، فلم ينتهوا وعادُوا إلى النَّجوى، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾»(١).

[٦٦٥٩] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَاميُّ، حدثني سفيان بن حَمْزَة، عن كثير بن زيد، عن رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدري، عن أبيه، عن جَدِّه قال: كنا نَتَناوبُ رسولَ الله ﷺ نَبيتُ عندَه؛ يَطْرقه من الليل أمر؛ وتبدُو له حاجةٌ. فلما كانت ذات ليلةٍ كَثُر أهلُ النوب والمحتسِبُون، حتى كنا أنديةً نتحدَّث، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ما هذا النجوَى؟ ألم تُنْهَوا عن النجوَى؟ قلنا: تُبنا إلى الله يا رسولَ الله! إنا كُنَّا في ذكر المَسِيح؛ فَرقاً منه. فقال: ألا أُخبِرُكم بما هو أخوفُ عليكُم عِنْدِي منه؟ قلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: الشركُ الخفي، أن يقومَ الرجلُ يعمَلُ لمكانِ رَجلٍ(٢). هذا إسناد غريب، وفيه بعض الضعفاء.

---

(١) هذا مرسل، ومراسيل مقاتل مناكير.

(٢) إسناده ضعيف. فيه رُبَيْح بن عبد الرحمن الخدري، قال أحمد: ليس بمعروف، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. وعنه كثير بن زيد. وثقه يحيى، وضعفه النسائي وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين. ولعجزه شواهد.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾، أي: يَتحدَّثُون فيما بينهم بالإثم، وهو ما يختصُّ بهم، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وهو ما يتعلّق بغيرهم، ومنه معصيةُ الرسولِ ومخالفَتُه، يُصِرُّون عليها ويتواصون بها. وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

[٦٦٦٠] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا ابن نُمير، عن الأعمش، عن مَسْروقٍ، عن عائشة قالت: دَخَل على رسول الله ﷺ يهودٌ فقالوا: السامُ عليكَ يا أبا القاسم. فقالت عائشة: وعليكُم السامُ. قالت: فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ، إن الله لا يحبُّ الفُحشَ ولا التفحُّشَ» قلت: ألاَ تسمَعُهم يقولون: السامُ عليك؟! فقال رسول الله: «أوما سَمِعتِ أقولُ: وعليكم؟. فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾[١].

[٦٦٦١] وفي روايةٍ في «الصحيح» أنها قالت لهم: «عليكُم السامُ والذام واللعنةُ»، وأن رسول الله ﷺ قال: «إنَّه يُستَجابُ لنا فيهم، ولا يُستَجابُ لهم فينا»[٢].

[٦٦٦٢] وقال ابنُ جرير: حدثنا بِشر، حدثنا يزيدُ، حدثنا سعيدٌ، عن قتادةَ، عن أنس بن مالكٍ: «أن رسولَ الله ﷺ بينما هو جالسٌ مع أصحابه إذ أتى عليهم يهوديٌّ فَسَلَّم عليهم، فَرَدُّوا عليه، فقال نبيُّ الله ﷺ: هل تدرون ما قال؟ قالوا: سَلَّم يا رسول الله! قال: بل قال: سَأْمٌ عليكم، أي: تَسْأَمون دينَكُم. قال رسول الله: رُدُّوه. فَرَدُّوه عليه، فقال نبيُّ الله: أقلت: سَأْمٌ عليكم؟ قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «إذَا سلَّم عليكُم أحدٌ من أهل الكتاب فقولوا: عليك، أي: عليك ما قلت»[٣]. وأصلُ حديثِ أنسٍ مخرَّجٌ في الصحيح، وهذا الحديثُ في الصحيح عن عائشة، بنحوِه.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، أي: يفعلون هذا، ويقولون ما يُحَرِّفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شَتْمٌ في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبياً لعذَّبنا الله بما نقولُ له في الباطن، لأن الله يعلم ما نُسِرُّه، فلو كان هذا نَبياً حقاً لأوشك أن يُعاجِلَنا الله بالعقوبة في الدنيا، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، أي: جَهنَّم كفايتُهم في الدارِ الآخرةِ، ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

[٦٦٦٣] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدُ الصمدِ، حدثنا حَمَّادٌ، عن عطاءِ بن السائبِ، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمْروٍ: أن اليهودَ كانوا يقولُون لرسولِ الله ﷺ: سامٌ عليكَ، ثم يقولُون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٤]. إسنادٌ حَسَنٌ، ولم يُخرِجُوه. وقال العوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾، قال: كان المنافقون يقولُون لرسول الله إذا حَيّوه: سامٌ عليك، قال الله تعالىٰ: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾. ثم قال الله تعالىٰ مُؤدِّباً عباده المؤمنين ألاَّ يكونوا مثل الكفرة

---

(١) إسناده صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم، وهو عند مسلم ٢١٦٥ ح ١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠١ ومسلم ٢١٦٥ والترمذي ٢٧٠١. وورد من حديث جابر، أخرجه مسلم ٢١٦٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٦٣٠ وابن ماجه ٣٦٩٧ وابن حبان ٥٠٣ والطبري ٣٣٧٦٨ وإسناده حسن، رجاله رجال الشيخين لكن سعيد بن أبي عروبة تغير بأخرة، وقد رواه غير واحد عن قتادة بنحوه لا بلفظه. وأصله عند البخاري ٦٢٥٨ و٦٩٢٦ ومسلم ٢١٦٣.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٠ وفيه حماد بن سلمة، وقد سمع من عطاء قبل الاختلاط وبعده، لكن للحديث شواهد، فهو حسن إن شاء الله، وقد جوده الهيثمي في «المجمع» ١١٤٠٥.

والمنافقين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾، أي: كما يتناجى به الجهلةُ من كَفَرة أهلِ الكتابِ ومن مَالأهم على ضَلالِهم من المنافقين، ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، أي: فيُخبِرُكم بجميعِ أعمالِكم وأقوالِكم التي قد أحصاها عليكم، وسَيَجْزيكم بها.

[٦٦٦٤] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا بَهزٌ وعفَّانُ قالا: أخبرنا هَمَّامٌ، حدثنا قتادةُ، عن صفوانَ بن مُحرزٍ قال: كنتُ آخذاً بيد ابن عُمَر، إذ عَرَض له رجلٌ فقال: كيف سَمِعت رسولَ الله ﷺ يقول في النجوى يومَ القيامة؟ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إن الله يُدني المؤمن فَيَضَع عليه كَنَفَه ويستُره من الناس، ويُقرِّره بذُنُوبه، ويقول له: أتعرِف ذنبَ كَذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرِف ذنبَ كَذا؟ حتى إذا قَرَّره بذنوبه ورأى في نفسه قد هَلَك، قال: فإني قد سترتها عليكَ في الدُّنيا، وأنا أغفِرُها لك اليومَ، ثم يُعطَى كتابَ حسناتِهِ، وأما الكفارُ والمنافقونَ فيقولَ الأشهادُ: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»[١] [هود: ١٨]. أخرجاه في الصحيحين، من حديث قتادة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾، أي: إنما النجوَى - وهي المُسَارَّةُ حيث يتوهَّم مؤمنٌ منها سُوءاً - ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: إنما يصدُر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه، ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: ليسُوءَهُم، وليس ذلك بضارِّهم شيئاً إلا بإذنِ اللّهِ ومَن أحسَّ من ذلك شيئاً فَلْيستعِذْ بالله ولْيَتوكَّل على الله؛ فإنه لا يضُرُّه شيء بإذن الله. وقد وَرَدت السنةُ بالنهي عن التناجي حيث يكونُ في ذلك تأذٍّ على مؤمنٍ.

[٦٦٦٥] كما قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا وكيعٌ وأبو معاويةَ قالا: حدثنا الأعمشُ، عن أبي وائلٍ، عن عبدِ الله بن مسعودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كنتُم ثلاثةً فلا يتناجَيَنَّ اثنانِ دونَ صاحِبِهما فإن ذلك يُحزِنُه»[٢]. أخرجاه من حديث الأعمش.

[٦٦٦٦] وقال عبد الرزاق، أخبرنا معمرٌ، عن أيُّوبَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنانِ دونَ الثالثِ إلا بإذنه؛ فإن ذلك يحزُنُه»[٣]. انفرد بإخراجه مسلمٌ عن أبي الربيع وأبي كامل، كلاهما عن حَمَّاد بن زيد، عن أيُّوبَ، به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

يقولُ تعالى مُؤدِّباً عبادَه المؤمنين، وآمراً لهم أن يُحسِنَ بعضهم إلى بعضٍ في المجالس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾، وقُرِىءَ: (في المجلس)، ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وذلك أن الجزاءَ من جنسِ العمل.

[٦٦٦٧] كما جاء في الحديث الصحيح: «مَن بَنَى لله مَسجِداً بَنَى الله له بيتاً في الجنةِ»[٤].

---

(١) والحديث أخرجه البخاري ٢٤٤١ ومسلم ٢٧٦٨ وابن حبان ٧٣٥٦ وأحمد ٢/ ٧٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٢٩٠ ومسلم ٢١٨٤ (٣٨) وأبو داود ٤٨٥١ والترمذي ٢٨٢٥ وابن ماجه ٣٧٧٥ وأحمد ١/ ٣٧٥ و٤٢٥ و٤٣١ و٤٦٢ والحميدي ١٠٩ وابن حبان ٥٨٣.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٨٣ ح ٣٦.

(٤) تقدم تخريجه.

[٦٦٦٨] وفي الحديث الآخر: «من يَسَّر على مُعسِر يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عَونِ العبد ما كان العبد في عون أخيه»[٤]. ولهذا أشباهُ كثيرة، ولهذا قال: ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾. قال قتادةُ: نزلَت هذه الآيةُ في مجالسِ الذكرِ، وذلك أنّهم كانوا إذا رَأوا أحدَهم مُقبِلاً ضَنُّوا بمجالسهم عند رسولِ الله ﷺ فأمرهم الله أن يَفْسَحَ بعضُهم لبعضٍ.

[٦٦٦٩] وقال مُقاتِلُ بن حَيَّان: أُنزلت هذه الآيةُ يومَ جُمُعةٍ، وكان رسولُ الله ﷺ يومئذٍ في الصفَّةِ، وفي المكانِ ضِيقٌ، وكان يُكرِم أهلَ بدرٍ من المهاجرين والأنصار، فجاء أُناسٌ من أهل بدرٍ وقد سُبِقوا إلى المجالس، فقامُوا حِيالَ رسول الله ﷺ فقالوا: السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه. فردَّ النبي ﷺ عليهم، ثم سَلَّمُوا على القوم بعدَ ذلك، فَرَدُّوا عليهم، فقامُوا على أرجُلهم يَنتظِرُون أن يُوسَّع لهم، فَعَرَف النبيُّ ﷺ ما يحمِلُهم على القيام، فَلَم يُفسَح لهم، فَشَقَّ ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حولَه من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «قُم يا فلانُ، وأنتَ يا فلانُ». فلم يَزَل يُقيمهم بِعِدَّةِ النفَرِ الذين هم قيامٌ بين يَدَيه من المهاجرين والأنصار أهل بَدْرٍ، فَشَقَّ ذلك على من أُقِيم من مجلسه، وعَرَف النبيُّ ﷺ الكراهة في وجوههم، فقال المنافقُون: ألستُم تزعُمون أنَّ صاحبكم هذا يَعدِلُ بين الناس؟ والله ما رأيناه قبلُ عَدَلَ على هؤلاء، إنَّ قوماً أخذُوا مجالِسَهم وأحبُّوا القُربَ من نبيهم، فأقامَهُم وأجلسَ من أبطأ عنه. فَبَلَغنا: أن رسول الله ﷺ قال: رَحِم الله رجلاً فَسَح لأخيه. فجعلُوا يقومُونَ بعد ذلك سِراعاً، فَتَفَسَّحَ القومُ لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة[١]. رواه ابن أبي حاتم.

[٦٦٧٠] وقد قال الإمامُ أحمد، والشافعيُّ: حدثنا سفيان، عن أيُّوبَ، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُقِيم الرجلُ الرجلَ من مجلِسه فَيجلِسَ فيه، ولكن تَفَسَّحُوا وتَوسَّعُوا»[٢]. وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع، به.

[٦٦٧١] وقال الشافعيُّ: أخبرنا عبدُ المجيدِ، عن ابن جُرَيج قال: قال سُلَيمان بن مُوسَى، عن جابر بن عبدِ الله أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يُقِيمَنَّ أحدُكم أخاه يوم الجُمُعةِ، ولكن ليقل افسَحُوا»[٣]. على شرط السنن ولم يُخرجُوه.

[٦٦٧٢] وقال الإمامُ أحمد: حدثنا عبدُ الملكِ بن عَمرو، حدثنا فُلَيح، عن أيُّوبَ بن عبد الرحمن ابن صعصَعَة، عن يعقوب بن أبي يعقُوبَ، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يُقِم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يَجلِس فيه، ولكن افسَحُوا يَفْسَحِ الله لكم»[٤].

[٦٦٧٣] ورواه أيضاً عن سُرَيج بن يُونُس بن محمد المؤدب، عن فُلَيحٍ، به. ولفظه: «لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن افسَحُوا يَفْسَحِ الله لكم»[٥]. تفرَّد به أحمدُ.

---

(١) هذا معضل، ومقاتل بن حيان إمام في التفسير لكنه متكلم فيه عند أهل الحديث. ووثقه بعضهم وبكل حال الخبر ضعيف لإرساله.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٢٦٩ ومسلم ٢١٧٧ ح ٢٨ وأحمد ٢/ ١٧ و٢٢ و١٠٢ وعبد الرزاق ١٩٨٠٧ وابن أبي شيبة ٨/ ٥٨٤ وابن حبان ٥٨٦.

(٣) صحيح. أخرجه الشافعي ١/ ١٥٩ وإسناده ضعيف، عبارة ابن جريج تدل على أنه لم يسمعه من سليمان، لكن أخرجه مسلم ٢١٧٨ من وجه آخر، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٨ بإسناد حسن، أيوب وشيخه كلاهما صدوق، وللحديث شواهد.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٤٨٣ بإسناد حسن، وللحديث شواهد.

وقد اختلف الفقهاء في جَوَازِ القيام للواردِ إذا جاء على أقوال: فمنهم من رَخَّصَ في ذلك محتجاً بحديث:

[٦٦٧٤] «قومُوا إلى سَيِّدكم»(١). ومنهم من مَنَع من ذلك محتجاً بحديث:

[٦٦٧٥] «مَن أحبَّ أن يَتَمَثَّل له الرجال قِياماً فليتبوأ مقعَدَه من النار»(٢).

ومِنْهُم مَن فَصَّل فقال: يجوزُ عند القُدوم من سَفَرٍ، وللحاكِم في محلِّ ولايته.

[٦٦٧٦] كما دلَّ عليه قصة سَعدِ بن مُعاذٍ، فإنه لما استقدمه النبيُّ ﷺ حاكماً في بني قُرَيظَةَ فرآه مُقبِلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سَيدكم»(١). وما ذاك إلا ليكونَ أنفذَ لحُكمِهِ، والله أعلم. فأما اتخاذُه دَيدناً فإنه من شعار العَجَم.

[٦٦٧٧] وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومُون له، لما يعلمونَ من كراهتِهِ لذلكَ(٣).

[٦٦٧٨] وفي الحديث المرويِّ في السنن: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلسُ، ولكن حيث يجلسُ يكونُ صدرُ ذلك المجلس، وكان الصحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ يجلسُون منه على مَرَاتبهم، فالصِّدّيق يُجْلِسُه عن يمينه، وعُمَر عن يَسَاره، وبين يَدَيه غالباً عثمان وعليٌّ، لأنهما كانا ممن يكتُب الوحيَ، وكان يأمرهُم بذلك(٤).

[٦٦٧٩] كما رَواه مسلم من حديثِ الأعمش، عن عُمارة بن عُمَير، عن أبي مَعْمَرٍ، عن أبي مسعودٍ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ليلني منكم أولُو الأحلام والنُّهَى، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم»(٥). وما ذاك إلا لِيعقِلُوا عنه ما يقوله ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ ولهذا أمَر أولئك النفرَ بالقيام ليجلس الذين وَرَدُوا من أهل بَدْرٍ، إمّا لتقصير أولئك في حَقِّ البدريين، أو ليأخُذَ البدريُّون من العلم بنصيبهم، كما أخذَ أُولئك قبلَهم، أو تعليماً بتقديم الأفاضلِ إلى الأمام.

[٦٦٨٠] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا وكيعٌ، عن الأعمش، عن عُمارة بن عُمَير التيمي، عن أبي مَعْمَر، عن أبي مسعودٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يمسَحُ مناكبنا في الصلاة ويقول: «استوُوا ولا تَختلِفُوا فتختلِفَ قلوبُكم، لِيَلِيني منكم أولُو الأحلامِ والنهَى، ثم الذين يَلُونهم، ثم الذين يَلُونهم». قال أبو مسعود: فأنتمُ اليومَ أشدُّ اختلافاً(٦). وكذا رواه مسلم وأهل السُّنَنِ، إلا التِّرمذي، من طُرُقٍ عن الأعمش، به. وإذا كان هذا أمرَه لهم في الصلاة أن يَلِيَه العُقَلاء [منهم و] العُلَماء، فَبِطريق الأولى أن يكُون ذلك في غير الصلاة.

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) جيد. أخرجه الترمذي ٢٧٥٥ وغيره، وتقدم.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ١٣٢ والبخاري في «الأدب المفرد» ٩٤٦ والترمذي ٢٧٥٤ وهو حسن صحيح، وتقدم.

(٤) لم أره هكذا، وإنما ورد من حديث جابر بن سمرة «كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ١١٤١ وأبو داود ٤٨٢٥ والترمذي ٢٧٢٥ وابن حبان ٦٤٣٣ وإسناده حسن.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٤٣٢ ح ١٢٢.

(٦) صحيح. أخرجه مسلم ٤٣٢ وأبو داود ٦٧٤ وابن ماجه ٩٧٦ وعبد الرزاق ٢٤٣٠ والحميدي ٤٥٦ وابن حبان ٢١٧٨ وأحمد ٤/ ١٢٢.

[٦٦٨١] وَرَوَى أبو داود من حديث معاويةَ بن صالح، عن أبي الزاهريّة، عن كثير بن مُرّةٍ عن عبد الله بن عُمَر أن رسول الله ﷺ قال: «أقيمُوا الصُّفوف، وحاذُوا بين المناكب، وسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينُوا بأيدي إخوانكم، ولا تَذَروا فُرُجاتٍ للشيطان، ومَن وصل صَفًّا وَصَله الله، ومن قَطع صَفًّا قطعه الله»(١). ولهذا كان أُبَيُّ بن كَعب سيدُ القُرَّاء إذا انتهى إلى الصفِّ الأول انتزع منه رجُلاً يكونُ من أفناء الناس، ويدخُل هو في الصفِّ المقدَّم.

[٦٦٨٢] ويحتج بهذا الحديث: «ليلني منكُم أولُو الأحلام والنهى»(٢). وأما عبدُ الله بن عُمَر فكان لا يجلس في المكان الذي يقُوم له صاحبُه عنه، عملاً بمقتضى ما تقدَّم من روايته الحديثَ الذي أوردناه. وَلْنَقتصِرْ على هذا المقدار من الأنمُوذَجِ المتعلِّق بهذه الآية، وإلا فَبَسْطُه يحتاجُ إلى غير هذا الموضع.

[٦٦٨٣] وفي الحديث الصحيح: «بينا رسول الله ﷺ جالسٌ، إذ أقبل ثلاثةُ نَفرٍ، فأما أحدُهم فوجد فُرجَةً في الحَلْقَةِ فدخل فيها، وأما الآخرُ فَجَلس وراءَ الناس، وأدبَرَ الثالث ذاهِباً. فقال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكم بِخَبَرِ الثلاثة؟، أما الأولُ فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منهُ. وأما الثالثُ فأعرضَ فأعرضَ الله عنه»(٣).

[٦٦٨٤] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عَتَّابُ بن زيادٍ، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أُسامةُ بن زيد، عن عَمْرِو بن شُعَيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمْرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلُّ لرجلٍ أن يُفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما»(٤). وَرَواه أبو داودَ والترمذيُّ، من حديث أُسامةَ بن زيدٍ الليثيِّ، به. وحَسَّنه الترمذيُّ. وقد رُوي عن ابن عباس، والحسن البصريِّ وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾، يعني: في مجالسِ الحرب. قالوا: ومعنى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾، أي: انهضُوا للقتال. وقال قتادة: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾، أي: إذا دُعِيتم إلى خير فَأَجِيبوا. وقال مقاتل: إذا دُعِيتم إلى الصلاةِ فارتفعُوا إليها. وقال عبدُ الرحمن بن زيدِ بن أسلَمَ: كانوا إذا كانوا عند النبيِّ ﷺ في بيته فأرادُوا الانصراف، أحبَّ كلُّ منهم أن يكون هو آخرَهم خروجاً من عنده، فرُبَّما يَشُقُّ ذلك عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد تكون له الحاجةُ، فَأُمِرُوا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرِفُوا، كقوله: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ﴾ [النور: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: لا تَعتقِدُوا أنه إذا فَسح أحَدٌ منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أُمِر بالخروج فَخَرج، أن يكون ذلك نقصاً في حَقِّه، بل هو رفعةٌ وَمَزِيَّةٌ عند الله، والله تعالى لا يُضيع ذلك له، بل يَجْزيه بها في الدنيا والآخِرَةِ، فإن من تَواضَعَ لأمرِ الله رَفَع الله قدره، ونَشَر ذِكْرَهُ. ولهذا قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: خبيرٌ بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحِقُّه.

[٦٦٨٥] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أبو كامل، حدثنا إبراهيمُ، حدثنا ابنُ شهابٍ، عن أبي الطُفَيل عامر بن

---

(١) أخرجه أبو داود ٦٦٦ وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) متفق عليه، وتقدم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٦٦ و٤٧٤ ومسلم ٢١٧٦ والترمذي ٢٧٢٤ ومالك في «الموطأ» ٣/ ١٣٢ وابن حبان ٨٦ وأحمد ٥/ ٢١٩ من حديث أبي واقد الليثي.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٨٤٥ والترمذي ٢٧٥٢ وأحمد ٢/ ٢١٣ وإسناده حسن للاختلاف في عمرو عن آبائه.

واثلةَ، أن نافع بن عبدِ الحارثِ لقي عُمَر بن الخطاب بعُسفَانَ، وكان عُمر استعمَلَه على مكة، فقال له عمر: من استخلفتَ على أهلِ الوادي؟ قال: استخلفتُ عليهم ابن أَبْزَى قال: وما ابن أَبْزَى؟ فقال: رجلٌ من مَوَالينا. فقال عمر: استخلفتَ عليهم مولىً؟! فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنه قارىء لكتابِ الله، عالمٌ بالفرائضِ، قاضٍ، فقال عُمَر ـ رضي الله عنه ـ: أما إنَّ نبيَّكُم ﷺ قد قال: «إنَّ الله يرفَعُ بهذا الكتابِ قوماً ويضَعُ به آخرين»[١]. وهكذا رواه مسلم من غير وَجهٍ، عن الزُّهرِيِّ، به. وَرُوي من غير وجه عن عُمَر بنحوه. وقد ذكرتُ فضلَ العلم وأهلِه وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاةً في شرح «كتاب العلم» من صحيح البُخاري، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً عبادَه المؤمنين إذا أراد أحدُهم أن يُناجِيَ رسولَ الله ﷺ أي: يُسارَّه فيما بينه وبينه، أن يُقدِّم بين يدي ذلك صدقةً تُطهِّره وتُزكِّيه وتؤهِّله لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾. ثم قال: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾، أي: إلا مَن عَجز عن ذلك لفقدِه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾، فما أمَر بها إلا من قدر عليها. ثم قال: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾، أي: أخِفتُم مِنَ استمرارِ هذا الحُكم عليكُم من وجوب الصدقة قبل مُناجاة الرسولِ، ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، فنسخ وجوب ذلك عنهم. وقد قيل: إنه لم يَعْمَل بهذه الآية قبل نَسْخِها سِوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[٦٦٨٦] قال ابنُ أبي نجيح، عن مُجاهِدٍ قال: نُهوا عن مناجاةِ النبيِّ ﷺ حتى يتصدَّقوا، فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب، قَدَّم ديناراً صدقةً تصدَّق به، ثم ناجَى النبيَّ ﷺ فسأله عن عشرِ خِصَالٍ، ثم أنزلت الرخصة[٢].

[٦٦٨٧] وقال ليثُ بن أبي سُليم، عن مجاهد قال علي ـ رضي الله عنه ـ: آيةٌ في كتاب الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ لم يَعْمَل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، كان عندي دينار فَصرفتُه بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيتُ رسول الله ﷺ تصدَّقت بدرهم، فَنُسِخت ولم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمَلُ بها أحدٌ بعدي، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾... الآية[٣].

[٦٦٨٨] وقال ابن جرير: حدثنا ابن حُمَيد، حدثنا مِهران، عن سُفيان، عن عُثمانَ بن المغيرةِ، عن سالم بن أبي الجَعدِ، عن علي بن علقمةَ الأنماريِّ، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: ما تَرى؟ دينار؟ قال: لا يُطِيقون. قال: نِصفُ دينار؟ قال: لا يُطِيقون. قال: ما تَرَى؟ قال: شَعِيرة. فقال له النبي ﷺ: إنك لزهيد. قال: فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾. قال: قال علي: فَبِي خَفَّف الله عن

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٨١٧ وابن ماجه ٢١٨ وأحمد ١/ ٣٥ وابن حبان ٧٧٢.
(٢) أخرجه الطبري ٣٣٧٨٨ عن مجاهد مرسلاً والمرسل من قسم الضعيف.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣١٧٨ والطبري ٣٣٧٨٩ و ٣٣٧٩٠ من طريقين عن مجاهد. وهذا ضعيف لإرساله.

هذه الأمة[١]. ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع، عن يحيى بن آدم، عن عُبَيد الله الأشجعِيّ، عن سُفيان الثوريّ، عن عثمان بن المُغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجَعد، عن علي بن علقمةَ الأنماريّ، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾، إلى آخرها، قال لي النبي ﷺ: ما ترى؟ دينار؟ قلت: لا يُطيقونه. وذكره بتمامه، مثله، ثم قال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، إنما نعرفه من هذا الوجه. ثم قال: ومعنى قوله «شعيرة»: يعني وزن شَعِيرة من ذَهبٍ». ورواه أبو يعلىٰ، عن أبي بكر بن أبي شيبةَ، عن يحيى بن آدمَ، به.

وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ إلى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: كان المسلمون يُقدِّمون بين يَدَي النجوى صدقةً، فلما نزَلت الزكاةُ نُسِخ هذا. وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾، وذلك أن المسلمين أكثرُوا المسائلَ على رسول الله ﷺ حتى شقُّوا عليه، فأراد الله أن يُخفِّف عن نَبيِّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلما قال ذلك ضَنَّ كثير من الناس وكفُّوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فوسَّع الله عليهم ولم يُضيِّق. وقال عِكرِمةُ والحسنُ البَصريُّ في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾: نسختها الآيةُ التي بعدها: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ إلى آخرها. وقال سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة ومقاتل بن حَيَّان: سأل الناسُ رسولَ الله ﷺ حتى أحفَوه بالمسألة، ففَطمهم الله بهذه الآية، فكان الرجلُ منهم إذا كانت له الحاجةُ إلى نَبيِّ الله ﷺ فلا يستطيعُ أن يقضيها حتى يُقدِّم بين يَدَيه صدقةً، فاشتدَّ ذلك عليهم، فأنزل الله الرُخصَةَ بعد ذلك: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. وقال مَعمرٌ، عن قتادة: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾: إنها منسوخةٌ، ما كانت إلا ساعةً من نهار. وهكذا رَوَى عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوبَ، عن مجاهد قال عليٌّ: ما عَمِل بها أحدٌ غيري حتى نُسِخت، وأحسَبه قال: وما كانت إلا ساعة.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

يقولُ تعالى منكراً على المنافقين في موالاتهم الكفارَ في الباطن، وهم في نفس الأمر لا مَعهم ولا مع

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٠٠ والطبري ٣٣٧٩٦ والعقيلي ٣/ ٢٤٣ من حديث علي. وفيه علي بن علقمة. قال العقيلي: قال البخاري في حديثه نظر. وفي «الميزان» ٥٨٩٣: وقال ابن المديني: لا أعلم له راوياً غير سالم اهـ وهذه إشارة إلى أنه مجهول، وقال عنه ابن حبان في المجروحين ٢/ ١٠٩: منكر الحديث، يروي عن علي بما لا يشبه حديثه. فلا أدري سمع منه، أو أخذ ما يروي عنه عن غيره. والذي عندي ترك الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من أصحاب علي اهـ. وورد من طريق ابن أبي ليلىٰ عند الحاكم ٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢ وصححه الحاكم علىٰ شرطهما، ووافقه الذهبي. والصواب أن فيه يحيىٰ بن المغيرة السعدي، وهو لم يرو له الشيخان، ولا أحدهما. لكن وثقه أبو حاتم، وابن حبان، وهو معلول، صيغة المستدرك تدل علىٰ الإرسال، وأن ابن أبي ليلىٰ لم يسمعه من علي، والمتن فيه غرابة وليس له إسناد يحتج به، وانظر «ضعيف الترمذي» ٦٥٢ والله أعلم.

المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣]. وقال ها هنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، يعني اليهود، الذين كان المنافقون يمالئُونهم ويُوالونهم في الباطن. ثم قال: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾، أي: هؤلاء المنافقون، ليسوا في الحقيقة لا منكُم أيها المؤمنون، ولا من الذين توَلَّوهم وهم اليهود. ثم قال: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، يعني: المنافقين يَحلِفُون على الكذِب وهم عالِمُون بأنهم كاذِبُون فيما حلفوا، وهي اليمينُ الغَمُوس، ولا سِيَّما في مثل حالهم اللعين، عياذاً بالله منه، فإنهم كانوا إذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا جاؤوا الرسولَ حَلَفُوا بالله له إنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلَمُون أنهم يكذِبون فيما حَلفُوا به، لأنهم لا يَعتقِدُون صِدْقَ ما قالُوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقاً. ولهذا شهد الله بكَذبهم في إيمانهم وشَهادتهم لذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾، أي: أرصَد الله لهم على هذا الصنيع العذابَ الأليمَ على أعمالهم السيئةِ، وهي موالاة الكافرين ونُصحِهم، ومُعاداة المؤمنين وَغِشِّهم. ولهذا قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: أظهروا الإيمان وأبطنُوا الكفر، واتقُوا بالأيمان الكاذبةِ، فَظَنَّ كثيرٌ ممن لا يعرف حقيقةَ أمرهم صدقَهم فاغترَّ بهم، فحصَل بهذا صَدٌّ عن سبيل الله لبعضِ الناسِ، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، أي: في مقابلة ما امتهنُوا من الحَلِف باسم الله العظيم في الأيمانِ الكاذبةِ الحانثةِ. ثم قال: ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، أي: لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، أي: يحشُرهم يومَ القيامة عن آخرهم فلا يُغادِر منهم أحداً، ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾، أي: يحلِفُون بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنهم كانوا على الهُدى والاستقامةِ، كما كانوا يَحلِفُون للناس في الدنيا، لأن من عاش على شيء مات عليه وبُعِثَ عليه، ويَعتقِدون أن ذلك ينفَعهُم عند الله كما كان ينفَعهُم عند الناس، فيُجرون عليهم الأحكامَ الظاهرة، ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾، أي: حَلِفهم ذلك لربِّهم عزَّ وجلَّ.

ثم قال مُنكِراً عليهم حُسبانَهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، فأكَّد الخبرَ عنهم بالكذِب.

[٦٦٨٩] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نُفَيل، حدثنا زُهير، عن سِماك بن حربٍ، حدثني سَعِيد بن جُبَير: أنَّ ابنَ عباس حَدَّثه: أن النبيَّ ﷺ كان في ظل حُجرَةٍ من حُجَرِهِ، وعنده نفَرٌ من المسلمين قد كاد يَقلِصُ عنهم الظلُّ، قال: «إنه سيأتيكم إنسانٌ ينظُر بعيني شيطانٍ، فإذا أتاكم فلا تُكلِّموه». فجاء رجلٌ أزرَقُ، فدعاه رسول الله ﷺ فكلَّمه، فقال: «علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟» ـ نفَرٌ دَعَاهم بأسمائهم ـ قال: فانطلق الرجلُ فَدَعاهم، فَحَلَفُوا له واعتذروا إليه، قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾(١). وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ من طريقَينِ، عن سِمَاكٍ به: ورواه ابنُ جريرٍ، عن محمد بن المثنى، عن غُندَر، عن شُعبَة، عن سِمَاكٍ، به نحوه، وأخرجه أيضاً من حديثِ سفيان الثوريِّ، عن سِمَاكٍ بنحوه، إسنادٌ جيدٌ ولم يُخرجُوه. وحالُ هؤلاءِ كما أخبَرَ تعالى عن المُشركِينَ حيث يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: ٢٣ ـ ٢٤]. ثم قال: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾، أي: استحوذَ على قُلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكُروا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وكذلك يصنَعُ بمن استحوذَ عليه.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٦٧ والطبري ٣٣٨٠٨ والحاكم ٢/ ٤٨٢ وإسناده على شرط مسلم، لكن سماك في روايته عن عكرمة ضعف، ومع ذلك صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

[٦٦٩٠] ولهذا قال أبو داود: حدثنا أحمدُ بن يونُس، حدثنا زائدة، حدثنا السائب بنُ حُبَيش، عن معدانَ بن أبي طلحةَ اليَعْمُري، عن أبي الدرداء: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدْوٍ، لا تُقامُ فيهم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، فعليكَ بالجماعة فإنما يأكُل الذئبُ القاصيةَ». قال زائدةُ: قال السائبُ: يعني الصلاة في الجماعة[1]. ثم قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾، يعني الذين استحوذَ عليهم الشيطانُ فأنساهُم ذكرَ الله، ثم قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن الكفار المعانِدين المحادِّين لله ورسوله، يعني: الذين هُم في حَدٍّ والشرعُ في حَدٍّ، أي: مُجانِبُون للحقِّ مُشاقُّون له، هم في ناحيةٍ والهُدى في ناحيةٍ، ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، أي: في الأشقياءِ المُبعَدين المطرُودين عن الصواب، الأذلِّين في الدُّنيا والآخرة. ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾، أي: قد حَكم وكَتَب في كتابه الأول وقدَره الذي لا يُخالَفُ ولا يمانَعُ ولا يُبدَّلُ، بأنَّ النُّصرة له ولكتابه ورُسُله وعباده المؤمنين في الدُّنيا والآخرة، وأنَّ العاقبة للمتَّقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١ ـ ٥٢]. وقال ها هنا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾، أي: كَتَب القويُّ العزيزُ أنه الغالبُ لأعدائِهِ. وهذا قَدَرٌ مُحكَمٌ وأمر مُبرَمٌ، أنَّ العاقبةَ والنُّصرةَ للمؤمنين في الدُّنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، أي: لا يُوادُّون المحادِّين ولو كانُوا من الأقربين، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]... الآية. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]. وقد قال سعيدُ بن عبد العزيز وغيرُه: أُنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... إلى آخرها، في أبي عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجَرّاح، حين قَتَل أباه يومَ بدر. ولهذا قال عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين جَعَل الأمر شُورَى بعده في أولئك الستَّة ـ رضي الله عنهم ـ: ولو كان أبو عُبيدة حَيًّا لاستخلفته. وقيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نَزَلت في أبي عُبَيدة، قَتَل أباه يومَ بدرٍ. ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾: في الصدِّيق، هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾: في مُصعَب بن عمير، قتل أخاه عُبَيد بن عُمَير يومئذ. ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾:

---

(١) حسن. أخرجه أبو داود ٥٤٧ والنسائي ٢/١٠٦ وأحمد ٥/١٩٦ وابن حبان ٢١٠١ وابن خزيمة ١٤٧٦ والحاكم ١/٢١١ وإسناده حسن لأجل السائب، قال عنه الذهبي في «الكاشف»: صدوق.

في عُمَر، قتل قَرِيباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعَليّ وعُبَيدة بن الحارث، قتلوا عُتبة وشَيبة والوليد بن عتبة يومئذٍ، والله أعلم.

قلتُ: وَمِن هذا القبيل حين استشار رسولُ الله ﷺ المسلمين في أَسَارى بدر، فأشار الصدِّيق بأن يُفادَوا، فيكون ما يُؤخَذُ منهم قوة للمسلمين، وهم بنُو العمِّ والعشيرةِ، ولعلّ الله أن يهدِيَهم. وقال عُمَر: لا أرى ما رَأى يا رسول الله! بل تُمَكِّنني من فلان ـ قريب لعُمَر ـ فأقتله، وتُمَكِّن عليًا من عَقِيل، وتُمَكِّنُ فلاناً من فلانٍ، ليعلَم الله أنه ليست في قُلُوبنا هَوادة للمشركين... القصة بكاملها[١]. وقولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ أي: من اتَّصف بأنه لا يُوَاد من حادَّ الله ورسولَه ولو كان أباه أو أخاه، فهذا ممن كَتَب الله في قلبه الإيمانَ، أي: كتبَ له السعادةَ وقرَّرها في قلبه وزَيَّن الإيمانَ في بصيرته. قال السدي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾: جَعَل في قلوبهم الإيمان، وقال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾، أي: قَوّاهم. وقوله: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾: كل هذا تقدم تفسيره غير مرة. وفي قوله تعالىٰ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾: سرٌّ بديعٌ، وهو أنه لما سَخِطُوا على القَرَائبِ والعَشَائِرِ في الله عَوَّضَهُم الله بالرضا عنهُم، وأرضاهم عنه بما أعطاهُم من النعيم المُقِيم، والفوزِ العظيم والفضلِ العميم. وقولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، أي: هؤلاء حِزبُ الله، أي: عبادُ الله وأهلُ كرامته.

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: تنويهٌ بفلاحهم وَسَعادتهم ونَصْرِهم في الدنيا والآخرة، في مُقابَلَةِ ما أخبرَ عن أولئك بأنهم حِزْب الشيطان. ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

[٦٦٩١] وقد قال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا هارونُ بن حُمَيد الواسِطيُّ، حدثنا الفضل بن عَنْبَسَة، عن رجل قد سَمَّاه ـ فقال: هو عبد الحميد بن سليمان، انقطع من كتابي ـ عن الذَّيان بن عَبَّاد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهريِّ: اعلَمْ أنَّ الجاه جاهانِ، جاه يُجريه الله على أيدي أوليائِهِ لأوليائِهِ، وإنهم الخاملُ ذكرُهم، الخفيةُ شخوصُهم، ولقد جاءت صفتُهم على لسان رسول الله ﷺ «إن الله يحبُّ الأخفياءَ الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غَابُوا لم يُفتَقَدوا، وإذا حَضَروا لم يُدْعَوا، قلوبُهم مصابيحُ الهُدَى، يخرجُون من كل فتنةٍ سوداءَ مُظلِمةٍ»[٢]. فهؤلاء أولياءُ الله الذين قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

[٦٦٩٢] وقال نُعَيم بن حَمَّاد: حدثنا محمد بن ثَور، عن يُونُس، عن الحَسَن قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهُمَّ، لا تجعَلْ لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمةً، فإني وَجَدتُ فيما أوحيته إلي: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾»[٣]. قال سفيانُ: يَرَون أنها نَزَلت فيمن يخالِطُ السلطان. رَواه أبو أحمد العَسْكَرِي.

آخرُ تفسير سورة المجادِلَة، ولله الحمدُ والمِنَّةُ

(١) وقد تقدمت.

(٢) هذا الخبر مرسل، أبو حازم تابعي، لكن المرفوع جاء موصولاً من وجوه، وقد تقدم.

(٣) هذا مرسل. وقد ذكره الديلمي ٢٠١١ عن الحسن عن معاذ، ولم أقف على إسناده وهو منقطع. توفي معاذ قبل ولادة الحسن البصري، وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٢٧٤ عن كثير بن عطية عن رجل مرفوعاً. وهذا ضعيف لجهالة الرجل. وقال العراقي في «تخريج الأحياء» ٢/١٤٩ و ٤/٢٩٨: أسانيده كلها ضعيفة. وانظر «الضعيفة» ٢٩٧٥.

سورة الحشر

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

وهي مَدَنِيَّةٌ

وكان ابن عباس يقول: سورة بني النضير. قال سعيدُ بن منصورٍ: حدثنا هُشَيم، عن أبي بِشرٍ، عن سعيد بن جُبَير قال: قلتُ لابن عباس: سورةُ الحشر؟ قال: أُنزِلَت في بني النَّضير. وَرَواه البخاريُّ ومسلم من وجه آخَرَ، عن هُشَيم، به. وَرَواه البخاريُّ من حديث أبي عَوانة، عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جُبَير قال: قلت لابن عباسٍ: سورةُ الحشرِ؟ قال: قُلْ سورةُ النضير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

يُخبر تعالى أنَّ جميع ما في السموات وما في الأرض من شيءٍ يُسَبِّح له ويُمَجِّده وَيُقدِّسه، ويُصَلِّي له ويُوحِّدُه، كقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، أي: مَنيعُ الجنابِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قَدَره وشرعه. وقولُه: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، يعني يهودَ بني النَّضير. قاله ابنُ عباس، ومجاهدٌ، والزهريُّ، وغير واحد. كان رسول الله ﷺ لما قَدِم المدينةَ هادَنَهم وأعطاهُم عهداً وذِمّةً على ألاّ يُقاتِلَهم ولا يُقاتِلُوه، فَنَقَضُوا العهدَ الذي كان بينهُم وبينه، فأحلَّ الله بهم بأسَه الذي لا يُرَدُّ، وأنزل عليهم قضاءَه الذي لا يُصَدّ، فأجلاهم النبيُّ ﷺ وأخرجهُم من حُصونهم الحَصِينة التي ما طَمِع فيها المسلمون، وظنُّوا هم أنها مانعتُهم من بأسِ الله، فما أغنى عنهم من الله شيئاً، وجاءهم ما لم يكُن ببالهم، وسيّرهم رسولُ الله وأجلاهُم من المدينة، فكان منهم طائفةٌ ذهبوا إلى أذرِعاتٍ من أعالي الشام، وهي أرضُ المحشَر والمنشَر، ومنهم طائفةٌ ذهبُوا إلى خَيبَر. وكان قد أنزلَهم منها على أنّ لهم ما حملت إبلُهم، فكانوا يُخربُون ما في بيوتهم من المنقُولات التي يمكنُ أن تحمل معهم، ولهذا قال: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، أي: تفكّروا في عاقبة من خالَف أمرَ الله،

وخالف رسُوله، وكذَّب كتابه، كيف يُحلُّ به من بأسِه المخزِي له في الدُّنيا، مع ما يَدَّخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

[٦٦٩٣] قال أبو داود: حدثنا مُحمَّد بن داود بن سُفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعمَر، عن الزهريِّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رَجُلٍ من أصحاب النبي ﷺ أنَّ كفارَ قُريش كتبُوا إلى ابن أُبيّ ومَن كان معه يعبدُ الأوثانَ من الأوس والخزرج، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ بالمدينةِ قبل وَقعةِ بدرٍ: إنكم آويتُم صاحِبَنا، وإنا نُقسِمُ بالله لتُقَاتِلُنَّهُ، أو لَتُخرِجُنَّهُ، أو لَنَسِيرنَّ إليكم بأجْمعِنا، حتَّى نقتلُ مُقاتِلتكم ونَستبيحَ نساءَكُم. فلما بَلَغ ذلك عبدَ الله بن أُبيّ ومن كان معه من عَبَدةِ الأوثانِ، اجتمعُوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبيَّ ﷺ لَقِيهم فقال: «لقد بَلَغ وعيدُ قُرَيشٍ منكم المَبالِغَ، ما كانت تَكِيدُكم بأكثرَ مما تُريدون أن تَكِيدُوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟!». فلما سَمِعُوا ذلك من النبي ﷺ تَفرَّقوا، فَبَلغ ذلك كفارَ قُريشٍ، فكتبت كُفّار قُرَيشٍ بعد وقعة بَدْرٍ إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْقَةِ والحُصُون، وإنكم لَتُقاتِلُنَّ صاحبنا أو لَنَفعلَنَّ كذا وكذا، ولا يَحُول بيننا وبين خَدَم نسائكم شيءٌ ـ وهي الخَلاَخيلُ ـ فلما بَلَغ كتابُهم النبيَّ ﷺ أيْقَنَت بنو النَّضِير بالغَدْرِ، فأرسلُوا إلى النبي ﷺ اخرُج إلينا في ثلاثين رَجُلاً من أصحابك ولْيَخرُج منا ثلاثون حَبراً، حتى نلتقي بمكان المَنْصَفِ فيسمعُوا منك، فإن صَدَّقوك وآمنُوا بك آمنَّا بكَ فقَصَّ خَبَرهم. فلما كان الغَدُ غَدا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتائِب فحَصَرهُم، فقال لهم: إنكم ـ والله ـ لا تأمنونَ عندي إلاَّ بعهدٍ تُعَاهِدُوني عليه. فَأَبوا أن يُعطوه عهداً، فقاتلهم يومَهُم ذلك، ثم غَدَا الغَدَ على بني قُريظةَ بالكتائب، وتَرَك بني النضير، ودَعَاهُم إلى أن يُعاهِدُوه، فعاهدُوه، فانصرف عنهم، وغَدَا إلى بني النَّضِير بالكتائب فقاتَلَهُم، حتى نزلوا على الجلاء. فَجَلت بنُو النَّضِير، واحتملُوا ما أقلَّتِ الإبلُ من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخَشَبِها، وكان نَخلُ بني النَّضِير لرسول الله ﷺ خاصَّةً، أعطاه الله إياها وخصَّه بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، يقول: بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين، قَسَمها بينهم، وقَسَم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذَوي حاجةٍ، ولم يَقْسِم لأحدٍ من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقةُ رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة[١].

وَلْنَذكُر مُلَخَّص غزوةِ بني النَّضِير على وجه الاختصار، وبالله المستعان: وكان سببُ ذلك فيما ذكره أصحابُ المغازي والسِّيَر أنه لما قُتِل أصحابُ بئر مَعُونَة، من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سَبعين، وأفلت منهم عَمرو بن أُميَّة الضَّمريُّ، فلما كان في أثناءِ الطريق راجعاً إلى المدينة قَتَل رَجُلين من بني عامر، وكان معهما عهدٌ من رسولِ الله ﷺ وأمانٌ لم يعلَم به عَمرو، فلما رَجَع أخبر رسُولَ الله ﷺ فقال له رسولُ الله ﷺ: «لقد قتلتَ رَجُلين، لأدِيَنَّهُما». وكان بين بَني النضير وبني عامر حلفٌ وعهدٌ، فخرج رسول الله ﷺ إلى بَني النضير يَستعينهم في دِيَةِ ذَينِكَ الرجلين، وكانت منازلُ بني النَّضِير ظاهرَ المدينةِ على أميالٍ منها شرقيَّها.

[٦٦٩٤] قال محمدُ بن إسحاقَ بن يَسَار في كتابه السيرة: ثم خَرَج رسولُ الله ﷺ إلى بني النضِير يَستعِينهُم في دِيَة ذَينِك القَتِيلين من بني عامر، اللذَين قتل عَمرو بن أمية الضَّمري، للجِوَار الذي كان رسول

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٠٠٤ بإسناد لين، فيه محمد بن داود، وهو مقبول. وقال الألباني في «صحيح أبي داود» ٢٥٩٥: صحيح الإسناد!؟ وليس كما قال، بل الإسناد لين عند أبي داود، وقد توبع عند عبد الرزاق ٥/ ٩٧٣٣ وللحديث شواهد، فالمتن صحيح، والله أعلم.

الله ﷺ عقد لهما، فيما حدثني يزيد بن رُومان، وكان بين بني النَّضِير وبني عامرٍ عَقدٌ وحِلْفٌ. فلما أتاهم رسولُ الله ﷺ يَستعِينُهم في دِيَة ذَينِكَ القتيلين قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نُعِينك على ما أحببتَ، مما استعنتَ بنا عليه. ثم خلا بعضُهم ببعضٍ فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه ـ ورسولُ الله ﷺ إلى جَنْبِ جدارٍ من بُيُوتهم ـ فَمَن رجلٌ يعلُو على هذا البيت فَيُلقِيَ عليه صخرةً، فَيُرِيحنا منه؟ فانتدبَ لذلك عَمْرُو بن جِحَاش بن كعب أحدُهم، فقال: أنا لذلك. فصعَدَ ليُلقي عليه صخرةً كما قال، ورسولُ الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعُمَر، وعليٌّ رضي الله عنهم. فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القومُ، فقام وخَرَج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبثَ النبيَّ ﷺ أصحابه قاموا في طَلَبِه، فَلَقُوا رجلاً مُقبِلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيتُه داخلاً المدينة. فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ حتى انتهَوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يَهُود أرادت من الغَدْرِ به، وأمر رسولُ الله ﷺ بالتهيُّؤ لِحَرْبِهم والمَسِير إليهم. ثم سار حتى نَزَل بهم فَتحصَّنوا منه في الحُصون، فأمر رسول الله ﷺ بِقَطْع النخلِ والتَّحريقِ فيها. فنادَوه: أن يا محمدُ، قد كنتَ تنهَى عن الفسادِ وتَعِيبه على مَن صَنَعه، فما بالُ قَطْعِ النخلِ وتحريقِها؟! وقد كان رهطٌ مِن بني عَوفِ بن الخزرج، منهُم عبدُ الله بن أُبيٍّ ابن سَلُولَ، وَوَدِيعةُ، ومالك بن أبي قَوْقَلٍ، وسوَيدُ وداعسٌ، قد بعثُوا إلى بني النَّضِير: أن اثبتُوا وتمنعوا فإنا لن نُسلِمَكم، إن قُوتِلْتُم قاتلنا معكم، وإن أُخرِجتُم خَرَجنا معكم. فَتَربَّصوا ذلك من نَصْرِهم فلم يفعلُوا، وقَذَف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجلِيَهم ويَكُفَّ عن دمائهم، على أنَّ لهم ما حَمَلت الإبلُ من أموالهم إلا الحَلْقَةَ، ففعل، فاحتملُوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبلُ، فكان الرجلُ منهُم يَهدِمُ بيته عن نِجَافِ بابه، فَيضَعُه على ظهر بعيره فينطلق به. فَخَرَجُوا إلى خيبَر، ومنهم من سار إلى الشام، وخَلَّوا الأموالَ لرسولِ الله ﷺ فكانت لرسول الله خاصَّةً يضعُها حيث يشاءُ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصارِ. إلاَّ أن سَهْلَ بن حُنَيفٍ وأبا دُجَانة سِمَاك بن خَرَشة ذَكَرا فَقْراً، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ. قال: ولم يُسلِم من بني النضير إلا رجلان: يامينُ بن عُمَير بن كعب بن عَمرو بن جِحَاشٍ، وأبو سَعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأَحْرَزاها. قال ابن إسحاق: وقد حَدَّثني بعضُ آل يامينَ: أن رسول الله ﷺ قال ليامينَ: ألم تر ما لقيتُ من ابن عَمِّك، وما هَمَّ به من شأني؟! فجعل يامين ابن عُمَير لرجل جُعْلاً على أن يقتُل عمر بن جِحَاشٍ، فَقَتَله فيما يزعُمون. قال ابن إسحاق: ونَزَل في بني النضير سورةُ الحشرِ بأسرِها[1]، وهكذا رَوَى يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق، بنحو ما تقدم. فقولُه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾، يعني بني النَّضِير، ﴿مِن دِيَـٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾.

[٦٦٩٥] قال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ أبي عُمَر، حدثنا سُفيانُ، عن أبي سَعدٍ، عن عكرمةَ، عن ابن عباسٍ قال: من شَكَّ في أنَّ أرضَ المحشَر ها هنا ـ يعني الشام ـ فَلْيَقرأ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾، قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرُجوا. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»[2].

---

(١) ذكره ابن هشام في «السيرة» ٣/ ١٥١ ـ ١٥٣ عن ابن إسحاق به، وهذا مرسل، لكن لأكثره شواهد.

(٢) ضعيف. أخرجه البزار ٣٤٢٦ «كشف» ومداره علىٰ أبي سعد البقال، وهو ضعيف. وقال الهيثمي ١٠/ ١٨٣٥٥: الغالب علىٰ حديثه الضعف.

[٦٦٩٦] وحدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدثنا أبو أسامةَ، عن عَوْفٍ، عن الحَسَنِ قال: لما أجلى رسولُ الله ﷺ بني النَّضِير، قال: «هذا أولُ الحشرِ، وإنا على الأثر»[١]. ورواه ابنُ جرير، عن بندار، عن ابن أبي عَدِيٍّ، عن عوف، عن الحسن، به.

وقولُه تعالىٰ: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ أي: في مُدَّةِ حصاركم لهم وقِصرها، وكانت ستةَ أيام، مع شدَّةِ حُصُونهم ومَنَعَتِها، ولهذا قال: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾، أي: جاءهم من أمرِ الله ما لم يكُن لهم في بالٍ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾ [النحل: ٢٦]. وقولُه: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾، أي: الخوفَ والهلع والجزعَ، وكيف لا يحصُل لهم ذلك وقد حاصَرهم الذي نُصِر بالرعب مسيرة شهرٍ، صلواتُ الله وسلامه عليه. وقوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قد تقدَّم تفسيرُ ابن إسحاقَ لذلك، وهو نقضُ ما استحسنُوه من سقوفهم وأبوابهم، وتَحمُّلها على الإبل. وكذا قال عروةُ بن الزبير، وعبدُ الرحمن بن زيدِ بن أسلَمَ، وغيرُ واحدٍ. وقال مقاتلُ بن حَيَّانَ: كان رسولُ الله ﷺ يُقاتلهم، فإذا ظَهَر على دَرْب أو دار هَدَم حِيطانها ليتَّسع المكانُ للقتالِ. وكانت اليهودُ إذا غُلِبوا على دَرْب أو دارٍ نَقَبُوها من أدبارها ثم حَصَّنُوها وَدرَّبوها، يقول الله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾. وقولُه: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾، أي: لولا أن كَتَب الله عليهم هذا الجلاء ـ وهو النَّفيُ من ديارهم وأموالهم ـ لكان لهم عند الله عذابٌ آخَرُ من القتل والسَّبي ونحو ذلك. قاله الزهري، عن عُروةَ، والسدِّي وابنُ زيدٍ، لأن الله قد كَتَب عليهم أنه سيُعذِّبهم في الدار الدنيا مع ما أعدَّ لهم في الآخرة من العذاب في نار جَهَنَّم.

[٦٦٩٧] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدُ الله بن صالح ـ كاتبُ الليثِ ـ حدثني الليثُ، عن عُقَيل، عن ابن شِهاب قال: أخبرني عُرْوةُ بن الزبَير قال: ثم كانت وقعةُ بني النَّضير، وهم طائفةٌ من اليهودِ، على رأس ستةِ أشهُرٍ من وقعةِ بَدْرٍ. وكان منزلُهم بناحيةٍ من المدينة، فحاصَرهم رسولُ الله ﷺ حتى نَزَلُوا على الجَلاءِ، وأنَّ لهم ما أقلَّت الإبلُ من الأموالِ والأمتعةِ إلا الحَلْقة ـ وهي السلاحُ ـ فأجلاهم رسول الله ﷺ قِبَل الشام. قال: والجَلاءُ أنه كُتب عليهم في آيٍ من التوراة، وكانوا من سِبْطٍ لم يُصِبهم الجَلاء قبل ما سُلِّط عليهم رسول الله ﷺ وأنزل الله فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، إلى قوله: ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٢]. وقال عِكْرِمةُ: الجَلاءُ: القتلُ. وفي رواية عنه: الفَناءُ. وقال قتادةُ: الجَلاءُ: خروج الناس من البلد إلى البلد. وقال الضحَّاك: أجلاهم إلى الشام، وأعطى كلَّ ثلاثةٍ بعيراً وسِقَاءً، فهذا الجَلاء.

[٦٦٩٨] وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبدِ الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا محمد بن سَعْدٍ العَوفي، حدثني أبي، عن عَمِّي، حدثني أبي، عن جَدِّي، عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ قد حاصرهُم حتى بلغ منهم كلَّ مبلغ، فأعطَوه ما أراد منهم، فصالَحهُم على أن يَحقِنَ لهم دماءَهم، وأن يُخرجَهُم من أرضِهم ومن دِيارهم وأوطانهم، وأن يُسَيِّرَهم إلى أذرعاتِ الشام، وجعَلَ لكلِّ ثلاثةٍ منهم بَعيراً وسِقاءً. والجَلاء: إخراجُهم من أرضهم إلى أرض أُخرى[٣]. ورُوِي أيضاً من حديث يعقوبَ بن محمد

---

(١) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٨٢١ وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية. ولا يصح كون النبي ﷺ اختار لهم الشام بل هو اختيارهم، وأما كون الشام أرض المحشر، فقد ورد في أحاديث أخرىٰ.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٧٦ مرسلاً، وله شواهد.

(٣) فيه مجاهيل، لكن أصل المتن محفوظ.

الزهريِّ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمةَ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن محمد بن مَسلمَةَ: أن رسولَ الله ﷺ بَعثَه إلى بني النَّضِير، وأمره أن يُؤجِّلهم في الجلاء ثلاث ليالٍ.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾، أي: حَتْمٌ لازم لا بدَّ لهم منه. وقولُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي: إنما فَعَل الله بهم ذلك وسَلَّط عليهم رَسُوله وعبادَه المؤمنين، لأنهم خالفُوا الله ورسولَه، وكَذَّبوا بما أنزل الله على رُسُلِه المتقدِّمين من البشارَةِ بمُحمَّدٍ ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يَعرفون أبناءَهم. ثم قال: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾، اللِّينُ: نوع من التمر، وهو جَيِّد. قال أبو عُبيدة: وهو ما خالفَ العَجْوَة والبَرْنيَّ من التمر، وقال كَثِيرٌ من المفسِّرين: اللِّينةُ: ألوان التمر سوى العَجْوَةِ. قال ابن جرير: هو جميعُ النخل. ونقله عن مجاهد. وهو البُوَيْرَة أيضاً. وذلك: أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نَخِيلهم إهانةً لهم، وإرهاباً وإرعاباً لقلُوبهم. فروى مُحمَّد بن إسحاق، عن يزيدَ بن رومان، وقتادةَ، ومقاتِل بن حيان أنهم قالوا: فبعَثَ بنو قُرَيظَة يقولون لرسول الله ﷺ: إنكَ تنهَى عن الفسادِ، فما بالك تأمر بقطع الأشجار؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة، أي: ما قطعتُم وما تركتُم من الأشجار فالجميعُ بإذنِ الله ومشيئتِه وقُدرته ورِضاه، وفيه نكايةٌ للعدوِّ، وخِزيٌ لهم، وإرغامٌ لأنوفهم. وقال مجاهدٌ: نهى بعضُ المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين. فَنزل القرآنُ بتصديقِ مَن نَهى عن قَطْعِه، وتحليل مَن قَطعَه مِن الإثم، وإنما قَطعه وتَركه بإذنه. وقد رُوي نحو هذا مرفوعاً.

[٦٦٩٩] فقال النسائي: أخبرنا الحسن بن محمد، عن عَفَّان، حدثنا حَفصُ بن غِياثٍ، حدثنا حَبيب بن أبي عَمْرَةَ، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾، قال: يَستنزلونهم من حُصُونهم، وأُمِروا بقطع النخل، فحاك في صُدُورهم، فقال المسلمون: قَطعنا بعضاً وتَركنا بعضاً، فَلنسألَنَّ رسولَ الله ﷺ: هل لنا فيما قَطعنا مِنْ أجرٍ؟ وهل عَلَينا فيما تَركنا من وِزرٍ؟ فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾(١).

[٦٧٠٠] وقال الحافظُ أبو يعلى في مُسنَدِه: حَدَّثنا سُفيان بن وكيع، حدثنا حفصٌ، عن ابن جُرَيج، عن سُليمان بن موسى، عن جابر ـ وعن أبي الزبير، عن جابر ـ قال: رُخِّص لهم في قطع النخل، ثم شُدِّد عليهم، فأتوا النبيَّ ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله! علينا إثمٌ فيما قَطعنا؟ أو علينا وِزرٌ فيما تَركنا؟ فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٢).

[٦٧٠١] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سُفيانُ، عن موسى بن عُقبَةَ، عن نافعٍ، عن ابن عُمَر: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَطع نخلَ بني النَّضِير وحَرَّقَ(٣). وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عُقبَةَ، بنحوه.

[٦٧٠٢] ولفظُ البخاريِّ من طريق عبد الرزَّاقِ عن ابن جُرَيج، عن موسى بن عُقبة، عن نافعٍ، عن ابن

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٠٣ والنسائي في «التفسير» ٥٩٤ وإسناده صحيح.

(٢) ضعيف. أخرجه أبو يعلىٰ ٢١٨٩ وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٢ وقال «رواه أبو يعلىٰ عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف» وله علة ثانية، وهي عنعنة ابن جريج وأبي الزبير.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٣١ و٤٨٨٤ ومسلم ١٧٤٦/ ٢٩ وأبو داود ٢٦١٥ والترمذي ٣٣٠٢ وابن ماجه ٢٨٤٤. وأحمد ٢/ ٥٢.

عُمَر قال: حاربت النَّضِيرُ وقُرِيظَةُ، فأجلى بني النضير وأقر قُريظة ومَنَّ عليهم حتى حاربَت قريظةُ فقتل رجالهم وقَسَّم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضَهم لحَقوا بالنبي ﷺ فأمَّنهم وأسلَمُوا، وأجلى يهودَ المدينةِ كلَّهم: بني قَينُقاع، وهم رهطُ عبد الله بن سَلاَم، ويهودَ بني حارثة، وكل يهود بالمدينة[١].

[٦٧٠٣] ولهما أيضاً عن قُتيبة، عن الليثِ بن سعدٍ، عن نافع، عن ابن عُمَر: أن رسولَ الله ﷺ حَرَّق نخلَ بني النَّضِير وقَطَع. وهي البُوَيْرَةُ، فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيه: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾[٢].

[٦٧٠٤] وللبخاري ـ رَحِمَه الله ـ من رواية جُوَيْرِيَةَ بن أسماءَ، عن نافعٍ، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ حَرَّق نخل بني النضير. ولها يقول حَسَّانُ رضي الله عنه:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سُفيان بنُ الحارث يقول:

أدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ ... وحَرَّقَ في نَوَاحِيهَا السَّعِيرُ
سَتَعْلَمُ أيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ ... وَتَعْلَمُ أيَّ أرْضَيْنَا نَضِيرُ

كذا رواه البخاري[٣]، ولم يذكره ابن إسحاق.

وقال محمد بن إسحاق: وقال كعبُ بن مالك يذكُر إجلاء بني النَّضِير وَقتْلَ ابنِ الأشرفِ:

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الحُبُورُ ... كَذَاكَ الدهرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وذلكَ أنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ ... عَظِيمٍ، أمْرُهُ أمْرٌ كَبِيرُ
وقَدْ أُوتُوا مَعاً فَهْماً وعِلْماً ... وَجَاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أدَّى كِتَاباً ... وَآيَاتٍ مُبَيَّنَةً تُنِيرُ
فَقَالُوا: مَا أتَيْتَ بِأمْرِ صِدقٍ ... وأنتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ
فَقَالَ: بَلَى، لَقَدْ أدَّيْتُ حَقّاً ... يُصَدِّقُنِي به الفَهِمُ الخَبِيرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ ... وَمَنْ يَكْفُرْ به يُجْزَ الكَفُورُ
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدْراً وكُفْراً ... وَجَدَّ بِهِمْ عَنِ الحَقِّ النُّفُورُ
أرَى اللهُ النَّبِيَّ بِرَأيِ صِدْقٍ ... وكَانَ اللهُ يَحْكُمُ لا يَجُورُ
فَأيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ ... وكَانَ نَصِيرَهُ نِعْمَ النَّصِيرُ
فَغُودِرَ مِنْهُمُو كَعْبٌ صَرِيعاً ... فَذَلَّتْ بعدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
علَى الكَفَّيْنِ ثَمَّ وقَدْ عَلَتْهُ ... بِأيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ
بِأمْرِ مُحَمَّدٍ إذ دَسَّ لَيْلاً ... إلَى كَعْبٍ أخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَاكَرَهُ فَأنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ... ومَحْمُودٌ أخُو ثِقَةٍ جَسُورُ
فَتِلْكَ بَنُو النَّضِيرِ بِدَارِ سَوْءٍ ... أبَارَهُمُ بِمَا اجْتَرَمُوا المُبِيرُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٢٨.
(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٤ ومسلم ١٧٤٦ ح ٢٩.
(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٣٢.

غَداةَ أتاهُمْ في الزَّحْفِ رَهْواً ... رَسُولُ الله، وَهْوَ بِهِم بَصِيرُ
وغسّانُ الحُماةُ مُوازِرُوه ... عَلى الأعداءِ، وَهْوَ لهم وَزِيرُ
فَقالَ: السِّلم، وَيحَكُمُ فَصَدُّوا ... وَحالَفَ أمرَهُم كَذِبٌ وَزُورُ
فَذاقُوا غِبَّ أمرِهِمُ وَبالاً ... لِكُلِّ ثَلاثةٍ مِنهُم بَعيرُ
وأُجلُوا عامِدِينَ لِقَينُقاعٍ ... وغُودِرَ مِنهُم نَخلٌ ودُورُ

قال: وكان مما قيلَ من الأشعارِ في بني النضيرِ قولُ ابن لُقَيم العَبْسيّ ـ ويقال: قالها قَيْسُ بن بَحْرِ بن طَرِيف ـ قال ابن هشام: الأشجعي ـ:

أهلي فِداءٌ لامرِىءٍ غيرِ هالِكٍ ... أحلّ اليهودَ بالحَسِيِّ المُزَنَّمِ
يَقِيلُونَ في جَمْرِ الغَضاةِ وبُدِّلُوا ... أُهَيْضِبَ عُودى بالوَدِيِّ المُكَمَّمِ
فإن يَكُ ظَنِّي صادِقاً بِمُحَمَّدٍ ... يَرَوا خَيلَهُ بَينَ الصَّلا ويَرَمْرَمِ
يَؤُمُّ بها عَمْرو بن بُهْثَةَ إنَّهُمْ ... عَدُوٌّ، وما حَيٌّ صَدِيقٌ كمُجْرِمِ
عَلَيهِنَّ أبطالٌ مَساعيرُ في الوَغَى ... يَهُزُّون أطرافَ الوَشِيجِ المُقَوَّمِ
وكُلّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَينِ مُهَنَّدٍ ... تُوُرِّثْنَ مِنْ أزمانِ عادٍ وَجُرْهُمِ
فَمَنْ مُبلِغٌ عَنِّي قُرَيشاً رِسالَةً ... فَهَلْ بَعدَهُم في المَجْدِ من مُتَكَرَّمِ
بأنّ أخاكُم ـ فاعلَمُنّ ـ محمّداً ... تَلِيدُ النَّدَى بَينَ الحَجُونِ وزَمْزَمِ
فَدِينُوا له بالحقِّ تَجْسُمْ أُمورُكم ... وتَسْمُو منَ الدنيا إلى كُلِّ مُعظَمِ
نَبِيٌّ تَلافَتْهُ مِنَ الله رَحمَةٌ ... وَلاَ تَسألُوهُ أمرَ غَيبٍ مُرَجَّمِ
فَقَدْ كانَ في بَدْرٍ ـ لَعَمْرِي ـ عِبْرَةٌ ... لَكُم يا قُرَيشُ والقَلِيبُ المُلَمَّمِ
غَداةَ أتى في الخَزْرَجِيَّةِ عامِداً ... إلَيكُم مُطِيعاً لِلعَظِيمِ المُكَرَّمِ
مُعاناً بِرُوحِ القُدْسِ يَنكِي عَدُوّه ... رَسُولاً مِنَ الرَّحمنِ حَقّاً بِمَعْلَمِ
رَسُولاً مِنَ الرَّحمنِ يَتلُو كِتابَهُ ... فَلَمّا أنارَ الحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ
أرَى أمرَهُ يَزدادُ في كُلِّ مَوطِنٍ ... عُلُوّاً لأمرٍ حَمَّهُ اللهُ مُحْكَمِ

وقد أورد ابنُ إسحاق ـ رحمه الله ـ هَا هنا أشعاراً كثيرةً، فيها آدابٌ ومواعظُ وحِكَمٌ، وتفاصيلُ للقصَّةِ، تركنا باقِيَها اختصاراً واكتفاءً بما ذكرناه، ولله الحمدُ والمنَّةُ. قال ابن إسحاق: كانت وقعة بني النَّضِير بعد وقعةِ أُحُدٍ وبعد بئر معونَةَ. وحكى البخاري، عن الزهري، عن عُرْوَةَ أنه قال: كانت وقعة بني النَّضِير بعد بدرٍ بستةِ أشهرٍ.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

يقولُ تعالى مُبيِّناً لمال الفَيءِ، وما صِفَتُه؟ وما حُكْمُه؟ فالفيء: كلُّ مالٍ أُخِذ من الكُفّار بغير قتالٍ، ولا إيجافِ خيلٍ، ولا رِكَابٍ، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يُوجِفِ المسلمون عليه بخيل ولا ركابٍ،

أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نَزَل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبةِ رسولِ الله ﷺ فأفاءه الله على رسوله، ولهذا تصرَّف فيه كما شاء، فَرَدَّه على المسلمين في وُجُوه البرِّ والمصالِح التي ذكرها الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ في هذه الآيات، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾، أي: من بني النَّضِير، ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، يعني: الإبلَ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: هو قديرٌ لا يُغالَب ولا يُمَانَعُ، بل هو القاهرُ لكلِّ شيءٍ. ثم قال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾، أي: جَميعُ البلدانِ التي تُفتَح هكذا، فَحُكمُها حكمُ أموالِ بني النَّضِير. ولهذا قال: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾؛ إلى آخرها والتي بعدَها. فهذه مصارفُ أموالِ الفيءِ وَوُجُوهُه.

[٦٧٠٥] قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عَمرو ومَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان، عن عُمَر ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت أموالُ بني النَّضير مما أفاء الله على رسولِه مما لم يُوجِف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فكانت لرسولِ الله ﷺ خالصةً، فكان يُنفِق على أهلِه منها نفقةَ سَنَتِهِ ـ وقال مَرّة: قُوت سَنَتِه ـ وما بَقِيَ جَعَله في الكُرَاع والسلاح في سَبِيل الله عزَّ وجلَّ[١]. هكذا أخرجه أحمد ها هنا مُختصراً، وقد أخرجَه الجماعةُ في كُتُبهم ـ إلا ابنَ ماجه ـ من حديث سُفيانَ، عن عَمرو بن دينار، عن الزهريِّ، به. وقد رَوَيناه مطولاً.

[٦٧٠٦] وقال أبو داود رَحِمه الله: حدثنا الحسنُ بن علي ومحمدُ بن يحيى بن فارسٍ ـ المعنى واحد ـ قالا: حدثنا بشر بن عُمَر الزَّهراني، حدثني مالك بن أنس، عن ابن شهابٍ، عن مالك بنُ أوس قال: أرسلَ إليّ عمرُ بن الخطاب ـ رَضِي الله عنه ـ حين تعالى النهارُ، فجئتُه فوجدتُه جالساً على سرير مُفضِياً إلى رُمَالِه[٢]، فقال حين دخلتُ عليه: يا مال[٣]، إنه قد دَفَّ أهل أبياتٍ من قومك، وقد أمرتُ فيهم بشيءٍ، فاقسِمْ فيهم. قلت: لو أمرتَ غيري بذلك؟ فقال: خُذه. فجاءه يَرْفأ فقال: يا أميرَ المؤمنين! هل لك في عثمان بن عفان، وعبدِ الرحمن بن عوف، والزبَير بن العوَّام، وسعدِ بن أبي وقاص؟ فقال: نعم. فَأَذِن لهم فَدَخَلُوا، ثم جاءه يرفأ فقال: يا أميرَ المؤمنين! هل لك في العبَّاس وعليٍّ؟ قال: نعم. فَأَذِن لهم فَدَخلُوا، فقال العباس: يا أميرَ المؤمنين! اقضِ بيني وبين هذا ـ يعني علياً ـ فقال بعضهُم: أَجَلْ يا أميرَ المؤمنين، اقضِ بينهما وأرِحهُما ـ قال مالكُ بنُ أوسٍ: خُيِّل إليّ أنهما قَدَّما أولئك النفرَ لذلك ـ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: اتَّئِدا. ثم أقبل على أولئك الرَّهطِ فقال: أنشُدُكم بالله الذي بإذنه تقومُ السماءُ والأرض، هل تَعلَمُون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورَثُ، ما تَرَكنا صدقةٌ». قالوا: نعم. ثُمَّ أقبل على عليٍّ والعباسِ فقال: انشُدُكما بالله الذي بإذنه تقومُ السماءُ والأرض، هل تعلمانِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا نُورَث، ما تركنا صدقةٌ». فقالا: نعم. فقال: فإن الله خَصَّ رسولَه بخاصّة لم يَخُصَّ بها أحداً من الناس، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾. فكان الله أفاءَ على رسُولِهِ أموالَ بني النَّضِير، فوالله ما استأثَرَ بها عليكُم ولا أخذها دُونَكُم. فكان رسولُ الله ﷺ يأخذ منها نفقةَ سنةٍ ـ أو: نفقتَه ونفقةَ أهلِه سنةً ـ ويجعل ما بقي أسوَةَ المال. ثم أقبل عَلَى أولئك الرهطِ فقال: أنشُدُكم

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٥ و٢٩٠٤ ومسلم ١٧٥٧ ح ٤٨ وأبو داود ٢٩٦٥ والترمذي ١٧١٩ والنسائي ٤١٤٠ وفي «التفسير» ٥٩٦ وأحمد ١/ ٢٥.

(٢) رمال السرير: ما يُنسج من سعف النخيل ليضطجع عليه. ومفضياً إليه: أي ليس بينه وبين الرمال شيء.

(٣) ترخيم: يا مالك.

بالله الذي بإذنِه تقومُ السماءُ والأرضُ: هل تعلمُون ذلك؟ قالوا: نَعَم. ثم أقبل على عليٍّ والعباس فقال: أنشدكُما بالله الذي بإذنه تقومُ السماءُ والأرضُ: هَلْ تعلمان ذلك؟ قالا: نعم. فلما تُوفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: «أنا وليُّ رسولِ الله»، فجئتَ أنتَ وهذا إلى أبي بكر تطلبُ أنتَ ميراثك من ابن أخِيك، ويطلب هذا ميراثَ امرأتِهِ من أبيها، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: قال رسولُ الله ﷺ: «لا نُورَثُ، ما تركنا صَدَقةٌ». والله يعلم إنه لصادقٌ بار راشدٌ تابعٌ للحقِّ. فوَلِيها أبو بكر، فلما تُوُفِّي قلتُ: أنا وَلِيُّ رسولِ الله ﷺ ووليُّ أبي بكر، فوَلِيتُها ما شاء الله أن ألِيَها، فجئتَ أنتَ وهذا، وأنتما جَميعٌ وأمركما واحد، فسألتُمانِيها، فقلتُ: إن شئتما أن أدفعَها إليكُما على أنَّ عليكما عهدَ الله أن تَلِياها بالذي كان رسولُ الله ﷺ يَلِيها، فأخذتماها مِنّي على ذلك، ثم جئتماني لأقضِيَ بينكما بغير ذلك. والله لا أقضِي بينكما بغير ذلك حتى تقومَ الساعةُ، فإن عَجزْتُما عنها فَرُدَّاها إلي[1]. أخرجُوه من حديثِ الزُّهري، به.

[٦٧٠٧] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عارمٌ وعفَّانُ قالا: حدثنا مُعتمِرُ: سَمِعتُ أبي يقولُ: حدَّثنا أنس ابن مالك، عن نبيِّ الله ﷺ أنَّ الرجل كان يَجْعَل له من مالِهِ النخَلاتِ، أو كما شاء الله، حتى فُتِحت عليه قُرَيظَة والنَّضِير. قال: فجعل يَرُدُّ بعد ذلك، قال: وإنَّ أهلي أمرُوني أن آتِيَ النبيَّ ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطَوه أو بعضَه، وكان نَبِيُّ الله ﷺ قد أعطاه أُمَّ أيمن، أو كما شاء الله، قال: فسألتُ النبي ﷺ فأعطانِيهنَّ، فجاءت أُمُّ أيمَن فَجَعلت الثوبَ في عُنُقي وجعلت تقولُ: كَلاَّ، والله الذي لا إله إلا هو لا يُعطِيكَهُنَّ وقد أعطانيهنَّ. أو كما قالت، فقال نَبِيُّ الله: لكِ كذا وكذا. قال: وتقولُ: كَلاَّ والله. قال: ويقول: لكِ كذا وكذا. قال: وتقولُ: كلاَّ والله. قال: ويقول: لكِ كذا وكذا. قال: حَتَّى أعطاها، حَسِبت أنه قال: عَشَرة أمثاله ـ أو قال قريباً من عَشرة ـ أمثاله، أو كما قال[2]. رواه البخاري ومسلم من طُرُق عن معتمر، به. وهذه المصارِفُ المذكورةُ في هذه الآيةِ هي المصارفُ المذكورةُ في خُمسِ الغَنيمةِ. وقد قَدَّمنا الكلامَ عليها في «سورة الأنفال» بما أغنى عن إعادَتِهِ ها هنا، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

وقولُهُ تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾، أي: جَعَلنا هذه المصارفَ لمالِ الفيءِ لئلا يبقَى مأكلة يتغلب عليها الأغنياءُ ويتصرَّفون فيها، بمحضِ الشهواتِ والآراءِ، ولا يَصرِفون منه شيئاً إلى الفقراء. وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، أي: مهما أمركُم به فافعلُوه، ومهما نهاكُم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمُر بخيرٍ وإنما ينهَى عن شرٍّ.

[٦٧٠٨] قال ابنُ أبي حاتم: حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا عبد الوَّهاب، حدثنا سعِيدٌ، عن قتادةَ، عن الحسن العرني، عن يحيى بن الجزَّار، عن مسرُوق قال: جاءت امرأةٌ إلى ابن مسعودٍ فقالت: بلَغَني أنك تنهَى عن الواشمة والواصلةِ، أشيءٌ وجدتَه في كتاب الله أو عن رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، شيءٌ وجدتُه في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ. قالت: والله لقد تصفحتُ ما بين دُفَّتي المصحَفِ فما وجدتُ الذي تقول! قال: فما وَجَدتِ فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى. قال: فإني سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ينهَى عن الواصلةِ والواشمةِ والنامصةِ. قالت: فَلعلَّه في بعضِ أهلك! قال: فادخُلي فانظُري.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٩٤ ومسلم ١٧٥٧ ح ٤٩ والترمذي ١٦١٠ وأبو داود ٢٩٦٣ والبيهقي ٦/ ٢٩٧ والبغوي ٢٧٣٨ وابن حبان ٦٦٠٨.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣١٢٨ ومسلم ١٧٧١ ح ٧١ وأبو يعلى ٤٠٧٩ وأحمد ٣/ ٢١٩ وابن حبان ٤٥٠٥.

فدخلَت ثم خرَجت، قالت: ما رأيتُ بأساً. فقال لها: أما حفظتِ وصيةَ العبدِ الصالِح: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[(١)] [هود: ٨٨].

[٦٧٠٩] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سُفيانُ، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَلْقَمة، عن عبدِ الله ـ هو ابن مسعُودٍ ـ قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمُتَفَلِّجات للحُسْن، المغيِّرات خَلْقَ الله عزَّ وجلَّ. قال: فبلغ امرأةً في البيت يقال لها: أم يعقُوبَ، فجاءت إليه فقالت: بلغني أنَّك قلتَ كيتَ وكيت؟ قال: مالي لا ألعَن مَن لَعَن رسولُ الله ﷺ، وفي كتاب الله. فقالت: إني لأقرأ ما بين لَوْحَيه فما وجدتُه. فقال: إن كنتِ قرأتِيه فقد وَجَدتِيه. أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى. قال: فإن النبي ﷺ نَهى عنه. قالت: إنّي لأظن أهلَكَ يفعَلُونه! قال: اذهبي فاظري، فذهبَتْ فلم تَرَ مِن حاجتها شيئاً، فجاءت فقالت: ما رأيتُ شيئاً. قال: لو كان كذا لم تجامعنا[(٢)]. أخرجاه في الصحيحين، من حديث سفيان الثوري.

[٦٧١٠] وقد ثَبَت في الصحيحين أيضاً عن أبي هُرَيرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فائتوا منه ما استطعتُم، وما نَهَيتكم عنه فاجتنبُوه»[(٣)].

[٦٧١١] وقال النَّسائي: أخبرنا أحمدُ بن سعيد، حدثنا يزيدُ، حدثنا منصورِ بن حَيَّان، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عُمَر، وابن عبَّاس: أنهما شَهِدا على رسولِ الله ﷺ: أنه نَهَى عن الدُّباء والحَنْتَم والنَّقِير والمزفَّتِ، ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٤)]. وقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، أي: اتَّقوه في امتثالِ أوامِره وتَرْكِ زواجره، فإنه شديدُ العقابِ لمن عَصاه وخالفَ أمره وأباه، وارتكبَ ما عنه زَجَره ونَهاه.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

يَقُولُ تعالى مُبيِّناً حال الفُقَراء المستحقِّين لمال الفيءِ أنّهم ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، أي: خَرَجُوا من ديارهم وخالَفُوا قومَهُم ابتغاءَ مرضاةِ الله ورضوانه، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، أي: هؤلاء الذين صَدَّقوا قولَهم بفعلِهم، وهؤلاء هُم ساداتُ المهاجِرينَ. ثم قال تعالى

---

(١) وإسناد الحديث حسن، رجاله رجال مسلم، لكن يحيى الجزار صدوق، وللحديث طرق.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٨٦ و٤٨٨٧ ومسلم ٢١٢٥ ح ١٢٠ وأبو داود ٤١٦٩ والترمذي ٢٧٨٢ والنسائي ٥٠٩٩ وفي «التفسير» ٥٩٩ وابن ماجه ١٩٨٩ وأحمد ١/٤٣٣.

(٣) تقدم في سورة المائدة، رواه الشيخان.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ١٩٩٧ ح ٤٦ وأبو داود ٣٦٩٠ والنسائي ٥٦٤٣ وفي «التفسير» ٥٩٨. والدباء والحنتم والنقير والمزفت: أوعية كانوا ينتبذون فيها.

مادحاً للأنصار، ومبيناً فضلَهم وشرَفهم وكرمَهم، وعدَم حَسَدهم، وإيثارَهم مع الحاجة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: سكنُوا دار الهجرةِ من قبل المهاجرينَ وآمنُوا قبلَ كثيرٍ منهُم. قال عمر: أُوصِي الخليفةَ بَعْدِي بالمهاجرين الأوّلين أن يَعرِفَ لهم حقَّهم، ويحفَظَ لهم كرامتهم ـ وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوَّءُوا الدارَ والإيمانَ من قبلُ، أن يقبلَ من محسنهم، وأن يعفُوَ عن مسيئهم. رواه البخاري ها هنا أيضاً.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، أي: مِنْ كَرَمهم وشَرَفِ أنفسِهم يُحبُّون المهاجرين ويُواسُونَهم بأموالهم.

[٦٧١٢] قال الإمام أحمد: حدثنا يزيدُ، أخبرنا حُمَيد، عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسولَ الله! ما رأينا مثلَ قوم قدَمنا عليهم أحسنَ مواساةً في قليلٍ ولا أحسن بَذْلاً في كَثِير، لقد كَفونا المُؤْنَة، وأشركونا في المهنأ، حتىٰ لقد خَشينا أن يذهَبُوا بالأجر كلّه! قال: «لا، ما أثنيتُم عليهم ودَعَوْتُم الله لهم»(١). لم أره في الكتب من هذا الوجه.

[٦٧١٣] وقال البخاري: حدثنا عبدُ الله بن محمد، حدثنا سُفيان، عن يحيى بن سَعيدٍ، سَمِعَ أنس ابن مالك حين خَرَج معه إلى الوليدِ قال: دَعَا النبيُّ ﷺ الأنصارَ أن يُقطِعَ لهم البحرَين، قالوا: لا، إلاَّ أن تُقطِعَ لإخواننا مِنَ المهاجرين مثلها. قال: «إمّا لا، فاصبروا حتى تلقَوني، فإنه سيُصيبُكُم أثَرةٌ»(٢). تفرَّد به البخاري من هذا الوجه.

[٦٧١٤] وقال البُخاري: حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شُعَيب، حدثنا أبو الزِّناد، عن الأعرجَ، عن أبي هُريرَةَ قال: قالت الأنصار: اقسِم بيننا وبين إخوانِنا النَّخِيل. قال: لا. فقالوا: تَكفُونا المُؤْنَةَ ونَشرُكُكم في الثَّمرَةِ؟ قالوا: سَمِعْنَا وأطَعنا(٣). تفرَّد به دُون مُسلم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا﴾، أي؛ ولا يجدُون في أنفسِهم حَسَداً للمهاجرين فيما فَضَّلهم الله بِهِ من المنزِلة والشرفِ، والتقديم في الذكر والرتبةِ قال الحسن البصري: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾، يعني الحسدَ. ﴿مِّمَّآ أُوتُوا﴾ قال قتادةُ: يعني فيما أُعطِي إخوانُهم. وكذا قال ابنُ زيدٍ.

[٦٧١٥] ومما يُستَدلُّ به على هذا المعنى، ما رواه الإمامُ أحمد حيث قال: حدثنا عبد الرزّاق، حدثنا مَعمَرٌ، عن الزهريِّ، قال: أخبرني عن أنس قال: كُنّا جُلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يَطلُع عليكم الآنَ رجلٌ من أهلِ الجنةِ». فطلَعَ رجلٌ من الأنصار تَنطُفُ لحيتُه من وَضُوئِهِ، قد تَعَلَّق نعليه بيدِه الشِّمالِ فلما كان الغدُ قال رسولُ الله ﷺ مثلَ ذلك، فَطَلع ذلك الرجل مثل المرّةِ الأُولى، فلما كان اليومُ الثالث قال رسولُ الله ﷺ مثلَ مَقالتِهِ أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثلِ حَالِه الأُولى، فلما قام رسولُ الله ﷺ تَبِعه عبدُ الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيتُ أبي، فأقسمتُ ألاَّ أدخلَ عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تُؤوِيني إليك حتى تمضي فَعَلْتُ. قال: نعم. قال أنس: فكان عبدُ الله يُحدِّث أنه باتَ معه تلك الليالِيَ الثلاثَ فلم يَرَه يقومُ من الليل شيئاً، غير أنه إذا تَعارَّ تقلَّبَ على فراشِه ذَكَر الله وكَبَّر حتى يقومَ لِصلاةِ الفَجْرِ. قال عبد الله: غير أني لم أسمَعْه يقولُ إلاَّ خيراً، فلما مَضَتِ الثلاثُ ليالٍ وكِدْتُ أن أحتقِرَ عملَه قلت: يا عبد الله! لم يكُن بيني وبينَ

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠١/٣ وإسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٧٩٤.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٣٢٥.

أبي غَضَب ولا هَجْر، ولكن سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لك ثلاث مَرّاتٍ: «يطلُع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة». فطلَعَت أنت الثلاثَ المرّاتِ، فأردت أن آوِيَ إليكَ لأنظُرَ ما عَمَلُكَ فأقتدِيَ به، فلم أرَكَ تعمَلُ كثيرَ عملٍ، فما الذي بَلَغ بِكَ ما قال رسولُ الله ﷺ؟ قال: ما هُو إلا ما رأيتَ. فلما وَلَّيْتُ دعاني فقال: ما هُو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجِدُ في نَفسِي لأحد من المسلمين غِشًا، ولا أحسُد أحداً على خيرٍ أعطاهُ الله إيَّاه. قال عبد الله: «هذِهِ التي بَلَغت بِكَ، وهِي التي لا نُطِيق»[1]. ورَوَاه النسائي في «اليوم واللَّيلة» عن سُوَيد بن نَصر، عن ابن المُبارك، عن مَعْمَرٍ، به. وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط الصحيحَين، لكن رواه عُقِيل وغيره عن الزهرِيِّ، عن رَجُلٍ، عن أنس. فالله أعلمُ.

[٦٧١٦] وقال عبدُ الرحمن بن زَيدِ بن أسلمَ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾، يعني مما أُوتيَ المهاجِرُون. قال: وتكلَّم في أموالِ بني النَّضِير بعضُ مَن تكلم من الأنصار، فعاتَبَهم الله في ذلك، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾، قال: وقال رسولُ الله: «إن إخوانَكُم قد تركُوا الأموالَ والأولادَ وخرجُوا إليكم. فقالوا: أموالُنا بيننا قطائِعُ. فقال رسولُ الله ﷺ: أوَ غير ذلك؟. قالوا: وما ذاك يا رسولَ الله؟! قال: هم قومٌ لا يعرِفُون العملَ، فتَكفُونَهم وتُقاسِمُونهم الثَّمَر. فقالوا: نعم يا رسولَ الله!»[2].

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يعني: حاجَةٌ، أي: يُقَدِّمون المَحَاوِيج على حاجةِ أنفُسهم، ويَبْدَؤون بالناس قبلَهم في حال احتياجِهم إلى ذلك.

[٦٧١٧] وقد ثَبَت في الصَّحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضلُ الصدقة جَهدُ المُقِلِّ»[3]. وهذا المقامُ أعلى من حال الذين وَصَف الله بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾. وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فإن هؤلاء يَتَصدَّقون وهم يُحبُّون ما تصدَّقوا به، وقد لا يكُون لهم حاجةٌ إليه ولا ضَرُورة به، وهؤلاء آثَرُوا على أنفُسِهم مع خَصاصَتهم وحاجَتهم إلى ما أنفقوه.

[٦٧١٨] ومن هذا المقام تَصَدُّق الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ بجميع ماله، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ما أبقيتَ لأهلِكَ؟ فقال: أبقيتُ لهم الله ورسولَه»[4]. وهذا الماءُ الذي عُرِض على عِكْرمة وأصحابه يومَ اليرمُوكِ، فكلٌّ منهم يأمُر بِدَفعِهِ إلى صاحبه، وهو جريحٌ مُثقَلٌ أحْوَجَ ما يكونُ إلى الماء، فَردَّه الآخَرُ إلى الثالث، فما وَصَل إلى الثالثِ حتى ماتُوا عن آخرِهم ولم يَشْرَبْه أحدٌ منهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) صحيح. أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» ١٠٦٩٩ وأحمد ٣/ ١٦٦، وإسناده على شرطهما.

(٢) أخرجه الطبري ٣٣٨٧٤ وهذا مرسل، وابن زيد ضعيف، لكن لمعناه شواهد تعضده، والله أعلم.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ١٦٧٧ وأحمد ٢/ ٣٥٨ وابن خزيمة ٢٤٤٤ وابن حبان ٣٣٤٦ والحاكم ١/ ٤١٤ والبيهقي ١/ ٤٨٠ وإسناده صحيح، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وفيه يحيىٰ بن جعدة، لم يرو له مسلم. تنبيه: لم يروه البخاري ولا مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٧٨ والترمذي ٣٦٧٥ والحاكم ١/ ٤١٤ من حديث عمر، ومداره علىٰ هشام بن سعد، وقد ضعفه غير واحد، وقوّىٰ أبو داود روايته عن زيد بن أسلم خاصة، وهذا منها، والصواب أن الإسناد لين، غير قوي، ومع ذلك صححه الحاكم علىٰ شرط مسلم! ووافقه الذهبي، مع أن الحاكم قال كما في «التهذيب» روىٰ له مسلم في الشواهد. وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» ١٤٧٢ وفيه نظر، قال الحافظ في «الفتح» ٣/ ٢٩٥: هشام صدوق، فيه مقال من جهة حفظه.

[٦٧١٩] وقال البخاريُّ: حدثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ بن كثير، حدثنا أبو أُسامة، حَدَّثنا فُضَيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعيّ، عن أبي هُرَيْرَة قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! أصابني الجَهْدُ. فأرسل إلى نسائِهِ فلم يجد عندهنَّ شيئاً، فقال النبيُّ ﷺ: «ألا رجلٌ يُضِيفُ هذا الليلةَ، رحمه الله؟» فقام رجُلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسولَ الله! فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضَيفُ رسول الله ﷺ لا تَدَّخِريْه شيئاً. فقالت: والله ما عندِي إلا قوتُ الصِّبيَةِ. قال: فإذا أرادَ الصبيةُ العَشَاء فَنَوِّميهم وتعالي فأطفِئي السراج ونَطوِي بُطُونَنا الليلةَ. ففعلَت، ثم غَدَا الرجُل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عَجِب اللهُ ـ عزَّ وجلَّ، أو: ضَحِك ـ من فلانٍ وفلانةٍ. وأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١). وكذا رواه البُخاريُّ في موضع آخر، ومسلمٌ والترمذيُّ والنسائيُّ من طُرُقٍ، عن فُضَيل بن غَزْوانَ، به نحوَه. وفي رواية لمسلم تسميةُ هذا الأنصاري بأبي طَلْحَة، رَضِي الله عنه.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، أي: مَن سَلِم من الشُّحِّ فقد أفلَحَ وأنجحَ.

[٦٧٢٠] قال أحمدُ: حدَّثنا عبد الرزَّاق، أخبرنا داود بن قَيس الفَرَّاء، عن عُبَيد الله بن مِقْسِم، عن جابرِ بن عبد الله أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إيَّاكم والظلْمَ، فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامة، واتَّقُوا الشحَّ، فإنَّ الشحَّ أهلَكَ مَن كان قبلَكُم حَملهم على أن سَفَكُوا دِماءَهم واستحلُّوا محارِمَهم»(٢). انفرد بإخراجه مسلمٌ، فرواه عن القَعْنبي عن داود بن قَيْس، به.

[٦٧٢١] وقال الأعمشُ وشعبةُ، عن عَمرو بن مُرَّةَ، عن عبد الله بن الحارث، عن زُهير بن الأقمَرِ، عن عبد الله بن عَمْروٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اتقُوا الظُّلم؛ فإن الظلمَ ظُلُمات يوم القيامة، واتقُوا الفُحْشَ، فإن الله لا يُحبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّش، وإياكم والشحَّ؛ فإنه أهلَكَ من كانَ قبلَكُم، أمَرهم بالظلم فَظَلَمُوا، وأمرهم بالفُجُور فَفَجَرُوا، وأمرهم بالقَطيعةِ فَقَطعُوا»(٣). رواه أحمدُ، وأبو داود من طريق شُعبَة، والنَّسائي من طريق الأعمش، كلاهُما عن عَمرو بن مُرَّة، به.

[٦٧٢٢] وقال اللَّيثُ، عن يزيدَ بن الهادِ، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن صَفوانَ بن أبي يَزِيدَ، عن القَعقاع بن اللَّجْلاَج، عن أبي هُرَيرةَ أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يجتَمِعُ غبارٌ في سبيلِ الله ودُخَانُ جَهَنَّم في جَوْفِ عبدٍ أبداً، ولا يجتمع الشحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبداً»(٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدَةُ بن سُلَيمان، أخبرنا ابنُ المباركِ، حدثنا المسعُودِيُّ، عن جامع بن شداد، عن الأسودِ بن هِلالٍ قال: جاء رجلٌ إلى عبد الله فقال: يا أبا عبدِ الرحمن! إني أخافُ أن أكونَ قد هلكتُ! فقال له عبدُ الله: وما ذاك؟ قال: سَمِعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وأنا رجلٌ شَحِيحٌ، لا أكاد أن أُخرجَ من يَدِي شيئاً! فقال عبد الله: ليس ذلك بالشحِّ الذي ذكَرَ الله في القرآن، إنما الشحُّ الذي ذكر الله في القرآن أن تأكُلَ مال أخيك ظُلماً، ولكنَّ ذلك البخلُ، وبئس الشيءُ البخلُ.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٧٩٨ و٤٨٨٩ ومسلم ٢٠٥٤ ح ١٧٢ و١٧٣ والترمذي ٣٣٠٤ والنسائي في «التفسير» ٦٠٢.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٧٨ ح ٥٦ وأحمد ٣/ ٣٢٠.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ١٦٩٨ والنسائي ٤١٦٥ وفي «التفسير» ٦٠٣ وأحمد ٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠، ١٩١.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري «في الأدب المفرد» ٢٨١ والنسائي ٦/ ١٣ و١٣ ـ ١٤ والحاكم ٢/ ٧٢ والبيهقي ٩/ ١٦١ والبغوي ٢٦١٩ وأحمد ٢/ ٣٤٢ وابن حبان ٣٢٥١ وهو صحيح.

وقال سفيان الثَّوري، عن طارقِ بن عبدِ الرحمن، عن سعيد بن جُبَير، عن أبي الهَيّاج الأسَدِي قال: كنتُ أطوفُ بالبيتِ فرأيت رجلاً يقول: اللهُمّ قِني شُحَّ نفسِي. لا يَزِيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وُقِيت شُحّ نَفسِي لم أسرِق ولم أزنِ ولم أفعَلَ. وإذا الرجلُ عبدُ الرحمن بن عوف، رضِيَ الله عنه. رَوَاه ابنُ جريرٍ.

[٦٧٢٣] وقال ابنُ جرير: حَدَّثني محمد بن إسحاقَ، حدثنا سُليمان بن عبد الرحمن الدِّمشقِي، حدثنا إسماعيل بن عَيّاش، حدثنا مُجمِّع بن جارية الأنصاري، عن عَمِّه يزيدَ بن جارية، عن أنسِ بن مالكٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «بَرِيء من الشح من أدّى الزكاةَ، وقَرَى الضيفَ، وأعطَى في النائبة»[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾. هؤلاء هُم القسمُ الثالثُ ممَّن يستحِقُّ فُقراؤهُم من مال الفَيء، وهم المهاجرُون ثم الأنصار، ثم التابِعُون بإحسانٍ، كما قال في آية براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فالتابِعُون لهم بإحسان هم المتبعُون لآثارهم الحَسَنةِ وأوصافهم الجَمِيلة، الدَّاعُون لهم في السرِّ والعلانية. ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ﴾، أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾، أي: بُغضاً وحَسَداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾. وما أحسَنَ ما استنبطَ الإمام مالك من هذه الآيةِ الكريمةِ: أن الرافضيَّ الذي يسبُّ الصحابةَ ليس له في مالِ الفيءِ نَصِيبٌ لعدم اتِّصافه بما مَدَح الله به هؤلاءِ في قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

[٦٧٢٤] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا مُوسَى بن عبد الرحمن المسرُوقي، حدثنا مُحمَّد بن بشر، حدثنا إسماعيلُ بن إبراهيمَ بن مهاجِرَ، عن أبيه، عن عائشةَ أنها قالت: أُمِروا أن يستغفِرُوا لهم، فَسَبُّوهم ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾... الآية[٢].

[٦٧٢٥] وقال إسماعيل بن عُلَية، عن عبد الملك بن عُمَير، عن مَسرُوق، عن عائشةَ قالت: أُمِرتم بالاستغفار لأصحابِ محمد ﷺ فَسَبَبتُموهم. سَمِعتُ نَبِيَّكم ﷺ يقولُ: «لا تَذهَبُ هذه الأمةُ حتى يَلْعَنَ آخرُها أولها»[٣]. رَوَاه البَغَوِيُّ.

[٦٧٢٦] وقال أبو دَاودَ: حدثنا مُسَدَّدٌ، حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، حدثنا أيُّوبُ، عن الزهرِيِّ قال: قال عُمَر ـ رضي الله عنه ـ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾، قال الزهرِيُّ: قال عُمَر: هذه لرسول الله ﷺ خاصَّةً، قرىً عُرَينة، فدك وكذا وكذا. ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، فاستوعَبَتْ هذه الآيةُ الناسَ، فلم يبق أحدٌ من المسلمين إلا له فيها حَقٌّ ـ قال أيُّوبُ: أو قال: حَظٌّ ـ إلاّ بعضَ مَن تملِكُون من أرقائكم[٤]. كذا رواه أبو داودَ، وفيه انقطاع.

---

(١) أخرجه الطبري ٣٣٨٨٣ وإسناده ضعيف لأنه من رواية إسماعيل عن غير الشاميين، وهي ضعيفة.

(٢) صحيح. إسناده لين لأجل إسماعيل لكن توبع في الحديث الآتي.

(٣) صحيح. أخرجه البغوي في «التفسير» ٤/ ٣٢١ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٩٦٦ وفيه إرسال: الزهري لم يدرك عمر. لكن يشهد له ما بعده، والله أعلم.

[٦٧٢٧] وقال ابنُ جريرٍ: حدثنا ابنُ عبدِ الأعلى، حدثنا ابنُ ثَور، عن مَعْمَرٍ، عن أيُوبَ، عن عِكْرِمَةَ بنِ خالدٍ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثانِ قال: قرأ عُمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ حتى بَلَغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، ثم قال: هذه لهؤلاءِ، ثم قرأ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]... الآية، ثم قال: هذهِ لهؤلاءِ، ثم قرأ: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: استوعَبَت هذه المسلمين عامَّةً، وليس أحد إلا له فيها حقٌّ، ثم قال: لئن عِشْتُ ليَأتينَّ الراعي ـ وهو بَسروِ حمير ـ نَصِيبه فيها، لم يَعْرَق فيها جَبِينُه[1].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

يُخبِرُ تعالى عن المنافقين كعبدِ الله بن أبي وأضرابِهِ حين بَعثُوا إلى يهودِ بني النَّضِير يَعدُونهم النصر من أنفُسِهم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، أي: لَكاذِبُون فيما وَعَدُوهم به، إمّا أنهم قالُوا لهم قولاً ومن نِيَّتِهم ألاّ يفُوا لهم به، وإما لأنَّهم لا يَقَعُ منهم الذي قالُوه. ولهذا قال: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾، أي: لا يُقاتلون مَعَهم، ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي: قاتلوا معهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، وهذه بِشارة مُستقِلةٌ بنفسِها. ثم قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾، أي: يَخافُون منكم أكثَرَ مِن خَوفهم من الله، كقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧]، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾. ثم قال: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، يعني أنهم من جُبنِهم وهَلَعِهم لا يَقدِرون على مواجَهَةِ جيشِ الإسلام بالمبارَزَةِ والمقابَلَةِ، بل إما في حُصُونٍ أو من وراءِ جُدُرٍ مُحاصَرين، فيُقاتِلون للدَّفعِ عنهم ضرورةً.

ثم قال تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾، أي: عَداوتُهم بينهم شديدةٌ، كما قال: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]. ولهذا قال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، أي: تراهُم مُجتمِعين فتحسَبُهم مُؤتلِفين، وهم مختلفون غايةَ الاختلافِ، قال إبراهيمُ النخعِيُّ: يعني أهلَ الكتاب والمنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾. ثم قال: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾، قال مجاهد،

---

(١) أخرجه الطبري ٣٣٨٦١ وإسناده صحيح، وهو شاهد لما قبله، وانظر «الإرواء» ٥/ ٨٣.

والسدِّي، ومقاتِل بنُ حَيَّانَ: كَمَثلِ ما أصابَ كُفَّار قُرَيشٍ يومَ بدرٍ. وقال ابن عباس: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، يعني: يَهُودَ بني قَينُقاعِ. وكذا قال قتادةُ، ومحمد بن إسحاقَ. وهذا القول أشبهُ بالصوابِ، فإنَّ يَهُودَ بني قَينُقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاَهم قبلَ هذا.

وقولُه تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ يعني: مثلُ هؤلاء اليهودِ في اغترارهم بالذين وَعَدُوهم النصرَ من المنافقين، وقولِ المنافقين لهم: ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾، ثم لما حَقَّت الحقائق وَجَدَّ بهم الحصارُ والقتالُ تَخلَّوا عنهم وأسلمُوهم للهلَكَةِ، مِثالُهم في هذا كَمَثلِ الشيطانِ إذا سَوَّل للإنسان ـ والعياذُ بالله ـ الكفرَ فإذا دخل فيما سَوَّله تَبرَّأ منه وتَنَصَّلَ، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. وقد ذكر بعضُهم ها هُنا ـ قصَّةً لبعضِ عُبَّاد بني إسرائيل هي كالمِثَال لهذا المَثَل، لا أنها المرادةُ وحدَها بالمثَلِ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلةِ لها.

فقال ابنُ جَريرٍ: حدثنا خَلاَّد بن أسلم، أخبرنا النضرُ بن شُمَيل، أخبرنا شُعبَةُ، عن أبي إسحاقَ، سَمِعْتُ عبد الله بن نَهيكٍ قال: سَمِعتُ علياً ـ رضي الله عنه ـ يقول: إن راهباً تعَبَّد سِتِّين سنةً، وإنَّ الشيطانَ أراده فَأعياهُ، فَعَمِد إلى امرأةٍ فأجنَّها ولها أخوةٌ، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القَسِّ فَيُداويها. قال: فجاؤوا بها إليه فَدَاواها، وكانت عندَه، فبينما هو يوماً عندها إذْ أعجبته، فأتاها فَحَملت، فَعَمد إليها فقَتلها، فجاء إخوتُها، فقال الشيطان للراهبِ: أنا صاحبُك، إنَّكَ أعييتَني، أنا صنعتُ هذا بك فَأطِعني أُنجِكَ مما صنعتَ بِكَ، اسجُد لي سجدةً. فَسجد له، فلما سَجَد له قال: إني بَرِيءٌ منك، إني أخافُ الله ربَّ العالمين، فذلك قولُه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾.

وقال ابنُ جرِيرٍ: حدَّثني يحيى بن إبراهيم المسعُودِيُّ، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جَدِّه، عن الأعمش، عن عُمَارَةَ، عن عبد الرحمن بن يزيدَ، عن عبد الله بن مَسعُودٍ في هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾، قال: كانت امرأةٌ تَرعَى الغَنَم، وكان لها أربعةُ إخوةٍ، وكانت تأوِي بالليل إلى صَوْمَعةِ راهبٍ، قال: فنزَل الراهبُ فَفجَر بها، فَحملت، فأتاه الشيطانُ فقال له: اقتُلها ثم ادفِنها، فإنك رجل مُصَدَّقٌ يُسمَعُ قولك. فقتلها، ثم دَفَنها، قال: فأتى الشيطان إخوتَها في المنام فقال لهم: إنَّ الراهبَ صاحبَ الصومعةِ فَجَر بأُختِكُم، فلما أحبلها قَتَلها ثم دفنها في مكانِ كذا وكذا. فلما أصبحُوا قال رجلٌ منهم: والله لقد رأيتُ البارحَةَ رُؤيا ما أدري أَقُصُّها عليكم أم أترُك؟ قالوا: لا بل قُصَّها علينا. قال: فَقَصَّها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيتُ ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيتُ ذلك. قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيءٍ. قال: فانطلقُوا فاستعدَوا مَلِكهم على ذلك الراهبِ، فأتوه فأنزلُوه، ثم انطلقُوا به فَلَقِيه الشيطانُ فقال: إني أنا الذي أوقعتُك في هذا، ولن يُنجِيك منه غيري، فاسجُد لي سَجْدَةً واحدةً وأنجِيكَ مما أوقعتُك فيه. قال: فَسجد له، فلما أتوا به مَلِكهم تَبرَّأ منه، وَأُخِذَ فَقُتِلَ. وكذا رُوِي عن ابن عباس، وطاوسٍ، ومُقاتِل بن حَيَّان، نحوُ ذلك. واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابدَ هو برصيصا، والله أعلم.

وهذه القصةُ مخالفةٌ لقصَّةِ جُرَيج العابدِ، فإن جُرَيجاً اتهمته امرأة بَغِيّ بنفسها، وادَّعت أنَّ حَمْلها منه، ورَفعت أمره إلى وليّ الأمر، فأمر به فأُنزل من صَومعته وخُرِّبت صومعته وهو يقول: مالكم؟! مالَكُم؟! فقالوا: يا عَدُوّ الله، فعلتَ بهذه المرأة كذا وكذا! فقال جُرَيج: اصبِرُوا. ثم أخذ ابنَها وهو صغيرٌ جداً ثم قال: يا غلام! مَن أبوك؟ قال: أبي الراعي ـ وكانت قد أمكَنته من نفسِها فَحَمَلت منه ـ فلما رأى بنُو إسرائيل

ذلك عَظَّموه كُلُّهم تعظيماً بليغاً وقالوا: نُعِيد صومَعَتك من ذَهَب. قال: لا، بل أعِيدُوها من طين، كما كانَتْ.

وقولُه تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾، أي: فكان عاقبةُ الآمرِ بالكفر والفاعلِ له مَصِيرَهما إلى نار جَهَنَّم خالدين فيها، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي: جزاءُ كلِّ ظالم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

[٦٧٢٨] قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا محمدُ بن جَعفر، حدثنا شعبةُ، عن عَونِ بن أبي جُحَيفة، عن المُنذر بن جَرير، عن أبيه قال: كُنّا عند رسول الله ﷺ في صَدْرِ النهار، قال: فجاءه قومٌ حُفاةٌ عُراة مُجتابي النِّمار ـ أو: العَباءِ ـ مُتقلّدي السيوفِ، عامّتُهم من مُضر، بل كُلُّهم من مُضَر، فَتَغيَّر وجهُ رسولِ الله ﷺ لما رَأى بهم من الفاقةِ، قال: فَدخل ثم خَرَج، فأمر بلالاً فأذَّن وأقامَ الصلاة، فصلَّى ثم خَطَب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ . . . إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وقرأ الآية التي في الحشر: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، تصدَّق رجلٌ من دينارِه، من دِرْهَمه، من ثَوْبِه، من صاع بُرِّه، من صَاع تَمْرِه، حتى قال: ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ. قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفُّه تعجِزُ عنها، بل قد عَجزت، ثم تتابعَ الناسُ حتى رأيتُ كومين من طعَام وثياب، حتى رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتهلَّلُ وجهُه كأنه مُذْهَبةٍ فقال رسول الله ﷺ : «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسنة فله أجرُها وأجرُ مَن عَمِل بها بعدَه، من غير أن ينقُصَ من أجورهم شيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سَيِّئةً، كان عليه وِزرُها ووِزرُ مَن عَمِل بها من غير أن يَنقُصَ من أوزارِهم شيءٌ»[1]. انفرد بإخراجه مُسلم من حديث شُعبة، بإسناده مثله. فقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أمَر بتقواه، وهي تَشمَلُ فِعْلَ ما به أمَر، وترك ما عنه زَجَر.

وقولُه تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، أي: حاسِبُوا أنفُسَكم قبل أن تُحاسَبُوا، وانظُروا ماذا ادَّخرتُم لأنفُسِكم من الأعمال الصالحةِ ليوم مَعادكم وعَرْضِكم على ربِّكم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: تأكيدٌ ثانٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: اعلمُوا أنه عالمٌ بجميع أعمالِكم وأحوالِكم، لا تخفَى عليه منكُم خافيةٌ، ولا يَغِيبُ عنه من أمُورِكم جليلٌ ولا حقيرٌ. وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، أي: لا تَنسوا ذكرَ الله فَيُنسِيَكُم العملَ لمصالح أنفُسِكم التي تنفعُكم في مَعادكم، فإن الجزاءَ من جنسِ العَمَلِ، ولهذا قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، أي: الخارجُون عن طاعةِ الله الهالكُون يومَ القيامة، الخاسِرُون يوم مَعادهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

وقال الحافظُ أبو القاسم الطَّبَراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهّاب بن نَجْدَة الحَوْطِيُّ، حدثنا المغيرة، حدثنا حَريزُ بن عثمان، عن نُعَيم بن نَمْحَة قال: كان في خُطبةِ أبي بكر الصديق ـ رضيَ الله ـ: أما تعلَمُون أنكم تَغدُون وتَروحون لأجل معلوم. فَمَن استطاعَ أن يقضِيَ الأجل وهو في عَمَلِ الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ فَلْيفعَلْ،

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٠١٧ ح ١٥ وأحمد ٤/٣٥٩، وتقدم.

ولن تنالُوا ذلك إلا بالله عزَّ وجلَّ، إنَّ قوماً جعَلوا آجالهم لغيرهم فنَهاكم الله أن تكونُوا أمثالهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، أين مَن تعرِفون مِن إخوانكم؟ قدِموا على ما قدَّموا في أيام سَلَفِهم، وخلَوا بالشِّقوة والسعادةِ، أين الجبّارون الأوّلون الذين بَنَوا المدائن وحفَّفُوها بالحوائط؟ قد صاروا تحتَ الصخرِ والآبار. هذا كتابُ الله لا تفنَى عجائبُه فاستضِيؤوا منه ليوم ظُلمَةٍ، واستنصحوا كتابه وتبيانه، إن الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيتهِ فقال: ﴿كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، لا خيرَ في قول لا يُراد به وجهُ الله، ولا خير في مالٍ لا يُنفَق في سبيل الله. ولا خيرَ فيمن يغلِب جهلُه حلمَه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومةَ لائم. هذا إسناد جيد، ورجاله كلُّهم ثقات، وشيخُ حَريز بن عثمان، وهو نعيم بن نَمْحَة، لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أنَّ أبا داود السِّجستاني قد حَكَم بأن شيوخَ حَرِيزٍ كلَّهم ثقاتٌ. وقد رُوي لهذه الخطبةِ شواهدُ من وُجوهٍ أُخر، والله أعلم.

وقولُه تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَٰبُ النَّارِ وَأَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ﴾، أي: لا يَستوي هؤلاءِ وهؤلاءِ في حُكم الله يومَ القيامةِ، كما قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: ٥٨] وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]، في آيات أُخرَ دالاتٍ على أن الله ـ سبحانه ـ يُكرِم الأبرارَ، ويُهين الفجّارَ. ولهذا قال ها هنا: ﴿أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، أي: الناجون السالمون من عذابِ الله عزَّ وجلَّ.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَٰلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

يقولُ تعالى معظماً لأمر القرآن، ومُبيِّنا عُلُوَّ قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوبُ، وتتصدَّعُ عند سماعِه لما فيه من الوعدِ الحقِّ والوعيدِ الأكيدِ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، أي: فإذا كان الجبلُ في غِلَظِه وقساوته لو فَهِم هذا القرآن فتَدبَّر ما فيه، لخشَعَ وتصدَّعَ من خوف الله عزَّ وجلَّ، فكيفَ يَليقُ بكُم ـ أيها البشرُ ـ ألاَّ تَلِينَ قلوبُكم وتَخشعَ، وتتصدَّعَ من خَشيةِ الله، وقد فَهِمتُم عن الله أمرَه وتدبَّرتُم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. قال العَوفيُّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾... إلى آخرها، يقول: لو أني أنزلتُ هذا القرآنَ على جَبَلٍ حَمّلته إياه تَصدَّعَ وخَشع من ثِقَلِه، ومن خَشيَةِ الله. فأمَر الله الناسَ إذا نزل عليهم القرآنُ أن يأخُذوه بالخشيةِ الشديدةِ والتخشُّعِ. ثم قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وكذا قال قتادة، وابنُ جرير.

[٦٧٢٩] وقد ثَبت في الحديثِ المُتواتر أنَّ رسولَ الله ﷺ لمّا عُمِل له المنبرُ، وقد كان يومَ الخطبةِ يَقِفُ إلى جانب جِذْعٍ من جُذُوع المسجدِ، فلما وُضِع المنبرُ أوّل ما وُضِع، وجاء النبيُّ ﷺ ليخطُب فجاوز الجذع

إلى نحو المنبر، فعند ذلك حَنّ الجذع وَجَعل يَئِن كما يئن الصبيُ الذي [يُسكّت]، لما كان يُسمَعُ من الذكر والوَحْي عندَه. ففي بعض رواياتِ هذا الحديث قال الحسنُ البصريُّ بعد إيراده: «فأنتم أحق أن تشتاقُوا إلى رسولِ الله ﷺ من الجِذْع»[1]. وهكذا هذه الآيةُ الكريمةُ، إذا كانت الجِبالُ الصُّمُ لو سَمِعت كلام الله وفَهمته لَخشعت وتَصدّعت من خشيته، فكيف بكُم وقد سمِعتم وفَهِمتم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]. . . الآية. وقد تقدّمَ أنّ معنى ذلك: «أي لكان هذا القرآن». وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾: أخبر تعالى أنّه الذي لا إله إلا هو فلا ربَّ غيرُه، ولا إلهَ للوجودِ سواهُ، وكلُّ ما يُعبَدُ من دونه فباطلٌ، وأنّه عالمُ الغيبِ والشهادةِ، أي: يعلم جميعَ الكائنات المشاهَداتِ لنا والغائباتِ عنا فلا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، من جَليلٍ وحقير، وصَغيرٍ وكَبير، حتى الذرّ في الظلمات. وقولُه: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: قد تقدم الكلام على ذلك في أوّل التفسير، بما أغنى عن إعادتِهِ ها هنا. والمرادُ أنه ذُو الرحمةِ الواسعةِ الشاملةِ لجميع المخلوقاتِ، فهو رحمنُ الدنيا والآخرةِ ورحيمُهما، وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]. ثم قال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾، أي: المالكُ لجميعِ الأشياءِ المتصرّفُ فيها بلا مُمانعةٍ ولا مُدافعةٍ. وقولُهُ: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾، قال وهبُ بن مُنبِّه: أي الطاهر. وقال مجاهد، وقتادة: أي المُبارك. وقال ابن جُريج: تُقدّسه الملائكةُ الكرامُ. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾، أي: من جميع العُيوب والنقائصِ؛ بكماله في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه. وقولُه تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾، قال الضحّاك، عن ابن عباس: آمَنَ خَلْقَه مِن أن يَظْلِمَهم. وقال قتادةُ: آمَنَ بقوله: إنه حقٌ. وقال ابنُ زيدٍ: صَدّق عبادَه المؤمنين في إيمانهم به. وقولُه: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾، قال ابنُ عباس وغيرُ واحدٍ: أي: الشاهدُ على خلقِهِ بأعمالِهم، بمعنى هو رَقيبٌ عليهم، كقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]. وقولِهِ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]. . . الآية. وقولُه: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾، أي: الذي قد عَزّ كلَّ شيءٍ فَقهره، وغَلَب الأشياءَ فلا يُنالُ جنابُه لعزّته وعَظَمتِهِ وجَبروتِهِ وكبريائِهِ. ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾، أي: الذي لا تليق الجَبريّةُ إلا لَهُ، ولا التكبُر إلا لِعَظَمته، كما تقدّم في الصحيح:

[٦٧٣٠] «العَظمةُ إزاري، والكبرياءُ رِدائي، فَمَن نازَعني واحداً منهما عَذّبته»[2].

وقال قتادة: ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: الذي جَبَر خَلْقَهُ على ما يشاء. وقال ابنُ جَريرٍ: ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: المصلِحُ أُمورَ خلقِهِ، المتصرّف فيهم فيما فيه صلاحُهم. وقال قتادةُ: ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾، يعني عن كلِّ سُوءٍ. ثم قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وقولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الخَلْقُ: التقديرُ، والبَرْءُ: هو

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٥٨٣ والترمذي ٥٠٥ والبيهقي في «السنن» ٣/١٩٦ وفي «الدلائل» ٢/٥٥٦ و٥٥٧ و٥٥٧ ـ ٥٥٨ وعلقه البخاري بإثر الحديث ٣٥٨٣ وابن حبان ٦٥٠٦ من حديث ابن عمر وأخرجه ابن حبان ٦٥٠٧ من حديث أنس.

(٢) تقدم في آخر سورة الجاثية.

الفَرْيُ، وهو: التنفيذُ وإبرازُ ما قَدَّره وقَرَّره إلى الوجود، وليس كلُّ مَن قَدَّر شيئاً ورتَّبه يقدِرُ على تنفيذِه وإيجادِهِ سوى الله عزَّ وجلَّ. قال الشاعر يمدحُ آخَرَ:

ولأنــتَ تَـفْـرِي مــا خَـلَـقْـتَ وَبَـعْــ ـــض الـقـومِ يـخـلُـقُ ثُـمَّ لا يَـفْـرِي

أي: أنت تُنَفِّذ ما خَلَقت، أي: قَدَّرت، بخلاف غيرِكَ فإنه لا يستطيعُ ما يُرِيدُ. فالخلقُ: التقديرُ، والفَرْيُ: التنفيذُ. ومنه يقال: قَدَّر الجَلادُ ثم فَرَى، أي: قَطَع على ما قَدَّره بحسَبِ ما يُريده. وقولُه تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾، أي: الذي إذا أرادَ شيئاً قال له: كُن، فيكونُ على الصفة التي يُريد، والصورة التي يختار. كقوله تعالىٰ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨] ولهذا قال: ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾، أي: الذي يُنَفِّذ ما يريد إيجادَه على الصفة التي يريدها. وقولُه: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، قد تَقَدَّم الكلام على ذلك في «سورةِ الأعراف».

[٦٧٣١] وذُكر الحديثُ المرويُّ في الصحيحين عن أبي هُرَيرة، عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعينَ اسماً، مئةً إلا واحداً، من أحصاها دَخَل الجنة، وهو وِترٌ يحب الوِتْر»(١).

[٦٧٣٢] وتقدم سياقُ الترمذي وابنُ ماجه له، عن أبي هُرَيرة أيضاً، وزادَ بعد قوله: «وهو وِترٌ يُحب الوِتر» ـ واللفظ للترمذي ـ: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمنُ، الرحيمُ، الملكُ، القدُّوسُ؛ السلامُ، المؤمنُ، المُهيمنُ، العَزيزُ، الجَبّارُ، المتكبِّرُ، الخالِقُ، البارِىءُ، المُصَوِّر، الغَفّار، القَهّارُ، الوهّابُ، الرزّاقُ، الفتّاحُ، العَلِيمُ، القابِضُ، الباسِطُ، الخافِضُ، الرافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الحَلِيمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشكورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقِيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، المُجِيبُ، الواسِعُ، الحكيمُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ، الباعِثُ، الشَّهِيدُ، الحقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحَمِيدُ، المُحصِي، المُبدِىءُ، المُعِيدُ، المُحيي، المُمِيتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الواجِدُ، الماجِدُ، الواحِدُ، الصمَدُ، القادرُ، المُقْتَدِرُ، المقدِّم، المُؤَخِّر، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظاهِرُ، الباطِنُ، الوَالي، المُتعالي، البَرُّ، التوّابُ، المُنتقِمُ، العفوُّ، الرؤوفُ، مالِكُ المُلكِ، ذُو الجلال والإكرام، المُقسِطُ، الجامِعُ، الغَنيُّ، المانِعُ، الضارُّ، النافِعُ، النورُ، الهادِي، البَدِيعُ، الباقي، الوارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ»(٢). وسياقُ ابن مَاجه بزيادةٍ ونُقصَانٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ، وقد قدَّمنا ذلك مَبسُوطاً مُطوَّلاً بطُرُقِهِ وألفاظِهِ، بما أغنى عن إعادته هنا.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كقولِهِ تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾، أي: فلا يُرام جَنابُه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في شَرْعه وقَدَرِه.

[٦٧٣٣] وقد قال الإمامُ أحمد: حدثنا أبو أحمد الزُّبيريُّ، حدثنا خالد ـ يعني ابن طَهْمَان أبو العلاء الخفّاف ـ حدثنا نافعُ بن أبي نافع، عن مَعقِل بن يَسَار، عن النبيِّ ﷺ قال: «من قال حين يُصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميعِ العليمِ من الشيطان الرجيم ـ ثم قرأ ثلاثَ آياتٍ من آخرِ سورةِ الحشر ـ وكَّلَ الله به سَبْعِين

(١) متفق عليه، وتقدم في سورة الفاتحة.

(٢) تقدم الكلام عليه في سورة الأعراف.

أَلفَ مَلَكٍ يُصَلُّون عليه حتى يُمسِي إن ماتَ في ذلك اليوم مات شَهِيداً. ومن قالها حين يُمسِي كان بتلك المنزِلَةِ»[١]. ورَواه الترمذيُّ عن محمود بن غَيْلان، عن أبي أحمد الزبَيرِيِّ، به، وقال: غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

آخرُ تفسيرِ سورةِ الحشرِ. ولله الحمد والمنة

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٩٢٢ وأحمد ٥/٢٦ وابن السني ٦٨٠ و ٦٨١. وذكره الذهبي في «الميزان» في ترجمة خالد بن طهمان، وقال: لم يحسنه الترمذي، وهو حديث غريب جداً. ونقل عن ابن معين قوله: خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة. وكان في تخليطه كلما جاءوه به قرأه اهـ. أي حدث به. وهذا الحديث من هذا القبيل، لما فيه من مبالغة، وهو حديث منكر. والله أعلم.

سورة الممتحنة

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

كان سببُ نزولِ صَدْرِ هذه السورةِ الكريمة قصة حاطب بن أبي بَلْتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رَجُلاً من المهاجِرين، وكان من أهل بَدْرٍ أيضاً، وكان له بمكةَ أولادٌ ومالٌ، ولم يكُن من قُريش أنفُسِهم، بل كان حَلِيفاً لعثمان، فلما عَزَم رسولُ الله ﷺ على فَتْحِ مكَّة لما نقض أهلُها العهدَ، فأمر النبيُّ ﷺ المسلمين بالتجهيز لِغزوِهم، وقال: اللهُمَّ، عَمِّ عليهم خَبَرنا. فَعَمَد حاطبٌ هذا فكتب كتاباً، وبعثَه مع امرأةٍ من قُرَيش إلى أهلِ مكة، يُعلِمهم بما عَزَم عليه رسولُ الله ﷺ ليتَّخِذَ بذلك عندَهم يداً، فأطلعَ الله رسولَه على ذلك؛ استجابةً لِدُعائه. فبعث في أثر المرأةِ فأخذ الكتاب منها، وهذا بيِّن في الحديث المُتَّفقِ على صِحَّته.

[٦٧٣٤] قال الإمام أحمد: حدثنا سفيانُ، عن عَمْرو، أخبرني حَسَنُ بن محمد بن علي، أخبرني عُبَيد الله بن أبي رَافِع ـ وقال مَرَّة: إن عُبَيد الله بن أبي رافع أخبره: أنه سَمِع علياً ـ رضِي الله عنه ـ يقولُ: بَعَثني رسولُ الله ﷺ أنا والزبيرُ والمِقدادُ، فقال: «انطَلِقوا حتى تأتوا روضَة خاخٍ فإن بها ظَعِينةً معها كتابٌ، فَخُذُوه منها. فانطلقنا تَعادي بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحنُ بالظَّعينةِ، قلنا: أَخرِجي الكتابَ. قالت: ما معي كتابٌ! قلنا: لَتُخرِجِنَّ الكتابَ أو لنُلقِيَنَّ الثياب. قال: فأخرجت الكتابَ من عِقَاصها، فأخذْنا الكتابَ فأتينَا به رسولَ الله ﷺ فإذا فيه: مِن حاطبِ بن أبي بَلْتعة إلى ناسٍ من المُشرِكينَ بمكَّةَ يُخبِرُهُم بِبَعضِ أمْرِ رسولِ الله ﷺ فقال رسولُ الله ﷺ : يا حاطبُ، ما هذا؟ قال: لا تَعجَلْ عليّ، إني كنتُ أمرأً مُلصَقاً في قُرَيشٍ، ولم أكُن من أنفسهم، وكانَ من كان معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يَحمُون أهليهم بمكةَ، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسَب فيهم أن أتَّخذَ فيهم يداً يحمُون بها قرابتي، وما فعلتُ ذلك كُفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رِضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسولُ الله ﷺ : إنه صَدَقَكُم. فقال عمر: دَعْني أضربْ عُنُقَ هذا المنافِق. فقال: إنه قد شَهِدَ بدراً، وما يُدرِيك لَعلّ الله

اطَّلَع إلى أهلِ بدرٍ فقال: اعملُوا ما شئتم، فقد غَفَرتُ لكُم[(١)]. وهكذا أخرجه الجماعةُ إلا ابنَ ماجه، من غير وَجهٍ، عن سفيان بن عُيينة، به. وزاد البخاريُّ في كتاب المغازِي: فأنزل الله السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾. وقال في كتاب التَّفسير: قال عمرو: ونَزَلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، قال: «لا أدري الآية في الحديث أو قال عَمْرو». قال البُخاري: قال علي ـ يعني ابنَ المَدِينيِّ ـ: قِيلَ لسفيان في هذا: نَزَلت: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾؟ فقال سفيان: هذا في حَديثِ الناسِ، حَفِظتُه من عَمرو، ما تركتُ منه حرفاً، وما أرى أحداً حَفِظه غيري.

[٦٧٣٥] وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حُصَين بن عبد الرحمن، عن سَعد بن عُبَيدة، عن أبي عَبدِ الرحمن السلَمي، عن علي قال: بَعَثني رسولُ الله ﷺ وأبا مَرْثَد، والزبَير بن العوّام، وكُلُّنا فارس، وقال: انطلِقُوا حتى تأتوا روضةَ خَاخٍ، فإنَّ بها امرأةً من المشركين مَعَها كتابٌ من حاطبٍ إلى المشركين: فأدركْناها تَسِيرُ على بَعيرٍ لها حيثُ قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتابُ؟ فقالت: ما معي كتابٌ. فأنخناها فالتمسنَا فلم نَرَ كتاباً، فقلنا: ما كذبَ رسولُ الله ﷺ! لَتُخرِجِنَّ الكتابَ أو لنُجَرِّدنَّكِ. فلما رأت الجِدَّ أهوَتْ إلى حُجزتها ـ وهي مُحتجِزةٌ بكساءٍ ـ فأخرجَته. فانطلقنا بها إلى رسولِ الله ﷺ فقال عُمَر: يا رسولَ الله! قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فَدعني فلأضرِب عنقه. فقال: «ما حَمَلَكَ على ما صنعتَ»؟. قال: والله ما بي إلا أن أكونَ مؤمناً بالله ورسوله، أردتُ أن تكون لي عندَ القوم يدٌ يدفَعُ الله بها عن أهلي ومالِي، وليس أحدٌ من أصحابِكَ إلاَّ له هنالك مِن عَشيرته مَن يدفَعُ الله به عن أهلِه ومالِه. فقال: صَدَق، لا تقولُوا له إلاَّ خيراً. فقال عمر: إنه قد خان الله ورسولَه والمؤمنين، فَدَعني فلأضرِبْ عُنقَه. فقال: أليسَ من أهل بدرٍ؟ فقال: لعلَّ الله قد اطَّلع إلى أهل بدرٍ فقال: اعملُوا ما شِئتُم فقد وَجَبت لكُم الجنَّةُ، أو: قد غفرتُ لكم. فَدَمِعَتْ عينا عُمَر وقال: الله ورسولُه أعلم[(٢)]. هذا لفظُ البخاريِّ في «المغازي» في غزوة بَدْرٍ، وقد رُوِي من وجهٍ آخرَ عن عليٍّ،

[٦٧٣٦] قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسن الهِسِنْجانيُّ، حدثنا عُبَيد بن يَعِيش، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان ـ وهو سعيد بن سِنان ـ عن عَمرو بن مُرّة الجَمَليِّ، عن أبي البختريِّ الطائي، عن الحارث، عن عليٍّ قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكّة، أسرّ إلى ناسٍ من أصحابه أنه يريد مَكّة، فيهم حاطبُ بن أبي بَلْتَعَة، وأفشى في الناس أنه يُريد خَيبر. قال: فكتب حاطبُ بن أبي بَلْتَعَة إلى أهل مكة أن رسولَ الله ﷺ يُريدُكم. فأُخبِرَ رسولُ الله ﷺ، قال: فَبعثني رسولُ الله ﷺ وأبا مَرْثَدٍ، وليس منّا رجلٌ إلاَّ وعندَه فرسٌ، فقال: ائتُوا روضةَ خَاخٍ، فإنكم سَتَلْقَون بها امرأةً معها كتاب، فَخُذُوه منها. فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذَكَر رسولُ الله ﷺ فقلنا لها: هاتِ الكتابَ. فقالت: ما معي كتابٌ! فَوضَعنا متاعها وفَتَّشناها فلم نَجِده في متاعها، فقال أبو مَرْثَدٍ: لعلّه ألاَّ يكونَ معها. فقلتُ: ما كَذَب رسولُ الله ﷺ ولا كُذِّبَ! فقلنا لها: لَتُخرجِنّه أو لنُعرِيَنَّكِ. فقالت: أما تَتَّقون الله؟ ألستم مُسلِمين؟ فقلنا: لَتُخرجَنّه أو لَنُعرِيَنَّكِ ـ قال عَمرو بن مرّة: فأخرجَته من حُجزَتِها، وقال حَبيب بن أبي ثابت: أخرجَته من قُبُلِها ـ فأتينا به رسولَ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٠٧ و٤٢٧٤ و٤٨٩٠ ومسلم ٢٤٩٤ وأبو داود ٢٦٥٠ والترمذي ٣٣٠٥ وأبو يعلى ٣٩٤ و٣٩٨ والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٤٦ وفي «الدلائل» ٥/ ١٧ وأحمد ١/ ٧٩ وابن حبان ٦٤٩٩.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٨١ و٣٩٨٣ و٦٢٥٩ ومسلم ٢٤٩٤ وأبو داود ٢٦٥١ وأحمد ١/ ١٠٥ وأبو يعلى ٣٩٧ والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣ وابن حبان ٧١١٩.

الله ﷺ، فإذا الكتابُ من حاطِبِ بن أبي بَلْتَعة. فقام عُمر فقال: يا رسولَ الله! خانَ الله ورسولَه، فَأْذَنْ لي فَلأَضْرِب عُنُقَه. فقال رسولُ الله: «أليس قد شَهِد بدراً؟» قالوا: بلى. قال عُمَر: بلى، ولكنه قد نَكَث وظاهَرَ أعداءَكَ عليكَ. فقال رسول الله ﷺ: فلعلَّ الله اطَّلع إلى أهلِ بَدْرٍ فقال: اعملُوا ما شئتُم، إني بما تعملون بصير. ففاضت عينا عُمَر وقال: الله ورسولُه أعلَمُ. فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى حاطِبٍ فقال: يا حاطبُ، ما حَمَلك على ما صنعتَ؟ فقال: يا رسولَ الله! إني كنتُ امرأً مُلصَقاً في قُرَيش، وكان بها مالي وأهلي، ولم يكُن من أصحابِكَ أحدٌ إلاَّ وله بمكةَ مَن يمنعُ أهلَه ومالَه، فكتبتُ إليهم بذلك، ووالله ـ يا رسول الله ـ إني لمؤمنٌ بالله ورسولِهِ. فقال رسولُ الله ﷺ: صَدَقَ حاطِبٌ، فلا تقُولوا لحاطب إلا خيراً ـ قال حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ . . . الآية[1]. وهكذا رواه ابْنُ جرير، عن ابن حُمَيد، عن مِهْرَان، عن أبي سِنانٍ سعيدِ بن سنانٍ، بإسناده مثلَه؛ قد ذَكَر ذلك أصحابُ المَغَازِي والسِّير.

[٦٧٣٧] فقال محمدُ بن إسحاقَ بن يَسَارٍ في السيرة: حَدَّثني محمدُ بن جعفر بن الزبير، عن عُرْوَة ابن الزبير وغيره من عُلمائنا قال: لما أجمَعَ رسولُ الله ﷺ المَسِير إلى مكّةَ، كَتَبَ حاطبُ بن أبي بلتَعَة كتاباً إلى قُرَيشٍ يخُبِرُهم بالذي أجمَعَ عليه رسولُ الله ﷺ من الأمر في السَّير إليهم، ثم أعطاه امرأةً ـ زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزَينةَ، وزَعم غيره أنها سارَةُ، مولاةٌ لبني عبدِ المُطَّلبَ ـ وجعل لها جُعْلاً على أن تُبلِغَه قُرَيشاً فجعلَته في رأسها، ثم فَتَلت عليه قُرُونها، ثم خَرَجت به. وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنَعَ حاطبٌ، فَبَعث عليَّ بن أبي طالب والزبَير بن العَوّام فقال: أَدْرِكا امرأةً قد كَتَب معها حاطبٌ بكتابٍ إلى قُرَيش يُحَذِّرهم ما قد أجمَعْنا له من أمْرِهِمْ. فَخرجا حتى أدركاها بالحُلَيْفة ـ حُلَيفة بني أبي أحمَدَ ـ فاستنزلاها بالحُلَيفة، فالتَمَسا في رَحلها فلم يَجِدا شيئاً، فقال لها عليُّ بن أبي طالب: إني أحلِفُ بالله ما كَذَب رسول الله وما كَذَبنا، وَلَتُخرِجِنَّ لنا هذا الكتابَ أو لَنَكشِفَنَّك. فلما رأتِ الجِدَّ منه قالت: أعرِضْ. فَأعرَضَ، فَحَلَّت قُرونَ رَأسِها، فاستخرجتِ الكتابَ منها، فَدفعَتْه إليه. فأتى به رَسُولَ الله ﷺ فدعا رسولُ الله حاطباً فقال: يا حاطبُ، ما حَمَلك على هذا؟ فقال: يا رسولَ الله! أما والله إني لَمؤمِنٌ بالله ورَسولِهِ، ما غَيَّرتُ ولا بَدَّلتُ، ولكني كنتُ امرأً ليس لي في القوم من أهلٍ ولا عَشِيرةٍ، وكان لي بين أظهُرِهم وَلَدٌ وأهلٌ فصانعتُهم عليهم. فقال عُمَر بنُ الخَطَّابِ: يا رسولَ الله! دَعْني فلأَضرِب عُنُقَه، فإنَّ الرجلَ قد نافَقَ. فقال رسولُ الله ﷺ: وما يُدريكَ يا عُمَر؟ لعلَّ الله قد اطَّلع إلى أصحاب بَدْرٍ يومَ بدرٍ فقال: اعملُوا ما شِئتُم، فقد غفرتُ لكم». فأنزلَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ . . . إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ . . . إلى آخر القِصَّة[2]. وَروى مَعْمَرٌ، عن الزهريِّ، عن عُرْوَة نحوَ ذلك. وهكذا ذكر مُقاتِلُ بن حَيّان أن هذه الآيات نَزَلت في حاطب بن أبي بلتَعَة: أنه بَعَث سارَةَ مولاةَ بني هاشم، وأنه أعطاها عشرةَ دراهم، وأن رسولَ الله ﷺ بعثَ في أثرِهَا عُمَر بن الخطاب[3] وعليَّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأدركاها بالجُحفَةِ. . . وذكر تَمام القِصَّة كنحوِ ما تقدَّم. وعن السدِّي قريبٌ منه.

---

(١) أخرجه الطبري ٣٣٩٣٤ وإسناده ضعيف لضعف الحارث الأعور، لكن المتن محفوظ له شواهد كثيرة.
(٢) أخرجه الطبري ٣٣٩٣٦ وهذا مرسل، لكن عامة المتن محفوظ بشواهده المتقدمة.
(٣) ذكر عمر تفرد به مقاتل، وهذا من أوهامه، انظر ما تقدم.

وهكذا قال العَوفيُّ، عن ابن عباس ومجاهدٌ، وقتادة، وغيرُ واحد: إن هذه الآيات نزلت في حاطبِ بن بلتَعة.

فقولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: المشركين والكفار الذين هم مُحارِبون لله ولرسولِهِ وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومُصارَمتهم، ونَهى أن يُتّخذوا أولياءَ وأصدقاء وأخِلاءَ، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. وهذا تهديدٌ شديدٌ، ووَعيدٌ أكيدٌ، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٤٤]. وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ولهذا قَبِل رسول الله ﷺ عُذْرَ حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مُصانعةً لقريش، لأجل ما كان له عندَهم من الأموالِ والأولادِ.

[٦٧٣٨] ونَذكُر ها هنا الحديثَ الذي رَوَاه الإمامُ أحمد: حَدَّثنا مُصعَبُ بنُ سَلاَم، حدثنا الأجلحُ، عن قَيس بن أبي مُسلِم، عن رِبْعي بن حِرَاش، سَمِعت حُذيفةَ يقول: ضَرَبَ لنا رسولُ الله ﷺ أمثالاً: واحداً وثلاثةً وخمسةً وسبعةً، وتسعةً، وأحدَ عشر، قال: فَضرب لنا منها مثلاً وتَرك سائِرها، قال: «إن قوماً كانُوا أهلَ ضَعفٍ ومَسْكَنةٍ، قاتلهم أهل تَجبُّرٍ وعِدَاءٍ، فأظهر الله أهل الضَّعفِ عليهم، فَعَمدوا إلى عَدُوِّهم فاستعملُوهم وسلَّطوهم، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»(١).

وقولُه تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعَدَم مُوالاتهم، لأنهم أخرجُوا الرسولَ وأصحابَه من بين أظهُرِهم، كراهةً لما هُم عليه من التَّوحيد وإخلاصِ العبادةِ لله وحدَه، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذَنْبٌ إلا إيمانُكم بالله ربِّ العالمين، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨]، وكقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]. وقولُه تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾، أي: إن كنتُم كذلك فلا تَتّخِذُوهم أولياءَ، إن كنتُم خرجتُم مُجاهِدين في سَبيلي باغين لمرضاتي عنكُم فلا تُوَالُوا أعدائِي وأعداءَكم، وقد أخرجُوكم من دِيارِكُم وأموالِكم حَنَقاً عليكم، وسُخْطاً لدينكم.

وقولُه تعالىٰ: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾، أي: تَفعَلُون ذلك وأنا العالمُ بالسرائرِ والضَّمائر والظواهر، ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: لو قَدَرُوا عليكم لما اتقوا فيكم من أذىً ينالونكم به، بالمَقال والفِعال، ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، أي: وَيحرِصُون على ألاَّ تنالوا خيراً، فهم عَدَاوتُهم لكم كامنةٌ وظاهرةٌ، فكيفَ تُوالون مثلَ هؤلاءِ؟ وهذا تَهييجٌ على عَداوتِهم أيضاً. وقولُه تعالىٰ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾، أي: قَرَاباتُكم لا تَنفعُكم عند الله إذا أراد بكم سُوءاً ونفعُهم لا يَصِلُ إليكم إذا أرضيتُموهم بما يُسخِطُ الله، ومَن وافق أهلَه على الكفر لِيُرضِيَهم فقد خابَ وخَسِر وضَلّ عَمَلُه، ولا ينفعُه عند الله قرابتُه من أحدٍ، ولو كان قَريباً إلى نَبيٍّ من الأنبياء.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٤٠٧ وإسناده لا بأس به لأجل الأجلح الكندي، وثقه ابن معين والعجلي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: صدوق، وضعفه النسائي. الخلاصة: الأكثر على توثيقه، فالحديث حسن أو شبه حسن.

[٦٧٣٩] قال الإمامُ أحمدُ ؛ : حدثنا عفّان، حدثنا حمّاد، عن ثابتٍ، عن أنس: أن رجلاً قال: يا رسولَ الله! أين أبي؟ قال: «في النار». فلما قفّى دعَاه فقال: «إن أبي وأباك في النار»[١] . وَرَواه مسلم وأبو داود، من حديث حَمّاد بن سَلَمَة، به.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾

يقولُ تعالى لعبادِه المؤمنين الذين أمَرَهم بمصارَمَةِ الكافرين وعَداوتهم ومُجانَبتِهم والتبرّي منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ، أي: وأتباعه الذين آمنوا معه، ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ ، أي: تبرّأنا منكم، ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ ، أي: بدينكم وطَرِيقِكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ ، يعني: وقد شُرعت العداوةُ والبغضاءُ من الآنِ بيننا وبينكم، ما دمتُم على كُفركم فنحنُ أبداً نتبرّأ منكُم ونُبغِضُكم، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ ، أي: إلى أن تُوحِّدوا الله فتعبدُوه وحدَه لا شريكَ له، وتخلَعوا ما تعبدُون معه من الأندادِ والأوثانِ. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ ، أي: لكُم في إبراهيم وقومِه أسوةٌ حسنةٌ تتأسّون بها، إلا في استغفارِ إبراهيمَ لأبيه، فإنه إنما كان عن مَوعِدةٍ وعدَها إيّاه، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ . وذلك أن بعضَ المؤمنين كانوا يدعُون لآبائهم الذين ماتُوا على الشرك ويَستغفِرُون لهم، ويقولُون: إنَّ إبراهيم كان يَستغفِرُ لأبيه، فأنزل الله عزّو جلّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣ ـ ١١٤]. وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ، إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ ، أي: ليس لكم في ذلك أسوةٌ، أي: في الاستغفار للمشركين. هكذا قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وقتادةُ، ومقاتلٌ، والضحاكُ، وغيرُ واحدٍ. ثم قال تعالى مُخبراً عن قول إبراهيمَ والذين مَعَه، حين فارقُوا قومَهم وتَبرّؤوا منهم، فلجؤوا إلى الله وتَضرّعُوا إليه فقالوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ، أي: توكّلنا عليك في جميع الأمور، وسَلّمنا أمورَنا إليك، وفوضناها إليك؛ ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ، أي: المعادُ في الدار الآخرة، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ، قال مجاهد: معناه: لا تُعذّبنا بأيديهم ولا بِعَذابٍ من عندِك فيقولُوا: لو كان هؤلاءِ على حَقٍّ ما أصابَهم هذا. وكذا قال الضحّاك. وقال قتادةُ: لا تُظهِرهم علينا فَيَفتتِنُوا بذلك، يَرون أنهم إنما ظَهَرُوا علينا لحقٍّ هم عليه. واختاره ابنُ جرير. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تُسلّطهم علينا فَيفتِنُونا. وقولُه تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ، أي: واستر ذُنوبَنا عن غَيرِك، واعفُ عنها فيما بيننا وبينك، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ ، أي: الذي لا يُضام مَن لاذ بجنابِك، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقوالك وأفعالك وشَرْعِك وقَدَرِك.

(١) تقدم في سورة البقرة آية ١١٩ وهو صحيح.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، وهذا تأكيدٌ لما تقدّم، ومستثنى منه ما تقدم أيضاً، لأن هذه الأسوة المثبتةَ ها هنا هي الأولى بعينِها. وقولُه تعالى: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: تهييجٌ إلى ذلك لكلِّ مؤمنٍ باللهِ والمعادِ. وقولُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: أي: عمَّا أمَرَ الله به، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، كقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]. وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿الْغَنِيُّ﴾: الذي قد كَمَل في غناه، وهو الله، هذه صفتُه لا تَنبغي إلا لَه، ليس له كُفء، وليس كمِثلِه شيءٌ، سُبحان الله الواحدِ القهّارِ. ﴿الْحَمِيدُ﴾: المُستحمِدُ إلى خَلْقِه، أي هو المحمود في جميع أفعاله وأقوالِهِ، لا إله غيرُه، ولا ربَّ سواه.

﴿۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾

يقولُ تعالى لعباده المؤمنين بعدَ أن أمَرهم بعَداوةِ الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، أي: محبّة بعد البِغضة، ومَودّة بعد النَّفرةِ، وأُلفةً بعد الفُرقةِ. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾، أي: على ما يشاءُ من الجَمْع بين الأشياء المتنافرةِ والمتباينةِ والمختلفةِ، فيُؤلِّفُ بين القلوبِ بعد العداوةِ والقساوةِ، فتُصبحَ مجتمعةً مُتَّفِقةً، كما قال تعالى مُمتناً على الأنصار: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]... الآية.

[٦٧٤٠]وكذا قال لهم النبيُّ ﷺ: «ألم أجدكُم ضُلاّلاً فهداكم الله بي، وكنتم مُتفرِّقين فألَّفكم الله بي»(١). وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

[٦٧٤١]وفي الحديث «أحبِبْ حَبِيبَكَ هوناً مّا فعسى أن يكونَ بَغيضَكَ يوماً ما. وأبغِضْ بَغيضَك هوناً ما فَعسى أن يكونَ حَبيبكَ يوماً مَا»(٢). وقال الشاعر:

وَقد يجمعُ اللّهُ الشّتيتَينِ بَعْدَما ... يَظُنانِ كُلَّ الظنِّ أن لا تَلاقيا

وقولُه تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: يغفِر للكافرين كُفرَهم إذا تابُوا منه وأنابُوا إلى ربِّهم وأسلمُوا له، وهو الغفورُ الرحيمُ بكلِّ مَن تاب إليه، من أيِّ ذنبٍ كانَ. وقد قال مقاتلُ بن حيّان: إن هذه الآية نَزلت في أبي سُفيان صخرِ بن حربٍ، فإن رسول الله ﷺ تزوَّج ابنته، فكانت هذه مودّةً ما بينه وبينه. وَفي هذا الذي

---

(١) تقدم في سورة التوبة آية ٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٩٧ وابن حبان في «المجروحين» ١/ ٣٥١ من طريق سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة أُراه رفعه ـ قال... وإسناده على شرط مسلم، لكن حماد تغير بأخرة، فهذه علة، وأعله ابن حبان بسويد واتهمه به، ورده الألباني على أنه من رجال مسلم، وقد وثقه غير واحد، ذكر ذلك في «غاية المرام» ص ٢٧٣، ومع ذلك هو معلول حيث لم يجزم برفعه كما ترى، وقد ضعفه الترمذي بقوله غريب، قال وروي عن علي مرفوعاً، وهو ضعيف، والصحيح عن علي قوله، وكذا صوب ابن حبان كونه عن علي. وله شاهد ضعيف، أخرجه القضاعي ٧٣٩ من طرق واهية عن ابن عمر مرفوعاً، والمتن غريب، والأشبه في هذا الوقف، والجزم بصحته ليس بشيء، والله أعلم.

قاله مقاتلٌ نظرٌ؛ فإنَّ رسول الله تَزَوَّج بأمِّ حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتحِ، وأبو سُفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف.

[٦٧٤٢] وأحسن من هذا ما رواه ابنُ أبي حاتم حيث قال: قُرِيءَ على محمد بن عَزيز: حدثني سَلاَمة، حدثني عَقِيل، حدثني ابنُ شهاب: أنَّ رسولَ الله ﷺ استعمل أبا سُفيان بنَ حربٍ على بعض اليمن، فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ أقبل فَلَقِي ذا الخِمَار مُرتدًا، فقاتله، فكان أول مَن قاتل في الرِّدَّة وجاهد عن الدِّين. قال ابنُ شهاب: وهو ممن أنزل الله فيه: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾[١].

[٦٧٤٣] وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس: أن أبا سُفيان قال: يا رسولَ الله! ثلاثٌ أعطِنيهنَّ. قال: نعم. قال: تُؤمِّرني حتى أقاتل الكفار كما كنتُ أقاتلُ المسلمين. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: نعم. قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان أُزَوِّجُكها[٢]... الحديث. وقد تقدَّمَ الكلامُ عليه.

وقولُه تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾، أي: لا ينهاكم عن الإحسانِ إلى الكَفَرة الذين لا يُقاتِلونكم في الدين، كالنِّساء والضعَفة منهم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، أي: تُحسِنُوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ﴾، أي: تَعدِلُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

[٦٧٤٤] قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو معاوية، حدثنا هشامُ بن عُروَة، عن فاطمة بنتِ المنذر، عن أسماءَ ـ هي بنتُ أبي بكر، رَضِيَ الله عنهما ـ قالت: قَدِمَتْ أُمِّي وهي مُشرِكَةٌ في عهد قُريش إذ عاهدوا، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! إنَّ أمي قَدِمت وهي راغِبَةٌ، أفأصِلُها؟ قال: «نعم، صِلي أُمَّكِ»[٣]. أخرجاه.

[٦٧٤٥] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عارمٌ، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مُصعب بن ثابت، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قَدِمَت قُتَيلةُ على ابنتِها أسماءَ ابنةِ أبي بكر بهدايا: ضِبَابٍ وأَقِطٍ وسَمن، وهي مُشركة، فأبت أسماءُ أن تقبلَ هَدِيَّتها وتُدخِلَها بيتَها. فسألت عائشةُ النبيَّ ﷺ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾... إلى آخر الآية، فأمرها أن تقبل هَدِيَّتها، وأن تُدخِلَها بيتها[٤]. وهكذا رَوَاه ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم، من حديث مُصعبِ بن ثابت، به. وفي رواية لأحمد وابن جَرير: «قُتَيلة بنتِ عبد العُزَّى بن عبد أسعد، مَن بني مالك بن حِسْلٍ». وزاد ابنُ أبي حاتم: «في المدة التي كانت بين قُريشٍ، ورسولِ الله ﷺ».

[٦٧٤٦] وقال أبو بكر أحمدُ بن عَمرو بن عبد الخالق البزَّارُ: حدثنا عبد الله بن شَبِيب، حدثنا أبو بكر بن

(١) هذا مرسل، ومراسيل الزهري ضعيفة.

(٢) لفظ «أزوجكها...» غريب، فإن النبي ﷺ تزوج أم حبيبة قبل الفتح بفترة طويلة. وتقدم ذلك.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٢٠ و٣١٨٣ ومسلم ١٠٠٣ وأبو داود ١٦٦٨ والطيالسي ١٦٤٣ وأحمد ٦/ ٣٤٧ وابن حبان ٤٥٢.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٨٥ والطبري ٣٣٩٥٢ والواحدي ٨١٣ من حديث ابن الزبير، صححه الحاكم. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٣: فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، اهـ وقال الحافظ في «التقريب»: لين الحديث. فالإسناد غير قوي، وأصل الحديث محفوظ لكن الوهن في أن الآية نزلت لهذا السبب.

أبي شَيْبَة، حدثنا أبو قتادة العَدَويُّ، عن ابن أخي الزهريِّ، عن الزهريِّ، عن عُرْوَةَ، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا: قَدِمت علينا أُمُّنا المدينة، وهي مشركةٌ، في الهُدنة التي كانت بين قُرَيش وبين رسولِ الله ﷺ فقلنا: يا رسولَ الله! إنَّ أُمَّنا قَدِمت علينا المدينة راغبةً، أفنصِلُها؟ قال: «نعم، فَصِلاها»[1]. ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يُروَى عن الزهري، عن عروة، عن عائشةَ إلاَّ من هذا الوجه. قلتُ: وهو مُنكَر بهذا السياق، لأن أمَّ عائشة هي أم رُومانَ، وكانت مُسلِمةً مهاجِرَةً، وأمُّ أسماءَ غيرها، كما هو مُصَرَّح باسمِها في هذه الأحاديثِ المتقدِّمة، والله أعلم. وقولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: تقدَّم تفسيرُ ذلك في «سورةِ الحُجُراتِ».

[٦٧٤٧] وأورد الحديث الصحيح: «المُقسِطُون على منابِرَ من نُورٍ عن يمينِ العرش، الذين يَعدِلُون في حُكْمِهم، وأهاليهم، وما وَلُوا»[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾. أي: إنما ينهاكُم الله عن مُوالاة هؤلاءِ الذين ناصبُوكم بالعداوةِ، فقاتلوكُم وأخرجُوكم، وعاونُوا على إخراجِكم، ينهاكُم الله عن موالاتهم، ويأمُركم بمعاداتهم. ثم أكَّد الوعيدَ على مُوالاتهم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

[٦٧٤٨] تَقدَّم في «سورة الفتح» ذكرُ صُلح الحُدَيبية الذي وَقَع بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّار قُرَيش، وكان فيه: «على أنَّه لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رَدَدته إلينا». وفي روايةٍ: «على أنه لا يأتيكَ منا أحدٌ ـ وإن كان على دِينكَ ـ إلا رَدَدته إلينا»[3]. وهذا قولُ عروةَ، والضحاكِ، وعبدِ الرحمن بن زيدٍ، والزهريِّ، ومُقاتِلٍ، والسدِّي. فعلى هذه الرواية تكون هذه الآيةُ مخصصةً للسنة، وهذا من أحسن أمثلةِ ذلك، وعلى طريقةِ بعض السلف ناسخةً، فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مُهاجِرات أن يمتحنوهُنَّ، فإن عَلِمُوهُنَّ مؤمناتٍ فلا يَرْجِعُوهنَّ إلى الكُفَّار، لا هنَّ حلٌّ لهم ولا هُم يَحلُّون لهُنَّ.

[٦٧٤٩] وقد ذَكَرنا في ترجمةِ عبد الله بن أبي أحمدَ بن جَحْشٍ، من المُسند الكبير، من طريق أبي بكر بن أبي عاصم، عن محمد بن يحيى الذهلي، عن يعقُوبَ بن محمد، عن عبد العزيز بن عمران، عن مُجمِّع بن يعقوب، عن حسين بن أبي لبابة عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرَت أم كلثوم بنتُ عقبةَ بن أبي

---

(١) منكر. أخرجه البزار ٢/ ٣٦٥، وإسناده ضعيف جداً. فيه عبد الله بن شبيب. قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويسرقها.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الحجرات: ٩.

(٣) تقدم في سورة الفتح.

مُعَيطٍ في الهجرةِ، فخَرَج أخواها عُمارة والوليد حتى قَدِما على رسول الله ﷺ فكلّماه فيها أن يَرُدَّها إليهما، فَنَقَضَ الله العهدَ بينه وبين المشركين في النساءِ خاصَّةً، ومنعهُنَّ أن يُرَدَدْنَ إلى المشركين، وأنزل الله آية الامتحان(١).

[٦٧٥٠] قال ابنُ جرير: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا يونُس بن بُكَير، عن قَيس بن الربيع، عن الأغرّ ابن الصَّباح، عن خَليفة بن حُصَين، عن أبي نَصر الأسدي قال: سُئِل ابنُ عباس: كيف كان امتحانُ رسولِ الله ﷺ النساءَ؟ قال: كان يمتَحِنهُنَّ: بالله ما خَرَجتِ من بُغضِ زَوجٍ؟ وبالله ما خَرَجتِ رَغبةً عن أرضٍ إلى أرضٍ؟ وبالله ما خَرَجتِ التماسَ دنيا؟ وبالله ما خرجتِ إلا حُبًّا لله ولرسوله. ثم رَوَاه من وَجْهٍ آخرَ، عن الأغرّ بن الصبّاح، به. وكذا رواه البزّار من طريقِهِ، وذَكَر فيه أن الذي كان يُحلِّفهنَّ عن أمْرِ رسُولِ الله ﷺ له عُمَرُ بنُ الخطّاب(٢). وقال العَوفيُّ، عن ابن عَبّاسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: كان امتحانُهنَّ أن يَشهَدْنَ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدُ الله ورسولُه. وقال مجاهد: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: فاسألوهُنَّ: ما جاء بهنَّ؟ فإن كان جاء بهنَّ غَضَبٌ على أزواجِهِنَّ أو سَخطَةٌ أو غيرُه، ولم يُؤمِنَّ فأرجِعوهُنَّ إلى أزواجِهِنَّ. وقال عِكرِمَةُ: يُقَال لها: ما جاء بِكِ إلا حُبُّ الله ورسولُه؟ وما جاء بِكِ عشقُ رجل منا، ولا فِرارٌ من زَوجِكِ؟ فذلك قوله: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾. وقال قتادةُ: كانت مِحنتُهنَّ أن يُستَحلفنَ بالله: ما أخرجَكُنَّ النشوزُ؟ وما أخرجَكُنَّ إلا حبُّ الإسلامِ وأهلِه وحِرصٌ عليه؟ فإذا قُلن ذَلِك قُبِل ذلك مِنهنَّ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: فيه دَلالةٌ على أنَّ الإيمانَ يُمكِن الاطلاعُ عليه يقيناً. وقولُه تعالىٰ: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾: هذه الآية هي التي حَرَّمتِ المسلماتِ على المُشركين، وقد كان جائزاً في ابتداءِ الإسلامِ أن يَتزوّج المشركُ المؤمنةَ.

[٦٧٥١] ولهذا كان أبو العاص بن الرَّبيع زَوجَ ابنةِ النبيِّ ﷺ زينبَ ـ رضي الله عنها ـ وقد كانت مُسلِمةً وهُو على دين قومِهِ، فلما وَقَع في الأسارى يومَ بدرٍ بعثَت امرأته زينب في فدائِهِ بقِلادَةٍ لها كانت لأمِّها خَديجة، فلما رآها رسولُ الله ﷺ رَقَّ لها رِقَّةً شَديدةً، وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تُطلِقُوا لها أسيرَها فافعَلُوا». ففعلُوا، فأطلقَه رسولُ الله ﷺ على أن يبعثَ ابنتَه إليه، فَوَفَّى له بذلك وَصَدقَه فيما وعدَه، وبعثَها إلى رسولِ الله ﷺ مع زيد بن حارثَةَ ـ رضي الله عنه ـ فأقامت بالمدينة من بعد وقعةِ بدر، وكانت سنةَ اثنتين إلى أن أسلم زوجُها أبو العاص بن الربيع سنة ثمانٍ، فَرَدَّها عليه بالنكاح الأوّلِ، ولم يُحدِث لها صَداقاً(٣).

[٦٧٥٢] كما قال الإمام أحمد: حَدَّثنا يعقوبُ، حدثنا أبي، حدثنا ابن إسحاقَ، حدثني داود بن الحُصَين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن رسولَ الله ﷺ رَدَّ ابنتَه زينبَ على أبي العاصِ، وكان إسلامها قبل إسلامه بستِّ سِنينَ على النِّكاح الأوَّلِ، ولم يُحدِث شهادَةً ولا صَداقاً(٤). ورواه أبو داودَ والترمذيُّ، وابنُ

(١) ضعيف. أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١١٤١٣. وأعله الهيثمي بعبد العزيز بن عمران، وأنه ضعيف. قلت: وهو مرسل.

(٢) أخرجه البزار ٢٢٧٢ والطبري ٣٣٩٥٧ و٣٣٩٥٨ وإسناده غير قوي لأجل قيس بن الربيع، وقال الهيثمي ١١٤١٢: وثقه شعبة والثوري، وضعفه غيرهما، ولأصله شواهد راجع الطبري ٣٣٩٥٩ و٣٣٩٦٠.

(٣) جيد. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٥٤ دون قوله «فردها. . . .» وتقدم.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٢٤٠ والترمذي ١١٤٣ وابن ماجه ٢٠٠٩، ورجاله ثقات. وفيه داود بن حصين، فهو، وإن روىٰ له الشيخان، فقد لينه أبو زرعة. وقال أبو حاتم: لولا أن مالكاً روىٰ عنه لترك حديثه، وقال علي المديني: ما رواه عن عكرمة فمنكر. وقال أبو داود: أحاديثه عن عكرمة مناكير. وقال الترمذي قبل ذكر هذا الحديث: في إسناده مقال. فالحديث =

ماجَه. ومنهم من يقول: «بعد سَنَتين»، وهو صحيحٌ، لأنَّ إسلامَه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بِسَنَتين. وقال الترمذي: «ليس بإسنادِهِ بأسٌ، ولا نعرِف وَجْهَ هذا الحديث، ولعَلّه جاء من حِفْظِ داود بن الحصين. . . وسَمِعتُ عَبْدَ بن حُمَيد يقول: سَمِعت يَزِيدَ بن هارون يذكُر، عن ابن إسحاقَ هذا الحديث.

[٦٧٥٣] وحديثُ الحجّاج ـ يعني ابن أرْطاةَ ـ عن عَمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جَدِّه: أن رسول الله ﷺ رَدَّ ابنته على أبي العاصِ بن الرَّبيع بمهرٍ جَدِيد ونِكَاحٍ جَدِيدٍ[١]. فقال يَزِيد: حَدِيثُ ابن عباس أجودُ إسناداً، والعملُ على حديثِ عَمْرو بن شعيب. قلتُ: وقد رَوَى حديثَ الحجّاج بن أرْطاةَ، عن عَمْرو بن شعيب الإمامُ أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وضَعَّفه الإمامُ أحمدُ وغيرُ واحدٍ، والله أعلم.

وأجاب الجمهورُ عن حَدِيث ابن عباس بأن ذلك كان قضيةَ عين، يحتمل أنه لم تَنْقَضِ عِدَّتُها منه، لأن الذي عليه الأكثرون أنها مَتى انقضَت العدّة ولم يسلم، انفسخَ نكاحُها منه. وقال آخرون: بل إذا انقضتِ العِدّة هي بالخيار، إن شاءت أقامت على النّكاحِ واستمرّت، وإن شاءت فَسَخته وَذَهَبت فَتَزوّجت. وحَمَلُوا عليه حديث ابنِ عباسٍ، والله أعلمُ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾، يعني: أزواجَ المهاجراتِ منَ المشركينَ، ادفعُوا إليهم الذي غَرِمُوه عَليهِنّ من الأصدِقَةِ. قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقتادةُ، والزهريُّ، وغيرُ واحدٍ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: يعني: إذا أعطيتموهن أصدِقَتهنّ فانكِحُوهنّ، أي: تَزَوّجوهُنّ بشرطِهِ، من انقضاءِ العِدّةِ والوليّ، وغير ذلك. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: تحريمٌ من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على عبادِهِ المؤمنين نِكَاحَ المشركات، والاستمرارَ مَعهُنّ.

[٦٧٥٤] وفي الصّحيح، عن الزهريّ، عن عُرْوَة، عن المِسْوَرِ ومَرْوان بن الحَكَم: أن رسولَ الله ﷺ لما عاهَدَ كُفّار قُرَيشٍ يوم الحُديبية جاء نساءٌ من المؤمنات، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾، فَطلّق عُمَر بنُ الخطاب يومئذ امرأتين، تزوّج إحداهما معاويةُ بن أبي سفيان، والأخرى صَفْوانُ بن أُمَيّة[٢].

[٦٧٥٥] وقال ابنُ ثَورٍ، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريّ: أُنزلَت هذه الآيةُ على رسولِ الله ﷺ وهو بأسفلِ الحُدَيبية، حينَ صالحهُم على أنه مَن أتاه منهُم رَدَّ إليهم، فلما جاءه النساءُ نزلت هذه الآيةُ، وأَمَره أن يَرُدَّ الصداقَ إلى أزواجهنّ، وحَكَم على المشركين مثل ذلك إذا جاءَتْهُم امرأةٌ من المسلمين أن يَرُدُّوا الصَّدَاقَ إلى أزواجِهِنّ، وقال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[٣].

= غير قوي كما ترىٰ لأنه من روايته عن عكرمة. وصححه الألباني في «الإرواء» ١٩٢١ علىٰ أنه ورد من مرسل قتادة وله شاهـد من مرسـل عكرمة، وبكل حال الجمهور علىٰ أن ذلك إن كان في العدة، وإلا فلا سبيل له عليها، وانظر «الفتح» ٩/ ٤٢١. والله تعالىٰ أجل وأعلم.

(١) أخرجه الترمذي ١١٤٢ وابن ماجه ٢٠١٠ وأحمد ٢/ ٢٠٨. وإسناده ضعيف، فيه حجاج بن أرطاة، صدوق إلا أنه اختلط، وضعفه الترمذي بقوله: في إسناده مقال، ونقل عن يزيد بن هارون ـ أحد أئمة الحديث ـ أن حديث ابن عباس ـ أي المتقدم آنفاً ـ أجود إسناداً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. والله تعالىٰ أعلم.

(٢) صحيح. هو بعض حديث أخرجه البخاري ٢٧٣١ وأبو داود ٢٧٦٥ وأحمد ٤/ ٣٢٨ وتقدم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٣٩٧٢، وهذا مرسل، ومراسيل الزهري واهية، فهو ضعيف جداً، والصواب أن الآية نزلت بعد ذلك بزمن.

وهكذا قال عبدُ الرحمن بنُ أسلَمَ، وقال: وإنما حَكَم الله بينهم بذلك، لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد. وقال محمد بن إسحاق، عن الزهريِّ: طَلَّق عُمَر يومئذٍ قريبة بنتَ أبي أُمَيَّة بنِ المُغِيرة، فتزوَّجها معاوية، وأُمَّ كُلثوم بنتَ عَمرو بن جَرْوَلٍ الخزاعية، وهي أم عُبَيدِ الله، فتزوَّجها أبو جهم بن حُذَيفة بن غانم ـ رَجُلٌ من قومه ـ وهما على شركهما. وطلق طلحةُ بن عُبَيد الله أروى بنتَ ربيعةَ بن الحارث بن عبد المطلبِّ، فتزوَّجها بعده خالدُ بن سعيد بن العاص. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾، أي: وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكُم اللاتي يَذْهبن إلى الكُفَّار، إنْ ذَهَبْنَ، وَلْيُطالِبُوا بما أنفقُوا على أزواجِهم اللاتي هاجَرْن إلى المسلمين. وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾، أي: في الصلح واستثناءِ النساءِ منه، والأمرُ بهذا كُلُّه هو حكمُ الله يحكم به بين خَلْقِه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي: عليم بما يُصلِح عِبادَه، حَكِيمٌ في ذلك. ثُمَّ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾، قال مجاهدٌ، وقتادةُ: هذا في الكُفَّار الذين ليس لهم عهدٌ، إذا فَرَّت إليهم امرأةٌ ولم يدفعُوا إلى زَوْجِها شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأةٌ لا يُدْفَعُ إلى زَوْجِها شيءٌ، حتى يدفَعَ إلى زوجِ الذاهبةِ إليهم مثلَ نَفَقتِه عليها.

وقال ابنُ جَرِير: حدثنا يونُس، حدثنا ابنُ وهب، أخبرني يونُس، عن الزهريِّ قال: أقرَّ المؤمِنُون بحُكم الله، فأدَّوا ما أُمِروا به من نَفَقاتِ المشركين التي أنفقُوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يُقِرُّوا بحكم الله فيما فَرَض عليهم من أداء نفقاتِ المسلمين، فقال الله للمؤمنين به: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾، فلو أنها ذَهبت بعد هذه الآية امرأةٌ من أزواج المؤمنين إلى المشركين رَدَّ المؤمنون إلى زَوجها النفقةَ التي أنفق عليها من العَقبِ الذي بأيديهم، الذي أُمِرُوا أن يَردُّوه على المشركين من نَفَقاتهم التي أنفقُوا على أزواجِهم اللاتي آمنَّ وهاجرنَ، ثم رَدُّوا إلى المشركين فضلاً إن كان بَقِي لهم. والعَقِب: ما كان من صَداقِ نساءِ الكُفَّار حين آمنَّ وهاجرنَ.

وقال العَوفي، عن ابن عباسٍ في هذه الآية: يعني إن لَحقتِ امرأةُ رجلٍ من المهاجرين بالكفار أمرَ له رسولُ الله ﷺ أنه يُعطى من الغنيمة مثلِ ما أنفقَ. وهكذا قال مجاهد: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: أصبتُم غنيمةً من قُرَيش أو غيرهم، ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾، يعني: مَهرَ مثلها. وهكذا قال مسروقٌ، وإبراهيم، وقتادةُ، ومقاتِلٌ، والضحاك، وسفيانُ بن حُسَين، والزهريُّ أيضاً. وهذا لا يُنافي الأوَّلَ، لأنه إن أمكن الأولُ فهو أولَى، وإلاّ فمن الغنائم اللاتي تُؤخَذ من أيدي الكُفَّار. وهذا أوسعُ. وهو اختيار ابنِ جَرِيرٍ، ولله الحمدُ والمِنَّةُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

[٦٧٥٦] قال البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيم، حدثنا ابنُ أخِي ابنِ شهابٍ، عن عَمِّه قال: أخبرني عُرْوَةُ أن عائشة زَوجِ النبيِّ ﷺ أخبرَته: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يمتحِنُ مَن هاجر إليه من المؤمِنات بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال عروةُ: قالت عائشةُ: فمن أقرَّ بهذا الشرطِ من المؤمنات قال لها رسولُ الله ﷺ: قد بايعتُك كلاماً، ولا والله ما مَسَّت يدُه

يدَ امرأةٍ قَطّ في المبايعةِ، ما يُبايِعهنَّ إلا بقوله: قد بايعتُك على ذلك[١]. هذا لفظ البخاري.

[٦٧٥٧] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبدُ الرحمن بن مَهدي، حدثنا سفيان، عن مُحمَّد بن المُنكَدِر، عن أُميمة بنت رُقَيقة قالت: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نساءٍ لِنُبَايِعَه، فأخذ علينا ما في القرآن: ألاَّ نُشرِك بالله شيئاً... الآية، وقال: فيما استَطَعتن وأَطَقْتنَ، قلنا: الله ورسوله أرحَمُ بنا من أنفُسِنا، قلنا: يا رسولَ الله! ألاَ تُصافِحنا؟ قال: «إني لا أصافحُ النساءَ، إنما قَولي لامرأةٍ واحدةٍ كقولي لمئةِ امرأةٍ»[٢]. هذا إسناد صحيحٌ، وقد رواه الترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه، من حديث سفيان بن عُيينَةَ، والنسائي أيضاً من حديث الثَّوريِّ ـ ومالك بن أنسٍ، كُلُّهم عن محمد بن المُنكَدِر، به. وقال الترمذي: «حسن صحيح، لا نعرفُه إلا من حَدِيث محمد بن المنكدر». وقد رَوَاه أحمدُ أيضاً من حديث محمد بن إسحاق، عن محمد بن المُنكَدِر، عن أُميمة، به. وزاد: «ولم يُصافِح منا امرأةً». وكذا رَوَاه ابنُ جَريرٍ من طريق مُوسَى بن عُقْبَة، عن محمد بن المُنكَدِر به، ورواه ابنُ أبي حاتم من حديث أبي جعفرٍ الرازيِّ، عن محمد بن المُنكَدِر: حدثتني أُميمَة بنت رُقَيقةَ ـ وكانت أختَ خديجة خالةَ فاطمةَ، مِن فيها إلى فيَّ، فذكره.

[٦٧٥٨] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا يعقوبُ، حدثنا أبي، عن ابنِ إسحاقَ، حدثني سَلِيطُ بن أيُّوبَ ابن الحَكَم بن سُلَيم، عن أُمِّه سَلمى بنت قَيسٍ ـ وكانت إحدى خالاتِ رسول الله ﷺ قد صَلَّت معه القِبلتَين، وكانت إحدى نساءِ بني عَدِيِّ بن النجّار قالت: جئتُ رسولَ الله ﷺ نبايعه في نِسوَةٍ من الأنصار، فلما شَرَط علينا: ألا نُشرِك بالله شيئاً، ولا نَسرِقَ، ولا نَزني، ولا نقتلَ أولادنا، ولا نَأتي بِبُهتانٍ نَفتريه بين أيدينا وأرجُلنا، وَلاَ نَعصِيه في معروفٍ. قال: «ولا تَغشُشنَ أزواجكُنّ». قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا، فقلتُ لامرأةٍ منهن: ارجِعِي فَسَلي رسول الله ﷺ : ما غِشُّ أزواجِنا؟ قال: فسألته فقال: «تأخذُ ماله، فَتُحابي به غيرَه»[٣].

[٦٧٥٩] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبدُ الرحمن بنُ عثمانَ بن إبراهيمَ بن محمد بن حاطبٍ، حدثني أبي، عن أمه عائشة بنتِ قُدَامة ـ يعني ابنَ مَظْعُونٍ ـ قالت: أنا مع أُمِّي رائطةَ بنت سفيان الخُزاعِيَّةِ، والنبيُّ ﷺ يبايعُ النِّسوةَ ويقول: «أُبايعكنَّ على أن لا تُشرِكنَ بالله شيئاً، ولا تَسرِقْنَ ولا تَزنينَ ولا تقتُلن أولادكُنَّ، ولا تأتين ببهتان تَفترينه بين أيديكُن وأرجُلِكُنّ، ولا تَعصِينَني في مَعْرُوفٍ ـ قُلن: نعم ـ فيما استطعن. فَكُنَّ يَقُلْنَ وأقولُ معهُنّ، وأُمي تقول: أي بُنَيَّةُ: نعم. فكنت أقول كما يَقُلن[٤].

[٦٧٦٠] وقال البخاريُّ: حدثنا أبو مَعْمَر، حدَّثنا عبدُ الوارث، حدثنا أيُّوبُ، عن حفصةَ بنت سِيرينَ، عن أُمِّ عطيةَ قالت: بايَعْنا رسولَ الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، ونهانا عن النِّياحَةِ، فَقَبضَتِ امرأةٌ يدها، فقالت: أسعَدتني فلانةُ أريد أن أجزِيَها. فما قال لها رسولُ الله ﷺ شيئاً، فانطلقت وَرَجعت فبايعها. وَرَواه مسلم. وفي رواية: «فما وَفى منهُنَّ امرأة غيرُها، وَغيرُ أم سُلَيم ابنةِ مِلْحَانَ»[٥].

[٦٧٦١] وللبخاريِّ عن أُمِّ عَطِيَّة قالت: أَخَذ علينا رسولُ الله ﷺ عند البيعة أن لا نَنُوح، فما وَفَت منا

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩١.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ١٥٩٧ والنسائي ٤١٠١ و٣٥٨ وفي «التفسير» ٦٠٩ وابن ماجه ٢٨٧٤ وأحمد ٦/ ٢٥٧ ومالك في «الموطأ» ٢/ ص ٩٨٢، وإسناده على شرطهما.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٣٧٩ وفيه سليط، وهو مقبول، فالإسناد لين لكن للحديث شواهد.

(٤) أخرجه أحمد ٦/ ٣٦٥ وإسناده لين، لكن له شواهد يحس بها.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٢ ومسلم ٩٣٦ ح ٣٣ والنسائي في «التفسير» ٦٠٧.

امرأة غيرُ خَمْسِ نِسْوَةٍ: أُم سُلَيم، وأم العلاء، وابنةِ أبي سَبْرَة امرأة مُعاذٍ، وامرأتان ـ أو؛ ابنةُ أبي سَبرة، وامرأةُ معاذٍ، وامرأةٌ أخرى، وقد كان رسولُ الله ﷺ يتعاهد النِّساءَ بهذه البيعةِ يومَ العيدِ(١) .

[٦٧٦٢] كما قال البخاري: حدثنا مُحمَّد بنُ عبد الرحيم، حدثنا هارونُ بن معروفٍ، حدثنا عبدُ الله ابنُ وهبٍ، أخبرني ابنُ جُرَيج: أن الحسن بنَ مُسلِم أخبَرَه، عن طاوُسٍ، عن ابنِ عباس قال: شَهِدتُ الصلاةَ يوم الفطر مع رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعُمَر وعثمان، فكلُّهم يُصَلِّيها قبلَ الخطبةِ ثم يخطُب بعدُ، فنزل نَبيُّ الله ﷺ فكأنّي أنظرُ إليه حين يُجلِّس الرجالَ بيده، ثم أقبل يَشُقُّهم حتى أتى النساءَ مع بلال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، حتى فَرَغ من الآية كلِّها. ثم قال حين فرغ: أنتُنَّ على ذلك؟ فقالتِ امرأةٌ واحدةٌ ـ لم يُجبه غيرُها ـ: نَعَم يا رسول الله! ـ لا يدري الحسن مَن هِي ـ قال: فَتصدَّقنَ. قال: وَبَسطَ بلالٌ ثوبَه فَجعلْنَ يُلقِين الفَتَخ والخواتيمَ في ثَوْبِ بِلاَلٍ(٢) .

[٦٧٦٣] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا خَلَفُ بنِ الوليد، حدثنا ابنُ عَيَّاش، عن سليمان بن سُلَيم، عن عَمْرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جَدِّه قال: جاءت أُمَيمَةُ بنتُ رُقَيقة إلى رسولِ الله ﷺ تُبايِعُه على الإسلام، فقال: «أبايِعُك على أن لا تُشركي بالله شيئاً، ولا تَسرِقي ولا تَزْني ولا تقتُلي وَلَدَكِ، ولا تأتي بِبُهتانٍ تفترِينَه بين يدَيك ورجليك، ولا تَنُوحي، ولا تَبَرَّجي تَبَرُّج الجاهلية الأولى»(٣) .

[٦٧٦٤] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا سُفيان، عن الزهريِّ، عن أبي إدريسُ الخَوْلاني، عن عُبادَة بن الصَّامِتِ قال: كُنَّا عند رسولِ الله ﷺ في مَجلِسٍ فقال: «تُبَايِعُوني على أن لا تُشرِكوا بالله شيئاً، ولا تَسرِقوا، ولا تَزْنُوا، ولا تقتلوا أولادكم ـ قرأ الآية التي أُخِذَت على النساء: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ ـ فمن وَفَى منكم فأجرُه على الله، ومَن أصاب مِن ذلك شيئاً فَعُوقِبَ به فهو كَفَّارة له. ومَن أصاب من ذلك شيئاً فَستره الله عليه فهو إلى الله، إن شاء غَفَر له، وإن شاء عَذَّبه»(٤) . أخرجاه في الصحيحين.

[٦٧٦٥] وقال محمدُ بن إسحاق، عن يَزِيدَ بنِ أبي حَبِيب، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنِيِّ، عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنَابحي، عن عُبادَةَ بن الصَّامِتِ قال: كنتُ فيمَن حَضَر العَقَبة الأولى، وكُنَّا اثني عشرَ رجُلاً، فبايَعَنا رسولُ الله ﷺ على بَيعةِ النساءِ، وذلك قبلَ أن يُفرَض الحربُ، على أن لا نُشرِكَ بالله شيئاً، ولا نَسرِقَ ولا نَزنيَ ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتيَ ببهتان نَفْتَرِيه بين أيدينا وأرجُلِنا، ولا نَعصِيَه في معروفٍ، فإن وَفَيْتُم فلكم الجَنَّة(٥) . رواه ابنُ أبي حاتم.

[٦٧٦٦] وقد روى ابنُ جرير من طَريق العَوفي، عن ابن عَبَّاس: أن رسولَ الله ﷺ أمَر عُمَر بن الخطَّاب فقال: «قل لَهنَّ: إن رسولَ الله يُبايِعُكنَّ على أن لا تُشركن بالله شيئاً» ـ وكانت هندُ بنتُ عتبةَ بن ربيعةَ التي شَقَّت بطنَ حمزةَ مُتَنَكِّرةً في النِّساءِ ـ فقالت: إني إن أتكلَّم يَعرِفْني، وإن عَرَفني قَتَلني. وإنما تَنَكَّرت فَرَقاً من رسول الله ﷺ فسكت النسوةُ اللاَّتي مع هند، وأبين أن يَتَكلَّمن. فقالت هندٌ وهي مُتَنَكِّرةٌ: كيفَ تقبلُ من

(١) صحيح. أخرجه البخاري ١٣٠٦.
(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٥. والفتخ: جمع فتخة، وهي الخاتم لا فصّ له.
(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ١٩٦ وإسناده قوي، وله شواهد.
(٤) صحيح. أخرجه البخاري ١٨ ومسلم ١٧٠٩ والترمذي ١٤٣٩ والنسائي ٤١٦١ وأحمد ٥/ ٣١٤.
(٥) رجاله ثقات لكن فيه عنعنة ابن إسحاق وشيخه يزيد، والصحيح الحديث المتقدم.

النساءِ شيئاً لم تقبله من الرجال؟ فَنظَر إليها رسولُ الله وقال لعُمَر: «قل لهنَّ: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ ـ قالت هند: والله إني لأُصيب من أبي سفيان الهَنَاتِ، ما أدري أيُحِلُّهن لي أم لا؟ قال أبو سفيان: ما أَصَبتِ من شيء مَضَى، أو قد بَقِي فهو لك حلالٌ. فَضَحِك رسول الله ﷺ وعَرَفها، فدعاها فأخذَت بيدِه فعاذت به، فقال: أنتِ هندٌ؟ قالت: عَفَا الله عما سَلَف. فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾، فقالت: يا رسولَ الله! وهل تَزني الحُرَّة؟ قال: لا، والله ما تَزني الحُرَّة. فقال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾. قالت هند: أنت قتلتَهم يومَ بدر، فأنت وهم أبصَرُ. قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، قال: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾. قال: مَنَعهن أن يَنُحنَ، وكان أهلُ الجاهلية يُمَزِّقن الثيابَ ويخدِشن الوجُوه، ويقطَعن الشُّعور، ويدعُون بالثبور والويلِ[(١)]. وهذا أثر غريب، وفي بَعضِه نكارةٌ، والله أعلم؛ فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلَما لم يكُن رسولُ الله ﷺ يُجفِهما، بل أظهرَ الصفاء والوُدَ لهما، وكذلك كان الأمرُ من جانبه ﷺ لهما.

[٦٧٦٧]وقال مقاتلُ بن حَيَّان: أُنزلت هذه الآيةُ يومَ الفتح، فبايع رسولُ الله ﷺ الرجالَ على الصفا، وعمر يُبَايع النساء تحتها عن رسول الله ﷺ. فَذَكر بَقِيَّته كما تقدَّم وزادَ: فلما قال: «ولا تَقتُلن أولادكن»، قالت هند: رَبَّيناهم صِغاراً فقتلتُموهم كباراً. فَضَحِك عُمَر بن الخطاب حتى استلقى[(٢)]. رواه ابن أبي حاتم.

[٦٧٦٨]وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا نصرُ بن علي، حدثتني غِبْطَةُ بنتُ سليمان، حدثني عمِّي، عن جدِّي، عن عائشةَ قالت: جاءت هندُ بنتُ عتبة إلى رسول الله ﷺ لِتُبايعَه، فنظرَ إلى يَدِها فقال: «اذهَبي فَغَيِّري يَدَكِ». فذهبت فَغَيَّرتها بِحنَّاءٍ، ثم جاءت فقال: «أُبايعُكِ على ألاَّ تُشركي بالله شيئاً»، فبايعها وفي يَدِها سِواران من ذَهَب، فقالت: ما تقول في هذين السِّوارين؟ فقال: «جَمْرَتان من جَمْرِ جَهَنَّم»[(٣)]. فقولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾، أي: مَن جاءكَ مِنهُنَّ يبايع على هذه الشروط فَبايعها، ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾، أي: أموالَ الناسِ الأجانِب، فأما إذا كان الزوج مُقصِّراً في نفقتها فلها أن تأكُلَ من ماله بالمعروفِ ما جَرَت به عادةُ أمثالِها، وإن كان بغير عِلمِه، عَمَلاً بحديث هند بنت عُتبَة أنها قالت:

[٦٧٦٩]«يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شَحِيحٌ لا يُعطِيني من النفقةِ ما يكفيني ويكفي بني، فهل عليَّ جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «خُذِي من مالِهِ بالمعروفِ ما يكفيك ويكفِي بنيك»[(٤)]. أخرجاه في الصحيحين.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾. وفي حديث سَمُرة[(٢)] ذكرُ عقوبةِ الزناةِ بالعذابِ الأليم في نار الجَحِيم.

[٦٧٧٠]وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الرزَّاق، أخبرنا معمَرٌ، عن الزهريِّ، عن عُرْوَة، عن عائشةَ قالت: جاءت فاطمةُ بنتُ عتبة تُبايع النبيَّ ﷺ فأخذَ عليها: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾...

---

(١) إسناده ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٤٠١٣ وفيه عطية بن سعد العوفي ضعيف الحديث، روىٰ مناكير كثيرة. وفي هذا الحديث ألفاظ غريبة، فمن ذلك «فدعاها فأخذت بيده» فهذا منكر مردود بحديثي عائشة وأميمة المتقدمين. ثم إن هنداً لم تتنكر بل كانت في طليعة النساء كما في الأحاديث الصحيحة.

(٢) هذا مرسل، فهو ضعيف.

(٣) ضعيف جداً بهذا اللفظ، غبطة بنت سليمان مجهولة، وفي الإسناد من لم يسمّ، والمتن منكر.

(٤) متفق عليه، وتقدم.

الآية، قالت: فوضعت يَدَها على رأسِها حياءً، فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة: أقِرِّي أيَّتُها المرأة، فوالله ما بايَعَنا إلا على هذا. قالت: فنعم إذاً، فبايَعَها بالآية[١].

[٦٧٧١] وقال ابنُ أبي حاتِم: حدثنا أبو سعيد الأشجُ، حدثنا ابن فُضَيل، عن حُصَين، عن عامر ـ هو الشعبي ـ قال بايعَ رسولُ الله ﷺ النساء، وعلى يده ثوبٌ قد وَضَعه على كَفِّه، ثم قال: «ولا تقتُلن أولادَكن». فقالت امرأة: تَقتُل آباءَهم وتُوصِينا بأولادهم؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاءه النساء يُبايِعنه، جَمَعهُنّ فعرَضَ عليهنّ، فإذا أقررن رَجَعْنَ[٢].

وقولُه: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يَقتُلون أولادهُم خشيةَ الإملاق، ويعم قَتْلَه وهو جَنِينٌ، كما قَد يفعلُه بعضُ الجهَلة من النساء، تطرحُ نفسها لئلا تحبل إمَّا لِغرَضٍ فاسدٍ أو ما أشبَهَه. وقولُه: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، قال ابنُ عباس: يعني لا يُلحِقنَ بأزواجهن غير أولادِهِم. وكذا قال مُقاتِلٌ.

[٦٧٧٢] ويؤيد هذا الحديثُ الذي رواه أبو داود: حدثنا أحمدُ بن صالح، حدثنا ابنُ وهب، حدثنا عَمرو ـ يعني ابنَ الحارث ـ عن ابن الهادِ، عن عبدِ الله بن يُونُسَ، عن سعيد المَقْبُري، عن أبي هُرَيرة: أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقولُ حين نَزَلت آيَة الملاعَنَةِ: «أيُما امرأة أدخَلت على قوم مَن ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يُدخِلَها الله جَنّته. وأيُما رجلٍ جَحَد وَلَده وهو ينظُر إليه احتَجَب الله منه، وفَضَحه على رُؤوس الأوَّلين والآخرين»[٣]. وقولُه: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، يعني: فيما أمرتَهُنّ به من مَعْرُوفٍ، ونَهَيْتَهُنّ عنه من منكر.

قال البخاريُّ: حدثنا عبدُ الله بن محمد، حدثنا وهبُ بن جَرير، حدثنا أبي قال: سَمِعتُ الزُّبير، عن عِكْرِمة، عن ابن عباسٍ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، قال: إنما هو شَرْطٌ شَرَطه الله للنساء. وقال مَيمُونُ بن مهرانَ: لَم يجعلِ الله لِنَبيِّه طاعةً إلاَّ لمعرُوفٍ، والمعروفُ طاعةٌ. وقال ابنُ زيدٍ: أمر الله بطاعة رسولِهِ، وهو خِيرَةُ الله من خَلْقِهِ في المعروف. وقد قال غيرُه عن ابن عباس، وأنسُ بن مالك، وسالمُ بن أبي الجَعد، وأبي صالحٍ، وغير واحدٍ: نهاهُنّ يومئذ عن النوح. وقد تقدَّم حديثُ أم عَطِيَّة في ذلك أيضاً.

[٦٧٧٣] وقالَ ابنُ جريرٍ: حدثنا بشر، حدثنا يَزِيدُ، حدثنا سَعِيدُ، عن قتادةَ في هذه الآية: ذُكِر لنا أن نبيَّ الله ﷺ أخذ عليهِنّ النِّيَاحة، ولا تُحَدِّثنَ الرجالَ إلا رجلاً منكن مَحْرَماً. فقال عبدُ الرحمن بنُ عَوفٍ: يا نبيَّ الله، إنَّ لنا أضيافاً، وإنا نَغِيبُ عن نِسَائنا. فقال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ أُولئِكَ عَنَيْتُ، ليس أولئك عَنَيْتُ»[٤].

[٦٧٧٤] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدثنا إبراهيمُ بن موسى الفَرّاء، أخبرنا ابن أبي زائدة، حَدَّثني مبارك، عن الحَسَن قال: كان فيما أخذَ النبيُّ ﷺ: «ألا يُحدِّثنَ الرجالَ إلا أن تكون ذات مَحرَمٍ، فإن الرجلَ لا يزالُ يُحدِّث المرأة حتى يُمْذِيَ بين فَخِذَيه»[٥].

[٦٧٧٥] وقال ابن جَرِير: حدثنا ابنُ حُمَيد، حدثنا هارونَ، عن عَمْرو، عن عاصم، عن ابن سِيرِينَ،

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٦/ ١٥١ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) هو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف، وفي المتن نكارة.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٢٦٣ وإسناده ضعيف لجهالة ابن يونس.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٤٠١٤ وهو مرسل.

(٥) ضعيف. وهذا مرسل، والظاهر أن عجزه مدرج من كلام الحسن، فإن النبي ﷺ لا يتكلم بمثل هذا أمام النسوة، والله أعلم أو هو موضوع.

عن أم عَطِيّة الأنصارية قالت: كان فيما اشتُرِط علينا من المعروف حين بايعنا: ألاَّ ننُوحَ، فقالت امرأة من بني فُلانٍ: إن بني فلانٍ أسعدُوني[(١)]، فلا حَتَّى أجزيَهُم! فانطلقَتْ فأسعَدَتهُم، ثم جاءت فبايَعَت، قالت: فما وفى مِنهنّ غيرها، وغيرُ أمِّ سُلَيم ابنة مِلْحانَ أمِّ أنسِ بن مالكٍ[(٢)]. وقد رَوَى البخاريُّ هذا الحديثَ من طريق حفصةَ بنتِ سِيرينَ، عن أم عطيّة نَسِيبة الأنصارية، رضي الله عنها. وقد روى نحوَه من وجهٍ آخَرَ أيضاً.

[٦٧٧٦] قال ابنُ جَرِير: حدثنا أبو كُرَيبٍ، حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا عُمر بن فَرُّوخ القَتَّاب، حدثني مُصْعَبُ بن نُوح الأنصاري قال: أدركتُ عَجُوزاً لنا كانت فيمن بايعَ رسولَ الله ﷺ قالت: فأتَيتُه لأبايِعَه، فأخذ علينا فيما أخَذَ ألاّ تَنُحنَ، فقالت عَجُوزٌ: يا نَبِيَّ الله، إن ناساً قد كانُوا أسعدُوني على مصائِبَ أصابتني، وإنَّهم قد أصابتهُم مُصِيبةٌ، فأنا أُرِيدُ أن أُسعِدَهُم. قال: «فانطلِقي فَكَافِئيهم». فانطَلَقت فكافأتهم، ثم إنها أتتهُ فبايَعته، وقال: هو المعروفُ الذي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾[(٣)].

[٦٧٧٧] وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرَّمادِيُّ، حدثنا القَعنبي، حدثنا الحجاجُ بن صَفوانَ، عن أسيد بن أبي أُسَيد البرّاد، عن امرأةٍ من المبايعات قالت: كان فيما أخَذَ علينا رسولُ الله ﷺ ألاَّ نَعصِيه في معروفٍ: ألاَّ نَخمِشَ وجهاً، ولا نَنشُرَ شَعَراً، ولا نشقَّ جيباً، وَلا ندعُو ويلاً[(٤)].

[٦٧٧٨] وقال ابنُ جريرٍ: حدثنا أبو كُرَيبٍ، حدثنا وكيعٌ، عن يَزيد مولى الصَّهباء، عن شهر بن حَوْشَبٍ، عن أم سَلَمة، عن رَسولِ الله ﷺ في قولِهِ: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾، قال: «النوحُ»[(٥)]. ورواه الترمذي في التفسير، عن عَبدِ بن حُمَيد، عن أبي نُعَيم ـ وابنُ ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبةَ، عن وكيع ـ كلاهُما عن يزيدَ بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء، به. وقال الترمذي: «حسنٌ غريبٌ».

[٦٧٧٩] وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن سِنان القَزّاز، حدثنا إسحاقُ بن إدريسَ، حدثنا إسحاق ابن عثمان أبو يعقوب، حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عَطِيّة، عن جَدَّته أم عطية قالت: لما قَدِم رسولُ الله ﷺ جَمَع نساءَ الأنصارِ في بيتٍ، ثم أرسلَ إلينا عُمَر بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقام على الباب وسلَّم علينا، فَرَدَدْنَ ـ أو: فَرَدَدْنا ـ عليه، ثم قال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكُنّ. قالت: فقُلنا: مرحباً برسولِ الله، وبرسُولِ رسولِ الله. فقال: تُبايِعْنَ على ألاَّ تُشرِكن بالله شيئاً، ولا تَسْرِقن ولا تَزْنِينَ. قالت: قُلنا: نَعم. قالت: فَمدَّ يده من خارجِ البابِ ـ أو: البيت ـ ومَدَدنا أيدينا من داخلِ البيت، ثم قال: اللهم اشهَدْ. قالت: فَأمَرنا في العيدين أن نُخرِجَ فيه الحُيَّضَ والعَوَاتق[(٦)]، ولا جُمعَةَ علينا، ونهانا عن اتِّباع الجنائِزِ. قال إسماعيل: فسألتُ جَدَّتي عن قوله: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾، قالت: النياحَة[(٧)].

[٦٧٨٠] وفي الصحيحينِ من طريق الأعمش، عن عبد الله بن مُرّة، عن مسروقٍ، عن عبد الله بن

---

(١) الإسعاد: قيام المرأة مع الأخرى في النياحة تراسلها.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري ٤٨٩٢ والطبري ٣٤٠٢٠، وتقدم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٤٠٢١ وفيه مصعب مجهول، لكن له شواهد انظر ما قبله.

(٤) إسناده ضعيف، أسيد ليس له رواية عن الصحابة كما ذكر المزي.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٠٧ والطبري ٣٤٠٢٢، وله قصة عند الترمذي، وهو حديث حسن.

(٦) جارية عاتق: أي شابة.

(٧) أخرجه الطبري ٣٤٠٢٩ وإسناده ضعيف، إسحاق بن إدريس ضعيف الحديث، وإسماعيل مجهول، والمنكر في هذا الحديث ذكر مدّ اليد، وإلا فأكثره محفوظ له شواهد، والله أعلم.

مسعُودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس منّا من ضَرَب الخُدُودَ، وشَقّ الجُيُوبَ، ودَعا بِدَعوى الجاهلية»(١).

[٦٧٨١]وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى: أنّ رسول الله ﷺبَرِيءٌ من الصالِقَةِ والحالِقَةِ والشاقة(٢).

[٦٧٨٢]وقال الحافظُ أبو يعلى: حدثنا هُدْبَةُ بنُ خالدٍ، حدثنا أبانُ بن يزيد، حدثنا يحيى بن أبي كثير: أن زيداً حدثه: أن أبا سَلّام حدثه: أن أبا مالك الأشعريّ حَدَّثه: أن رسُول الله ﷺقال: «أربعٌ في أمتي من أَمْرِ الجاهلية لا يتركُونَهُنّ: الفخرُ في الأحسابِ، والطعنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنجومِ، والنِّياحة. وقال: النائحة إذا لم تَتُب قبل مَوتِها تُقام يوم القيامةِ وعليها سربال من قَطِرانٍ، ودِرعٌ من جربٍ»(٣). ورَوَاه مسلم في صحيحه مُنفَرِداً به، من حديث أبان بن يزيد العَطّار، به.

[٦٧٨٣]وعن أبي سعيدٍ: أنّ رسولَ الله ﷺلعن النائحةَ والمستمِعَةَ(٤). رواه أبو داودَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾

ينهى تبارك وتعالى عن مُوالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نَهَى عنها في أولها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾، يعني: اليهود، والنصارى، وسائر الكُفّار، ممن غَضِب الله عليه ولعنه واستحقّ من الله الطردَ والإبعادَ، فكيف تُوالُونَهم وتتخذُونَهم أصدقَاءَ وأخلاَّءَ وقد يَئِسُوا من الآخرة، أي: من ثواب الآخرةِ ونَعِيمِها في حكم الله عزّ وجلّ. وقولُهُ تعالىٰ: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾، فيه قولان، أحدهُما: كما يَئِس الكُفّار الأحياءُ من قراباتهم الذين في القُبُور أن يجتَمِعُوا بهم بعد ذلك، لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نُشُوراً، فقد انقطعَ رجاؤُهم منهم فيما يعتقدُونه. قال العَوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾. . . إلى آخر السورة، يعني: من مات من الذين كفروا فقد يَئِس الأحياءُ من الذين كفروا أن يرجعُوا إليهم أو يبعثَهم الله عزّ وجلّ. وقال الحسنُ البصريُّ: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾، قال: الكُفّار الأحياءُ قد يَئِسوا من الأموات. وقال قتادةُ: كما يَئِس الكُفّار أن يرجِعَ إليهم أصحابُ القُبورِ الذين ماتُوا. وكذا قال الضحّاك. رواهُنّ ابنُ جريرٍ. والقولُ الثانيَ، معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القُبُور من كلّ خير. قال الأعمشُ، عن أبي الضحَى، عن مسروقٍ، عن ابنِ مسعُودٍ: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾، قال: كما يَئِس هذا الكافرُ إذا مات وعايَنَ ثوابَه واطّلع عليه. وهذا قولُ مجاهدٍ، وعكرمةَ، ومُقاتِلٍ، وابنِ زيدٍ، والكلبيِّ، ومنصُورٍ. وهو اختيارُ ابنِ جريرٍ رحمه الله.

آخرُ تفسير سورةِ المُمتحنة، ولله الحمدُ والمنةُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢١٩٧ و٢١٩٨ و٣٥١٩ ومسلم ١٠٣ وابن ماجه ١٥٨٤ وأحمد ١/ ٤٣٢ و٤٥٦ و٤٦٥ والبيهقي ٤/ ٦٣ و٦٤ والبغوي ١٥٣٣ وابن حبان ٣١٤٩.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١٢٩٦ ومسلم ١٠٤ والنسائي ٤/ ٢٠ وابن ماجه ١٥٨٦ وابن حبان ٣١٥٢. والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق ثيابها.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٩٣٤ وأبو يعلىٰ ١٥٧٧ وابن ماجه ١٥٨١ وأحمد ٥/ ٤٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٣١٢٨ وأحمد ٣/ ٦٥ والبيهقي ٤/ ٦٣ من حديث أبي سعيد، وإسناده ضعيف. محمد بن الحسن عن أبيه عن جده عطية العوفي، ثلاثتهم ضعفاء. وورد من حديث ابن عمر، أخرجه البيهقي ٤/ ٦٣ وفيه عفير بن معدان متروك الحديث. وتقدم ما يغني عن هذا الحديث.

سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

وهي مَدَنِيَّةٌ

[٦٧٨٤] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا يحيى بن آدمَ، حدثنا ابنُ المباركِ، عن الأوزاعِيِّ، عن يحيى بن أبي كَثِيرٍ، عن أبي سَلَمَة ـ وعن عطاء بن يسار، عن أبي سَلَمة ـ عن عبد الله بن سَلاَم قال: تَذَاكرنا: أيُّكم يأتي رسولَ الله ﷺ فيَسألَه: أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله؟ فلم يَقُم أحدٌ منا، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلينا رَجُلاً، فَجَمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصفِّ كلها[1]. وهكذا رواه الإمام أحمد.

[٦٧٨٥] وقال ابنُ أبي حاتمٍ: حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيد البيروتيُّ قراءةً قال: أخبرني أبي، سَمِعتُ الأوزاعيَّ، حَدَّثني يحيى بن أبي كَثِير، حدثني أبو سَلَمة بن عبدِ الرحمن، حدثني عبد الله بن سَلاَم، أنَّ أناساً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ قالوا: لو أرسلنا إلى رَسُولِ الله نَسأَلُه عن أحبِّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فلم يذهَب إليه أحدٌ منا، وَهِبْنَا أن نسأَلَه عن ذلك، قال: فدعا رسولُ الله ﷺ أولئكَ النفرَ رَجُلاً رَجُلاً حتى جَمعهم، ونزلت فيهم هذه السورةُ: ﴿سَبَّحَ﴾، الصفُّ. قال عبدُ الله بنُ سَلاَم: فَقَرأها علينا رسول الله ﷺ كُلَّها. قال أبو سَلَمة: وقرأها علينا عبد الله بن سَلاَمُ كلَّها. قال يحيى بن أبي كثير: وقرأها علينا أبو سلمة كلَّها. قال الأوزاعي: وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كُلَّها. قال أبي: وقرأها علينا الأوزاعيُّ كلَّها[2].

[٦٧٨٦] وقد رَوَاه التِّرمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارميِّ: حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعيِّ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة، عن عبد الله بن سَلاَم قال: قعدنا ـ نَفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيَّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ لَعَمِلناهُ. فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسولُ الله ﷺ. قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سَلاَم. قال يحيى: فقرأها علينا أبو سَلَمة. قال ابن كَثِير: فقرأها علينا الأوزاعيُّ. قال عبد الله: فقرأها علينا ابنُ كثيرٍ[3]. ثم قال الترمذي: وقد خُولِف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعيِّ، فروى ابنُ المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونَةَ، عن عطاءِ بن يَسَارٍ، عن عَبدِ الله بن سَلاَم ـ أو: عن أبي سَلَمة، عن عبد الله بن سَلاَم. قلت: وهكذا رَوَاه الإمام أحمد، عن يَعْمَر، عن ابن المبارك، به. قال الترمذي: ورَوَى

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٥٢ وإسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٣٥٢ والحاكم ٢/ ٦٩ ـ ٧٠ و٢/ ٧٨٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٨١٧ و«الوسيط» ٤/ ٢٩٠ والبيهقي ٩/ ١٦٠، وصححه الحاكم علىٰ شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح. أخرجه الدارمي ٢/ ٢٠٠ والترمذي ٣٣٠٩ والحاكم ٢/ ٦٩ وإسناده لا بأس به لأجل محمد بن كثير، لكن تابعه غير واحد، وصححه الحاكم علىٰ شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٦٤١: وقع لي سماع هذه السورة مسلسلاً، وإسناده صحيح، قلَّ أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوِّه.

الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي، نحو رواية محمد بن كثير. قلت: وكذا رَوَاه الوليدُ بن يزيدَ، عن الأوزاعيِّ، كما رواه ابنُ كَثِير.

[٦٧٨٧] [مسند] قلت: وقد أخبرني بهذا الحديثِ الشيخُ المُسنِد أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءةً عليه وأنا أسمعُ، أخبرنا أبو المُنَجَّا عبد الله بنُ عمَر بن اللَّتيِّ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى بن شُعَيب السِّجزيّ، قال: أخبرنا أبو الحسن عبدُ الرحمنِ بن المُظَفَّرِ بن محمد بن داود الداوُدِيُّ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حَمُّوَيه السرخَسِيّ، أخبرنا عيسى بنُ عُمَر بن عمران السمرقَنديُّ، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارميّ بجميع مُسنَدِه، أخبرنا مُحمَّد بن كَثِير، عن الأوزاعيِّ... فذكر بإسناده مثله، وتَسَلسل لنا قراءَتُها إلى شيخنا أبي العَبَّاس الحجار، ولم يقرأها لأنه كان أُمياً، وضاق الوقتُ عن تلقينها إياه. ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيُّ: أخبرنا القاضي تقي الدين سليمان بن الشيخ أبي عُمَر، أخبرنا أبو المُنَجَّا بن اللَّتِّيِّ... فذَكَره بإسنادِه، وتَسَلْسَل لي من طريقه، وقرأها عليَّ بكمالها[١]، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾

تقدم الكلام على قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ غير مَرَّةٍ، بما أغنى عن إعادته. وقولُه تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾؛ إنكارٌ على من يَعِد عِدَةً، أو يقولُ قولاً لا يَفِي به، ولهذا استدلَّ بهذه الآية الكريمة مَن ذَهَب مِن عُلماءِ السلَفِ إلى أنه يجبُ الوفاءُ بالوعدِ مُطلقاً، سواء تَرتَّب عليه غُرم للموعُود أم لا، واحتجُّوا أيضاً من السُّنَّةِ بما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال:

[٦٧٨٨] «آية المُنافق ثلاثٌ: إذا حَدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلفَ، وإذا أؤتُمنَ خان»[٢].

[٦٧٨٩] وفي الحديث الآخرِ في الصَّحِيح: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنافِقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدةٌ مِنهن كانت فيه خَصلةٌ من نفاقٍ حتى يَدَعها»[٣]. ـ فذكر منهن إخلافَ الوعد ـ. وقد استقصَينا الكلامَ على هذين الحديثَينِ في أول «شَرحِ البُخارِي»، ولله الحمدُ والمنَّةُ. ولهذا أكَّد تعالى هذا الإنكارَ عليهم بقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٦٧٩٠] وقد روى الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ، عن عبد الله بن عامر بن رَبِيعة قال: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صَبِيٌّ ـ قال: فذهبتُ أخرج لألعَبَ، فقالت أمي: يا عبدَ الله! تعالَ أُعطِكَ. فقال لها رسولُ الله ﷺ:

---

(١) حديث صحيح الإسناد كما تقدم.

(٢) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ١٧٧ وآية ٢٠٤ وفي سورة التوبة آية ٧٧.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٤ ومسلم ٥٨ وأبو داود ٤٦٨٨ والترمذي ٢٦٣٢ والنسائي ٨/١١٦ وأحمد ٢/١٨٩ و١٩٨ وابن حبان ٢٥٤.

«وما أردتِ أن تُعطيهِ؟». قالت: تمراً. فقال: «أما إنك لو لم تفعلي كُتِبت عليكِ كِذْبَة»[1]. وذَهَب الإمامُ مالكٌ ـ رحمه الله ـ إلى أنه إذا تعلق بالوعد غُرم على الموعود وجَبَ الوفاءُ به، كما لو قال لغيره: تَزوَّج ولكَ عليَّ كلَّ يوم كذا. فتزوَّجَ، وَجَب عليه أن يُعطِيه ما دام كذلك، لأنه تَعلَّق به حقُّ آدميٍّ، وهو مَبنِيٌّ على المُضَايقة. وذهب الجمهورُ إلى أنه لا يجبُ مطلقاً، وحملوا الآيةَ على أنها نزلت حين تَمَنَّوا فرضيَّة الجهادِ عليهم، فلما فُرض نَكَل عنه بعضُهم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧ ـ ٧٨]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠]. . . الآية، وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾، قال: كان ناسٌ من المؤمنين قبلَ أن يُفرَض الجهادُ يقولُون: لَوَدِدْنا أن الله ـ عزَّ وجلَّ ؛ دَلَّنا على أحبِّ الأعمال إليه، فَنَعمل به. فأخبَرَ الله نبيَّه أن أحبَّ الأعمالِ إيمانٌ به لا شكَّ فيه، وجهادُ أهلِ مَعصِيتهِ الذين خَالفُوا الإيمانَ ولم يُقِرُّوا به. فلما نزل الجهادُ كَره ذلك أُناسٌ من المؤمنين، وشَقَّ عليهم أمرُه، فقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾. وهذا اختيارُ ابنِ جَرير. وقال مقاتل بنُ حَيَّان: قال المؤمنون: لو نعلَمُ أحبَّ الأعمال إلى الله لَعمِلنا به. فدلَّهم الله على أَحَبِّ الأعمالِ إليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾، فَبَيَّن لهم، فابتلُوا يومَ أُحد بذلك. فَوَلَّوا عن النبي ﷺ مُدبِرين، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾، وقال: أَحبُّكم إليَّ مَن قاتل في سَبِيلي.

ومنهُم مَن يقولُ: أُنزِلت في شأنِ القتالِ، يقولُ الرجلُ: «قاتلتُ». ولم يقاتل. «وطَعَنْتُ». ولم يَطْعن. «ضَرَبْتُ» ولم يضرِب. «وصبرتُ». ولم يَصبِر. وقال قتادةُ، والضحَّاكُ: نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون: «قَتلنا، ضَرَبنا، طَعَنَا، وفَعَلنا». ولم يكونُوا فعلوا ذلك. وقال ابنُ زيدٍ: نَزَلت في قوم من المنافقين، كانوا يَعِدُون المسلمين النصرَ، ولا يَفُون لهم بذلك. وقال مالكٌ، عن زيدِ بن أسلَمَ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، قال: في الجهَادِ. وقال ابنُ أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إلى قوله ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾، فما بين ذلك، في نَفَرٍ من الأنصارِ، فيهم عبد الله بن رَوَاحة، قالوا في مجلسٍ: لو نعلَمُ أيَّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله، لعملنا بها حتَّى نموت. فأنزل الله هذا فيهم. فقال عبدُ الله ابن رَوَاحَةَ: لا أبرَحُ حَبِيساً في سبيل الله حتى أَمُوتَ. فَقُتِلَ شهيداً.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا فَرْوةُ بن أبي المَغْرَاءِ، حدثنا علي بن مُسهِرٍ، عن داودَ بن أبي هندٍ، عن أبي حَرْبِ بن أبي الأسود الدِّيلي، عن أبيه قال: بعثَ أبو موسى إلى قُرَّاء أهل البصرةِ، فدخل عليه منهم ثلاثمئةِ رجلٍ، كُلُّهم قد قرأ القرآنَ، فقال: أنتم قُرَّاءُ أهلِ البصرةِ وخِيارُهم. وقال: كُنَّا نقرأ سورةَ كنا نُشبِّهها بإحدى المُسَبِّحات، فأُنسِيناها، غير أني قد حَفِظت منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾. فَتُكتَب شهادةً في أعناقكم، فَتُسألون عنها يومَ القيامةِ. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) حسن. أخرجه أبو داود ٤٩٩١ وأحمد ٣/ ٤٤٧، وفي الإسناد مجهول، وله شاهد عن أبي هريرة، أخرجه أحمد ٢/ ٤٥٢، وفيه انقطاع بين الزهري وأبي هريرة، لكن يصلح شاهداً لما قبله؛ والله أعلم.

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾، فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عبادِه المؤمنين إذا اصطَفُّوا مواجهين لأعداءِ الله في حَوْمَةِ الوغى، يُقاتِلُون في سبيل الله مَن كَفَر بالله، لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا، ودينُه هو الظاهرُ العالي على سائر الأديانِ.

[٦٧٩١] قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا هُشَيم، قال مُجالِد: أُخبرنا عن أبي الوَدَّاك، عن أبي سَعيد الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ يضحَكُ الله إليهم: الرجلُ يقومُ من الليلِ، والقومُ إذا صَفُّوا للصلاةِ، والقوم إذا صَفُّوا للقتالِ»(١). ورواه ابنَ ماجَه من حديثِ مُجالدٍ، عن أبي الوَدَّاك جَبْرِ بن نَوفٍ، به.

[٦٧٩٢] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا أبو نُعَيم الفضل بن دُكَين، حدثنا الأسود ـ يعني ابنَ شيبان ـ حدَّثني يزيدُ بن عبد الله بن الشِّخِّير قال: قال مُطَرِّفٌ: كان يبلُغني عن أبي ذَرٍّ حديثٌ كنتُ أشتهي لقاءَه، فَلَقِيته فقلتُ: يا أبا ذَرٍّ، كان يبلُغني عندك حديثٌ فكنتُ أشتهي لقاءَك. فقال: لله أبوكَ! فقد لَقِيتَ، فهاتِ. فقلتُ: كان يَبلُغني عنكَ أنك تزعُم أنَّ رسولَ الله ﷺ؛ حَدَّثكم: «أن الله يُحِبُّ ثلاثةً ويُبغِضُ ثلاثةً؟ قال: أَجَل، فلا إخالُني أكذِبُ على خَليلي ﷺ. قلت: فَمَن هؤلاء الثلاثة الذين يُحبُّهم الله؟ قال: رَجُلٌ غزا في سبيل الله، خَرَج مُحتسِباً مُجاهِداً فلقي العدوَّ فقُتِل، وأنتم تَجدُونه في كتابِ الله المُنزَّلِ، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾(٢)... وذكر الحديث. هكذا أوردَ هذا الحديثَ من هذا الوجهِ بهذا السياقِ، وهذا اللفظِ، واختصره. وقد أخرجه التِّرمذيُّ والنسائيُّ من حَديثِ شُعبَة، عن منصور بن المُعتَمِر، عن رِبعيِّ بن حِراشٍ، عن زيد بن ظَبْيان، عن أبي ذَر بأبسَطَ من هذا السياق وأتم. وقد أوردناه في موضعَ آخَرَ، ولله الحمدُ.

وعن كَعْبِ الأحبار أنه قال: يقولُ الله تعالى لمحمدٍ ﷺ: «عَبدِي المتوكِّلُ المختارُ ليس بِفَظٍّ ولا غليظٍ ولا صخَّابٍ في الأسواقِ، ولا يَجزِي بالسيئةِ السيِّئة، ولكن يعفُو ويغفِرُ، مولدُه بمكّة، وهجرتُه بطابَةَ، ومُلكه بالشام، وأُمَّتُه الحمَّادُون، يحمَدُون الله على كلِّ حالٍ، وفي كلِّ منزلةٍ، لهم دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النحل في جَوِّ السماءِ بالسَّحَرِ، يُوَضُّون أطرافَهم، ويأتزرون على أنصافهم، صَفُّهم في القتال مثلُ صَفِّهم في الصلاة». ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾، رُعاةُ الشمسِ، يُصَلُّون الصلاة حيث أدركَتهم، ولو على ظهر كُناسةٍ. رواه ابنُ أبي حاتم. وقال سعيدُ بن جُبَير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾، قال: كان رسولُ الله ﷺ لا يُقاتِلُ العدوَّ إلا أن يُصافَّهم، وهذا تعليمٌ مِنَ الله للمؤمنين. قال: وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾: مُلتَصِقٌ بعضه في بعض، في الصفِّ في القتالِ. وقال مُقاتِلُ بن حَيَّان: ملتصقٌ بعضُه إلى بعضٍ وقال ابن عباس: ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾: مُثبَتٌ، لا يزولُ، ملصق بعضُه ببعضٍ. وقال قتادةُ: ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾، ألم تَرَ إلى صاحب البُنيان، كيف لا يُحبُّ أن يختلِفَ بنيانُه؟ فكذلك الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ لا يختلِف أمرُه، وإنَّ الله صَفَّ المؤمنين في قتالهم، وصَفَّهم في صلاتهم، فعليكُم بأمرِ الله، فإنه عصمةٌ لمن أخَذَ به. أورد ذلك كلَّه ابن أبي حاتم. وقال ابنُ جرير: حَدَّثني

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٠٠ وأحمد ٣/ ٨٠ وأبو يعلىٰ ١٠٠٤ والدارمي في «الرد علىٰ المريسي» ١١٦ ـ بترقيمي ـ وإسناده غير قوي لأجل مجالد بن سعيد، وسياق أحمد يدل علىٰ أنه لم يسمعه من أبي الوداك.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٦٨ والنسائي ٥/ ٨٤ وأحمد ٥/ ١٥٣ وابن حبان ٣٣٤٩ والحاكم ٢/ ١١٣ والطبراني ١٦٣٧ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وإسناد ابن أبي حاتم والطبراني علىٰ شرط مسلم.

سَعيدُ بن عَمرو السَّكوني، حدثنا بَقيَّةُ بن الوليدِ، عن أبي بكر بن أبي مَرْيَم، عن يحيى بن جابر الطائيّ، عن أبي بَحْريَّة قال: كانوا يكرَهُون القتالَ على الخيل، ويَستحِبُّون القتال على الأرض، لقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾ ـ قال: وكان أبو بَحرِيَّة يقول: إذا رأيتموني التفتُّ في الصفِّ فجؤوا في لحيي.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن عَبدِه ورسولِهِ وكَليمه موسىٰ بن عمرانَ ـ عليه السلام ـ أنه قال لقومه: ﴿لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾، أي: لِمَ توصِلون الأذى إليّ وأنتم تعلَمُون صِدْقي فيما جئتكم به من الرسالة؟! وفي هذا تسليةٌ لرسول الله ﷺ فيما أصابَه من الكُفَّار من قومِهِ وغيرهم، وأمرٌ له بالصبر.

[٦٧٩٣] ولهذا قال: «رَحْمَةُ الله على موسى، لقد أُوذِي بأكثرَ من هذا فصبر»[١]. وفيه نهيٌ للمؤمنين أن ينالُوا من النبيِّ ﷺ أو يُوصِلُوه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ۝٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾، أي: فلما عَدَلُوا عن اتِّباع الحقِّ مع عِلْمِهم به أزاغَ اللَّهُ قلوبَهم عن الهُدَى، وأسكنها الشكَّ والحيرةَ والخِذْلاَن؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾. وقولُه: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾، يعني: التوراةُ قد بَشَّرت بي، وأنا مِصداقُ ما أخبَرَت عنه، وأنا مُبَشِّرٌ بمن بعدي، وهو الرسولُ النبيُّ الأميُّ العربيُّ المكيُّ أحمدُ. فعيسى ـ عليه السلام ـ هو خاتَمُ أنبياءِ بني إسرائيل، وقد أقام في مَلأِ بني إسرائيل مُبَشِّراً بمحمد، وهو أحمد خَاتَمُ الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعدَه ولا نُبوَّة.

[٦٧٩٤] وما أحسنَ ما أورد البخاري الحديثَ الذي قال فيه: حَدَّثنا أبو اليمان، حدثنا شُعَيب، عن الزهريِّ قال: أخبرني محمد بن جُبَير بن مُطعِم، عن أبيه قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحُو الله به الكُفر، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَر الناسُ على قَدَمِي، وأنا العاقِبُ»[٢]. ورواه مسلم، من حديث الزُّهريِّ، به نحوَه.

[٦٧٩٥] وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا المسعُودِيُّ، عن عَمرو بن مُرَّة، عن أبي عُبيدة، عن أبي

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٥٣٢ و٤٨٩٦ ومسلم ٢٣٥٤ والترمذي ٢٨٤٠ وأحمد ٤/ ٨٠ و٨٤ وعبد الرزاق ١٩٦٥ وابن حبان ٦٣١٣.

مُوسَى قال: سَمَّى لنا رسول الله ﷺ نَفْسَه أسماءً، منها ما حفظنا فقال: «أنا محمدٌ، وأحمدُ، والحاشرُ، والمُقفِّي، ونَبيُّ التوبةِ، والمَلحَمَة»(١). ورواه مسلم من حديث الأعمش، عن عَمرو بن مُرَّة، به. وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]... الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١]. قال ابنُ عبَّاسٍ: ما بعَثَ الله نبياً إلا أخذَ عليه العهدَ: لئِن بُعِث محمَّدٌ وهو حَيٌّ لَيتبعنَّه، وأخذ عليه أن يأخُذَ على أمته لئن بُعِث محمد وهم أحياءٌ لَيَتَّبِعُنَّه ويَنْصُرنَّه.

[٦٧٩٦] وقال مُحمد بن إسحاقَ: حدثني ثَورُ بن يَزيد، عن خالد بن مَعْدَان، عن أصحابِ رسول الله ﷺ أنهم قالُوا: يا رسولَ الله! أَخبِرنا عن نفسك. قال: «دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشَرى عيسى، وَرَأت أُمِّي حينَ حَمَلَتْ بي كأنه خَرَج منها نورٌ أضاءت له قُصور بُصرى من أرضِ الشام»(٢). وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ. ورُوي له شواهدُ من وجوهٍ أُخَر.

[٦٧٩٧] فقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا عبد الرحمن بن مَهدِيٍّ، حدثنا معاويةُ بنُ صالحٍ، عن سعيدِ بن سُوَيدٍ الكَلبِيِّ، عن عبد الأعلى بن هلال السُلَمِيِّ، عنِ العِرْباضِ بن سَارِيَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إني عندَ الله لخاتَمُ النبيِّين وإن آدم لمنجَدِلٌ في طينته، وَسَأُنبِّئكم بأوَّل ذلك، دَعوةُ أبي إبراهيم، وبشارةُ عيسى بي، ورُؤيا أُمِّي التي رأت، وكذلك أُمَّهات النَّبِيين يَرَيْنَ»(٣).

[٦٧٩٨] وقال أحمدُ أيضاً: حدثنا أبو النَّضر، حدثنا الفرجُ بن فَضَالَةَ، حدثنا لُقمان بنُ عامرٍ قال: سَمِعتُ أبا أُمَامَةَ قال: قلتُ يا نَبِيَّ الله! ما كان بَدْءُ أمرِكَ؟ قال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبُشرى عيسى، وَرَأت أمي أنه يخرُجُ منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام»(٤).

[٦٧٩٩] وقال أحمدُ أيضاً: حدثنا حَسَن بنُ موسى: سَمِعتُ حُدَيجاً أخا زُهَير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عُتبَة، عن عبدِ الله بن مسعودٍ قال: بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى النجاشِيِّ ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً، منهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عُرْفُطَة، وعثمانُ بن مظعون، وأبو موسى، فأتوا النَجاشِيَّ، وبعثَت قُرَيشٌ عمرو بن العاص، وعُمَارة بن الوليد بهديَّةٍ، فلما دَخَلا على النَجاشِيِّ سَجَدا له، ثم ابتدراه عن يَمينه وعن شماله، ثم قالا له: إنَّ نَفَراً من بني عَمِّنا نَزَلُوا أرضَكَ، ورَغِبُوا عنا وعن مِلَّتِنا. قال: فأينَ هم؟ قالا: هم في أرضك، فابعَث إليهم. فَبَعث إليهم ـ فقال جعفرٌ: أنا خَطِيبكُم اليومَ. فاتَّبعُوه فسَلَّم ولم يسجُد، فقالوا له: مالك لا تسجُد للملك؟ قال: إنا لا نسجُد إلا لله عزَّ وجلَّ. قال: وما ذاك؟

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٥٥ وأحمد ٤/ ٣٩٥ و٤٠٤ و٤٠٧ والطيالسي ٤٣٩٢.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٢٠٧٥ والحاكم ٢/ ٦٠٠ والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٣ وإسناده جيد كما قال ابن كثير، وجهالة الصحابي لا تضر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح دون عجزه. أخرجه أحمد ٤/ ١٢٧ والطبري ٣٤٠٥٤ والحاكم ٢/ ٤١٨ وإسناده لين لأجل سعيد بن سويد، حيث وثقه ابن حبان وحده، وصحح حديثه الحاكم، وسكت الذهبي، وله شواهد دون «وكذلك...» فلم يتابع عليه، وأخرجه ابن حبان ٦٤٠٤ من هذا الوجه بدونها، وهو أصح.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ٢٦٢ والطيالسي ١١٤٠ وابن سعد ١/ ١٠٢ وإسناده لا بأس به، فرج بن فضالة حديثه مقبول عن الشاميين وهذا منها، وله شواهد.

قال: إنَّ الله بعث إلينا رسوله، فَأمرنا ألاَّ نسجدَ لأحدٍ إلا لله عَزَّ وجلَّ، وأمرنا بالصلاةِ والزكاةِ. قال عَمرو بن العاص: فإنهم يُخالِفُونك في عيسى ابن مَرْيَم. قال: ما تقولُون في عيسى ابن مَرْيم وأُمِّه؟ قال: نقول كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: هو كَلِمةُ الله وروحُه ألقاها إلى العذراءِ البَتُول، التي لم يَمَسَّها بَشَر ولم يَفْرِضْها وَلَدٌ. قال: فَرَفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشَر الحبشةِ والقِسِّيسين والرُهبانِ، والله ما يَزِيدون على الذي نقولُ فيه ما يُساوِي هذا. مَرْحباً بكُم وبمن جِئتم من عِنْدِه، أشهد أنه رسولُ الله، وأنه الذي نَجِد في الإنجيل، وأنه الذي بَشَّر به عيسى ابنُ مَرْيَم. انزلوا حيث شئتُم، والله لولا ما أنا فيه من المُلْكِ لأتيتُه حتى أكونَ أنا أحملُ نعلَيه وأوضِّئه. وأمَرَ بِهَدِيَّةِ الآخرين فرُدَّت إليهما، ثم تعجلَ عبد الله بن مسعود حتى أدرَك بدراً، وزَعَم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغَه موتُه[1]. وقد رُويت هذه القصةُ عن جعفر وأمِّ سَلَمة ـ رضي الله عنهما ـ وموضِعُ ذلك كتابُ السِّيرَةِ، والمقصِدُ أن الأنبياء ـ عليهم السَّلام ـ لم تَزَل تنعتُه وتَحكيه في كُتُبها على أُممها، وتأمُرهم باتِّباعه ونَصْرِه ومُوازَرته إذا بُعِث، وكان ما اشتهر الأمرُ في أهل الأرض على لسانِ إبراهيم الخَليل والِدِ الأنبياء بعدَه، حينَ دَعَا لأهل مكَّة أن يَبْعَثَ الله فيهم رسُولاً منهم، وكذا على لسانِ عيسى ابن مَرْيَم. ولهذا قالوا: «أخبِرْنا عن بَدْءِ أمرك». يعني في الأرض، قال: «دعوةُ أبي إبراهيم، وبِشَارةُ عيسى ابن مَرْيَمَ، ورُؤيا أُمّي التي رَأت»، أي: ظهر في أهل مكة أثرُ ذلك والإرهاصُ بِذِكْرِه صلواتُ الله وسلامُه عليه.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، قال ابنُ جُرَيج، وابنُ جَرير: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أحمدُ، أي: المُبَشَّر به في الأعصار المُتقادمة المُنوَّه بِذِكْرِهِ في القُرُون السالفة، لما ظهر أمرُه وجاء بالبينات قال الكفرةُ المخالفون: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾، أي: لا أحدَ أظلمُ ممن يَفْتَري الكَذِبَ على الله، ويجعلُ له أنداداً وشُركاء، وهو يُدعى إلى التوحيدِ والإخلاصِ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، أي: يُحاوِلُون أن يَرُدُّوا الحقَّ بالباطل، ومَثَلُهم في ذلك كَمَثَلِ من يُريد أن يُطفِىء شُعاعَ الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيلٌ كذلك ذاك مستحيلٌ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾، وقد تقدَّم الكلام على هاتين الآيتين في «سورة براءة»، بما فيه كفايةٌ، ولله الحمد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

تقدَّم في حديث عبد الله بن سَلاَم أن الصحابة أرادوا أن يسألوا عن أحبِّ الأعمال إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ليفعَلُوه، فأنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

(١) جيد. أخرجه أحمد ١/ ٤٦١ ـ ٤٦٢ وتقدم في أول سورة مريم.

﴿١٠﴾، ثم فسَّر هذه التجارة العَظيمة التي لا تَبُور، التي هي مُحَصِّلَةٌ للمقصُودِ ومُزِيلَةٌ للمحذُورِ فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾، أي: مِن تجارةِ الدنيا، والكدِّ لها والتصدِّي لها وحدَها. ثم قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أي: إن فعلتُم ما أمرتُكم به ودَلَلْتُكم عليه غَفرتُ لكم الزَّلاَّتِ، وأدخلتكُم الجَنَّاتِ، والمساكن الطَّيِّباتِ، والدرجاتِ العالياتِ. ولهذا قال: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾، أي: وَأَزيدكُم على ذلك زيادةً تُحبُّونها، وهي: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، أي: إذا قاتلتم في سَبيله ونَصرتُم دِينَه تكَفَّل اللهُ بنصركم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. وقوله تعالى: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، أي: عاجلٌ. فهذه الزيادةُ هي خيرُ الدنيا، موصولٌ بنعيم الآخرة لمن أطاعَ الله ورسولَه، ونَصَر الله ودينَه. ولهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكُونوا أنصارَ الله في جَميع أحوالهم، بأقوالِهم وأفعالِهم وأنفُسِهم وأموالهم، وأن يَستجيبُوا لله ولرسولِهِ كما استجابَ الحواريُّون لعيسىٰ حين قال: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، أي: من مُعِيني في الدعوةِ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ ـ وهم أتباعُ عيسى عليه السلام ـ: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾، أي: نحنُ أنصارُك على ما أُرسِلْتَ به ومُوَازِرُوك على ذلك. ولهذا بَعَثهم دُعاةً إلى الناس في بلادِ الشام في الإسرائيليين واليُونانيين.

[٦٨٠٠] وهكذا كان رسولُ الله ﷺ يقولُ في أيام الحج: «مَن رَجُلٌ يُؤْويني حتى أُبَلِّغ رسالة ربي، فإن قُريشاً قد مَنَعُوني أن أُبلِّغ رسالة ربي»(١)، حتى قيَّض الله ـ عزَّ وجلَّ ـ له الأوسَ والخزرجَ من أهل المدينةِ، فبايعوه ووازَرُوه، وشارَطُوه أن يمنعُوه من الأسودِ والأحمرِ إن هو هاجرَ إليهم، فلما هاجر إليهم بمن مَعَه مِن أصحابه وَفَوا له بما عاهدُوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسولُه الأنصارَ، وصار ذلك علماً عليهم، رَضِي الله عنهم وأرضاهم.

وقولُه تعالى: ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾، أي: لما بَلَّغ عيسى ابن مَرْيَم ـ عليه السلامُ ـ رسالةَ ربِّه إلى قومه، وَوَازَرَه من وَازَرَه من الحواريين، اهتدت طائفةٌ من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضَلَّت طائفةٌ فخرجَت عما جاءَهُم به، وجَحَدُوا نُبوَّته، ورَمَوه وأُمَّه بالعظائم، وهم اليهودُ ـ عليهم لعائنُ الله المتابعةُ إلى يوم القيامة ـ وغَلَت فيه طائفةٌ ممن اتَّبعه، حتى رَفَعُوه فوقَ ما أعطاه الله من النُّبوَّة، وافترقوا فِرَقاً وشِيَعاً، فَمِن قائلٍ منهم: إنه ابنُ الله، وقائل: إنه ثالثُ ثَلاثَةٍ: الأب، والابنِ، ورُوحِ القُدُسِ. وَمِن قائلٍ: إنه الله. وكُلُّ هذه الأقوالِ مُفصَّلةٌ في سورة النساء.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾، أي: نصرناهُم على مَن عاداهم من فِرق النصارى، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عليهم، وذلك بِبِعثةِ مُحمَّدٍ ﷺ. كما قال الإمام أبو جعفرِ بن جَريرٍ رحمه الله: حَدَّثني أبو

(١) تقدم تخريجه في سورة آل عمران آية ٥٢.

السائب، حدثنا أبو مُعاوية، عن الأعمش، عن المِنهال ـ يعني ابن عَمرو ـ عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عباسٍ قال: لما أراد الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن يرفعَ عيسى إلى السماء خَرَج إلى أصحابه وهُم في بيتٍ اثنا عشر رَجُلاً، من عَينٍ في البيتِ، ورأسُه يقطُر ماءً، إنَّ منكم مَن يكفر بي اثنتَي عشرةَ مرَّةً بعد أن آمن بي. قال: ثم قال: أيُّكم يُلقَى عليه شبهي فيُقتل مكاني، ويكونَ معي في دَرَجتي؟ قال: فقام شابٌّ مِن أحدثهم سناً فقال: أنا. قال: فقال له: اجلِس. ثم أعاد عليهم، فقام الشابُّ فقال: أنا. فقال له: اجلس. ثم عاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا. فقال: نعم، أنت ذاك، قال: فأُلقي عليه شَبَهُ عيسى ورُفع عيسى ـ عليه السلام ـ من رَوْزَنةٍ في البيتِ إلى السماءِ، قال: وجاء الطلَبُ من اليهود، فأخذوا شِبْهَهَ فَقَتلُوه وصَلَبُوه، وكَفَر به بعضُهم اثنتي عشرة مَرَّةً بعد أن آمن به، فتفرَّقوا ثلاثَ فِرَقٍ. قالت فرقة: كان الله فينا ما شاءَ ثم صَعِد إلى السماء. وهؤلاء اليَعْقُوبيَّة. وقالت فرقةٌ: كان فينا ابنُ الله ما شاء الله ثم رَفَعه إليه وهؤلاء النَّسطُورية. وقالت فرقة: كان فينا عبدُ الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهَرَتِ الكافرتان على المُسلِمَةِ فقتلوها، فلم يَزَل الإسلامُ طامِساً حتى بعثَ الله محمداً ﷺ ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾، يعني: الطائفةَ التي كفرت من بني إسرائيل في زَمَن عيسى، والطائفةَ التي آمنت في زَمَنِ عيسى، ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾، بإظهار مُحمدٍ ﷺ دِينهم على دين الكفار، هذا لفظُه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة. وهكذا رَواه النسائي عند تفسير هذه الآية في سُنَنه، عن أبي كُرَيب محمد بن العلاء، عن أبي معاوية، بمثله سَوَاء. فأمة مُحمّدٍ ﷺ لا يزالُون ظاهرين على الحقِّ حتى يأتي أمرُ الله وهم كَذلك، وحتى يُقَاتِلَ آخرُهم الدجالَ مع المسيحِ عيسى ابنِ مَرْيَم عليه السلامُ، كما وَرَدت بذلك الأحاديثُ الصِّحاحُ.

آخِرُ تفسيرِ سورةِ الصّفّ، ولله الحمدُ والمنّةُ

سُورَةُ الجُمُعَةِ

ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

وهي مَدَنِيَّةٌ

[٦٨٠١] عن ابن عبّاس وأبي هُرَيْرَةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقرأُ في صلاةِ الجُمُعة بسورةِ الجُمُعة والمنافقين(١). رواه مُسلمٌ في صَحِيحِهِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾

يُخبرِ تعالى أنه يُسبِّح له ما في السموات وما في الأرض، أي: مِن جَميع المخلوقاتِ ناطقِها وجامِدها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾، أي: هو مالكُ السماوات والأرض المتصرِّفُ فيهما بحُكمِه، وهو ﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾، أي: المُنزَّهُ عن النقائص، الموصوفُ بصفاتِ الكَمالِ. ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، تقدَّم تفسيره غيرَ مَرَّةٍ. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، الأُمِّيُّون هم العربُ، كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. وتَخصِيصُ الأُمِّيين بالذكرِ لا يَنفِي مَن عداهم، ولكن المنّة عليهم أبلغُ وآكدُ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وهو ذكرٌ لغيرهم يَتذكَّرون به. وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]. وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالىٰ إخباراً عن القرآن: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]، إلى غير ذلك من الآيات الدالةِ على عُموم بعثته ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ إلى جميع الخَلْق، أحمرهم وأسْودِهم. وقد قَدَّمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام، بالآيات والأحاديث الصَّحِيحَةِ، ولله الحمدُ والمنَّةُ. وهذه الآيةُ هي مصداقُ إجابةِ الله لخليله إبراهيمَ، حينَ دعا لأهل مَكّة أن يبعثَ الله فيهم رَسُولاً منهم يتلُو عليهم آياته ويُزكِّيهم ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ. فَبَعثه الله ـ سبحانه وتعالى، وله الحمدُ والمنَّةُ ـ على حين فترةٍ من الرسُلِ، وطُمُوسٍ من السبُلِ، وقد اشتدَّت الحاجةُ إليه، وقد مقَتَ الله أهلَ الأرضِ عَرَبهم وعَجَمهم؛ إلا بَقَايا من أهل

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٨٧٧ وأبو داود ١١٢٤ والترمذي ٥١٩ وابن ماجه ١١١٨ وأحمد ٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

الكتاب ـ أي: نزراً يسيراً ـ مِمّن تمسَّكَ بما بعث الله به عيسى ابن مَرْيَم ـ عليه السلام ـ ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾، وذلك أنَّ العربَ كانوا مُتمسِّكين بدين إبراهيم الخليل ـ فَبَدَّلوه وغَيَّروه، وقَلَبُوه وخالَفُوه، واستبدلُوا بالتوحيد شِركاً، وباليقينِ شَكّاً، وابتدعوا أشياءَ لم يأذن بها الله، وكذلك أهلُ الكتابَين قد بَدَّلوا كُتُبَهم وحرَّفوها وغَيَّروها وَأَوَّلوها، فبعثَ الله مُحمَّداً ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ بشرعٍ عظيم كامل شامل لجميع الخَلْقِ، فيه هدايتُهم، والبيانُ لجميعِ ما يحتاجُون إليه من أَمْرِ معاشِهم ومَعَادِهم، والدعوةُ لهم إلى ما يُقرِّبهم إلى الجنةِ، ورِضَا الله عنهم، والنهيِ عما يُقرِّبهم إلى النار وسَخَطِ الله، حاكم، فاصلٌ لجميع الشبهات والشكوك والريَب في الأصول والفروع. وجَمَع له تعالى ـ وله الحمدُ والمنَّةُ ـ جَميعَ المحاسِن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يُعطِ أحداً من الأوّلين، ولا يُعطِيه أحداً من الآخرين، فصلواتُ الله وسلامُه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾.

[٦٨٠٢] قال الإمام أبو عبد الله البُخاري، رَحِمه الله: حدَّثنا عبد العزيز بنُ عبد الله، حدثنا سُليمان ابنُ بلال، عن ثورٍ، عن أبي الغَيثِ، عن أبي هُرَيرة قال: كُنّا جُلوساً عند النبيِّ ﷺ فَأُنزِلت عليه سورة الجُمُعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، قالُوا: مَن هم يا رسولَ الله؟ فلم يراجِعْهُ حتى سألَ ثلاثاً، وفينا سَلْمان الفارسي، فوضَعَ رسولُ الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمانُ عند الثريَّا لناله رجالٌ ـ أو: رَجُلٌ ـ من هؤلاء»[١]. ورواه مُسلِمٌ، والترمذيُّ، والنسائيُّ وابنُ أبي حاتم، وابنُ جَرير، من طرق عن ثَورِ بن زيد الدِّيلي، عن سالم أبي الغَيْثِ، عن أبي هُرَيرَة، به. ففي هذا الحديثِ دليلٌ على أن هذه السورةَ مدنيةٌ، وعلى عُموم بَعثتِهِ ﷺ إلى جميع الناس، لأنه فَسَّر قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفارس، ولهذا كَتَب كُتُبَه إلى فارسٍ والروم وغيرهم من الأمم يدعُوهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وإلى اتِّباع ما جاء به. ولهذا قال مجاهدٌ وغير واحدٍ في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، قال: هم الأعاجِمُ، وكلُّ من صَدَّق النبي ﷺ من غير العَرَبِ.

[٦٨٠٣] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيمُ بن العَلاءِ الزُّبَيدِيّ، حدثنا الوليدُ بن مسلم، حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى، عن أبي حازم، عن سَهل بن سعد الساعِديّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في أصلابِ أصلابِ أصلابِ رجال من أصحابي، رجالاً ونساءً من أمتي يدخُلون الجنةَ بغير حسابٍ»، ثم قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، يعني بقية مَن بَقِي مِن أُمّة محمد ﷺ[٢]. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، أي: ذُو العِزّة والحِكمة في شَرْعِهِ وقَدَره. وقولُه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾، يعني ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوّةِ العظيمةِ، وما خَصَّ به أُمَّته مِن بَعثته ﷺ إليهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٧ و٤٨٩٨ ومسلم ٢٥٤٦/ ٢٣١ والترمذي ٣٣١٠ والنسائي في «التفسير» ٦١٢ والطبري ٣٤٠٨٦.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٣٠٩ والطبراني ٦٠٠٥ وإسناده حسن لأجل عيسى، فإنه صدوق، وجوده الهيثمي ١٨٧٠٢ ووافقه الألباني في «السنة» ٣٠٩.

دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

يقولُ تعالى ذاماً لليهودِ الذين أُعطوا التوراة وحُمِّلوها للعمل بها فلم يعمَلُوا بها، مَثَلُهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾، أي: كمثل الحمار إذا حَمَل كُتُباً لا يَدْرِي ما فيها، فهو يَحمِلها حَمْلاً حِسّياً ولا يَدْرِي ما عليه. وكذلك هؤلاء في حَملهم الكتابَ الذي أُوتوه، حَفِظوه لفظاً ولم يفهَمُوه، ولا عَمِلوا بمقتضاه، بل أوَّلوه وحَرَّفوه وبدَّلوه، فهُم أسوأُ حالاً من الحَمِير؛ لأنَّ الحمار لا فهمَ له، وهؤلاء لهم فُهومٌ لم يستعملوها، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾. وقال ها هنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[٦٨٠٤] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا ابنُ نُمير، عن مُجالِدٍ، عن الشعبيّ، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من تكلَّم يوم الجمعة والإمامُ يخطب فهو كَمَثَلِ الحمارِ يحمِلُ أسفاراً، والذي يقولُ له: أنصِتْ، ليس له جُمُعَةٌ»(١).

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾، أي: إن كنتُم تزعُمون أنكم على هُدًى وأن محمداً وأصحابَه على ضلالة، فادعُوا بالموتِ على الضالِّ من الفِئتين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تزعمونه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: بما يعمَلون لهم من الكُفرِ والظلم والفُجور، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقد قدمنا في «سورة البَقرة» الكلام على هذه المُباهَلةِ لليهود، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾. وقد أسلفنا الكلامَ هناك، وبَيَّنا أنَّ المراد أن يدعُوا على الضالِّ من أنفسِهم أو خُصومهم، كما تقدَّمت مباهلة النصارى في آلِ عمرانَ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾. ومباهلة المشركين في سورة مريم: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

[٦٨٠٥] وقد قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا إسماعيلُ بن يَزيدَ الرَّقي أبو يزيد، حدثنا فُرات، عن عبد الكريم بن مالك الجَزَرِيّ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: إنْ رأيتُ مُحمَّداً عند الكعبة لآتينَّه حتى أطأَ على عُنُقه. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «لو فَعَل لأخذَتْه الملائكةُ عِياناً، ولو أن اليهود تَمنَّوا الموتَ لماتوا ورأوا مقاعِدَهم من النار. ولو خَرَج الذين يُبَاهِلون رسولَ الله ﷺ لرجَعُوا لا يَجِدُون مالاً ولا أهلاً»(٢). رواه البخاري والترمذيُّ والنَّسائي، من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبدِ الكريم. قال

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٣٠، وإسناده ضعيف، لضعف مجالد بن سعيد. وانظر «المجمع» ٣١٢٣. والحديث صحيح بدون «كمثل الحمار يحمل أسفاراً».

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٨ والترمذي ٣٣٤٥ والنسائي ١١٦٨٥ وأحمد ١/ ٣٦٨ وأبو يعلى ٢٦٠٤.

البخاري: «وتابعه عَمرو بن خالد، عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم». ورواه النسائي أيضاً عن عبد الرحمن بن عُبَيد الله الحَلبيّ، عن عُبَيد الله بن عَمْرو الرَّقي، به أتمّ.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾. كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

[٦٨٠٦] وفي مُعجَم الطَّبَراني من حديث مُعاذ بن مُحمَّد الهُذَلي، عن يُونُس، عن الحَسَنِ، عن سَمُرَة مرفوعاً: «مَثَلُ الذي يَفِرُّ من الموتِ كَمَثَل الثَّعلبِ تطلُبه الأرضُ بِدَينٍ، فجاء يسعَى حتّى إذا أعيا وانبهرَ دَخَلَ حُجْرَهُ، فقالت له الأرض: يا ثعلب، دَيني. فخرج له حُصَاصٌ، فلم يَزَل كذلك حتى تقطَّعت عنقُه، فمات»[(١)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

إنما سُمِّيَت الجُمُعةِ جُمعةً لأنها مشتقَّةٌ من الجَمع، فإن أهلَ الإسلام يجتمِعون فيه في كلّ أُسبوع مَرَّةً بالمعابِدِ الكبارِ: وفيه كَمُل جميعُ الخلائق، فإنه اليوم السادسُ من السِّتة التي خَلَق الله فيه السماوات والأرض. وفيه خُلِق آدم، وفيه أُدخِلَ الجَنَّة، وفيه أُخرِجَ منها. وفيه تقومُ الساعةُ. وفيه ساعةٌ لا يوافِقها عبدٌ مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثَبَتت بذلك الأحاديث الصحاح.

[٦٨٠٧] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عَرَفَة، حدثنا عَبِيدَةُ بن حُمَيد، عن منصورٍ، عن أبي معشرٍ، عن إبراهيم، عن عَلْقَمة، عن قَرْثَع الضَّبِّي، حدثنا سلمانُ قال: قال أبو القاسم ﷺ: يا سَلمانُ! ما يومُ الجمعةِ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. فقال رسولُ الله ﷺ: يومٌ جُمعَ فيه أبواك، أو: أبوكم[(٢)]. وقد رُوي عن أبي هُرَيرة، من كلامه، نحو هذا، فالله أعلم.

وقد كان يُقال له في اللغة القديمة يوم العَرُوبة، وثبتَ أن الأُمم قبلنا أُمِروا به فَضلُّوا عنه، واختار اليهودُ يوم السبت الذي لم يقع فيه خَلْقٌ، واختار النصارى يومَ الأحد الذي ابتُدِىء فيه الخلْقُ، واختار الله لهذه الأمة الجُمَعة الذي أكمل الله فيه الخَليقَةَ.

[٦٨٠٨] كما أخرجه البخاريُّ ومسلم من حديث عبد الرزّاق، عن معمرٍ، عن هَمّام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدثنا أبو هُرَيْرَة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أُوتُوا الكتاب مِن قبلنا، ثم هذا يَومهُم الذي فَرَض الله عليهم فاختلفُوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تَبَعٌ، اليهودُ غداً، والنصارى بعد غَدٍ»[(٣)]. لفظ البخاري.

---

(١) تقدم تخريجه في سورة قٓ: ١٩.

(٢) إسناده ضعيف. وأخرجه أحمد ٥/٤٣٩ ـ ٤٤٠ ح ٢٣٢٠٦ و ٢٣٢١٧ من حديث سلمان. وفيه أبو معشر السندي واسمه نجيح، وهو ضعيف. وقال البخاري: منكر الحديث. وقرثع الضبي، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق. وأما الذهبي فنقل في «الميزان» ٦٨٧٧ عن ابن حبان قوله: روىٰ أحاديث يسيرة خالف فيها الأثبات، لم تظهر عدالته. وهو عندي يستحق مجانبة ما انفرد به اهـ.

(٣) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ٢٢٤.

[٦٨٠٩] وفي لفظٍ لمسلم: «أضلَّ الله عن الجُمُعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارىٰ يوم الأحد، فجاء الله بِنَا فهدانا الله ليوم الجمعة، فَجَعل الجُمُعة والسبتَ والأحدَ، وكذلك هم تَبَعٌ لنا يومَ القيامة، نحن الآخِرُون من أهل الدنيا، والأوَّلون يومَ القيامة، المقضِيُّ بينهم قبلَ الخلائِق»[١].

وقد أمَر المؤمنين بالاجتماع لعبادَتِه يوم الجُمُعةِ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، أي: اقصُدوا واعمِدُوا واهتمُّوا في مَسِيركم إليها، وليس المرادُ بالسعي ها هنا المشيَ السريع، وإنما هو الاهتمامُ بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء: ١٩]. وكان عمر بن الخطاب وابن مسعودٍ ـ رضي الله عنهما. يقرآنها: «فامضُوا إلى ذكر الله». فأما المشيُ السريعُ إلى الصلاةِ فقد نُهي عنه.

[٦٨١٠] لما أخرجاه في الصحيحين، عن أبي هُرَيْرة، عن النبيِّ ﷺ. قال: «إذا سمعتُم الإقامةَ فامشُوا إلى الصلاة وعليكُم السكينةُ والوقارُ، ولا تُسرِعوا، فما أدركتم فَصَلُّوا، وما فاتكم فَأتِمُّوا». لفظ البخاري. وعن أبي قتادةَ قال: بينما نحنُ نُصَلي مع النبيِّ ﷺ إذْ سَمِع جَلَبَةَ رجالٍ، فلما صلّى قال: ما شأنُكم؟ قالوا: استعجَلْنا إلى الصلاة. قال: «فلا تفعَلُوا، إذا أتيتُم الصلاةَ فعليكُم السكينةُ، فما أدركتُم فَصَلُّوا، وما فاتكم فأتِمُّوا»[٢]. أخرجاه.

[٦٨١١] وقال عبدُ الرزَّاق: أخبرنا مَعمر، عن الزهرِي، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أُقيمتِ الصلاةُ فلا تأتوها تسعَون، ولكن ائتوها تَمشُون، وعليكم السكينةُ، فما أدركتم فَصَلُّوا، وما فاتكم فأتِمُّوا»[٣]. رواه التِّرمِذِيُّ من حديث عبد الرزَّاق كذلك، وأخرجه من طريق يَزيد بن زُرَيع، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُرَيْرَة، بمثله. قال الحسنُ: أما والله ما هو بالسَّعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاةَ إلاَّ وعليهم السكينةُ والوقارُ، ولكن بالقُلوب والنيَّة والخُشوع. وقال قتادةُ في قوله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، يعني: أن تسعَى بِقَلْبك وعَمَلِك، وهو المشيُ إليها، وكان يتأوَّلُ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، أي: المشيَ مَعَهُ. ورُوي عن محمدِ بنِ كعْبٍ، وزيدِ بن أسلَمَ، وغيرهما، نحو ذلك.

ويُستَحَب لمن جاء إلى الجُمُعة أن يغتَسِلَ قبل مجيئه إليها.

[٦٨١٢] لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عُمَر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدُكم الجُمُعة فَلْيغتسل»[٤].

[٦٨١٣] ولهما عن أبي سعيدٍ ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «غُسلُ يومِ الجُمُعةِ واجبٌ على كلِّ مُحتَلِمٍ»[٥].

---

(١) تقدم تخريجه في سورة النحل آية ١٢٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٣٦ و٩٠٨ ومسلم ٦٠٢ وابن ماجه ٧٧٥ وأحمد ٢/ ٥٣٢ وابن حبان ٢١٤٦.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٢٧ وعبد الرزاق ٣٤٠٤ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٨٩٤ و٩١٩ ومسلم ٨٤٤ والترمذي ٤٩٢ وأحمد ٢/ ٩ و٣٧.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٨٧٩ ومسلم ٨٤٦ وأبو داود ٣٤١ والنسائي ٣/ ٩٣ ومالك ١/ ١٠٢.

[٦٨١٤]وعن أبي هُرَيرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حَقٌّ لله على كل مُسلِمٍ أن يغتسِلَ في كلِّ سبعةِ أيامٍ، يغسِلُ رأسَه وجَسَدَه»(١). رَوَاه مسلم.

[٦٨١٥]وعن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «على كلِّ رجلٍ مسلمٍ في كل سبعةِ أيام غُسْلُ يومٍ، وهو يومُ الجُمُعةِ». رواه أحمدُ، والنسائيُّ، وابن حِبّانَ(٢).

[٦٨١٦]وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدمَ، حدثنا ابنُ المبارك، عن الأوزاعيِّ، عن حَسّان ابن عطية، عن أبي الأشعثِ الصَّنْعَانيِّ، عن أوسِ بن أوسٍ الثقفيِّ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من غَسَّل واغتسل يومَ الجمعة، وبَكَّر وابتكَر، ومَشَى ولم يَرْكَب، وَدَنا من الإمام واستَمَع ولم يَلْغُ، كان له بكلِّ خطوة أجرُ سنةٍ، أجرُ صيامها وقيامِها»(٣). وهذا الحديث له طُرُق وألفاظ، وقد أخرجه أهل السنَن الأربعةِ، وحَسَّنه الترمِذيُّ.

[٦٨١٧]وعن أبي هُرَيْرَة ـ رَضِيَ الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَنِ اغتسلَ يومَ الجُمُعةِ غُسْلَ الجَنَابة، ثم راح فَكَأنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَن راح في الساعة الثانية فكأنما قَرَّب بقَرَةً، ومَن راح في الساعة الثالثة فكأنما قَرَّب كَبشاً أقْرَن، ومَن راح في الساعة الرابعة فكأنما قَرَّب دجاجَةً، ومَن راح في الساعة الخامسةِ فكأنما قَرَّب بيضةً، فإذا خَرَج الإمامُ حَضَرتِ الملائكةُ يَستمِعُون الذِّكر»(٤). أخرجاه.

ويُستَحَبُّ له أن يلبَسَ أحسنَ ثيابِه، ويَتطيَّبَ ويَتَسوَّكَ، وَيَتَنَظَّفَ وَيتطهَّرَ.

[٦٨١٨]وفي حديث أبي سعيد المتقدِّم: «غُسْلُ يومِ الجمعة واجبٌ على كلِّ محتلمٍ، والسواكُ، وأن يَمَسَّ من طِيبِ أهْلِهِ»(٥).

[٦٨١٩]وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا يعقوبُ، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن إبراهيم التيميُّ، عن عِمرانَ بن أبي يحيى، عن عبد الله بن كَعبِ بن مالك، عن أبي أيُّوب الأنصاريِّ، سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من اغتسل يومَ الجُمُعة ومَسَّ من طيبِ أهلِه إن كان عندَه ولبِس من أحسنِ ثيابِه، ثم خَرج حتى يأتيَ المسجدَ فيركع إن بدا له، ولم يُؤذِ أحداً، ثم أنصتَ إذا خَرَجَ إمامُه حتى يُصَلِّي، كانت كَفارةً لما بينها وبين الجمعة الأخرىٰ»(٦).

[٦٨٢٠]وفي سنن أبي داود وابن ماجه، عن عبد الله بن سَلاَم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «ما على أحَدِكم لو اشتَرَىٰ ثَوْبَين ليوم الجُمُعةِ سِوىٰ ثَوْبَي مِهْنَتِه»(٧).

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٨٩٧ ومسلم ٨٤٩ وعبد الرزاق ٢٩٧ والبيهقي في «السنن» ٣/ ١٨٨.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي ٣/٩٣ وأحمد ٣/ ٣٠٤ وابن أبي شيبة ١/ ٩٥ وابن حبان ١٢١٩.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٤٥ والترمذي ٤٩٦ وابن ماجه ١٠٨٧ والنسائي ٣/ ٩٥ ـ ٩٦ وأحمد ٤/ ١٠٤ والبغوي ١٠٦٥ والحاكم ١/ ٢٨٢ وابن حبان ٢٧٨١.

(٤) صحيح. أخرجه أبو البخاري ٨٨١ ومسلم ٨٥٠ ح ١٠ وأبو داود ٣٥١ والترمذي ٤٩٩ والنسائي ٣/ ٩٩ وأحمد ٢/ ٤٦٠ والبغوي ١٠٦٣ وابن حبان ٢٧٧٥.

(٥) تقدم في الحديث رقم ٦٨١٣.

(٦) حسن. أخرجه أحمد ٥/ ٤٢٠ ورجاله ثقات، سوىٰ عمران وثقه ابن حبان وحده، لكن للحديث شواهد.

(٧) صحيح. أخرجه أبو داود ١٠٧٨ وابن ماجه ١٠٩٥. وأخرجه ابن ماجه ١٠٩٦ عن عائشة.

[٦٨٢١] وعن عائشة أن رسُولَ الله ﷺ خَطب الناس يومَ الجُمُعة، فَرأى عليهم ثياب النِّمار[١]، فقال: «ما على أحَدِكم إن وَجَد سَعَة أن يَتَّخِذ ثوبَين لِجُمُعته سِوَى ثَوْبَي مِهْنَتِه»[٢]. رواه ابن ماجه.

وقولُه تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾، المرادُ بهذا النداءِ هو النِّداءُ الثاني الذي كان يُفعَل بين يَدَي رسول الله ﷺ إذا خَرَج فجلس على المِنبر، فإنه كان حينئذٍ يُؤذَّن بين يَدَيه، فهذا هو المرادُ، فأمّا النداءُ الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمانُ بن عفّان ـ رضي الله عنه ـ فإنما كان هذا لكثرةِ الناسِ.

[٦٨٢٢] كما رواه البخاري ـ رحِمَه الله ـ حيث قال: حدَّثنا آدم ـ هو ابن أبي إياس ـ حَدَّثنا ابنُ أبي ذِئْب، عن الزهريِّ، عن السائب بن يزيدَ قال: «كان النداءُ يومَ الجمعة أولُه إذا جَلَس الإمامُ على المنبر على عهدِ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعُمَر، فلما كان عُثمان بعد زَمَنٍ، وكَثُر الناس، زَاد النداءَ الثاني على الزورَاءِ»[٣]. يعني: يُؤذَّن به على الدار التي تُسمَّى بالزوراء، وكانت أرفع دارٍ بالمدينة، بِقُربِ المسجدِ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا محمد بن راشد المَكْحولي، عن مَكحُولٍ: أن النداءَ كان في الجُمُعة مُؤذِّن واحدٌ حين يخرج الإمام، ثم تُقام الصلاة، وذلك النداءُ الذي يحرُم عندَه الشراء والبيعُ إذا نُودِي به، فَأمر عثمانُ ـ رَضِي الله عنه ـ أن يُنادَى قبلَ خُرُوجِ الإمام حتى يجتمِعَ الناسُ[٤]. وإنما يُؤمَرُ بحضور الجُمُعة الرجالُ الأحرارُ دونَ النساءِ والعَبِيد والصِّبيان، ويُعذَر المسافرُ والمَرِيضُ وقَيِّمُ المَريضِ، وما أشبه ذلك من الأعذارِ، كما هو مُقرَّر في كُتُب الفُروع.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾، أي: اسعَوا إلى ذكر الله واتركُوا البيعَ إذا نُودِي للصلاةِ. ولهذا اتفقَ العُلماء على تحريم البيعِ بعد النداءِ الثاني. واختلفوا: هل يَصِحُّ إذا تعاطاه مُتَعاطٍ أم لا؟ على قولين، وظاهرُ الآيةِ عدمُ الصحةِ كما هو مُقرَّر في مَوضِعِه، والله أعلم. وقولُه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: تركُكم البيعَ وإقبالُكم إلى ذِكرِ الله وإلى الصلاةِ خيرٌ لكم، أي: في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون.

وقولُه تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾، أي: فُرغ منها، ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، لَمّا حَجَر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهُم بالاجتماع أذِن لهم بعد الفراغ في الانتشارِ في الأرض والابتغاءِ من فَضلِ الله. كان عِراكُ بن مالك[٥] إذا صَلَّى الجُمُعة انصرفَ فوقفَ على بابِ المسجدِ، فقال: اللهُمَّ، أجبتُ دَعْوَتَك، وصلَّيتُ فَرِيضَتك، وانتشرتُ كما أمرتَني، فارزُقني من فضلك، وأنت خيرُ الرازقين. رواه ابن أبي حاتم. ورُوِي أيضاً عن بعض السلف أنه قال: مَن باع واشترى في يوم الجُمُعة بعد الصلاة، بَارك الله له سبعينَ مَرّةً، لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾. وقولُه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي: في حال بَيعكم وشرائكم، وأخذِكُم وَعَطائِكم، اذكُروا الله ذِكراً كثيراً، ولا تشغلكُم الدنيا عن الذي يَنفعُكم في الدار الآخرة.

[٦٨٢٣] ولهذا جاء في الحديث: «مَن دَخل سُوقاً من الأسواقِ فقال: «لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ

(١) النمار: بردة من صوف تلبسها الأعراب.

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٧٨ و١٠٧٩ وابن ماجه ١٠٩٦ وهو حديث حسن، انظر «صحيح أبي داود» ٩٥٣.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٩١٢.

(٤) إلى هنا كلام مكحول الدمشقي أحد التابعين.

(٥) في عداد التابعين.

له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. كَتَب الله له ألفَ ألفِ حسنة، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيئة»[١]. وقال مجاهدٌ: لا يكون العبدُ من الذاكرين الله كثيراً حتى يَذكُر الله قائماً وقاعداً ومُضطَجِعاً.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

يُعاتِب تبارَكَ وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخُطبة يوم الجُمُعة إلى التِّجارةِ التي قَدِمت المدينة يومئذٍ، فقال تعالى؛ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، أي: على المنبر تخطبُ. هكذا ذكره غيرُ واحدٍ من التابعين، منهم؛ أبو العاليةِ، والحسنُ، وزيدُ بن أسلَمَ، وقتادةُ. وزَعَم مُقاتِل ابن حَيَّان: أن التجارةَ كانت لدحيةَ بنِ خليفةَ قبل أن يُسلِمَ، وكان معها طبلٌ، فانصرفُوا إليها وتركُوا رسولَ الله ﷺ قائماً على المنبرِ إلاّ القليلَ منهم[٢]. وقد صَحّ بذلك الخبرُ.

[٦٨٢٤] فقال الإمام أحمد: حدَّثنا ابنُ إدريس، عن حُصَين، عن سَالم بن أبي الجَعدِ، عن جابرٍ قال: قَدِمتْ عِيرٌ المدينةَ، ورسولُ الله ﷺ يخطُب، فخرج الناسُ وبَقِي اثنا عَشَر رَجُلاً، فَنَزَلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا﴾[٣]. أخرجاه في الصحيحين، من حديث سالمٍ، به.

[٦٨٢٥] وقال الحافظُ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هُشَيم، عن حُصَين، عن سَالم بن أبي الجَعْدِ وأبي سُفيانَ، عن جابر بن عبد الله قال: بينا النبيُّ ﷺ يخطُب يومَ الجُمُعة، فَقَدِمت عِيرٌ إلى المدينة، فابتدرها أصحابُ رسول الله ﷺ حتى لم يبق معَ رسولِ الله ﷺ إلا اثنا عشرَ رجلاً، فقال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيدِه، لو تَتابعتُم حتى لم يبقَ منكم أحدٌ لسالَ بكم الوادي ناراً»، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، وقال: كان في الاثني عَشَر الذين ثَبَتُوا مع رسولِ الله ﷺ: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما[٤].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ دليلٌ على أن الإمامَ يخطُب يومَ الجُمُعةِ قائماً.

[٦٨٢٦] وقد رَوَى مسلمٌ في صحيحه عن جابرِ بن سَمُرَةَ قال: كانت للنبيِّ ﷺ خُطبتان يجلِسُ بينهما، يَقرَأُ القرآنَ ويُذكِّر الناسَ[٥]. لكن ها هنا شيءٌ ينبغِي أن يُعلَم وهو: أن هذه القصةَ قد قِيل: إنها كانت لمّا كان رسولُ الله ﷺ يُقدِّم الصلاةَ يوم الجُمُعة على الخُطبةِ.

[٦٨٢٧] كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل. حدثنا محمودُ بن خالدٍ، عن الوليدِ، أخبرني أبو مُعَاذ بُكَير بنُ مَعْرُوفٍ، أنه سَمِع مُقَاتل بن حَيَّان قال: «كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي يومَ الجُمُعةِ قبل الخُطبةِ مثلَ العيدين، حتى إذا كان يومٌ والنبيُّ ﷺ يخطُب، وقد صَلّى الجُمُعة، فدخل رجلٌ فقال: إن دحيةَ بنَ خليفةَ قد

---

(١) إسناده ضعيف. وقد تقدم الكلام عليه، ووهم من قواه.

(٢) سيأتي بسياق آخر.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٩٣٦ و٢٠٥٨ و٤٨٩٩ ومسلم ٨٦٣ ح ٣٦ و٣٧ و٣٨ والترمذي ٣٣١١ والنسائي في «التفسير» ٦١٣ وأحمد ٣/ ٣١٣.

(٤) اللفظ المرفوع ضعيف جداً. أخرجه أبو يعلىٰ ١٩٧٩ وفيه زكريا بن يحيىٰ الكسائي، وهو متروك متهم، وتفرد بلفظ «والذي.... ناراً» فهذا ضعيف جداً، وباقي المتن محفوظ بشواهده.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٨٦٢ ح ٣٤.

قَدِم بتجارة»[١]. يعني: فانفضُّوا، ولم يبق معه إلا نفرٌ يسيرٌ. وقولُه تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: الذي عند الله مِنَ الثواب في الدار الآخرة ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، أي: لمن تَوكَّل عليه، وطلب الرزقَ في وقتِه.

آخر تفسير سورة الجُمُعة، ولله الحمدُ والمنَّةُ، وبه التوفيق والعصمة

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» ٥٩ وهو مرسل، ومع إرساله مقاتل ضعفه غير واحد، إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله. وورد من مرسل مُرّة، أخرجه ابن بشكوال في «الأسماء المبهمة» ٨٥٢ وهو حسن.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

وهي مَدَنِيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

يقولُ تعالى مُخبِراً عن المنافقين أنّهم يتفوّهُون بالإسلام إذا جاؤوا النبيَّ ﷺ فأمّا في باطن الأمر فليُسوا كذلك، بل على الضِدِّ من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، أي: إذا حَضَرُوا عندك واجهُوك بذلك، وأظهرُوا لك ذلك، وليسوا كما يقولون. ولهذا اعترض بجملةٍ مخبرةٍ أنه رسولُ الله، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، أي: فيما أخبرُوا به، وإن كان مطابقاً للخارج، لأنهم لم يكُونوا يَعتقِدون صِحّة ما يقولُون ولا صِدقَه، ولهذا كذّبهم بالنِّسبة إلى اعتقادهم. وقولُه تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: اتّقُوا النّاسَ بالأيمان الكاذبة والحَلَفاتِ الآثمة، لِيُصَدَّقُوا فيما يقولون. فاغترَّ بهم مَن لا يعرف جَليّة أمرِهم، فاعتقدوهم مُسلِمين، فرُبّما اقتدى بهم فيما يفعلُون، وصَدَّقهم فيما يقولون، وهم من شأنِهم أنهم كانُوا في الباطِن لا يألُون الإسلامَ وأهله خَبالاً، فَحَصل بهذا القدرِ ضررٌ كبيرٌ على كثير من الناس. ولهذا قال تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ولهذا كان الضحّاك بن مُزاحم يقرؤها: اتخذُوا إيمانَهم جُنّةً، أي: تَصديقهم الظاهرَ جُنّة، أي: تَقيّة يتّقون به القتلَ. والجمهور يقرؤها: ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ جمع يَمين. وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾، أي: إنّما قُدِّر عليهم النفاقُ لِرجُوعهم عن الإيمان إلى الكُفران، واستبدالهم الضلالة بالهُدى ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، أي: فلا يَصِل إلى قُلوبهم هُدَى، ولا يخلُص إليها خَير، فلا تَعِي ولا تَهتَدِي. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾، أي: وكانوا أشكالاً حسنةً وذَوِي فَصاحةٍ وألسِنةٍ، إذا سَمِعهم السامعُ يُصغِي إلى قَولِهم لبلاغَتِهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخَوَر والهَلَع والجَزَع والجُبن، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، أي: كُلّما وَقَع أمرٌ أو كائنةٌ أو خوفٌ يعتقِدُون لِجُبنهم أنه نازلٌ بهم، كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ

أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩]، فهم جَهَامات وصُوَر بلا مَعَانٍ. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، أي: كيفَ يُصرَفُون عن الهُدى إلى الضَّلالِ؟!

[٦٨٢٨] وقد قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا يَزيد، حدثنا عبد الملك بن قُدامة الجُمَحِيُّ، عن إسحاق بن بكر بن أبي الفُرَاتِ، عن سعيد بن أبي سَعِيد المَقْبُرِيِّ، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَة عن النبيِّ ﷺ قال: «إن للمنافقين علاماتٍ يُعرَفون بها: تَحيّتُهم لعنةٌ، وطعامهُم نُهبَةٌ، وغَنِيمتهم غُلولٌ، ولا يَقربون المساجِدَ إلا هَجْراً، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْراً، مُستكبرين لا يَألَفون ولا يُؤلَفون، خُشُبٌ بالليل، صُخُب بالنهار». وقال يَزيدُ مَرَّة: سُخُبٌ بالنهار[(١)].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن المنافقين ـ عليهم لعائن الله ـ أنّهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: صَدُّوا وأعرَضُوا عما قيل لهم، استكباراً عن ذلك، واحتقاراً لما قيل لهم. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾. ثم جازاهم على ذلك فقال تعالىٰ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾. كما قال في سورة «براءة»، وقد تقدَّم الكلامُ على ذلك، وإيرادُ الأحاديثِ المرويّة هنالك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ أبي عُمَر العَدَنِيُّ قال: قال سفيان: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾، قال ابنُ أبي عُمَر: حَوَّلَ سفيانُ وجهَه على يَمينه، ونظر بعينه شَزْراً، ثم قال: هُوَ هذا. وقد ذكر غيرُ واحد من السلف أن هذا السياق كُله نزل في عبد الله بن أُبَيّ ابنِ سَلُولَ، كما سَنُورِدُه قريباً إن شاء الله تعالى، وبه الثقةُ وعليه التكلانُ.

[٦٨٢٩] وقد قال محمدُ بن إسحاقَ في السِّيرة: «ولما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة ـ يعني مَرْجِعه من أُحُدٍ ـ وكان عبدُ الله بن أبيّ ابن سَلُولَ ـ كما حَدَّثني ابنُ شهابِ الزهريُّ ـ له مقامٌ يَقُومُه كل جُمُعَةٍ لا يُنكَرُ، شَرَفاً له من نَفْسِه ومن قَوْمِه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلسَ النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطُب الناسَ قام، فقال: أيها الناسُ، هذا رسولُ الله ﷺ بين أظهُركم، أكرمُكم الله به، وأعزَّكم به، فانصُروه وعَزِّروه، واسمَعُوا له وأطِيعوا. ثم يجلس، حتى إذا صَنَع يومَ أُحُدٍ ما صَنَع ـ يَعني مَرْجِعَه بثُلُثِ الجَيْشِ ـ وَرَجع الناسُ، قام يفعَلُ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٣ والبزار ٨٥ من حديث أبي هريرة. قال الهيثمي في «المجمع» ١/ ٤١١: فيه عبد الملك ابن قدامة الجمحي، وثقه يحيى وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره اهـ وقال الشيخ أحمد شاكر في المسند ٧٩١٣: إسناده حسن! وفيه نظر. فإن مداره علىٰ عبد الملك بن قدامة. وقد جزم الحافظ في «التقريب» بأنه ضعيف، ثم إن للحديث علة أخرىٰ: فيه إسحاق بن بكر بن أبي الفرات. قال الحافظ في «التقريب» مجهول. فالحديث ضعيف كما ترىٰ. والله الموفق.

ذلك كما كان يفعلُه، فأخذ المسلمون بثيابِهِ من نَواحِيه وقالوا: اجلس، أي عَدُوّ الله، لستِ لذلكَ بأهلٍ، وقد صنعتَ ما صنعتَ. فخرج يَتَخطَّى رقابَ الناسِ وهو يقولُ: والله لكأنما قلت بُجْراً؛ أن قُمتُ أُشَدِّد أمرَه! فلقيه رجالٌ من الأنصار بباب المسجد فقالوا: وَيلَك! مالك؟ قال: قُمتُ أُشَدِّدُ أمرَه، فوثب عليَّ رجالٌ من أصحابه يَجذِبُونَني ويُعَنِّفُونَني، لكأنما قلت بُجْراً، أن قمتُ أُشَدِّد أمره. قالوا: وَيلَك! ارجِعْ يَستغفِر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أبتغِي أن يَستغفِر لي[١].

[٦٨٣٠] وقال قتادةُ والسدِّي: أنزلت هذه الآية في عبدِ الله بن أُبَيّ، وذلك أن غُلاماً من قَرابته انطلَق إلى رسولِ الله ﷺ فحدَّثه بحديثٍ عنه وأمر شديدٍ، فَدَعاه رسولُ الله ﷺ فإذا هو يحلُف بالله ويتَبرّأ من ذلك، وأقبلتِ الأنصارُ على ذلك الغلام فلامُوه وعَذَلوه، وأنزل الله فيه ما تَسمَعُون، وقِيل لعدو الله: لو أتيتَ رسولَ الله ﷺ؟ فَجعَل يُلَوِّي رأسَه، أي: لستُ فاعلاً[٢].

[٦٨٣١] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حَدَثنا أبو الربيع الزهْرَاني، حدثنا حَمّاد بن زيدٍ، حدثنا أيّوب، عن سعيد بن جُبَير: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا نَزل مَنزِلاً لم يَرْتَحِل حتى يُصَلِّي فيه، فلما كانت غزوةُ تَبوك بَلَغه أن عبدَ الله بن أُبيّ ابن سَلُولَ قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾. فارتحل قبل أن يَنزِل آخر النهار، وقيلَ لعبد الله بن أُبَيّ: أئت النبيَّ ﷺ حتى يستغفِرَ لك. فأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾[٣]. وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جُبَير. وقوله: إن ذلك كان في غزوة تَبوك، فيه نَظَرٌ، بل ليس بجيِّدٍ؛ فإنّ عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُولَ لم يكن ممن خَرَج في غزوة تَبوكَ، بل رَجَع بطائفةٍ من الجيش. وإنما المشهورُ عند أصحابِ المغازِي والسير أن ذلك كان في غزوة المُرَيْسيع، وهي غَزوةُ بني المُصطَلِق.

[٦٨٣٢] قال يُونُس بن بُكَير، عن ابن إسحاقَ: حدثني محمد بن يَحيى بن حَبّان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عُمَر بن قَتَادَة، في قِصَّةِ بني المُصطَلِق: «فَبينا رسولُ الله ﷺ مقيمٌ هناك، اقتَتَل على الماءِ جِهجاه بنُ سعيدِ الغِفاري ـ وكان أجيراً لعُمَر بن الخطاب ـ وسِنانُ بنُ وَبَرٍ، قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن يحيى بن حَبّان قال: ازدَحَما على الماء فاقتتلا، فقال سِنانٌ: يا معشرَ الأنصار! وقال الجَهْجَاه: يا معشرَ المهاجَرين! ـ وزيدُ بن أرقَمَ ونَفَرٌ من الأنصار عند عبد الله بن أُبَيٍّ ـ فلما سَمِعها قال: قد ثاوَرُونا في بلادنا. والله ما مثلُنا وجلابيبَ قُرَيش هذه إلا كما قال القائل: «سَمِّن كَلْبَكَ يأكُلْكَ». والله لَئِن رَجَعنا إلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ. ثم أقبل على مَن عنده مِن قومه وقال: هذا ما صَنعتُم بأنفُسِكم، أحْلَلتُموهم بلادَكم، وقاسمْتُموهم أموالَكم، أما والله لو كَفَفتُم عنهم لتحوَّلوا عنكم من بلادكم إلى غيرها. فسمعها زيدُ بن أرقَمَ، فذهب بها إلى رسولِ الله ﷺ وهو غُلَيِّمٌ ـ وعنده عُمَر بن الخطاب، فأخبره الخبر، فقال عمر: يا رسولَ الله! مُر عَبّاد بن بِشرٍ فَلْيضرِبْ عُنُقَه. فقال ﷺ: «فكيفَ إذا تحدَّثَ النَّاسُ ـ يا عُمَر ـ أن محمداً يقتُل أصحابه؟ لا، ولكن ناد يا عُمَر في الرَّحِيل». فلما بلغ عبدَ الله بن أُبَيّ أن ذلك قد بَلَغ رسولَ الله ﷺ، أتاه فاعتذَر إليه، وحَلَف بالله ما قال ما قال عليه زيدُ بنُ أرقَمَ ـ وكان عند قومه بمكانٍ ـ فقالوا: يا رسولَ الله! عَسَى أن يكونَ هذا الغلامُ أوهَم ولم يُثبِتْ ما قال الرجل.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٦٩ والمغازي من تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٢٧، وسيرة ابن كثير: ٣/ ١٠٣. وهو حديث مرسل.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤١٦٠ عن قتادة مرسلاً، وورد من مرسل مجاهد والحسن أخرجه الطبري ٣٤١٦١ لكن دون ذكر الغلام.

(٣) هو مرسل.

وراح رسول الله ﷺ مُهَجِّراً في ساعةٍ كان لا يَرُوح فيها، فَلَقِيه أُسَيد بن الحضير فَسلَّم عليه بتحيَّةِ النبوة، ثم قال: والله لقد رُحتَ في ساعةٍ مُنْكَرةٍ ما كنتَ تَرُوح فيها. فقال رسول الله ﷺ: أما بَلَغك ما قال صاحبُك ابن أُبَيٍّ؟! زَعَم أنه إذا قَدِم المدينةَ أنه سَيُخرج الأعزُّ منها الأذلَّ. قال: فأنتَ يا رسولَ الله العزيزُ وهو الذليلُ. ثم قال: يا رسولَ الله! ارفُق به، فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخَرَزَ لِنُتَوِّجَه، فإنه لَيَرى أن قداستلبته مُلكاً. فسار رسولُ الله ﷺ بالنَّاس حتى أمسَوا، وليلَتَه حتى أصبَحُوا، وصَدر يومَه حتى اشتدَّ الضحَاءُ. ثم نَزَل بالناس لِيَشغَلهم عما كان من الحديثِ، فلم يأمنِ الناسُ أن وَجَدوا مَسَّ الأرض فناموا، ونزلت سورةُ المنافقين[1].

[٦٨٣٣] وقال الحافظُ أبو بكر البَيْهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاقَ، أخبرنا بشرُ بن موسى، حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سُفيان، حدثنا عَمرو بن دينار، سَمِعتُ جابرَ بن عبد الله يقولُ: كُنّا مع رسولِ الله ﷺ في غَزَاة فَكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رَجُلاً من الأنصار. فقال الأنصاريُّ: يا للأنصارِ! وقال المُهاجري: يا للمُهاجِرين! فقال النبيُّ ﷺ: «ما بالُ دعوى الجاهلية؟! دَعُوها فإنها مُنتِنة!» وقال عبد الله بن أبي ابن سَلُولَ: وقد فعلوها؟! والله لئن رَجَعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. قال جابر: وكانت الأنصارُ بالمدينة أكثرَ من المهاجرين حين قَدِم رسولُ الله ﷺ ثم كثر المهاجِرُون بعد ذلك، فقال عمر: دعني أضرِبْ عُنُق هذا المنافق. فقال النبيُّ ﷺ: «دَعه؛ لا يتحدَّثُ الناسُ: أن مُحَمَّداً يقتلُ أصحابَه»[2]. وَرَواه الإمام أحمدُ عن حُسَين بن محمد المَرْوزيِّ، عن سُفيان بن عُيَيْنَة. ورواه البخاري عن الحميدي، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره، عن سفيان، به نحوه.

[٦٨٣٤] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا محمد بنُ جعفَر، حدثنا شعبةُ، عن الحَكَم، عن محمد بن كَعب القُرَظي، عن زيد بن أرْقَم قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوك، فقال عبد الله بن أُبَيّ: لئن رَجَعنا إلى المدينة لَيُخرِجن الأعزُّ منها الأذلَّ. قال: فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه، قال: فَحَلف عبدُ الله ابن أُبَيّ أنه لم يكُن شيءٌ من ذَلِك. قال: فلامني قَومي وقالُوا: ما أردتَ إلى هذا؟ فانطلقتُ فَنِمتُ كئيباً حَزيناً، قال: فأرسلَ إليّ نبيُّ الله ﷺ فقال: إن الله قد أنزل عُذْرَك وصَدَّقك. قال: فَنَزلت هذه الآيةُ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾، حتى بَلَغ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[3]. ورواه البخاريُّ عندَ هذه الآيةِ، عن آدَم بن أبي إياسٍ، عن شُعبَةَ، ثم قال: «وقال ابنُ أبي زائِدَة، عن الأعمشِ، عن عَمْرو، عن ابن أبي لَيلى، عن زَيدٍ، عن النبيِّ ﷺ. ورواه الترمِذيُّ والنَّسائيُّ عندها أيضاً من حديث شعبة، به.

[٦٨٣٥] طريقٌ أخرى عن زيدٍ: قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا يحيى بنُ آدَم، ويحيى بن أبي بُكَير قالا: حدثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاق قال: سَمِعتُ زيدَ بن أرْقَم ـ وقال ابن أبي بُكَير: عن زيد بن أرقَمَ ـ قال: خرجتُ مع عَمِّي في غَزَاةٍ، فسمعتُ عبد الله بن أُبَيّ يقول لأصحابه: لا تُنفِقُوا على مَن عندَ رسول الله، ولَئِن رَجَعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذل. فذكرتُ ذلك لعمِّي، فذكره عَمِّي لرسول الله ﷺ فأرسلَ إليَّ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ٥٢ ـ ٥٣ وهذه مراسيل تتأيد بمجموعها، وانظر سيرة ابن هشام.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٥ ومسلم ٢٥٨٤ والنسائي ٩٧٧ والترمذي ٣٣١٥ وأبو يعلى ١٨٢٤ وأحمد ٣/ ٣٣٨ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٥٣ ـ ٥٤ وابن حبان ٥٩٩٠.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٢ والترمذي ٣٣١٤ والنسائي في «التفسير» ٦١٧ وأحمد ٤/ ٣٦٨.

رسولُ الله ﷺ فحدَّثته، فأرسل إلى عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُولَ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا: فَكَذَّبني رسولُ الله ﷺ وصَدَّقه، فأصابني هَمٌّ لم يُصِبني مثلُه قطُّ، وجَلَستُ في البيت، فقال عَمّي: ما أردتَ إلاَّ أن كَذَّبك رسولُ الله ﷺ ومَقَتَك. قال: حتَّى أنزلَ الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، قال: فَبَعث إليّ رسولُ الله ﷺ فَقَرأها رسولُ الله، ثم قال: «إن الله قد صَدَّقك»(١).

[٦٨٣٦] ثم قال أحمدُ أيضاً: حدثنا حَسَن بن موسى، حدثنا زُهَير، حدثنا أبو إسحاق: أنه سَمِع زيدَ بن أرقَم يقول: خَرَجنا مع رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فأصابَ الناسَ شِدَّةٌ ـ فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تُنفِقُوا على مَن عندَ رسولِ الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرتُه بذلك، فأرسلَ إلى عبدِ الله بن أُبَيّ فسأله، فاجتهَدَ يمينَه ما فعل. فقالُوا: كَذَب زيدٌ يا رسولَ الله! فوقَع في نفسي مما قالُوا، حتى أنزل الله تصديقي: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾. قال: وَدَعاهم رسولُ الله ﷺ ليستغفِرَ لهم، فلوَّوا رؤوسهم. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، قال: كانوا رجالاً أجمَل شيءٍ(٢). وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي، من حديث زُهَير. ورواه البخاريُّ أيضاً والترمذيُّ من حديث إسرائيلَ، كلاهما عن أبي إسحاقَ عَمرو بن عبد الله السَّبِيعيّ الهَمْداني الكُوفِيّ، عن زيدٍ، به.

[٦٨٣٧] طريقٌ أخرى عن زيدٍ، قال أبو عيسى الترمذيُّ: حدثنا عَبْدُ بن حُمَيد، حدثنا عُبَيد الله بن موسى، عن إسرائيلَ، عن السدِّي، عن أبي سعدٍ الأزديِّ قال: حدثنا زيدُ بن أرقَمَ قال: غَزَوْنا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أُناسٌ من الأعرابِ، فكنا نَبْتَدِرُ الماء، وكان الأعراب يسبقوننا، يَسبِقُ الأعرابي أصحابه يملأُ الحوضَ، ويجعَلُ حولَه حجارةً، ويجعَل النِّطَعَ عليه حتى يجيءَ أصحابُه. فأتى رجلٌ من الأنصار الأعرابيَّ، فأرخَى زمامَ ناقتِه لِتَشرَب، فأبى أن يَدَعه، فانتزع حَجَراً ففاض الماء، فرفع الأعرابيُّ خشبَةً، فضرَبَ بها رأسَ الأنصاريِّ فشجَّه، فأتى عبدَ الله بنَ أُبَيّ رَأسَ المنافقين فأخبَرَه ـ وكان من أصحابه ـ فَغَضِب عبدُ الله بن أُبَيّ، ثم قال: لا تُنفِقُوا على من عندَ رسولِ الله حتى ينفضُّوا من حَولِهِ ـ يعني الأعرابَ ـ وكانوا يحضُرون رَسُولَ الله ﷺ عند الطعام، فقال عبدُ الله لأصحابه: إذا انفضُّوا من عندِ محمَّدٍ فائتُوا محمداً بالطعام، فَلْيأكُل هو ومَن عندَه، ثم قال لأصحابه: إذا رَجَعتُم إلى المدينةِ فَلْيُخرِج الأعز منها الأذلَّ. قال زيد: وأنا رِدْفُ عَمِّي، فَسَمِعتُ عبد الله فأخبرتُ عَمِّي، فانطلق فأخبَرَ رسولَ الله ﷺ فأرسلَ إليه رسولُ الله، فحلَفَ وجَحَد، قال: فصدَّقه رسولُ الله ﷺ وكَذَّبني، فجاء إليّ عَمِّي فقال: ما أردتَ أن مَقَتَكَ رسولُ الله ﷺ وكَذَّبك والمسلمون. فوقع عليّ من الغَمِّ ما لم يَقَع على أحدٍ قَطُّ، فبينما أنا أسيرُ مع رسولِ الله ﷺ في سفر وقد خَفَقتُ برأسي من الهم، إذ أتاني رسولُ الله ﷺ فَعَرَكَ أُذني، وضَحِك في وَجْهِي، فما كان يَسُرُّني أن لي بها الخلدَ في الدنيا. ثم إنَّ أبا بكر لَحِقني وقال: ما قال لك رسولُ الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي رسولِ الله ﷺ شيئاً غير أن عَرَكَ أُذُني وضَحِكَ في وجهي. فقال: أبشِرْ. ثم لَحقني عُمَر فقلت له مثلَ قولي لأبي بَكرٍ. فلما أن أصبحنا قَرَأ رسولُ الله ﷺ سورة المنافقين. انفرد بإخراجه الترمذي وقال: «هذا حديثٌ حسن صَحِيح. وهكذا رواه الحافظُ البيهقيُّ عن الحاكم، عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبُوبي، ـ عن سعيد بن مسعود، عن عُبَيد الله بن موسى، به. وزادَ بعد قولِهِ سُورَة المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، حتى بَلَغ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ حتى بلغ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٤/ ٣٧٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٠ ومسلم ٢٧٧٢ والترمذي ٣٣١٢ والنسائي في «التفسير» ٦١٨ وأحمد ٤/ ٣٧٣.

ٱلْأَذَلَّ﴾(١). وقد رَوَى عبدُ الله بن لَهيعةَ، عن أبي الأسودِ، عن عُرْوَةَ بن الزبير في المغازي ـ وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضاً هذه القصة بهذا السياقِ، ولكن جَعَلا الذي بَلَّغ رسولَ الله ﷺ كلامَ عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سَلُولَ إنما هو أوس بن أقرم، من بني الحارث بن الخزرج فلعله مُبَلِّغ آخر، أو تَصحِيفٌ من جِهَةِ السَّمع، والله أعلم.

[٦٨٣٨] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا محمد بن عزيز الأيليُّ، حدثني سَلامَةُ، حدثني عُقيلٌ، أخبرني محمد بن مُسلم: أنَّ عُرْوَةَ بن الزبَير وعَمْرو بن ثابت الأنصاريَّ أخبراه: أنَّ رسولَ الله ﷺ غزا غزوةَ المُرَيْسِيع، وهي التي هَدَم رسولُ الله ﷺ فيها مناةَ الطاغيةَ التي كانت بين قفا المُشَلَّلِ وبين البحر، فبعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ فكَسَر مناةَ، فاقتتلَ رجُلان في غَزْوةِ رسول الله ﷺ تلك، أحدهما من المُهاجرين، والآخرُ من بَهْزٍ، وهم حُلَفاءُ الأنصارِ. فاستعلَى الرجُل الذي مِن المهاجرين على البَهزِيِّ، فقال البَهزِيُّ: يا مَعشَرَ الأنصارِ! فنصَرَه رجالٌ من الأنصار، وقال المُهَاجِرِيّ: يا معشَرَ المهاجرينَ! فنصَره رجالٌ من المهاجرين، حتى كان بين أولئك الرجالِ من المهاجرين والرجالِ من الأنصار شيءٌ من القتال، ثم حُجِز بينَهُم فانكفأ كلُّ منافقٍ ـ أو: رجل في قلبه مرضٌ ـ إلى عبد الله بن أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ، فقال: قد كنتَ تُرْجَى وتَدْفَعُ، فأصبَحت لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، قد تناصرت علينا الجلابيبُ ـ وكانوا يَدْعُون كُلَّ حَديث الهجرة: الجَلاَبِيبَ ـ فقال عبدُ الله بن أُبَيٍّ: لَئِن رَجَعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ. قال مالك بن الدخْشُم ـ وكان من المنافقين ـ أوَ لم أَقُل لكم لا تُنفِقوا على من عندَ رسولِ الله حتى ينفضُوا. فسمع بذلك عمرُ بن الخطاب، فأقبل يمشي حتى أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتَنَ الناس أضرِبْ عُنقَه ـ يُرِيدُ عُمرُ عبد الله بن أُبَيٍّ، فقال رسول الله ﷺ لِعُمَر: أو قاتِلُه أنتَ إن أمرتُكَ بِقَتلِه؟ قال عمر: نعم، والله لَئِن أمَرتني بِقَتلِهِ لأضرِبَنَّ عُنقَه. فقال رسولُ الله ﷺ : اجلس، فأقبل أسيد بن الحضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ائذَن لي في هذا الرجل الذي قد أفتنَ الناسَ أضرب عُنقَه. فقال رسول الله ﷺ : أو قاتِلُه أنتَ إن أمرتُكَ بقتله؟. قال: نَعَم، والله لَئِن أمرتني بقتله لأضرِبَنَّ بالسيف تحت قُرْطِ أُذُنيه. فقال رسولُ الله ﷺ اجلس. ثم قال رسولُ الله ﷺ : آذنوا بالرحيل. فَهَجَّرَ بالناسِ، فسار يومَه وليلَته والغَد حتى مَتَعَ النهار ثم نَزَل. ثم هَجَّر بالناس مثلها، فَصبَّح بالمدينةِ في ثلاثٍ سارَها من قفا المُشلل فلما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ أرسلَ إلى عُمَر فَدَعاه، فقال له رسولُ الله: أي عُمَرُ! أكنت قاتِلَهُ لو أمرتُك بقتله؟ قال عُمَر: نَعَم، فقال رسولُ الله ﷺ : والله لو قَتَلته يومئذٍ لأرغَمْت أُنوفَ رجالٍ لو أمرتُهم اليومَ بِقَتلِهِ لَقَتَلوه فيتحدَّث الناسُ أني قد وَقَعت على أصحابي فَأقتلهُم صَبْراً. وأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾... إلى قوله تعالىٰ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾... الآية(٢). وهذا سياقٌ غريبٌ، وفيه أشياء لا تُوجَدُ إلا فيه.

[٦٨٣٩] وقال محمد بن إسحاق بن يَسار: حدثني عاصمُ بن عُمَر بن قتادةَ: أن عبدَ الله بن عبد الله ابن أُبَيٍّ ـ يعني: لمَّا بَلَغه ما كان من أمر أبيه ـ أتَى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إنه بَلَغني أنك تُرِيدُ قتلَ عبدِ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣١٣ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٥٤ ـ ٥٥، وإسناده لين، فيه أبو سعيد الأزدي، وهو مقبول، لكن له شواهد كثيرة تقويه.

(٢) إسناده غير قوي لأجل سلامة بن روح، لكن لأكثر حديثه شواهد، وبعضه غريب.

الله بن أُبيّ فيما بَلَغك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فَمُرني به، فأنا أحمِلُ إليك رأسَه، فوالله لقد عَلِمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مِنّي، إني أخشى أن تأمُر به غيري فيقتُله، فلا تَدَعُني نفسِي انظُر إلى قاتلِ عبدِ الله بن أُبيّ يمشي في الناس، فأقتله فأقتُلَ مؤمناً بكافرٍ، فأدخلَ النار. فقال رسولُ الله ﷺ: «بل نَتَرفّق به ونُحسِنُ صُحْبَتَه، ما بقي معنا»[1].

[٦٨٤٠] وذكر عكرمةُ وابنُ زيدٍ وغيرُهما أنَّ الناسَ لما قَفَلُوا راجِعينَ إلى المدينة وقفَ عبدُ الله بن عبد الله بن أُبيّ هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك. فقال: ما لَكَ؟ وَيْلَك! فقال: والله لا تجوزُ من ها هنا حتى يأذنَ لك رسولُ الله ﷺ فإنه العزيزُ وأنتَ الذليلُ. فلما جاء رسولُ الله ﷺ وكان إنما يسير ساقَةً، فَشَكا إليه عبدُ الله بن أُبيّ ابنَه، فقال ابنُه عبدُ الله: والله يا رسولَ الله لا يدخُلها حتى تأذنَ له! فأذِن له رسولُ الله ﷺ، فقال: أما إذْ أذِن لك رسولُ الله ﷺ فَجُزِ الآن[2].

[٦٨٤١] وقال أبو بكر عبد الله بن الزبَير الحُميدي في مُسنَدِه: حدثنا سُفيان بن عُيَينة، حدثنا أبو هارون المدني قال: قال عبدُ الله بنُ عبد الله بن أُبيّ ابنُ سَلُولَ لأبيه: والله لا تدخُل المدينةَ أبداً حتى تقولَ: رسولُ الله ﷺ الأعزُّ وأنا الأذلُّ. قال: وجاء النبيُّ ﷺ فقال: يا رَسول الله! إنّه بَلَغني أنّك تُريدُ أن تَقتُل أبي، فوالذي بعثك بالحقّ ما تأمّلتُ وَجهَه قطُّ هيبةً له، ولَئِن شِئتَ أن آتيكَ برأسه لآتيتُك، فإني أكرَه أن أرَى قاتِلَ أبي[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً لعبادِه المُؤمنين بكثرةِ ذكره وناهياً لهم عن أن تشغَلَهم الأموالُ والأولادُ عن ذلك، ومخبراً لهم بأنّه من التهىٰ بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ له من طاعةِ رَبِّه وذِكْرِه فإنه من الخاسرين، الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يومَ القيامة.

ثم حَثَّهم على الإنفاق في طاعته فقال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾، فكلُّ مُفرِّطٍ يندمُ عند الاحتضارِ، ويسألُ طولَ المُدّة ولو شيئاً يَسيراً، ليستَعتِبَ ويستدركَ ما فاته، وهيهاتَ! كان ما كان وأتى ما هو آتٍ، وكلٌّ بحَسَبِ تفريطِه، أمّا الكفارُ فكما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤٤].. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

(١) أخرجه الطبري ٣٤١٧٩ وهذا مرسل، وذكره ابن هشام في «السيرة» ٣/ ٢٢٩.
(٢) أخرجه الطبري ٣٤١٧١ عن عكرمة، وكرره ٣٤١٧٧ عن ابن زيد وله شواهد مراسيل، فهي تتقوىٰ بمجموعها.
(٣) هذا مرسل، لكن له شواهد، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾، أي: لا يُنظِر أحداً بعد حُلولِ أجله، وهو أعلَمُ وأخبَرُ بمن يكونُ صادِقاً في قولِهِ وسُؤاله ممن لو رُدَّ لعادَ إلى شَرٍّ مما كان عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

[٦٨٤٢] وقال أبو عيسى الترمذيُّ: حدثنا عَبدُ بن حُمَيد: حدثنا جعفَرُ بن عَون، حدثنا أبو جَناب الكَلْبيُّ، عن الضحّاكِ بن مُزاحم، عن ابن عَبّاسٍ قال: من كان له مال يُبلِغه حَجَّ بيتِ ربِّه، أو تَجبُ فيه عليه زكاةٌ، فلم يفعَلْ، سأل الرَّجْعَةَ عند الموتِ. فقال رجلٌ: يابنَ عباس، اتّقِ الله، فإنما يسأل الرجعةَ الكفارُ، فقال: سأتلو عليك بذلِكَ قرآناً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، قال: فما يُوجِبُ الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مئتين فصاعداً. قال: فما يُوجِبُ الحج؟ قال: الزادُ والبَعيرُ[١]. ثم قال: حدثنا عبدُ بن حُمَيدٍ، حدثنا عبد الرزّاق، عن الثّوري، عن يحيى بن أبي حَيّة ـ وهو أبو جَنَابٍ الكلبي، عن الضحّاكِ، عن ابن عَبّاسٍ، عن النبي ﷺ: بنحوه. ثم قال: وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس، من قولِهِ. وهو أصحُّ. وضعَّف أبا جَنابٍ الكَلبيّ. قلتُ: ورِوايةُ الضحّاكِ عن ابنِ عَبّاسٍ فيها انقطاعٌ، والله أعلم.

[٦٨٤٣] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا ابن نُفيل، حدثنا سُلَيمان بن عَطاءٍ، عن مَسْلَمة الجُهَنِيِّ، عن عَمِّه ـ يعني أبا مَشْجعة بنَ رِبْعِيٍّ ـ عن أبي الدرداءِ ـ قال: ذكَرنا عند رسول الله ﷺ الزيادةَ في العُمُر، فقال: «إنَّ الله لا يُؤخِّر نفساً إذا جاء أجلُها، وإنما الزيادةُ في العُمُر أن يَرزُقَ الله العبدَ ذُرِّيةً صالحةً يدعُون له، فَيَلْحَقه دُعاؤُهم في قَبْرِهِ»[٢].

آخر تفسير سُورةَ المنافقين، ولله الحمدُ والمنّةُ، وبه التوفيق والعصمة

(١) موقوف. أخرجه الترمذي ٣٣١٦ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٣٠٥ والطبري ٣٤١٨١ وإسناده ضعيف جداً، أبو جناب ضعيف متروك، وهو مدلس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرجه الطبري ٣٤١٨٥ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف وعنه مجاهيل، فالموقوف ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه في سورة النحل: ٦١.

سورة التغابن

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

وهي مَدَنيَّة، وقيل: مَكيَّة

[٦٨٤٤] قال الطبَرَانيُّ: حدثنا محمد بن هارون بن مُحمَّد بن بَكّار الدِّمشقِيّ، حدثنا العبَّاس بن الوليد الخَلاَّل، حدثنا الوليد بن الوليد، حدثنا ابن ثَوْبَان، عن عطاءِ بن أبي رَبَاح، عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من مولودٍ يُولَد إلا مكتوبٌ في تَشبيكِ رأسه خمسُ آيات من سورة التَّغابن».[1] أورده ابن عساكر في ترجمة «الوليد بن صالح»، وهو غَرِيب جداً، بل مُنكَر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾

هذه السورةُ هي آخر المُسبِّحاتِ، وقد تقدَّم الكلام على تَسبيحِ المخلوقاتِ لبارئها ومالكها، ولهذا قال: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرِّف في جميعِ الكائناتِ، المحمودُ على جميع ما يخلقه ويُقدِّره. وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: مهما أرادَ كانَ بلا مُمانعٍ ولا مُدافعٍ، وما لم يَشأ لم يكُن. وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، أي: هو الخالق لكُم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بدَّ من وُجود مؤمنٍ وكافرٍ، وهو البصيرُ بمن يستحقُّ الهدايةَ ممَّن يستحقُّ الإضلالَ، وهو شهيدٌ على أعمالِ عبادِه، وسَيَجزيهم بها أتمَّ الجزاءِ. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، أي: بالعدلِ والحكمةِ، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، أي: أحسن أشكالكم، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ

(١) باطل. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٧٨٤ وابن حبان ٣/ ٨١ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٥٢، قال ابن حبان: الوليد بن الوليد العنسي، يروي عن ابن ثوبان العجائب. روىٰ عن ابن ثوبان نسخة أكثرها مقلوبة. يطول الكتاب بذكرها. وحكم ابن الجوزي بوضعه. وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ١٠٨١٤: فيه الوليد بن الوليد، وثقه أبو حاتم وابن حبان، وتركه جماعة، وبقية رجاله ثقات اهـ. كذا قال الهيثمي ـ رحمه الله ـ ولم أر للوليد ترجمة في «الثقات» لابن حبان وتقدم أنه ذكره في «المجروحين» وأما قول أبي حاتم عنه: صدوق. فقد خالفه ابن حبان والدارقطني وغيرهما. قال الذهبي في «الميزان» ٩٤١٧: قال أبو حاتم: صدوق. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وروىٰ له نصر المقدسي في «أربعينه» حديثاً منكراً. وقال: تركوه. اهـ وأيا كان فالمتن منكر جداً. بل هو موضوع. والله تعالىٰ أعلم.

﴿٨﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، وكقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [غافر: ٦٤] الآية. وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، أي: المرجعُ والمآبُ. ثم أخبر تعالىٰ عن عِلْمه بجميع الكائنات السمائيةِ والأرضيّةِ والنفسيّة، فقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مخبراً عن الأمم الماضين، وما حَلَّ بهم من العذاب والنَّكال، في مُخالفة الرسل والتكذيب بالحقِّ، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾، أي: خَبَرُهم وما كان من أمرهم، ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾، أي: وَخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العُقوبة والخِزْي، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: في الدار الآخرةِ مضافٌ إلى هذا الدنيوي، ثم علَّل ذلك فقال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، أي: بالحُجج والدلائل والبراهين، ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾، أي: استبعدُوا أن تكونَ الرسالةُ في البشر، وأن يكونَ هُداهم على يَدَي بشر مثلِهم، ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾، أي: كَذَّبوا بالحقِّ ونكَلُوا عن العمل، ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾، أي: عنهم، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبراً عن المشركين والكُفَّار والمُلحِدِين أنهم يزعمُون أنهم لا يُبعَثون، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾، أي: لتُخبَرُنَّ بجميع أعمالِكم، جَليلِها وحقيرِها، صَغيرِها وكبيرِها، ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي: بعثُكم ومجازاتُكم. وهذه هي الآيةُ الثالثةُ التي أمَر الله رسولَه ﷺ أن يُقسِم بربِّه ـ عز وجلَّ ـ على وقُوع المعاد ووجُوده، فالأولىٰ في سورة يونس: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾، والثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] الآية، والثالثةُ هي هَذِه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾، ثم قال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾، يعني: القرآن، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: فلا تخفىٰ عليه من أعمالكم خافيةٌ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾، وهو يومُ القيامة، سُمِّي بذلك لأنه يُجمَع فيه الأوَّلُون والآخِرُون في صعيدٍ واحدٍ، يُسمِعُهُم الداعي ويَنفُذُهم البَصَرُ، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩ ـ ٥٠]. وقولُه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾، قال ابنُ عباس: هو اسمٌ من أسماء يوم القيامةِ. وذلك أنَّ أهلَ الجنةِ يَغبُنون أهلَ النار. وكذا قال قتادةُ ومجاهدٌ. وقال مُقاتِل بن حيان: لا غَبْنَ أعظمُ من أن يدخلَ هؤلاء إلى

الجنة ويذهب بأولئك إلى النار. قلتُ: وقد فسّر ذلك بقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾. وقد تقدم تفسيرُ مثلِ هذه غيرَ مرّةٍ.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مُخبراً بما أخبر به في سُورَةِ الحَديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهكذا قال ها هنا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: بأمرِ الله، يعني عن قَدَره ومَشيئته. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ومن أصابته مصيبةٌ فعلم أنها بقضاءِ الله وقَدَره، فصَبَر واحتسَبَ واستسلم لقضاءِ الله، هَدَىٰ الله قلبَه، وعوّضه عما فاته منَ الدنيا هُدىً في قلبه، ويَقيناً صادِقاً، قد يُخلِفُ عليه ما كان أُخِذَ منه، أو خيراً منه، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، يعني يهدِ قلبه لليقين فيعلَمَ أن ما أصابه لم يكن لِيُخطِئه، وما أخطأه لم يكُن لِيُصيبه.

وقال الأعمش، عن أبي ظَبْيان قال: كُنّا عند علقمَةَ فقُرِىء عنده هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، فسُئِل عن ذلك فقال: هو الرجل تُصِيبه المصيبة فيعلَم أنها من عند الله، فَيَرضىٰ ويسلم. رواه ابنُ جرير، وابنُ حاتم. [في تفسيريهما] وقال سعيد بن جُبَير، ومقاتل بن حَيّان: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، يعني: يَسترجعُ، يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

[٦٨٤٥] وفي الحديث المُتّفق عليه: «عَجَباً للمُؤمن! لا يَقضِي الله له قضاءً إلاّ كان خيراً له، إن أصابته ضَرّاء صَبَرَ فكان خيراً له، وإن أصابته سَرّاء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحدٍ إلاّ للمؤمن»[(١)].

[٦٨٤٦] وقال أحمد: حدثنا حَسَن، حدثنا ابنُ لَهِيعَةَ، حدثنا الحارثُ بن يزيدَ، عن علّي بن رَبَاح: أنه سَمِعَ جُنَادة بن أبي أُمَيّة يقول: سَمِعتُ عُبادَةَ بن الصامِتِ يقول: إنَّ رجلاً أتىٰ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! أيُّ العملِ أفضل؟ قال «إيمانٌ بالله، وتصديقٌ به، وجهادٌ في سبيله». قال: أريد أهونَ من ذلك يا رسول الله! قال: «السماحة والصبر». قال: أُريد أهوَنَ من ذلك يا رسول الله! قال: «لا تَتَّهِم الله في شيء قَضَىٰ لك به»[(٢)]. لم يخرجوه.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: أمرٌ بطاعةِ الله، ورسُوله فيما شَرَع، وفِعْلِ ما به أَمَر وتَرْك ما عنه نهىٰ وزجَر، ثم قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ﴾أي: إن نَكَلتُم في العَمَل فإنّما عليه ما حُمِّل من البلاغ، وعليكم ما حُمِّلتم من السّمع والطاعةِ. قال الزهريّ: من الله الرسالةُ، وعلى الرسُولِ البلاغُ، وعلينا التسليمُ. ثم قال تعالىٰ مُخبراً أنه الأحدُ الصمدُ، الذي لا إله غيرُه، فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾، فالأول خَبَرٌ عن التوحيد، ومعناه معنىٰ الطلب، أي وَحِّدوا الإلهيّة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٣١٨ وفيه ابن لهيعة. لكن له شواهد. راجع «المجمع» ٢٠١ ـ ٢٠٢.

له، وأخلِصوها لَديه، وتوكَّلوا عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مخبراً عن الأزواج والأولاد: أنَّ منهم مَن هو عَدُوُّ الزوجِ والوالدِ، بمعنىٰ أنه يَلْتَهي به عن العمل الصالح، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾. ولهذا قال ها هنا ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ قال ابنُ زيد: يعني على دينكم. وقال مجاهد: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ قال: يحمل الرجلَ على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيعُ الرجُل مع حُبِّه إلاّ أن يُطيعه.

[٦٨٤٧] وقال ابن أبي حاتم، حَدَّثنا أبي حدثنا مُحمَّد بن خَلَف العسقلاني، حدثنا الفِرْيابي، حدثنا إسرائيل، حدثنا سِماكُ بن حرب، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عَبّاسٍ، وسأله رَجلٌ عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾، قال: فهؤلاء رجالٌ أسلَمُوا من مكَّة، فأرادوا أن يأتوا رسولَ الله ﷺ فأبىٰ أزواجُهم وأولادُهم أن يَدَعُوهم، فلما أتَوا رسولَ الله ﷺ رأوا الناسَ قد فَقِهُوا في الدين، فهمُّوا أن يُعاقِبُوهم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١). وكذا رواه التِّرمذي عن محمد بن يحيىٰ، عن الفِرْياني ـ وهو مُحمَّد بنُ يوسفَ ـ به، وقال: «حسنٌ صحيح». ورواه ابنُ جرير والطبراني، من حديث إسرائيلَ، به، ورُوِي من طريق العوفي، عن ابن عباس، نحوهُ، وهكذا قال عِكْرمة مولاه سواء.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾، يقول تعالىٰ: إنما الأموال والأولادُ فتنةٌ، أي: اختبارٌ وابتلاءٌ من الله لِخَلْقِهِ. لِيَعلم مَن يُطيعه ممن يَعصيه. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ﴾، أي: يوم القيامة ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]، والتي بعدها.

[٦٨٤٨] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا زيدُ بن الحُبَاب، حَدَّثني حُسَين بن واقِدٍ، حدَّثني عبد الله بن بُرَيْدَة، سمعت أبي بُرَيْدَة يقول: كان رسولُ الله ﷺ يخطُب، فجاء الحَسَنُ والحُسَين ـ رضي الله عنهما ـ عليهما قَميصان أحمران يَمْشِيان ويعثُران، فنَزَل رسولُ الله ﷺ من المنبر فَحملهما فوضَعَهما بين يَدَيه، ثم قال: «صَدَق الله ورسولُه. ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، نظرت إلى هذين الصَبِيَّين يَمشِيان ويَعثُران، فلم أصبر

(١) أخرجه الترمذي ٣٣١٧ والطبري ٣٤١٩٨.

حتى قَطَعتُ حديثي ورفعتهُما»[١]، ورواه أهل السنن من حديث حُسَين بن واقد، به، وقال الترمذي: «حسن غريب، إنما نعرفه من حديثه».

[٦٨٤٩] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا سُرَيج بنُ النعمان، حدثنا هُشيم، أخبرنا مُجالد، عن الشَّعبي، حدثنا الأشعَث بن قيس قال: قَدِمتُ على رسولِ الله ﷺ في وَفْدِ كِندَةَ، فقال لي: هل لَكَ من وَلَدٍ؟ قلتُ: غلام وُلِد لي في مُخْرجي إليك من ابنة حَمَد، وَلَوَدِدْتُ أن بمكانه شِبَعَ القَوْم. قال: لا تقولَنَّ ذلك، فإن فيهم قُرّة عين، وأجراً إذا قُبِضُوا، ثم قال: ولئن قلت ذاك إنَّهم لَمجْبَنَةٌ مَحْزنة، إنهم لمجنبة مَحْزنة[٢]، تفرَّد به أحمدُ.

[٦٨٥٠] وقال الحافظُ أبو بكر البزّارُ: حدثنا محمود بن بكر، حدثنا أبي، عن عيسىٰ، عن ابن أبي ليلىٰ، عن عَطِيّة، عن أبي سعَيدٍ قال: قال رسولَ الله ﷺ: «الولدُ ثمرةُ القُلوبِ، وإِنَّهم مَجبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ محزَنَةٌ»[٣] ثم قال: «لا يُعرف إلاّ بهذا الإسنادِ».

[٦٨٥١] وقال الطبَراني: حدثناهاشم بن مَرْثَدٍ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عَيّاش، حدثني أبي، حدثني ضَمْضَمُ بن زُرعَة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «ليس عَدُوُّك الذي إن قَتَلْتَه كان نوراً لك وإن قَتَلك دخلتَ الجنة، ولكن أعدىٰ عدوّ لك وَلَدك الذي خَرَج من صُلْبِكَ، ثم أعدَىٰ عَدُوٍّ لك مالُك الذي مَلَكَتْ يمينُك»[٤].

وقولُه تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، أي: جُهدَكم وطاقَتَكم.

[٦٨٥٢] كما ثبت في الصحيحَين عن أبي هُرَيرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمر فائتُوا منه ما استطعتُم، وما نهيتُكم عنه فاجتَنِبُوه»[٥].

وقد قال بعضُ المفسرين ـ كما رواه مالك، عن زيدِ بن أسلَمَ ـ: إنَّ هذه الآيةَ العظيمةَ ناسخةٌ للتي في «آل عمران» وهي قولُه تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[٦٨٥٣] قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدثني يحيىٰ بن عبد الله بن بُكَير، حدثني ابن لَهيعَة، حدثني عطاء ـ هو ابن دينار ـ عن سعيد بن جُبَير في قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، قال: لما نَزَلت هذه الآيةُ اشتدَّ على القوم العملُ، فقامُوا حتى وَرِمت عراقيبُهم وتَقَرّحت جِباهُهم،

---

(١) أخرجه أبو داود ١١٠٩ وابن ماجه ٣٦٠٠ والترمذي ٣٧٧٤ وأحمد ٥/ ٣٥٤ والحاكم ٤/ ٣٥٤ وابن حبان ٦٠٣٩ وإسناده حسن، رجاله ثقات، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) حسن بشواهده، أخرجه أحمد ٥/ ٢١١ والحاكم ٤/ ٢٣٩ والطبراني ٦٤٦. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي! مع أن فيه مجالد بن سعيد، وقد ضعفه الجمهور. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٣٤٧٩: فيه مجالد، وهو ضعيف، وقد وثق. وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. وله شاهد من حديث الأسود بن خلف. أخرجه البزار ١٨٩١ وقال الهيثمي ١٣٤٨٠: رجاله ثقات. ويشهد له ما بعده.

(٣) أخرجه البزار ١٨٩٢ وأبو يعلى ١٠٣٢ وقال الهيثمي ١٣٤٧٨: فيه عطية العوفي، وهو ضعيف اهـ لكن يصلح شاهداً لما قبله. والله أعلم.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبراني ٣٤٤٥ وفي «مسند الشاميين» ١٦٦٨ وإسناده ضعيف لضعف محمد بن إسماعيل، وشريح ولم يدرك أبا مالك.

(٥) متفق عليه، وتقدم في أواخر المائدة.

فأنزل الله تَخفيفاً على المسلمين: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، فنسخت الآيةَ الأولىٰ[١]. ورُوِي عن أبي العاليةِ، وَزَيدِ بن أسلَمَ، وقتادةَ، والربيع بن أَنَسٍ، والسدِّي، ومقاتِل بن حَيَّان، نحوُ ذلك.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾، أي: كونوا مُنقادين لما يأمُركم الله به ورسولُه، لا تَحيدُوا عنه يمنَةً ولا يَسْرَةً، ولا تُقدِّموا بين يَدَي الله ورسولِه، ولا تَتخلَّفُوا عما أُمِرتم، ولا تركَبُوا ما عنه زُجِرْتُم.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾، أي: وابذُلوا مما رَزَقكم الله على الأقارب والفُقراءِ والمساكينِ وذَوي الحاجَاتِ، وأحسِنُوا إلى خَلْقِ الله كما أَحسَنَ إليكم يَكُن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإلاّ تفعَلُوا يكن شرًّا لكم في الدنيا والآخِرة.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، تقدم تَفسِيرهُ في «سورة الحشر»، وذِكْرُ الأحاديثِ الواردةِ في معنىٰ هذه الآية، بما أغنىٰ عن إعادته ها هنا، ولله الحمدُ والمِنَّةُ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، أي: مهما أنفقتُم من شيءٍ فهو يُخلِفُه، ومهما تصدَّقتم من شيءٍ فَعَليهِ جزاؤهُ، ونُزِّل ذلك منزلة القَرْضِ له، كما ثبت في الصحيح أن الله تعالىٰ يقول:

[٦٨٥٤] «مَن يُقرِض غيرَ ظَلُوم ولا عَدِيم»[٢]. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾، كما تقدم في سورة البقرة: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، أي: ويُكَفِّر عنكم السيِّئاتِ. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾، أي: يَجزي على القليلِ بالكثير، ﴿حَلِيمٌ﴾، أي يَصفَحُ ويَغفِرُ ويَستُر، ويَتجاوز عن الذنوب والزلاَّت والخطايا والسيِّئات. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾. تقدم تفسيرُه غيرَ مَرَّةٍ.

آخر تفسير «سُورَةِ التَّغابن»، ولله الحمدُ والمنَّةُ

---

(١) هذا مرسل، وله شاهد من مرسل قتادة دون لفظ «ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم»، أخرجه الطبري ٣٤٢١٢ و٣٤٢١٣ وتقدم في آل عمران.

(٢) تقدم في سورة البقرة: ٢٤٥.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١)﴾

خُوطِب النبي ﷺ أولا تشريفاً وتكريماً، ثم خاطب الأمة تبعاً فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

[٦٨٥٥] وقال ابنُ أبي حاتم، حدثنا محمد بن ثَوَاب بن سَعيد الهبَّارِيُّ، حدثنا أسباطُ بن محمد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طَلَّق رسول الله ﷺ حفصة، فَأَتَتْ أهلَها، فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، فقيل له: «رَاجِعها فإنها صَوَّامة قَوَّامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة»(١). ورواه ابنُ جرير، عن ابن بَشَّار، عن عبد الأعلىٰ، عن سَعِيد، عن قتادةَ... فذكره مُرسَلاً. وقد ورد من غير وجهٍ: أن رسول الله ﷺ طَلَّق حفصةَ ثم راجَعَها(٢).

[٦٨٥٦] وقال البخاري حدثنا يحيىٰ بن بُكَير، حدثنا الليثُ، حَدَّثني عُقَيلٌ، عن ابن شهابٍ، أخبرني سالم: أن عبد الله بن عُمَر أخبره أنه طَلَّق امرأةً له وهي حائضٌ، فَذَكر عمرُ لرسول الله ﷺ فتغيَّظَ رسولُ رسول الله ﷺ ثم قال: «ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر. فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يَمَسَّها، فتلك العدَّةُ التي أمر الله عزَّ وجلَّ». هكذا رواه البُخَارِيُّ هاهنا. وقد رَوَاه في مواضِعَ من كتابِهِ، ومُسلمٌ، ولفظُه: «فتلك العدَّةُ التي أمر الله أن يُطَلَّق لها النساء»(٣). وَرَواه أصحابُ الكُتُبِ والمَسانيدِ من طُرُق مُتعدِّدة وألفاظ كثيرة، ومَوْضِعُ استقصائها كُتُب الأحكامِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٦/٣٤٨ من حديث أنس، وفيه أسباط بن محمد فيه ضعف. ورواه الطبري ٢٤٢٤٤ عن قتادة مرسلاً. وورد من مرسل قيس بن زيد، أسنده ابن سعد ٨/٦٧ وورد من مرسل مخرمة بن بكير عن أبيه أخرجه ابن سعد ٨/٦٧ أيضاً، وكرره ٨/٦٨ من مرسل ابن سيرين. لكن في هذا المرسل وما قبله الواقدي شيخ ابن سعد، وهو متروك. فالحديث ربما يقرب من الحسن، والله أعلم. وصدر الحديث ورد موصولاً من وجوه يتقوىٰ بها وإنما الغريب فيه لفظ «فقيل له راجعها..» ورواية «فقال جبريل: راجعها...» والله أعلم.

(٢) انظر ما قبله، وهذا اللفظ بمفرده له شواهد تقويه. وانظر الإصابة ٤/٢٧٣/٢٩٦.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٨ ومسلم ١٤٧١ ح ١.

[٦٨٥٧] وأمَسُّ لفظٍ يُورَدُ ها هنا، ما رواه مسلم في صحيحه، من طريق ابن جُرَيج: أخبرني أبو الزُّبير أنه سَمِعَ عبد الرحمن بن أيْمَن ـ مولىٰ عَزة ـ يسأل ابنَ عمر، وأبو الزبير يَسْمَعُ ذلك: كيف تَرَىٰ في رَجُلٍ طَلَّقَ امرأته حائضاً؟ فقال: طَلَّقَ ابنُ عُمَر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ فسأل عُمَر رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عُمَر طَلَّقَ امرأته وهي حائض ـ فقال رسولُ الله ﷺ: لِيراجِعْها، فرَدَّها وقال: إذا طَهُرَت فَلْيطلِّق أو يُمسِكْ، قال ابنُ عُمَر: وقرأ النبيُّ ﷺ: «يا أيها النبي إذا طَلَّقتم النساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ في قُبُلِ عِدَّتهن»[1].

وقال الأعمشُ، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يَزِيدَ، عن عبد الله في قوله تعالىٰ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: الطُّهر من غير جماعٍ. ورُوِي عن ابن عُمَر، وعطاءٍ، ومجاهِدٍ، والحَسنِ، وابن سيرينَ، وقتادَةَ، وميمونِ بن مِهرانَ، ومُقاتل بن حَيَّان، مثلُ ذلك: وهو روايةٌ عن عِكْرِمة، والضَّحاك. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: لا يُطَلِّقها وهي حائضٌ ولا في طُهرٍ قد جامعها فيه، ولكن: يتركُها حتىٰ إذا حاضت وطَهُرت طَلَّقها تطليقةً. وقال عكرمة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، العِدَّةُ: الطهر، والقُرْءُ الحَيضة، أن يُطَلِّقها حُبلَىٰ مُستَبِيناً حَملُها، ولا يُطَلِّقها وقد طاف عليها، ولا يدري حُبلَىٰ هي أم لا. ومن ها هنا أخذ الفقهاءُ أحكامَ الطلاق وقَسَّموه إلى طلاق سُنَّة وطلاق بِدْعَةٍ، فطلاقُ السنة أن يُطَلِّقها طاهراً من غير جِمَاع، أو حامِلاً قد استبان حَملُها، والبِدْعي: هو أن يُطَلِّقها في حال الحيض، أو في طهر قد جامَعَها فيه، ولا يَدرِي أحَمَلت أم لا؟ وطلاقٌ ثالث لا سُنَّةَ فيه ولا بِدعة، وهو طلاقُ الصَّغيرةِ والآيسةِ، وغير المدخول بها. وتحريرُ الكلام في ذلك وما يتعلَّق به مُستَقصىً في كُتُب الفروع، والله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أعلَمُ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، أي: احفظُوها واعرِفُوا ابتداءها وانتهاءها، لئلاً تَطُولَ العدَّةُ على المرأةِ فتمتنع من الأزواج ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾، أي: في ذلك. وقولُه تعالىٰ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾، في مُدَّة العِدَّة لها حَقُّ السكنىٰ على الزوج ما دامت مُعتدَّة منه، فليس للرجلِ أن يُخرجها، ولا يجوزُ لها أيضاً الخروجُ لأنها مُعتقَلَةٌ لحقِّ الزوج أيضاً. وقولُه تعالىٰ: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾، أي لا يُخرَجْنَ من بيوتهنَّ إلاّ ان ترتكب المرأة فاحشةً مُبَيِّنة، فتُخرَج من المنزل، والفاحشة المبيِّنة تَشمَلُ الزنا، كما قالَه ابن مسعود، وابن عباس، وسعيدُ بن المُسَيِّب، والشعبيُّ، والحسن، وابنُ سِيرين، ومُجاهدٌ، وعِكرِمةُ، وسعيد بن جُبَير، وأبو قِلابَة، وأبو صالح، والضحّاك، وزيدُ بن أسلَم، وعَطَاء الخُراساني، والسدِّي، وسعيد بن أبي هلال، وغيرُهم. وتشمَلُ ما إذا نَشَزَتِ المرأةَ أو بَذَتْ على أهل الرجل وآذتهُم في الكَلام والفِعال، كا قاله أُبَيُّ بن كعب، وابنُ عباس، وعِكرِمةُ، وغيرُهم. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، أي: شرائعُه ومحارمُه، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾، أي: يَخرُجْ عنها ويَتجاوَزْها إلى غيرها ولا يَأتَمِر بها، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، أي: بِفِعْل ذلك. وقولُه تعالىٰ: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، أي إنما أبقينا المُطَلَّقة في مَنزِل الزوجِ في مُدَّة العِدَّة لعلَّ الزوج ينَدمُ على طلاقها ويخلُق الله في قَلبه رَجْعَتَها، فيكون ذلك أيسَرَ وأسهَلَ، قال الزهريُّ، عن عَبَيد الله بن عبد الله، عن فاطمةَ بنت قَيسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾قالت: هي الرجعَةُ. وكذا قال الشعبيُّ، وعطاءٌ، وقَتادةُ، والضحّاك، ومُقاتل بن حَيّان،

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٧١ ح ١٤ وأبو داود ٢١٨٥ والنسائي ١٣٩/٦ وأحمد ٨١/٢ ـ ٨٠ والشافعي ٣٣/٢ والبيهقي ٣٢٧/٧.

والثوريّ. ومن ها هنا ذهب من ذَهَب من السلف ومَن تابعهم، كالإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهم الله ـ أنه لا تَجب السكنىٰ للمبتُوتَةِ، وكذا المتوفىٰ عنها زوجُها.

[٦٨٥٨] واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمةَ بنت قيس الفهرية، حين طَلَّقها زوجُها أبو عَمرو بن حفص آخِرَ ثلاثِ تطليقات، وكان غائباً عنها باليمن، فأرسل إليها بذلك، فأرسل إليها وكيله بَشعير نفقةً، فتَسَخَّطته، فقال: والله ليس لك علينا نفقةٌ، فأتت رسول الله ﷺ فقال: «ليس لك عليه نفقةٌ»، ولمسلم: «ولا سُكنىٰ»، وأمرها أن تَعتَدّ في بيتِ أم شَرِيك، ثم قال: «تلك امرأةٌ يغشاها أصحَابي، اعتدّي عند ابن أُمّ مكتوم، فإنه رجلٌ أعمىٰ، تَضَعين ثيابكِ»(١) . . . الحديث.

[٦٨٥٩] وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرَىٰ بلفظٍ آخَرَ، فقال: حَدَّثنا يحيىٰ بنُ سعيد، حدثنا مُجَالِدٌ، حدثناعامر قال: «قدِمتُ المدنيةَ فأتيتُ فاطمةَ بنتَ قيسٍ فحدثتني أنّ زوجها طلقها على عَهدِ رسول الله ﷺ فَبعثه رسولُ الله ﷺ في سَرِيَّة، قالت: فقال لي أخوه: أَخرُجي من الدار. فقلت: إنّ لي نفقةً وسُكنىٰ حتىٰ يحلَّ الأجلُ. قال: لا. قالت: فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: إنّ فلاناً طَلّقني، وإنّ أخاه أخرجَني ومَنَعني السكنىٰ والنفقَة، فأرسلَ إليه فقال: «ما لَكَ ولابنة آل قيس!» قال: يا رسول الله! إنّ أخي طَلَّقها ثلاثاً جميعاً. قالت: فقال: رسولُ الله ﷺ: انظُري يا بنتَ آلِ قيسٍ، إنما النفقةُ والسكنىٰ للمرأة على زَوْجِها ما كانت له عليها رَجعةٌ، فإذا لم يكن له عليها رَجعةٌ فلا نفقةَ ولا سُكنىٰ. اخرُجي فانزلي على فلانة. ثم قال: «إنه يتحدّث إليها، انزلي على ابن أُمّ مكتوم، إنه أعمىٰ لا يراك»(٢) . . وذَكَر تمامَ الحديث.

[٦٨٦٠] وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التُسْتَري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصوّاف، حدثنا بكر بن بَكّار، حدثنا سَعِيد بن يَزِيدَ البَجَلي، حدثنا عامرُ الشعبي: أنه دخلَ على فاطمة بنتِ قَيسٍ أختِ الضَحّاك بن قيس القُرَشي، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المَغيرةِ المخزُومي، فقالت: إن أبا عمرو بنَ حفص أرسل إليّ وهو منطلقٌ في جيشٍ إلى اليمن بِطَلاَقِي، فسألتُ أولياءَه النفقة عليّ والسكنىٰ، فقالوا: ما أرسَل إلينا في ذلك شيئاً، ولا أوصانا به، فانطلقتُ إلى رسولِ الله ﷺ فقلْتُ: يا رسولَ الله! إن أبا عَمرو بنَ حَفص أرسلَ إليّ بِطَلاقي، فطلبتُ السكنىٰ والنفقةَ علي، فقال أولياؤهُ: لم يُرسِل إلينا في ذلك بشيءٍ. فقال رسول الله ﷺ : «إنما السكنَىٰ والنفقَةُ للمرأة إذا كان لزوجها عليه رَجْعَةٌ، فإذا كانت لا تَحلّ له حتىٰ تنكِحَ زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سُكنىٰ»(٣) . وكذا رواه النسائي، عن أحمد بن يحيىٰ الصوفي، عن أبي نُعَيم الفضل بن دُكَين، عن سَعِيد بن يزيد ـ وهو الأحمسِيُّ البَجَلي الكوفي ـ قال أبو حاتم الرازيُّ: «هو شَيخٌ، يُروى عنه».

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٨٠ والترمذي ٣/ ٤٨٥ والنسائي ١٢/ ٤٦٤ وابن حبان ٤٢٥٣.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٣٧٣ وإسناده غير قوي لأجل مجالد بن سعيد، لكن لأصله طرق.

(٣) حسن. أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» ٥٥٩٦ والطبراني في «الأوسط» ١١٦٤. وإسناده حسن، سعيد صدوق، وباقي إسناد النسائي ثقات، وللحديث طرق.

يقولُ تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾ المعتدَّات ﴿أَجَلَهُنَّ﴾ أي: شارَفن على انقضاء العِدَّة وقارَبْنَ ذلك، ولكن لم تَفرُغ العِدَّة بالكُلِّية، فحينئذٍ إما أن يَعزِم الزوجُ علىٰ إمساكها، وهو رَجْعَتُها إلى عصمةِ نكاحه والإستمرارُ بها على ما كانت عليه عندَه، ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: محسناً إليها في صُحبتها، وإما أن يَعزِمَ على مفارقتها ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: من غير مُقابحةٍ ولا مُشاتمةٍ ولا تعنيفٍ، بل يُطلِّقها على وَجهٍ جميلٍ وسَبيلٍ حَسنٍ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، أي: على الرجعةِ إذا عَزَمْتُم عليها، كما رواه أبو داودَ وابنُ ماجه، عن عِمرانَ بن حُصَين: أنه سُئلَ عن الرجل يُطلّق امرأتَه ثم يقَعُ بها ولم يُشهِد على طلاقها ولا على رَجعتها فقال: طَلَّقتَ لغير سُنَّةٍ، ورَجَعْتَ لغير سُنَّةٍ، أشهِدْ على طلاقها وعلى رَجْعَتِها، ولا تَعُدْ. وقال ابن جُرَيج: كان عطاءٌ يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: لا يجوزُ في نِكاحٍ ولا طَلاقٍ ولا رِجاعٍ إلا شاهِدا عَدلٍ، كما قال الله عزَّ وجلَّ، إلا أن يكون من عُذرٍ. وقولُه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهادِ وإقامةِ الشهادةِ إنما يأتمرُ به مَن يُؤمِن بالله وأنه شَرَع هذا، ويخافُ عِقابَ الله في الدار الآخرة. ومن ها هنا ذهب الشافعي ـ في أحد قولَيه ـ إلى وجوب الإشهاد في الرجعَةِ، كما يجبُ عنده في ابتداءِ النِّكاح. وقد قال بهذا طائفةٌ من العلماء، ومن قال بهذا يقولُ: إنَّ الرجعة لا تَصِحُّ إلا بالقولِ ليقعَ الإشهادُ عليها. وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أي: ومن يَتَّق الله فيما أمرَه به، وتَرَكَ ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً، ويرزقُه من حيثُ لا يحتَسِبُ، أي: من جهةٍ لا تخطُر بباله.

[٦٨٦١] قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا يزيد، أخبرنا كَهْمَسُ بن الحسن، حدثنا أبو السَّليل، عن أبي ذَرٍّ قال: جَعَل رسولُ الله ﷺ يتلو عَليَّ هذه الآيةَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، حتى فَرَغ من الآية، ثم قال: «يا أبا ذَرٍّ! لو أن الناسَ كُلَّهم أخذُوا بها كفتهم. قال: فجَعَل يتلوها ويرَدِّدُها عليَّ حتى نَعَست. ثم قال: يا أبا ذَرٍّ! كيف تصنَعُ إن أُخرِجتَ من المدينة؟ قلتُ: إلى السَّعة والدَّعَة أنطلق، فأكونُ حَمامة من حَمام مكة. قال: كيفَ تصنَعُ إن أُخرِجت من مَكَّة؟ قال قلتُ: إلى السعةِ والدَّعةِ، إلى الشام والأرض المقدَّسة. قال: وكيفَ تَصنعُ أن أُخرِجتَ من الشام. قلت: إذاً ـ والذي بعثَك بالحقِّ ـ أضَعُ سيفي على عاتقي[1]. قال: أَو خَير من ذلك؟ قلت: أَوَ خيرٌ من ذلك؟ قال: تَسمَعُ وتُطِيعُ وإن كان عبداً حَبَشياً»[2].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرَّمادِيُّ، حدثنا يعلى بن عُبَيد، حدثنا زكريا، عن عامر، عن شُتَير بن شَكَلَ قال: سَمِعتُ عبد الله بن مسعود يقولُ: إن أجمَع آيةٍ في القُرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

(١) كناية عن إرادته القتال.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩ والحاكم ٢/ ٤٩٢ والبيهقي في «الشعب» ١٣٣٠ من حديث أبي ذر وإسناده منقطع بين أبي السليل، وأبي ذر، وذكر ذلك الهيثمي في «المجمع» ٩١٣٠ في حين جرىٰ الحاكم علىٰ ظاهره، فصححه، ووافقه الذهبي!. لكن ورد من وجه آخر فقد أخرجه أحمد ٦/ ٤٥٧ من طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن أبي ذر وقال الهيثمي ٩١٢٩: فيه شهر بن حوشب، وهو ضعيف، وقد وثق اهـ كذا قال الهيثمي ـ رحمه الله ـ في شهر، إنه ضعيف. وفي ذلك نظر! فقد قال الحافظ في «التقريب» صدوق كثير الإرسال والأوهام. وقد روىٰ له مسلم اهـ. وهذا الحديث رواه عن أسماء، وهو متصل فإنه سمع منها. وأما كونه يهم، فقد ورد من وجه آخر، كما ترىٰ، ولأكثره شواهد، والله تعالىٰ أعلم. فهو حسن إن شاء الله.

وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وإن أكثرَ آيةٍ في القرآن فَرجاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

[٦٨٦٢] وفي المسند: حَدَّثني مهدي بن جعفر، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الحَكَم بن مُصعَب، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عَبَّاس، عن أبيه، عن جَدِّه عبد الله بن عبَّاس قال: قال رسولُ الله ﷺ «من أكثَرَ من الاستغفارِ جعل الله له من كلِّ هَمٍّ فَرجاً، ومن كلِّ ضِيقٍ مَخرجاً، ورزَقه من حيثُ لا يَحتَسِب»[١]. وقال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، يقول: يُنَجِّيه من كلِّ كربٍ في الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وقال الربيع بن خُثَيم: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، أي: من كلِّ شيءٍ ضاقَ على الناسِ. وقال عِكرِمة: من طَلَّق كما أمره الله يَجعل له مخرجاً. وكذا رُوِي عن ابن عباس، والضحاك. وقال ابنُ مسعودٍ ومسروقٌ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، يعلم أن الله إن شاء مَنَع وإن شاء أعطى، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، أي: من حيثُ لا يَدري. وقال قتادةُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، أي: من شُبُهات الأمور والكَرْب عند الموتِ؛ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، من حيثُ لا يرجُو ولا يُؤَمِّل.

[٦٨٦٣] وقال السدِّي: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: يُطلِّق للسنة، ويُراجع للسنَّةِ، وزعم أن رُجلاً من أصحابِ رسول الله ﷺ يُقال له: «عوف بن مالك الأشجعي، كان له ابن، وأن المشركين أسرُوه، فكان فيهم، وكان أبوه يأتي رسولَ الله ﷺ فيشكُو إليه مكانَ ابنه وحالَه التي هو بها وحاجَته، فكان رسولُ الله ﷺ يأمُره بالصبر، ويقول له: «إن الله سيجعل لك فرجاً». فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انفلَتَ ابنُه من أيدِي العَدُوِّ فمرَّ بغنم من أغنام العدوِّ، فاستاقها فجاء بها إلى أبيه، وجاء معه بغِنًى قد أصابه من الغَنَم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢]. رواه ابن جَرير، وروي أيضاً من طريق سالم بن أبي الجَعْدِ مُرسَلاً نحوه.

[٦٨٦٤] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا وكيعٌ، حدثنا سُفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجَعْدِ، عن ثوبانَ قال: قال رسولُ الله ﷺ «إن العبد لَيُحْرَمُ الرزقَ بالذنبِ يُصِيبهُ، ولا يَرُدُّ القَدَر إلا الدعاءُ ولا يَزِيد في العُمر إلا البر»[٣]. وَرَواه النَّسائيُ وابنُ ماجَه، من حديث سُفيانَ ـ وهو الثَّوريُّ ـ به.

[٦٨٦٥] وقال محمد بن إسحاق: جاء مالك الأشجَعِيُّ إلى رسولِ الله ﷺ فقال له: أُسِر ابني عوفٌ. فقال له رسولُ الله ﷺ أرسِلْ إليه أنَّ رسول الله يأمُرك أن تُكثِرَ من قول: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله. وكانوا قد شَدُّوه بالقِدِّ فسقط القِدُّ عنه، فخرَجَ، فإذا هو بناقةٍ لهم فرَكِبها، وأقبل فإذا بسَرْح القوم الذين كانوا قد شَدُّوه فصاح بهم، فاتبع أوَّلُها آخرها، فلم يَفجَأ أبويه إلا وهو يُنادِي بالباب، فقال أبوه: عَوفٌ وربِّ الكعبة. فقالت أمه: واسوأتاه. وعَوفٌ كيف يَقْدَمُ؟ لما هو فيه من القِدِّ ـ فاستبقا البابَ والخادمُ، فإذا عوفٌ قد مَلأ الفِناء إبلاً، فقصَّ على أبيه أمرَه وأمرَ الإبل، فقال أبوه: قفا حتى آتيَ رسولَ الله ﷺ فأسألَهُ عنها. فأتى رسولَ الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخَبَرِ الإبل، فقال له رسولُ الله ﷺ: اصنَعْ بها ما أحببتَ، وما كنتَ صانِعاً بمالِكَ.

---

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ١٥١٨ والنسائي ١٠٢٩٠ وابن ماجه ٣٨١٩ والحاكم ٤/ ٢٦٢ وأحمد ١/ ٤٢٨ والبيهقي ٣/ ٣٥١. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي، فقال: الحكم بن مصعب، فيه جهالة اهـ. بل جزم الحافظ في «التقريب» بأنه مجهول، وضعفه العقيلي وابن حبان، وقال: لا يحل الرواية عنه، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٢٨٧ وورد من وجوه متعدده تتقوىٰ بمجموعها. انظر «الدر المنثور» ٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٣) تقدم تخريجه.

ونزل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١]. رواه ابنُ أبي حاتم.

[٦٨٦٦] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا علي بن الحُسَين، حدثنا محمد بن علي بن الحَسَن بن شَقِيق، حدثنا إبراهيمُ بن الأشعثِ، حدثنا الفُضَيل بن عياض، عن هِشَام، عن الحسن، عن عِمرانَ بن حُصَين قال: قال رسولُ الله ﷺ «من انقطع إلى الله كَفَاه الله كل مؤنة، ورزَقه من حيثُ لا يحتسِبُ، ومن انقطع إلى الدُنيا وَكَلَه إليها»[٢]. وقولُه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

[٦٨٦٧] قال الإمام أحمد: حدثنا يونُس، حدثنا ليثٌ، حدثنا قَيس بن الحجَّاج، عن حَنَشٍ الصَنعاني، عن عبد الله بن عباس: أنه حَدَّثه أنه رَكِب خَلْفَ رسول الله ﷺ يوماً، فقال له رسولُ الله ﷺ: «يا غلامُ! إنِّي مُعلِّمك كلماتٍ: احفظِ الله يحفظْكَ، احفظِ الله تَجده تُجاهَك، وإذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، واعلَم أنَّ الأمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعُوكَ لم ينفعُوك إلا بشيءٍ قد كَتَبه الله لك، ولو اجتمعُوا على أن يَضرُّوك لم يَضرُّوك إلا بشيءٍ قد كَتَبه الله عليكَ، رُفِعت الأقلام، وجَفَّتِ الصحُفُ»[٣]. وقد رَوَاه الترمِذيُّ من حديث الليثِ بن سَعدٍ، وابنِ لَهِيعَةَ، به. وقال: «حسنٌ صحيحٌ».

[٦٨٦٨] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا وكيعٌ، حدثنا بَشِير بن سَلْمان، عن سَيَّار أبي الحَكَم، عن طارق ابن شِهاب، عن عبدِالله ـ هو ابن مسعود ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من نَزَل به حاجةٌ فأنزلها بالناسِ كان قَمِناً ألاَّ تُسهَّل حاجتُه، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزقٍ عاجلٍ، أو بموتٍ آجلٍ»[٤]. ثم رواه عن عبد الرزَّاق، عن سفيان، عن بَشِير، عن سَيَّار أبي حمزَةَ، ثم قال: وهو الصوابُ، وسَيَّار أبو الحَكَم لم يُحدِّث عن طارقٍ. وقولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾، أي: مُنفِذٌ قضاياه وأحكامه في خَلْقِه بما يُريده ويشاؤه، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾، كقوله: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾

يقولُ تعالى مُبيِّناً لِعدَّةِ الآيسةِ ـ وهي التي قد انقطعَ عنها الحيضُ لِكِبَرِها ـ: أنها ثلاثة أشهُرٍ عِوَضاً عن الثلاثة قُرُوءٍ في حَقِّ من تحيض، كما دلَّت على ذلك آية «البقرة»، وكذا الصغارُ اللائي لم يبلُغن سِنَّ الحيضِ

(١) هذا مرسل، وورد من مرسل سالم بن أبي الجعد، أخرجه الطبري ٣٤٢٨٨ و٣٤٢٨٩ وهو مرسل صحيح، وورد من حديث جابر، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٩٢ والواحدي ٨٢٨ وإسناده ضعيف، صححه الحاكم، وقال الذهبي: بل منكر، وعباد بن يعقوب رافضي جبل، وعبيد بن كثير متروك. قلت: فهذا شاهد واهٍ، لكن تقدم ثلاثة مراسيل تتأيد بمجموعها، والله أعلم، وانظر «الدر المنثور» ٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه الخطيب ٧/ ١١٩١ والطبراني في «الصغير» ٣٢١، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨١٨٩: فيه إبراهيم بن الأشعث، وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان في «الثقات» لكن قال: يغرب، ويخطىء، ويخالف، وبقية رجاله ثقات اهـ. قلت: الحسن لم يسمع من عمران، والله تعالىٰ أعلم.

(٣) حديث قوي، وتقدم في سورة الزمر: ٣٨.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ١/ ٤٤٢ ح ٤٢٠٧ ورجاله ثقات معروفون، لكن كرره أحمد ح ٤٢٠٨ عن سيار أبي حمزة. وهو مقبول كما في التقريب. فالإسناد لا بأس به إن شاء الله.

أن عِدَّتَهُنَ كَعِدَّةِ الآيسة ثلاثةُ أشهُر، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَۚ﴾. وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾، فيه قولان: أحدهما ـ وهو قولُ طائفة من السلف، كمجاهد، والزهريِّ، وابنُ زيدٍ ـ أي: إن رأين دماً وشككتم في كونه حيضاً أو استحاضةً، وارتبتُم فيه. والقولُ الثاني: إن ارتبتُم في حُكم عِدَّتهن ولم تعرفُوه فهو ثلاثةُ أشهُر. وهذا يُرْوَى عن سعيد بن جُبَير، وهو اختيارُ ابن جرير، وهو أظهرُ في المعنى.

[٦٨٦٩] واحتجَّ عليه بما رواه عن أبي كُرَيب وأبي السائب قالا: حَدَّثنا ابن إدريس، أخبرنا مُطَرِّف، عن عَمرو بن سالم قال: قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: يا رسولَ الله! إن عَدداً من عدَدِ النساء لم تُذكر في الكتاب: الصغارُ والكبارُ وأولاتُ الأحمال. قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾[١].

[٦٨٧٠] ورواه ابنُ أبي حاتم بأبسطَ من هذا السياق فقال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المُغِيرة، أخبرنا جَرِيرٌ، عن مُطرف، عن عُمَر بن سالم، عن أُبيِّ بن كعب قال: قلتُ لرسولِ الله ﷺ إن ناساً من أهل المدينةِ لَمَّا أنزلت هذه الآيةُ التي في «البقرة» في عدَّة النساءِ قالوا: لقد بَقِي من عدَّةِ النساءِ عدَدٌ لم يُذكَرْنَ في القرآن: الصغار والكبارُ اللائي قد انقطع عنهنَّ الحيضُ، وذواتُ الحَمل. قال: فأُنزِلت التي في النساء القُصرى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾[٢].

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾، يقولُ تعالى: ومن كانت حَامِلاً فَعِدَّتُها بوضعه، ولو كان بعدَ الطلاقِ أو الموتِ بفُوَاقِ ناقةٍ، وفي قولِ جُمهور العلماء من السلف والخَلَف، كما هو نصُّ هذه الآية الكريمة، وكما وَرَدت به السُّنَّةُ النبويَّةُ. وقد رُوِي عن علي، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ أنهما ذَهَبا في المُتَوفَّى عنها زوجها أنها تَعتدُّ بأبعدِ الأجلَين من الوضع أو الأشهرُ، عملاً بهذه الآية الكريمة، والتي في سورة «البقرة».

[٦٨٧١] وقد قال البخاري: حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان، عن يحيىٰ قال: أخبرني أبو سَلَمة قال: «جاء رجلٌ إلى ابن عَبَّاسٍ ـ وأبو هريرة جالس ـ فقال: أَفتِني في امرأة وَلَدت بعد زَوْجِها بأربعين ليلةً. فقال ابنُ عباس: آخر الأجلَين. قلت أنا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾، قال أبو هُرَيْرَة: أنا مع ابن أخي ـ يعني أبا سَلَمة ـ فأرسل ابنُ عباس غلامَه كُرَيباً إلى أم سَلَمة يسألها، فقالت: قُتِل زوج سُبَيعة الأسلَمِيَّة وهي حُبلى، فَوضَعت بعد موته بأربعينَ ليلةً، فَخُطِبت، فأنكحَها رسولُ الله ﷺ وكان أبو السنابل فيمن خَطَبها»[٣]. هكذا أورد البخاريُّ هذا الحديث ها هنا مُختصراً. وقد رواه هُو ومسلمٌ وأصحابُ الكُتُب مُطوَّلاً من وُجُوه أُخَر.

[٦٨٧٢] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا حَمَّاد بنُ أُسامَةَ، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن المِسْور بن مَخْرَمَةَ أن سُبَيعَةَ الأسلميَّة تُوُفِّي عنها زوجُها وهي حاملٌ، فلم تمكُث إلا ليالِيَ حتى وَضَعت، فلما تَعلَّت من نفاسها

---

(١) أخرجه الحاكم ٤/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣ والواحدي ٨٣٠ والبيهقي ٧/ ٤١٤ من حديث أبي بن كعب. وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وإسناده منقطع، عمرو بن سالم لم يسمع من أبي بن كعب كما في «التهذيب» وهو شبه مجهول. فقد قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول. فالإسناد ضعيف.

(٢) إسناده منقطع كسابقه.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٩.

خُطِبت، فاستأذنت رسولَ الله ﷺ في النكاحِ، فَأَذِن لها أن تُنكَحَ، فنُكِحَت[١]. وَرواه البخاريُّ في صَحِيحه، ومُسلِم، وأبو داودَ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجه، من طُرُقٍ عنها.

[٦٨٧٣] كما قال مسلم بن الحَجّاج: حَدَّثني أبو الطاهر: أخبرنا ابنُ وهبٍ، حَدَّثني يُونُس بن يزيدَ، عن ابنِ شهابٍ، حَدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة: أن أباه كتب إلى عُمَر بن عبد الله بن الأرقَم الزهريِّ يأمُره أن يدخُلَ على سُبَيعة بنتِ الحارثِ الأسلميَّةَ فيسألَها عن حَدِيثها وعمَّا قال لها رسولُ الله ﷺ حين استفْتَته. فكتب عُمر بن عبد الله يُخبرُه أن سُبَيعةَ أخبَرَته أنها كانت تحتَ سَعدِ بن خَولَةَ ـ وكان ممن شَهِد بدراً ـ فَتُوفِّي عنها في حَجَّةِ الوداع وهي حاملٌ، فلم تَنشَب أن وَضَعت حَمْلها بعد وفاته، فلما تَعَلَّت من نفاسِها تَجمَّلت للخُطَّاب، فدخل عليها أبو السنابل بنُ بَعكَكٍ فقال لها: ما لي أراكِ مُتَجمِّلةً؟ لعلك تَرجِين النكاحَ، إنكِ والله ما أنتِ بناكحٍ حتى تَمُرَّ عليكِ أربعةُ أشهرٍ وعشرٌ. قالت سُبَيعة: فلما قال لي ذلك جَمعتُ عليّ ثيابي حين أمسيتُ فأتيتُ رسولُ الله ﷺ فسألتُه عن ذلك، فأفتاني بأني قد حَلَلتُ حين وَضَعت حَملي، وأمرني بالتزوُّج إن بدا لي[٢]. هذا لفظُ مسلمٍ. وَرواه البخاريُّ مُختصَراً.

[٦٨٧٤] ثم قال البُخاريُّ بعد روايةِ الحديثِ الأوَّل عند هذه الآيةِ: وقال سُلَيمان بن حَرب وأبو النعمان: حَدَّثنا حماد بن زيد، عن أيُّوبَ، عن محمد ـ هو ابن سِيرين ـ قال: كنتُ في حَلْقَةٍ فيها عبدُ الرحمن بن أبي ليلى، وكان أصحابُه يُعَظِّمونه، فذكر آخِرَ الأجلَين، فَحَدَّثتُ بحديث سُبَيعة بنتِ الحارث عن عبد الله بن عُتبَة، قال: فَضَمَّزَ لي بعضُ أصحابه، قال محمد: فَفَطِنتُ له فقلت: إني لَجَرِيءٌ أن أكْذِبَ على عبد الله وهو في ناحية الكُوفة. قال: فاستحيا وقال: ولكن عَمّه لم يقل ذلك. فَلَقِيت أبا عَطِيَّة مالك بن عامر فسألتُه، فَذَهب يُحَدِّثني بحَدِيث سُبَيعة، فقلت: هل سَمِعت عن عبد الله فيها شيئاً؟ فقال: كنا عند عبد الله فقال: أتجعلُون عليها التغليظَ ولا تجعَلُون عليها الرخصة؟ لَنَزَلَتْ سورةُ القُصرىٰ بعد الطُولىٰ[٣]: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾. ورواه ابنُ جريرٍ، من طريق سُفيان بن عُيَينة وإسماعيل بن عُلَيَّة عن أيوب به مُختصراً: ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى، عن خالد بن الحارث، عن ابن عَوْنٍ، عن محمد بن سيرين، فذكره.

وقال ابنُ جرير: حدثني زكريا بنُ يحيى بن أبانَ المصريُّ، حدثنا سَعِيد بن أبي مريَمَ، حدثنا محمد ابن جَعفر، حَدَّثني ابن شُبْرُمَة الكوفي، عن إبراهيمَ، عن علقمةَ بن قيس أن عبد الله بن مسعودٍ قال: من شاء لاعنتُهُ، ما نَزَلت ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، إلا بعد آية المتوفَّى عنها زوجُها. قال: وإذا وَضَعتِ المتوفَّى عنها زوجُها فقد حَلَّت. يُريد بآية المتوفى عنها زوجها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. وقد رَواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريَمَ، به. ثم قال ابنُ جرير: حدثنا أحمدُ بن مَنيع، حدثنا محمد بن عُبَيد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبيِّ قال:

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٢٠ والنسائي ٦/ ١٩٠ وابن ماجه ٢٠٢٩ وأحمد ٤/ ٣٢٧ والشافعي ٢/ ٥٢ ـ ٥٣ والبيهقي ٧/ ٤٢٨ والبغوي ٢٣٨٧ والطبراني ٢٠/ ٦٥٥ وابن حبان ٤٢٩٨.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٨٤ ح ٥٦ والبخاري ٥٣١٩ وأبو داود ٢٣٠٦ والنسائي ٦/ ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ و١٩٥ ـ ١٩٦ وابن ماجه ٢٠٢٨ والطبراني ٢٤/ ٧٤٥ ـ ٧٤٦ والبيهقي ٧/ ٤٢٨ وابن حبان ٤٢٩٤.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٠ تعليقاً، ووصله الطبراني والبيهقي كما في «الفتح» ٨/ ٦٥٥، ومن وجه آخر، أخرجه النسائي ٥٧١٥.

ذُكِرَ عند ابن مسعود آخر الأجلين، فقال: من شاء قاسمتُه بالله أن هذه الآية التي في النساء القُصرى نَزَلت بعد الأربعةِ الأشهر والعشر، ثم قال: أجلُ الحاملِ أن تَضَع ما في بطنها.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أحمدُ بن سِنان الواسطيُّ، حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيٍّ، عن سفيانَ، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروقٍ قال: بلغ ابنَ مسعود أن علياً ـ رضي الله عنه ـ يقولُ: آخرُ الأجلين. فقال: من شاء لاعنتُه، إن التي في النساء القُصرى نزلت بعد البقرة: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾. وَرَواه أبو داود وابنُ ماجه، من حديث أبي معاويةَ، عن الأعمشِ.

[٦٨٧٥] وقال عبد الله بن الإمام أحمدَ: حدثني محمدُ بن أبي بكر المقدَّمي، أخبرنا عبد الوهّاب الثقفيُّ، حَدَّثني المُثنَّى، عن عَمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمْرٍو، عن أُبَيِّ بن كعب قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، المُطلَّقة ثلاثاً أو المتوفَّى عنها؟ فقال: هي للمُطلَّقةِ ثلاثاً وللمتوفَّى عنها[١]. هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، بل مُنكَر؛ لأن في إسناده المُثنَّى بن الصباح، وهو متروكُ الحديث بمرَّةٍ.

[٦٨٧٦] ولكن رواه ابنُ أبي حاتم بسندٍ آخَرَ فقال: حدثنا محمد بن داود السِّمناني، حدثنا عَمرو ابن خالد ـ يعني الحَرَّاني ـ حَدَّثنا ابنُ لَهيعةَ، عن عَمرو بن شعيب، عن سعيد بن المُسَيِّب، عن أُبَيِّ بن كعب: أنه لما نزلت هذه الآيةُ قال لرسولِ الله ﷺ: لا أدري أمشتركة أم مُبهمة، قال رسولُ الله ﷺ: «أَيَّةُ آيةٍ؟» قال: ﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، المُتوفَّى عنها والمُطلَّقة؟ قال: «نعم»[٢]. وكذا رواه ابنُ جرير، عن أبي كُرَيب، عن مُوسَى بن داود، عن ابن لَهيعة، به.

[٦٨٧٧] ثم رواه عن أبي كُرَيب أيضاً، عن مالك بن إسماعيلَ، عن ابن عُيَينة، عن عبد الكريم بن أبي المُخارِق أنه حَدَّث عن أُبَيِّ بن كعب قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، قال: «أجل كُلِّ حاملٍ أن تَضع ما في بَطْنِها»[٣]. عبدُ الكريم هذا ضعيفٌ، ولم يدرك أُبيًّا. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، أي: يُسَهِّلْ له أمرَه، ويُيَسِّره عليه، ويجعل له فرجاً قَريباً ومخرجاً عاجلاً. ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾، أي: حكمُه وَشرعه أنزله إليكم بواسطةِ رسُوله ﷺ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾، أي: يُذهِبْ عنه المحذورَ، ويُجزِلْ له الثوابَ على العمل اليسيرِ.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

---

(١) ضعيف. أخرجه عبد الله في «مسند أبيه» ٥/ ١١٦، وفيه المثنى بن الصباح، وهو متروك كما قال ابن كثير رحمه الله. وتابعه ابن لهيعة عند الطبري ٣٤٣١٧، لكن ابن لهيعة واهٍ. وأخرجه الطبري ٣٤٣١٨ من طريق عبد الكريم بن أبي المخارق عن أبي بن كعب وهذا منقطع، ومع انقطاعه ابن أبي المخارق، ضعيف كما قال ابن كثير، فالخبر ضعيف والأشبه فيه الوقف، والله أعلم.

(٢) فيه ابن لهيعة ضعيف، ولم يسمعه من عمرو، وإنما أخذ هذه الروايات عن المثنى، راجع «الميزان».

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٤٣١٨ وسنده ضعيف ومنقطع، انظر ما سبق

يقولُ تعالى آمراً عبادَه إذا طلّق أحدُهم المرأة أن يُسكِنَها في منزلٍ حتى تنقضِيَ عدَّتها، فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾، أي: عندكم، ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾، قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ: يعني سَعَتكم. حتى قال قتادةُ: إن لم تجد إلا جَنْبَ بيتِك فأسكنها فيه. وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾، قال مقاتلُ بن حَيَّان: يعني يُضاجِرها لِتَفتدِيَ منه بمالها أو تخرُجَ من مسكنه. وقال الثوريُّ، عن منصورٍ، عن أبي الضحى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾، قال: يُطلِّقها فإذا بقي يومان رَاجَعَها. وقولُه تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، قال كثيرٌ من العلماء منهم ابنُ عباس وطائفةٌ من السلف، وجماعاتٌ من الخلف: هذه في البائن، إن كانت حاملاً أنفقَ عليها حتى تضعَ حملها، قالوا: بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواءٌ كانت حاملاً أو حائلاً. وقال آخرون: بل السياق كُلُّه في الرجعيات، وإنما نصَّ على الإنفاقِ على الحاملِ وإن كانت رجعيَّةً، لأن الحمل تطولُ مُدَّته غالباً، فاحتِيجَ إلى النصِّ على وجوب الإنفاق إلى الوضع، لئلا يُتوهَّم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مُدَّة العِدَّةِ. ثم اختلف العلماءُ: هل النفقة لها بواسطةِ الحَمل، أو للحملِ وحدَه؟ على قولَين مَنصوصَين عن الشافعيِّ وغيره، ويتفرّع عليها مسائل مذكورةٌ في علم الفروع.

وقولُهُ تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، أي: إذا وَضَعن حملهنَّ وهن طوالق، فقد بِنَّ بانقضاءِ عِدَّتهنَّ، ولها حينئذ أن تُرضِعَ الولد، ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تُغذّيه باللبأ ـ وهو: باكورةُ اللبن الذي لا قِوامَ للولد غالباً إلا به ـ فإن أرضَعت استحقَّت أُجرَةَ مثلها، ولها أن تُعاقِد أباه أو وَليَّه على ما يتفقان عليه من أُجرَةٍ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. وقولُه: ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: ولتكن أمورُكم فيما بينكم بالمعروفِ، من غير إضرارٍ ولا مُضارَّةٍ، كما قال في سورة البقرة: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾. وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾، أي: وإن اختلف الرجلُ والمرأةُ فطلبت المرأةُ في أجرةِ الرَّضاع كثيراً ولم يُجبها الرجلُ إلى ذلك، أو بَذَل الرجلُ قليلاً ولم تُوافِقه عليه، فَلْيسترضِعْ له غيرَها. فلو رَضِيت الأمُّ بما استؤجرت عليه الأجنبيَّةُ فهي أحقُّ بولدِها. وقولُه تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، أي: لِيُنفق على المولود والدُه أو وليُّه، بحسب قُدرته، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾، كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال ابنُ جَرير: حدثنا ابن حُميد، حدثنا حَكَّام، عن أبي سِنانٍ قال: سأل عمرُ بنُ الخطاب عن أبي عُبَيْدَةَ، فقيل: إنه يلبَس الغليظ من الثِّياب، ويأكُل أخشَن الطعام. فَبعث إليه بألف دينارٍ، وقال للرسول: انظر ما يصنَعُ بها إذا هو أخذها، فما لَبِث أنْ لَبِس اللين من الثياب، وأكل أطيبَ الطَّعام، فجاء الرسولُ فأخبَرَه، فقال: رحمه الله، تأوّل هذه الآية: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾.

[٦٨٧٨] وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا هاشم بن مَرْثَدِ الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، أخبرني أبي، أخبرني ضَمْضَمُ بن زُرعَةَ، عن شُرَيح بن عُبَيدٍ، عن أبي مالك الأشعريِّ ـ واسمه الحارث ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثة نفرٍ كان لأحدهم عشرةُ دنانير فتصدَّق منها بدينار وكان لآخر عَشر أواق، فَتَصدَّق منها بأوقية. وكان لآخر مائة أوقية، فتصدَّق منها بعشر أواقٍ. فقال رسول الله ﷺ: هم في الأجر سواء، كلٌّ قد تصدَّق بِعُشرِ ماله، قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾»[1]. هذا حديث غريبٌ من هذا الوجهِ.

(١) حسن. أخرجه الطبراني ٣٤٣٩ وفي «مسند الشاميين» ١٦٦٢. وقال الهيثمي: وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وفيه ضعف. قلت: وشريح لم يسمع من أبي مالك، لكن له شاهد من حديث علي، أخرجه أحمد ٧٤٣ ـ بترقيم شاكر ـ والبزار ٩٤٦، وفيه الحارث الأعور ضعيف، لكن يصلح شاهداً لما قبله.

وقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: وَعدٌ منه تعالى، ووعده حقٌّ، وهُو لا يُخلِفُه، وهذه كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].

[٦٨٧٩] وقد رَوَى الإمام أحمدُ حديثاً ـ يحسن أن نذكُرَه ها هنا ـ، فقال: حدثنا هاشمُ بن القاسم، حدثنا عبدُ الحميدِ بن بَهْرام، حدثنا شهرُ بن حَوشبٍ قال: قال أبو هُريرَةَ: بينما رَجُلٌ وامرأةٌ له في السلَفِ الخالي لا يقدِرَان على شيءٍ، فجاء الرجلُ من سَفَره، فدخلَ على امرأتِه جائعاً قد أصابته مَسْغَبة شديدةٌ، فقال لامرأته: عندكِ شيء؟ قالت: نعم، أبشِرْ، أتاكَ رزقُ الله. فاستحثَّها فقال: ويحكِ! ابتغِي إن كان عندكِ شيءٌ. قالت: نعم، هُنيهةً ـ ترجو رحمةَ الله ـ حتى إذا طال عليه الطَّوَى قال: ويحكِ! قومي فابتغِي إن كان عندكِ شيءٌ فَأْتيني به، فإني قد بُلِغتُ وجُهِدتُ. فقالت: نعم، الآن يُنضِج التنُورُ فلا تعجَلْ. فلما أن سكت عنها ساعةً وتحيّنت أن يَقُول لها، قالت من عند نفسِها: لو قمتُ فنظرتُ إلى تَنُوري؟ فقامَتْ فنظرَت إلى تَنورها ملآن جُنُوبَ الغَنَم، ورحييهَا تطحَنان، فقامت إلى الرحى فنفَضتها، واستخرجت ما في تنورها من جُنُوبِ الغَنَم. قال أبو هُرَيْرَةَ: فوالذي نفسُ أبي القاسم بِيَدِه، عن قول محمد ﷺ: «لو أَخذت ما في رَحَيَيهَا ولم تنفضها لَطَحَنتها إلى يوم القيامة»[(١)].

[٦٨٨٠] وقال في موضع آخر: حدثنا أبو عامر، حدثنا أبو بكر، عن هِشَام، عن محمد ـ هُو ابن سيرينَ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: دخل رجلٌ على أهلِهِ، فلما رأى ما بهم من الحاجةِ خَرَجَ إلى البَرِّية، فلما رأت امرأته قامت إلى الرَّحى فَوضعتها، وإلى التنُّور فَسَجَرته، ثم قالت: اللهم ارزُقنا. فَنظرت، فإذا الجَفنةُ قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التنُّورِ فوجدته مُمتلِئاً، قال: فرجع الزوجُ قال: أصبتُم بعدِي شيئاً؟ قالت امرأته: نَعَم، من ربِّنا. قام إلى الرَّحَى، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أما إنه لو لم تَرفعها لم تَزَل تَدُور إلى يوم القيامةِ»[(٢)].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝﴾

يقول تعالى مُتوعِّداً لمن خالفَ أمرَه، وكذَّب رُسُلَه، وسَلَك غير ما شَرَعه، ومخبراً عما حَلَّ بالأُمم السالفةِ بسببِ ذلك، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾، أي: تمرّدت وطغَت واستكبرت عن اتّباع أَمرِ الله ومتابعَةِ رسله، ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾. أي: منكراً فظيعاً. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، أي: غِبَّ مُخالفتها، ونَدِموا حيث لا ينفعُ الندمُ، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، أي: في

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٢١ وإسناده ضعيف، ابن حوشب كثير الإرسال، وقد ساقه بصيغة تدل علىٰ عدم سماعه، وانظر ما بعده.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٢/ ٥١٣ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٥٦: رجاله ثقات. قلت: هو يتأيد بما قبله فهو حسن، والله أعلم. تنبيه: عجزه فقط مرفوع.

الدارِ الآخرةِ، مع ما عَجَّل لهم في الدنيا. ثم قال تعالىٰ بعد ما قَصَّ من خَبَر هؤلاءِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، أي: الأفهام المُستقيمةِ، لا تكونُوا مثلهم فيُصِيبَكم ما أصابَهُم يا أُولي الألباب، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: صَدَّقوا باللهِ ورسله، ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾، يعني القرآن. كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⁽⁹⁾﴾ [الحجر: ٩]. وقولُه تعالىٰ: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾، قال بعضهم: ﴿رَسُولًا﴾ منصوبٌ على أنه بَدَلُ اشتمالٍ ومُلابَسةٍ، لأن الرسولَ هو الذي بَلَّغ الذِّكْرَ. وقال ابنُ جَرير: الصوابُ أن الرسولَ ترجمةٌ عن الذِّكر، يعني تفسيراً له، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾، أي: في حالِ كَونِها بَيِّنة واضحة جليّةً، ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، كقوله تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ـ أي: من ظُلُماتِ الكُفر والجَهلِ إلى نور الإيمان والعلم. وقد سَمّى الله تعالى الوحي الذي أنزله نُوراً؛ لما يحصُل به من الهُدَى، كما سَمّاه رُوحاً؛ لما يحصُل به من حياةِ القُلُوبِ، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ⁽⁵²⁾﴾ [الشورى: ٥٢]. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾. قد تقدم تفسيرُ مثل هذا غير مَرّة، بما أغنى عن إعادته ههنا. ولله الحمد والمنة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ⁽¹²⁾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن قُدرته التامّة وسلطانه العظيم، ليكونَ ذلك باعثاً على تعظيم ما شَرَع من الدين القويم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، كقوله تعالىٰ إخباراً عن نُوح أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ⁽¹⁵⁾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، أي: سبعاً أيضاً.

[٦٨٨١] كما ثَبت في الصحيحَين: «مَن ظلم قِيدَ شِبرٍ من الأرضِ طُوِّقه من سَبعِ أَرَضين»(١).

[٦٨٨٢] وفي صحيح البخاري: «خُسِف به إلى سبع أرضين»(٥). وقد ذَكَرْتُ طُرقَه وألفاظه وَعزْوَه في أول «البدايةِ والنهايةِ» عند ذكرِ خَلْقِ الأرضِ، ولله الحمدُ والمنّةُ. ومَن حَمَل ذلك على سبعةِ أقاليم فقد أبعدَ النُّجعَة، وأغرقَ في النَّزْعِ، وخالف القرآنَ والحديثَ بلا مُستَندٍ. وقد تَقَدَّم في «سورة الحديد» عند قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ذكر الأرضين السبع، وبُعدُ ما بينهنّ، وكثافةُ كلِّ واحدةٍ منهنّ خمسمئة عام. وهكذا قال ابنُ مسعود وغيره.

[٦٨٨٣] وكذا الحديثُ الآخرُ: «ما السموات السبعُ وما فيهن وما بينهنّ، والأرضُون السبع، وما فيهنّ وما بينهنّ في الكرسي، إلا كحلقةٍ مُلقاةٍ بأرضِ فَلاةٍ»(٢).

وقال ابنُ جرير: حدثنا عَمرو بن علي، حدثنا وكيعٌ، حدثنا الأعمشُ، عن إبراهيم بن مُهَاجِر، عن مجاهدٍ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال: لو حَدَّثْتُكم بتفسيرها لكفرتُم،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الرعد، آية: ٢، وهو غير صحيح.

وكفركُم تكذيبكُم بها. وحدَّثنا ابن حُمَيد، حدثنا يعقوبُ بن عبد الله بن سعد القُمِّي الأشعريُّ، عن جعفر بن أبي المُغيرة الخُزاعِيِّ، عن سعيد بن جُبَير قال: قال رجلٌ لابن عباس: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ . . . الآية، فقال ابن عباس: ما يُؤمِنك أن أُخبِرَك بها فتكفُرَ. وقال ابنُ جرير، حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المُثنَّى قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعبَة، عن عَمرو بن مُرَّة، عن أبي الضحَى، عن ابن عبَّاسٍ في هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال عَمرو: قال: في كلِّ أرضٍ مثلُ إبراهيم ونحوُ ما على الأرض من الخَلْقِ. وقال ابنُ المُثنَّى في حديثه: في كل سماءٍ إبراهيمُ.

وقد رَوَى البيهقيُّ في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثرَ عن ابن عباس بأبسطَ من هذا، فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن يعقوب، حدثنا عُبَيد بن غنَّام النخَعِيُّ، أخبرنا علي بن حكيم، حدثنا شَرِيكٌ، عن عطاءِ بن السائب، عن أبي الضحىٰ، عن ابن عباس أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال: سبعَ أرَضِينَ، في كل أرضٍ نَبِيٌّ كَنبيِّكم، وآدمُ كآدَمَ، ونوحٌ كنوحٍ، وإبراهيمُ كإبراهيمَ، وعيسى كعيسى. ثم رواه البيهقي من حديث شُعبَة، عن عَمرو بن مُرَّةَ، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال: في كلِّ أرضٍ نحوُ إبراهيمَ عليه السلامُ. ثم قال البيهَقيُّ: إسنادُ هذا عن ابن عباس صحيحٌ، وهو شاذ بمرَّةٍ، لا أعلَمُ لأبي الضحى عليه مُتابِعاً، والله أعلم.

[٦٨٨٤] قال الإمامُ أبو بكر عبدُ الله بنُ محمَّدِ بن أبي الدنيا القُرَشِيُّ في كتابه «التفكُّر والاعتبار»: حدَّثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سُلَيمان، عن عثمان بن أبي دَهْرَش قال: بَلَغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سُكوتٌ لا يَتكلَّمون، فقال: ما لكم لا تَتكلَّمون؟ فقالوا: نَتفكَّر في خلق الله عزَّ وجلَّ. قال: «فكذلك فافعلوا، تَفكَّروا في خَلقِه ولا تفكروا فيه، فإن بهذا المغربِ أرضاً بيضاءَ، نُورُها بياضها ـ أو قال: بياضها نُورُها ـ، مسيرةُ الشمس أربعينَ يوماً، بها خَلْقٌ من خلقِ الله لم يَعصُوا الله طَرفة عَينٍ قطُّ. قالوا: فأينَ الشيطانُ عنهم؟ قال: ما يَدرُون خُلِقَ الشيطانُ أم لم يخلق؟. قالوا: أمن وَلَدِ آدم؟ قال: «ما يَدرُون خُلِقَ آدمُ أم لم يُخلَق؟»[1] وهذا حديثٌ مُرسَلٌ، وهو مُنكَر جدًّا، «وعثمانُ بن أبي دَهْرَشٍ ذكرَه ابن أبي حاتم في كتابه فقال: «روى عن رَجُل من آل الحكم بن أبي العاصِ، وعنه سُفيان بن عُيينَة، ويحيى بن سُلَيم الطائِفي، وابن المبارك، سَمِعتُ أبي يقول ذلك».

آخرُ تفسيرِ سورةِ الطلاقِ، ولله الحمد والمنة

(١) باطل لا أصل له. فهو معضل، وعثمان بن أبي دهرش، غير مشهور بالرواية. والمتن منكر جداً، وأمارة الوضع لائحة عليه. فلا حاجة للإطالة في الكلام عليه، وقد قال ابن كثير رحمه الله: منكر جداً.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

وهي مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ
أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٢ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ٣ إِن
تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرٗا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٖ مُّؤْمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ
عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبْكَارٗا ٥﴾

اختُلِف في سَبَب نُزولِ صَدْر هذه السورة، فقيل: نَزَلت في شأن مارِيَة، وكان رسولُ الله ﷺ قد حَرَّمها، فنزل قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ﴾.. الآية.

[٦٨٨٥] قال أبو عبد الرحمن النَّسائي: أخبرنا إبراهيم بن يونُس بن محمد، حدثنا أبي، حدثنا حمّاد بن سَلَمة، عن ثابت، عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يَطَؤها، فلم تَزَل به عائشةُ وحفصةُ حتى حَرَّمها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾... إلى آخرِ الآية[(١)].

[٦٨٨٦] وقال ابن جرير: حدثني ابنُ عبدِ الرحيم البَرْقِيُّ، حدثنا ابنُ أبي مَرْيَم، حدثنا أبو غَسّان، حدثني زيدُ بن أسلَمَ: أن رسولَ الله ﷺ أصاب أمَّ إبراهيمَ في بيتِ بعض نسائِهِ، فقالت: أَيْ رسولَ الله! في بَيْتي وعلى فِراشي؟! فَجَعلها عليه حراماً. فقالت: أَيْ رسولَ الله! كيف تُحَرِّم عليك الحلالَ؟ فَحَلف لها بالله لاَ يُصِيبها. فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾، قال زيدٌ: فقولُه: «أنت عليّ حَرَامٌ» لغوٌ[(٢)]. وهكذا روى عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه.

[٦٨٨٧] وقال ابن جرير أيضاً، حدثنا يونُس، أخبرنا ابنُ وهبٍ، عن مالك، عن زيدِ بن أسلَمَ، قال: قال لها: «أنت عليّ حرام، ووالله لا أَطَؤُكِ»[(٣)].

---

(١) صحيح. أخرجه النسائي في «السنن» ٣٩٥٩ وفي «الكبرىٰ» ٢١ وفي «التفسير» ٦٢٧ والحاكم ٢/٤٩٣ من طريقين عن ثابت، وهو صحيح، وله شواهد، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٣٨٢ هكذا مرسلاً. لكن له شواهد وطرق كما ترىٰ.

(٣) أخرجه الطبري ٣٤٣٨٥. وهو مرسل كسابقه.

[٦٨٨٨] وقال سفيانُ الثوريُّ وابنُ عُليّة، عن داودَ بنِ أبي هندٍ، عن الشعبيِّ، عن مَسْرُوقٍ قال: آلى رسولُ الله ﷺ وحرَّم، فعُوتِبَ في التحريم، وأُمِرَ بالكفَّارة في اليمين[١]. رواه ابنُ جَريرٍ. وكذا رُوِي عن قتادةَ، وغيره، عن الشعبيِّ، نفسه. وكذا قال غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ، منهم الضحاكُ، والحسنُ، وقتادةُ، ومقاتِلُ بن حَيَّان، ورَوَى العوفي، عن ابن عباس القصّة مُطوَّلة.

[٦٨٨٩] وقال ابنُ جرير: حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا أبي، حدثنا محمدُ بن إسحاق، عن الزهريِّ، عن عُبَيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: قلتُ لِعُمَر بن الخطاب: من المرأتان؟ قال: عائشةُ وحفصةُ. وكان بدءُ الحديثِ في شأنِ أُمِّ إبراهيم القِبطيّة، أصابها النبيُّ ﷺ في بيت حفصةَ في نوبَتها، فوَجَدت حفصةُ، فقالت: يا نبيَّ الله! لقد جئتَ إليَّ شيئاً ما جئتَ إلى أحدٍ من أزواجك: في يَومِي؛ وفي دوري، وعلى فراشي. قال: ألا ترضَين أن أُحرِّمها فلا أقربها؟ قالت: بلى. فَحرّمها وقال: لا تذكُري ذلك لأحد. فذكرته لعائشةَ، فأظهره الله عليه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ﴾.... الآيات كُلّها، فَبلغنا أنّ رسولَ الله ﷺ كفر يَمينه، وأصاب جاريَته[٢].

[٦٨٩٠] وقال الهيثم بن كُلَيب في مُسنَده: حدثنا أبو قِلابَة عبدُ الملك بن محمد الرَّقاشي، حدثنا مُسلم بن إبراهيم، حدثنا جَريرُ بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عُمَر، عن عُمَر قال: قال النبيُّ ﷺ لحفصة: لا تُخبِري أحداً، وإنّ أمَّ إبراهيمَ عليّ حرامٌ. فقالت: أتُحرِّم ما أحلَّ الله لك؟ قال: فوالله لا أقْرَبُها. قال: فلم يَقربها حتى أخبرت عائشةَ. قال: فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ﴾[٣]. وهذا إسنادٌ صَحِيح، ولم يُخرِجه أحد من أصحاب الكتب الستّة، وقد اختاره الحافظُ الضِّياء المقدسي في كتابه المُستَخرج.

وقال ابنُ جرير: حَدَّثني يعقوبُ بن إبراهيم، حدثنا ابنُ عُلَيّة، حدثنا هشام الدَّستَوائي قال: كَتَب إليَّ يحيى يُحدِّث عن يعلَى بن حَكِيم، عن سعيد بن جُبَير: أنّ ابن عباس كان يقولُ في الحَرَام: يَمينٌ يُكَفِّرها. وقال ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، يعني: أن رسولَ الله حَرَّم جاريته فقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾. إلى قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ﴾، فَكفَّر يَمينه، فَصيَّر الحَرَام يَميناً. ورواه البخاري عن مُعاذ بن فَضالَة، عن هِشَام ـ هو الدَّستوائي ـ عن يحيى ـ هو ابنُ أبي كَثِير ـ عن ابنِ حَكِيم ـ وهو يَعلى ـ عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: في الحرام يمين تُكَفَّر. وقال ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. ورواه مُسلِمٌ من حديث هِشَام الدَّستَوائيِّ به.

وقال النَّسائي: أخبرنا عبدُ الله بن عبد الصمد بن علي، حدثنا مَخلَد ـ هو ابن يَزيد ـ، حدثنا سُفيان، عن سالم، عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس قال: أتاه رجلٌ فقال: إنّي جعلتُ امرأتي عليَّ حَراماً؟ قال: كَذَبْتَ، ليست عليك بحرام، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾، عليك أغلظُ الكفّارات، عِتقُ رَقَبةٍ. تفرّد به النسائيُّ من هذا الوجهِ، بهذا اللفظ.

[٦٨٩١] وقال الطَّبَرانِيُّ: حدثنا مُحمّد بن زَكَريّا، حدثنا عبدُ الله بن رَجَاء، حَدَّثنا إسرائيلُ، عن مُسلم،

---

(١) أخرجه الطبري ٣٤٣٨٣ وإسناده إلى مسروق صحيح على شرط البخاري ومسلم، وكرره ٣٤٣٨٧ من مرسل قتادة، وكرره ٣٤٣٨٩ من مرسل الضحاك.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٣٩٧ وفيه عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، لكن للحديث شواهد كثيرة، والله أعلم.

(٣) إسناده صحيح، وصححه ابن كثير، وله شواهد.

عن مُجاهِدٍ، عن ابن عبَّاسٍ في قَولِه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾، قال: حَرّم رسولُ الله ﷺ سُرِّيَّته[١]. ومن هاهنا ذَهَب من ذهب من الفقهاء ممَّن قال بوجوب الكفَّارة على من حَرّم جَارِيته أو زَوْجَته أو طَعاماً أو شراباً أو مَلْبساً أو شيئاً من المُبَاحات. وهو مذهبُ الإمام أحمدَ وطائفةٍ. وذهب الشافعيُّ إلى أنه لا تجب الكفَّارةُ فيما عدا الزوجة والجارية، إذا حَرّم عَيْنَيهما أو أطلق التحريمَ فيهما في قوله، فأما إن نوى بالتحريم طَلاقَ الزوجة أو عتق الأمة نَفَذَ فيهما.

[٦٨٩٢] وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبو عبد الله الظّهراني، أخبرنا حَفْصُ بن عُمَر العَدَني، أخبرنا الحكمُ بن أبانَ، أخبرنا عِكْرِمَةُ، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾، في المرأة التي وَهَبت نفسها للنبي ﷺ.[٢] وهذا قولٌ غريبٌ.

[٦٨٩٣] والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العَسَل، كما قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بنُ يوسفَ، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن عُبَيد بن عُمَير، عن عائشة قالت: كان النبيُّ ﷺ يشرَبُ عسلاً عند زينبَ بنتِ جَحشٍ، ويمكُث عندها، فتواطأتُ أنا وحفصةُ على: أَيَّتنا دَخَلَ عليها فَلْتَقُلْ له: أكلتَ مَغَافِيرَ؟ إني أجدُ منك ريحَ مغافيرَ. قال: لا. ولكني كنتُ أشرب عسلاً عند زينبَ بنتِ جَحشٍ، فلن أعودَ له، وقد حَلَفتُ لا تُخبِري بذلك أحداً، ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ﴾[٣]. هكذا أوردَ هذا الحديثَ هاهنا بهذا اللفظِ.

[٦٨٩٤] وقال في كتاب الأيمانِ والنذُور: حَدَّثنا الحسن بن محمد، حدثنا الحجّاج، عن ابن جُرَيج قال: زَعَم عطاء أنه سَمِع عُبَيد بن عُمَير يقول: سَمِعتُ عائشةَ تزعُم أن رسول الله ﷺ كان يمكُث عند زينبَ بنت جَحشٍ ويشرَبُ عندها عَسَلاً فَتَواصَيتُ أناوحفصةُ أَنَّ أَيَّتنا دخلَ عليها النبيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إني أَجِدُ منك ريحَ مغافيرَ؛ أكلتَ مغافِيرَ؟ فدخل على إحداهما النبيُّ ﷺ فقالت ذلك له، فقال: «لا. بل شَرِبت عسلاً عند زينبَ بنتِ جَحشٍ، ولن أعودَ لَه». فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾، إلى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، لعائشة وحفصة، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقوله: بل شَرِبْتَ عَسَلاً. وقال إبراهيمُ بن مُوسى، عن هشام: «ولن أعود له، وقد حَلفتُ، فلا تُخبِري بذلك أحداً»[٤]. وهكذا رَوَاه في كتاب الطلاق بهذا الإسناد، ولفظه قريبٌ منه، ثم قال: المغافير: «شبيه بالصَّمغ، يكون في الرِّمث فيه حَلاَوةٌ، أغفرَ الرِّمثُ: إذا ظهر فيه. واحدها مغفُور، ويقال: مَغَاثير». وهكذا قال الجوهري، قال: «وقد يكون المغفُور أيضاً للعُشَر والثَّمام والسَّلَم والطَّلح». قال: «والرِّمْثُ، بالكسر: مرعىً من مراعِي الإبلِ، وهو من الحَمْض». قال: والعُرفُطُ: «شَجَرٌ من العِضَاهِ يَنْضَحُ المغفُور». وقد رَوَى مُسلم هذا الحديثَ في كتابِ «الطلاقِ» من صَحِيحه، عن محمد بن حاتم، عن حَجّاج بن محمدٍ، عن ابن جُرَيج، أخبرني عطاءٌ، عن عُبَيد بن عُمَير، عن عائشة، به. ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذورِ.

[٦٨٩٥] ثم قال البُخَارِيُّ في كتاب الطلاق: حَدَّثنا فَرْوةُ بن أبي المَغْراءِ، حدثنا علي بن مُسهِر، عن

---

(١) صحيح. أخرجه البزار ٢٢٧٤ و٢٢٧٥ «كشف» والطبراني ١١١٣٠ وإسناده صحيح، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٦: رجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم، وهو ثقة.

(٢) هذا غريب كما ذكر ابن كثير رحمه الله. وحفص ضعيف وقد صح عن ابن عباس خلافه كما سيأتي.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٢.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٢٦٧ و٦٦٩١.

هِشَام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُحب الحَلْواء والعَسل، وكان إذا انصرفَ من العَصر دخلَ على نسائِه، فيدنُو من إحداهنّ. فدخَل على حفصةَ بنت عُمَر فاحتبَسَ أكثر ما كان يَحتبِسُ، فَغِرْتُ فسألتُ عن ذلك، فقيل لي: أهدَت لها امرأةٌ من قومها عُكّة عَسَل، فَسقتِ النبيّ ﷺ منه شَرْبَةً، فقلتُ: أما والله لنحتالَنّ له. فقلتُ لسودة بنتِ زَمْعَةَ: إنه سيدنُو منك، فإذا دَنَا منك فقولي: أكلتَ مَغافير؟ فإنه سيقولُ لك: لا. فقولي له: ما هذه الريحُ التي أَجِدُ؟ فإنه سيقولُ لك: سَقَتني حفصةُ شربةَ عَسَلٍ. فقولي: جَرَسَتْ نحلُه العُرفُطَ. وسأقول ذلك، وقُولي له أنت يا صفيةُ ذاكَ. قالت ـ تقولُ سَودةُ ـ: والله ما هو إلاّ أن قام على الباب، فأردتُ أن أُنادِيَه بما أَمرتنِي فرقاً منك، فلما دنا منها قالت له سودَةُ: يا رسولَ الله! أكلتَ مغافِيرَ؟ قال: لا. قالت: فما هذه الريحُ التي أجدُ منك؟ قال: سَقَتني حفصةُ شَربَة عَسَلٍ. قالت: جَرَسَت نَحلُه العُرفُطَ. فَلَمّا دار إليّ قلتُ نحو ذلك، فلما دار إلى صَفِيّة قالت له مثلَ ذلك، فلما دار إلى حفصةَ قالت له: يا رسولَ الله! ألا أسقِيكَ منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت ـ تقولُ سَودَةُ ـ: والله لقد حَرَمْنَاه. قلت لها: اسكُتِي. هذا لفظ البخاري. وقد رواه مسلم عن سُوَيد بن سَعيد، عن علي بن مُسهِر، به، وعن أبي كُرَيب، وهارون بن عبد الله، والحسن بن بشر، ثلاثتهُم عن أبي أسامة حَمّاد بن أسامة، عن هِشَام بن عُرْوَةَ، به. وعنده قالت: «وكان رسولُ الله ﷺ يَشتَدُّ عليه أن يُوجَد منه الريحُ»[1]. يعني: الريحَ الخَبِيثة، ولهذا قُلن له: «أكلتَ مَغافير»، لأنّ ريحها فيه شيءٌ. فلما قال: «بل شَرِبْتُ عَسَلاً». قلن: جَرَسَت نحلُه العُرفط. أي: رَعَت نحلُه شَجَر العُرفُطَ الذي صَمغهُ المَغَافِيرُ، فلهذا ظهر ريحُه في العَسَلِ الذي شَرِبتَه. قال الجوهري: جَرَسَتِ النحلُ العُرفُطَ إذا أكلته، ومنه قيل للنحل: جَوَارِسُ، قال الشاعر:

تَظَلّ عَلَى الثَّمْرَاء مِنها جَوارِسُ

وقال: الجَرْس والجِرْس: الصوتُ الخفيُّ. ويقال: سمعت جِرسَ الطير: إذا سَمِعتَ صوت مَناقيرها على شيءٍ تأكُله، وفي الحديث: «فَيَسمَعون جَرْس طَيرِ الجَنّة». قال الأصمعي: كنت في مجلس شُعبَةَ قال: «فيسمَعُون جَرْشَ طير الجنة»، بالشين، فقلت: «جرس»؟! فنظر إليّ فقال: خُذُوها عنه، فإنه أعلم بهذا منا. والغرضُ أنّ هذا السياقَ فيه أن حفصَةَ هي الساقية للعَسلِ، وهُو من طريق هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن خالته عائشةَ. وفي طريق ابن جُريج عن عطاء، عن عُبَيد بن عُمَير، عن عائشة أن زينب بنت جَحْشٍ هي التي سَقَت العَسَل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه، فالله أعلم. وقد يقال: إنهما واقعتانِ، ولا بُعدَ في ذلك، إلا أن كونهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظرٌ، والله أعلم. ومما يدل على أن عائشة وحفصة ـ رضي الله عنهما ـ هما المتظاهرتان الحديثُ الذي رواه الإمامُ أحمدُ في مسنَده حيث قال:

[٦٨٩٦] حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَرٌ، عن الزهرِيّ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال: لم أزل حَرِيصاً على أن أسأل عُمر عن المرأتين من أزواجِ النبيِّ ﷺ اللّتَين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، حتى حَجّ عُمَر وحَجَجتُ معه، فلما كان ببعضِ الطريقِ عدَل عمر وعَدَلت معه بالإداوة، فتبرّز ثم أتاني، فسكبتُ على يَدَيه فتوضأ، فقلت: يا أميرَ المؤمنين! مَنِ المرأتانِ مِنْ أزواج النبيِّ ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عُمر: واعجَباً لك يابن عباس ـ قال الزهري: كَرِه ـ والله ـ ما سألتُه عنه ولم يكتُمه ـ قال: هي حفصةُ وعائشةُ. قال: ثم أخذَ يسوقُ الحديثَ قال: كنا ـ مَعشرَ قريش ـ قوماً نَغلِبُ النساءَ، فلما قَدِمنا المدينةَ وجدنا قوماً تَغلِبهُم نساؤهم، فَطَفِق نساؤنا يَتعلّمن

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٢٦٨ ومسلم ١٤٧٤ ح ٢١.

من نسائهم، قال: وكان منزلي في دار بني أُميَّة بن زيد بالعَوَالي. قال: فَغَضِبْتُ يوماً عليَّ امرأتي فإذا هي تُراجِعُني، فأنكرتُ أن تُراجِعَني، فقالت: ما تُنكِر أن أُراجِعَك؟ فوالله إن أزواجَ النبيِّ ﷺ لَيُراجِعْنَه، وتهجُره إحداهُنَّ اليوم إلى الليل. قال: فانطلقتُ فدخلتُ على حفصةَ فقلت: أتُراجِعين رسولَ الله ﷺ؟ قالت: نعم. قلتُ: وتهجُره إحداكُنَّ اليومَ إلى الليل؟ قالت: نعم. قلتُ: قد خاب مَن فعل ذلك منكُنَّ وخَسِرَ، أفتأمنُ أحداكُنَّ أن يَغضَب الله عليها لِغَضَبِ رَسُوله، فإذا هي قد هَلَكت؟ لا تُرَاجعي رسولَ الله ولا تَسألِيه شيئاً، وسَلِيني من ما لي ما بدا لك، ولا يَغُرَّنَّك أن كانت جارتك هي أَوْسَمُ وأحبُّ إلى رسولِ الله ﷺ منك ـ يريد عائشةَ ـ قال: وكان لي جارٌ من الأنصار، وكنَّا نَتَناوبُ النزولَ إلى رسولِ الله ﷺ يَنزلُ يوماً وأَنزلُ يوماً، فيأتيني بخبر الوَحي وغيرِه، وآتيه بمثلِ ذلك. قال: وكُنَّا نتحدَّث أن غَسَّانَ تُنعِلُ الخيل لِتغزُوَنا، فَنَزل صاحبي يوماً ثم أتى عِشاءً فَضرب بابي ثم ناداني، فخرجتُ إليه فقال: حَدَث أمرٌ عظيمٌ فقلتُ: وما ذاكَ؟ أجاءت غَسَّان؟ قال: لا، بل أعظمُ من ذلك وأطولُ! طلَّق رسول الله ﷺ نساءَه، فقلت: قد خابت حفصةُ وخَسِرت، قد كنتُ أظنُّ هذا كائناً. حتى إذا صلَّيتُ الصبحَ شَدَدتُ عليَّ ثيابي ثم نزلتُ، فدخلتُ على حفصةَ وهي تبكي فقلت: أطلَّقكُنَّ رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المشرَبةِ. فأتيتُ غلاماً له أسودَ فقلتُ: استأذِن لِعُمَر. فدخل الغلامُ ثم خَرَج إليَّ فقال: ذكرتُك له فَصَمت. فانطلقتُ حتى أتيتُ المِنبَر، فإذا عنده رهطٌ جُلُوس يبكي بعضُهم، فجلستُ قليلاً، ثم غلبني ما أَجِدُ، فأتيتُ الغلامَ فقلت: استأذِن لِعُمَر. فدخل ثم خَرَج فقال: فقد ذكرتُك له فَصَمت. فخرجتُ فجلستُ إلى المنبر، ثم غَلَبني ما أَجِدُ فأتيتُ الغلامَ فقلتُ: استأذِن لعُمَر. فدخل ثم خرج إليَّ فقال: قد ذكرتُك له فَصَمت. فولَّيت مدبراً فإذا الغلامُ يدعُوني فقال: ادخُل، قد أَذِن لك. فدخلتُ فَسلَّمتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو مُتَّكِيءٌ على رمل حَصِير. ـ قال الإمام أحمد: وَحَدَّثنا يعقوبُ في حديثِ صالح: رُمَالِ حصير قد أثَّر في جنبه ـ فقلت: أطلَّقتَ يَا رسولَ الله نساءَكَ؟! فرفع رأسه إليّ وقال: لا. فقلتُ: اللهُ أكبرُ، لو رأيتَنا يا رسولَ الله وكنَّا معشرَ قريشٍ قوماً نَغلِبُ النساءَ، فلما قَدِمنا المدينة وَجَدنا قوماً تَغلِبُهم نساؤُهم، فَطَفِق نساؤُنا يَتعلَّمن من نسائهم، فَغَضِبتُ على امرأتي يوماً فإذا هي تُرَاجِعُني، فأنكرتُ أن تراجِعَني، فقالت: ما تُنكِر أن أُراجِعَك؟ فوالله إنَّ أزواجَ النبي ﷺ لَيُراجِعنَه، وتهجُره إحداهُنَّ اليومَ إلى الليل. فقلتُ: قد خابَ مَن فعلَ ذلك منكُنَّ وخَسِر، أفتأمنُ إحداكُنَّ أن يغضَب الله عليها لِغَضَبِ رَسُوله، فإذا هي قد هَلَكَتْ. فَتَبسَّم رسولُ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! فَدَخَلت على حفصةُ فقلتُ: لا يغُرَّنْكِ أن كانَت جَارَتُك هي أَوسَمَ وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك. فَتَبسَّم أخرى، فقلتُ: أستأنِسُ يا رسولَ الله؟! قال: نعم. فجلستُ فرفعتُ رأسي في البيت، فوالله ما رأيتُ في البيت شيئاً يَرُدُّ البصر إلا أَهَبَةٌ ثلاثة. فقلت: ادعُ الله يا رسول الله! أن يُوَسِّع على أُمَّتك، فَقَد وَسَّع على فارسَ والروم وهم لا يعبدُون الله. فاستوى جالساً وقال: أفي شَكٌّ أنتَ يا ابنَ الخطابِ؟ أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيِّباتُهم في الحياة الدنيا. فقلت: استغفِر لي يا رسولَ الله! وكان أقسم ألاَّ يدخل عليهنَّ شهراً، من شِدَّةِ مَوجِدته عليهنَّ حتى عاتَبه الله عزَّ وجلَّ[1]. وقد رَوَاه البُخاري ومسلمٌ والتِرمِذِيُّ والنَّسائِيُّ، من طُرُقٍ، عن الزهرِيِّ، به.

[٦٨٩٧] وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عُبَيد بن حُنَين، عن ابن عباس، قال: مكثتُ سنةً أُرِيد أن أسألَ عُمَر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتى خَرَج حاجاً فخرجتُ معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عَدَل إلى الأرَاكِ لحاجةٍ له، قال: فوقفتُ حتى فَرَغ، ثم سرتُ

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٦٨ ومسلم ١٤٧٩ ح ٣٤ و٣٥ والترمذي ٣٣١٨ وأحمد ١/ ٣٣ ـ ٣٤.

معه فقلت: يا أمير المؤمنين! من اللتان تظاهَرتا على النبي ﷺ؟. هذا لفظُ البخاريّ. ولمسلم: مَنِ المرأتان اللتان قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾؟ قال: عائشةُ وحَفصةُ[١]. ثم ساق الحديث بطوله، ومنهم من اختصره.

[٦٨٩٨] وقال مُسلِمٌ أيضاً: حدثني زُهَير بن حَرْبٍ، حدثنا عُمَر بن يُونُسَ الحَنَفِيُّ، حدثنا عِكرمةُ ابن عمَّار، عن سِماك بن الوليد أبي زُمَيل، حدثني عبدُ الله بن عباس، حدثني عُمَر بن الخطاب قال: لما اعتزَل نَبيُّ الله ﷺ نساءَه، دخلتُ المسجدَ فإذا الناس يَنكُتُون بالحصَى، ويقولون: طَلَّق رسولُ الله ﷺ نساءَه! وذلك قبل أن يُؤمَر بالحجاب. فقلتُ: لأعلمَنَّ ذلك اليومَ... فذكر الحديث في دخوله على عائشةَ وحفصةَ، وَوَعظه إيّاهما، إلى أن قال: «فدخلتُ فإذا أنا بِرَباحٍ غلام رسولِ الله ﷺ على أُسكُفَّةِ[٢] المشرَبة، فناديتُ فقلتُ: يا رباحُ، استأذِن لي على رسولِ الله ﷺ.... فذكر نحو ما تقدَّم، إلى أن قال: «فقلتُ: يا رسولَ الله! ما يَشُق عليك من أمرِ النِّساءِ؟ فإن كُنتَ طَلَّقتهُنَّ فإنَّ الله معك وملائكته وجبريلَ وميكائيلَ، وأنا وأبو بكر والمؤمنُون معك، وقَلَّما تكلمتُ ـ وأحمدُ الله ـ بكلام إلاَّ رجوتُ أن يكونَ الله يُصَدِّق قولي، ونَزَلت هذه الآية، آيةُ التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾. فقلت: أطلقتهُنَّ؟ قال: لا... فقمتُ على باب المسجدِ فناديتُ بأعلى صوتي: لم يُطلِّق نساءَه، ونزلَت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[٣] [النساء: ٨٣]. فكنتُ أنا استنبطتُ ذلك الأمرَ. وكذا قال سعيدُ بن جُبَير، وعكرمةُ، ومقاتلُ بن حَيَّان، والضحَّاك، وغيرهم ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾: أبو بكر وعُمَر ـ زاد الحَسَن البصريُّ: وعثمانُ: وقال ليثُ بن أبي سُلَيم، عن مجاهد: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، قال: علي بن أبي طالب.

[٦٨٩٩] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا علي بن الحُسَين، حدثنا محمد بن أبي عُمَر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال: أخبرني رجلٌ ثِقةٌ يرفعُه إلى عليٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، قال: «هو علي بن أبي طالب»[٤]، إسنادُه ضعيفٌ، وهو مُنكَر جدًا.

[٦٩٠٠] وقال البخاري: حدثنا عَمرو بن عون، حدثنا هُشَيم، عن حُمَيد، عن أنس، قال: قال عُمَر: اجتمعَ نساء النبيِّ ﷺ في الغَيرةِ عليه، فقلت لهنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾، فنزلت هذه الآيةُ[٥]. وقد تَقدَّم أنه وافقَ القرآنَ في أماكِنَ، منها في نُزول الحجابِ، ومنها في أَسارى بدرٍ، ومنها قولُه: لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مُصَلًّى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة: ١٢٥].

[٦٩٠١] قال ابنُ أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا الأنصاريُّ، حدثنا حُمَيد، عن أَنَسٍ قال: قال عُمَر ابن الخطاب: بلغني شيءٌ كان بين أُمَّهات المؤمنين وبين النبيِّ ﷺ فاستقريتهُنَّ، أقولُ: لَتَكُفُّنَّ عن رسولِ الله أو لَيُبدِلَنَّه الله أزواجاً خيراً منكُنَّ، حتى أتيتُ على آخرِ أُمَّهاتِ المؤمنين، فقالت: يا عُمَر! أما في رَسُول الله ما

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٣ و٤٩١٤ ومسلم ١٤٧٩ ح ٣١ وتقدم.

(٢) الأسكفة: عتبة البيت.

(٣) وتقدم الحديث في سورة الأحزاب.

(٤) لا أصل له عن رسول الله ﷺ، وفيه راوٍ لم يسم، وإن سمي، فهو منقطع. فإن بين محمد بن جعفر، وبين علي رضي الله عنه ثلاثة رجال في أقل تقدير. وحسب هذا المتن كونه من كلام أحد التابعين.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٦.

يعظُ نساءه، حتى تعِظَهنَّ؟! فأمسكتُ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾[١]. وهذه المرأة التي رَدَّته عما كان فيه من وَعظِ النساء هي أمُّ سَلَمة، كما ثَبَت ذلك في صحيح البخاري.

[٦٩٠٢] وقال الطبراني، حدثنا إبراهيمُ بن نائلةَ الأصبهانيُّ، حدثنا إسماعيلُ البَجَليُّ، حدثنا أبو عَوانةَ، عن أبي سِنانٍ، عن الضحاك، عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: دَخلت حفصةُ على النبيِّ ﷺ في بَيتِها وهو يَطأ ماريَةَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تُخبري عائشة حتى أُبشِّرَك ببشارة، فإن أباك يَلِي الأمرَ من بعدِ أبي بكر إذا أنا متُّ». فذهَبَتْ حفصةُ فأخبَرت عائشةَ، فقالت عائشةُ لرسول الله ﷺ: من أنبأكَ هذا؟ قال: ﴿نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾. فقالت عائشةُ: لا أنظر إليكَ حتى تُحرِّم ماريَةَ، فَحرَّمها، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[٢]. إسنادُه فيه نظرٌ، وقد تَبيَّن بما أوردناه تفسيرُ هذه الآياتِ الكريماتِ. ومعنى قوله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾ ظاهرٌ. وقولُه تعالىٰ: ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾، أي: صائماتٍ، قاله أبو هُرَيْرَةَ، وعائشةُ، وابنُ عباس، وعِكرمةُ، ومجاهدٌ، وسعيدُ ابن جُبَير، وعطاءٌ، ومحمد بن كعب القُرَظي، وأبو عبد الرحمن السلَمِيُّ، وأبو مالك، وإبراهيم النخَعِيُّ، والحسنُ، وقتادةُ والضحّاكُ، والربيعُ بن أنسٍ، والسدّي، وغيرُهم. وتَقدَّم فيه حديثٌ مرفوعٌ عند قولِهِ: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ من سورة «براءة».

[٦٩٠٣] ولفظُه: «سِياحةُ هذه الأُمّةِ الصِيام»[٣]. وقال زيدُ بن أسلَم، وابنُه عبد الرحمن: ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾، أي: مُهاجِراتٍ، وتلا عبدُ الرحمن: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾، أي: المهاجِرُون. والقولُ الأوّلُ أولى، والله أعلم.

وقولُه تعالىٰ: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾، أي: مِنهُنَّ ثَيِّباتٍ، ومِنهنَّ أبكاراً، ليكون ذلك أشهى إلى النفوس، فإن التنوع يَبسُط النفسَ، ولهذا قال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

[٦٩٠٤] وقال أبو القاسم الطَّبراني في مُعجَمِه الكبير: حدثنا أبو بكر بن صَدَقَة، حدثنا مُحمَّد بن محمد بن مرزُوقٍ، حدثنا عبُد الله بن أُميّة، حَدَّثنا عبد القُدُوسِ، عن صالح بن حَيَّانَ، عن ابن بُريدة، عن أبيه: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ قال: وعد الله نَبِيَّه ﷺ في هذه الآيَة أن يُزَوِّجه بالثَّيِّبِ آسيةَ امرأة فِرعَون، وبالأبكارِ مريَمَ بنتَ عِمران[٤].

[٦٩٠٥] وذَكَر الحافظُ ابنُ عساكِرَ في ترجمةِ مريم ـ عليها السلامُ ـ من طريق سُوَيد بن سعيد، حدثنا محمدُ بن صالح بن عمر، عن الضَّحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: جاء جبريلُ إلى رسولِ الله ﷺ فمرَّت خديجةُ فقال: إن الله يُقرِئُها السلامَ، ويُبَشِّرها بِبَيتٍ في الجنَّةِ من قَصَبٍ، بَعيدٍ من اللَهَبِ، لا نَصَبَ فيه ولا

---

(١) إسناده صحيح، وتقدم في الأحزاب.

(٢) إسناده ضعيف جداً. والمتن باطل. أخرجه الطبراني ١٢٦٤٠. وله ثلاث علل: فيه إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف. وفيه أيضاً أبو سنان سعيد بن سنان فيه ضعف، والضحاك لم يلق ابن عباس. وقد ورد من وجه آخر أخرجه الدارقطني في «سننه» ٤/ ١٥٣ و١٥٤ وفيه الكلبي، وهو محمد بن السائب، متهم بالكذب. وشيخه أبو صالح أقر بأنه حدث عن ابن عباس بأشياء كذب، راجع الميزان للذهبي.

(٣) تقدم الكلام عليه في سورة براءة آية: ١١٢.

(٤) هو موقوف علىٰ بريدة، ومع ذلك لا يصح عنه، ففي الإسناد صالح بن حيان القرشي الكوفي. ضعفه ابن معين، وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ، والمراد في الآية كون ذلك في الحياة الدنيا، لا في الآخرة. فتنبه، والله تعالىٰ أعلم.

صَخَبَ، من لُؤلؤةٍ جَوفاءَ، بين بيتِ مريمَ بنت عمران، وبيت آسيةَ بنتِ مُزَاحِم»[١].

[٦٩٠٦] ومن حديث أبي بكر الهُذَلِيّ، عن عِكرمةَ، عن ابن عبَّاس: أنّ النبي ﷺ دخلَ على خديجة، وهي في الموت، فقال: «يا خديجةُ، إذا لقيتِ ضَرَائِرَك فأقرئيهنَّ منيِّ السلام». فقالت: يا رسولَ الله! وهل تَزَوَّجتَ قبلي؟ قال: «لا، ولكن الله زَوَّجني مريمَ بنتَ عِمرانَ، وآسية امرأة فِرْعَونَ، وكلثم أختِ موسى»[٢]. ضعيف أيضاً.

[٦٩٠٧] وقال أبو يَعْلَى: حدثنا إبراهيم بن عَرْعَرَةَ، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يُونُس بن شعَيب، عن أبي أُمامةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَعَلِمْت أن الله زَوَّجني في الجنة مريمَ بنتَ عِمرانَ، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون؟». فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله![٣] وهذا أيضاً ضَعِيفٌ، ورُوِي مُرْسَلاً عن أبي داودَ[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨﴾

قال سُفيان الثَّوري، عن منصور، عن رجل، عن علي ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يقول: أدِّبوهم، علِّموهم. وقال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، يقول: اعملُوا بطاعةِ الله، واتَّقُوا معاصي الله، ومُرُوا أَهليكم بالذِّكر يُنْجِيكم الله من النار. وقال مجاهدٌ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، قال: اتقُوا الله، وأَوْصُوا أهليكم بِتَقْوىٰ الله. وقال قتادة: يأمُرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يَقُوم عليهم بأمرِ الله، يأمُرهم به ويساعِدُهم عليه، فإذا رأيت لله معصيةً قَذعتهم عنها وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حقٌّ على المسلم أن يُعلِّم أهلَه مِنْ قَرابَتِهِ وإمائه وعَبِيده ما فَرَض الله عليهم، وما نهاهُم الله عنه.

---

(١) إسناده ضعيف. فيه سويد بن سعيد ضعفه الجمهور، وقال ابن معين: لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً. أي لأنه يأتي بمناكير، والوهن فقط في عجزه. «من لؤلؤة. . . .» وأما صدره ففي الصحيح عند البخاري ٣٨١٧ ومسلم ٢٤٣٢ وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف جداً، والمتن منكر. أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» كما ذكر ابن كثير في «كتاب المسيح عيسىٰ ابن مريم» ص ١٧ من طريق محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي بهذا الإسناد. وضعفه المصنف فحسب، وليس كذلك. فإن الغلابي ضعيف الحديث. وكذبه الدارقطني وكذا الذهبي في «الميزان» ٧٥٣٧ وشيخه العباس بن بكار أسوأ حالاً منه، فقد كذبه الدارقطني أيضاً. وذكر له الذهبي أحاديث فعبر عن ذلك تارة بقوله: «اتهم بحديث غضوا أبصاركم. . .» وتارة قال «ومن مصائبه» وتارة قال «ومن أباطيله» راجع الميزان.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه ابن عدي ٧/ ١٨٠ من طريق أبي يعلىٰ. وإسناده ضعيف جداً لا شيء. له علتان: يونس بن شعيب. قال البخاري: منكر الحديث. وعنه عبد النور بن عبد الله. كذبه الذهبي في «الميزان».

(٤) أخرجه الزبير بن بكار كما في «كتاب المسيح» لابن كثير ص ١٧ عن أبي داود، وهذا مرسل كما ذكر ابن كثير رحمه الله. ومع إرساله فيه يعلىٰ بن المغيرة، وهو مجهول، لم أقف له علىٰ ترجمة بعد بحث. وأبو داود هو نفيع بن الحارث، كذبه ابن حبان وغيره.

[٦٩٠٨] وفي معنىٰ هذه الآية الحديثُ الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الملك بن الرَّبيع بن سَبْرَة، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا الصبيَّ بالصلاة إذا بلغ سبعَ سِنينَ، فإذا بلغ عشر سِنينَ فاضرِبُوه عليها»[١]. هذا لفظ أبي داود، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ».

[٦٩٠٩] ورَوَىٰ أبو داود، من حديث عَمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جَدِّه، عن النبي ﷺ مثلَ ذلك[٣]. قال الفقهاءُ: وهكذا في الصوم، لِيكُون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعةِ ومجانبة المَعصية، وتَرْكِ المُنْكَرِ، والله الموفِّقُ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، وقودُها: أي حَطَبُها الذي يُلقَىٰ فيها جُثَثُ بني آدم، ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾، قيل: المرادُ بذلك الأصنامُ التي كانت تُعبَد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٩٨]. وقال ابنُ مسعود، ومجاهدٌ، وأبو جَعفَر الباقِرُ، والسدِّي: هي حجارةٌ من كبريتٍ. زاد مجاهدٌ: أنتنُ من الجِيفَةِ.

[٦٩١٠] ورَوَىٰ ذلك ابنُ أبي حاتم ـ رحمه الله ـ ثم قال حدثنا أبي، حدثنا عبد الرحمن بن سنان المقري، حدَّثنا عبد العزيز ـ يعني ابن أبي رَوَّاد ـ قال: بَلَغني أنَّ رسولَ الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، وعنده بعضُ أصحابه، وفيهم شيخٌ، فقال الشيخُ: يا رسولَ الله! حجارةُ جَهنَّم كحجارةِ الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيدِه لَصَخرةٌ من صَخْرِ جَهنَّم أعظمُ من جبالِ الدنيا كُلِّها. قال: فَوَقع الشيخُ مَغشياً عليه، فوضع النبيُّ ﷺ يَدَهُ على فؤاده فإذا هُوَ حَيٌّ، فناداه قال: يا شيخُ، قل: لا إله إلاّ الله، فقالها، فَبَشَّره بالجنةِ، قال: فقال أصحابُه: يا رسول الله! أَمِن بيننا؟ قال: نعم، يقول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾[٢]. هذا حديثٌ مُرسَلٌ غريبٌ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، أي: طباعُهم غليظة، قد نُزِعت من قلوبهم الرحمةُ بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾، أي: تركيبهُم في غاية الشدة والكَثافة والمنظرِ المزعج، كما قال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن شَبِيب، حدثنا إبراهيم بن الحَكَم بن أبانَ، حدثنا أبي، عن عِكرَمةَ أنه قال: إذا وَصَل أول أهل النارِ إلى النارِ وَجَدوا على الباب أربعمئةِ ألفٍ من خزنة جهنم سودٌ وجوههم كالحة أنيابهُم، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحدٍ منهم مثقالُ ذَرَّةٍ من الرحمة، لو طُيِّر الطيرُ من مَنكِب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلُغَ مَنكِبه الآخَر، ثم يَجدُون على البابِ التسعةَ عَشَرَ، عرضُ صدرِ أحدِهم سبعُون خريفاً، ثم يَهوُون من بابٍ إلى بابٍ خمسَمئةِ سنةٍ، ثم يَجدُون على كلِّ بابٍ منها مثل ما وجدوا على الباب الأوّل، حتى يَنتهُوا إلى آخِرها.

وقولُه تعالىٰ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أي: مهما أمرهم به تعالى يبادرُوا إليه، لا يتأخَّرُون عنه طرْفَة عينٍ، وهم قادِرُون على فِعله ليس بهم عجزٌ عنه. وهؤلاء هم الزبانيةُ عياذاً بالله منهم. وقولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾، أي: يقال للكفرةِ يومَ القيامة: لا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف جداً، وليس بشيء فهو معضل. ابن أبي روّاد في عداد تابعي التابعين. وهو ضعيف إن وصل الحديث فكيف إذا أرسله؟ واتهمه ابن حبان بأنه روىٰ عن نافع نسخة موضوعة. راجع «الميزان».

تَعتذِرُوا فإنه لا يُقبَل منكم، وإنما تُجزون اليومَ بأعمالِكم، ثم قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، أي: توبةً صادقةً جازمةً، تمحُو ما قبلهَا من السيِّئاتِ وَتلمُّ شعثَ التائبِ وتجمَعُه، وَتَكُفُّه عما كان يتعاطاه من الدناءات.

قال ابنُ جرير: حدثنا ابن مُثنًّى، حدثنا محمد، حدثنا شعبةُ، عن سِمَاك بن حَرب: سمعتُ النعمان ابن بشير يَخطُب: سَمِعْتُ عُمَر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، قال: يُذْنِبُ الذنبَ ثم لا يَرجِعُ فيه. وقال الثوريُّ، عن سِماكٍ، عن النعمانِ، عن عُمَر قال: التوبةُ النصوحُ: أن يَتُوب من الذنبِ ثم لا يعود فيه، أو لا يُريدُ أن يعودَ فيه. وقال أبو الأحوص وغيرُهُ، عن سِماكٍ، عن النعمانِ: سُئِلَ عُمر عن التوبةِ النصوحِ، فقال: أن يَتُوبَ الرجُل من العمل السيِّء ثم لا يعود إليه أبداً. وقال الأعمشُ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، قال: يتوب ثم لا يعودُ.

[٦٩١١] وقد رُوِي هذا مرفوعاً فقال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا علي بن عاصم، عن إبراهيم الهَجَري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسولُ الله ﷺ: «التوبةُ من الذنبِ أن يتوبَ منه ثم لا يعود فيه»[١]. تَفرَّد به أحمدُ من طريق إبراهيم بن مسلم الهَجَرِي، وهو ضعيفٌ، الموقوفُ أصحُّ، والله أعلم. ولهذا قال العلماءُ: التوبةُ النصوحُ هو أن يُقلِعَ عن الذنب في الحاضِر، ويَنْدَم على ما سَلَفَ منه في الماضي، ويَعزِم على ألاّ يفعل في المستقبل. ثم إن كان الحقُّ لآدمِيٍّ ردّه إليه بطريقه.

[٦٩١٢] قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عبد الكريم، أخبرني زياد بن أبي مَرْيَم، عن عبد الله ابن مَعقِل قال: دخلت مع أبي عَلى عبد الله بن مسعود فقال: أنتَ سَمِعت النبي ﷺ يقول: الندمُ توبةٌ؟ قال: نعم. وقال مَرّة: نعم سَمِعته يقول: «الندمُ توبةٌ»[٢]. ورواه ابنُ ماجه، عن هِشَامِ بن عَمّار، عن سُفيانَ بن عيينةَ، عن عبدِ الكريم ـ وهو ابن مالك الجَزَرِيّ ـ به.

[٦٩١٣] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عَرَفة، حدثني الوليدُ بن بُكَيرٍ أبو خَبَّاب، عن عبد الله بن مُحمَّد العَدَوِيُّ، عن أبي سنان البَصريِّ، عن أبي قِلابَةَ، عن زِرِّ بن حُبَيش، عن أُبَيِّ بن كعبٍ، قال: قيل لنا أشياءُ تكونُ في آخر هذه الأُمَّة عند اقتراب الساعةِ، منها: نكاح الرجلِ امرأتَه أو أَمَته في دُبُرِها، وذلك مما حرَّم الله ورسولُه، ويمقُت الله عليه و رسولُه. ومنها نكاحُ الرجلِ الرجلَ، وذلك مما حَرَّم الله ورسولُه، ويمقُت الله عليه ورسولُه، ومنها: نكاحُ المرأةِ المرأةَ، وذلك مما حَرَّم الله ورسولُه، ويمقُت الله عليه ورسولُه. وليس لهؤلاء صلاةٌ ما أقاموا على هذا، حتىٰ يَتُوبوا إلى الله توبةً نصُوحاً. قال زرّ: فقلت لأبيِّ بن كعب: فما التوبةُ النصوحُ؟ فقال: سألتُ عن ذَلِكَ رسولَ الله ﷺ فقال: «هو الندمُ على الذنبِ حينَ يَفْرُطُ منكَ، فَتَستغفِرُ الله بندامتك منه عند الحاضر، ثم لا تعودُ إليه أبداً»[٣].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عَمرو بن علي، حدثنا عَبَّاد بن عَمْرو، حدثنا أبو عمرو بن

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤٤٦ وهو ضعيف كما قال ابن كثير رحمه الله.

(٢) حسن. أخرجه ابن ماجه ٤٢٥٢ وأحمد ١/ ٣٣ وفيه زياد، وهو شبه مجهول، لكن للحديث شواهد.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» ٥٤٥٧ بهذا الإسناد وقال: إسناده ضعيف اهـ قلت: فيه عبد الله بن محمد العدوي. قال البخاري: منكر الحديث وقال وكيع: يضع الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الإحتجاج به. والأشبه في هذا الوقف، والله أعلم.

العلاء، سَمِعت الحسن يقول: التوبةُ النصوحُ: أن تُبغِضَ الذنب كما أحببتَه، وتستغفِرَ منه إذا ذكرتَه. فأما إذا جزم بالتوبة وصَمَّمَ عليها فإنها تَجُبُّ ما قبلَها من الخَطِيئاتِ.

[٦٩١٤] كما ثَبَت في الصَّحِيح: «الإسلامُ يَجُبُّ ما قبلَه، والتوبةُ تَجُبُّ ما قبلَهَا»(١).

وهل من شرطِ التوبةِ النصُوحِ الاستمرارُ على ذلك إلى المماتِ كما تقدَّم في الحديث وفي الأثرِ: «لا يَعُودُ فيه أبداً»، أو يكفي العزمُ على ألاَّ يعودَ في تكفير الماضي، بحيث لو وَقَع منه ذلك الذنبُ بعد ذلك لا يكون ذلك ضارًا في تكفير ما تَقدَّمَ، لعموم قوله عليه السلام: «التوبةُ تجبُّ ما قبلها؟».

[٦٩١٥] وللأول أن يحتجَّ بما ثبت في الصحيح أيضاً: «مَن أحسَنَ في الإسلام لم يُؤاخَذ بما عَمِلَ في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أُخِذ بالأوَّل والآخر»(٢). فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوىٰ من التوبة فالتوبةُ بطريقِ الأولىٰ والله أعلمُ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ و«عسىٰ» من الله مُوجبة، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾، أي: ولا يُخزيهم مَعه يَعني يوم القيامة، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ كما تقدم في سورة الحديد. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، قال مجاهد، والضحاك، والحسن البصريُّ وغيرهُم: هذا يقُوله المؤمنونَ حين يَرَون يومَ القيامةِ نورَ المنافقين قد طفِيءَ.

[٦٩١٦] وقال محمد بن نصر المروزيُّ: حدثنا محمد بن مُقاتِل المَرْوَزِيُّ، حدثنا ابنُ المباركِ، أخبرنَا ابنُ لَهيعة، حدثني يَزِيدُ بن أبي حَبِيب، عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير، أنه سَمِع أبا ذَرٍّ وأبا الدَّرداء قالا: قال رسولُ الله ﷺ: أنا أول من يُؤذَن له في السجود يومَ القيامةِ، وأوَّلُ من يُؤذَن له برَفْع رأسه فأنظر بين يَدَيَّ فأعرفُ أمَّتي من بين الأمم، وأنظر عن يَميني فأعرف أُمَّتي من بين الأمم، وأنظر عن شِمالي فأعرفُ أُمَّتي من بين الأمم. فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! وكيف تعرفُ أُمَّتك من بين الأمم. قال: غُرٌّ مُحَجَّلُون من أَثَر الوضوء، ولا يكون أحدٌ من الأمم كذلك غيرُهم، وأعرِفهم أنهم يُؤتَون كُتُبَهم بأيمانِهم، وأعرِفهم بسيماهم في وُجُوهِهِم من أَثَر السجودِ، وأعرفهم بنُورِهم يسعَىٰ بين أيديهم(٣).

[٦٩١٧] وقال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاقَ الطالقاني، حدثنا ابنُ المبارك، عن يَحيىٰ بن حسان، عن رَجُل من بني كِنانة قال صَلَّيتُ خلفَ النبيِّ ﷺ عام الفتح فَسَمِعتُه يقول: «اللهُمَّ لا تخزني يومَ القيامةِ»(٤).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم في سورة الأنفال آية ٣٨.

(٣) تقدم في سورة الإسراء آية: ٧٩.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ٢٣٤ ورجاله ثقات كلهم. وجهالة الصحابي لا تضر.

يقولُ تعالىٰ آمِراً رسولَه ﷺ بجهاد الكُفّار والمنافِقين، هؤلاءِ بالسلاح والقتال، وهؤلاءِ بإقامةِ الحدودِ عليهم. ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، أي: في الدنيا ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، أي: في الأُخرىٰ. ثم قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، أي: في مُخالَطتِهم المسلمينَ ومُعاشَرتِهم لهم، أنَّ ذلك لا يُجدِي عنهم شيئاً، ولا ينفعُهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم، ثم ذكر المَثَل فقال: ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾، أي: نَبِيَّين رَسُولَين عندهما في صُحبتهما ليلاً ونهاراً، يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشدَّ العشرة والاختلاطِ، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، أي: في الإيمان، لم يُوافِقاهما على الإيمان، ولا صَدَّقاهما في الرِّسالة، فلم يُجدِ ذلك كُلّه شيئاً، ولا دَفَع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾، أي: لِكُفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾، أي: للمرأتين ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾. وليس المرادُ بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾في فاحشةٍ، بل في الدينِ، فإنَّ نساءَ الأنبياءِ معصُوماتٌ عن الوقُوع في الفاحشةِ، لِحرمَةِ الأنبياء، كما قَدَّمنا في سُورَة النور.

قال سفيان الثوري، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن سليمان بن قَتَّة: سَمِعتُ ابن عباس يقولُ في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، قال: ما زنَتا، أما امرأة نوحٍ فكانت تُخبِر أنه مجنونٌ، وأما خِيانَةُ امرأةِ لُوطٍ فكانت تَدُلُّ قومها على أضيافِهِ. وقال العَوفي، عن ابن عباسٍ قال: كانت خيانتُهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأةُ نُوح تَطَّلِع على سِرِّ نوح، فإذا آمن مَعَ نوحٍ أَحدٌ أخبرت الجبابرةَ من قوم نُوحٍ به، وأما امرأةُ لوطٍ فكانت إذا أضافَ لوطٌ أحداً أخبرت به أهلَ المدينةِ ممَّن يعمل السوء، [وقال الضحاك عَن ابن عباس: ما بغت امرأة بني قط. إنما كانت خيانتهما في الدين] وهكذا قال عِكرمةُ، وسعيدُ بن جُبَير، والضحَّاك، وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعضُ العلماء على ضَعف الحديث الذي يَأثره كثيرٌ من الناس:

[٦٩١٨] «من أكَل مع مغفُورٍ له غُفِر له»[1]. وهذا الحديث لا أصلَ له. إنما يُروىٰ هذا عن بعض الصالحين أنه رأىٰ النبي ﷺ في المنامِ فقال: يا رسولَ الله! أنت قلتَ: مَن أكل مع مَغفُورٍ له غُفِر له؟ قال: لا، ولكني الآن أقولُه.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

وهذا مَثَلٌ ضَرَبه الله للمؤمنين أنهم لا يَضرُهم مخالطةُ الكافرين إذا كانُوا محتاجِين إليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال قتادةُ: كان فِرعونُ أعتىٰ أهلِ الأرض وأكفره، فوالله ما ضَرَّ امرأته كُفرُ زَوجها حين أطاعت رَبَّها لِتعلموا أن الله تعالىٰ حكَمٌ عدل، لا يؤاخذ أحداً إلاّ بذَنبِه.

وقال ابنُ جرير: حدثنا إسماعيل بن حفص الأبليُّ، حدثنا محمد بن جعفر، عن سُلَيمان التَّيمي، عن

(١) باطل. ذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» ١٠٧٣ وقال: قال شيخنا ـ ابن حجر ـ هو كذب موضوع، وقال مرة أخرى: إنه لا أصل له صحيح، ولا حسن، ولا ضعيف. وكذا قال غيره. ليس له إسناد عند أهل العلم ا هـ باختصار. وأما كونه رؤيا فلا يثبت عند أهل العلم، وصاحب الرؤيا مجهول لا يعرف حاله، ولم يسمَّ. ثم إنه قد يأكل المنافق والزنديق مع رجل تقي مغفور له.

أبي عثمان النَّهدي، عن سَلمان قال: كانتِ امرأةُ فِرعَون تُعَذَّب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلَّتها الملائكةُ بأجنِحَتها، وكانت ترىٰ بيتَها في الجنة، ثم رواه عن محمد بن عبيد المحاربي، عن أسباطِ بن محمد عن سُلَيمان التيميّ، به.

ثم قال ابنُ جَرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن هشام الدَّستَوائي، حدثنا القاسمُ ابن أبي بَزَّة قال: كانت امرأة فِرعَون تسأل: مَن غلب؟ فَيُقال: غَلَب موسىٰ وهارونُ، فتقولُ: آمنتُ بربِّ موسىٰ وهارون فأرسل إليها فِرعَونُ فقال: انظروا أعظم صخرةٍ تَجدُونها فإن مَضَت على قولها فألقوها عليها، وإن رَجَعت عن قَولِها فهي امرأتي. فلما أَتَوها رَفَعَت بَصَرَهَا إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنَّةِ، فَمَضت على قولها، وانتزع الله روحها، وأُلقِيت الصخرةُ على جَسَدٍ ليس فيه روحٌ.

فقولُها: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، قال العلماءُ: اختارت الجارَ قبل الدَّار. وقد وَرَدَ شيءٌ من ذلك في حديثٍ مَرفُوعٍ[1]؛ ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾، أي: خَلِّصني منه، فإني أبرأ من عَمَلِهِ، ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وهذه المرأةُ هي آسية بنت مُزَاحِمٍ، رضي الله عنها.

وقال أبو جعفر الرازيُّ، عن الرَّبيع بن أنس، عن أبي العَالية قال: كان إيمانُ امرأةِ فرعون، من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جَلَست تَمشُط ابنة فِرعَونَ، فوقع المُشط من يَدِها، فقالت: تَعِس مَن كفر بالله! فقالت لها ابنة فرعون، ولك ربٌّ غيرُ أبي؟ قالت: ربِّي وربُّ أبيك وربُّ كلِّ شيءِ الله، فَلَطمتها بنتُ فِرعَون وضَرَبتها، وأخبرت أباها، فأرسل إليها فِرعَونُ فقال: تَعبُدين رَبًّا غيري؟ قالت: نعم، رَبِّي وربُّك وربُّ كلِّ شيءِ الله، وإيَّاه أعبدُ. فعذَّبها فِرعَونُ وأوتدَ لها أوتاداً، فَشَد رِجلَيها ويَدَيها وأرسل عليها الحيَّاتِ، وكانت كذلك، فأتىٰ عليها يوماً فقال لها: ما أنتِ مُنتَهِيةٌ؟ فقالت له: رَبِّي وربُّك وربُّ كلِّ شيءِ الله، فقال لها: إني ذابحٌ ابنك في فيك إن لم تفعلي. فقالت له: اقضِ ما أنت قاضٍ، فذبح ابنها في فيها، وإن رَوح ابنها بَشَّرها فقال لها: أبشري يا أُمَّه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فَصَبَرَت ثم أتىٰ فِرعَونُ يوماً آخرَ فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثلَ ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها، فَبَشَّرها رُوحه أيضاً، وقال لها: اصبري يا أُمَّه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا قال: وَسَمِعت امرأةُ فِرعَون كلامَ روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأةُ فرعونَ، وقَبَض الله رُوح امرأةِ خازنِ فِرعَونَ، وكَشَف الغِطاءِ عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجَنَّة لأمرأة فِرعَون حتىٰ رأت، فازدادت إيماناً ويقيناً وتَصديقاً، فأطلع الله فِرعَونَ على إيمانها، فقال للملأ: ما تعلمون من آسيةَ بنتِ مُزاحِم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبدُ غيري، فقالوا له: اقتُلها فأوتَدَ لها أوتاداً فَشَدَّ يَدَيها ورِجلَيها، فدعت آسيةُ ربَّها فقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾. فوافق ذلك أن حَضَرها فرعَونُ، فَضَحِكت حين رَأت بيتَها في الجنة فقال فرعون: ألا تعجَبُون من جُنونها، إنا نُعَذِّبها وهي تضحك! فَقَبض الله روحها، رضي الله عنها.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾، أي: حَفِظته وصانته. الإِحصان: هو العَفاف

---

(١) مراده حديث «الجار قبل الدار» ورد من حديث رافع بن خديج أخرجه الطبراني ٤٣٧٩ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٣٥٣٤: فيه أبان بن محبر، وهو متروك ا هـ وأعله السخاوي في المقاصد ١٦٣ بسعيد بن معروف أيضاً، وقال: هو وأبان لا تقوم بهما حجة. وورد من حديث علي أخرجه العسكري كما في «المقاصد» وقال السخاوي: ورواه الخطيب في «جامعه» من حديث خفاف بن ندبة، وكلها ضعيفة، ولكن بانضمامها تقوىٰ. ثم ذكر السخاوي هذه الآية التي نحن بصددها وعدها شاهدة لهذه الأحاديث، في حين ذكره الألباني في الضعيفة ٢٦٧٥. والله تعالىٰ أعلم.

والحُرمة. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، أي: بواسِطةِ المَلَكِ، وهو جِبْريلُ، فإن الله بَعَثه إليها فَتمثَّل لها في صورة بَشَر سَوِيّ، وأمره الله تعالىٰ أن ينفُخ بفيه في جيب دِرْعِها، فَنزلتِ النفخةُ فولَجَت في فَرجها، فكان منه الحملَ بعيسى عليه السلام. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾، أي: بِقَدَرِه وشَرْعِهِ، ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

[٦٩١٩] قال الإمام أحمد: حدثنا يونُس، حدثنا داودُ بن أبي الفُراتِ، عن عِلْبَاءٍ، عن عِكرِمَةَ، عن ابن عباس قال خط رسولُ الله ﷺ في الأرضِ أربعةَ خُطُوطٍ، وقال: أتدرُون ما هذا؟ قالوا: الله ورسُوله أعلمُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «أفضلُ نساءِ أهل الجنة خَدِيجةُ بنتُ خُوَيلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، ومريم ابنةُ عِمران وآسيةُ ابنةُ مُزاحِم امرأة فِرْعون»(١).

[٦٩٢٠] وقد ثَبَتَ في الصحيحَين من حديث شعبةَ، عن عمرو بن مُرّة، عن مُرة الهَمْدانيِّ، عن أبي موسىٰ الأشعريِّ، عن النبي ﷺ أنه قال: «كَملَ من الرجالِ كثيرٌ، ولم يكمُل من النساءِ إلاّ آسيةُ امرأةُ فِرْعونَ، ومريمُ بنتُ عِمْرانَ وخَديجة بنت خُوَيلدٍ، وإنَّ فضل عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائر الطعام»(٢).

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلامَ عليها في قِصّة عيسىٰ ابن مَرْيَم ـ عليهما السلام ـ في كتابنا «البداية والنهاية». ولله الحمدُ والمنّةُ، وذكرنا ما ورَدَ من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنتُ مزاحمٍ من أزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الجنة عند قوله تعالىٰ: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

آخر تفسير «سورة التحريم» ولله الحمدُ والمنّةُ

(١) أخرجه أحمد ١/٣١٦ وإسناده علىٰ شرط الصحيح.

(٢) تقدم في سورة آل عمران آية ٤٢.

سُورَةُ المُلْكِ

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

[٦٩٢١] قال أحمدُ: حدثنا حَجّاج بن محمد وابنُ جَعفر قالا: حدثنا شُعبة، عن قتادةَ، عن عباس الجُشَمِيِّ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن رَسُول الله ﷺ قال: «إنَّ سُورَةً في القرآن ثلاثين آيةً شَفَعَت لِصَاحِبِها حتىٰ غُفِرَ له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[1]. رَوَاه أهلُ السنَنِ الأربعةِ، من حديث شُعبةَ، به. وقال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حَسَنٌ».

[٦٩٢٢] وقد رَوَىٰ الطَّبَرَانِي والحافظ الضياء المقدسي، من طريق سَلاَّم بن مِسكينٍ، عن ثابتٍ، عن أَنس قال: قال رسول الله ﷺ : «سُورَةٌ في القرآنِ خَاصَمَت عن صاحِبِها حتىٰ أدخلته الجنة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[2].

[٦٩٢٣] وقال التِّرمذِيُّ: حدثنامحمدُ بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب، حدثنا يحيىٰ بن مالك النكرِيُّ، عن أبيه، عن أبي الجَوزاء، عن ابن عبَّاسٍ قال: ضَرَب بعضُ أصحاب النبي ﷺ خِبَاءَهُ على قَبرٍ، وهو لا يحسِبُ أنه قبرُ إنسانٍ يقرأ سورة الملك حتىٰ خَتَمها، فأتىٰ النبيَّ ﷺ يا رسول الله! ضربتُ خِبائي على قبر وأنا لاأحسبُ أنه قبرٌ، فإذا إنسانٌ يقرأ ﴿تَبَٰرَكَ﴾، حتىٰ خَتَمها، فقال رسولُ الله ﷺ : «هي المانِعةُ، هي المُنجِيَةُ، تُنجِيه من عذابِ القبر»[3]. ثم قال: «هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه. وفي الباب عن أبي هُرَيْرَةَ».

[٦٩٢٤] ثم رَوَىٰ الترمذِي أيضاً من طريق لَيثِ بن أبي سُلَيم، عن أبي الزبَير، عن جابر: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان لا ينامُ حتىٰ يقرأ ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[4] وقال ليثٌ عن طاوُس: يفضُلان كلَّ سورةٍ في القرآن بسبعين حَسَنَةً.

[٦٩٢٥] وقال الطبرانيُّ: حدَّثنا محمد بن الحسن بن عَجْلانَ الأصبهاني، حدثنا سلمةُ بنُ شَبِيبٍ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه، عن عِكرِمَة، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ : «لَوِدِدْتُ أنَّها في

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود ١٤٠٠ والترمذي ٢٨٩١ والنسائي في «الكبرىٰ» ٧١٠ وفي «التفسير» ٦٣٢ وابن ماجه ٣٧٨٦٠ وأحمد ٢/ ٢٩٩، ٣٢١ وإسناده لا بأس به لأجل عباس، لكن توبع، وله شواهد.

(٢) جيد. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٣٦٦٧ وإسناده قوي وله شواهد.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٨٩٠ والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٤١ من حديث ابن عباس. وقال البيهقي: تفرد به يحيىٰ بن عمرو بن مالك النكري، وهو ضعيف، والمتن غريب.

(٤) تقدم في السجدة.

قَلْبِ كلِّ إنسانٍ من أمتي» يعني ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[١]. هذا حديثٌ غريبٌ، وإبراهيمُ ضعيفٌ، وقد تقدَّم مثله في سورة «يس».

[٦٩٢٦] وقد روىٰ هذا الحديث عَبْد بنُ حُمَيد في مسنده بأبسطَ من هذا فقال: حدثنا إبراهيم بن الحَكَم، عن أبيه عِكْرِمة، عن ابن عباس أنه قال لرجُلٍ: ألا أُتحِفُكَ بحديثٍ تَفْرَحُ به؟ قال: بلىٰ. قال: اقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وعلِّمها أهلَك وجميعَ وَلَدِكَ وصبيانَ بيتِك وجيرانِك، فإنها المُنْجِيَةُ والمجادِلة، تجادل ـ أو تخاصم ـ يوم القيامة عند ربِّها لقارئها، وتطلُب له أن يُنجيَه من عذابِ النار، ويُنجِّي بها صاحبها من عذابِ القبرِ، قال: قال رسول الله ﷺ «لَوَدِدْتُ أنها في قَلْبِ كلِّ إنسانٍ من أُمّتي»[٢].

[٦٩٢٧] وقد رَوَىٰ الحافظ ابنُ عَساكِرَ في تاريخه، في ترجمة أحمدَ بن نصر بن زياد، أبي عبد الله القرشي النَّيسابوريِّ، المقرىءُ الزاهِدُ الفقيه ـ أحد الثقات الذين رَوَىٰ عنهم البخاري ومسلم، لكن في غير الصحيحين، ورَوَىٰ عنه الترمذي وابن ماجه وابن خُزَيمة، عليه تفقه في مذهب أبي عُبَيدٍ ابنُ خُزَيمةَ وخَلْقٌ سواهم ـ ساق بسنده من حديثه عن فُرَات بن السائب، عن الزهري، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن رَجُلاً ممَّن كان قبلَكم مات، وليس معه شيءٌ من كتاب الله إلاَّ «تبارك» فلما وُضِع في حُفرَتِهِ أتاه المَلَكُ فثارت السورةُ في وَجهه، فقال لها: إنكِ من كتاب الله، وأنا أكرَه مسَاءَتَكِ، وإني لا أملِكُ لك ولا له ولا لِنَفْسي ضرًّا ولا نَفعاً، فإن أردتِ هذا به فانطلِقي إلى الربِّ تبارك وتعالىٰ فاشفَعِي له. فتنطلق إلى الربِّ فتقولُ: يا ربِّ! إن فلاناً عَمَد إليَّ من بين كتابِك فتَعَلَّمني وتَلاني أفَتحرِقه أنتَ بالنار وتُعَذبه وأنا في جوفه؟ فإن كنتَ فاعلاً ذلك به فامحني من كتابك. فيقول: ألا أراكِ غَضِبتِ؟ فتقول: وحُقَّ لي أن أغضَبَ. فَيَقولُ: اذهَبِي فَقَد وهبتُه لكِ، وشَفَّعتُكِ فيه. قال: فتجيء فَتَزْبُرُ المَلَكَ، فَيخرُج كاسف البالِ لم يَحُل منه بشيءٍ. قال: «فَتَجيء فَتضع فاها على فيهِ، فتقول: مرحباً بهذا الفَم، فَرُبَّما تلاني، ومرحباً بهذا الصَّدرِ فَرُبَّما وعاني، ومرحَباً بهاتينِ القَدَمين فَرُبَّما قامتا بي. وتُؤنسه في قبره مَخافةَ الوحشةِ عليه». قال: فلما حَدَّث بهذا رسولُ الله ﷺ لم يبقَ صغيرٌ ولا كبيرٌ، ولا حُرٌّ ولا عَبدٌ، إلاَّ تعلَّمها، وسَمَّاها رسول الله ﷺ المُنْجِيَة»[٣]. قلت: وهذا حديثٌ منكر جداً، وفُرَات بن السائب هذا ضَعَّفَه الإمام أحمدُ، ويحيىٰ بن مَعين، والبخاريُّ، وأبو حاتم، والدارقُطنيُّ، وقد ذَكَره ابن عساكر من وجه آخر، عن الزهريِّ، من قوله مختصراً. وَرَوَىٰ البيهقي في كتاب «إثبات عذاب القبر» عن ابن مسعودٍ موقوفاً[٤] ومرفوعاً ما يشهَدُ لهذا، وقد كتبناه في «كتاب الجنائز» من الأحكامِ الكبرىٰ، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

---

(١) أخرجه الطبراني ١١٦١٦. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٢٩: فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف. وتابعه حفص بن عمر العدني عند الحاكم ١/ ٥٦٥ وصححه الحاكم! وتعقبه الذهبي بقوله: حفص واهٍ اهـ فالحديث ضعيف، لكنه صحيح من جهة المعنىٰ، فإن حفظ القرآن مستحب لكل مسلم ومؤمن، والله تعالىٰ أعلم.

(٢) ضعيف. أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» ٦٠٣، وفيه إبراهيم بن الحكم، ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف جداً، فرات هذا متروك الحديث، والمتن باطل، لا أصله له عن أنس.

(٤) لكنه مختصر جداً، انظر «الدلائل» ٧/ ٤١.

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

يُمَجِّد تعالىٰ نفسه الكريمة ويُخبِرُ أنَّهُ بيده الملكُ، أي: هو المتصرِّفُ في جَميع المخلوقات بما يشاءُ لا مُعقِّب لِحُكمِه، ولا يُسأل عما يفعَلُ، لِقَهرِه وحِكْمته وعَدله. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ واستدل بهذه الآية مَن قال: إن الموت أمرٌ وُجوديٌ لأنه ملخوقٌ. ومعنىٰ الآية أنه أوجَد الخلائق من العَدَم، لِيبلُوَهُم ويختبرهم أيُّهم أحسن عملاً؟ كما قال تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ فَسمَّىٰ الحال الأول ـ وهو العدم ـ موتاً، وسمى هذه النشأةَ حياةً ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨، والحج: ٦٦، والروم: ٤٠].

[٦٩٢٨] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعة، حدثنا صفوانُ، حدثنا الوليد، حدثنا خُلَيد، عن قتادةَ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «إن الله أذلَّ بني آدم بالموتِ، وجَعل الدنيا دار حياةٍ ثم دارَ موتٍ، وجعل الآخرةَ دار جزاءٍ ثم دار بقاءٍ»[1] ورواه معمرٌ، عن قتادة.

وقولُه تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خير عملاً، كما قال محمد بن عجلان: ولم يقل أكثرَ عملاً، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، أي: هو العزيزُ العظيمُ المنيعُ الجنابِ، وهو مع ذلك غفورٌ لمن تاب إليه وأنابَ، بعد ماعصاه وخالف أمرَه، وإن كان تعالىٰ عزيزاً هو مع ذلك يَغفِرُ ويرحَمُ ويصفَحُ ويتجاوَزُ. ثم قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾، أي: طبقةٌ بعد طبقةٍ وهل هُنَّ متواصلاتٌ بمعنىٰ أنهن عُلويَّاتٌ بعضُهُنَّ على بعض، أو متفاصلات بينَهُنَّ خلاءٌ؟ فيه قولان، أصحُّهما الثاني، كما دَلَّ على ذلك حديث الإسراءِ وغيره. وقولُه تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾، أي: بل هو مُصطَحِبٌ مُستَوٍ، ليس فيه اختلافٌ ولا تنافرٌ ولا مخالفة، ولا نقصٌ ولا عيبٌ ولا خَلَل. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي: انظر إلىٰ السماءِ فَتأمَّلها، هل ترىٰ فيها عيباً أو نقصاً أو خَلَلاً أو فُطوراً؟ قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، والضحَّاكُ، والثوريُّ، وغيرُهم في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي: شُقوقٍ، وقال السدِّي: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي: من خرُوق. وقال ابن عباس في رواية: ﴿مِن فُطُورٍ﴾، أي: وَهِيٍّ. وقال قتادة: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾، أي هل ترىٰ خَلَلاً يا ابن آدم؟! وقولُه تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، قال قتادة: مرّتين ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾، قال ابن عباس: ذليلاً. وقال مجاهدٌ، وقتادةُ: صاغراً. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، قال ابن عباس: يعني وهو كَليل. وقال مجاهد، وقتادة، والسدِّي: الحسيرُ: المنقطع من الإعياء. ومعنىٰ الآيةِ أنّك لو كرَّرتَ البصر، مهما كرَّرتَ، لانقلب إليك، أي: لرجَعَ إليك البصرُ، ﴿خَاسِئًا﴾، عن أن يَرىٰ عيباً أو خللاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، أي كَليلٌ، وقد انقطع من الإعياء من كَثْرَةِ التكرُّرِ، ولا يرىٰ نقصاً. ولمّا نفىٰ عنها في خَلقِها النقصَ بيَّن كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾، وهي الكواكب التي وُضعت فيها السيَّارات والثَّوابتِ. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾، عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يُرمىٰ بالكواكب التي في السماء، بل بِشُهُبٍ من دُونها، وقد

(١) إسناده ضعيف جداً، وله علتان: الإرسال، وضعف خليد وهو ابن دَعلج، وأخرجه الطبري ٣٤٤٧٧ عن معمر عن قتادة قوله، وهو أصح.

تكون مُستمَدَّةً منها، والله أعلم. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾، أي: جعلنا للشياطين هذا الخزيَ في الدنيا، وأعتدنا لهم عذابَ السعير في الأُخرىٰ، كما قال تعالىٰ في أول الصَّافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. قال قتادةُ: إنما خُلِقت هذه النجومُ لثلاثِ خصالٍ: خلَقها الله زينةً للسماءِ، ورُجُوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهتَدى بها. فمن تأوَّل فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حَظَّه، وأضاع نصيبه، وتكلَّفَ ما لا علم له به، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

يقولُ تعالىٰ: وأعتَدنا لِلَّذين ﴿كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦﴾، أي: بئسَ المآلُ والمُنقلبُ. ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾، قال ابن جُريج يعني الصياح. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾قال الثوري: تَغْلي بهم كما يَغْلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير. وقولُه تعالىٰ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾، أي: تكادُ ينفصلُ بعضُها من بعض، من شِدَّةِ غيظِها عليهم وحَنَقِها بهم، ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾. يذكُر تعالىٰ عَدْلَه في خلقه، وأنه لا يُعذِّب أحداً إلاّ بعد قيام الحُجَّة عليه وإرسال الرسُول إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]. وهكذا عادُوا على أنفسهم بالملامة، ونَدِموا حيث لا تنفعهم الندامةُ، فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، أي: لو كانت لنا عقولٌ ننتفِعُ بها أو نسمَعُ ما أنزل الله من الحقِّ لما كُنَّا على ما كُنَّا عليه من الكُفر بالله والاغترارِ به. ولكن لم يكن لنا فهمٌ نَعِي به ما جاءت به الرسُل، ولا كان لنا عقلٌ يُرشِدُنا إلى اتِّباعهم قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾.

[٦٩٢٩] قال الإمام أحمدُ: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعبة، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي البَختَريِّ الطائيِّ قال: أخبرني مَن سَمِعه مِن رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يَهلِك الناس حتىٰ يُعذِروا من أنفسهم»[1].

[٦٩٣٠] وفي حديث آخر: «لا يدخُلُ أحدٌ النار إلاّ وهو يعلَمُ أن النارَ أولىٰ به مِن الجنة»[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٦٠، وتقدم في المائدة: ٧٩.

(٢) لم أره مسنداً بهذا اللفظ بعد بحث، وأظنه موضوعاً.

يقولُ تعالىٰ مخبراً عمَّن يخافُ مقام رَبِّه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكفُّ عن المعاصي ويقومُ بالطاعات، حيث لا يراه أحدٌ إلاَّ الله، بأنه له مغفرةٌ وأجرٌ كبيرٌ، أي تُكفَّر عنه ذُنوبه، ويُجازى بالثواب الجزيل.

[٦٩٣١] كما ثبت في الصحيحَين: «سبعة يُظِلُّهم الله في ظلِّ عرشِه يوم لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه»، فذكر منهم: «ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات مَنصِب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها، حتىٰ لا تعلم شِمالُه ما تُنفِق يمينه»[١].

[٦٩٣٢] وقال الحافظ أبو بكر البزّار في مسنده: حدثنا طالوت بن عَبّاد، حدثنا الحارث بن عُبَيد، عن ثابت، عن أنس قال: قالوا: يا رسول الله! إنا نكون عندكَ على حالٍ، فإذا فارقناك كُنّا على غيره؟ قال: «كيف أنتم وربُّكم؟» قالوا: الله ربُّنا في السرِّ والعلانية، قال: ليس ذلكم النفاق»[٢]. لم يَرْوِهِ عن ثابتٍ إلا الحارثُ بن عُبَيد فيما نعلَمُه.

ثم قال تعالىٰ مُنبِّهاً على أنه مُطَّلِعٌ على الضمائر والسرائر: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾، أي: بما خَطَرَ في القلوب، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم الخالقُ؟ وقيل: معناه: ألا يعلم الله مخلوقه؟ والأول أولىٰ، لقوله، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. ثم ذَكر نِعمَته على خَلْقِه في تَسخِيره لهم الأرضَ وتَذليله إيّاها لهم، بأن جعلها قارةً ساكنةً لا تمتدُّ ولا تضطربُ، بما جعل فيها من الجبال، وأنبعَ فيها من العُيون، وسَلَكَ فيها من السبُل، وهيَّأَ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾، أي: فَسافِرُوا حيث شِئتُم من أقطارها، وتَردَّدُوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلَمُوا أن سَعْيَكُم لا يُجدِي عليكم شيئاً، إلاَّ أن يُيَسِّره الله لكم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ ـ فالسعيُ في السبب لا ينافي التوكل.

[٦٩٣٣] كما قال الإمام أحمدُ: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حَيْوَةُ، أخبرني بكر بن عَمرو: أنه سَمِع عبد الله بن هُبَيرة يقولُ: إنه سَمِعَ أبا تميم الجَيشانيَّ يقول: إنه سَمِع عمر بن الخطاب يقول: إنه سَمِع رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكَّلُون على الله حق تَوكله لرزقكم كما يرزُق الطيرَ، تغدُو خِماصاً وتروح بطاناً»[٣]. رواه الترمذي والنسائيُّ وابنُ ماجَه، من حديث ابن هُبَيرة، وقال الترمذي: «حسنٌ صحيحٌ» فأثبت لها رواحاً وغُدُواً لِطَلَبِ الرزقِ، مع تَوَكُّلها على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو المسخر المسيِّر المسبب. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾، أي: المرجعُ يوم القيامة، قال ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والسدِّي: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ أطرافها وفِجَاجِها ونواحيها. وقال ابن عباس وقتادةُ: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ الجبالِ. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن حَكّام الأزديُّ، حدثنا شُعبة، عن قتادَة، عن يونس بن جُبَير، عن بَشِير بن كعب: أنه قرأ هذه الآية: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لأم ولد له: إن عَلِمت ﴿مَنَاكِبِهَا﴾، فأنت عَتِيقةٌ. فقالت: هي الجبالُ. فسأل أبا الدرداء فقال: هي الجبال.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) أخرجه البزار ٥٢ وأبو يعلىٰ ٢٣٦٩ من حديث أنس، ومداره على الحارث بن عبيد الإيادي. وهو وإن روىٰ له مسلم، فقد قال أحمد: مضطرب الحديث، وضعفه يحيىٰ. ولينه النسائي وغيره، وقال ابن حبان: كان ممن كثر وهمه. فالإسناد غير قوي. ومع ذلك قال الهيثمي في «المجمع» ٨٦: رجال أبي يعلىٰ رجال الصحيح. ولم يبين ضعف الحارث، والله أعلم.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٤٤ وابن ماجه ٤١٦٤ وأحمد ١/ ٣٠ وابن حبان ٧٣٠ وإسناده حسن، وتقدم.

حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

وهذا أيضاً من لُطفه ورَحمته بخلقِه أنه قادرٌ على تَعذيبهم، بسبب كُفر بعضِهم به وعبادتهم معه غيرَه، وهو مع هذا يحلُم ويصفَح، ويُؤجِّل ولا يَعجَل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال ها هنا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾أي: تذهبُ وتجيءُ وتضطربُ، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾، أي: ريحاً فيها حصباءُ تدمَغكُم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ [الإسراء: ٦٨]. وهكذا توعَّدهم ها هنا بقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾، أي: كيف يكون إنذاري وعاقبةُ من تخلَّف عنه وكذَّب به. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: من الأُمَم السالفةِ والقُرونِ الخاليةِ، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: فكيف كان إنكاري عليهم ومُعَاقبتي لهم أي: عظيماً شديداً أليماً. ثم قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ﴾، أي: تارة يَصفُفنَ أجنِحَتهنَّ في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتنشُر جِناحاً، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾، أي: في الجوّ ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ أي: بما سَخّر لهن من الهواء، من رَحمته ولطفه، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ أي: بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: ٧٩].

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

يقولُ تعالىٰ للمشركين الذين عَبدُوا غيره، يَبتغُون عندهم نصراً ورزقاً، مُنكِراً عليهم فيما اعتقدُوه، ومُخبِراً لهم أنه لا يحصُل لهم ما أمَّلوه، فقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾، أي: ليس لكم من دُونِه من وَليّ ولا واقٍ، ولا ناصرَ لكم غيرُه، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ﴾. أي مَن هو الذي إذا قَطع الله رزقَه عنكم يرزُقكم بعده؟ أي لا أحدَ يُعطي ويمنَعُ، ويخلُق ويرزُق، وينصُر إلاّ الله ـ عزّ وجلّ ـ وحده لا شريكَ له أي: وهم يعلمون ذلك، ومع هذا يعبُدون غيره، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾، أي: استمرُّوا في طُغيانهم وإفكهم وضَلالهم، ﴿فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾، أي في معاندة، واستكبارٍ ونفورٍ على أدبارهم عن الحق، لا يَسمعُون له ولا يتَّبعونه. ثم قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾، وهذا مثل ضَربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كَمَثل من يمشي مُكِبّا على وجهه، أي يمشي مُنحَنياً لا مُستَوياً على وجهه، أي: لا يَدري أين يسلك ولا كيف يَذهب؟ بل تائه حائرٌ ضالٌّ، أهذا أهدىٰ ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾، أي: مُنتَصِب القامةِ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أي: على طريقٍ واضحٍ بيِّن، وهو في نفسه مستقيمٌ وطريقُه مُستقيمةٌ. هذا مثلُهم

في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمنُ يُحشَر يَمشي سَويًا على صراط مستقيم مُفضٍ به إلى الجنة الفيحاءِ، وأما الكافرُ فإنه يُحشَر يمشي على وجهه إلى نارِ جهنَّم، ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٦].

[٦٩٣٤] قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: حدثنا ابن نُمَير، حدثنا إسماعيلُ، عن نُفَيع قال: سَمِعت أنسَ بن مالك يقول: قيل: يا رسولَ الله! كيف يُحشَر الناسُ على وجوههم؟ قال: «أليس الذي أمشاهم على أرجُلهم قادرٌ أن يُمشِيهم على وُجُوههم»[(١)]. وهذا الحديثُ مُخرَّجٌ في الصحيحين من طريق ـ يونس ابن محمد، عن شيبان، عن قتادةَ، عن أنسٍ، به نحوه.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾، أي: ابتدأ خَلقَكم بعد أن لم تكونُوا شيئاً مذكوراً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾، أي: العقولَ والإدراكَ، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾. أي ما أقلَّ ما تستعملون هذه القُوىٰ التي أنعم الله بها عليكُم في طاعته وامتثالِ أوامِره، وتَرْك زَواجِره. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: بَثَّكم ونَشرَكُم في أقطار الأرض وأرجائها، مع اختلافِ ألسِنَتكم في لُغاتكم وألوانكم، وحِلاكم وأشكالكم وصُورِكم، ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، أي: تُجمَعُون بعد هذا التفرُّقِ والشتات يَجمَعُكم كما فرَّقكم، ويُعيدكُم كما بَدأكُم. ثم قال مُخبِراً عن الكُفَّار المُنكرين للمعادِ المُستبعِدين وُقوعَه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾، أي: متىٰ هذا الذي تخبرنا بِكَونِه من الاجتماعِ بعد هذا التفرُّق؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾، أي: لا يعلَمُ وقتَ ذلك على التَّعيين إلاّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولكنه أَمرني أن أُخبِرَكم أن هذا كائنٌ وواقعٌ لا محالة، فاحذروه، ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: وإنما عليَّ البلاغُ، وقد أدَّيتُه إليكم. قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: لما قدمت القيامةُ وشاهَدها الكفارُ، ورأوا أن الأمرَ كان قَريباً، لأن كلَّ ما هو آتٍ آتٍ وإن طال زمنُه، فلمّا وقع ما كَذَّبوا به ساءهم ذلك، لما يعلَمُون ما لهم هناك من الشر، أي فأحاطَ بهم ذلك، وجاءَهم من أمرِ الله ما لم يكُن لهم في بالٍ ولا حسابٍ، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٧ ـ ٤٨]. ولهذا يُقال لهم على وجهِ التقريع والتوبيخ: ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ أي: تَستعجِلُون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

يقولُ تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ لهؤلاء المشركين بالله الجاحِدين لِنِعَمه: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أي: خَلِّصُوا أنفسَكم، فإنه لا مُنقِذَ لكم من الله إلاّ التوبةُ والإنابةُ، والرجوعُ إلى دينه، ولا ينفعكم وقوعُ ما تتمنون لنا من العذاب والنَّكال، فَسَواء عَذَّبنا الله أو رَحِمنا، فلا مناصَ لكُم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم، ثم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، أي: آمنّا بربِّ العالمين الرحمنِ الرحيم، وعليه تَوكّلنا في جَميع أمورنا، كما قال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:

---

(١) متن صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١٦٧ وفيه نُفيع بن الحارث، وهو ضعيف متروك، لكن المتن محفوظ، أخرجه البخاري ٤٧٦٠ ومسلم ٢٨٠٦ وغيرهما وتقدم.

١٢٣]. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أي منا ومنكم، ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالىٰ، إظهاراً للرحمة في خلقه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: ذاهِباً في الأرضِ إلى أسفلَ، فلا يُنَال بالفؤوس الحِدَادِ، ولا السواعد الشداد، والغائر: عكسُ النَّابع. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ أي: نابع وسائحٍ جارٍ على وجه الأرض، أي لا يَقدِرُ على ذلك إلاَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فَمِن فَضلِهِ وكَرَمه أَنبعَ لكم المياه وأجْراها في سائرِ أقطارِ الأرضِ، بِحَسَبِ ما يحتاجُ العبادُ إليه، من القلَّةِ والكثرةِ فله الحمدُ والمنَّةُ.

آخر تفسير «سورة الملك»، ولله الحمدُ والمنَّةُ

سورة القلم

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

ويقال: سورة نون؛ وهي مكيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

وقد تقدَّم الكلامُ على حُروفِ الهجاءِ في أولَ «سُورة البقرة»، وأنَّ قوله تعالىٰ: ﴿نٓ﴾ كقوله: ﴿صٓ﴾ ﴿قٓ﴾، ونحو ذلك من الحروف المُقطَّعة في أوائل السور، وتحريرُ القولِ في ذلك بما أغنىٰ عن إعادَتهِ ههنا. وقيل: المرادُ بقوله: ﴿نٓ﴾: حوتٌ عظيمٌ على تَيَّارِ الماءِ العظيمِ المحيط، وهو حاملٌ للأرضِينَ السبعِ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير: حَدَّثنا ابنُ بشار، وحدثنا يحيىٰ حدثنا سُفيان ـ هو الثَوريُّ ـ حدثنا سُليمان ـ هو الأعمشُ ـ عن أبي ظَبيان، عن ابن عَبَّاس قال أَوَّلُ ما خلقَ الله القلمَ قال: اكتُب. قال: وما أكتُب؟ قال: اكْتُبِ القَدَر. فجرىٰ بما يكونُ من ذلك اليومِ إلى يوم قيامِ الساعةِ. ثم خلق «النُونَ» ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطَرب النون فمادَتِ الأرضُ، فأُثبِتَت بالجبالِ، فإنها لَتَفخَر على الأرض، وكذا رَوَاه ابن أبي حاتم عن أحمدَ بن سِنانٍ، عن أبي معاويةَ، عن الأعمش، به. وهكذا رواه شُعبة، ومحمد بن فُضَيل، ووكيع، عن الأعمش، به. وزاد شعبة في رِوايته: ثم قرأ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾. وقد رَوَاه شَرِيك عن الأعمشِ عن أبي ظَبيان، أو مجاهد، عن ابن عباس، فذكر نحوهَ. ورواه مَعْمَرٌ، عن الأعمشِ، أن ابن عباس قال. . فذكره، ثم قرأ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ ثم قال ابن جرير حدثنا ابنُ حُميدٍ، حَدَّثنا جَرِيرٌ، عن عطاءٍ، عن أبي الضحَىٰ، عن ابن عباس، قال: إنَّ أوَّل شيءٍ خَلَق ربِّي ـ عز وجل ـ القلمُ، ثم قال له: اكتب. فكتب ما هُو كائنٌ إلى أن تقومَ الساعةُ. ثم خلق «النون» فوق الماء، ثم كبس الأرضَ عليه[1].

[٦٩٣٥] وقد رَوَىٰ الطبراني ذلك مرفوعاً فقال: حدثنا أبو حبيب زيدُ بن المُهتَدِي المَروزيُّ حدثنا سَعِيد بن يَعقُوبَ الطالَقانيُّ، حدثنا مُؤمَّل بن إسماعيل، حدثنا حَمَّاد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحَىٰ مسلم بن صبيح، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم والحُوت،

(١) هذه الأخبار محمولة عن أهل الكتاب، وهي باطلة لا أصل لها. والأرض ليست على ظهر حوت، وإنما هي محمولة بقدرة الله، وتدور بأمر الله وقدرته، وليس هناك شيء من الكواكب، ولا من النجوم، ما هو محمول على ظهر حوت أو ظهر سمكة.

قال: للقلم: اكتب. قال ما أكتب؟ قال: كلّ شيء كائنٌ إلى يوم القيامة». ثم قرأ: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾. «فالنون: الحوتُ. والقلم: القلمُ»(١).

[٦٩٣٦] حديث آخر في ذلك رَواه ابنُ عساكرَ عن أبي عبد الله مولىٰ بني أُميّةَ، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيْرة: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أوّلَ شيءٍ خَلَقه الله القلمُ، ثم خلق «النونَ» وهي: الدوَاة. ثم قال له: اكْتُب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون ـ أي ما هو كائنٌ ـ من عَمَل أو رِزْقٍ أو أَثرٍ أو أَجَلٍ. فكتبَ ذلك إلى يوم القيامة، فذلك قولُه: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾. ثم خُتِمَ على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خَلَق العقلَ وقال: وعزّتي لأُكمِّلنَّك فيمن أحببتُ، ولأنقصنَّك مِمَّن أبغَضتُ»(٢).

وقال ابنُ أبي نَجِيح: إنَّ إبراهيمَ بن أبي بكر أخبره عن مُجاهِدٍ قال: كان يُقال النونُ الحوتُ الذي تحتَ الأرضِ السابعةِ، وقد ذكر البَغَويُّ وجماعةٌ من المفسرين: إن على ظهرِ هذا الحوتِ صخرةً سمكُها كغلظ السموات والأرضِ، وعلى ظَهرِها ثورٌ له أربعونَ ألفَ قرنٍ وعلى مَتْنِه الأَرَضُونُ السبعُ وما فيهنَّ وما بينهن، فالله أعلم.

[٦٩٣٧] ومِنَ العَجِيب أن بعضَهم حَمَل على هذا المعنىٰ الحديث الذي رَواه الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا إسماعيل، حدثنا حُمَيد عن أنس: أن عبد الله بن سَلاَم بَلَغه مقدَمَ رسولِ الله ﷺ المدينةَ فأتاه فَسأله عن أشياء، قال: إني سائِلُكَ عن أشياءَ لا يعلَمها إلاّ نبيٌّ، قال: ما أولُ أشراط الساعة؟ وما أولُ طعام يأكله أهلُ الجنة؟ وما بالُ الولد ينزِع إلى أبيه؟ والولدُ ينزع إلى أمِّه؟ قال: «أخبَرَني بهنَّ جبريلُ آنِفاً». قال ابنَ سَلاَم: فذاكَ عَدُوُّ اليهودِ من الملائكةِ قال: «أمّا أولُ أشراطِ الساعة فنارٌ تَحشُرهم من المشرق إلى المغرب. وأوَّلُ طعام يأكُله أهل الجنة زِيادَةَ كَبِد حُوتٍ، وأمّا الولدُ فإذا سبق ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نزع الولدُ، وإذا سَبَق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نَزَعت»(٣). ورواه البخاريُّ من طرق عن حُمَيد، ورواه مسلم. أيضاً، وله من حديث ثوبان ـ مولىٰ رسول الله ﷺ نحوُ هذا.

[٦٩٣٨] وفي صحيح مُسلم من حديث أبي أسماءَ الرَّحَبي، عن ثَوبانَ: أن حَبراً سأَلَ رسولَ الله ﷺ عن مسائل، فكان منها قال: فما تُحفَتُهمْ؟ ـ يعني أهلَ الجنّةِ حين يدخلُون الجنّةَ ـ قال زيادةُ كَبِد الحُوتِ. قال: فما غذاؤُهم على إثْرِها؟ قال: يُنحَرُ لهم ثَورُ الجنةِ الذي كان يأكُل من أطرافها. قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تُسَمَّىٰ سلسبيلاً»(٤). وقيل: المرادُ بقوله: ﴿نٓ﴾: لَوحٌ من نُور.

[٦٩٣٩] قال ابن جرير: حدثنا الحسن بن شبيب المُكتِبُ، حدثنا محمد بن زياد الجَزَرِيُّ، عن فُرَات بن أبي الفُرَاتِ عن مُعاوية بن قُرَة، عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾: «لوحٌ من

---

(١) لا أصل له في المرفوع، وإنما هو موقوف، أخرجه الطبراني ٨٦٥٢ و٨٦٥٣ عن ابن عباس مرفوعاً، وقال: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلاّ مؤمل بن إسماعيل. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٣٤: ومؤمل وثقه ابن معين وغيره. وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله ثقات والوهم في رفعه من مؤمّل بن إسماعيل. فإنه سيء الحفظ جداً. وقد صح عن ابن عباس من قوله كما تقدم آنفاً بإسناد صحيح.

(٢) يأتي مسنداً بعد قليل.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٢٩ و٣٩٣٨ ومسلم ٣١٥ وأحمد ٣/١٠٨ وابن حبان ٧١٦١.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٣١٥ والنسائي ١٨٨ والحاكم ٣/ ٤٨١ وابن حبان ٧٤٢٢.

نُورٍ، وقَلَمٌ من نُورٍ، يَجري بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة».[(١)] وهذا مُرسَلٌ غَريبٌ. وقال ابن جُرَيج: أُخبرتُ أنّ ذلك القَلَم من نُورٍ طولُه مِئةُ عام. وقيل: المرادُ بقوله: ﴿نٓ﴾: دواةٌ، ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: القلم. قال ابنُ جَرير: حَدَّثنا ابنُ عبد الأعلىٰ، حدثنا ابنُ ثَور، عن مَعْمَر، عن الحسنِ وقتادةَ في قولِهِ: ﴿نٓ﴾، قالا: هي الدَّواةُ.

[٦٩٤٠] وقد رُوِي في هذا حديثٌ مرفوعٌ غريبٌ جدًّا، فقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا هشامُ بن خالد، حدثنا الحسنُ بن يحيى، حدثنا أبو عبد الله مولىٰ بني أُميَّةَ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «خَلَق الله النونَ، وهي الدواةُ»[(٢)].

وقال ابنُ جَرير: حَدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ، حدثنا يَعقُوبُ، حدثنا أخي عيسىٰ بن عبد الله، حدثنا ثابت البناني، عن ابن عباس قال: إن الله خلق النون، وهي الدَّواةُ، وخَلَق القَلَم، فقال: اكتُب. قال: وما أكْتُبُ؟ قال: اكْتُب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامةِ من عمل مَعمُولٍ، بِرٍّ أو فُجُورٍ، أو رزقٍ مقسُوم، حلالٍ أو حرام. ثم ألزم كلَّ شيءٍ من ذلك شَأْنَه: دُخُولَه في الدنيا، ومُقامه فيها كم؟ وخُروجَه منها كيفَ؟ ثم جَعَل على العبادِ حفظَةً، وللكتابِ خُزّاناً، فالحفَظَةُ يَنسَخُون كلَّ يومٍ من الخُزّان عملَ ذلك اليوم، فإذا فَني الرزقُ وانقطع الأثر، وانقضىٰ الأجل، أتتِ الحفظةُ الخزنةَ يَطلبُونَ عملَ ذلك اليومِ فتقولُ لهم الخزنةُ: ما نجد لصاحِبكم عندنا شيئاً. فترجِعُ الحَفَظَةُ فَيَجِدُونَهُم قد ماتوا، قال: فقال ابن عباس: ألستم قوماً عَرَباً تسمعُون الحفظة يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]؟ وهل يكون الاستنساخُ إلاّ من أصلٍ.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾، الظاهر أنه جنسُ القلم الذي يُكتَبُ به كقوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٣ ـ ٥]. فهو قَسَمٌ منه تعالىٰ، وتَنبيهٌ لِخَلْقِه على ما أنعم به عَلَيهِمْ من تعليمِ الكتابةِ التي بها تُنالُ العُلوم. ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، قال ابنُ عبّاس، ومجاهدٌ، وقتادةُ: يعني وما يكتبُون. وقال أبو الضحىٰ، عن ابن عباس: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، أي: وما يَعمَلُون. وقال السدِّي: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: يعني الملائكةَ وما تكتُبُ من عمل العباد. وقال آخرون: بل المراد ها هنا بالقلم الذي أجراه الله بالقَدَر حين كَتب مقادير الخلائق قبل أن يخلُق السمواتِ والأرَضِين بخمسين ألفَ سنةٍ. وأوردُوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذِكرِ القَلَم.

[٦٩٤١] فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سَعيدٍ يحيىٰ بنُ سَعيدٍ القطّان ويونُس بن حَبيب قالا: حدثنا أبو داودَ الطيالسي، حدثنا عبد الواحد بن سُليم السلَمِيُّ، عن عطاء ـ هو ابنُ أبي رَباح ـ حَدَّثني الوليد بن عُبَادة بن الصّامت قال: دعاني أبي حين حَضَره الموت فقال: إني سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أوَّلَ ما خلق الله القلمُ، فقال له: اكتُب. قال: يا ربِّ، ما أكتُب؟ قال: اكتب القَدَر وما هو كائنٌ إلىٰ الأبَدِ»[(٣)]. وهذا الحديث قد رواه الإمامُ أحمدُ من طُرُقٍ، عن الوليد بن عُبادَةَ، عن أبيه، به. و أخرجه الترمذيُّ من حديث أبي داود الطيالسي، به. وقال: «حسن صحيحٌ غريبٌ». ورواه أبو داود في «كتاب السُّنَّة» من سُنَنه، عن جعفر بن

(١) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٤٥٤٠ وهذا مرسل، ومع إرساله، الحسن بن يحيىٰ ضعفه ابن معين وابن عدي، وفيه الحسن بن شبيب قال ابن عدي: يحدث بالبواطيل.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الآجري في «الشريعة» ١٦٨ و٣٥٨، وفيه الحسن بن يحيىٰ، وهو الخشني الدمشقي، وهو متروك ليس بشيء، قال ابن حبان في «المجروحين» ١/ ٢٣٥: منكر الحديث جداً، يروي عن الثقات ما لا أصل له، فاستحق الترك، اهـ، والحمل عليه في هذا الحديث، وهو بعض المتقدم قبل قليل.

(٣) تقدم تخريجه في سورة القمر آية ٤٩.

مُسافر، عن يحيىٰ بن حَسّان، عن ابن رَباح، عن إبراهيم بن أبي عبلَةَ، عن أبي حَفْصة ـ واسمُه حُبَيش بن شُرَيحِ الحَبَشِيُّ الشاميّ ـ عن عُبادَةَ، فَذَكره.

[٦٩٤٢] وقال ابنُ جَرير: حدثنا محمد بن عبد الله الطوسيُّ، حدثنا علي بن الحسن بن شَقِيق، أنبأنا عبدُ الله بن المبارك، حدثنا رَباح بنُ زيدٍ، عن عُمَر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عباس، أنه كان يُحدِّث أن رَسُول الله ﷺ قال: «إن أول شيء خَلَقه الله القلم، فأمره فكتَبَ كلَّ شيءٍ»[١]. غريب من هذا الوجه، ولم يُخرجوه. وقال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد: ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ يعني: الذي كُتِب به الذكرُ. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، أي: يكتبون كما تقدم.

وقولُه تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾، أي: لستَ ـ ولله الحمدُ ـ بمجنونٍ، كما قد يقوله الجَهَلةُ من قومك، والمُكَذِّبون بما جئتَهم به من الهُدىٰ والحقِّ المبين، فَنَسبُوك فيه إلى الجُنون، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾، أي: بل لك الأجرُ العظيمُ، والثوابُ الجَزِيلُ الذي لا يَنقطِع ولا يَبِيدُ، على إبلاغك رسالةَ ربِّك إلى الخلقِ، وصَبْرِك على أذاهم، ومعنىٰ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، أي: غيرَ مقطُوع كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، فلهم أجرٌ غيرُ ممنون، أي: غيرُ مقطوعٍ عنهم، وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾غيرَ محسوب، وهو يرجع إلى ما قلناه. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، قال العَوفِيُّ، عن ابن عباس: أي، وإنك لَعَلىٰ دينٍ عظيم، وهو الإسلامُ. وكذلك قال مجاهدٌ، وأبو مالك، والسدِّي، والربيع ابن أنسٍ، والضحّاك، وابنُ زيدٍ. وقالَ عطيةُ: لعلىٰ أدبٍ عظيمٍ.

[٦٩٤٣] وقال مَعْمَرٌ، عن قتادةَ: سُئِلت عائشةُ عن خُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ قالت: كان خلقُه القرآنَ، تقولُ: كما هو في القرآن[٢].

[٦٩٤٤] وقال سَعِيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادةَ قولُه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، ذُكِرَ لنا أن سعدَ ابنَ هشام سأل عائشةَ عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: ألستَ تقرأُ القرآنَ؟ قال: بلى. قالت: فإنَّ خُلُق رسول الله ﷺ كان القرآن[٣].

[٦٩٤٥] وقال عبد الرزّاق، عن معمر، عن قتادةَ، عن زُرارة بن أوفىٰ، عن سَعدِ بن هشام قال: سألتُ عائشةَ فقلتُ: أَخبِريني ـ يا أم المؤمنين ـ عن خُلُق رسول الله ﷺ . فقالت: أتقرأ القرآنَ؟ قلت: نعم. فقالت: كان خلقُه القرآنَ[٤]. هذا مختصر من حديث طويلٍ. وقد رواه الإمامُ مسلمٌ في صَحِيحِهِ، من حديث قتادةَ بِطُولِهِ. وسيأتي في «سُورَة المزَّمل»، إن شاء الله تعالىٰ، وبه الثقة.

[٦٩٤٦] وقال الإمام أحمدُ: حَدَّثنا إسماعيلُ، حدثنا يونُس، عن الحَسَن قال: سُئِلَتْ عائشةُ عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: كان خُلُقه القرآنَ[٥].

[٦٩٤٧] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أسودُ، حدثنا شَرِيكٌ، عن قَيس بن وَهب، عن رجل من بني سُواءَةَ قال: سألت عائشة عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأُ القرآنَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾؟ قال:

---

(١) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٥٤٤ وإسناده حسن، وله شواهد، فهو صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٥٥٩ مرسلاً، وسيأتي موصولاً.

(٣) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٥٦٠ وهو منقطع، وسيأتي موصولاً.

(٤) صحيح. أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣٢٧٥ وهو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ٦/٢١٦ وفيه انقطاع، لكن له طرق.

قلتُ: حَدِّثيني عن ذاك: قالت: صَنعتُ له طعاماً! وصَنعت له حفصةُ طعاماً، فقلت لِجارِيتي: اذهَبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبلُ فاطرَحي الطعام! قالت: فجاءت بالطعام. قالت: فألقتِ الجاريةُ، فوقعت القصعةُ فانكسرت ـ وكان نطعٌ ـ قالت: فَجَمعه رسولُ الله ﷺ وقال: «اقتصُّوا أو: اقتصّي ـ شك أسودُ ـ ظَرفاً مكان ظَرْفِكِ». قالت: فما قال شيئاً(١).

[٦٩٤٨] وقال ابن جرير حدثنا عُبَيد بن آدم بن أبي إياس، حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا المبارك بن فَضَالةَ، عن الحسن، عن سَعِد بن هشام قال: أتيتُ عائشةَ أم المؤمنين فقلتُ لها: أخبريني بخُلُق النبي ﷺ. فقالت: كان خُلقه القرآن أما تقرأ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾؟(٢). وقد رَوَىٰ أبو داودَ والنَّسائيُّ، من حديثِ الحسنِ، نحوَهُ.

[٦٩٤٩] وقال ابنُ جرير: حَدَّثني يونُس، أنبأنا ابنُ وهبٍ، أخبرني معاويةُ بن صالح، عن أبي الزَّاهريَّةِ، عن جُبَير بن نُفَير قال: حَجَجْتُ فدخلتُ على عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ فسألتُها عن خُلُق رسولِ الله ﷺ فقالت: كان خُلقُ رسولِ الله ﷺ القرآنَ(٣). وهكذا رواه أحمدُ، عن عبد الرحمن بن مَهدِيّ. ورواه النسائيّ في التفسير، عن إسحاقَ بن منصورٍ، عن عبد الرحمن بن مَهدِيّ، عن معاويةَ بن صالحٍ، به.

ومعنىٰ هذا أنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ صار امتثالُ القرآن، أمراً ونهياً، سجيةً له وخُلقاً تَطَبَّعَه، وترك طَبْعَه الجبلّيّ، فَمهما أَمَره القرآنُ فَعَله، ومَهما نهاه عنه تَرَكه، هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخُلق العظيم، من الحياءِ والكرمِ، والشجاعةِ، والصَّفحِ، والحِلمِ وكلِّ خلق جميل.

[٦٩٥٠] كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خَدَمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين فما قال لي «أُفٍّ» قطُّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعله: ألاَ فعلتَه؟! وكان رسول الله ﷺ من أَحْسَن الناس خلقاً، ولا مَسِستُ خزاً ولا حَريراً ولا شيئاً كان ألينَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمِمْتُ مسكاً ولا عِطراً كان أطيب من عَرَق رسول الله ﷺ(٤).

[٦٩٥١] وقال البُخارِيُّ: حدثنا أحمدُ بن سَعيدٍ أبو عَبدِ الله، حدثنا إسحاقُ بن منصورٍ، حدثنا إبراهيمُ بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاقَ قال: سَمِعتُ البراءَ يقول: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهاً وأحسن الناس خُلقاً، ليس بالطويل ولا بالقصيرِ(٥). والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ، ولأبي عيسىٰ التِّرمِذيِّ في هذا كتابُ «الشمائل».

[٦٩٥٢] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزّاق، حدثنا مَعمرٌ، عن الزهري، عن عُرْوة، عن عائشةَ قالت: ما ضربَ رسولُ الله ﷺ بيده خَادِماً له قطُّ، ولا امرأةً، ولا ضربَ بِيدِه شيئاً قطُّ، إلاّ أن يجاهد في سبيل الله. ولا خُيِّر بين شيئَين قطُّ إلاّ كان كان أحبُّهما إليه أيسرُهما حتىٰ يكونَ إثماً، فإذا كان إثما كان أبعد الناسِ من الإثم، ولا انتقم لنفسِه من شيءٍ يُؤتَىٰ إليه إلاّ أن تُنتَهَكَ حُرُمات الله، فيكونَ هو ينتقمُ لله عزَّ وجلَّ(٦).

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ١١١ وفيه من لم يسم، لكن للحديث شواهد.

(٢) أخرجه أبو داود ١٣٤٢ والنسائي ١١٣٥٠ والطبري ٣٤٥٦١ وهو صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) أخرجه الطبري ٣٤٥٦٢ وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٣٨ ومسلم ٢٣٠٩ وأبو داود ٤٧٧٤ وأحمد ٣/ ٢٥٥ وابن حبان ٢٨٩٤.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٣٥٤٩ ومسلم ٢٣٣٧ ح ٩٣ والترمذي في «الشمائل» ١٣١.

(٦) صحيح. أخرجه أحمد ٦/ ٢٣٢ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم وله طرق.

[٦٩٥٣] وقال الإمام أحمدُ: حدثنا سعيدُ بن منصور، حدَّثنا عبدُ العزيز بن محمد، عن محمَّد بن عَجلان، عن القعقاع بن حَكيم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ «إنما بُعِثتُ لأُتمِّم صالح الأخلاق»[١]. تفرَّد به.

وقولُه تعالىٰ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾، أي: فستعلم يا محمدُ وسيعلَمُ مخالِفُوك ومُكَذِّبوك: من المفتُون الضالُّ مِنكَ ومِنهُم. وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ۝٢٦﴾ [القمر: ٢٦]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. قال ابنُ جُريج، قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلَمُون يومَ القيامة. وقال العَوْفي، عن ابن عباس: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أي: المجنون. وكذا قال مجاهد، وغيره. وقال قتادةُ وغيرُه: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾، أي: أولىٰ بالشيطانِ. ومعنىٰ المفتونِ ظاهرٌ، أي: الذي قد افتُتِنَ عن الحقِّ وضلَّ عنه، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ لتدلَّ على تضمين الفعل في قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ وتقديره: فستعلم ويعلمون، أو فستُخْبَر ويُخْبَرون بأيكم المفتُونُ. والله أعلم. ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾، أي: هو ـ تعالىٰ ـ يعلم أيَّ الفريقين منكم ومنهم هو المُهتدي، ويَعْلَمُ الحزب الضالَّ عن الحقِّ.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾

يقول تعالىٰ: كما أنعمنا عليكَ وأعطيناك الشَّرع المستقيمَ والخُلُق العظيم، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾. قال ابن عباس: لو تُرخِّص لهم فيُرَخِّصُونَ. وقال مجاهد: وَدُّوا لو تركن إلى آلهتهم وتترُكُ ماأنتَ عليه من الحقِّ. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾، وذلك أنَّ الكاذبَ لِضَعفه ومَهانته إنما يَتَّقي بأيمانه الكاذبة التي يجترىء بها على أسماء الله تعالىٰ، واستعمالها في كل وقت في غير مَحلِّها. قال ابن عباس: المهينُ الكاذِبُ. وقال مجاهد: هو الضعيفُ القلب. وقال الحسنُ: كُلُّ حلَّافٍ مُكابِرٍ مِهينٍ ضَعِيفٍ. وقوله ﴿هَمَّازٍ﴾، قال ابنُ عباس وقتادة: يعني الاغتيابَ. ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ يعني: الذي يمشي بينَ الناسِ، ويُحرِّش بينهم وينقُل الحديثَ لفسادِ ذات البين، وهي الحالِقةُ.

[٦٩٥٤] وقد ثبت في الصحيحين من حديثِ مُجاهِدٍ، عن طاوس، عن ابن عباس قال: مَرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما لَيُعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير، أمَّا أحدُهما فكان لا يَستتِرُ من البولِ، وأما الآخرُ فكان يمشِي بالنَّميمَةِ»[٢]. الحديث. وأخرجه بقية الجماعة في كُتُبهم، من طُرُقٍ عن مجاهِدٍ، به.

[٦٩٥٥] وقال أحمدُ: حَدَّثنا أبو مُعاويةَ، حدثنا الأعمشُ، عن إبراهيم، عن هَمَّام: أن حُذَيفةَ قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «لا يدخُل الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[٣]. رواه الجماعة إلا ابنَ ماجه من طُرُقٍ، عن إبراهيمَ، به.

[٦٩٥٦] وحَدَّثنا يحيىٰ بنُ سعيدٍ القَطَّان [حدثنا] أبو سعيدِ الأحولُ، عن الأعمشِ، حدثني إبراهيم ـ منذ

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٨١ وإسناده حسن لأجل محمد بن عجلان.

(٢) متفق عليه، وتقدم في الإسراء.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٦٠٥٦ ومسلم ١٠٥ ح ١٦٩ و١٧٠ وأبو داود ٤٨٧١ والترمذي ٢٠٢٦ والنسائي في «التفسير» ٦٣٤ وأحمد ٥/ ٣٨٢.

نحو سِتِّين سنةٍ ـ عن هَمَّام بن الحارث قال: مَرَّ رجلٌ على حُذَيفةَ فقيل إن هذا يرفَعُ الحديثَ إلى الأمراء. فقال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: أو: قال ـ: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخل الجنَّةَ قَتَّاتٌ»[(١)].

[٦٩٥٧] وقال أحمدُ: حدثنا هاشمٌ، حدثنا مهدِيٌّ، عن واصل الأحدَبِ، عن أبي وائل قال: بَلَغ حُذَيفةَ عن رجل أنه ينم الحديث، فقال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمام»[(٢)].

[٦٩٥٨] وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمَرٌ، عن ابن خُثَيم، عن شهر بن حَوْشَبٍ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ بن السَّكن: أن النبيَّ ﷺ قال: ألا أُخبِرُكم بخياركُم؟ قالوا: بلى، يا رسولَ الله! قال: الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله عزَّ وجلَّ. ثم قال: ألا أُخبِرُكم بِشِراركم؟ المشَّاؤون بالنميمةِ، المُفسِدُون بين الأحبَّةِ، الباغُونَ للبُرآء العَنَتَ[(٣)]. ورواه ابنُ ماجه، عن سُوَيدِ بن سعيدٍ، عن يحيىٰ بن سُلَيم، عن ابن خُثَيم، به.

[٦٩٥٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبي حُسَين، عن شَهرِ بن حَوْشَبٍ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ـ يبلُغُ به النبي ﷺ: «خيارُ عبادِ الله الذينَ إذا يُروا ذُكِر الله، وشرارُ عباد الله المشَّاؤون بالنميمَةِ، المفرِّقون بين الأحبَّةِ، الباغُون للبُرآءِ العَنَتَ»[(٤)].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ أي: يمنَعُ ما عليه وما لَدَيه من الخير، ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحلَّ الله له، يتجاوزُ فيها الحدَّ المشرُوع ﴿أَثِيمٍ﴾، أي: يتناوَلُ المحرَّماتِ، وقولُه تعالىٰ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾، أما العُتُلُ فهو: الفَظُّ الغليظُ الصحيحُ الجَمُوعُ المَنُوعُ.

[٦٩٦٠] قال الإمامُ أحمد حدثنا وكيعٌ وعبدُ الرحمن، عن سفيانُ، عن مَعْبَدِ بن خالد، عن حارِثة ابن وَهْبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ألاَ أَنَبِّئُكم بأهلِ الجَنَّةِ؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه، ألا أُنبِئُكم بأهلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتل جَوَّاظَ مُستكبرٍ. وقال وكيع: كلُّ جَوَّاظٍ جَعْظَرِيٍّ مُستكبرٍ[(٥)]، أخرجاه في الصحيحَين وبقيَّةِ الجماعةِ، إلاّ أبا داودَ، من حديث سُفيانَ الثوريِّ وَشعبةَ، كلاهما عن معبد بن خالد، به.

[٦٩٦١] وقال الإمامُ أحمدُ أيضاً: حدثنا أبو عبدِ الرحمن، حدثنا مُوسَىٰ بن عُلَي قال: سَمِعتُ أبي يُحَدِّث عن عبد الله بن عَمرو بن العاص أن النبيَّ ﷺ قال عند ذِكرِ أهلِ النار: «كلُّ جعظَريٍّ جَوَّاظَ مُستكبر جَمَّاع مَنَّاعٍ»[(٦)]. تفرَّد به أحمد. قال أهلُ اللغةِ: الجَعْظَرِيُّ: الفَظُّ الغَليظُ: الجَمُوع المَنُوعُ.

[٦٩٦٢] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا وَكِيعٌ، حدثنا عبدُ الحَمِيدِ، عن شهرِ بن حَوشب، عن عبد الرحمن بن غَنْم، قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن العُتُلِّ الزَّنِيم، فقال: «هو الشديدُ الخَلْق المُصَحَّحُ، الأكولُ الشَّرُوب، الواجدُ للطعامِ والشرابِ، الظلوم للناسِ، رَحيب الجَوفِ»[(٧)].

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣٨٩/٥ وإسناده علىٰ شرط الصحيح.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣٩٦/٥ وإسناده علىٰ شرط البخاري ومسلم، ومهدي هو ابن ميمون.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١١٩ وأحمد ٤٥٩/٦ وإسناده لا بأس به. والعنت: الخطأ والفساد.

(٤) أخرجه أحمد ٢٢٧/٤، وعبد الرحمن مختلف في صحبته، لكن يشهد لما قبله.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩١٨ و٦٠٧١ و٦٦٥٧ ومسلم ٢٨٥٣ ح ٤٦ والترمذي ٢٦٠٥ والنسائي في «التفسير» ٦٣٥ وابن ماجه ٤١١٦ وأحمد ٣٠٦/٤.

(٦) صحيح. أخرجه أحمد ١٦٩/٢ وإسناده علىٰ شرط مسلم، وله شواهد.

(٧) أخرجه أحمد ٢٢٧/٤ وهو معلول، عبد الرحمن بن غنم مختلف في صحبته، وعبد الحميد غير قوي، ومثله شهر بن حوشب.

[٦٩٦٣] وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة الجَوّاظ الجَعْظَرِيُّ، والعُتُلُّ الزنيمُ»(١). وقد أرسله أيضاً غيرُ واحدٍ من التابعين.

[٦٩٦٤] فقال ابنُ جرير: حدثنا ابنُ عبد الأعلىٰ، حدثنا ابنُ ثَور، عن مَعْمَرٍ، عن زيد بن أسلَمَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تبكي السماء من عبدٍ أصحَّ الله جسمَه، وأرحبَ جوفَه، وأعطاه من الدنيا مِقْضَماً، فكان للناس ظَلُوماً، قال: فذلك العُتُلُّ الزَّنِيم»(٢). وهكذا رواه ابنُ أبي حاتم من طريقين مرسَلين، ونص عليه غير واحد من السَّلَف، منهم مجاهدٌ، وعكرمةُ، والحسنُ، وقتادةُ، وغيرهم أن العُتُلَّ هو: المُصَحَّحُ الخَلْقِ، الشديدُ القَوِيُّ في المأكَلِ والمشرَبِ والمنكَحِ، وغير ذلك. وأما الزَّنيم فقال البخاري: حدثنا محمودٌ، حدثنا عُبَيد الله، عن إسرائيلَ، عن أبي حَصِين، عن مجاهدٍ، عن ابن عباس: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ قال: رجل من قريش له زَنَمة مثل زنمة الشاة. ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالشر كشُهرة الشاةِ ذاتِ الزَّنَمةِ من بين أخواتها، وأما الزنيمُ في لُغَةِ العَرَب فهو الدَّعِيُّ في القوم. قاله ابن جرير وغيرُ واحدٍ من الأئمة قال: ومنه قولُ حسّان بن ثابت، يعني يذمُّ بعضَ كُفّار قُرَيشٍ:

وأنـتَ زَنـيـم نِـيـطَ فـي آلِ هَـاشـمٍ ... كَـمـا نِـيـطَ خَـلْـفَ الـرّاكـب الـقَـدَحُ الـفَـرْدُ

وقال آخر:

زَنِـيـمٌ لَـيْـسَ يُـعـرَفُ مَـن أبُـوه ... بَـغِـيُّ الأمِّ، ذُو حَـسَـبٍ لَـئِـيـم

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا عَمّار بن خالد الواسطيُّ، حدثنا أسباط، عن هِشَامٍ، عن عِكْرِمَة، عن ابن عبّاسٍ في قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾، الدَّعِيّ الفاحشُ اللَّئيم. ثم قال ابنُ عباس:

زَنِـيـمٌ، تَـدَاعـاه الـرجـالُ زِيـادَةً ... كَـمَـا زِيـدَ فـي عَـرْضِ الأدِيـم الأكَـارِعُ

وقال العوفي عن ابن عباس: الزّنيم: الدَّعيُّ. ويقال: الزنيمُ: رجل كانت به زَنَمةٌ، يُعرفَ بها. و يقال: هوالأخنسُ بن شَرِيق الثَّقفِيُّ، حليف بني زُهرة، وزَعَم أُناسٌ من بني زُهرةَ أن الزّنيم الأسودُ بن عبدِ يَغُوثَ الزهريُّ، وليس به. وقال ابنُ أبي نَجِيح، عن مُجاهِدٍ، عن ابن عباس: أنه زَعم أن الزّنيم المُلْحقَ النَّسب. وقال ابنُ أبي حاتم: حدثني يُونُس، حدَّثنا ابن وَهْبٍ، حدثني سُلَيمان بن بلال، عن عبد الرحمن بن حَرملة، عن سعيد بن المُسَيَّبِ، أنه سَمِعه يقول في هذه الآية: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾، قال سعيدٌ: هو المُلصَقُ في القوم، ليس منهم. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو سَعِيد الأشَجُّ، حدثنا عُقبة بن خالِدٍ، عن عامر بن قدامة قال: سُئِل عِكْرِمَةُ عن الزّنيم، قال: هو وَلَدُ الزّنا.

وقال الحكمُ بن أبان، عن عِكرِمة في قوله تعالىٰ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ قال: يُعرف المؤمنُ من الكافر مثلَ الشاةِ الزّنماءِ، والزَّنْماءُ التي في عُنُقها هَنَتان مَعَلَّقتان في حَلْقِها. وقال الثَّوريُّ، عن جابر، عن الحسن، عن سَعِيد بن جُبَير قال: الزّنيم الذي يُعرف بالشرّ كما تُعرفُ الشاة بِزَنَمتها. والزنيم: المُلصَقُ. رواه ابن جرير. وَروىٰ أيضاً من طريق دَاود بن أبي هند، عن عِكرمة، عن ابن عباس أنه قال في الزّنيم قال: نُعِت، فلم يُعرف حتىٰ قيل: زَنيم. قال: وكانت له زَنَمةٌ في عُنقه يُعرَف بها. وقال آخرون: كان دَعِيًّا.

قال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيب، حدثنا ابنُ إدرِيسَ، عن أبيه، عن أصحابِ التفسير قالوا: هو الذي

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٢٧ وإسناده كسابقه، لكن أصله محفوظ.

(٢) أخرجه الطبري ٣٤٦٠٣ عن زيد بن أسلم مرسلاً، لكن يشهد لما تقدم، والله أعلم.

تَكُون له زَنمةٌ مثل زَنمةِ الشاة. وقال الضحَّاكُ: كانت له زَنَمةٌ في أصْلِ أُذُنِهِ، ويقال: هو اللئيم الملصق في النسب. وقال أبو إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: هو المريب الذي يعرف بالشر. وقال مجاهد: الزَّنِيم يُعرَف بهذا الوصفِ كما تُعرَف الشاة. وقال ابن رزين: الزنيم: علامة الكفر، وقال عكرمة: الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاه بزنمتها. والأقوالُ في هذا كثيرةٌ، وترجع إلى ما قُلناه، وهو أن الزَّنيم، هو المشهورُ بالشرّ، الذي يُعرَف به من بين الناس، وغالباً يكونُ دعيّاً ولدَ زِناً، فإنه في الغالب يَتسلَّط الشيطان عليه ما لا يَتسلَّط على غيره.

[٦٩٦٥] كما جاء في الحديث: «لا يدخُل الجنةَ ولدُ زِناً»(١).

[٦٩٦٦] وفي الحديث الآخر: «ولدُ الزِّنا شرُّ الثلاثةِ إذا عَمِل بِعَمَلِ أَبويه»(٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾، يقول تعالىٰ: هذا مُقابلةَ ما أنعم الله عليه من المال والبَنِين، كَفَر بآيات الله وأعرضَ عنها وزَعم أنها كَذِبٌ مأخوذٌ من أساطير الأوَّلين، كقوله تعالىٰ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ١١ ـ ٢٦]. وقال تعالىٰ ها هنا: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

وقال ابنُ جرير: سَنُبَيِّن أمرَه بَياناً واضحاً، حتىٰ يعرفُون ولا يخفَىٰ عليهم، كما لا تخفَىٰ السمةُ على الخراطيم وهكذا قال قتادة: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ شين لا يفارقه آخر ما عليه، وفي رواية عنه: سِيما على أنفه وكذا قال السدي. وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾: يُقاتِل يومَ بدر، فيُخطَم بالسيفِ في القتال. وقال آخرون: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ سِمَةَ أهلِ النار، يعني نُسَوِّد وجهَه يومَ القيامة، وعُبِّر عن الوجهِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ٦/ ٢٥٧ وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩ وابن عدي ٣/ ٤٤٩ وابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/ ١١٠ ـ ١١١ كلهم من حديث أبي هريرة. قال ابن الجوزي: له ثلاثة طرق. فالأول فيه إسرائيل، وقد ضعفه الدارقطني والترمذي، وقال الدارقطني: قد اختلف في هذا الحديث علىٰ مجاهد من عشرة أوجه، فتارة روي عن مجاهد عن أبي هريرة، وتارة عن مجاهد عن ابن عمر، وتارة موقوفاً. وكل ذلك من تخليط الرواة. وفي الطريق الثاني من لا يعرف. وفي الطريق الثالث إبراهيم بن مهاجر، وقد ضعفه البخاري وغيره. وورد من حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه أحمد ٦٨٩٢ وابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/ ١٠٩ ـ ١١٠ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٥٥٢: فيه جابان، وثقة ابن حبان، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح اهـ. وقال ابن الجوزي: ذكر البخاري في «تاريخه» أنه ورد عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، ولا يصح قال: ولا يعرف لجابان سماع من عبد الله بن عمرو، وقال هو مجهول انظر تاريخ البخاري الصغير ١/ ٢٦٢. ثم قال ابن الجوزي: وفي الطريق الثاني عبد الكريم وقد كذبه أيوب السختياني، وقال الدارقطني: متروك. وورد من حديث مجاهد عن أبي سعيد أخرجه أبو يعلىٰ ١١٦٨ وأحمد ٣/ ٢٨ ـ ٤٤ وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف، وللحديث طرق أخرىٰ واهية، لا يصح منها شيء. وهي ربما تتقوىٰ بمجموعها، وهذا من جهة الإسناد إلا أن المتن غريب، وقد استدل ابن الجوزي على رده لهذا الحديث بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ١٠٩ من حديث عائشة؛ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٥٤٩. وفيه إبراهيم بن إسحق، ولم أعرفه. وورد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني ١٠٦٧٤، وقال الهيثمي ١٠٥/٥٠: فيه محمد بن أبي ليلىٰ، وهو سيء الحفظ، ومندل، وُثق، وفيه ضعف اهـ. وانظر «الصحيحة» ٦٧٢.

بالخُرطوم. حَكَىٰ ذلك كُلَّه أبو جعفر بنُ جَرير، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماعِ الجميعِ عليه في الدنيا والآخرة، وهو مُتَّجه.

[٦٩٦٧] وقد قال ابنُ أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح كاتِبُ الليث، حدثني الليثُ، حدثني خالدُ بن سعيدٍ، عن عبد الملك بن عبد الله، عن عيسىٰ بن هلال الصَّدَفي، عن عبد الله بن عَمرو، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ العبد يُكْتَبُ مؤمناً أحقاباً، ثم أحقاباً، ثم يموتُ والله عليه ساخطٌ وإنَّ العبدَ يُكْتَب كافراً أحقاباً ثم أحقاباً، ثم يموتُ والله عليه راض. ومن ماتَ همَّازاً لمَّازاً مُلَقِّباً للناس، كان علامتهُ يومَ القيامةِ أن يَسِمه الله على الخُرطُوم، من كلا الشفتَين»[١].

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هذا مَثَلٌ ضَرَبه الله لِكُفَّار قُرَيش فيما أهدى إليهم مِنَ الرحمةِ العَظِيمة، وأعطاهم من النِّعم الجَسِيمة، وهو بِعثَةُ محمدٍ ﷺ إليهم، فَقابَلُوه بالتَّكذِيب والردِّ والمحاربة، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾، أي: اختبرناهم، ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾، وهي البستانُ المشتمل على أنواع الثمار والفواكه، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، أي: حَلَفُوا فيما بينهم لَيَجذُّن ثَمرَها ليلاً، لئلاً يعلَم بهم فقيرٌ ولا سائِلٌ، ليتوفَّر ثمرُها عليهم ولا يتصدَّقوا منه بشيءٍ، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾، أي: فيما حَلَفُوا به. ولهذا حَنَّثَهُمُ الله في أيمانهم، فقال تعالىٰ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾، أي: أصابتها آفةٌ سماويَّةٌ، ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾، قال ابنُ عباس: أي كاللَّيلِ الأسودِ. وقال الثَّوري، والسدِّي: مثل الزَّرعِ إذا حُصِدَ، أي: هَشِيماً يَبَساً.

[٦٩٦٨] وقال ابنُ أبي حاتم: ذُكِر عن أحمد بن الصباح: أنبأنا بَشِير بن زاذان، عن عُمَر بن صُبح، عن ليث بن أبي سَليم، عن عبد الرحمن بن سابطٍ، عن ابن مسعودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إيَّاكم والمعاصيَ، إنَّ العبدَ لَيُذنِبُ الذنبَ فَيُحرَم به رزقاً قد كان هُيِّيءَ له»، ثم تَلاَ رسولُ الله ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾، «قد حُرِموا خيرَ جَنّتهم بِذَنْبِهم»[٢].

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾، أي: لما كان وقتُ الصُبح نادى بعضُهم بعضاً ليذهبُوا إلى الجِذَاذِ، ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾، أي: تُريدون الصرام. قال مجاهدٌ: كان حَرْثُهم عِنباً، ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾، أي: يتناجَون فيما بينهم بحيثُ لا يُسمِعُون أحداً كلامَهم. ثم فَسَّر الله عالمُ السِّر والنجْوَى ما

---

(١) إسناده ضعيف، لضعف عبد الله بن صالح، والمتن منكر بهذا اللفظ.

(٢) إسناده ساقط، حيث أخرجه ابن أبي حاتم تعليقاً، وفيه عمر بن صبح، وهو وضاع، وليث ضعيف.

كان يتخافتُون به، فقال تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾، أي: يقولُ بعضُهم لبعض: لا تُمكِّنوا اليومَ فَقِيراً يدخُلها عليكم! قال الله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾، أي: قُوَّةٍ وشِدَّةٍ. قال مجاهدٌ: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾، أي: جِدٍّ. وقال عِكْرِمَةُ: غَيظٍ. وقال الشَّعبي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: على المساكين. وقال السدِّي: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾، أي: كان اسمُ قريتهم حَرْدَا! فأبعدَ السدِّي في قوله هذا. ﴿قَادِرِينَ﴾، أي: عليها، فيما يَزْعُمون وَيرومُون. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾﴾، أي: فلمّا وصلُوا إليها وأشرفُوا عليها، وهي على الحالةُ التي قال الله ـ عزَّ وجل ـ قد استحالت عن تلك النضارةِ والزَّهرةِ وكثرةِ الثِّمار إلى أن صارت سوداءَ مُدْلَهِمة، لا يُنتَفعُ بشيءٍ منها، فاعتقدُوا أنهم قد أخطأُوا الطريقَ. ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾، أي: قد سَلَكِنا إليها غيرَ الطريق فَتُهنا عنها. قاله ابنُ عباس وغيرُه. ثم رجعُوا عما كانوا فيه، وتَيقَّنُوا أنها هي فقالُوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾، أي: بل هي هذه، ولكن نحنُ لا حَظَّ لنا ولا نَصِيبَ. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وسعيد بن جُبَير، وعِكْرِمةُ، ومحمد بن كَعب، والرَّبيع بن أَنَسٍ، والضحَّاك، وقتادةُ: أي أعدلُهم وخيرُهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، قال مجاهد، والسدِّي، وابن جُريج: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾، أي: لولا تَستثنُون. قال السدِّي: وكان استثناؤهم في ذلك الزمانِ تَسبيحاً. وقال ابنُ جُريج: هو قول القائل: إن شاء الله. وقيل: معناه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾، أي: هَلاَّ تُسَبِّحون الله وتشكُرونه على ما أعطاكُم وأنعمَ به عليكم. ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، أَتوا بالطاعةِ حيثُ لا تنفعُ، ونَدِمُوا واعترفُوا حيث لا ينجعُ، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾، أي: يلوم بعضُهم بعضاً على ما كانوا أصرُّوا عليه من مَنْع المساكين من حَقِّ الجِذاذِ، فما كان جوابُ بعضِهم لبعضٍ إلا الاعترافُ بالخَطيئة والذنب، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾، أي: اعتدَينا وبَغَينا وطَغَينا وجاوَزْنا الحدَّ حتى أَصابنا ما أصابنا، ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، قيل: رَغِبوا في بَدَلِها لهم في الدنيا. وقيل: احتَسَبُوا ثَوابها في الدارِ الآخرةِ، والله أعلَمُ.

ثم قد ذَكَر بعضُ السلفِ أن هؤلاءِ قد كانُوا من أهل اليمن، قال سعيد بن جُبَير: كانوا من قَرْيَةٍ يقال لها: ضَرَوَانُ، على ستة أميال من صنعاء. وقيل: كانُوا من أهلِ الحبشةِ، وكان أبوهُم قد خَلَّف لهم هذه الجنة، وكانوا من أهلِ الكتاب، وقد كان أَبوهم يسير فيها سيرةً حسنةً، فكان ما يَسْتَغِلُّه منها يَرُدُّ فيها ما يحتاجُ إليه ويَدَّخر لعياله قُوتَ سَنَتِهم، ويَتَصدَّق بالفاضل. فلما مات وَوَرِثه بَنُوه، قالوا: لقد كان أَبونا أحمق إذ كان يصرِف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنّا مَنَعناهُم لتوفَّر ذلك علينا. فلما عَزَمُوا على ذلك عُوقِبُوا بِنَقيضِ قَصْدِهم، فأذهبَ الله ما بأيديهم بالكُلِّية، رَأْسَ المالِ والرِّبحَ والصدقَةَ، فلم يَبْقَ لهم شيءٌ. قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾، أي: هكذا عذابُ مَن خالف أَمْرَ الله، وبَخِلَ بما آتاه الله وأنعمَ به عليه، ومَنَع حَقَّ المسكين والفقير وذوي الحاجات، وبَدَّل نعمةَ الله كُفراً ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، أي: هذه عقوبةُ الدنيا كما سَمِعتُم، وعذابُ الآخرةِ أَشَقُّ.

[٦٩٦٩] وقد وَرَد في حديث رواه الحافظُ البيهقيُّ من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جَدِّه أن رسول الله ﷺ نهى عن الجِذاذِ باللَّيلِ، والحَصادِ بالليلِ[1].

---

(١) كذا وقع للمصنف «عن أبيه عن جده» وظاهره عن علي رضي الله عنه، أو عن الحسين، وليس كذلك فهو عند البيهقي، في «سننه» ٢٩٨/٩ ـ ٢٩٠ عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ عن النبي ﷺ مرسلاً، وكرره عن الحسن البصري مرسلاً. فهو ضعيف.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنَّةِ الدنيويَّةِ، وما أصابهم فيها من النِّقمة حين عَصَوُا الله ـ عزَّ وجل ـ وخالفوا أمره، بَيَّنَ أنَّ لِمَنِ اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جناتِ النَّعيم، التي لا تَبيدُ ولا تفرَغ، ولا ينقض نعيمُها. ثم قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾، أي: أفَنُساوي بين هؤلاءِ وهؤلاءِ في الجزاءِ؟ كلاَّ وربِّ الأرضِ والسماءِ، ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: كيف تَظُنُّون ذلك؟!. ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾: يقول: أبأيديكم كتابٌ منزَّل من السماء تدرسُونه وتحفَظُونه وتتداوَلُونه بنَقْلِ الخَلَفِ عن السلف، مُتضمِّنٍ حكماً مُؤكداً كما تَدَّعُونه؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾، أي: أمعكُم عهودٌ منا ومواثيقُ مؤكَّدةٌ، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾، أي: إنه سيحصُل لكم ما تُريدون وتشتهُون، ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾، أي: قل لهم: مَن هو المُتضمِّن المُتكفِّل بهذا؟ قال ابن عباس: يقول: «أيهم بذلك كفيل». ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾، أي: من الأصنام والأندادِ، ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

لَمَّا ذَكَر تعالى أنَّ للمُتَّقين عنده جناتِ النعيم، بَيَّن متى ذلك كائنٌ وواقعٌ، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾، يعني يومَ القيامة وما يكونُ فيه من الأهوال والزلازِل والبلابِل والامتحانِ والأمُورِ العظامِ.

[٦٩٧٠] وقد قال البخاريُّ ها هنا: حدثنا آدمُ، حدثنا الليثُ، عن خالد بن يزيدَ، عن سعيدِ بن أبي هلالٍ، عن زيد بن أسلَمَ، عن عطاءِ بن يَسارٍ، عن أبي سعيدِ الخُدريِّ قال: سَمِعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يكشِفُ ربُّنا عن ساقه، فيسجُد له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقى مَن كان يسجُد في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهبُ لِيسجُدَ فيعودُ ظهرُه طَبَقاً واحداً»[1]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحَينِ وفي غيرهما من طُرُقٍ، وله ألفاظٌ، وهو حديث طويلٌ مشهورٌ.

وقد قال عبدُالله بن المبارك، عن أسامةَ بن زيدٍ، عن عِكرِمةَ، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: هو يومُ كَرْبٍ وشِدَّةٍ، رواه ابنُ جرير، ثم قال: حدثنا ابن حُمَيد، حَدَّثنا مهران، عن سُفيان، عن المُغيرة، عن إبراهيمَ، عن ابن مَسعُودٍ أو ابن عباس ـ الشكُّ من ابنِ جَريرٍ ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: عن أمرٍ عظيمٍ، كَقَولِ الشاعِرِ:

---

(١) صحيح. هو جزء من حديث طويل. أخرجه البخاري ٤٩١٩ و٧٤٣٩ ومسلم ١٨٣ والترمذي ٢٥٩٨ والنسائي ٨/ ١١٢ وابن ماجه ١٧٩ وأحمد ٣/ ١٦ وابن حبان ٧٣٧٧.

وقـامـتِ الـحـربُ بِـنَـا عـلـى سـاق

وقال ابنُ أبي نَجِيح، عن مجاهِدٍ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: شِدَّةُ الأمرِ. وقال ابنُ عباس: هي أولُ ساعةٍ تكون في يوم القيامة. وقال ابن جُرَيج عن مجاهِدٍ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: شِدَّةُ الأمرِ وجِدُّه. وقال عليُّ بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، هو: الأمر الشديدُ المُفظِع من الهَولِ يومَ القيامةِ. وقال العوفيُّ، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، يقولُ: حين يُكشَفُ الأمرُوتبدُو الأعمال، وكشفُه دخولُ الآخرة وكشفُ الأمرِ عنه. وكذا روى الضحاك، عن ابن عباس. أورد ذلك كلَّه أبو جعفر بنُ جرير.

[٦٩٧١] ثم قال: حدثني أبو زيدٍ عُمَر بن شَبَّة، حدثنا هارونُ بن عُمَر المخزومي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو سعيد رَوح بن جَناح، عن مولىً لعُمر بن عبد العزيز، عن أبي بُردَة بن أبي موسى، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال: «عن نُورٍ عظيم يَخِرُّون له سجداً»[١]. وَرَواه أبو يَعْلَى، عن القاسم بن يحيى، عن الوليد بن مسلم، به. وفيه رجلٌ مُبهَمٌ، فالله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، أي: في الدارِ الآخرةِ بإجرامهم وتَكَبُّرهم في الدنيا، فَعُوقِبُوا بنقيضِ ما كانوا عليه، ولما دُعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعُوا منه مع صِحَّتهم وسلامتهم كَذَلك عُوقبوا بعدم قُدرتهم عليه في الآخرة، إذا تَجلَّى الربُّ ـ عزَّ وجل ـ فسجد له المؤمنون، لا يَستطِيعُ أحدٌ من الكافرين ولا المُنافقين أن يَسجُدَ، بل يعودُ ظهرُ أحدهم طبقاً واحداً، كُلَّما أراد أَحدُهم أن يسجُدَ خَرَّ لقفاه، عكسَ السجُودِ، كما كانوا في الدنيا، بخلافِ ما عليه المؤمنون. ثم قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: يعني القرآنَ. وهذا تَهدِيدٌ شَدِيدٌ، أي: دَعني وإيَّاه مِنيّ ومنهُ أنا أعلَمُ به كيفَ أستدرِجُهُ، وأَمُدُّه في غَيِّه وأنظُر، ثم آخذُهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقتدرٍ. ولـهذا قـال تـعـالـىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: وَهُـم لا يـشـعُـرونَ، بل يَعتقِدون أنَّ ذلك من الله كرامةٌ، وهو في نفسِ الأمرِ إهانةٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦]. وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]. ولـهذا قال هاهنا: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾، أي: وأُؤَخِّرهم وأُنظِرهم وأَمدُّ لهم، وذلك من كيدِي ومَكْرِي بهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾، أي: عظيمٌ لمن خالف أمري، وكذَّب رُسُلِي، واجترأ على مَعْصِيتي.

[٦٩٧٢] وفي الصَّحِيحَين عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الله لَيُملي للظَّالِم حتَّى إذا أخَذه لم يُفلِتْه». ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[٢] [هود: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾، تقدم تفسيرهما في سورة الطور، والمعنى في ذلك: أنَّك ـ يا محمد ـ تدعُوهم إلى الله ـ عزَّ وجل ـ بلا أجرٍ تأخُذه منهم، بل

(١) أخرجه أبو يعلىٰ ٧٢٨٣ والبيهقي في «الصفات» ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ والطبري ٢٩/ ٤٢، وإسناده ضعيف. فيه راوٍ لم يسم. وفيه روح بن جناح، وهو ضعيف، واتهمه ابن حبان، ووثقهُ دحيم والحديث ضعفه الحافظ في «الفتح» ٨/ ٦٦٤. بقوله: فيه ضعف اهـ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٣٦: روح بن جناح، وثقة دحيم، وقال فيه: ليس بالقوي، وبقية رجاله ثقات اهـ والصواب أنه حديث ضعيف فيه راوٍ لم يسمَّ، وهذه العلة لم يتعرض لها الهيثمي. ثم إن ابن جناح جزم الحافظ في «التقريب» بأنه ضعيف.

(٢) وتقدم تخريج الحديث في سورة البقرة آية ١٢٦.

تَرجُو ثوابَ ذلك عند الله ـ عزَّ وجل ـ وهم يُكذِّبون بما جئتهم به، بمُجرَّد الجَهْلِ والكُفر والعِناد.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ﴾ ـ يا محمدُ ـ على أذى قومِك لك وتكذيبهم، فإنَّ الله سيحكُم لك عَليهم، ويجعلُ العاقبةَ لك ولأتباعك في الدنيا والآخرةِ، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، يعني ذا النون، وهو يونُس ابن مَتَّى عليه السلامُ، حين ذَهَب مُغاضِباً على قومه، فكان مِن أمره ما كان مِن رُكوبه في البحر والتقام الحُوتِ له، وشُرودِ الحُوتِ به في البحار وظُلُماتِ غَمَرات اليَمِّ، وسَماعه تَسبيحَ البحرِ بما فيه للعَليِّ القديرِ، الذي لا يُرَدّ ما أنفذَه من التقديرِ، فحينئذٍ نادى في الظُّلُماتِ: ﴿أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]. وقال ها هنا: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾، قال ابنُ عباس، ومجاهد، والسدِّي: مغمومٌ. وقال عطاء الخراساني، وأبو مالك: مكروبٌ.

[٦٩٧٣] وقد قدَّمنا في الحديث أنه لما قال: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، خَرَجت الكلمة تَحُفُّ حول العرش، فقالت الملائكة: يا ربِّ، هذا صوتٌ ضَعيف معروفٌ من بلادٍ غريبةٍ. فقال الله: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا يونُس. قالوا: يا ربِّ، عبدُك الذي لا يزالُ يُرفَع له عملٌ صالح ودعوةٌ مجابة؟ قال: نعم. قالوا: أفلا ترحَمُ ما كان يعمَله في الرخاء فتُنجِيَه من البلاء؟ فأمر الله الحوتَ فألقاه بالعراءِ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾[١].

[٦٩٧٤] وقد قال الإمامُ أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سُفيان، عن الأعمش، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَنبغِي لأحد أن يقولَ: أنا خيرٌ من يونُسَ بن مَتَّى»[٢]. ورواه البُخاريُّ من حديث سُفيان الثَّوري. وهو في الصحيحَين من حديثِ أبي هُرَيْرَة.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾، قال ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وغيرهُما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾: لَيَنفُذونَكَ بأبصارهم. أي: لَيَعِينُوك بأبصارهم، بمعنى يحسُدونك لِبغضُهم إيَّاك لولا وقايةُ الله لك، وحمايتهُ إيَّاك منهُم. وفي هذا الآية دليلٌ على أن العين إصابتُها وتأثيرُها حَقٌّ، بِأمْرِ الله ـ عزَّ وجل ـ كما وَرَدت بذلك الأحاديثُ المرويَّة من طُرُقٍ مُتعدِّدة كثيرةٍ:

[٦٩٧٥] حديثُ أنَس بن مالك ـ رَضِيَ الله عنه ـ قال أبو داود: حدثنا سُلَيمان بن داود العَتَكي: حدثنا شَريك (ح) ـ وحَدَّثنا العبَاسُ العَنْبَرِيُّ، حدثنا يزيدُ بنُ هارونَ، أنبأنا شَريك، عن العباس بن ذَرِيح، عن الشَّعبيِّ ـ قال العباس: عن أنس ـ قال: قال النبيُّ ﷺ: «لا رُقيَةَ إلاّ من عينٍ أو حُمَةٍ أو دَمٍ لا يَرْقأُ». لم يذكر العباس «العين». وهذا لفظ سليمان[٣].

---

(١) تقدم في الأنبياء.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ١/ ٣٩٠ وإسناده على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه البخاري ٣٤١٦ و٤٦٣١ ومسلم ٢٣٧٩ وأبو داود ٤٦٦٩ وابن حبان ٦٢٣٨ لكن من حديث أبي هريرة.

(٣) صحيح، دون لفظ «أو دم لا يرقأ». أخرجه أبو داود ٣٨٨٩ والحاكم ٤/ ٤١٣ ورجاله ثقات مشاهير لكن شريك =

[٦٩٧٦] حَدِيث بُرَيْدَةَ بن الحُصَيب ـ رَضِي الله عنه ـ قال أبو عبد الله بن ماجَه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمَير، حدثنا إسحاقُ بن سُلَيمان، عن أبي جعفر الرازيِّ، عن حُصَين، عن الشَّعبِيِّ، عن بُرَيْدَةَ ابن الحُصَيب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رُقيَة إلا من عَين أو حُمَةٍ»(١). هكذا رواه ابنُ ماجه، وقد أخرجه مُسلِمٌ في صَحِيحِهِ، عن سعيد بن مَنصُور، عن هُشَيم، عن حُصَين بن عبد الرحمن عن عامر الشَّعبِيِّ، عن بُرِيدَةَ موقوفاً، وفيه قِصَّةٌ. وقد رواه شعبةُ، عن حُصَين، عن الشعبيِّ، عن بُرَيْدَةَ، قاله الترمذي، وروى هذا الحديث الإمامُ البخاريُّ من حديث محمد بن فُضَيل، وأبو داود من حديث مالك ابن مِغوَلٍ، والترمذي من حديث سُفيان بن عُيينَةَ، ثلاثتهم عن حُصَينٍ، عن عامرِ الشعبيِّ، عن عمران بن حُصَينٍ موقوفاً.

[٦٩٧٧] حديث أبي ذَرٍّ جُندُب بن جُنادَةَ، قال الحافظ أبو يعلَى المُوْصِليُّ: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرَةَ بن البِرْند السَّامِيُّ، حدثنا ديلم بن غَزوان، حدثنا وَهبُ بن أبي دبي، عن أبي حَرْبٍ، عن مِحْجَنٍ، عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العينَ لَتُولِعُ الرجلَ بإذن الله، فيتصاعد حالقاً ثم يتردَّى منه»(٢). إسناده غريبٌ، ولم يُخرِجُوه.

[٦٩٧٨] حديثُ حابسٍ التَّميميِّ، قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبدُ الصمدِ، حدثنا حربٌ، حدثنا يحيى بن أبي كَثِير، حدثني حَيَّة بن حابس التميميُّ أنَّ أباه أخبره: أنه سَمِع رسول الله ﷺ يقول: «لا شيءَ في الهامِ، والعينُ حقٌّ، وأصدقُ الطِّيَرَةِ الفَأْلُ»(٣). وقد رواه التِّرمِذِيُّ عن عَمرو بن علي، عن أبي غَسَّان يحيى بن كَثِيرٍ، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كَثِير، به. ثم قال: غريبٌ، قال: «ورَوَى شيبانُ، عن يحيى بن أبي كَثِير، عن حَيَّةَ بنِ حابسٍ، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ».

[٦٩٧٩] قلت: كذلك رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى وحُسَين بن محمد، عن شَيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن حَيَّةَ حدَّثَهُ، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا بأسَ في الهام، والعينُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطِّيرَةِ الفألُ»(٤).

[٦٩٨٠] حديثُ ابنِ عبَّاسٍ؛ قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبدُ الله بن الوليد، عن سفيان، عن دُوَيدٍ، حدثني

= ساء حفظه لما تولى القضاء، وقد توبع علىٰ هذا الحديث دون عجزه. وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وانظر ما بعده.

(١) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٣٥١٣ وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر الرازي، وله شاهد من حديث جابر، أخرجه البزار ٣٠٥٦ وقال الهيثمي في «المجمع» ٥/ ١١١: رجاله ثقات. وله شاهد من حديث عمران بن حصين، أخرجه أبو داود ٣٨٨٤ والترمذي ٢٠٥٧ وأحمد ٤/ ٤٣٦ ـ ٤٤٦ وإسناده صحيح. ورواه غير واحد موقوفاً، ومثله لا يقال بالرأي، فالحديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ١٤٦ ـ ١٦٧ والبزار ٣٠٥٣ «كشف» وقال الهيثمي في «المجمع» ٨٤٢١: رجال أحمد ثقات. قلت: محجن وثقه ابن حبان وحده، والصواب أنه مجهول.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٦١ وأحمد ٥/ ٧٠ ـ ٧٦ والبخاري في «الأدب المفرد» ٩١٤ وأبو يعلىٰ ١٥٨٢ وإسناده لين لأجل حيّة، فإنه مقبول، وله شاهدٌ من حديث أبي أمامة، أخرجه الطبراني ٧٦٨٦ وفيه عفير بن معدان ضعيف متروك، فلعل الألباني لم يعتد بهذا الشاهد لشدة ضعفه لذا أورده في «الضعيفة» ٤٨٠٤ فإن كان ضعيفاً فالضعف فقط في الفقرة الأولىٰ، وباقي الحديث له شواهد.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٧٠ وإسناده كسابقه.

إسماعيلُ بن ثوبانَ عن جابرِ بن زيدٍ، عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «العينُ حقٌّ، العينُ حقٌّ، تَستنزل الحالقَ»[(١)]. غريب.

[٦٩٨١] طريقٌ أخرى، قال مسلم في صَحيحه: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارميُّ، أخبرنا مسلمُ بن إبراهيم: حدثنا وُهَيب، عن ابن طاوسٍ، عن أبيه، عن ابن عباسٍ، عن النبي ﷺ قال: «العينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَت العينُ، وإذا استُغسِلتم فاغسلوا»[(٢)]. انفرد به دُون البُخاريّ.

[٦٩٨٢] وقال عبدُ الرزّاق، عن سُفيان الثوري، عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعَوِّذ الحَسَن والحُسَين، يقول: «أُعِيذُكما بكلماتِ الله التامَّةِ، من كلِّ شيطان وهَامَّةٍ، ومن كلِّ عينٍ لامَّةٍ»، ويقولُ: «هكذا كان إبراهيمُ يُعَوِّذ إسحاقَ وإسماعيل عليهما السلام»[(٣)]. أخرجَه البخاري وأهل السنَن، من حديثِ المِنْهَالِ، به.

[٦٩٨٣] حديثُ أبي أُمامَةَ أسعدَ بنِ سَهلِ بن حُنَيفٍ ـ رضي الله عنه ـ قال ابنُ ماجه: حدثنا هشامُ ابن عَمَّار، حدثنا سفيان، عن الزهريِّ، عن أبي أَمامَةَ بن سهلِ بن حُنَيفٍ قال: مَرَّ عامرُ بن ربيعةَ بسهل بن حُنَيف وهو يغتسلُ فقال: لم أَرَ كاليومِ ولا جلدَ مُخبَّاةٍ. فما لبث أن لُبِطَ به، فَأُتِي به رَسولَ الله ﷺ فقيل له: أَدرِكْ سهلاً صريعاً. قال: «من تتهمونَ به»؟ قالوا: عامرَ بنَ ربيعةَ. قال: «علام يقتُل أحدُكم أخاه؟ إذا رأى أحدُكم مِن أخيه ما يُعجِبُه فَليدعُ له بالبركة». ثم دَعَا بماءٍ فأمر عامراً أن يَتوضَّأ فَيَغسِلَ وجهَه ويَدَيه إلى المِرفَقَينِ، ورُكبتَيه، ودَاخِلة إزاره، وأَمَره أن يَصُبَّ عليه. قال سفيان: قال معمر، عن الزهري: وأمر أن يَكْفَأَ الإناءَ من خَلفِهِ[(٤)]. وقد رواه النسائي، من حديث سفيان بن عُيينَةَ ومالك بن أنس، كلاهما عن الزهريِّ، به. ومن حديث سفيان بن عُيَينة أيضاً، عن معمر، عن الزهريِّ، عن أبي أُمامةَ: ويكفأَ الإناء من خَلفِهِ. ومن حديثِ ابنِ أبي ذِئبٍ عن الزهريِّ، عن أبي أُمامة أسعدَ بنِ سَهلِ بن حُنَيفٍ، عن أبيه، به. ومن حَدِيث مالكٍ أيضاً، عن محمد بن أبي أُمامَةَ بن سهلٍ، عن أبيه، به.

[٦٩٨٤] حديثُ أبي سعيد الخُدرِيِّ، قال ابنُ ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شَيبَةَ، حَدَّثنا سعيدُ بن سليمان، حدثنا عَبّاد، عن الجُرَيري، عن أبي نَضرَةَ، عن أبي سعيد قال: كان رسولُ الله ﷺ يَتعوَّذُ من أَعين الجانِّ وأعين الإنسِ. فلما نزل المعوِّذتان أخذهما وتَرَك ما سِوَى ذلك[(٥)]. ورواه الترمذي والنسائيُّ من حديث سَعيدِ بن إياس أبي مسعودٍ الجُرَيريِّ، به. وقال الترمذيُّ: «حَسَنٌ».

[٦٩٨٥] حديث آخرُ عنه، قال الإمام أحمد: حدثنا عبدُ الصَّمدِ بنُ عبد الوارث، حدثني أبي، حدثني عبد العزيز بن صُهَيب، حدثني أبو نضرةَ، عن أبي سعيد: أَنَّ جبريلَ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: «اشتَكَيتَ يا محمد؟ قال: «نعم». قال: باسمِ الله أَرقِيكَ، من كلِّ شيءٍ يُؤذِيكَ، من شَرِّ كلِّ نفسٍ وعينٍ يَشفِيكَ، باسم الله

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٤ وإسناده لين لأجل دويد وانظر «الصحيحة» ١٢٥٠.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٨٨ والطبراني ١٠٩٠٥ والبيهقي ٩/ ٣٥١.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٧١ وأبو داود ٤٧٣٧ والترمذي ٢٠٦٠ والنسائي ١٠٠٦ و١٠٠٧ وابن ماجه ٣٥٢٥ وأحمد ١/ ٢٣٦ وابن حبان ١٠١٣.

(٤) صحيح. أخرجه النسائي ٢٠٨ وابن ماجه ٣٥٠٩ وعبد الرزاق ١٩٧٦٦ وأحمد ٤/ ٣٨٦ وابن حبان ٦١٠٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠٥٨ والنسائي ٧٩٣٠ وابن ماجه ٣٥١١ وإسناده صحيح.

أَرقِيكَ»[1]. وَرَواه عن عَفَّان، عن عبد الوارث، مثله. وَرَواه مُسلِمٌ وأهل السُّنَنِ ـ إلا أبا داود ـ من حديثِ عبد الوارِثِ، بِه.

[٦٩٨٦] وقال الإمامُ أحمدُ أيضاً: حدثنا عفَّان، حدثنا وُهَيب، حدثنا داود، عن أبي نَضرةَ، عن أبي سعيد ـ أو: عن جابر بن عبد الله أن رسولَ الله ﷺ اشتكَى، فأتاه جبريلُ فقال: «باسم الله أَرقِيكَ، من كلِّ شيءٍ يُؤذِيك، من كُلِّ حاسدٍ وعينٍ [و] الله يَشفِيكَ»[2]. وَرَواه أيضاً، عن محمد بن عبد الرحمن الطُّفَاوِيِّ، عن داود، عن أبي نَضرَةَ، عن أبي سَعِيدٍ، به. قال أبو زُرعَةَ الرازيُّ: رَوَى عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن عبد العزيزِ، عن أبي نَضرَة، وعن عبد العزيز عن أنس، في معناه، وكلاهما صحيح.

[٦٩٨٧] حديثُ أبي هُرَيرة، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزَّاق، أنبأنا معمرٌ، عن هَمَّام بن مُنَبِّهٍ قال: هذا ما حدثنا أبو هُرَيرة عن رسول الله ﷺ: «إن العين حق»[3]. أخرجاه من حديثِ عبدِ الرزَّاق.

[٦٩٨٨] وقال ابنُ ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ، حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن الجُرَيري، عن مُضارب بن حزن، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العينُ حقٌّ»[4] تفرَّد به. ورواه أحمد، عن إسماعيل بن عُلَيَّة، عن سعيد الجريري به.

[٦٩٨٩] وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير. حدثنا ثور ـ يعني ابن يزيد ـ عن مكحول عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العينُ حَقٌّ، ويحضُرها الشيطانُ، وَحَسَدُ ابنِ آدَمَ»[5].

[٦٩٩٠] وقال أحمدُ: حَدَّثنا خلفُ بنُ الوليد، حدثنا أبو مَعشَرٍ، عن محمد بن قَيسٍ: سُئل [أبو] هُرَيرةَ: هل سَمِعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: الطِّيَرَةُ في ثلاث: في المسكنِ والفرسِ والمرأةِ؟ قال: قلت: إذاً أقولُ على رسول الله ﷺ ما لم يقل! ولكني سَمِعت رسول الله ﷺ يقول: «أصدقُ الطِّيَرَةِ الفألُ، والعينُ حقٌّ»[6].

[٦٩٩١] حديثُ أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ، قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا سفيانُ، عن عَمرو بن دينار، عن عُروةَ بن عامرٍ، عن عُبيدَ بن رِفاعَةَ الزُّرَقِيِّ قال: قالت أسماءُ: يا رسولَ الله! إنَّ بني جعفر تُصِيبهم العين، أفأسترقِي لهم؟ قال: «نعم، فلو كان شيءٌ يسبِقُ القدرِ لسَبَقته العينُ»[7]. وكذا رواه التِّرمذيُّ وابنُ ماجه، من حديثِ

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٨٦ والترمذي ٩٧٢ وابن أبي شيبة ١٠/ ٣١٧ وأحمد ٣/ ٢٨ ـ ٥٦ ـ ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٥٨ من حديث أبي سعيد و٣/ ٧٥ من حديث جابر بن عبد الله وكلا الإسنادين صحيح.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٤٠ و٥٩٤٤ ومسلم ٢١٨٧ وعبد الرزاق ١٩٧٧٨ وأحمد ٢/ ٣١٩ والبغوي ٣١٩٠ وابن حبان ٥٥٠٣.

(٤) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٣٥٠٧ وإسناده لين لأجل مضارب، لكن للحديث شواهد.

(٥) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد ٢/ ٤٣٩، وهو منقطع. مكحول لم يسمع من أبي هريرة، وجرى الهيثمي رحمه الله على ظاهره، فقال: رجاله رجال الصحيح. انظر «المجمع» ٨٤٢٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢/ ٢٨٩ وفيه أبو معشر ضعفه غير واحد، لكن للحديث شواهد.

(٧) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٠٥٩ وابن ماجه ٣٥١٠ وأحمد ٦/ ٤٣٨ ورجاله ثقات سوى عبيد، وثقه ابن حبان، لكن للحديث شواهد.

سُفيان بن عُيَينة، به. ورواه الترمذي أيضاً والنسائيُّ، من حديث عبد الرزّاق، عن مَعْمَرٍ، عن أيّوبَ، عن عَمرو بن دينار، عن عُرْوَة بن عامرٍ، عن عُبَيد بن رفاعةَ، عن أسماء بنت عُمَيس، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

[٦٩٩٢] حديث عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قال ابنُ ماجه: حدثنا علي بن أبي الخَصِيب، حدثنا وكيعٌ، عن سفيانَ ومِسعَرٍ، عن مَعْبَدِ بن خالدٍ، عن عبد الله بن شَدّاد، عن عائشةَ أَنّ رسول الله ﷺ أَمَرها أن تَسْترقِيَ من العَين[١]. ورواه البخاري عن محمد بن كثير، عن سفيان، عن مَعْبَدِ بن خالد، به. وأخرجه مسلم من حديث سُفيان ومِسعَرٍ، كلاهما عن مَعْبَدٍ، به.

[٦٩٩٣] ثم قال ابن ماجه: حَدَّثنا محمد بن بشّار، حَدَّثنا أبو هِشَام المخزُوميُّ، حدثنا وُهَيب، عن أبي واقِد، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن، عن عائشةَ قالت: قال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله، فإنَّ العينَ حقٌّ»[٢]. تفرَّد به.

[٦٩٩٤] وقال أبو داود: حدثنا عثمانُ بن أبي شَيبةَ، حدثنا جريرٌ، عن الأعمشِ، عن إبراهيمَ، عن الأسودِ، عن عائشة قالت: كان يُؤمَرُ العائن فَيَتوضّأُ ويُغسَلُ منه المَعِينُ[٣].

[٦٩٩٥] حديث سهلُ بنُ حُنَيفٍ، قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا حُسَين بن محمد حدثنا أبو أُوَيس، حدثنا الزهْرِيُّ، عن أبي أُمامةَ بن سَهل بن حُنَيف: أَنَّ أباه حَدَّثه أن النبيَّ ﷺ خَرَج وساروا معه نحو مَكَّةَ، حتىٰ إذا كانوا بشعب الخرّار ـ من الجُحفَةِ ـ اغتسل سهل بن حُنَيف ـ وكان رجلاً أبيض حَسن الجسم والجلْد ـ فنظر إليه عامرُ بن ربيعة، أخو بني عَدِيِّ بن كعب، وهو يغتسلُ، فقال: ما رأيتُ كاليوم ولا جلْدَ مُخبَّأةٍ. فَلُبِطَ سهلٌ، فَأُتي رسولُ الله ﷺ فقيل له: يا رسولَ الله! هل لك في سهل؟ والله ما يرفع رأسه، ولا يفيق، قال: «هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسولُ الله ﷺ عامراً، فَتغيَّظَ عليه، وقال: «علامَ يقتلُ أحدُكم أخاه هَلاّ إذا رأيتَ ما يُعجِبك بَرّكت؟!» ثم قال له: «اغتسِل له». فغسل وجهَه ويَدَيه ومِرْفَقيه ورُكبَتَيه وأطرافَ رجلَيه ودَاخِلَةَ إزاره في قَدَح، ثم صُبَّ ذلك الماء ـ عليه ـ يَصُبُّه رجل على رأسه وظهره من خَلْفِه، ثم يُكفِيءُ القَدَحَ وراءَه. فَفُعِل ذلك، فراح سَهْلٌ مع الناسِ، ليسَ بأسٌ[٤].

[٦٩٩٦] حديثُ عامرِ بن ربيعةَ، قال الإمام أحمد في مسند عامر: حدثنا وكيع، حدثنا أبي، حدثنا عبدُ الله بن عيسىٰ، عن أمية بن هند بن سَهل بن حُنَيفٍ، عن عبد الله بن عامر قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغُسل، قال: فانطلقا يَلْتَمِسانِ الخمر ـ قال: فوضع عامرٌ جُبَّةً كانت عليه من صُوفٍ، فنظرتُ إليه فأصبتُه بعيني، فنزل الماءَ يَغتسِلَ، قال: فَسَمِعتُ له في الماء فرقعة فأتيتُه فناديتُه ثلاثاً، فلم يُجبني، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، قال فجاء يمشي فخاضَ الماءَ كأني أنظر إلى بَيَاض ساقَيه، قال: فَضَرب صدرَه بيده ثم

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٣٨ ومسلم ٢١٩٥ وابن ماجه ٣٥١٢ وأحمد ٦/ ٦٣ و١٣٨ والبيهقي ٩/ ٣٤٧ والبغوي ٣٢٤٢ وابن حبان ٦١٠٣.

(٢) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٣٥٠٨ والحاكم ٤/ ٢١٥ وصححه علىٰ شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ٣٨٨٠ وإسناده صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٤٨٦ وإسناده حسن لأجل أبي أويس، لكن توبع وتقدم قبل أحاديث من طرق عن الزهري.

قال: اللهم، اصرف عنه حَرَّها وبَرْدَها وَوَصَبَها. قال: فقام. فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأىٰ أحدُكم من أخيه، أو من نفسه أو من مالِه، ما يُعجِبه، فَلْيُبرِّك فإنَّ العينَ حقٌّ»[١].

[٦٩٩٧] حديثُ جابر، قال الحافظ أبو بكر البزار في مُسنَده: حدثنا محمدُ بن معمَر، حدثنا أبو داود، حدثنا طالبُ بن حَبيب بن عَمرو بن سَهل الأنصاري، يقال له: ابن الضَّجِيع، ضَجِيع حمزةَ ـ رضي الله عنه ـ حَدَّثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكثرُ من يموتُ من أُمّتي بعد كتاب الله وقضائه وَقَدرِه بالأنفس»[٢]. قال البزارُ: يعني العينَ. قال: ولا نعلَمُ يُروَىٰ هذا الحديثُ عن النبي ﷺ إلاّ بهذا الإسناد قلتُ: بل قد رُوِي من وجه آخرَ عن جابر.

[٦٩٩٨] قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهَرَوِي ـ المعروف بشَكَّر ـ في كتاب العجائب، وهو مشتمل على فوائدَ جليلةٍ وغَريبة: حدثنا الرَّهاوي، حدثنا يعقوبُ بن محمد، حَدَّثنا علي ابن أبي علي الهاشِميُّ، حدثنا مُحمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله ﷺ قال: «العينُ حقٌّ لَتُورِدُ الرجلَ القبرَ، والجملَ القِدَر، وإنَّ أكثرَ هلاكِ أُمّتي في العينِ»[٣].

[٦٩٩٩] ثم رواه عن شُعَيب بن أيّوب، عن معاوية، بن هشام، عن سُفيان، عن محمد بن المُنكَدِر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «قد تُدخلُ الرجلَ العينُ في القبرَ، وتُدخِل الجملَ القِدْر»[٤]. وهذا إسنادٌ رجالُه كلُّهم ثِقاتٌ، ولم يخرجوه.

[٧٠٠٠] حديث عبد الله بن عَمرو، قال الإمام أحمد: حدثنا قُتَيبة، حدثنا رِشدينُ بنُ سعدٍ، عن الحسن بن ثَوبانَ، عن هِشام بن أبي رُقَيَّة، عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا عَدوَىٰ ولا طِيرَةَ، ولا هامةَ ولا حَسَدَ، والعينُ حقٌّ»[٥]. تَفرّد به أحمد.

[٧٠٠١] حَديثٌ عن عليٍّ، رَوَىٰ الحافظ ابنُ عساكر من طريق خَيْثمة بن سليمان الحافظ: حدثنا عُبَيد بن محمد الكَشْوَرِيُّ، حدثنا عبدُ الله بن عبد الله بن عبد رَبِّه البصري، عن أبي رَجاءٍ، عن شُعبةَ، عن أبي إسحاق، عن الحارثِ، عَن عَلِيّ: أن جبريلَ أتىٰ النبي ﷺ فوافقه مُغْتَمّاً، فقال: يا محمدُ! ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال: الحسن والحسينُ أصابتهما عَينٌ. قال: صَدِّق بالعينِ، فإن العينَ حقٌّ، أفلا عَوَّذتَهما

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٧ وأبو يعلىٰ ٧١٩٥ وإسناده لين لأجل أمية، لكن توبع فيما تقدم.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه البزار ٣٠٥٢ «كشف» وابن عدي ٤/ ١١٩ والعقيلي في «الضعفاء» ٢/ ٢٣١ ومداره علىٰ طالب بن حبيب، وهو ضعيف، قال البخاري: فيه نظر، وأعله ابن عدي والعقيلي به، والمتن منكر جداً، شبه موضوع، فالموت بالعين هو أيضاً من قضاء الله وقدره، ومع ذلك عامة الموت يكون بالأمراض والقتال والوباء، ونحو ذلك.

(٣) إسناده ضعيف جداً، يعقوب ضعفه غير واحد، وشيخه علي متروك الحديث.

(٤) ضعيف. أخرجه أبو نعيم ٧/ ٩٠ والخطيب ٩/ ٢٤٤، وهو معلول، شعيب وإن وثقه الجمهور، فقد قال أبو داود: إني لأخاف الله الرواية عنه، ووثقه ابن حبان ثم قال: يخطىء ويدلس، كلما حدث جاء في حديثه المناكير مدلسة. ونقل السخاوي في «المقاصد» ٧٢٦ عن ابن عدي قوله: إنما يعرف هذا عن علي بن أبي علي عن ابن المنكدر لا عن الثوري، وقال إسماعيل الصابوني: بلغني أنه قيل لشعيب ينبغي أن تمسك عن هذه الرواية ففعل. وفيه أيضاً معاوية بن هشام، فهو وإن روىٰ له مسلم، فقد قال أحمد: هو كثير الخطأ. وأشار الذهبي في «الميزان» ٢/ ٢٧٥ إلىٰ أن هذا الحديث منكر.

(٥) صحيح دون «ولا حسد». أخرجه أحمد ٢/ ٢٢٢ وإسناده ضعيف لضعف رشدين، وللمتن شواهد بعضها في الصحيح دون لفظ «لا حسد» فهو ضعيف. وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٨٣٩٠.

بهؤلاءِ الكلماتِ؟ قال: وما هُنَّ يا جبريلُ؟ قال: قُلْ: اللهمَّ ذا السلطانِ العظيمِ، ذا المنِّ القديمِ، ذا الوجهِ الكريمِ، وَلِيَّ الكلماتِ التامَّاتِ، والدعواتِ المستجاباتِ، عافِ الحَسَنَ والحُسينَ، مِن أنفُسِ الجنِّ، وأعينِ الإنسِ، فقالها النبيُّ ﷺ فقاما يلعبان بين يَدَيه. فقال النبيُّ ﷺ: «عَوِّذوا أنفُسَكم ونساءَكُم وأولادَكُم بهذا التعويذِ، فإنَّه لم يتعوذ المتعوِّذون بمثلِهِ»[1]. قال الخطيبُ البغداديُّ: تَفَرَّد بروايته أَبو رجاء محمد بن عبد الله الحَبَطي من أهل تُسْتَر، ذكره ابنُ عساكر في ترجمة طَرَّاد بن الحُسَين، من تاريخه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾، أي: يَزْدَرُونه بأعينهم ويُؤذونَه بألسنتهم، ويقولون ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾، أي: لَمجيئه بالقرآنِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

آخرُ تفسير سُورة «ن»، ولله الحمدُ والمنّة

---

(١) إسناده واهٍ لأجل الحارث الأعور، فقد ضعفه الجمهور. وكذبه الشعبي.

سورة الحاقة

ترتيبها ٦٩ آياتها ٥٢

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢﴾

الحاقةُ: من أسماء يوم القيامةِ، لأنَّ فيها يَتحقَّقُ الوَعدُ والوَعيدُ، ولهذا عَظَّم تعالىٰ أمرَها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾. ثم ذَكَر تعالىٰ إهلاكه الأُمَمَ المُكذِّبين بها فقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥﴾، وهي الصيحةُ التي أسكَتتهُم، والزَّلزلة التي أسكنتهم، هكذا قال قتادةُ: الطاغيةُ الصيحةُ. وهو اختيارُ ابن جَريرٍ. وقال مجاهد: الطاغيةُ: الذنوبُ. وكذا قال الربيعُ بن أَنَس، وابنُ زيدٍ: إنها الطُّغيانُ، وقرأ ابنُ زيد: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١﴾. وقال السدِّي: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، قال: يعني عاقر الناقة. ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾، أي: باردةٍ. قال قتادةُ، والربيعُ، والسدِّي، والثَّوري: ﴿عَاتِيَةٍ﴾أي: شديدة الهبوب، قال قتادة: عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم. وقال الضحاك ﴿صَرْصَرٍ﴾ باردة ﴿عَاتِيَةٍ﴾: عَتَت عليهم بغير رَحمةٍ ولا بركة. وقال عليٌّ وغيره: عَتَت على الخَزَنةِ فَخرجت بغيرِ حسابٍ. ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: سَلَّطها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: كواملَ متتابعاتٍ مشائيمَ. قال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وعِكرمةُ، والثوريُّ، وغيرهم: ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات. وعن عِكرِمةَ والربيع بن خُثَيم: مشائيمُ عليهم، كقوله تعالىٰ: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]، قال الربيعُ: وكان أولُها الجمعة. وقال غيره: الأربعاء. ويُقال: إنها تُسمِّيها الناسُ الأعجازَ، كأنَّ الناسَ أخذُوا ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾. وقيل: لأنها تكون في عَجزِ الشتاءِ، ويقال: أيامُ العَجوز، لأن عجوزاً من قوم عادٍ دخلت سَرباً فقتلها الريحُ في اليوم الثامن. حكاه البَغويُّ. والله أعلم. قال ابنُ عباس: ﴿خَاوِيَةٍ﴾: خَربة. وقال غيره: بالية. أي: جعلت الريحُ تضرِبُ بأحدهم الأرضَ فيخِرُّ ميّتاً على أمِّ رأسه، فينشدِخُ رأسُه وتبقىٰ جُثَّته كأنها قائمةُ النخلةِ إذا خرَّت بلا أغصانٍ.

[٧٠٠٢] وقد ثبت في الصحيحين: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكت عادٌ بالدَّبور»(١).

[٧٠٠٣] قال ابنُ حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيىٰ بن الضُّرَيس العبدي، حدثنا ابنُ فُضَيل، عن مُسلم، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما فَتَح الله على عادٍ من الرِّيح التي أُهلِكوا فيها إلاّ مثلَ موضِعِ الخاتم، فمرّت بأهل البادية فَحَملتهم ومواشِيَهم وأموالَهم، فَحملتهم بين السماء والأرض، فلما رأىٰ ذلكَ أهلُ الحَاضرةِ من عادٍ الريحَ وما فيها قالوا: هذا عارضٌ مُمطِرُنا. فألقت أهلَ الباديةِ ومواشيهم على أهلِ الحاضرة»(٢). وقال الثَّوريُّ عن لَيثٍ، عن مجاهدٍ: الريحُ لها جناحانِ وذَنَبٌ. ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾، أي: هل تُحِسُّ منهم من أحدٍ من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادُوا عن آخِرِهم، ولم يجعلِ الله لهم خَلَفاً.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قِبَلَهُۥ﴾: قُرِىء بكسرِ القاف، أي: ومَن عِندَه مِمَّن في زمانِهِ من أتباعِهِ من كُفّار القبطِ. وقرأ آخرون بفتحها، أي: ومن قَبْله من الأُمَم المشبهين له. وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾، وهم الأمم المُكذِّبون بالرُسُلِ ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾، أي: بالفَعْلةِ الخاطئة، وهي التكذيبُ بما أنزل الله. قال الربيع: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾، أي: بالمعصية. وقال مجاهدٌ: بالخطايا. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾. وهذا جنسٌ، أي: كلٌّ كَذَّبَ رسولَ الله إليهم. كما قال تعالىٰ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤] ومن كذَّب برسولٍ فقد كَذَّب بالجميع، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥﴾، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٢٣﴾، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٤١﴾ [الشعراء: ١٠٥، و ١٢٣ و ١٤١]. وإنما جاء إلى كُلِّ أُمّةٍ رسولٌ واحدٌ، ولهذا قال ها هنا: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾، أي: عظيمةً شديدةً أليمةً. قال مجاهد: ﴿رَّابِيَةً﴾: شديدةً. وقال السدِّيُّ: مُهلِكةً. ثم قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾، أي يزاد على الحدِّ بإذن الله وارتفع على الوجُود، قال ابنُ عباسٍ وغيرهُ: ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: كَثُرَ، وذلك بسبب دعوةِ نُوحٍ ـ عليه السلام ـ على قَومِه حين كَذَّبوه وخالفُوه، فَعَبدُوا غير الله، فاستجاب الله له وعَمَّ أهلَ الأرضِ الطوفانُ إلاّ مَن كان مع نوح في السفينة، فالناسُ كُلُّهم من سُلالة نوحٍ وذُرِّيته. قال ابنُ جَرير: حَدَّثنا ابن حُميد، حدثنا مِهران، عن أبي سنانٍ سَعيد ابن سنانٍ، عن غير واحدٍ، عن عليِّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: لم تنزل قطرةٌ من ماءٍ إلاّ بكيل على يَدَي مَلَكٍ، فلما كان يومُ نوحٍ أُذِن للماء دون الخُزّانِ، فطغىٰ الماءُ على الخُزّان فَخرَج، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١﴾، ولم ينزل شيءٌ من الرِّيح إلاّ بكيل على يدي ملك، إلاّ يومَ عادٍ، فإنه أُذِن لها دُون الخُزّان، فَخرجت، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾: عَتَت على الخُزّان. ولهذا قال تعالىٰ مُمتناً على الناس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١﴾، وهي السَّفينةُ الجاريةُ على وجهِ الماءِ، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾، عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنىٰ عليه، أي وأبقينا لكُم من جنسها ما تركبُون على تيّار الماءِ في البحار، كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝٤١ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١]. وقال قتادةُ: أبقىٰ الله السفينةَ حتىٰ أدركها أوائلُ هذه الأمة. والأولُ أظهَرُ، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، أي: وتفهَمَ هذه النعمةَ وتذكُرَها أُذنٌ واعيةٌ، قال ابن عباس حافظةٌ سامعةٌ. وقال

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) إسناده ضعيف، وتقدم الكلام عليه.

قتادةُ: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ عَقَلت عن الله فانتفعت بما سَمِعت من كتاب الله، وقال الضحاك ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، سَمِعتها أذنٌ وَوَعت. أي مَن له سَمْعٌ صحيحٌ وعقلٌ رجيحٌ، وهذا عام في كلِّ من فَهِمَ وَوَعىٰ.

[٧٠٠٤] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعةَ الدِّمَشْقِي، حدثنا العباسُ بن الوليد بن صبح الدِّمشقي، حدثنا زيد بن يحيىٰ، حدثنا علي بن حَوْشب، سَمِعت مكحولاً يقول: لما نَزَل على رسول الله ﷺ ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، قال رسول الله: «سألت ربِّي أن يجعلها أُذُنَ عليّ». فكان عَليٌّ يقول: ما سَمِعتُ من رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ فنسيتُه[1]. وهكذا رَواه ابنُ جَريرِ، عن عليِّ بن سهلٍ، عن الوليد بن مُسلِمٍ، عن علي بن حَوْشَبٍ، عن مكحُولٍ به، وهو حديثٌ مُرْسَلٌ.

[٧٠٠٥] وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا جعفرُ بن محمد بن عامر، حدثنا بشرُ بن آدم، حدثنا عبد الله ابن الزبير أبو محمد ـ يعني والد أبي أحمدَ الزبيري ـ حدثني صالح بن هَيْثم، سمعت بُرَيْدةَ الأسلميُّ يقول: قال رسولُ الله ﷺ لعلي: إني أُمِرتُ أن أُدنيك ولا أُقصيَك، وأن أُعلِّمك وأن تَعِي، وحُقَّ لك أن تَعِيَ. قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[2]. ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف، عن بشر بن آدم، به. ثم رواه ابنُ جرير من طريق آخر عن أبي داود الأعمىٰ، عن بُرَيْدَةَ، به. ولا يَصِحُّ أيضاً.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبراً عن أهوالِ يوم القيامة. وأوّل ذلك نفخةُ الفَزَع، ثم يعقُبها نفخةُ الصعقِ حين يُصعَق مَن في السموات ومَن في الأرضِ إلاّ مَن شاء الله، ثم بعدها نفخةُ القيام لربِّ العالمين والبعثِ والنشُورِ، وهي النفخةُ، وقد أكدها ها هنا بأنها واحدةٌ، لأن أمر الله لا يُخالف ولا يُمانَع، ولا يَحتاجُ إلىٰ تكرار وتأكيد. وقال الربيع: هي النفخةُ الأخيرةُ، والظاهر ما قلناه، ولهذا قال ها هنا ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾، أي فمُدَّت مَدَّ الأديم العُكَاظِي، وتبدَّلت الأرضُ غيرَ الأرضِ، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ أي قامت القيامةُ، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾، قال سِمَاكٌ، عن شيخ من بَني أسدٍ، عن علي قال: تَنْشقُّ السَّماءُ من المَجرَّةِ. رواه ابن أبي حاتم. وقال ابنُ جُرَيج: هي كقوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ: ١٩] وقال ابنُ عباس: مُتَخرِّقة، والعرشُ بِحِذائها. ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾، المَلَكُ: اسمُ جِنسٍ، أي الملائكة على أرجاءِ السماء. قال ابنُ عباس على ما لم يَهِ منها. أي حافَاتِها. وكذا قال سعيدُ ابن جُبَير،

---

(١) باطل. أخرجه الطبري ٣٤٧٧١ عن مكحول مرسلاً، ومع إرساله مكحول فيه ضعف إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟! وله علة ثانية. الوليد بن مسلم، يدلس التسوية، وقد عنعن، وتابعه العباس بن الوليد، وهو واهٍ، وعلة ثالثة وهي نكارة المتن. فقد عده جماعة من النقاد من بدع التأويل.

(٢) باطل. أخرجه الطبري ٣٤٧٧٢ والواحدي ٨٣٨ وابن عساكر ٢/ ٤٢٣ وأبو نعيم ١/ ٦٧، وفيه عبد الله بن الزبير، وهو ضعيف كما في «الميزان» ٤٣١٨، وفيه صالح بن الهيثم، لم أجد من ترجمه، وتابعه عبد الله بن رستم عند الطبري ٣٤٧٧٢ وابن رستم لم أجد من ترجمه أيضاً. والظاهر أن هذا الإسنادوما قبله قد ركبه بعض الهلكىٰ، وسرقه بعض الضعفاء كعبد الله بن الزبير، أو من دونه فسرقوه، وأسندوه عن مجاهيل، كما هو الحال في كلا الإسنادين. وكرره الطبري ٣٤٧٧٣ من طريق أبي داود النخعي عن بريدة، وأبو داود اسمه نفيع بن الحارث، وهو متروك الحديث يروي الموضوعات.

والأوزاعيُّ. وقال الضحاك: أطرافِها. وقال الحسنُ البصريُّ: أبوابها. وقال الربيعُ بن أنَسٍ في قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾، يقول: على ما استدقَّ من السماءِ يَنظُرون إلى أهل الأرض. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، أي: يومَ القيامةِ يحملُ العرشَ ثمانيةٌ من الملائكة. ويحتَملُ أن يكون المرادُ بهذا العرش العرشَ العظيمَ، أو العرش الذي يُوضع في الأرضِ يوم القيامةِ لِفَصْلِ القضاءِ، والله أعلم بالصواب. وفي حديث عبد الله بن عَمِيرة، عن الأحنف بن قَيس، عن العبَّاس بن عبد المطلب، في ذكر حَمَلة العرش أنهم ثمانيةُ أوعالٍ[١].

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيىٰ بنُ سعيدٍ، حدثنا زيدُ بن الحُبَاب، حدثني أبو السَّمح المصري، حدثنا أبو قَبيلَ حُيي بن هانىء: أنه سَمِع عبد الله بن عَمرو يقول: حَمَلةُ العرشِ ثمانيةٌ ما بين فوق أحدهم إلى مؤخر عينه مَسيرةُ مِئَةِ عام.

[٧٠٠٦] وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي قال: كَتَبَ إليَّ أحمدُ بن حفص بن عبد الله النيسابوريُّ: حَدَّثني أبي، حدثناإبراهيم بن طَهمان، عن موسىٰ بن عُقبَةَ، عن محمد بن المُنكَدِر، عن جابرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذِن لي أن أُحَدِّثكم عن مَلَكٍ من حَمَلةِ العرش، بُعدُ ما بين شحمة أُذُنِهِ وعنقه مَخفِقُ الطير سَبْعمئة عامٍ»[٢]. وهذا إسناد جيد، رجالُه كلهم ثِقاتٌ.

[٧٠٠٧] وقد رواه أبو داود في كتاب السُّنَّة من «سُنَنه»: حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن طَهْمَان، عن موسىٰ بن عُقبَة، عن محمد بن المنكدِر، عن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُذِنَ لي أن أُحدِّث عن مَلَكٍ من ملائكةِ الله من حَمَلةِ العَرش أنَّ ما بين شَحْمَةِ أُذُنه إلى عاتِقِه مَسيرة سَبْعَمِئَةِ عامٍ»[٣]. هذا لفظ أبي داود.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعَةَ، حدثنا يحيىٰ بن المُغيرة، حدثنا جَرِيرٌ، عن أشعَثَ، عن جَعفرٍ، عن سعيد بن جُبَير في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾. قال: ثمانية صُفُوفٍ من الملائكة. قال: ورُوِي عن الشعبيِّ، وعِكْرِمَةَ، والضحاكِ، وابن جُرَيج، مثلُ ذلك. وكذا رَوىٰ السُّدِّي عن أبي مالكٍ، عن ابن عبَّاسٍ: ثمانيةُ صفوف، وكذا رَوىٰ العوفِيُّ، عنه. وقال الضحَّاكُ، عن ابن عباس الكَرُوبِيُّون ثمانيةُ أجزاءٍ، كلُّ جُزءٍ منهم بقدر الإنس والجن والشياطين والملائكة. وقولُه تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾، أي: تُعرَضون على عالم السرِّ والنجوىٰ الذي لا يخفَىٰ عليه شيءٌ من أموركم، بل هو عالمٌ بالظواهر والسرائر والضمائر. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

وقد قال ابنُ أبي الدنيا: أخبرنا إسحاقُ بن إسماعيل، أخبرنا سفيانُ بن عُيَينة، عن جَعفر بن بُرْقان، عن ثابت بن الحجاج قال: قال عُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبُوا، وَزِنُوا أنفُسَكم قبل أن تُوزَنوا، فإنه أخفُّ عليكم في الحساب غداً أن تُحاسِبوا أنفُسَكم اليومَ، وتزيَّنوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) إسناده حسن، وله شواهد وتقدم، وانظر ما بعده.
(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٢٧ وإسناده حسن، وانظر «الصحيحة» ١٥١.

[٧٠٠٨] وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا وكيعٌ، حدثنا علي بن علي بن رِفاعَةَ، عن الحسن، عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعرَض الناسُ يومَ القيامةِ ثَلاثَ عَرَضاتٍ، فأما عَرْضتان فجدالٌ ومعاذيرُ، وأما الثالثةُ فعند ذلك تطير الصُحُفُ في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه وآخِذٌ بشماله»[١]، ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبةَ، عن وكيعٌ، به. وقد رواه الترمذيُّ عن أبي كُرَيب، عن وكيع، عن علي ابن علي، عن الحسن، عن أبي هُرَيرة، به. وقد رَوَىٰ ابنُ جرير عن مجاهد بن موسىٰ، عن يزيدَ، عن سَليم بن حَيَّان، عن مروان الأصغر، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: يُعرَض الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرَضَاتٍ: عَرْضَتان معاذيرُ وخصوماتٌ، والعرضةُ الثالثة تطير الصحف في الأيدي. ورواه سعيدُ بن أبي عَرُوبة، عن قتادةَ مُرسلاً، مِثلَه.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

يُخبر تعالىٰ عن سعادةِ من أُوتي كتابَه يومَ القيامة بيمينه، وفَرَحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقولُ لكلِّ من لَقِيه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾، أي: خُذوا اقرؤوا كِتابيه، لأنه يعلَمُ أن الذي فيه خير وحسنات محضةٌ، لأنه ممن بَدَّل الله سَيِّئاتِه حسناتٍ. قال عبدُ الرحمن بن زيدٍ: معنىٰ ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾، أي: ها اقرؤوا كِتابِيه، و«ؤم» زائدة. كذا قال، والظاهر أنها بمعنىٰ: هاكم.

وقد قال ابنُ أبي حاتم: حدثنا بِشرُ بن مَطَرٍ الواسطيُّ، حدثنا يزيدُ بن هارونَ، أخبرنا عاصمُ الأحول، عن أبي عثمان قال: المؤمنُ يُعطىٰ كتابَه في سِتْرٍ من الله، فيقرأُ سَيِّئاته، فكُلَّما قرأ سيِّئة تغيَّر لونُه حتىٰ يمر بحسناتِه فيقرؤُها، فيرجع إليه لونُه. ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدلت حَسَنَاتٍ، قال: فعند ذلك يقولُ: هاؤم اقرؤوا كِتَابِيَه. وحدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سَلَمة، حدثنا رَوح بن عُبادَةَ، حدثنا موسىٰ بن عُبَيدة، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلةَ ـ غسيل الملائكة ـ قال: إن الله يَقِفُ عبده يومَ القيامة فَيُبدِي [أي يظهر] سَيِّئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملتَ هذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ! فيقول له: إنِّي لم أفضحْك به، وإني قد غفرتُ لك. فيقول عند ذلك ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾، حين نَجا من فضيحة يوم القيامةِ.

[٧٠٠٩] وقد تقدَّم في الصَّحيح حديث ابن عُمَر حين سُئِل عن النَّجوىٰ، فقال: سَمِعتُ النبيَّ ﷺ يقول: يُدني الله العبد يومَ القيامة، فيُقرِّره بذنوبه كلِّها، حتىٰ إذا رأىٰ أنه قد هلك قال الله: إني سترتها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفِرُها لك اليومَ ثم يُعطَىٰ كتاب حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِه، وأما الكافرُ والمنافقُ فيقولُ الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] [هود: ١٨]. وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٢٧٧ وأحمد، ٤/ ٤١٤ والطبري ٣٤٧٩٥. وإسناده ضعيف، لانقطاعه بين الحسن وأبي موسىٰ. وأخرجه الترمذي ٢٤٢٥ عن الحسن عن أبي هريرة، وقال: الحسن لم يسمع من أبي هريرة. وورد عن قتادة مرسلاً أخرجه الطبري ٣٤٧٩٧، وهذا يشهد لما قبله إن كان قتادة سمعه من غير الحسن، وأما إن كان قد سمعه من الحسن، فلا يشهد لما قبله لعدم اختلاف مخارجه. وقد ورد عن ابن مسعود موقوفاً أخرجه الطبري ٣٤٧٩٦، ومثله لا يقال بالرأي، فلعل المرفوع يحسن بهذا مع المرسل المتقدم، ومع ذلك ذكره الألباني في «ضعيف ابن ماجه» ٩٣٢. والله تعالىٰ أعلم.

(٢) وتقدم تخريج الحديث.

حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ أي: قد كنتُ مُوقِناً في الدُّنيا أن هذا اليومَ كائنٌ لا محالة كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] قال الله تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾، أي: مُرضيةٍ، ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾، أي: رَفيعةٍ قصورُها، حسانٍ حُورُها، نَعيمةٍ دُورُها، دَائمٍ حُبورُها.

[٧٠١٠]قال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا أبو عُتبَةَ الحسنُ بن علي بن مسلم السَّكُوني، حدثنا إسماعيلُ بن عَيَّاش، عن سعيدِ بن يوسُفَ، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن أبي سَلَّامٍ الأسودِ، قال: سَمِعتُ أبا أمامة قال: سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ هل يتزاورُ أهلُ الجنةِ؟ قال: «نعم، إنه ليهبطُ أهلُ الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلىٰ، فَيُحيُّونهم ويُسلِّمون عليهم، ولا يستطيع أهلُ الدرجة السفلىٰ، يصعدون إلى الأعلين، تَقصُر بهم أعمالُهم»(١).

[٧٠١١]وقد ثبت في الصَّحيح: «إن الجنة مِئَةُ دَرَجةٍ، ما بين كُلِّ درجَتَينِ كما بين السماءِ والأرضِ»(٢). وقولُه تعالىٰ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، قال البراء بن عازب: أي: قريبةٌ، يتناولها أحدُهم، وهو نائم على سَريره، وكذا قال غيرُ واحدٍ.

[٧٠١٢]قال الطبراني: [حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري](٣)، عن عبد الرزاق، عن سفيانَ الثَّوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم، عن عطاء بن يسار، عن سلمانَ الفارسيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنةَ أحدٌ إلاّ بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من الله لفلانِ بن فلانٍ، أدخلوه جنةً عاليةً، قطوفُها دانيةٌ»(٤).

[٧٠١٣]وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سَعدان بن سعيد، عن سُلَيمان التيمي، عن أبي عثمان النَهديِّ، عن سَلْمَان، عن رسول الله ﷺ قال: «يُعطىٰ المؤمن جَوَازاً على الصِّراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من الله العزيز الحكيم لفلانٍ، أدخِلوه جنّةً عالية قطوفُها دانيةٌ»(٥). وقولُه تعالىٰ: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾، أي: يُقال لهم ذلك، تَفَضُّلاً عليهم. وامتناناً وإنعاماً وإحساناً.

[٧٠١٤]وإلاّ فقد ثبت في الصحيح، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «اعملُوا وَسَدِّدوا وقَارِبُوا، واعلمُوا أن أحداً منكم لن يُدخِلَه عملُه الجنةَ، قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟! قال: ولا أنا، إلاّ أن يَتَغَمَّدني الله برحمةٍ منه وفضل»(٦).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا

---

(١) فيه سعيد بن يوسف، وقد ضعفه يحيى، ولينه النسائي. راجع الميزان ٣٢٩٨.
(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٩٠، وتقدم.
(٣) زيادة عن «المعجم الكبير».
(٤) ضعيف. أخرجه الطبراني ٦١٩١ وابن عدي ١/ ٣٤٤ والخطيب ٥/ ٥ وابن الجوزي في «العلل» ١٥٤٧ وإسناده واهٍ، أعله ابن عدي بأنه وهم من إسحاق الدبري، وقال ابن الجوزي: فيه عبد الرحمن بن زياد، قال أحمد: لا نروي عنه، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات ويدلس.
(٥) ضعيف. أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ١٥٤٨ وقال: سعدان مجهول، وكذا محمد بن خشام.
(٦) متفق عليه، وتقدم.

سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

وهذا إخبارٌ عن حالِ الأشقياء إذ أعطي أحدُهم كتابَه في العَرَصاتِ بشماله، فحينئذ يندَمُ غايةَ النَّدَم، فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾. قال الضحاك: يعني موتةً لا حياةَ بعدها. وكذا قال محمدُ بن كعب، والرَّبيعُ، والسُّدي. وقال قتادة: تَمَنَّىٰ الموتَ، ولم يكن شيءٌ في الدُّنيا أكرَه إليه مِنهُ. ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾، أي: لم يَدْفَع عني مالي ولا جاهي عذابَ الله وبَأسَه، بل خَلَص الأمرُ إليَّ وحدي، فلا مُعِين لي ولا مُجيرَ، فعندها يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾، أي: يأمر الزبانية أن تأخُذَه عنفاً من المحشر، فَتَغُلَّهُ، أي: تضعَ الأغلال في عُنُقه، ثم تُورِدَه إلى جهنَّم فتُصليَه إياها، أي تَغْمُرَه فيها.

قال ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبو سَعِيدِ الأشجُّ، حَدَّثنا أبو خالد، عن عَمرو بن قيس، عن المِنهال بن عَمْرو قال: إذا قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: خُذُوه، ابتدره سبعُون ألفَ ملكٍ، إن الملك منهم ليقول هكذَا، فيلقي سبعينَ ألفاً في النار. وَرَوىٰ ابن أبي الدنيا في «الأهوال»: إنه يبتَدِرهُ أربعمئة ألفٍ، ولا يبقىٰ شيء إلاَّ دقَّه، فيقولُ: مالي ولَكَ؟ فيقول: إنَّ الرَّبَّ عليك غضبان، فكلُّ شيءٍ غَضبانُ عليك. وقال الفُضيل ـ هو ابنُ عياض ـ: إذا قال الربُّ ـ عزَّ وجلَّ ـ خذُوه فَغُلُّوه، ابتدره سبعُون ألفَ مَلَكٍ، أيهم يجعلُ الغُلَّ في عُنُقه. ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾، أي: اغمرُوه فيها.

وقولُه تعالىٰ: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾، قال كعبُ الأحبار: كلُّ حَلْقَةٍ منها كَقَدْرِ حديد الدنيا، وقال العَوفِيُّ، عن ابن عباس، وابنُ جُرَيج: بذراع المَلَك. وقال ابن جُرَيج، قال ابن عباس: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾: تدخُل في استِهِ ثم تخرُج مِنْ فيهِ، ثم ينظَّمون فيها كما يُنْظَم الجَرَادُ في العُودِ حين يُشوىٰ، وقال العَوفِيُّ، عن ابنِ عَبَّاس: يُسْلَك في دبره حتىٰ يخرج من مِنْخريه، حتىٰ لا يقوم على رجليه.

[٧٠١٥] وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن إسحاقَ، أخبرنا عبد الله، أخبرنا سعيد بن يزيد، عن أبي السَّمح، عن عيسىٰ بنِ هلالٍ الصَّدفيِّ، عن عَبدِ الله بن عَمرو قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو أن رَصاصةٍ مثل هذه ـ وأشار إلى جُمجمةٍ ـ أرسِلَت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسُمئة سنة، لَبَلغت الأرضَ قبل الليلِ. ولو أنها أُرسِلَت من رأس السلسلة، لسارت أربعين خَرِيفاً الليلَ والنهارَ، قبل أن تبلغ قعرَها أو أصلها»[١]. وأخرجه الترمذي، عن سُوَيد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك، به. وقال: «هذا حديث حسن».

وقولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾، أي: لا يقومُ بحقِّ الله عليه من طاعته وعبادتهِ، ولا ينفعُ خَلْقه ويؤدِّي حقهم، فإن لله على العبادِ أن يُوحِّدُوه ولا يُشرِكُوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حقُّ الإحسانِ والمعاونةِ على البرِّ والتقوىٰ. ولهذا أمر الله بإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاةِ.

[٧٠١٦] وقبضَ النَّبيُّ ﷺ وهو يقول: «الصلاة، وما ملكت أيمانُكم»[٢]. وقولُه تعالىٰ: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ

---

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٥٨٨ وأحمد ٢/١٩٧ وإسناده ضعيف لضعف درّاج أبي السمح.

(٢) تقدم في سورة النساء آية ٣٦.

حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾، أي: ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله، لا حميم ـ وهو القريب ـ ولا شفيع يطاع، ولا طعامَ له ها هنا إلاَّ من غِسْلينٍ. قال قتادةُ: هو شرُّ طَعَامِ أهلِ النارِ، وقال الربيعُ، والضحّاك: هو شجرةٌ في جَهَنَّم.

وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا منصورُ بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيدٍ المؤدِّب، عن خُصَيفٍ، عن مجاهدٍ، عن ابن عَبّاس، قال: ما أدري ما الغسلين؟ ولكنني أظنه الزقُّوم، وقال شَبِيب بن بِشر، عن عِكْرمةَ، عن ابن عَبّاسٍ، قال: الغِسْلِينُ: الدمُ والماءُ يَسِيلُ من لُحُومهم. وقال عليُّ بن أبي طلحة، عنه: الغِسْلين: صَدِيدُ أهلِ النّارِ.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مُقسِماً بِخَلْقِهِ بما يُشاهدونه من آياته في مخلُوقاته الدَّالَّة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم ممَّا لا يشاهدونه من المُغَيَّبات عنهم: إن القرآن كلامُه ووحيُه وتنزيلُه من عبدِه ورسُولِه، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾، يعني: محمداً ﷺ أضافه إليه على معنىٰ التبليغ، لأنَّ الرسُولَ من شأنه أن يُبَلِّغ عن المُرْسِل، ولهذا أضافه في سُورةِ التَّكوير إلى الرسول المَلَكِيِّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ وهذا جبريلُ عليه السلام. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، يعني أن محمداً رأىٰ جبريلَ على صُورَتِه التي خَلَقَه الله عليها، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، أي: بِمتَّهم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾؛ وهكذا قال ها هنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾، فأضافه تارةً إلى قولِ الرسولِ المَلَكِي، وتارة إلى الرسول البَشريِّ، لأنَّ كلاً منهما مُبلِّغٌ عن الله ما استأمنه عليه من وَحْيِه وكَلامِهِ. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٧٠١٧] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو المغيرة، حدَّثنا صفوانُ، حدثنا شُرَيح بن عُبَيد قال: قال عُمَر ابن الخطاب: خرجتُ أتعرَّض رسولَ الله ﷺ قبل أن أُسلِمَ، فوجدتُه قد سَبَقنِي إلى المسجِدِ، فقُمت خَلْفَه، فاستفتحَ، سورةَ الحاقَّةِ، فجعلتُ أعجبُ من تأليفِ القرآن، قال: فقلتُ: هذا ـ والله ـ شاعرٌ كما قالت قُريشٌ. قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾، قال: فقلت: كاهنٌ. قال: فـقـرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾... إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلامُ في قلبي كلَّ مَوْقِع[1]. فهذا من جُملةِ الأسباب التي جَعَلها مُؤثِّرة في هداية عُمَرَ بن الخطَّابِ، كما أوردنا كيفيَّة إسلامِهِ في سيرته المُفردَةِ، ولله الحمدُ والمنة.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ

---

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ١/١٧، وهو منقطع كما قال الهيثمي في «المجمع» ١٤٤٠٧.

حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

يقولُ تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾، أي: محمَّد ﷺأو كان كما يزعُمون مُفترِياً علينا، فزاد في الرِّسالة أو نَقَصَ منها، أو قال شيئاً من عنده فَنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجَلْناهُ بالعقُوبة. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾، قيل: معناه: لانتقمنا منه باليمين، لأنها أشدُّ في البَطْشِ. وقيل: لأخذنا بِيَمينِه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾، قال ابن عباس: وهونياطُ القلبِ، وهو العِرْقُ الذي القلب مُعلَّق فيه، وكذا قال عكرمة، وسَعِيد بن جُبَير، والحَكم، وقتادةُ، والضحَّاك، ومسلم البَطِين، وأبو صخر حُمَيد بن زيادٍ. وقال محمد بن كعب: هو القلب ومَرَاقُّه وما يَلِيه.

وقولُه تعالىٰ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾، أي: فما يقدِرُ أحدٌ منكم على أن يَحجُزَ بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنىٰ في هذا: بل هو صادقٌ بارٌّ راشِدٌ، لأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مُقرِّر له ما يُبلِغُه عنه، مُؤيِّدٌ له بالمعجزاتِ الباهراتِ والدَّلالاتِ القاطعاتِ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾، يعني: القرآن. كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾، أي: مع هذا البيان والوضوح سَيُوجَدُ منكم من يُكَذِّب بالقرآن. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾، قال ابنُ جرير: وإنَّ التكذيبَ لَحسرةٌ على الكافرينَ يومَ القيامة، وحكاه عن قتادةَ بمثلِهِ. وروىٰ ابنُ أبي حاتم، من طريق السُّدِّي، عن أبي مالك: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ ـ يقول: لَنَدَامةٌ. ويحتَملُ عودَ الضمير على القرآن، أي: وإنَّ القرآنَ والإيمانَ به لحسرَةٌ في نفس الأمر على الكافرين، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الشعراء: ٢٠٠ ـ ٢٠١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ولهذا قال ها هنا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾، أي: الخبرُ الصِّدق الحقُّ الذي لا مِرْيَة فيه، ولا شكٌّ ولا ريبَ. ثم قال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾، أي: الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

آخر تفسير سُورَةِ الحاقَّةِ، ولله الحمد والمنة

سورة المعارج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

ويقال: سورة «سأل سائل»؛ وهي مكيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾: فيه تضمينٌ دلَّ عليه حرفُ «الباء»، كأنه مُقدَّر: استعجَلَ سائلٌ بعذابٍ واقعٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] أي: وعذابُه واقعٌ لا محالَةَ. قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ قال: النضرُ بنُ الحارثِ بن كلدَة. وقال العوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾، قال: ذلك سُؤالُ الكُفّار عن عذابِ الله وهو واقعٌ. وقال ابنُ أبي نَجيح، عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: دعا داعٍ بعذابٍ واقعٍ يقعُ في الآخرةِ قال: وهو قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وقال ابنُ زيد وغيره: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾، أي: وادٍ في جهنَّم يَسيل يومَ القيامةِ بالعذابِ. وهذا القولُ ضعيفٌ بعيدٌ عن المرادِ، والصحيحُ الأوَّلُ لدَلالةِ السِّياقِ عليه. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ﴾، أي: مُرصَدٌ مُعَدٌ للكافرين. وقال ابن عباس ﴿وَاقِعٍ﴾ جاء. ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾، أي: لا دافعَ له إذا أرادَ الله كَوْنَه. ولهذا قال: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾، قال الثوريُّ، عن الأعمشِ، عن رَجُلٍ، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾، قال: ذو الدَّرجات. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: العُلوّ والفواضلَ. وقال مجاهد: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾: معارجِ السماء. وقال قتادة: ذي الفواضلِ والنِّعم. وقولُه تعالىٰ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، قال عبد الرَّزاق، عن مَعْمَرٍ عن قتادة: ﴿تَعْرُجُ﴾: تصعَدُ. وأمّا الرَّوحُ فقال أبو صالح: هم خلقٌ من خَلْقِ الله يُشبِهُون الناس، وليسوا ناساً قلتُ: ويَحتَمِلُ أن يكونَ المرادُ به جبريلَ، ويكون من باب عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ. ويحتملُ أن يكون اسمَ جنسٍ لأرواح بني آدمَ فإنها إذ قُبِضت يُصعَد بها إلى السماء، كما دلَّ عليه حديثُ البَرَاء.

[٧٠١٨] وفي الحديث الذي رواه الإمامُ أحمدُ، وأبو داودَ، والنَّسائي، وابنُ ماجه، من حديث المنهالِ، عن زاذان، عن البَرَاء مرفوعاً الحديث بطوله في قبض الرُّوح الطَّيِّبة، قال فيه: «فلا يزال يُصعد بها من سماءٍ إلى سماءٍ حتىٰ يُنتهَىٰ بها إلى السماء السابعة»[1]. والله أعلم بِصِحَّته، فقد تُكُلِّم في بعض رُواته،

(١) تقدم تخريجه مع ما بعده في سورة إبراهيم ٢٧.

ولكنه مشهور، وله شاهدٌ في حديثِ أبي هُرَيرة. . فيما تَقَدَّم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، من طريق ابن أبي ذِئْبٍ، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يَسَار، عنه. وهذا إسناد رجالِه على شَرْطِ الجماعة. وقد بَسَطنا لفظَه عند قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقولُه تعالىٰ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدُها: أنَّ المراد بذلك مسافةُ ما بين العرش العظيم إلى أسفلِ السافلين، وهو قرارُ الأرضِ السَّابعةِ، وذلك مسيرةُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، هذا ارتفاعُ العرش عن المركز الذي وَسَط الأرض السابعة. وكذلك اتساعُ العرش من قطرٍ إلى قطرٍ مسيرةَ خمسين ألف سنة: وأنه من ياقوتةٍ حمراءَ، كما ذكره ابنُ أبي شيبة في كتاب «صفةِ العرش».

وقد قال ابنُ أبي حاتم عند هذه الآيةِ: حَدَّثنا أحمدُ بن سَلمة، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم، أخبرنا حكَّامٌ، عن عُمَر بن معروفٍ عن ليثٍ، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس قوله تعالىٰ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قال: مُنتهىٰ أمره من أسفلِ الأرضين إلى منتهىٰ أَمْرِهِ من فَوق السمواتِ مقدارُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، ويومٌ كان مقدارُه ألف سنة، يعني بذلك تَنَزُّلَ الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحدٍ، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرةُ خَمْسُمِئَةِ سنةٍ. وقد رَوَاه ابن جرير عن ابن حُمَيد، عن حَكَّام بن سَلْم، عن عُمَرَ بن معروف، عن ليث، عن مجاهد قوله، لم يذكر ابن عباس. قال ابن أبي حاتم: وحَدَّثنا أبي، حَدَّثنا عليُّ بن مُحمَّد الطنافسي، حدثنا إبراهيم بن منصور، حدَّثنا نوحُ المَضْرُوبُ، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس قال: غلظُ كُلِّ أرضٍ خَمْسُمِئَةِ عام، وبين كلِّ أرضٍ إلى أرض خَمْسُمِئَةِ عام، فذلك سبعة آلاف عام. وغِلَظُ كلِّ سماءٍ خَمْسُمِئَةِ عامٍ، وبين السماءِ إلى السماءِ خَمْسُمِئَةِ عام، فذلك أربعةَ عَشَرَ ألفَ عام، وبين السماء السابعةِ وبين العرش مسيرةٌ ستةٍ وثلاثين ألفَ عامٍ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

والقولُ الثاني: أن المراد بذلك مُدَّةُ بقاء الدُّنيا منذ خلق الله هذا العالَمَ إلى قيامِ الساعة، قال ابن أبي حاتم: حَدَّثنا أبوزُرْعةَ، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابنُ أبي زائدةَ، عن ابن جُرَيجٍ، عن مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قال: الدنيا عمرُها خمسون ألفَ سنةٍ. وذلك عمرُها يومٌ، سَمَّاها الله تعالىٰ يوماً، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾، قال: اليومُ الدنيا. وقال عبد الرزّاق: أخبرنا معمرٌ، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهدٍ ـ وعن الحكم بن أَبانَ، عن عِكْرِمَةَ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: الدنيا من أوَّلِها إلى آخرِها مقدارُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، لا يَدْرِي أحد كَمْ مَضىٰ، ولا كَمْ بقي إلا اللَّهُ عزَّ وجلّ.

القولُ الثالثُ: أنه اليومُ الفاصلُ بين الدُّنيا والآخرةِ، وهو قولٌ غريبٌ جدًا، قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن سَعيد القطانُ، حدثنا بُهلول بن المُوَرِّقِ، حدَّثنا موسىٰ بن عُبَيدة، أخبرني محمد بن كعب: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو يومُ الفصلِ بين الدنيا والآخرة.

القولُ الرابع: أنَّ المراد بذلك يومُ القيامةِ، قال ابن أبي حاتم: حَدثنا أحمدُ بن سنان الواسطيُّ، حدَّثنا عبد الرحمن بن مَهْدي، عن إسرائيلَ، عن سِماكٍ، عن عِكْرِمةَ، عن ابن عَبَّاس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قال: يومُ القيامة. وهذا إسنادٌ صحيحٌ. ورَوَاهُ الثَّوريُّ عن سِماك بن حَرْبٍ، عن عِكْرِمة: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: يوم القيامة. وكذا قال الضحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن

عبّاس في قولِه تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾، قال: فهذا يومُ القيامةِ، جعله الله على الكافرينَ مقدارَ خمسينَ ألفَ سنةٍ. وقد وَرَدت أحاديثُ في معنىٰ ذلك.

[٧٠١٩] قال الإمام أحمدُ: حدثنا الحسنُ بن موسىٰ، حدثنا ابن لَهيعة، حدَّثنا دَرّاجٌ، عن أبي الهيثم، عن أبي سَعيدٍ قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: ما أطولَ هذا اليومَ! فقال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه يُخفَّفُ على المؤمنِ حتىٰ يكونَ أخفَّ عليه من صَلاةٍ مكتوبةٍ يُصلِّيها في الدُّنيا»(١). وَرَواه ابنُ جَرير، عن يونُسَ، عن ابن وَهْبٍ، عن عَمرو بن الحارثِ، عن دَرّاجٍ، به. إلاّ أن دَرّاجاً وشيخَه ضعيفان، فالله أعلم.

[٧٠٢٠] وقال الإمام أحمدُ: حَدَّثنا محمدُ بن جعفر، حدثنا شعبةُ، عن قتادةَ، عن أبي عُمَر الغُدَاني قال: كنت عند أبي هُرَيرَة فمرَّ رجل من بني عامر بن صَعْصَعة، فقيل له: هذا أكثرُ عامريٍّ مالاً، فقال أبو هُرَيْرَة: رُدوه. فقال: نُبِّئْتُ أنّك ذو مالٍ كثير؟ فقال العامريُّ: إي والله، إنَّ لي لَمِئَةً حُمْراً ومِئَةً أُدماً ـ حتىٰ عدَّ من ألوانِ الإبلِ ـ وأفنانَ الرَّقيقِ وَرِباطَ الخيل. فقال أبو هُرَيْرَة: إيّاك وأخفافَ الإبلِ وأظلافَ الغَنمِ ـ يُرَدِّدُ ذلك عليه، حتىٰ جعلَ لونُ العامريِّ يتغيَّر ـ فقال: ما ذاك يا أبا هُرَيْرة؟ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن كانت له إبلٌ لا يُعطِي حَقَّها في نَجدتها ورِسْلِها»ـ قلنا: يا رسولَ الله! ما نجدتُها ورِسْلُها؟ قال: «في عُسرها ويسرها ـ فإنها تأتي يوم القيامة كأغَذِّ ما كانت وأكثرِه وأسمَنِه وآشَرِه حتى يُبطَحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ(٢)، فتَطَؤه بأخفافها فإذا جاوَزَته أُخراها أُعيدَت عليه أولاها، في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة، حتىٰ يُقضىٰ بين الناس فَيَرىٰ سبيله. وإذا كانت له بقرٌ لا يُعطِي حقها في نَجدتها وَرِسْلِها فإنها تأتي يوم القيامة كأغَذِّ ما كانت وأكثرِه وأسمَنِه وآشَرِه ثم يُبطَحَ لها بِقَاعٍ قَرقَرٍ فتطَؤه كلُّ ذات ظِلْفٍ بِظِلْفِها، وتنطحه كلُّ ذاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِها، إذا جاوزته أُخراها أُعِيدَت عليه أولاها، في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنةٍ، حتىٰ يُقضىٰ بين الناس فَيَرىٰ سبيله. وإذا كانت له غَنَمٌ لا يُعطِي حَقَّها في نَجدَتِها ورِسْلها، فَإنها تأتي يومَ القيامةِ كأغذِّ ما كانت وأسمَنِه، وآشَرِه، حتىٰ يُبطَحَ لها بقاعٍ قَرقرٍ، فتطؤهُ كل ذات ظِلْفٍ بِظِلفِها وتنطَحُه كُلُّ ذاتِ قَرْن بِقَرْنِها، ليس فيها عَقصاءُ ولا عَضْباءُ، إذا جاوَزَته أخرَاها أُعيدت عليه أُولاها، في يوم كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةَ، حتىٰ يُقضىٰ بين الناس فَيَرىٰ سبيله». فقال العامري: وما حَقُّ الإبلِ يا أبا هُرَيرةَ؟ قال: أَن تُعطِي الكريمة، وتَمْنَح الغَزيرَة، وتُفقِرَ الظهرَ، وتَسقِيَ اللبَنَ، وتُطرِقَ الفَحلَ(٣). وقد رَواهُ أبو داودَ من حديث شُعبَةَ، والنَّسائي من حَدِيث سَعيد بن أبي عَرُوبة، كلاهُما عن قتادةَ، به.

[٧٠٢١] طريقٌ أُخرىٰ لهذا الحديثِ، قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو كامل، حدَّثنا حَمّاد، عن سُهَيل ابن

(١) حسن بشواهده. أخرجه أحمد ٣/ ٧٥ وأبو يعلىٰ ١٣٩٠، وابن حبان ٧٣٣٤، وإسناده ضعيف لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٣٧: إسناده حسن على ضعف في رواته. وله شاهد أخرجه ابن حبان ٧٣٣٣، وأبو يعلىٰ ٦٠٢٥، من حديث أبي هريرة، وإسناده قوي. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٣٧: رجاله رجال الصحيح، غير إسماعيل، وهو ثقة. اهـ.

(٢) القرقر من الأودية والقيعان: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة.

(٣) حسن. أخرجه أحمد ٢/ ٤٩٠ وأبو داود ١٦٦٠ والنسائي ٥/ ١٢ ـ ١٤ ورجاله ثقات مشاهير سوىٰ أبي عمر، وهو مقبول، وله شاهد من مرسل عبيد بن عمير، أخرجه أبو داود ١٦٦١، وشاهد آخر أخرجه مسلم ٩٨٨ ح ٢٨ عن جابر، وفيه عنعنة ابن جريج وأبي الزبير.

أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِن صاحِب كَنْزٍ لا يُؤدِّي حقَّه إلاّ جُعِلَ صفائحَ يُحمَىٰ عليها في نار جَهَنَّم، فَتُكوىٰ بها جَبْهتُه وجَنْبُه وظهرهُ، حتىٰ يحكم الله بين عباده في يوم كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سَنَةٍ مما تَعُدُّون، ثم يرىٰ سبيله إمَّا إلى الجنةِ وإمَّا إلى النار». وذَكَر بقيَّة الحديثَ في الغنم والإبل كما تقدَّم، وفيه: «الخيلُ لثلاثةٍ: لِرجُلٍ أجرٌ، ولِرَجُل سترٌ، وعلى رجل وِزرٌ»[1].. إلى آخره. ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري، من حديث سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرة، وموضعُ استقصاء طُرُقه وألفاظِهِ في كتاب الزَّكاة في «الأحكام»، والغرضُ من إيراده ها هنا قولُه: «حتىٰ يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ». وقد رَوَىٰ ابنُ جرير عن يعقوبَ، عن ابن عُلَيَّة، وعبد الوهاب، عن أيُّوبَ، عن ابن أبي مُلَيكَةَ قال: سألَ رجل ابنَ عباس عن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قال: فاتَّهمه فقال: ما يومٌ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ؟ فقال: إنما سألْتُكَ لِتُحدِّثني. قال: هما يومانِ ذَكَرهما الله، الله أعلم بهما، وأكرَه أن أقولَ في كتاب الله بما لا أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾، أي: اصبر ـ يا محمد ـ على تَكْذيب قومِكَ، واستعجالهم العذابَ استبعاداً لوقُوعه، كقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ﴾ [الشورىٰ: ١٨]، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦﴾، أي: وقوعَ العذاب وقيامَ الساعةَ يَراه الكفرةُ بعيدَ الوُقوع، بمعنىٰ مُستحيلِ الوقُوعِ، ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾، أي: المُؤمِنُون يعتقدون كَوْنَه قَريباً، وإن كان له أمدٌ لا يَعْلمَه إلاّ الله عَزَّ وجلَّ، لكن كلُّ ما هو آتٍ قريب وواقع لا محالة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾

يقولُ تعالىٰ: العذابُ واقعٌ بالكافرين ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾، قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وعطاءٌ، وسعيد بن جُبير، وعِكْرِمة، والسُّدِّي، وغيرُ واحدٍ: كَدُرْدي الزيت، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾، أي: كالصُّوف المنفوش، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، والسُّدِّي. وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥]. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، أي: لا يسألُ القريبُ قَريبه عن حالَه، وهو يراه في أسوأ الأحوالِ، فتشغلُه نفسُه عن غيره. قال العَوفي، عن ابن عباس يعرفُ بعضُهم بعضاً، ويتعارفُون بينهم، ثم يَفِرُّ بعضُهم من بعض بعد ذَلك، يقول تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾. وهذه الآية الكريمةُ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ﴾ [لقمان: ٣٣]. وكقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ﴾ [فاطر: ١٨]، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وكقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]. وقولُه تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ﴾، أي: لا يُقبل منه فِداءٌ ولو جاء بأهل

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٢ ومسلم ٩٨٧ ح ٢٦ وأصله متفق عليه، وتقدم.

الأرض وبأعزِّ ما يَجدُه من المال، ولو بِملْءِ الأرضِ ذهباً، أو مِن وَلَدِه الذي كان في الدنيا حُشَاشةَ كَبِده، يَوَدُّ يومَ القيامة إذا رأىٰ الأهوالَ أن يَفتَدِيَ من عذاب الله به، ولا يُقبَلُ منه، قال مجاهدٌ والسُّدِّي: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: قبيلته وعشيرته. وقال عكرمة: فخذه الذي هو منهم، وقال أشهب عن مالك ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: أُمُّه. وقولُه: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ يَصِفُ النَّارَ وشِدَّة حَرِّها، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: جِلْدَةُ الرَّأسِ. وقال العَوفي، عن ابن عباس: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ الجلود والهام وقال مجاهد: ما دون العَظم من اللحم. وقال سعيد بن جُبَير: العَصَب والعَقَب. وقال أبو صالح: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾: يعني أطرافَ اليدَين والرجلَين. وقال أيضاً: «نزاعةً لحمَ الساقين. وقال الحسنُ البصرِيُّ، وثابت البُنانيُّ: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾، أي: مكارم وَجْهِه. وقال الحسنُ أيضاً: تَحرقُ كُلَّ شيءٍ فيه، ويبقىٰ فؤادُه يَصِيحُ. وقال قتادةُ: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: نَزَّاعةٍ لهامته ومكارم وَجهِه وخَلقِه وأطرافِه. وقال الضحاك: تَبْرِي اللَّحمَ والجلدَ عن العَظْم، حتىٰ لا تتركَ منه شيئاً. وقال ابنُ زيدٍ: الشَّوىٰ الآرابُ العِظامُ. فقوله: نزاعة، قال: تقطعُ عظامَهُم، ثم يُجَدَّد خلقهم وتبدل جلودهم. وقولُه: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾، أي: تدعُو النارُ إليها أبناءها الذين خَلَقهم الله لها، وقَدَّر لهم أنّهم في الدار الدُّنيا يعمَلُون عملها، فَتَدعُوهم يوم القيامة بِلسانٍ طَلَقٍ ذَلِقٍ، ثم تَلتقِطُهم من بين أهل المحشر كما يَلْتَقِطُ الطيرُ الحبَّ، وذلك أنهم كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾، أي: كَذَّب بقلبه، وترك العمَلَ بجوارِحِهِ، ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾، أي: جَمَع المال بعضَه على بعض فأوعاه، أي: أوكاه ومَنَع حقَّ الله منه من الواجب عليه من النفقات ومِن إخراجِ الزكاةِ.

[٧٠٢٢] وقد وَرَد في الحديثِ: «ولا تُوعِي فَيُوعِي الله عليك»[١]. وكان عبد الله بن عُكَيم لا يربط له كيساً ويقول: سمعت الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾. قال الحسنُ البصريُّ: يا بن آدَمَ، سَمِعتَ وعيدَ الله ثم أوعيتَ الدنيا، وقال قتادةُ في قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ قال: كان جَمُوعاً قَمُوماً للخبيث.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مخبراً عن الإنسان وما هو مَجبُولٌ عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾، ثم فسَّره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾، أي: إذا أصابه الضرُّ فزع وجزِع وانخلع قلبُه من شدَّة الرُّعب، وأَيِس أن يحصلَ له بعد ذلك خيرٌ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾، أي: إذا حَصَلت له نعمةٌ من الله بَخِلَ بها على غَيرِه، ومنعَ حقَّ الله فيها.

[٧٠٢٣] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا موسىٰ بن عُلَيّ بن رَبَاح: سَمِعتُ أبي يُحدِّث

---

(١) تقدم تخريجه.

عن عبد العزيز بن مَرْوان بن الحَكَم قال: سمعت أبا هُرَيْرَة يقول: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ ما في الرجل شُحٌّ هالعٌ، وجُبن خالعٌ»(١). وَرَواه أبو داود عن عبد الله بن الجَرّاح، عن أبي عبد الرحمن المُقرِي، به. وليس لعبد العزيز عنده سواهُ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾، أي: الإنسانُ من حيثُ هو مُتَّصف بصفات الذم إلاّ من عَصَمه الله وَوَفَّقه، وهداه إلى الخير ويَسَّر له أسبابه، وهم المُصَلُّون: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ يُحافِظُون على أوقاتها وواجباتها، قاله ابن مسعود، ومسروق، وابراهيم النخعيُّ. وقيل: المرادُ بالدَّوام ها هنا السُّكون والخُشوعُ، كقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]. قاله عُقبَةُ بن عامر. ومنه الماءُ الدائمُ، أي: الساكنُ الراكدُ. [وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة، فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته، لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته]. وقيل: المرادُ بذلك الذين إذا عَمِلوا عملاً داوَمُوا عليه وأثبتُوه.

[٧٠٢٤] كما جاء في الصَّحيحِ عن عائشةَ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «أحبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قَلَّ» ـ وفي لفظٍ: «ما داوم عليه صاحبُه»، قالت: وكانَ رسول الله ﷺ إذا عمِلَ عملاً داومَ عليه. وفي لفظ: أثبته(٢).

وقال قتادةُ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾. وذُكِرَ لنا أن دانيالَ ـ عليه السلام ـ نَعت أُمَّةَ محمد ﷺ فقال: يُصَلُّون صلاةً لو صَلاّها قومُ نوح ما غَرِقوا، أو قومُ عادٍ ما أُرسلَت عليهم الرِّيحُ العقيمُ، أو ثمودُ ما أخذتهم الصَّيحةُ. فعليكم بالصَّلاةِ فإنها خُلُق للمؤمنين حَسَنٌ. وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾، أي: في أموالهم نَصيبٌ مُقَرّر لِذَوي الحاجاتِ. وقد تقدَّم الكلامُ على ذلك في «سُورة الذّاريات». وقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦﴾، أي: يُوقِنُون بالمَعَاد والحساب والجَزاءِ، فهم يعمَلُون عَمَل مَن يرجُو الثواب ويخافُ العِقابَ، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧﴾، أي: خائِفُون وَجِلُون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾، أي لا يأمنه أحدٌ ممن عَقِل عن الله أمْرَه إلاّ بأمان منه تبارك وتعالىٰ. وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩﴾ أي: يَكفُّونها عن الحرام ويمنَعُونها أن تُوضع في غير ما أَذِنَ الله. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾، أي: من الإماء، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١﴾. وقد تَقدَّم تفسير هذا في أول سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، بما أغنىٰ عَن إعادَتِه ها هنا. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢﴾ أي: إذا اؤتمنوا لم يَخُونوا، وإذا عَاهَدُوا لم يَغدُروا. وهذه صفات المؤمنين، وضدُّها صفاتُ المنافقين، كما وَرَد في الحديثِ الصَّحيح:

[٧٠٢٥] «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتُمنَ خانَ»(٢).

[٧٠٢٦] وفي رواية: «إذا حَدَّث كَذَب، وإذا عاهد غَدَر، وإذاخاصَم فَجَر»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٥١١ والبخاري في «التاريخ» ٦/٨ ـ ٩ وأحمد ٢/ ٣٢٠ وابن حبان ٣٢٥٠ وابن أبي شيبة ٩/ ٩٨ وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٥٠ وإسناده حسن، عبد العزيز صدوق وباقي الإسناد ثقات، وجوده العراقي في «الإحياء» ٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٣.

(٢) تقدم تخريجه.

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، أي: مُحافِظُون عليها لا يَزِيدُون فيها ولا ينقصُون منها، ولا يكتمونها، ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾، أي: على مَواقيتها وأَرْكَانِها وواجباتها ومُستحبَّاتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاةَ واختتمه بِذِكْرِها، فدلَّ على الاعتناء بها والتنويه بِشَرَفِها، كما تقدَّم في أول سورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾، سواء، ولهذا قال هناك: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقال ها هنا: ﴿أُولَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾، أي: مُكْرَمُون بأنواع المَلاذِّ والمَسارِّ.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَٰرِقِ وَالْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مُنكِراً على الكُفَّار الذين كانوا في زمان النبي ﷺ وهم مشاهِدُون له، ولما أرسلَه الله به من الهُدىٰ وأيَّده به من المُعجِزات الباهرة، ثم هُم مع هذا كله فارُّون منه، مُتفرِّقُون عنه، شاردين يميناً وشمالاً، فِرَقاً فِرَقاً، وشِيَعاً شِيَعاً، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ ـ ٥١]... الآية، وهذه مثلها، فإنه قال تعالىٰ: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾، أي: ما لِهؤلاءِ الكُفَّار الذين عندك يا محمَّدُ! ﴿مُهْطِعِينَ﴾، أي: مُسرِعين نافِرين منك، كما قال الحسنُ البصريُّ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، أي: مُنطَلِقين، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾، واحدُها عِزَةٌ، أي: متفرقين. وهو حالٌ من مهطعين، أي: في حال تفرقهم واختلافهم، كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء: فهم مخالِفُون للكتابِ مُختلِفون في الكِتَاب، مُتَّفِقون على مُخالَفةِ الكتاب. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾، قال: قِبلكَ يَنظُرون، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾. قال: العِزِينُ: العُصَبُ من الناس، عن يمينٍ وشمالٍ مُعرِضين يَستهزئون به. وقال ابنُ جَرير حدَّثنا ابن بَشّار حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا قُرَّةُ، عن الحسن في قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾، مُتفرِّقين، يأخذون يميناً وشمالاً يقُولون: ما قال هذا الرجل؟. وقال قتادةُ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾عامِدِين، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾، أي: فِرَقاً حولَ النبيِّ ﷺ لا يَرْغَبُون في كتابِ الله، ولا في نبيِّه ﷺ.

[٧٠٢٧] وقال الثَّوريُّ، وشعبةُ، وعيسىٰ بن يونس، وعَبْثَر بن القاسم، ومحمد بن فُضَيل، ووكيعٌ، ويحيىٰ القَطَّان، وأبو مُعاوية، كُلُّهم عن الأعمش، عن المُسَيَّب بن رافع، عن تميم بن طَرَفَة، عن جابر ابن سَمُرة: أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عليهم وهم حِلَقٌ، فقال: «ما لي أراكُم عِزِينَ؟»[١]. رواه أحمدُ، ومسلمٌ، وأبو داودَ، والنَّسائيُّ، وابنُ جَرير، من حديثِ الأعمشِ، به.

[٧٠٢٨] وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بَشّار، حدثن مؤمَّل، حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيْرَةَ: أن رسولَ الله ﷺ خَرَج على أصحابِه وهم حِلَقٌ حِلَقٌ، فقال: «مالي أراكم عِزِينَ؟»[٢]. وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ، ولم أرَه في شيءٍ من الكُتُبِ السِّتَّةِ من هذا الوجه.

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٤٣٠/١١٩ وأبو داود ٤٨٢٣ والنسائي في «التفسير» ٦٤٢ والطبري ٣٤٩٦٥.

(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٩٦٣ وفيه مؤمل بن إسماعيل صدوق سيء الحفظ، لكن للحديث شاهد صحيح.

وقولُه تعالىٰ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّآ﴾ ، أي: أيطمَعُ هؤلاء؛ والحالةُ هذه ـ من فرارهم عن الرسول ونِفَارِهم عن الحق أن يدخُلوا جناتِ النعيم؟ بل مأواهم نارُ الجحيم. ثم قال تعالىٰ مُقرّراً لوقُوع المَعَاد والعذاب بهم الذي أنكرُوا كَوْنَه واستبعدُوا وُجودَه، مُستدِلاً عليهم بالبَدْأةِ التي الإعادةُ أهونُ منها وهم مُعترِفُون بها، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ، أي: من المَنِيِّ الضعيف، كما قال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ [المرسلات: ٢٠]. وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٥ ـ ١٠]. ثم قال تعالىٰ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ ، أي الذي خلَق السّمواتِ والأرضَ، وجعل مَشرِقاً ومَغرِباً، وسَخر الكواكِبَ تبدُو من مشارقها وتغِيبُ من مَغارِبها، وتقديرُ الكلام: ليس الأمرُ كما تزعمُون أنْ لا معادَ ولا حِسَابَ ولا بعثَ ولا نُشُورَ، بل كلُّ ذلك واقعٌ وكائنٌ لا محالة. ولهذا أتىٰ بـ«لا» في ابتداء القَسَم ليدُلَّ على أن المقسم عليه نَفْيٌ، وهو مَضمُون الكلام، وهو الرَّدُّ على زَعْمِهم الفاسد في نَفْي يوم القيامة، وقد شاهَدُوا من عظيم قُدْرَةِ الله تعالىٰ ما هو أبلغ مِن إقامة القيامةِ، وهُو خلقُ السمواتِ والأرضِ، وتسخيرُ ما فيهما من المخلوقاتِ من الحيوانات والجماداتِ، وسائر صُنُوفِ الموجُوداتِ، ولهذا قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١ ـ ٨٢]. وقال هاهنا: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝٤٠﴾ أي: يوم القيامة نُعيدهم بأبدانٍ خير من هذه، فإنَّ قُدْرتَه صالحةٌ لذلك، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ، أي بعاجزين. كما قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣ ـ ٤]. وقال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠ ـ ٦١]. واختار ابنُ جرير ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ . أي: أُمّةً تُطيعنا ولا تعصِينا وجَعلها كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨]. والمعنىٰ الأولُ أظهرُ لدلالة الآياتِ الأُخر عليه، والله أعلم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ ، أي: يا محمد! ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ ، أي: دَعْهم في تَكْذِيبهم وكُفرِهم وعنادِهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: فسيعلمون غِبَّ ذلك ويَذُوقون وَبَاله، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ ، أي يَقُومون من القُبُورِ إذا دعاهم الرَّبُ ـ تَبارَك وتعالىٰ ـ لموقفِ الحِسَاب، يَنْهضُون سِراعاً كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُون. قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ: إلى عَلَم يَسعون. وقال أبو العالية، ويحيىٰ بن أبي كثير: إلى غاية يَسْعَون إليها. وقد قَرَأ الجمهور: (نَصْبٍ)، بفتح النون وإسكان الصاد، وهو مَصدر بمعنىٰ المنصوب. وقرأ الحسن البصريُّ: «نصب» بضم النون والصاد، وهو الصَّنمُ، أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يُهروِلُون إلى النُّصُب إذا عاينوه ﴿يُوفِضُونَ﴾ ، يَبْتَدِرُون، أيُّهم يَستلمُه أوّل؟ وهذا مَرْوِيٌّ عن مجاهدٍ، ويحيىٰ بن أبي كثير، ومسلم البَطين، وقتادةَ، والضحّاك، والربيع بن أنس، وأبي صالح، وعاصم بن بَهْدَلَة، وابن زيد، وغيرهم. وقوله: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ ، أي: خاضعةٍ ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ ، أي: في مُقابَلَةِ ما استكبَرُوا في الدنيا عن الطاعة، ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ .

آخر تفسير «سورةِ سَأَلَ سائِلٌ»، ولله الحمدُ والمِنّةُ

سورة نوح

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (١) قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٢) أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٤)﴾

يقولُ تعالىٰ مُخبِراً عن نوح ـ عليه السلامُ ـ أنه أرسلَه إلى قومِه آمراً له أن يُنذِرَهم بأسَ الله قبل حُلوله بهم، فإن تابوا وأنابُوا رُفِع عنهم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (١) قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٢)﴾ أي: بيِّن النِّذارةِ، ظاهرُ الأمرِ واضِحُه، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: اتركوا محارِمَه واجتنبُوا مآثِمه، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه، ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾، أي إذا فعلتُم ما أمرتُكم به وصَدَّقتم ما أُرسِلتُ به إليكم غَفَر الله لكم ذُنوبكم. و﴿مِّن﴾ ها هنا قيل: إنها زائدة. ولكن القولَ بزيادتها في الإثباتِ قليل. ومنه قولُ بعض العرب: «قد كان من مطرٍ». وقيل: إنها بمعنى «عن»، تقديرُه: يصفح لكم عن ذُنُوبكم. واختارَه ابنُ جرير. وقيل: إنها للتبعيض، أي: يغفر لكم الذنوبَ العِظام التي وعدَكُم على ارتكابكم إياها الانتقام. ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾، أي: يَمُدُّ في أعماركم ويدرأُ عنكم العذابَ الذي إن لم تنزجِرُوا عما نهاكُم عنه أوقعه بِكُم. وقد يَستَدِلُّ بهذه الآية مَن يقولُ: إن الطاعةَ والبرَّ وصلةَ الرَّحم يُزاد بها في العمر حَقِيقةً.

[٧٠٢٩] كما ورد به الحديث: «صِلَةُ الرَّحم تَزِيد في العُمُر»(١). وقولُه: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، أي: بادِرُوا بالطاعةِ قبلَ حُلولِ النِّقمة، فإنه إذا أَمَرَ تعالى بِكَوْنِ ذلك لا يُرَدُّ ولا يُمانَع، فإنه العظيمُ الذي قَهَر كُلَّ شيءٍ، العزيزُ الذي دانت لِعزَّته جميعُ المخلوقاتِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا (٥) فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا (٨) ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا (٩) فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا (١٠) يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا (١١) وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا (١٢) مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا (١٣) وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ

---

(١) تقدم تخريجه.

أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

يُخبِر تعالى عن عبدِه ورسولِه نوح ـ عليه السلامُ ـ أنه اشتكى إلى ربِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ ما لقي مِن قَومِه، وما صَبر عليهم في تِلك المُدَّة الطويلةِ التي هي ألفُ سنةٍ إلا خمسين عاماً، وما بَيَّن لقومه ووضَّح لهم ودعاهم إلى الرُّشد والسبيل الأقْوَم، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾، أي: لم أترك دُعاءَهم في ليلٍ ولا نهارٍ، امتثالاً لأمرِكَ وابتغاءَ لطاعتك، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾، أي: كُلما دعوتهُم ليقتربوا من الحقِّ فَرّوا منه وحَادُوا عنه، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾، أي: سَدُّوا آذانهم لئلا يسمَعُوا ما أدعُوهم إليه. كَما أخبَرَ تعالى عن كفار قريش: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]. ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾، قال ابن جُرَيج، عن ابن عباس: تنكروا له لِئلاً يعرفهم. وقال سعيد بن جُبَير، والسُّدي: غطُّوا رُؤوسَهم لئلا يسمَعُوا ما يقول. ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾، أي: استمرُّوا على ما هُم فيه من الشِّرك والكُفرِ العَظِيم الفظيعِ، ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾، أي: واستنكفُوا عن اتِّباع الحقِّ والانقيادِ له. ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾، أي: جهرةً بين النّاس: ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾، أي: كلاماً ظاهراً بصوتٍ عالٍ، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، أي: فيما بيني وبينهم، فَنَوَّع عليهم الدَّعوةَ لتكون أنجع فيهم، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾، أي: ارجعُوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتُوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذُنوبه مهما كانت في الكُفر والشِّرْك، ولهذا قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، أي: مُتَواصِلَة الأمطارِ. ولهذا يُستحبُّ قراءةُ هذه السورةِ في صَلاة الاستسقاءِ، لأجل هذه الآية، وهكذا رُوِي عن أمير المؤمنين عُمَر بن الخطاب أنه صَعِد المنبر لِيَسْتَسْقِيَ، فلم يَزِد على الاستغفار، وقرأ الآياتِ في الاستغفار. ومنها هذه الآيةُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، ثم قال: لقد طلبتُ الغيثَ بمَجادِيح[1] السماء التي يُستنزَلُ بها المطر. وقال ابنُ عباس وغيره: يتبَعُ بعضُه بعضاً. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾، أي: إذ تُبتم إلى الله واستغفرتُموه وأطعمتموه كَثُر الرزقُ عليكم، وأسقاكُم من بَرَكاتِ السماء، وأنبتَ لكُم من بركاتِ الأرض، وأنبتَ لكم الزرعَ، وأدرَّ لكم الضَّرعَ، وأمدَّكم بأموالٍ وبنينَ، أي: أعطاكُم الأموالَ والأولادَ، وجعل لكم جنَّاتٍ فيها أنواع الثمار، وخَلَّلها بالأنهار الجارية بينها. هذا مقامُ الدعوة بالترغيب، ثم عَدَلَ بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾، أي: عظمةً، قاله ابنُ عباس، ومجاهدٌ، والضحَّاك. وقال ابنُ عباس: لا تُعظِّمون الله حقَّ عَظَمتِه. أي: لا تخافُون من بأسه ونَقمتِه، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾، قيل: معناه من نُطفةٍ، ثم من عَلَقةٍ، ثم من مُضغةٍ. قاله ابن عباس، وعكرمةُ وقتادة، ويحيىٰ بنُ رافع، والسُّدِّي وابن زيدٍ. وقولُه تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾، أي: واحدةٍ فوقَ واحدةٍ، وهل هذا يتلقىٰ من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدرَكَةِ بالحسِّ، مما علم من التسيير والكُسوفات، فإن الكواكبَ السبعة السيَّارة يكسِفُ بَعضُها بعضاً، فأدناها القمرُ في السماء الدنيا وهو يكسِفُ ما فوقه، وعُطارِد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة، وأما

---

(١) مجاديح السماء: أنواؤها.

بقية الكواكب ـ وهي الثوابت ـ في فَلَكٍ ثامنٍ يُسمُّونه فَلَكَ الثوابت. والمُتَشرِّعون منهم يقولون: هو الكرسي، والفلك التاسع، وهو الأطلسُ. والأثير عندهم: الذي حركته على خلافِ حركةِ سائر الأفلاك، وذلك أن حركته مبدأ الحركات، وهي من المغرب إلى المشرق، وسائرُ الأفلاكِ عكسُه من المشرِق إلى المغربِ، ومعها يدورُ سائرُ الكواكب تبعاً، ولكن للسَّيَّارةِ حركة معاكسة لحركة أفلاكها، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق. وكلٌّ يقطَعُ فَلَكَه بِحَسَبه، فالقمرُ يقطع فَلَكه في كل شهر مَرَّةً والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وذلك بحسَب اتِّساع أفلاكها، وإن كان حَركة الجميع في السرعةِ متناسبةً، هذا مُلخَّصُ ما يقولُونه في هذا المقام، ، على اختلافٍ بينهم في مواضعَ كثيرةٍ، لسنا بصَدَدِ بيانها، وإنما المقصُود أن الله سبحانه خلق: ﴿ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، أي: فاوتَ بينهما في الاستنارة، فجعلَ كُلاً منهما أُنموذَجاً على حِدَةٍ، لِيُعرَف اللَّيلُ والنهار بمطلَع الشمس ومَغِيبها، وقَدَّر القمرَ منازلَ وبُروجاً، وفاوت نُورَه، فتارةً يزدادُ حتىٰ يتناهىٰ ثم يشرعُ في النقص حتى يستَتِرَ، لِيدلَّ على مُضيِّ الشُهورِ والأعوام، كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾: هذا اسمُ مصدرٍ، والإتيانُ به ها هنا أحسنُ، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾، أي: إذا مُتم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، أي: يومَ القيامةِ يَعيدكم كما بدأكم أوَّل مَرَّةٍ، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾، أي: بَسَطها ومَهَّدها وقَرَّرها وثَبَّتها بالجبال الراسياتِ والشمِّ الشامخاتِ، ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾، أي: خَلَقها لكم لِتَستقرُّوا عليها وتسلُكوا فيها أين شِئتُم، من نواحيها وأرجائِها وأقطارِها، وكلُّ هذا مما يُنَبِّههم نوحٌ ـ عليه السلام ـ على قُدْرَةِ الله وعَظَمته في خَلْقِ السمواتِ والأرضِ، ونِعَمِه عليهم فيما جَعَل لهم من المنافع السَّماويَّةِ والأرضيَّة، فهو الخالقُ الرازقُ، جَعَل السماءَ بناءِ، والأرضَ مهاداً، وأوسع على خَلْقِه، من رزقه فهو الذي يَجبُ أن يُعبَدَ ويُوحَّدَ ولا يُشرَك به أحدٌ، لأنه لا نظيرَ له ولا عَدلَ ولا نِدَّ ولا كُفءَ، ولا صاحبةَ ولا وَلَدَ، ولا وَزِير ولا مُشِير، بل هو العليُّ الكبيرُ.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

يقولُ تعالىٰ مخبراً عن نُوحٍ ـ عليه السلام ـ أنه أنهىٰ إليه، وهو العليمُ الذي لا يعزُب عنه شيءٌ، أنه مع البيان المتقدِّم ذكرُه، والدعوةِ المتنوِّعة المشتَمِلة على الترغيب تارة والترهيب أخرىٰ: أنهم عَصَوه وكَذَّبوه وخالفُوه، واتبعُوا أبناءَ الدنيا ممن غَفَل عن أمر الله، ومُتِّع بمالٍ وأولادٍ، وهي في نفس الأمرِ استدراجٌ وإنظارٌ لا إكرامٌ. ولهذا قال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾. قُرِىءَ: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ بالضم وبالفتح، وكلاهما مُتقارِبٌ. وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾، قال مجاهد: ﴿كُبَّارًا﴾، أي: عظيماً. وقال ابنُ زيدٍ ﴿كُبَّارًا﴾، أي: كبيراً. والعربُ تقولُ: أمر عَجِيب وعُجَاب وعُجَّاب. ورجل حُسَان وحُسَّان، وجُمَال وجُمَّال، بالتخفيف والتشديد، بمعنى واحد. والمعنى في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾، أي: باتِّباعهم في تَسويلهم لهم أنهم على الحقِّ والهُدَى، كما يقولُون لهم يوم القيامة: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]. ولهذا قال ها هنا: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ

ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. وهذه أسماءُ أصنامِهم التي كانوا يَعبدُونها من دُونِ الله.

[٧٠٣٠] قال البُخاريُّ: حدَّثنا إبراهيم، حدثنا هشام، عن ابن جُرَيج، وقال عطاء، عن ابن عبَّاس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نُوحٍ في العرب بعدُ: أما وَدٌّ فكانت لِكَلْبٍ بدومَةِ الجندلِ؛ وأما سُوَاع فكانت لِهُذَيلٍ، وأما يَغُوثَ فكانت لَمرادٍ، ثم لبني غُطَيف بالجُرُف عند سَبَإٍ، وأما يَعوقُ فكانت لِهَمْدانَ، وأما نَسْرٌ فكانت لِحِمْيَر لآل ذي كَلاَعٍ وهي أسماءُ رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هَلَكُوا أوحى الشيْطانُ إلى قَومهم أن انصبُوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يَجلِسُون أنصاباً وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلوا. فلم تُعبَد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ عُبِدَت[(١)]. وكذا رُوِي عن عِكْرِمةَ، والضحَّاكِ، وقتادةَ، وابن إسحاقَ، نحوُ هذا. وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: كانت هذه أصناماً تُعْبَد في زمن نُوحٍ. وقال ابنُ جَرِيرٍ: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا مهرانُ، عن سفيانُ، عن مُوسى، عن محمد بن قَيس ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، قال: كانوا قوماً صالحين بين آدمَ ونُوحٍ. وكان لهم أتباعٌ يقتدُون بهم، فلما ماتُوا قال أصحابهُم الذين كانوا يقتدُون بهم: لو صَوَّرناهم كان أشوق لنَا إلى العبادةِ إذا ذَكَرناهم. فَصَوَّرُوهم، فلما ماتُوا وجاء آخرُون دَبَّ إليهم إبليسُ فقال: إنما كانوا يعبدُونهم وبهم يُسقَون المطَرَ. فعبدوهم. وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو عُمَر الدُّوريّ، حدَّثني أبو إسماعيلَ المؤدِّب، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمز، عن أبي حَزرة، عن عُرْوَةَ بن الزُّبير قال: اشتكى آدمُ ـ عليه السلام ـ وعنده بَنُوه: وَدٌّ، ويغوثُ، ويعوقُ، وسُوَاعٌ، ونَسْرٌ، وكان وَدٌّ أكبرَهم وأبرَّهُم به.

وروى الحافظُ ابنُ عساكر في ترجمةِ شيثٍ ـ عليه السلام ـ من طريق إسحاقَ بن بشرٍ قال: أَخْبَرَني جُوَيبر ومقاتل، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس أنه قال: وُلِد لآدم عليه السلام أربعون ولداً، عشرون غلاماً وعشرونَ جاريةً، فكان ممن عاش منهم: هَابيلٌ، وقَابيلُ، وصَالِحٌ، وعبدُ الرحمن الذي كان سَمَّاه عبدَ الحارث، وودّ وكان وَدّ يقال له: شيثٌ، ويقال له: هبةُ الله، وكان إخوتُه قد سَوَّدُوه، وَوُلِد له سُوَاع ويَغُوث ويَعُوقَ ونَسْرٌ.

وقال ابنُ أبي حاتمٍ: حدثنا أحمدُ بن منصور، حدثنا الحسنُ بن موسىٰ، حدثنا يعقوبُ، عن أبي المطهر قال: ذكرُوا عند أبي جعفر، وهو قائم يُصَلِّي، يزيدَ بن المُهَلَّب، قال: فلما انفتَلَ من صلاتِه قال: ذكرتم يزيدَ بن المُهَلَّب، أما إنه قُتِلَ في أول أرض عُبِدَ فيها غيرُ الله. قال: ثم ذكر وداً ـ قال: وكان ودٌّ رَجُلاً مُسلِماً، وكان محبباً في قومه، فلما مات عَسكرُوا حولَ قبره في أرضِ بابلَ وجزعوا عليه، فلما رأىٰ إبليس جَزعهم عليه، تَشَبَّه في صُورَةِ إنسان، ثم قال: إني أرىٰ جَزَعَكُم علىٰ هذا الرجل، فهل لكم أن أصوّر لكم مثله، فيكونَ في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم. فَصَوَّر لهم مثله، قال: ووضعُوه في ناديهم، وجَعَلُوا يذكُرونه. فلما رأىٰ ما بهم من ذِكْرِه قال: هل لكم أن أجعَلَ في منزلِ كُلِّ واحدٍ منكم تمثالاً مثلَه، فيكون له في بيته فتذكُرونه؟ قالوا: نعم. قال: فَمثَّل لكلِّ أهلِ بيتٍ تمثالاً مثلَه، فأقبلوا فجعَلُوا يذكُرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعَلُوا يَرَون ما يصنَعُون به، وتناسَلُوا ودَرَس أمر ذِكْرِهم إيَّاه، حتىٰ اتَّخذه إلهاً يعبدُونه من دون الله أولادُ أولادِهم، فكان أولُ ما عُبِدَ غيرُ الله الصنمَ الذي سَمَّوه وَداً.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، يعني الأصنامَ التي اتخذُوها أضلُّوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرَّت عبادتُه

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٠.

في القُرونِ إلى زمانِنا هذا في العَرَب والعَجَم وسائِر صُنُوف بني آدَمَ، وقد قال الخليلُ ـ عليه السلام ـ في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦]. وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾: دعاءٌ منه على قومِه لِتمرُّدهم وكُفرهم وعِنادِهم، كما دعا موسىٰ ـ عليه السلام ـ على فِرْعَونَ ومَلَئِهِ في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. وقد استجاب الله لكل من النَّبِيَّيْن في قومِه، وأغرقَ أُمّته بتكذيبهم لما جاءهم به.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ۝٢٨﴾

يقولُ تعالىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ وقرىء: (خطاياهم) ﴿أُغْرِقُوا۟﴾، أي: من كَثْرَةِ ذُنوبهم وعتُوّهم وإصرارهم على كُفرهم ومخالفتهم رَسُولَهم، ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾، أي: نُقِلوا من تيّار البحارِ إلى حَرارة النارِ، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾، أي: لم يكُن لهم مُعِينٌ ولا مُغيثٌ ولا مُجيرٌ يُنقِذُهم من عذابِ الله، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾، أي: لا تترك على الأرضِ منهم أحداً ولا تُومَريًّا. وهذه من صِيَغ تأكيدِ النفي، قال الضحَّاك: ﴿دَيَّارًا﴾: واحداً. وقال السُّدِّي: الدَّيارُ: الذي يسكُن الدَّارَ فاستجاب الله له فأهلَكَ جميعَ مَن على وجه الأرضِ مِنَ الكافرين حتىٰ وَلَد نوحٍ لِصُلْبِه الذي اعتزل عن أبيه، قال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

[٧٠٣١] وقال ابن أبي حاتم: قُرِيءَ على يونُسَ بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابنُ وهبٍ، أخبرني شَبيب ابن سَعيدٍ، عن أبي الجَوْزاءِ، عن ابن عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ «لو رَحِم الله من قوم نوحٍ أحداً لَرَحِمَ امرأةٍ، لمّا رأتِ الماء حَمَلت ولدَها ثم صَعِدت الجبلَ، فلما بلغها الماءُ صَعِدت به منكبها، فلَمّا بلغ الماءُ مِنْكَبها وَضَعَتْ وَلَدَها على رأسِها، فلما بلغ الماءُ رأسَها رَفَعت ولدَها بيدها. فلو رَحِم الله منهم أحداً لَرَحِم هذه المرأة»(١). هذا حديثٌ غريبٌ، ورِجَالُه ثقاتٌ، ونجىٰ الله أصحابَ السفينةِ الذين آمنُوا مع نوحٍ ـ عليه السلام ـ وهم الذين أَمَره الله بِحَمْلِهم مَعَه.

وقولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾، أي: إنَّك أن أبقيتَ منهم أحداً أَضَلُّوا عبادَكَ، أي الذين تخلُقهم بعدَهم، ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، أي: فاجراً في الأعمال كافرَ القلبِ، وذلك لِخبرَته بهم ومُكثِهِ بين أظهُرهم ألفَ سنةٍ إلاّ خمسينَ عاماً، ثم قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ قال الضَّحَّاكُ: يعني مَسْجِدي، ولا مانعَ مِن حَمْل الآية على ظاهرها، وهو أنه دعا لكُلِّ من دخل منزله وهو مؤمنٌ.

[٧٠٣٢] وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حَيْوَةُ، أنبأنا سالمُ بن غَيْلَانَ أن الوليد بن قيس التُّجيبيَّ أخبَرَه: أنه سَمِع أبا سَعيد الخُدرِيَّ ـ أو: عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد: ـ أنه سَمِع رسولَ

---

(١) الراجح وقفه. مداره علىٰ شبيب بن سعيد، وهو وإن روىٰ له البخاري ووثقه غير واحد، فقد قال ابن عدي: حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير. وقال الحافظ في «التقريب»: لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد لا من رواية ابن وهب. والراجح وقفه، والله أعلم.

الله ﷺ يقول: «لا تَصْحَب إلاّ مؤمناً، ولا يأكُلْ طعامَكَ إلاّ تَقِيٌّ»[1]. ورَوَاه أبو داود والتِّرمذيُّ، من حديثِ عبد الله بن المبارك، عن حَيْوةَ بن شُرَيح، به. ثم قال الترمذي: «إنما نعرفُه من هذا الوَجْهِ».

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: دعاءٌ لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يَعُمُّ الأحياءَ منهم والأمواتَ، ولهذا يُستحَبُّ مثلُ هذا في الدعاءِ، اقتداءً بنُوح عليه السلام، وبما جاء في الآثار والأدعية المشرُوعة. وقولُه: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾، قال السُدِّي: إلّا هلاكاً. وقال مجاهد: إلا خَساراً. أي: في الدنيا والآخرة.

آخِرُ تفسير «سورة نوح»، ولله الحمد والمنّةُ

(١) حسن. أخرجه أبو داود ٤٨٣٢ والترمذي ٢٣٩٥ وأحمد ٣/٣٨، وتقدم.

سورة الجن

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

وهي مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً رسولَه ﷺ أن يُخبِرَ قومَه: أنّ الجنَّ استمعُوا القُرآن فآمنُوا به وصدَّقُوه وانقادُوا له فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، أي: إلى السّدادِ والنّجاح، ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾. وهذا المقامُ شبيهٌ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. وقد قدَّمنا الأحاديثَ الواردةَ في ذلك بما أغنى عن إعادتها ها هنا. وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، قال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾، أي: فِعلُه وأمرُه وقُدرتُه. وقال الضحاك، عن ابن عباس: جَدُّ الله: آلاؤُه وقُدرتُه ونِعمتُه على خَلْقِهِ. ورُوي عن مجاهدٍ وعِكْرِمَةَ: جلالُ رَبِّنا. وقال قتادةُ: تعالى جلالُه وعَظَمتُه وأمرُه. وقال السُّدِّي: تعالى أمرُ رَبِّنا. وعن أبي الدرداءِ ومجاهدٍ أيضاً وابن جُرَيج: تعالى ذكرُه. وقال سعيد بن جُبَير: ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، أي: تعالى ربُّنا.
فأما ما رواه ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء، حدَّثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس قال: الجد أبٌ. ولو عَلِمَتِ الجنُّ أن في الإنس جدّاً ما قالوا: تعالى جدُّ ربِّنا. فهذا إسنادٌ جيِّدٌ، ولكن لستُ أفهمُ ما معنى هذا الكلام، ولعلّه قد سقط شيء، والله أعلم. وقولُه تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، أي: تعالى عن اتخاذِ الصاحبةِ والأولادِ. أي قالت الجنُّ: تنزَّه الربُّ ـ تعالى جلالُه وعظمتُه ـ حين أسلمُوا وآمنُوا بالقرآن عن اتِّخاذِ الصاحبةِ والوَلَدِ. ثم قالُوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾، قال مجاهد، وعكرمةُ، والسُّدِّي: ﴿سَفِيهُنَا﴾ يعنون إبليسَ، ﴿شَطَطًا﴾، قال السُّدِّي، عن أبي مالكٍ: ﴿شَطَطًا﴾، أي: جوراً. وقال ابنُ زيدٍ: ظُلماً كبيراً. ويُحتمِلُ أن يكون المرادُ بقولهم ﴿سَفِيهُنَا﴾: اسمَ جنسٍ لكلِّ مَن زَعَم أن لله صاحبةً أو ولداً. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾، أي: قبل إسلامِه ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، أي: باطلاً وزُوراً. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾، أي: ما حَسِبنا أن الإِنسَ والجنَّ يتمالؤون على الكَذِب على الله في نِسبَةِ الصاحبةِ والولَدِ إليه، فلما سَمِعنا هذا القرآن وآمنّا به علمنا أنهم كانوا يَكذِبُونَ على الله في ذلك. وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾، أي:

كُنَّا نَرَى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يَعُوذون بنا، أي: إذا نَزَلُوا وادياً أو مكاناً مُوحِشاً من البراري وغيرها، كما كان عادةُ العرب في جاهليتها، يعوذُون بعظيم ذلك المكانِ من الجانِّ، أن يُصِيبهم بشيء يَسُوؤُهم، كما كان أحدُهم يدخُل بلاد أعدائه في جوارِ رجلٍ كبيرٍ وذِمامه وخِفارتِه، فلما رأتِ الجنُّ أن الإنسَ يعوذُون بهم من خَوفهم منهم زادُوهم رَهقاً، أي: خَوفاً وإرهاباً وذُعراً، حتى تَبَقَّوا أشدَّ منهم مخافةً وأكثر تَعوُّذاً بهم، كما قال قتادةُ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: إثماً، وازدادت الجنُّ عليهم بذلك جَراءَةً. وقال الثوريُّ، عن منصور عن إبراهيم: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: ازدادت الجنُّ عليهم جَراءةً. وقال السُّدِّي: كان الرجل يخرُج بأهله فيأتي الأرضَ فينزلها فيقول: أعوذُ بِسيِّدِ هذا الوادي من الجنِّ أن أُضَرَّ أنا فيه أو مالي أو وَلَدِي أو ماشِيتي، قال: فإذا عاذَ بهم من دُونِ الله رَهقَتهم الجنُّ الأذى عند ذلك.

وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطَّان، حدَّثنا وهبُ بن جَرِيرٍ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الزُبير بن الخرِّيت، عن عِكْرِمَةَ قال: كان الجنُّ يَفْرَقُونَ من الإنس كما يفرَق الإنسُ منهم أو أشد، فكان الإنسُ إذا نزلوا وادياً هَرَب الجنُّ، فيقول سيِّدُ القوم: نعوذُ بسيِّد أهلِ هذا الوادي. فقال الجنُّ: نراهم يَفْرَقُون منا كما نفرَقُ منهم. فَدنَوا من الإنس فأصابُوهم بالخَبَلِ والجُنونِ، فذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾. وقال أبو العالية، والربيعُ، وزيدُ بن أسلَمَ: ﴿رَهَقًا﴾، أي: خَوفاً. وقال العوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: إثماً. وكذا قال قتادةُ. وقال مجاهد: زاد الكُفَّارُ طغياناً.

[٧٠٣٣]: وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدثنا فَرْوةُ بن أبي المَغْراء الكِنْديُّ، حدثنا القاسم بن مالك ـ يعني المُزَنيَّ ـ عن عبد الرحمن بن إسحاقَ، عن أبيه، عن كَرْدَم بن أبي السائب الأنصاريِّ قال: خرجتُ مع أبي من المدينةِ في حاجةٍ، وذلك أوَّلَ ما ذُكِرَ رسولُ الله ﷺ بمكّة، . فآوانا المبيتُ إلى راعي غَنَم. فلما انتصف الليلُ جاء ذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم فَوَثب الراعي فقال: يا عامرَ الوادي، جارُك! فنادى منادٍ لا نَراه، يقول: يا سِرحانُ، أرسِلْهُ. فأتى الحملَ يَشْتَدُّ حتى دَخَل في الغنم لم تُصِبه كَدْمَةٌ. وأنزل الله على رسوله بمكَّة: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[(١)]. ثم قال: ورُوي عن عُبَيد بن عُمَير، ومجاهد، وأبي العاليةِ، والحسنِ، وسعيد بن جُبَير، وإبراهيم النَّخَعِيِّ، نحوُه[(٢)]. وقد يكون هذا الذئبُ الذي أخذَ الحمَلَ، وهو ولد الشاة، كان جِنِّيّاً حتى يُرهبَ الإنسيَّ ويخافَ منه، ثم رَدّه عليه لما استجار به، لِيُضِلَّه ويُهينَه، ويُخرجه عن دينه، والله أعلم. وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾، أي: لن يبعَثَ اللهُ بعدَ هذه المدَّةِ رسُولاً. قاله الكلبيُّ وابنُ جرير.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

يُخبِر تعالى عن الجنِّ حين بَعَثَ الله رسوله مُحمَّداً ﷺ وأنزلَ عليه القرآن، وكان من حِفْظِهِ له أنَّ السماء

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني ١٩/ ١٩١ والعقيلي في «الضعفاء» ١/ ٣٥ وأبو الشيخ ١١٢٢ وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن اسحاق، وبه أعله العقيلي، والهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) ليس فيها ذكر هذه القصة وإنما هي بنحو قول السدي المتقدم.

مُلِئت حَرَساً شديداً، وحُفِظت من سائر أرجائها، وطُرِدت الشياطينُ عن مقاعِدها التي كانت تَقْعَد فيها قبل ذلك، لئلا يَسْتَرِقوا شيئاً من القرآن. فيُلقوه على ألسنةِ الكَهَنَةِ، فَيَلتبِسَ الأمرُ ويختلطَ ولا يُدرَى مَن الصَّادقُ. فكان هذا من لُطفِ الله بِخَلْقِهِ، وَرحمَتِهِ بعباده، وحِفْظِه لكتابه العزيز، ولهذا قالت الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾، أي: مَن يَرُوم أن يَسْتَرِقَ السمعَ اليومَ يَجد له شهاباً مُرصَداً له، لا يَتخطّاه ولا يَتعدّاه، بل يَمحقُه ويُهلِكه، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ أي: ما نَدري هذا الأمرَ الذي قد حَدَث في السماء، لا نَدرِي أشرٌّ أُريد بأهل الأرض، أم أراد بهم ربُّهم رشَداً؟ وهذا من أَدَبهم في العِبَارةِ حيث أسندوا الشرَّ إلى غير فاعلٍ، والخيرُ أضافوه إلى الله عزَّ وجل.

[٧٠٣٤] وقد وَرَد في الصحيح: «والشر ليس إليك»(١). وقد كانت الكواكبُ يُرمَى بها قبلَ ذلك، ولكن ليس بكثيرٍ بل في الأحيانِ بعد الأحيانِ.

[٧٠٣٥] كما في حديث ابن عباس: بينما نحن جلوسٌ مع رسول الله ﷺ إذ رُمِي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتُم تقولُون في هذا؟ فقلنا: كُنَّا نقولُ: يُولَد عَظِيمٌ، يَمُوتُ عَظِيمٌ. فقال: «ليس كذلك، ولكن الله إذا قَضَى الأمر في السماء...»(١) وذكر تمام الحديثِ، وقد أوردناهُ في «سورة سبأ» بتمامه. وهذا هو السبب الذي حَمَلهم على تَطَلُّب السَّببِ في ذلك، فأخذُوا يَضرِبُون مشارقَ الأرض ومغاربَها، فوجدُوا رسولَ الله ﷺ يقرأُ بأصحابه في الصلاة، فعرفُوا أن هذا هو الذي حُفِظت من أجله السماء، فآمن مَن آمن مِنهم، وتمرَّد في طغيانه مَن بقي، كما تقدم حديثُ ابن عباس في ذلك، عند قوله في «سورة الأحقاف»: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية. ولا شكَّ أنه لمَّا حَدَث هذا الأمر، وهو كثرةُ الشُّهُبِ في السَّماءِ والرميُ بها، هال ذلك الإنسَ والجنَّ وانزعجُوا له وارتاعُوا لذلك، وظَنُّوا أن ذلك لخرابِ العالم ـ.

[٧٠٣٦] كما قال السُّدِّي: لم تكُن السماء تُحرَس إلاَّ أن يكون في الأرض نَبِيٌّ أو دين لله ظاهرٌ، وكانت الشياطينُ قبلَ محمد ﷺ قد اتَّخذَت المقاعِدَ في السماءِ الدُّنيا، يَستمِعُون ما يحدُث في السماء من أمرٍ. فلما بَعَثَ الله مُحَمَّداً نَبِيًّا رُجِمُوا ليلة من الليالي، فَفَزِعَ لذلك أهلُ الطائف، فقالوا: هَلَك أهلُ السماء؛ لِمَا رَأَوا من شِدَّةِ النار في السماء واختلافِ الشُّهُبِ، فجعلوا يَعتِقُون أرقّاءهم ويُسَيِّبون مواشِيَهم، فقال لهم عبدُ ياليلَ بن عَمرو بن عُمَير: ويحكُم يا معشرَ أهل الطائف، أمسِكُوا عن أموالكم، وانظُروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مُستقِرَّةً في أمكنتها فلم يَهلِك أهلُ السماءِ، إنما هذا من أجلِ ابن أبي كبشة ـ يعني محمداً ﷺ وإن أنتُم لم تَروها فقد هَلَك أهلُ السماء. فنظرُوا فرأوها، فَكَفُّوا عن أموالهم. وفَزِعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليسَ فَحَدَّثوه بالذي كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كلِّ أرضٍ بِقَبضَةٍ من تراب أَشُمُّها. فأتوه فَشَمَّ فقال: صاحِبُكم بمكّةَ. فبعثَ سبعةَ نفرٍ من جنِّ نَصِيبينَ، فَقَدِمُوا مَكَّةَ فوجدُوا نبيَّ الله ﷺ قائماً يُصَلِّي في المسجد الحرام يقرَأ القرآنَ، فَدَنوا منه حِرصاً على القرآن حتى كادت كَلاكِلُهم تُصِيبه، ثم أسلموا. فأنزل الله ـ تعالى ـ أَمْرَهم على نَبِيِّه ﷺ(٢). وقد ذكرنا هذا الفصلَ مستقصًى في أول البعث من (كتاب السِّيرة) المطول، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم في الأحقاف: ٢٩.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن الجنّ: إنهم قالوا مُخبِرين عن أنفسِهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، أي: غير ذلك، ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، أي: طرائقَ متعددةً مختلفةً وآراءً متفرقةً. قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، أي: منّا المؤمنُ ومنا الكافرُ.

وقال أحمد بن سليمان النّجادُ في أماليه: حدّثنا أسلم بن سَهل بَحْشَلُ، حدّثنا علي بن الحسن بن سُلَيمان، وهو أبو الشعثاء الحضرمي، شيخ مسلم ـ حدّثنا أبو معاوية قال: سَمِعتُ الأعمشَ يقولُ: تَرَوّح إلينا جِنّيٌ، فقلتُ له: ما أحبُّ الطّعام إليكم؟ فقال: الأرزُ. قال: فأتيناهم به، فجعلتُ أَرَى اللّقَم تُرفَع ولا أرى أحداً. قلت: فِيكُم مِن هذه الأهواءِ التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الرافضةُ فيكم؟ قال: شَرُّنا. عرضتُ هذا الإسناد على شيخنا الحافِظ أبي الحجّاج المِزّي فقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الأعمش. وذكر الحافظُ ابنُ عساكرَ في ترجمة العباسِ بن أحمدَ الدّمشقي قال: سمعتُ بعضَ الجنّ وأنا في منزلِي بالليل يُنشِد:

قُلوبٌ بَراها الحبُّ حتى تعلّقتْ ... مَذاهِبُها في كُل غربٍ وشارقِ
تَهيمُ بحبِ اللّهِ، واللّهِ ربُّها ... مُعلّقةٌ باللّهِ دونَ الخلائقِ

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾، أي: نعلمُ أن قدرةَ الله حاكمةٌ علينا وأنا لا نُعجزُه في الأرض، ولو أمعنّا في الهَرَب؛ فإنه علينا قادرٌ، لا يُعجزُه أحدٌ منا. ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: يفتخِرون بذلك، وهو مَفخَرٌ لهم، وشَرَفٌ رَفِيع، وصِفَةٌ حَسَنَةٌ. وقولُهم: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾، قال ابنُ عباس، وقتادةُ، وغيرُهما: فلا يخافُ أن يُنقَص من حسناته أو يحمل عليه غيرُ سَيّئاتِهِ، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾، أي: منا المسلمُ ومنا القاسطُ، وهو: الجائرُ عن الحقّ الناكِبُ عنه، بخلاف المقسط فإنه العادلُ، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾، أي: طلبوا لأنفسِهم النجاة. ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ أي: وَقُوداً تُسعَر بهم. وقولُه تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: أحدُهما: وأن لو استقامَ القاسِطُون على طريقةِ الإسلام وعَدَلوا إليها واستمرُّوا عليها، ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾، أي: كثيراً. والمراد بذلك سَعةُ الرزق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦]. وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وعلى هذا يكونُ معنى قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، أي: لِنختبِرهم، كما قال مالكٌ، عن زيد بن أسلَمَ: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾: لِنَبتلِيهُم من يستمرُّ على الهداية ممّن يرتدُّ إلى الغواية؟. ذكرُ من قال بهذا القول: قال العَوفِيُّ، عن ابن عباس: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: يعني بالاستقامة الطاعة. وقال مجاهدٌ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، قال: الإسلام. وكذا قال سعيد بن جُبير، وسعيدُ بن المُسَيّب، وعطاءٌ، والسُّدّي، ومحمد بن كعب القُرَظي. وقال قتادةُ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾،

يقول: لو آمنوا كلُّهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. وقال مجاهدٌ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، أي: طريقةِ الحقّ. وكذا قال الضحاك، واستشهدَ على ذلك بالآيتين اللَّتين ذكرناهما، وكل هؤلاء أو أكثرُهم قالوا في قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، أي: لِنَبْتَلِيهم به. وقال مقاتلٌ: نزلت في كُفَّارِ قُرَيشٍ حين مُنِعُوا المطرَ سبعَ سنين. والقول الثاني: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، الضلالةِ ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾، أي: لأوسعنا عليهم في الرِّزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦] وهذا قولُ أبي مِجلز لاحق بن حُمَيد؛ فإنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، أي: طريقةِ الضَّلالةِ. رواهُ ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم، وحكاه البَغَوِيُّ عن الربيع بن أنس، وزيدِ بن أسلَمَ، والكلبي، وابنِ كيسان. وله اتجاهٌ، وَيَتأيَّدُ بقوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: عذاباً شاقاً شَدِيداً مُوجِعاً مُؤلِماً. قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾، أي: مَشقَّة لا راحةَ معها. وعن ابنِ عبَّاسٍ: جَبَلٌ في جهنَّم. وعن سعيد بن جُبَير: بئرٌ فيها.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً عبادَه أن يُوَحِّدوه في محالِّ عبادته، ولا يُدعَى معه أحدٌ ولا يُشرَكُ به، كما قال قتادةُ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾، قال: كانت اليهودُ والنصارى إذا دخلُوا كنائِسَهم وبِيَعهم أشركُوا بالله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يُوَحِّدُوه وحدَه. وقال ابنُ حاتم: ذكر علي بن الحسين: حدَّثنا إسماعيلُ ابن بنت السُّدِّي، أخبرنا رجلٌ سمَّاه، عن السُّدِّي، عن أبي مالك ـ أو: أبي صالح ـ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾، قال: لم يكن يوم نَزَلت هذه الآيةُ في الأرضِ مسجدٌ إلا المسجدَ الحرام، ومسجدَ إيلياءَ ببيتِ المَقْدِس. وقال الأعمش: قالتِ الجنُّ: يا رسولَ الله! ايذَنْ لنا فَنَشهَدَ معك الصلواتِ في مَسْجِدك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾، يقول: صَلُّوا، لا تُخالِطوا الناس(١).

[٧٠٣٧] وقال ابنُ جرير: حَدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا مِهران، حدَّثنا سُفيان، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن محمود، عن سعيد بن جُبَير: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ قال: قالت الجنُّ لنبيِّ الله ﷺ: كيف لنا أن نأتيَ المسجدَ ونحن ناؤون عنك؟ وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤونَ عنكَ؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾(٢). وقال سفيان، عن خُصَيفٍ، عن عِكْرِمةَ: نزلت في المساجد كُلِّها. وقال سعيد ابن جُبَير. نزلت في أعضاءِ السُّجود، أي: هي لله فلا تسجُدوا بها لغيره(٣).

---

(١) هذا مرسل وكذا ما بعده.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥١٢٨ مرسلاً.

(٣) وهذا التأويل غريب، والصواب أن المراد بيوت الله عز وجل. والله تعالىٰ أعلم.

[٧٠٣٨] وذكروا عند هذا القول: الحديث الصحيحَ، من رواية عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمِرت أن أسجُدَ على سبعةِ أعظُم: على الجبهة ـ أشار بيده إلى أنفِه ـ واليدَين والركبتين وأطراف القدمين»[١]. وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾، قال العَوفي، عن ابن عَبَّاسٍ يقولُ: لما سَمِعُوا النبي ﷺ يتلُو القرآن كادُوا يركبونه؛ من الحِرْصِ، لَمَّا سَمِعوه يتلُو القرآن، ودَنَوا منه فلم يعلمَ بهم حتى أتاه الرسولُ فَجَعَل يُقرئه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، يستمعون القرآن. هذاقول، وهو مَرْوِيٌّ عن الزبير بن العوام، رضي الله عنه.

[٧٠٣٩] وقال ابنُ جرير: حدثني محمدُ بن مَعْمَرٍ، حدَّثنا أبو مُسلِم، عن أبي عوانَةَ، عن أبي بشرٍ، عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عباسٍ قال: قال الجنُّ لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، قال: لَمَّا رأوه يُصَلِّي وأصحابُه يركعون بركوعِه ويسجُدون بسجودِه، قال: عَجِبوا من طواعية أصحابه له، قال: فقالُوا لقومهم: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[٢]. وهذا قولٌ ثانٍ، وهو مرويٌّ عن سعيد ابن جُبَير أيضاً. وقال الحسنُ: لما قام رسولُ الله ﷺ يقولُ: لا إله إلا الله، ويدعُو الناسَ إلى ربِّهم، كادت العربُ تكون[٣] عليه جميعاً.

وقال قتادةُ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، قال: تَلَبَّدت الإنسُ والجنُّ على هذا الأمر لِيُطفِئوه، فأبى الله إلا أن ينصُرَه ويُمضِيَه ويُظهِرَه على مَن ناوأه. وهذا قولٌ ثالثٌ، وهو مَرويّ عن ابن عباس، ومجاهدٍ، وسعيد بن جُبَير، وقولُ ابن زيدٍ، واختيارُ ابن جرير، وهو الأظهرُ لقوله بعدَه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾، أي: قال لهم الرسولُ لَمَّا آذوه وخالَفوه وكَذَّبوه وتظاهرُوا عليه، لِيُبطِلُوا ما جاء به من الحقِّ واجتمَعُوا على عَدَاوتِه: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾، أي: إنما أعبدُ ربِّي وحدَه لا شريكَ له، وأستجيرُ به وأتوكَّلُ عليه، ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾. وقولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾، أي: إنما أنا بَشَرٌ مثلكم يُوحَى إلي، وعبدٌ من عباد الله، ليس إليّ من الأمر شيءٌ في هدايتكم ولا غَوايتكم، بل المرجعُ في ذلك كلِّه إلى الله عزَّ وجل. ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يُجيره من الله أحد، أي: لو عصيتُه فإنه لا يَقدِر أحدٌ على إنقاذي من عذابه، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾، قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والسُّدِّي: مَلْجأً. وقال قتادة أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾، أي: لا نَصِير ولا ملجأً. وفي رواية: لا وليّ ولا موئِلَ. وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾، قال بعضُهم: هو مُستثنى من قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا... إِلَّا بَلَٰغًا﴾. ويحتملُ أن يكون استثناءً من قوله: ﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾، أي: لا يُجيرني منه ويُخلِّصني إلا إبلاغي الرسالةَ التي أوجبَ أداءَها عليّ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقولُه تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، أي: إنما أبلغكم رسالةَ الله فمن يَعصِ بعدَ ذلك فله جزاءٌ على ذلك، نَارَ جَهَنَّم خالدين فيها أبداً، لا محيدَ لهم عنها، ولا خروجَ لهم منها. وقولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾، أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجنِّ والإنسِ ما يُوعَدون يومَ

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥١٣٣ وإسناده صحيح.

(٣) في النسخ «تلبد» والمثبت عن الطبري.

القيامة، فَسيعلمون يومئذٍ مَن أضعفُ ناصراً وأقلُّ عدداً؟ هم أم المؤمنون الموحِّدونَ لله عزَّ وجل، أي: بل المشركون لا ناصِرَ لهم بالكُلِّية، وهم أقلُّ عدداً من جُنود الله عزَّ وجل.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً رسولَه ﷺ أن يقولَ للناس: إنه لا عِلْمَ له بوقت الساعة، ولا يَدْري أقريبٌ وقتُها أم بعيدٌ؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾، أي: مُدَّةً طويلةً. وفي هذه الآية الكريمةِ دليلٌ على أن الحديثَ الذي يتداوله كثيرٌ من الجَهَلة من أنه ـ عليه السلام ـ «لا يُؤَلِّف تحتَ الأرض»، كَذِبٌ لا أصلَ له، ولم نَرَه في شيءٍ من الكُتُب. وقد كان ﷺ يُسأل عن وقتِ الساعةِ فلا يُجيب عنها.

[٧٠٤٠] ولما تَبَدَّى له جبريلُ في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: «يا محمدُ! فأخبرني عن الساعةِ؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلَمَ من السائل»[١].

[٧٠٤١] ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جَهْوَرِيٍّ فقال: يا محمدُ! متى الساعة؟ قال: «ويحك! إنها كائنةٌ، فما أعددت لها؟» قال: أما إني لم أُعِدَّ لها كَثِير صلاةٍ ولا صيام، ولكني أحبُّ الله ورسُولَ. قال: «فأنت مع مَن أحببتَ. قال أنسٌ: فَمَا فَرِحَ المسلمون بشيءٍ فَرَحَهُم بهذا الحديث[١].

[٧٠٤٢] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدَّثنا محمد بن مُصَفًّى، حدَّثنا محمد بن حِمْيَر، حدَّثني أبو بكر بن أبي مَرْيَم، عن عطاء بن أبي رَباح، عن أبي سعيد الخُدْريِّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يا بني آدمَ! إن كنتم تَعقِلُون فَعُدُّوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما تُوعَدُون لآتٍ»[٢].

[٧٠٤٣] وقد قال أبو داود في آخر «كتاب الملاحم»: حدَّثنا موسى بن سَهل، حدَّثنا حجَّاجَ بن إبراهيم، حدَّثنا ابنُ وهب، حدَّثني مُعاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جُبَير، عن أبيه، عن أبي ثَعلبة الخُشَنِيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لن يُعجِزَ الله هذه الأمةَ من نِصْفِ يوم»[٣]. انفرد به أبو داود.

[٧٠٤٤] ثم قال أبو داود: حدَّثنا عَمرو بن عثمان، حدَّثنا أبو المُغيرة، حدَّثني صَفوانُ، عن شُرَيح ابن عُبَيدٍ، عن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إني لأرجو ألاَّ تعجز أُمَّتي عند ربها أن يُؤَخرهم نِصفَ يوم». قيل لسعد: وكم نِصفُ يوم؟ قال: خَمسُمِئَةِ عام[٤]. انفرد به أبو داود.

وقولُه تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾: هذه كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾. وهكذا قال ها هنا: إنه يعلمُ الغيبَ والشهادةَ، وإنه لا يطلِعُ أحدٌ مِن خَلقِه على شيء من عِلْمِهِ إلا مما أَطلَعه تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، وهذا يعم الرسُولَ المَلَكِيَّ والبَشَري. ثم قال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

(١) تقدم في سورة الأعراف آية ١٨٧.

(٢) في إسناده أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. لكن في الباب أحاديث تشهد لأصله. والله أعلم.

(٣) صحيح. أخرجه أبو داود ٤٣٤٩ والحاكم ٤/ ٤٢٤ وإسناده حسن لأجل معاوية بن صالح، وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم! ووافقه الذهبي! والصواب أنه على شرط مسلم وحده، ومعاوية صدوق يخطىء، تفرد عنه مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٣٥٠ وفيه انقطاع بين شريح وسعد بن أبي وقاص.

خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾، أي: يَختَصُّه بمزيدِ مُعَقِّباتٍ من الملائكة يحفظُونه من أمْرِ الله، ويُساوِقُونه على ما معه من وَحْي الله. ولهذا قال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾. وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾، إلى مَن يعُود؟ فقيل: إنه عائدٌ على النبي ﷺ، قال ابن جرير: حدَّثنا ابن حُميد، حدَّثنا يعقوبُ القُمِّي، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾، قال: أربعةُ حفظةٍ من الملائكة مع جبريلَ، ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ محمد ﷺ ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾. ورواه ابنُ أبي حاتم من حديثِ يعقُوبَ القُمِّي به. وهكذا رواهُ الضحَّاكُ، والسُّدِّي، ويزيدُ بن حَبِيب. وقال عبد الرزَّاق، عن مَعمَرٍ، عن قتادةَ: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، قال: ليعلمَ نبيُّ الله أن الرُّسُلَ قد بلَّغت عن الله، وأن الملائكة حَفِظَتها ودَفَعت عنها. وكذا رواه سعيدُ بن أبي عَرُوبةَ، عن قتادة. واختاره ابنُ جرير.

وقيل غيرُ ذلك، كما رواه العَوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾، قال: هي مُعقِّباتٌ مِن الملائكة يحفَظُون النبيَّ من الشيطانِ، حتى يَتَبيَّنَ الذي أُرسِلَ إليهم، وذلك حين يقولُ: لِيَعْلَم أهلُ الشرك أن قد أبلِغُوا رسالاتِ ربِّهم. وكذا قال ابنُ أبي نَجيح، عن مجاهد: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، قال: لِيعلَم من كَذَّب الرُّسُلَ أن قد أبلغوا رسالاتِ ربهم. وفي هذا نظر.

وقال البَغَويُّ: قرأ يعقوبُ: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ بالضم، أي: لِيُعْلَم الناسُ أن الرسُل قد بلَّغوا. ويَحتَمِلُ أن يكون الضَّميرُ عائداً إلى الله ـ عزَّ وجلَ ـ وهو قول حكاه ابن الجَوْزيِّ في «زاد المسير». ويكونُ المعنى في ذلك: أنه يَحفَظَ رُسُلَه بملائكته لِيَتَمكَّنُوا من أداءِ رسالاته، ويحفَظ ما بُيِّن إليهم من الوحي ليعلَمَ أن قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم، ويكونُ ذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت: ١١]، إلى أمثال ذلك، مع العلم بأنه تعالى يعلمُ الأشياءَ قبل كَوْنِها قطعاً لا محالة، ولهذا قال بعد هذا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

آخر تفسير سورة الجنِّ، ولله الحمدُ والمنَّةُ

سورة المزمل

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

وهي مكيّة

[٧٠٤٥] قال الحافظ أبو بكر أحمدُ بن عَمرو بن عبد الخالق البزّارُ: حدّثنا محمد بن موسى القَطّان الواسطي، حدثنا مُعَلّى بن عبد الرحمن، حدّثنا شَرِيكٌ، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيلٍ، عن جابر قال: اجتمعت قُرَيشٌ في دار النَّدْوَةِ فقالوا: سَمُّوا هذا الرجلَ اسماً تَصُدُّوا الناس عنه. فقالوا: كاهنٌ. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنونٌ. قالوا: ليسَ بمجنونٍ. قالوا: ساحرٌ. قالوا: ليس بساحرٍ. فتفرّق المشركُون على ذلك، فبلغ ذلك النّبيَّ ﷺ فتَزمّل في ثِيابِهِ وتَدَثّر فيها. فأتاه جبريلُ ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[(١)]. ثم قال البزار: مُعَلّى بنُ عبد الرحمن قد حَدَّث عنه جماعةٌ من أهل العلم، واحتملُوا حديثَه، لكنّه تفرّد بأحاديث لا يُتابَعُ عليها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يتركَ التزمُّلَ، وهو التَغطّي في الليل، وينهضَ إلى القيام لربِّه ـ عزّ وجل ـ كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة: ١٦]. وكذلك كان رسولَ الله ﷺ مُمتثِلاً ما أَمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجباً عليه وحدَه، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]. وها هنا بَيّن له مقدارَ ما يقُوم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قال ابنُ عباس، والضحّاك، والسُدّي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، يعني: يا أيها النائم. وقال قتادة: المُزَّمِّلُ في ثابه. وقاله إبراهيمُ النخعِيّ: نَزَلت وهو مُتَزمِّل بِقَطِيفةٍ. وقال شَبِيب ابن بِشر، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عبّاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، قال: يا محمدُ! زُمِّلْتَ القرآنَ. وقولُه تعالى: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾: بَدَلٌ من الليل، ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، أي: أمرناكَ أن تَقُوم نصفَ الليل بزيادةٍ قليلةٍ أو نُقصانٍ قليلٍ، لا حَرَجَ عليك في ذلك. وقولُه تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، أي: اقرأه على تَمَهُّلٍ، فإنه يكونُ عوناً على فَهم القرآن وتَدَبُّره. وكذلك كان يقرأُ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشةُ: كان يقرأُ السورةَ فَيُرتِّلُها، حتى تكونُ أطولَ من أطولَ منها.

---

(١) إسناده ضعيف جداً. أخرجه البزار ٢٢٧٦، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٤٣: رواه البزار والطبراني في «الأوسط» وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي، وهو كذاب.

[٧٠٤٦] وفي صحيح البخاري، عن أنسٍ: أنه سُئِل عن قراءة رسُولِ الله ﷺ فقال: كانت مداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، يَمُد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمد ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ ويمد ﴿الرَّحِيمِ﴾[١].

[٧٠٤٧] وقال ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُلَيكَةَ عن أُمِّ سَلَمة: أنها سُئِلت عن قِراءةِ رسولِ الله ﷺ فقالت: كان يقَطِّع قراءته آيةً آيةً ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③﴾، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④﴾[٢]. ورواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

[٧٠٤٨] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عبدُ الرحمن، عن سفيانَ، عن عاصم، عن زِرّ، عن عبدِ الله بن عَمرو، عن النبي ﷺ قال: «يُقال لصاحِبِ القرآن: اقرأ وارق ورتِّل كما كنت تُرَتل في الدنيا، فإنَّ منزلَتَكَ عند آخِر آية تَقرؤُها»[٣]. ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، من حديث سُفيانَ الثَّوريّ، به. وقال الترمذِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ». وقد قَدَّمنا في أول التفسير الأحاديث الدالَّةَ على استحباب الترتيلِ وتحسِين الصوتِ بالقراءة، كما جاء في الحديث:

[٧٠٤٩] «زَيِّنُوا القُرآن بأصواتكم»[٤].

[٧٠٥٠] و «ليس منا من لم يَتَغنَّ بالقرآن»[٥].

[٧٠٥١] و «لقد أُوتي هذا مزماراً من مزاميرِ آل داود». يعني أبا موسى، فقال أبو موسى: لو كنتُ أعلَمُ أنك كنت تسمَعُ قراءتي لحبَّرْتُه لك تحبيراً[٦]. وعنَ ابنِ مسعود أنه قال: لا تَنثُروه نَثر الدَّقَل[٧]، ولا تَهذُّوه هَذَّ الشِّعر، قِفُوا عند عَجائِبِه، وحَرِّكوا به القُلوب، ولا يَكُن هَمُّ أَحَدِكم آخِرَ السُورَةِ. رواه البَغَوِيُّ.

[٧٠٥٢] وقال البُخارِيُّ: حدَّثنا آدمُ، حدَّثنا شعبةُ، حدَّثنا عَمرو بن مُرَّةَ: سَمِعتُ أبا وائلٍ قال: جاء رجلٌ إلى ابنِ مسعودٍ فقال: قرأتُ المُفصَّل اللَّيلةَ في ركعة. فقال: هَذًّا كهذِّ الشعر! لقد عرفتَ النظائِرَ التي كان رسولُ الله ﷺ يَقرِن بينهنَّ! فذكر عشرينَ سورةً من المُفَصَّل، سُورتَين في ركعةٍ. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤﴾، قال الحسنُ، وقتادةُ: أي: العملُ به. وقيل: ثقيلٌ وقتُ نزوله، من عَظَمتِه. كما قال زيد بن ثابت: أُنزِل على رسول الله ﷺ وَفخِذُه على فَخِذي، فكادت تُرضّ فَخِذي[٨].

[٧٠٥٣] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا قُتَيبَةُ، حدَّثنا ابنُ لَهيعة، عن يَزِيدَ بن أبي حَبِيب، عن عَمرو بن الوليد، عن عبد الله بن عمرو قال: سألتُ النبيّ ﷺ فقلتُ: يا رسول الله! هل تُحسُّ بالوحي؟ فقال رسول

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠٤٦ وابن حبان ٦٣١٧.
(٢) أخرجه أبو داود ١٤٦٦ والترمذي ٢٩٢٧ وأحمد ٦/ ٣٠٢ وتقدم في الفاتحة.
(٣) جيد. أخرجه أبو داود ١٤٦٤ والترمذي ٢٩١٤ وأحمد ٢/ ١٩٢ وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٩٨ وابن حبان ٧٦٦ وإسناده حسن، وله شواهد.
(٤) صحيح. أخرجه أبو داود ١٤٦٨ والنسائي ٢/ ١٧٩، ١٨٠ وابن ماجه ١٣٤٢ وعبد الرزاق ٤١٧٦ وأحمد ٤/ ٢٩٦ وابن حبان ٧٤٩ من حديث البراء بن عازب، وهو صحيح.
(٥) تقدم تخريجه في سورة الحجر آية ٨٧، متفق عليه.
(٦) تقدم في سورة الأنبياء آية ٧٩.
(٧) الدقل: أردأ التمر.
(٨) صحيح. أخرجه البخاري ٧٧٥ و ٥٠٤٣.

الله ﷺ : «أسمعُ صَلاَصِلَ، ثم أسكتُ عند ذلك، فما من مَرّةٍ يُوحَى إليّ إلا ظننتُ أن نفسي تَفِيض»[١]، تفرد به أحمد.

[٧٠٥٤] وفي أوّل صحيح البخاري عن عبد الله بن يُوسُفَ، عن مالك، عن هِشَام، عن أبيه، عن عائشةَ: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟ فقال: «أحياناً يأتيني في مثلِ صَلْصَلَةِ الجَرَس، وهو أشدُّه عَلَيّ، فَيَفْصِمُ عني وقد وَعَيتُ عنه ما قال. وأحياناً يَتمثّل لي الملك رَجُلاً فَيُكلّمني فأَعِي ما يقول». قالت عائشةُ: ولقد رأيته يَنزِلُ عليه الوَحْيُ ﷺ في اليومِ الشّديدِ البَرْدِ، فيفصِمُ عنه وإن جَبِينه لَيَتفصّدُ عَرَقاً[٢]. هذا لفظه.

[٧٠٥٥] وقال الإمامُ أحمدُ: حدّثنا سُلَيمان بن داودَ، أخبرنا عبدُ الرحمن، عن هشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشة قالت: إن كان لَيُوحَى إلى رسولِ الله ﷺ وهو على راحلته، فَتَضرِبُ بِجِرَانها[٣].

[٧٠٥٦] وقال ابنُ جَرير: حدّثنا ابنُ عبد الأعلى، حدّثنا ابنُ ثَورٍ، عن معمَرٍ، عن هِشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه: أن النبي ﷺ كان إذا أُوحِي إليه وهو على ناقَتِه، وَضَعت جِرانها، فما تستطيع أن تحرّك حتى يُسرى عنه[٤]. وهذا مرسل، الجِرَانُ: هو باطن العنق. واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهَين معاً، كما قال عبدُ الرحمن بنُ زيدِ بن أسلَمَ: كما ثَقُل في الدنيا ثَقُلَ يوم القيامة في الموازين.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾، قال أبو إسحاق، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاسٍ: نشأ: قام بالحبشِيّة. وقال عُمر، وابنُ عباس، وابن الزبير: الليل كلُّه ناشئةٌ. وكذا قال مجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ، يقال: نَشَأ: إذا قام من الليل. وفي روايةٍ عن مجاهدٍ: بعدَ العِشاءِ. وكذا قال أبو مِجْلَزٍ، وقتادةُ، وسالم، وأبو حازم، ومحمد بن المنكدر. والغرضُ: أنّ ناشئة الليل هي: ساعاتُه وأوقاتُه، وكل ساعة منه تُسمّى ناشئةً، وهيَ الآناتُ، والمقصودُ: أنّ قيام الليل هو أشدّ مواطأةً بين القلبِ واللسانِ، وأجمَعُ على التّلاوةِ. ولهذا قال تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، أي: أجمع للخاطِر في أداءِ القراءةِ وتَفهُّمها من قيام النهار؛ لأنه وقتُ انتشار الناس ولَغَطِ الأصواتِ وأوقات المعاش.

وقد قال الحافظ أبو يعلَى الموصلي: حدّثنا إبراهيم بنُ سعيدِ الجَوْهريُّ، حدّثنا أبو أُسامةَ، حدّثنا الأعمشُ: أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية: (إنّ ناشئةَ الليلِ هي أشدُ وطأ وأصوبُ قِيلاً)، فقال له رجلٌ: إنما نقرؤها: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾. فقال له: إن أَصْوَبَ وأقوم وأهيأ، وأشباه هذا واحدٌ.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾، قال ابنُ عباس، وعكرمةُ، وعطاءُ بن أبي مُسلم: الفراغُ والنومُ. وقال أبو العالية، ومجاهدٌ، وأبو مالك، والضحّاكُ، والحسَنُ، وقتادةُ، والربيعُ ابنُ أنس، وسفيان الثّوريُّ: فراغاً طويلاً، وقال قتادة: فراغاً وبُغيةً ومُنقلباً. وقال السُّدّي: ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾: تَطَوُّعاً كَثِيراً. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلَمَ في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾، قال: لِحَوائِجكَ، فَأَفرِغْ لِدِينكَ اللّيلَ. قال: وهذا حينَ كانت صلاةُ الليل فريضةً، ثم إن الله مَنّ على العبادِ فَخَفّفها وَوَضعها، وقرأ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٢٢ وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف. وصدره محفوظ يشهد له ما بعده. والوهن فقط في عجزه.

(٢) تقدم في سورة الشورى، آية ٣.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ١١٨ وإسناده حسن، عبد الرحمن هو أبي الزناد، حديثه حسن عن هشام بن عروة.

(٤) هذا مرسل، وتقدم موصولاً من وجوه أخر فيما مضى، والله الموفق.

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ إلى آخر الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، ـ الليل نصفه أو ثلثه. ثم جاء أمر أوسَعُ وأفسحُ وَضع الفريضةَ عنه وعن أمته ـ فقال: وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. وهذا الذي قاله كما قاله. والدليل عليه: ما رواه الإمامُ أحمدُ في مُسنَدِه حيث قال:

[٧٠٥٧] حدَّثنا يحيى، حدَّثنا سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادةَ، عن زُرَارة بنِ أوفى، عن سعد بن هشام: أنه طَلَّق امرأته ثم ارتحَلَ إلى المدينةِ لِيبيع عقاراً له بها ويجعله في الكُرَاع والسلاح ثم يُجاهِدَ الرومَ حتى يَموتَ. فَلقِيَ رَهطاً من قومه فحدَّثوه أن رهطاً من قومه سِتَّةً أرادوا ذلك على عهدِ رسول الله ﷺ فقال: «أليس لكُم فيَّ أُسوةٌ حَسَنةٌ؟ فنهاهم عن ذلك، فأشهدَهم على رَجعتها، ثم رَجَع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابنَ عباس فسأله عن الوِتر فقال: ألا أُنبئُك بأعلَم أهلِ الأرضِ بوِترِ رسولِ الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: ائتِ عائشةَ فاسألها ثم ارجع إليَّ فأخبرني بردِّها عليكَ. قال: فأتيتُ على حَكِيم بن أفلَحَ فاستلحقتُه إليها، فقال: ما أنا بقاربها؛ إني نهيتُها أن تقول في هاتين الشيْعَتَين شيئاً، فأبت فيهما إلا مُضِيًا. فأقسمتُ عليه، فجاء معي، فدخلنا عليها فقالت: حَكِيم؟ وعَرَفته، قال: نعم. قالت: مَن هذا معك؟ قال: سعدُ ابن هشام. قالت: مَن هشامٌ؟ قال: ابنُ عامرٍ. قال: فَترَحَّمت عليه وقالت: نعم المرءُ كان عامرٌ. قلتُ: يا أمَّ المؤمنين! أنبئيني عن خُلُقِ رسولِ الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأُ القرآن؟ قلتُ: بلى. قالت: فإنَّ خُلُق رسولِ الله ﷺ كان القرآنَ. فهمَمتُ أن أقومَ، ثم بدا لي قيامُ رسولِ الله ﷺ، قلت: يا أمَّ المؤمنين! أنبئيني عن قيام رسولِ الله ﷺ. قالت: ألستَ تقرأ هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله افترضَ قيامَ اللَّيلِ في أوَّلِ هذه السُّورةِ، فقام رَسُول الله ﷺ وأصحابُه حَولاً حتى انتفخت أقدامُهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزلَ الله التخفيفَ في آخِرِ هذه السورةِ، فصار قيامُ الليل تَطَوُّعاً من بعدِ فريضةٍ. فهمَمتُ أن أقومَ، ثم بدا لي وِترُ رسولِ الله ﷺ، قلتُ: يا أمَّ المؤمنين! أَنبئيني عن وِترِ رسول الله ﷺ. قالت: كُنَّا نُعِدُّ له سِوَاكه وطَهُوره، فَيبعثُه الله لما شاء أن يَبْعَثه من اللَّيل، فَيَتسوَّك ثم يتوضَّأ ثم يُصَلِّي ثماني رَكَعات لا يجلسُ فيهنَّ إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكُر ربَّه ويدعُو ويستغفِرُ ثم ينهَضُ ولا يسلم. ثم يُصَلِّي التاسعة فيقعُد فيحمَد ربَّه ويذكُره ويدعو ثم يسلم تسليماً يُسمِعنا، ثم يُصَلِّي ركعتين وهو جالسٌ بعدما يُسَلِّم. فتلك إحدى عشرةَ ركعةً يا بُنَيّ. فلما أسنَّ رسولَ الله ﷺ وأخذ اللحمَ، أوتر بسبع، ثم صلَّى ركعَتين وهو جالسٌ بعد ما يُسَلِّم، فتلك تسع يا بُنَيّ! وكان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى صلاةً أحبَّ أن يُداوِمَ عليها، وكان إذا شَغَله عن قيام الليل نومٌ أو وجَعٌ أو مَرَضٌ، صَلَّى من النهار ثنتَي عشرةَ ركعةً، ولا أعلمُ نبيَّ الله ﷺ قرأ القرآنَ كُلَّه في ليلةٍ ولا قام ليلة حتى أصبحَ، ولا صام شهراً كاملاً غيرَ رمضان. فأتيتُ ابن عباس فحدَّثته بحديثها، فقال: صَدَقَت، أما لو كنت أدخُل عليها لأتيتُها حتى تشافهني مُشافهةً[1]. هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه. وقد أخرجه مسلمٌ في صَحِيحه، من حديث قتادةَ، بنحوه.

[٧٠٥٨] طريقٌ أُخرى عن عائشةَ في هذا المعنى، قال ابنُ جَرِير: حدَّثنا ابنُ وَكِيع، حدَّثنا زيدُ بن الحُبَاب ـ وحدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا مهران، قالا جميعاً، واللفظ لابن وَكِيع: عن موسى بن عُبيدَة، حدَّثني محمد بن طحلاء، عن أبي سَلَمة، عن عائشةَ قالت: كنتُ أجعلُ لرسولَ الله ﷺ حَصِيراً يُصَلِّي عليه من

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٧٤٦ ح ١٣٩ وأبو داود ١٣٤٢ والنسائي في «السنن» ١٦٠١ وفي «التفسير» ٦٤٧ وابن ماجه ١١٩١ وأحمد ٦/ ٥٣ ـ ٥٤.

اللَّيلِ، فتسامَعَ الناس به فاجتَمَعُوا، فخرج كالمُغضَب، وكان بهم رحيماً، فَخَشِيَ أن يُكتَبَ عليهم قيامُ الليل، فقال: «أيها النَّاسُ، اكلَفُوا من الأعمال ما تُطِيقون، فإن الله لا يَمَلُّ من الثواب حتى تَمَلُّوا من العَمَل، وخيرُ الأعمال ما دِيمَ عليه». ونزل القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾، حتى كان الرجل يَربِطُ الحبلَ ويَتَعلَّق، فمكثُوا بذلك ثمانيةَ أشهُرٍ، فرأى الله ما يبتغون من رِضْوانِه، فَرَحِمَهم فَرَدَّهم إلى الفريضةِ، وتَرَكَ قيامَ الليل[1]. وَرَواه ابنُ أبي حاتم من طريق موسى بن عُبيدَة الرَّبَذِيِّ، وهو ضعيفٌ. والحديث في الصَّحيح بِدُون زيادةِ نُزولِ هذه السُّورةِ، وهذا السِّياقُ قد يُوهم أنَّ نزولَ هذه السورةِ بالمدينةِ، وليس كذلك، وإنَّما هي مكيَّةٌ. وقولُه في هذا السياق: إنَّ بين نزول أوَّلِها وآخرِها ثمانيةَ أشهُرٍ، غَرِيبٌ؛ فقد تَقَدَّم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنةٌ.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا أبو أُسامَةَ، عن مِسْعَرٍ، عن سِمَاكٍ الحَنَفِيِّ، سَمِعتُ ابنَ عبَّاس يقول: أَوَّلُ ما نَزَل أولُ المُزَّمِّل، كانوا يَقومُون نحواً من قيامِهم في شهرِ رمضانَ، وكان بين أَوَّلِها وآخِرِها قريبٌ من سَنَةٍ. وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كُرَيب، عن أبي أُسَامَةَ، به. وقال الثوريُّ ومحمد بن بشر العَبدي، كلاهما عن مِسْعَرٍ، عن سِمَاكٍ، عن ابن عباس: كان بينهما سنةٌ. ورَوَى ابن جرير، عن أبي كُرَيب، عن وَكِيعٍ، عن إسرائيلَ، عن سِماكٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عَبَّاسٍ، مثله.

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا مهران، عن سُفيان، عن قيس بن وهبٍ، عن أبي عبد الرحمن قال: لما نَزَلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾، قاموا حولاً حتى وَرِمَت أقدامُهم وسُوقُهم، حتى نَزَلت: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ قال: فاستراح النَّاسُ. وكذا قال الحسن البصري والسدي.

[٧٠٥٩] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعَةَ، حدَّثنا عُبَيد الله بن عُمَر القَوارِيرِيُّ، حدَّثنا مُعاذُ بن هشام، حدَّثنا أبي، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفَى، عن سعد بن هشام قال: فقلتُ ـ يعني لعائشة ـ أخبرينا عن قيامِ رسول الله ﷺ. قالت: ألستَ تقرأُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإنها كانت قيامَ رسولِ الله ﷺ وأصحابَه حتى انتفخت أقدامُهم، وحبس آخرها في السماء ستةَ عشرَ شهراً، ثم نزل[2]. وقال معمرٌ، عن قتادةَ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾، قاموا حولاً أو حولَين، حتى انتفخت سوقُهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفَها بعدُ في آخر السورة.

[٧٠٦٠] وقال ابن جَرير: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا يعقوبُ القُمِّي، عن جعفر، عن سَعِيد ـ هو ابن جُبَير ـ قال: لما أنزلَ الله على نَبِيِّه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾، قال: مكث النبيُّ ﷺ على هذه الحال عشر سِنينَ يقومُ الليل، كما أمره، وكانت طائفةٌ من أصحابه يقومُون معه، فأنزل الله عليه بعدَ عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فَخَفَّف الله عنهم بعدَ عشرِ سنينَ[3]. ورواه ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن عَمرو بن رافع، عن يعقوب القُمِّي، به.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ

---

(١) أخرجه الطبري ٣٥١٧٢ من حديث عائشة، وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة، والحديث صحيح دون «ونزل القرآن...» فإن الآية مكية من أول ما نزل كما هو مشهور.

(٢) إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٥١٧٤ وهو مرسل، فهو ضعيف، ويعارضه ما قبله.

عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾﴾، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلاً، فشقّ ذلك على المؤمنين، ثم خفَّف الله عنهم ورحمَهم، فأنزل بعدَ هذا: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾، فوسّع الله ـ وله الحمدُ ـ ولم يُضيِّق. وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴿٨﴾﴾، أي: أكثر من ذِكره، وانقطِع إليه، وتفرَّغ لعبادته إذا فَرَغت في أشغالِك، وما تحتاجُ إليه من أمورِ دُنياك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾﴾ [الانشراح: ٧]، أي: إذا تفرَّغتَ من أشغالك فانصب في طاعته وعبادَتِهِ، لتكونَ فارغَ البال. قاله ابنُ زيد بمعناه أو قريبٍ منه. قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ، وأبو صالح، وعطيةُ، والضّحاك، والسُّدّي: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾، أي: أخلِص له العبادة. وقال الحسن: اجتهد وابتِلْ إليه نَفْسَك. وقال ابنُ جريرٍ: يُقال للعابد: مُتبتِّل، ومنه الحديث المرويُّ: نَهى عن التبتُّل. يعني الانقطاعَ إلى العبادة وتَرْكَ التزوُّجِ. وقولُه تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾، أي: هو المالك المتصرِّفُ في المشارِقِ والمغارِبِ، الذي لا إله إلا هُو، وكما أفردتَه بالعبادة فأفرِدْهُ بالتوكُّلِ ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا﴾، كما قال في الآية الأُخرى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، في آياتٍ كثيرةٍ في هذا المعنى، فيها الأمرُ بإفرادِ العبادةِ والطاعةِ لله، وتخصيصه بالتوكُّل عليه.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمًا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقولُه من كذَّبه مِن سُفهاء قومِه، وأن يَهجُرهم هجراً جَميلاً، وهو الذي لا عِتابَ مَعَه. ثم قال له مُتوعِّداً لكفار قومه ومُتهدِّداً ـ وهو العظيم الذي لا يقومُ لغضبه شيءٌ ـ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾، أي: دَعني والمكذِّبين المُترَفين أصحابَ الأموالِ، فإنهم أقدرُ على الطاعة من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم، ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾، أي: رُوَيداً، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلًا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤]. ولهذا قال ها هنا: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالًا﴾، وهي القيودُ. قاله ابنُ عباس، وعِكرمةُ، وطاووسُ، ومحمدُ بن كعب، وعبدُ الله بن بُرَيدة، وأبو عِمران الجَوْني، وأبو مِجلَز، والضحّاكُ، وحَمّادُ بن أبي سُلَيمان، وقتادةُ، والسُّدّي، وابنُ المبارك، والثّوريُّ، وغير واحد ﴿وَجَحِيمًا﴾، وهي السعير المضطرمة. ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، قال ابنُ عباس: يَنْشِبُ في الحَلْقِ فلا يدخُل ولا يخرُج، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾، أي: تُزَلزِلِ، ﴿وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾، أي: تَصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صمَّاء، ثم إنها تُنسَف نسفاً فلا يبقى منها شيءٌ إلا ذَهَب، حتى تَصِيرَ الأرضُ ﴿قَاعًا صَفۡصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾، أي: وادياً، ﴿وَلَآ أَمۡتًا﴾ [طه: ١٠٦ ـ ١٠٧]، أي: رابيةً. ومعناه: لا شيءَ ينخفِضُ ولا شيءَ يرتفع. ثم قال مخاطباً لكفار قُرَيش، والمرادُ سائرُ الناس: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾، أي: بأعمالكم، ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾، قال ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ والسُّدّي، والثّوريُّ: ﴿أَخۡذًا وَبِيلًا﴾، أي: شَديداً. أي: فاحذرُوا أنتم أن تُكذِّبوا هذا الرسولَ، فَيُصيبَكم ما أصابَ فِرْعَون، حيثُ أخذه الله أخذَ عزيزٍ مُقتَدِرٍ، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ

﴿وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: ٢٥]، وأنتم أولى بالهلاك والدَّمار إن كَذَّبتم؛ لأن رَسُولكم أشرفُ وأعظمُ من موسى بن عِمْران. ويُروى عن ابن عباس، ومجاهد. وقولُه تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾، يَحْتَمِلُ أن يكون ﴿يَوْمًا﴾ معمولاً لتتقُون، كما حكاه ابنُ جرير عن قراءة ابن مسعودٍ: فكيف تخافُون أيها النَّاسُ يوماً يجعلُ الولدان شيباً إن كفرتُم بالله ولم تُصَدِّقوا به؟! ويحتملُ أن يكون معمولاً لكفرتم، فعلى الأول: كيفَ يحصلُ لكم أمانٌ من يومِ هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟ وعلى الثاني: كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يومَ القيامةِ وجَحَدتُموه؟ وكلاهما معنًى حَسَنٌ، ولكن الأوَّل أولى، والله أعلم. ومعنى قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾، أي: من شِدَّةِ أهوالِهِ وزَلازِله وبَلابِله، وذلك حين يقولُ الله لآدم: ابعَثْ بعثَ النار. فيقول: مِنْ كم؟ فيقول: من كُلِّ ألفٍ تِسْعُمِئَةٍ وتسعةٌ وتسعُون إلى النار، وواحدٌ إلى الجنة.

[٧٠٦١] قال الطبرانيُّ: حدَّثنا يحيى بن أيُّوب العَلَّاف، حدَّثنا سعيد بن أبي مَرْيَم، حدَّثنا نافع بن يزيدَ، حدَّثنا عثمانُ بن عطاء الخُراساني، عن أبيه، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: أن رسولَ الله ﷺ قرأ: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾، قال: «ذلك يومُ القيامة، وذلك يومَ يقولُ الله لآدم: قُم فابعث مِن ذُرِّيتك بعثاً إلى النارِ. قال: مِن كَم يا ربِّ؟ قال: من كل ألفٍ تِسْعُمِئَةٍ وتسعةٌ وتسعُون، وينجو واحدٌ. فاشتدَّ ذلك على المسلمين، وعَرَفَ ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم: «إنَّ بني آدم كثير، وإنَّ يأجُوج ومأجُوج من ولد آدم، وإنه لا يموتُ منهم رجل حتى يَرِثَه لصلبه ألفُ رجل ففيهم وفي أشباههم جُنَّةٌ لكُم»[(١)]. هذا حديثٌ غريبٌ، وقد تَقدَّم في أولِ سورة الحجِّ ذكرُ هذه الأحاديث. وقولُه تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾، قال الحسن، وقتادةُ: أي بسببه من شِدَّتِه وهَوْلِهِ. ومنهم مَن يُعِيدُ الضميرَ على الله عزَّ وجل: ورُوِي عن ابن عَبَّاسٍ ومجاهِدٍ، وليس بقويٍّ؛ لأنه لم يَجْرِ له ذِكرٌ ها هنا. وقولُه تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾، أي: كان وعدُ هذا اليومِ مفعولاً، أي: واقعاً لا محالَةَ، وكائناً لا مَحيدَ عنه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾، أي: السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾، أي: يَتذكَّر بها أولُو الألباب. ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾، أي: ممن شاء الله هِدايتَه، كما قَيَّده في السورةِ الأخرى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، أي: تارةً هكذا، وتارةً هكذا، وذلك كلُّه من غير قَصدٍ منكم، ولكن لا تَقدِرُون على المواظبة على ما أمركُم به من قيام الليل، لأنه يَشقُّ عليكم، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾، أي: تارة

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه الطبراني ١٢٠٣٤، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٦٤٤٦: فيه عثمان بن عطاء الخراساني، وهو ضعيف.

يعتدلان، وتارة يأخذُ هذا من هذا، أو هذا من هذا، ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾، أي: الفرضَ الذي أوجَبَه عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ﴾، أي: من غير تحديدٍ بوقتٍ، أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسَّر. وعَبَّر عن الصَّلاةِ بالقراءة كما قال في سورة سبحان: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، أي: بقراءَتِك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقد استدل أصحابُ الإمام أبي حنيفةَ ـ رحمه الله ـ بهذه الآية، وهي قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، على أنه لا يتعيَّن قراءةُ الفاتحة في الصلاة، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية، أجزأه؛

[٧٠٦٢] واعتضدُوا بحديث المسيءِ صلاته الذي في الصحيحين: «ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن»(١).

[٧٠٦٣] وقد أجابهم الجمهور بحديث عُبادة بن الصامت، وهو في الصحيحين أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»(٢).

[٧٠٦٤] وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِدَاج، فهي خِدَاج، فهي خِدَاج: غير تمام»(٣).

[٧٠٦٥] وفي صحيح ابن خُزيمة عن أبي هُرَيْرَةَ مرفوعاً: «لا تُجزِىء صلاةُ مَن لم يقرأ بأم القرآن»(٤).

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذارٍ في تركِ قيام الليل، من مرضَى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرضِ يبتغُون من فَضل الله في المكاسِب والمتاجر، وآخرين مشغُولين بما هو الأهمّ في حقهم من الغزو في سبيل الله. وهذه الآية، بل السورةُ كلُّها مكية، ولم يكن القتال شُرِع بعدُ، فهي من أكبر دلائل النُّبوّةِ، لأنه من باب الإخبار بالمغيَّبات المستقبَلة. ولهذا قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، أي: قومُوا بما تيسَّر عليكُم منه. قال ابنُ جَرِيرٍ: حدَّثنا يعقوبُ، حدَّثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رَجَاءٍ محمد قال: قلتُ للحسن: يا أبا سَعِيد! ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كُلَّه عن ظهر قلبه، ولا يقومُ به، إنما يُصَلِّي المكتوبة؟ قال: يَتوسَّدُ القرآن، لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبدِ الصالح: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]. قلتُ: يا أبا سَعيدٍ! قال الله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾؟ قال: نعم، ولو خمس آيات. وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري أنه كان يَرَى حقاً واجباً على حَمَلة القرآن أن يقومُوا ولو بشيءٍ منه في الليل.

[٧٠٦٦] ولهذا جاء في الحديث: أن رسولَ الله ﷺ سُئل عن رجُل نامَ حتى أصبحَ، فقال: «ذاك رَجُلٌ بال الشيطان في أذنه»(٥). فقيل: معناه: نام عن المكتُوبة. وقيل: عن قيامِ الليل.

[٧٠٦٧] وفي السُّنن: «أوتِرُوا يا أهلَ القرآنِ»(٦).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٣٩٥ ح ٣٨ وأحمد ٢/ ٢٤١ وابن حبان ١٧٨٨ وتقدم.

(٤) أخرجه ابن خزيمة ٤٩٠، وتقدم.

(٥) متفق عليه، وتقدم.

(٦) جيد. أخرجه أبو داود ١٤١٦ والترمذي ٤٥٣ وابن ماجه ١١٦٩ وإسناده قوي، وله شواهد.

[٧٠٦٨] وفي الحديث الآخر: «من لم يُوتِر فليس منا»[١]. وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر عبد العزيز، من الحنابلة، من إيجابه قيامَ شهرِ رمضانَ، فالله أعلم.

[٧٠٦٩] وقال الطبراني: حدَّثنا أحمد بن سعيد بن فَرقد الجُدّي، حدَّثنا أبو حُمة محمد بن يوسف الزَّبيدي، حدَّثنا عبد الرحمن بن طاووس، من ولد طاووس، عن محمد بن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن طاووس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، قال: «مئة آية»[٢]. وهذا حديثٌ غريبٌ جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمهُ الله. وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي أقيموا صلاتكم الواجبةَ عليكم، وآتوا الزكاة المفروضَةَ. وهذا يَدلُّ لمن قال بأنَّ فَرْضَ الزَّكاةِ نَزَل بمكَّة، لكن مقادير النُّصب والمَخرَج لم تُبيَّن إلا بالمدينةِ. والله أعلم. وقد قال ابنُ عباس، وعِكْرَمةُ، ومجاهدٌ، والحسنُ، وقتادةُ، وغيرُ واحدٍ من السَّلفِ: إن هذه الآيةَ نَسَخت الذي كان الله قد أوجَبه على المسلمين أولاً من قيام الليل. واختلفُوا في المُدَّة التي بينهما على أقوالٍ كما تقدَّم.

[٧٠٧٠] وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خمسُ صلواتٍ في اليومِ والليلة». قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تَطَوّع»[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، يعني من الصدقات، فإن الله يُجازي على ذلك أحسنَ الجزاءِ وأوفَرَه، كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾، أي: جميعُ ما تُقدِّموه بين أيديكم فهو لكم حاصلٌ، وهو خيرٌ مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا.

[٧٠٧١] قال الحافظ أبو يَعْلَى الموصِلي: حدَّثنا أبو خيثمَةَ، حدَّثنا جَريرُ، عن الأعمش، عن إبراهيمَ، عن الحارث بن سُوَيد قال: قال عبد الله: قال رسولُ الله ﷺ: «أيّكم مالُه أحبُّ إليه من مالِ وَارِثه؟». قالوا: يا رسول الله! ما منا من أحد إلا مالُه أحبُّ إليه من مالِ وارِثِه. قال: «اعلَمُوا ما تقولون». قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله! قال: «إنما مال أَحدِكم ما قَدَّمَ ومال وارثه ما أخّر»[٤]. ورواه البخاريُّ من حديث حَفصِ بن غِياثٍ، والنسائي من حديث أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، به. ثم قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾، أي: أكثِرُوا من ذِكْرِهِ واستغفاره في أمورِكم كُلِّها؛ فإنه غفورٌ رحيمٌ لمن استغفره.

آخر تفسير «سورة المُزمّل»، ولله الحمد والمنة

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٤٣ وإسناده ضعيف لضعف الخليل بن مرة، وأعله الزيلعي في «نصب الراية» ٢/١١٣ بالانقطاع بين معاوية بن قرة وأبي هريرة، وانظر: «ضعيف أبي داود» ٣٠٩.

(٢) أخرجه الطبراني ١٠٩٤٠. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٤٧: فيه عبد الرحمن بن طاوس، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا اهـ وفيه محمد بن عبد الله بن طاوس، وثقه ابن حبان وحده، فالحديث ضعيف.

(٣) متفق عليه، وتقدم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري وأبو يعلى، وتقدم.

سُورَةُ المُدَّثِّر

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

وهي مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

[٧٠٧٢] ثبت في صحيح البخاري، من حديث يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلمة عن جابر أنه كان يقول: أوّلُ شيءٍ نَزَل من القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[١]، وخالفه الجمهورُ فذهبُوا إلى أن أوّل القرآنِ نُزولاً قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾، كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى.

[٧٠٧٣] قال البخاري: حدَّثنا يحيى، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن عليِّ بن المبارك، عن يحيى بن أبي كَثِير قال: سألتُ أبا سَلمة بن عبد الرحمن عن أوّل ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾. قلتُ: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]؟ فقال أبو سَلمة: سألتُ جابرَ بن عبد الله عن ذلك، وقلتُ له مثلَ ما قلتَ لي، فقال جابر: لا أُحدِّثك إلاّ ما حدَّثنا رسولُ الله ﷺ قال: «جاورتُ بحِرَاء، فلما قضيتُ جِواري هَبَطتُ فنُودِيتُ فَنَظرتُ عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أرَ شيئاً، ونظرتُ أمامي فلم أَر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أَرَ شيئاً. فرفعتُ رأسي فرأيت شيئاً. فأتيتُ خديجة فقلت: دَثِّروني، وصُبُّوا عليَّ ماءً بارداً. فدَثّروني وصَبّوا عليّ ماءً بارداً قال: فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾»[٢]. هكذا ساقه من هذا الوجه.

[٧٠٧٤] وقد رواه مسلمٌ من طريق عُقَيل، عن ابن شهاب، عن أبي سَلَمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يُحدِّث عن فَتْرَةِ الوحي: «فَبينا أنا أمشي إذ سَمِعتُ صوتاً من السَّماء، فرفعتُ بصري قِبَلَ السماء، فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراءٍ قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماءِ والأرض، فَجُئِثْتُ منه حتى هَوَيتُ إلى الأرض، فجئتُ أهلي فقلتُ: زَمِّلوني زَمِّلوني. فَزَمَّلُوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى: ﴿فَٱهْجُرْ﴾ ـ قال أبو سَلَمة: والرُّجز: الأوثانُ ـ ثم حَميَ الوحيُ وتَتَابع»[٣]. هذا لفظ البخاري، وهذا السياقُ هو المحفوظُ، وهو يقتضِي أنه قد نَزَل الوحيُ قبل هذا، لقوله: «فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراء»، وهو جبريلُ حين أتاه بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ

(١) هو الآتي.
(٢) أخرجه البخاري ٤٩٢٢ لكن الراجح ما بعده.
(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٥ ومسلم ١٦١/٢٥٥، ٢٥٦، والترمذي ٣٣٢٥ والنسائي في «التفسير» ٦٥١.

بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. ثم إنه حَصَل بعد هذا فترةٌ، ثم نَزَل المَلَك بعد هذا. ووجه الجَمْعِ: أن أول شيءٍ نَزَل بعد فترة الوحي هذه السورةُ.

[٧٠٧٥] كما قال الإمام أحمدُ: حدَّثنا حجّاجٌ، حدَّثنا ليثٌ، حَدَّثنا عُقَيل، عن ابن شهاب قال: سمعتُ أبا سَلَمة بن عبد الرحمن يقول: أخبرني جابرُ بن عبد الله: أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ثم فَتَر الوحيُ عني فترةً، فبينا أنا أمشي سَمِعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بَصَري قِبَلَ السماء، فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحراء الآن قاعدة على كرسي بين السماء والأرض، فَجُئِثْتُ منه فرقاً، حتى هَوَيت إلى الأرض، فجئتُ أهلي فقلتُ لهم: زَمِّلوني زَمِّلوني. فزَمَّلوني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾. ثم حَمِي الوحي بعدُ وتتابع»[1]. أخرجاه من حديث الزهري، به.

[٧٠٧٦] وقال الطبراني: حَدَّثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار، حدَّثنا الحسنُ بن بِشر البَجَليّ، حدَّثنا المُعافى بن عِمران، عن إبراهيم بن يزيدَ، سَمِعتُ ابن أبي مُلَيكة يقول: سَمِعتُ ابن عباس يقول: إنّ الوَليد بن المغيرة صَنَع لِقُرَيشٍ طعاماً، فلما أكلوا. قال: ما تقولُون في هذا الرجل؟ فقال بعضُهم: ساحرٌ. وقال بعضهم: ليس بساحر. وقال بعضُهم: كاهنٌ. وقال بعضُهم: ليس بكاهنٍ. وقال بعضهم: شاعرٌ. وقال بعضهم: ليس بشاعر. وقال بعضُهم: سحرٌ يُؤثَر. فَأَجمَعَ رأيُهم على أنه سحرٌ يؤثر. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فَحزِن وقَنَّعَ رأسَه، وتَدَثّر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾[2].

فقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾، أي: شَمِّر عن ساقِ العَزْمِ، وأنذِر الناس. وبهذا حَصَل الإرسالُ كما حَصَل بالأوّلِ النبوّةُ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾، أي: عَظِّم. وقولُه تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، قال الأجلحُ الكِنديُّ، عن عِكْرمة، عن ابن عباس: أنه أتاه رجلٌ فَسأله عن هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، قال: لا تلبسها على معصيةٍ ولا على غَدْرة. ثم قال: أما سَمِعت قول غيلانَ بن سَلَمة الثّقفيِّ:

فَـإنـي بـحَـمْـدِ الله لا ثَـوبَ فـاجِـرٍ … لَـبِـسْـتُ، ولا مِـن غَـدْرَةٍ أَتـقَـنَّـعُ

وقال ابن جُرَيج، عن عطاءٍ، عن ابن عباس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، قال: في كلام العرب: نَقِيُّ الثياب. وفي رواية بهذا الإسناد: فَطَهِّر من الذنوب. وكذا قال إبراهيمُ، والشعبيُّ، وعطاءٌ. وقال الثَّوريُّ، عن رَجُلٍ، عن عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، قال: من الإثم. وكذا قال إبراهيم النخَعِيّ. وقال مجاهدٌ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، قال: نفسَك، ليس ثيابه. وفي رواية عنه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾: عَمَلَك فأصلِحْ. وكذا قال أبو رَزين. وقال في رواية أخرى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، أي: لست بكاهن ولا ساحر، فأعرض عما قالُوا. وقال قتادة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾، أي: طهرها من المعاصي، وكانت العربُ تُسمّي الرجل إذ نَكَث ولم يَفِ بعهدِ الله: إنه لمدنسُ الثيابِ، وإذ وفَى وأصلَحَ: إنه لمُطَهَّرُ الثِّيابِ. وقال عكرمة، والضحاك: لا تَلْبَسها على معصية. وقال الشاعر:

إذا المرءُ لم يَدْنَس مِنَ اللُّؤم عِرْضُه … فَـكُـلّ رداءٍ يَـرتَـديـه جَـمـيـلُ

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٣٨ ومسلم ١٦١ ح ٢٥٦ وأحمد ٣/ ٣٢٥.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ١١٢٥٠ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٤٨: وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك.

وقال العَوفي، عن ابن عباسٍ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾، يعني لا تَكُ ثيابُكَ التي تلبَسُ من مكسب غير طائب، ويقال: لا تَلْبسْ ثِيابَكَ على مَعصِيَةٍ. وقال محمد بن سِيرينَ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾، أي: اغسِلها بالماء. وقال ابنُ زيدٍ: كان المشركون لا يَتطهَّرون، فأمره الله أن يَتطهَّر وأن يُطهِّر ثيابه. وهذا القول اختاره ابنُ جريرٍ، وقد تشمل الآية جميعَ ذلك مع طهارةِ القلبِ، فإنَّ العربَ تُطلِق الثِّيابَ عليه، كما قال امرؤ القيس:

أفاطِمَ مَهلاً بعضَ هذا التَّدلُّلِ ... وَإن كُنتِ قَد أزمَعْتِ هَجْرِي فأجمِلي
وَإن تَك قَد سَاءَتكِ مِنيِّ خَليقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابي مِن ثِيَابِكِ تَنسُلِ

وقال سعيد بن جُبير: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾: وقلبَكَ ونيَّتك فَطَهِّر. وقال محمد بن كعب القُرَظي، والحسن البصريُّ: وخُلقَكَ فَحَسِّن. وقولُه تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَالرُّجْزَ﴾ وهو الأصنامُ فاهجُر. وكذا قال مجاهدٌ، وعِكْرِمةُ، وقتادةُ، والزُهريُّ، وابنُ زيدٍ: إنها الأوثان. وقال إبراهيمُ، والضحَّاك: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾، أي: اتركِ المعصيةَ. وعلى كل تقدير فلا يلزمُ تَلَبُّسه بشيءٍ من ذلك، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾، قال ابن عباس: لا تُعطِ العَطِيَّة تلتمِسُ أكثَرَ منها. وكذا قال عِكْرِمةُ، ومجاهدٌ، وعطاءٌ، وطاوسُ، وأبو الأحوص، وإبراهيمُ النخعِيُّ، والضحَّاك، وقتادةُ، والسُدِّي، وغيرُهم. ورُوِي عن ابن مسعود أنه قرأ: (ولا تمنن أن تستكثر). وقال الحسن البصري: لا تمنُن بعملك على رَبِّك تستكثره. وكذا قال الربيعُ بن أنس، واختاره ابنُ جرير. وقال خُصَيف، عن مجاهد في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾، قال: لا تَضعُف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف. وقال ابنُ زيدٍ: لا تمنن بالنُبوَّة على الناس، تستكثرهم بها، تأخذ عليه عِوَضاً من الدنيا. فهذه أربعة أقوال، والأظهرُ القولُ الأول، والله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾، أي: اجعل صبرَك على أذاهم لوجهِ الله عزَّ وجلَّ، قاله مجاهد. وقال إبراهيم النَخَعِيُّ: اصبر على عَطِيَّتك لله عزَّ وجلَّ. وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، قال ابنُ عباس، ومجاهِدٌ، والشعبيُّ، وزيدُ بن أسلَمَ، والحسنُ، وقتادةُ، والضَّحَّاك، والربيعُ بن أنسٍ، والسُّدِّي، وابنُ زيدٍ: ﴿النَّاقُورِ﴾: الصُورُ، قال مجاهد: وهو كهيئة القرن.

[٧٠٧٧] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا أسباطُ بن محمد، عن مُطَرِّف، عن عَطِيَّةَ العَوفِيِّ، عن ابن عباس: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾، فقال: قال رسولُ الله ﷺ: «كيف أنعمُ وصاحِبُ القرن قد التقم القرنَ وحنَى جَبهته، ينتظرُ متى يُؤمَر فينفخ؟» فقال أصحابُ رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسولَ الله؟! قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[(١)]. وهكذا رواه الإمامُ أحمدُ عن أسباط، به. ورواه ابنُ جرير عن أبي كُرَيبٍ، عن ابن فُضَيلٍ وأسباطٍ، كلاهما عن مُطَرِّف، به. ورواه من طريقِ أُخرى، عن العَوفي، عن ابن عباس، به.

وقولُه تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾، أي: شديدٌ، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾، أي: غيرُ سهلٍ

(١) حسن. تقدم في آل عمران: ١١٠.

عليهم. كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾. وقد رَوينا عن زُرارة بنِ أوفى قاضي البصرةِ أنه صلّى بهم الصُّبحَ، فقرأ هذه السورةَ، فلمّا وَصلَ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾، شَهِقَ شهقةً، ثم خرَّ مَيْتاً رحمه الله تعالى.

﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

يقولُ تعالى مُتوعِّداً لهذا الخبيثِ الذي أنعمَ الله عليه بِنعَم الدُنيا، فَكَفر بأنعم الله، وبَدّلها كُفراً، وقابلها بالجُحودِ بآياتِ الله والافتراءِ عليها، وجَعَلها من قول البشر. وقد عدد الله نِعَمه حيثُ قال تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾، أي: خرج مِن بطن أُمّه وحدَه لا مالَ له ولا ولدَ، ثم رَزَقه الله تعالى: ﴿مَالًا مَّمْدُودًا﴾، أي: واسعاً كثيراً. قيل: ألف دينار. وقيل: مئةَ ألفِ دينار. وقيل: أرضاً يستغلها. وقيل غيرُ ذلك. وجعل له (بَنِينَ شُهُوداً)، قال مجاهد: لا يَغِيبون، أي: حُضُوراً عنده لا يسافرون في التجارات، بل مَواليهم وأجراؤهم يَتولّون ذلك عنهم وهم قُعودٌ عند أبيهم، يتمتع بهم ويَتَملّى بهم. وكانوا ـ فيما ذكر السُّدّي، وأبو مالك، وعاصمُ بن عُمَر بن قتادة ـ ثلاثة عشر. وقال ابن عباس، ومجاهدٌ: كانوا عَشرةً. وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده. ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾، أي: مَكّنته من صُنوف المالِ والأثاثِ وغيرِ ذلك، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾، أي: مُعانِداً، وهو الكفرُ على نِعَمِه بعد العلم. قال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾.

[٧٠٧٨] قال الإمام أحمد: حَدَّثنا حسن، حَدَّثنا ابن لهيعة، عن دَرّاج، عن ابن الهيثم، عن أبي سعيدٍ، عن رَسُول الله ﷺ قال: «ويل: وادٍ في جَهنَّم، يَهوِي فيه الكافرُ أربعين خريفاً قبل أن يبلُغَ قعرَه، والصَّعُود جَبَلٌ من نارٍ يصعَدُ فيه سبعين خَريفاً، ثم يَهوِي به كذلك فيه أبداً»[١]. وقد رواه الترمذي عن عبد بن حُمَيد، عن الحسن بن موسى الأشيَبِ به. ثم قال: «غريبٌ، لا نعرفه إلاّ من حديث ابن لهيعةَ عن دَرّاج». كذا قال. وقد رواه ابن جرير، عن يونس، عن عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دَرّاج. وفيه غرابة ونكارة.

[٧٠٧٩] وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو زُرعَة وعلي بن عبد الرحمن ـ المعروف بِعلاّن المصري ـ قال: حدّثنا مِنجابٌ، أخبرنا شَريك، عن عمار الدُّهنيّ، عن عَطِيّة العَوفي، عن أبي سعيدٍ، عن النبيّ ﷺ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾، قال: «هو جبلٌ في النار من نارٍ يُكَلَّف أن يصعَده، فإذا وضَعَ يده ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجلَه ذابت، وإذا رفعَها عادت»[٢]. ورواه البزار وابن جرير، من حديث شَريك، به. وقال قتادة، عن ابن عباس: صَعُودٌ صخرَة عظيمة يُسحب عليها الكافر على وجهه. وقال السُّدّي: صعودٌ

(١) صدره ضعيف. وتقدم في البقرة: ٧٩.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥٤١٢ وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي. لكن يشهد لعجز المتقدم.

صخرةٌ ملساءُ في جهنم، يُكَلَّفُ أن يصعَدَها. وقال مجاهد: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨﴾، أي: مشقةً من العذاب. وقال قتادةُ: عذاباً لا راحةَ فيه. واختاره ابنُ جَرير. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨﴾، أي: إنما أرهقناه صَعُوداً، أي: قرّبناه من العذاب الشاق؛ لبُعده عن الإيمان، لأنه فكّر وقدّر، أي: تروّى ماذا يقولُ في القرآن حين سُئِل عن القرآن، ففكّر ماذا يختلق من المَقال، ﴿وَقَدَّرَ﴾، أي: تروّى، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾، دعاءٌ عليه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾، أي: أعاد النَّظر والتروّي، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾، أي: قَبَض بين عينيه وقَطَّب، ﴿وَبَسَرَ﴾، أي: كلح وكره، ومنه قولُ توبة بن الحُمَير الشاعر:

وَقَـد رَابَـنـي مـنـهـا صُـدُودٌ رَأيـتُـه ... وَإعـراضُـهـا عـن حـاجَـتـي وبُـسُـورُهـا

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾، أي: صُرف عن الحقّ ورَجَع القهقَرى مُستكبراً عن الانقيادِ للقرآنِ، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾، أي: هذا سحرٌ ينقلُه محمدٌ عن غيرِه ممن قبلَه ويحكِيه عنهم، ولهذا قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾، أي: ليس بكلامِ الله. وهذا المذكورُ في هذا السياق هو الوليدُ بنُ المغيرةِ المخزوميُّ، أحد رُؤساءِ قُرَيشٍ ـ لعنه الله ـ.

[٧٠٨٠] وكان من خَبَره في هذا ما رواه العَوفي، عن ابن عبّاس قال: دخل الوليدُ بنُ المغيرة على أبي بكر بن أبي قُحافَة فسأله عن القرآن، فلمّا أخبره خَرَج على قُرَيشٍ فقال: يا عجباً لما يقولُ ابنُ أبي كبشة! فوالله ما هو بشعرٍ ولا بسحرٍ ولا بهَذْيٍ من الجُنون، وإن قوله لمن كلام الله. فلما سَمِعَ بذلك النفرُ من قُرَيشٍ ائتمروا فقالوا: والله لئن صبأ الوليدُ لتصبُوَنَّ قُرَيشٌ. فلما سَمِعَ بذلك أبو جَهل بنُ هشام قال: أنا والله أكفيكُم شأنه. فانطلق حتى دَخَل عليه بيته فقال للوليدِ: ألم تَرَ قومَك قد جَمَعُوا لك الصدَقة؟ فقال: ألستُ أكثَرَهم مالاً وولداً. فقال له أبو جهل: يَتَحدّثون أنك إنما تدخُل على ابن أبي قُحافة لِتُصيب من طَعامه. فقال الوليدُ: أقد تحدَّث به عشيرتي؟! فلا والله لا أقربُ ابنَ أبي قُحافة، ولا عُمَرَ، ولا ابنَ أبي كبشةَ، وما قولُه إلا سحرٌ يُؤثَر. فأنزل الله على رَسوله ﷺ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ إلى قوله: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾[1]. وقال قتادةُ: زَعَمُوا أنه قال: والله لقد نظرتُ فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر، وإن له لحلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنه ليعلُوا وما يُعلَى، وما أشكُّ أنه سحرٌ. فأنزل الله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾ . . . الآية، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾: قَبَض ما بين عينيه وكَلَحَ.

[٧٠٨١] وقال ابنُ جرير: حدّثنا ابنُ عبد الأعلى، أخبرنا محمد بن ثَور، عن معمرٍ، عن عَبّاد بن منصور، عن عِكرِمة: أنَّ الوليدَ بن المُغيرة جاء إلى النبيِّ ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له. فبلغ ذلك أبا جهل بنَ هشام، فأتاه فقال: أي عَمِّ، إنَّ قومك يُريدون أن يجمَعُوا لك مالاً. قال: لِمَ؟ قال: يُعطونَكَهُ، فإنك أتيتَ محمداً تَتَعرّضُ لما قِبَله. قال: قد عَلِمت قُرَيشٌ أني أكثرُها مالاً. قال: فقُل فيه قولاً يعلَمُ قومَك أنك مُنكِرٌ لما قال، وأنّك كارهٌ له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجلٌ أعلَمُ بالأشعارِ منّي، ولا أعلم برَجَزِه ولا بقَصِيده ولا بأشعارِ الجِنِّ، والله ما يُشبِه الذي يقولُ شيئاً من ذلك. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوةً، وإنه ليُحطِّم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلىٰ، قال والله لا يَرضى قومُك حتى تقولَ فيه. قال: فدعني حتى أُفكِّر فيه. فلما فَكَّر قال: هذا سحرٌ يَأثره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ قال قتادة: خرج من بطن أمه وحيداً، حتى بلغ: ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[2].

(١) أخرجه الطبري ٣٥٤٢٠ وفيه عطية العوفي ضعيف، لكن ورد من وجوه عدة منها الآتي.

(٢) أخرجه الطبري ٣٥٤١٩ وهو مرسل، لكن له شواهد.

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيرُ واحدٍ نحواً من هذا. وقد زعم السُّدّي أنهم لمَّا اجتمعُوا في دار الندوةِ لِيُجمِعُوا رأيهم على قولٍ يقولونه فيه، قبل أن يقدمَ عليهم وفودُ العربِ للحجِّ ليصدُّوهم عنه، فقال قائلون: شاعرٌ. وقال آخرون: ساحرٌ. وقال آخرون: كاهنٌ. وقال آخرون: مجنونٌ. كما قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨]، كلُّ هذا والوليد يُفكِّر فيما يقولُه فيه، ففكَّر وقدَّر، ونَظَر وعَبَس وبَسَر، فقال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾، أي: سأغمره فيها من جَميع جهاتِهِ. ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾، وهذا تهويلٌ لأمرها وتفخيمٌ. ثم فَسَّر ذلك بقولِهِ: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾، أي: تأكلُ لحومهم وعُروقهم وعَصَبهم وجُلُودَهم، ثم تُبَدَّل غيرَ ذلك، وهم في ذلك لا يموتُون ولا يَحْيَون، قاله ابن بُرَيدة وأبو سِنَانٍ وغيرهما.

وقولُه تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾، قال مجاهد: للجلد. وقال أبو رَزِين: تَلْفَحُ الجِلْدَ لفحةً فَتدعُه أسودَ من الليل. وقال زيدُ بن أسلَمَ: تُلَوِّح أجسادُهم عليها. وقال قتادة: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾، أي: حَرَّاقةٌ للجلدِ. وقال ابنُ عباس: تَحرِقُ بَشَرةَ الإنسانِ. وقولُه تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، أي: من مُقَدَّمي الزبانيةِ، عَظِيم خَلْقُهم، غَليظ خُلُقُهم.

[٧٠٨٢] وقد قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعَةَ، حدَّثنا إبراهيمُ بن موسى، حدَّثنا ابن أبي زائدةَ، أخبرني حريث، عن عامرٍ، عن البَرَاء في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، قال: إن رهطاً من اليَهُودِ سألوا رجلاً من أصحابِ رسول الله ﷺ عن خَزَنَةِ جَهَنَّم، فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء رجلٌ فأخبر النبيّ ﷺ فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾. فأخبر أصحابه وقال: «ادعهُم، أما إني سائِلُهم عن تُربَةِ الجنة إن أتوني، أما إنها دَرْمَكة بيضاء». فجاؤوا فسألوه عن خَزَنة جَهَنَّم، فأهوى بأصابع كَفَّيه مَرَّتين وأمسَكَ الإبهام في الثانيةِ، ثم قال: «أخبروني عن تُربةِ الجَنَّة». فقالوا: أخبرهُم يابنَ سَلاَم. فقال: كأنها خُبزَة بيضاءُ. فقال رسول الله ﷺ: «أما إن الخُبزَ إنما يكون من الدَّرمَك»(1). هكذا وقَع عند ابن أبي حاتم عن البراء، والمشهور عن جابر بن عبد الله، كما قال الحافظ أبو بكر البَزّار في مُسنَدِه:

[٧٠٨٣] حدَّثنا أحمد بن عَبْدَةَ، أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم، حدَّثنا سفيان، عن مجالِدٍ، عن الشعبيّ، عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمدُ، غُلِب أصحابُك اليومَ. فقال: «بأيِّ شيءٍ؟» قال: سألتهم يَهودُ هل أعلمكم نَبِيُّكم عِدَّة خَزَنَةِ أهل النار؟ قالوا: لا نعلمُ حتى نسألَ نبيَّنا ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «أفغُلِبَ قومٌ سُئِلوا عما لا يَدْرون فقالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا؟ عليّ بأعداءِ الله، لكن قد سألوا نبيَّهم أن يُريهم الله جَهرةً». فأرسَلَ إليهم فدعاهُم قالوا: يا أبا القاسم! كم عِدَّةُ خَزَنَةِ أهل النار؟ قال: «هكذا، وطَبَّق كَفَّيه، ثم طَبَّق كَفَّيه، مَرَّتين، وعَقَد واحدةً، وقال لأصحابه: «إن سُئِلتم عن تُربةِ الجنة فهي الدَّرمك». فلما سألُوه فأخبرهم بعدَّةِ خَزَنَةِ أهل النار قال لهم رسولُ الله ﷺ: ما تُربَةُ الجنةِ؟ فنظر بعضُهم إلى بعض، فقالوا: خُبزَةٌ يا أبا القاسم. فقال: «الخبزُ من الدَّرمَك»(2). وهكذا رواه الترمِذيُّ عند هذه

---

(1) أخرجه البيهقي في «البعث» ٥٠٩ وإسناده ضعيف لضعف حريث بن أبي مطر، وبه أعله البيهقي، وقال: نزلت هذه الآية في شأن الوليد. قلت: ذكر نزول الآية لا أصل له ههنا، فالسورة مكية، وسؤالات يهود كانت في المدينة. والدرمك: هو الدقيق الحُوّارى، أي الأبيض.

(2) إسناده ضعيف. وأخرجه الترمذي ٣٣٢٧ وضعفه بقوله: غريب. قلت: وعلته مجالد بن سعيد، فقد ضعفه الجمهور لسوء حفظه، وانظر «الضعيفة» ٣٣٤٨، وذكر الدرمك ورد في حديث الدجال، وهو صحيح.

الآية عن ابن أبي عُمَر، عن سُفيانَ، به. وقال هو والبزّار: «لا نعرِفُه إلا من حديث مجالد». وقد رواه الإمامُ أحمد، عن علي بن المديني، عن سفيان، بِقِصَّةِ الدُّرمَكِ فقط.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي: خُزّانها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾، أي: زبانيةً غِلاظاً شِداداً. وذلك ردٌّ على مشركي قُرَيش حين ذَكَر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشرَ قُرَيشٍ، أما يستطيعُ كلُّ عشرةٍ منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾، أي شديدي الخَلْقِ لا يُقاوَمُون ولا يُغالَبون. وقد قيل: إن أبا الأشدَّين ـ واسمُه: كَلَدة بن أَسِيد بن خَلَف ـ قال: يا معشرَ قُرَيشٍ! اكفُوني منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعةَ عَشَر، إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوّة ـ فيما يزعُمون ـ أنه كان يَقِف على جلد البقر ويُجاذِبه عَشَرةٌ لينتزِعُوه من تحت قَدَميه، فيتمزّق الجلدُ ولا يَتزحزحُ عنه. قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مُصارعته وقال: إن صَرَعتني آمنتُ بك. فَصَرعه النبيُّ ﷺ مراراً، فلم يُؤمِن. قال: وقد نَسَب ابنُ إسحاقَ خبر المصارعة إلى رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب. قلت: ولا منافاة بين ما ذكراه والله أعلم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أي: إنما ذكرنا عِدَّتهم أنهم تسعةَ عشرَ اختباراً منّا للناس، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أي: يعلمون أن هذا الرسولَ حَقٌّ؛ فإنه نَطَق بمطابقة ما بأيديهم من الكُتُب السّماويّة المُنزّلة على الأنبياء قبله. وقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾، أي: إلى إيمانهم، أي: بما يشهدُون من صدقِ إخبار نَبيِّهم محمد ﷺ ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، أي: من المنافقين ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي يقولون: ما الحكمةُ في ذِكْرِ هذا ها هنا؟ قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، أي: مِن مثل هذا وأشباهه يتأكّدُ الإيمانُ في قلوبِ أقوام، ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمةُ البالغةُ، والحجّةُ الدامغةُ. وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: ما يعلَمُ عددَهُم وكثرتَهُم إلا هو تعالى، لئلا يُتوهَّم مُتوهِّم أنما هم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفةٌ من أهل الضّلالة والجَهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملّتين الذين سَمِعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العُقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها وعَجَزُوا عن إقامةِ الدلالة على مقتضاها، فأفهمُوا صدرَ الآية وقد كفرُوا بآخرها، وهو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

[٧٠٨٤] وقد ثبت في حديث الإسراءِ المروي في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال في صِفة البيتِ المعمُورِ الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله في كلِّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودُون إليه آخرَ ما عليهم»(١).

[٧٠٨٥] وقال الإمام أحمد: حدّثنا أسودُ، حدّثنا إسرائيلُ، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

مُوَرِّق، عن أبي ذَرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إني أرى ما لا تَرَون، وأسمَعُ ما لا تسمَعون، أَطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضع أربع أصابعَ إلا عليه مَلَكٌ ساجدٌ، لو علمتم ما أعلم لضحكتُم قليلاً ولبَكَيتم كثيراً، ولا تَلَذَّذتم بالنساء على الفُرُشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات، تجأرون إلى الله عزَّ وجلَّ». فقال أبو ذر: والله لوددتُ أني شجرة تُعضَد[1]. ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث إسرائيل، وقال الترمذي: «حَسَنٌ غريبٌ، ويُروَى عن أبي ذرٍّ موقوفاً»[2].

[٧٠٨٦] وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا خير بن عرفة المصري، حدَّثنا عُروة بن مروان الرقِّي، حدَّثنا عُبَيد الله بن عَمرو، عن عبد الكريم بن مالك، عن عطاء بن أبي رَبَاح، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما في السموات السبع موضعُ قَدَم ولا شبرٍ ولا كفٍّ إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ، أو مَلَكٌ ساجدٌ، أو ملكٌ راكع، فإذا كان يومُ القيامة قالوا جميعاً: سبحانَكَ! ما عَبَدناك حَقَّ عبادَتِكَ إلا أنا لم نُشرِك بك شيئاً»[3].

[٧٠٨٧] وقال محمد بن نصر المروزي في «كتاب الصلاة»: حدَّثنا عَمرو بن زُرَارة، أخبرنا عبدُ الوهاب بن عطاء، عن سَعِيد، عن قتادة، عن صفوان بن مُحرِزٍ، عن حكيم بن حِزَام قال: بينما رسولُ الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: هل تسمَعُون ما أسمعُ؟ قالوا: ما نسمعُ من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسمع أطيط السماء وما تُلاَم أن تَئِطَّ، ما فيها موضِعُ شبرٍ إلا وعليه مَلَكٌ راكعٌ أو ساجِدٌ»[4].

[٧٠٨٨] وقال أيضاً: حدَّثنا محمد بن عبد الله بن قَهزاذ، حدَّثنا أبو معاذ الفضلُ بن خالد النحوي، حدَّثنا عبيد بن سليمان الباهلي، سَمِعتُ الضَّحَّاك بن مزاحم يُحدِّث عن مسروق بن الأجدع، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضِعُ قَدَم إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾»[5]. وهذا مرفوعٌ غريبٌ جدًّا، ثم رواه عن محمود بن آدم، عن أبي معاويةَ، عن الأعمشِ، عن أبي الضُّحَى، عن مسروقٍ، عن ابن مسعودٍ أنه قال: إن من السمواتِ سماءً ما فيها موضعُ شبرٍ إلا وعليه جبهةُ مَلَكٍ أو قدماه قائماً، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾.

[٧٠٨٩] ثم قال: حَدثنا أحمد بن سيار: حدَّثنا أبو جعفر محمدُ بن خالد الدمشقي المعروف بابن أُمِّه، قال: حدثني المغيرة بن عمر بن عَطية من بني عَمرو بن عوف، حدَّثني سليمان بن أَيُّوبَ بن سالم ابن عوف، حدَّثني عطاءُ بن زيد بن مسعود من بني الحُبُليِّ، حدَّثني سليمان بن عمرو بن الربيع من بني سالم، حدَّثني عبد الرحمن بن العلاء من بني ساعدةَ، عن أبيه العلاء بن سعد، وقد شَهِد الفتح وما بعده: أن النبي ﷺ قال

---

(١) حسن. أخرجه الترمذي ٢٣١٢ وابن ماجه ٤١٩٠ وأحمد ٥/ ١٧٣ وإسناده حسن في الشواهد، وفي الباب أحاديث.

(٢) نقل ابن كثير كلام الترمذي عقب سياق لفظ أحمد، مما أوهم بأن الحديث ورد كله موقوفاً. وليس كذلك. فإن الترمذي أخرجه ٢٣١٢ مرفوعاً مع عجزه، وهو لفظ «لوددت أني شجرة تعضد» وهذا اللفظ هو وحده الموقوف على أبي ذر كما بينه أحمد في روايته.

(٣) صدره صحيح. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٣٥٩٢ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٤٣٧: فيه عروة بن مروان، قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث. قلت: وتفرد بقوله: «فإن كان. . .» وأما صدره فله شواهد كما ترى.

(٤) صحيح. أخرجه محمد بن نصر ٢٥٠ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٥) تقدم في الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٦.

يوماً لجلسائه: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: وما تسمَعُ يا رسول الله؟! قال: «أَطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، إنه ليس فيها موضع قَدَم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد، وقالت الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦﴾»[٣]. وهذا إسنادٌ غريبٌ جداً.

[٧٠٩٠] ثم قال: حدَّثنا [محمد بن يحيى، قال حدثنا][١] إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفَرَوِيُّ، حدَّثنا عبدُ الملك بن قدامةَ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن عبد الله بن عُمَر: أن عمر جاء والصلاةُ قائمة، ونفرٌ ثلاثةٌ جلوسٌ، أحدُهم أبو جَحشٍ اللَّيثي، فقال: قوموا فَصَلُّوا مع رسول الله. فقام اثنان وأبَى أبو جَحشٍ أن يَقُومَ، وقال: لا أقوم حتى يأتي رجلٌ هو أقوى مني ذراعين، وأشدُّ مني بطشاً فَيصرَعَني، ثم يَدسَّ وجهي في التراب. قال عمر: فصرعتُه ودسستُ وجهَه في التراب، فأتى عثمانُ بن عفَّان فَحَجَزني عنه، فخرج عُمَر مغضباً حتى انتهى إلى رسولِ الله ﷺ فقال: ماذا بك يا أبا حَفص؟ فذكر له ما كان منه، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ رضا عُمَر رَحمَةٌ، والله لَوَدِدتُ أنَّك جِئتَني برأس الخبيثِ». فقام عمر فَوَجَّه نحوه، فلما أبعد ناداه فقال: «اجلس حتى أُخبرك بِغنَى الرَّبِّ ـ عزَّ وجلَّ ـ عن صلاة أبي جَحشٍ، إن لله في السماء الدنيا ملائكةً خُشوعاً لا يرفعُون رُؤوسَهم حتى تقومَ السَّاعة. فإذا قامت رَفَعُوا رُؤوسَهم، ثم قالوا: رَبَّنا، ما عبدناك حَقَّ عبادَتِك، وَإنَّ لله في السماء الثَّانيةِ ملائكةً سُجُوداً لا يرفعُونَ رُؤوسهم حتى تقوم السَّاعة، فإذا قامت رَفَعُوا رُؤوسَهم، وقالوا: سُبحانَكَ ما عَبَدناك حَقَّ عِبادَتِكِ. وإن لله في السماء الثالثة ملائكةً ركوعاً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقومُ السَّاعةُ، فإذا قامت السَّاعةُ رفعوا رُؤوسهم وقالوا: سبحانك! ما عَبَدناك حقَّ عبادتك. فقال له عُمَر: وما يقولون يا رسولَ الله؟! فقال: «أما أهلُ السماءِ الدُّنيا فيقولُون: سبحانَ ذِي المُلك والمَلَكوت. وأما أهلُ السماءِ الثَّانية فيقولون: سبحانَ ذِي العِزَّة والجَبَرُوتِ. وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحيِّ الذي لا يَمُوت. فَقُلها يا عُمَر في صلاتك». فقال عُمَر: يا رسول الله! فكيف بالذي كُنتَ عَلَّمتني وأمرتَني أن أقولَه في صلاتي؟ فقال: «قل هذا مَرَّةً وهذا مَرَّةً»، وكان الذي أمره به أن يقولَه: أعوذ بِعَفوِكَ من عِقابِكَ، وأعوذُ بِرِضَاك من سَخطك، وأعوذ بِكَ مِنكَ، جَلَّ وجهُك[٢]. هذا حديثٌ غريبٌ جداً، بل مُنكر نكارةً شَدِيدةً، وإسحاقُ الفَرَوي روى عنه البخاريُّ، وذكَرَه ابنُ حبَّان في الثقات وضَعَّفه أبو داود والنسائي والعُقَيلي والدارَقُطني. وقال أبو حاتم الرازي: «كان صَدُوقاً إلا أنه ذَهَب بصرُه فَرُبَّما لقن وكُتبه صحيحة». وقال مرَّةً: هو مُضطَرِبٌ، وشيخُه عبدُ الملك بن قُدَامةَ أبو قتادَةَ الجُمَحِيُّ تُكُلِّم فيه أيضاً. والعَجَبُ من الإمام محمدُ بن نصر كيف رَوَاه ولم يَتَكَلَّم عليه، ولا عَرَّفَ بحالِه، ولا تَعَرَّض لِضَعفِ بعضِ رجاله؟! غير أنه رَوَاه من وجهٍ آخَرَ عن سعيد بن جُبَير مُرسَلاً بنحوه. ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مُرسلاً قريباً منه.

[٧٠٩١] ثم قال محمد بن نصر: حدَّثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ، أخبرنا النضرُ، أخبرنا عَبَّاد بن منصور قال: سَمِعتُ عَدِيَّ بن أرطاةَ وهو يخطُبنا على مِنبَر المدائن قال: سَمِعتُ رَجُلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ

---

(١) زيادة عن كتاب «الصلاة».

(٢) أخرجه محمد بن نصر في «كتاب الصلاة» ٢٥٦ وإسناده ضعيف جداً، إسحق ضعفه الجمهور كما ذكر ابن كثير، وشيخه ضعيف، وعبد الرحمن فيه ضعيف، والمتن غريب جداً بل منكر كما ذكر ابن كثير رحمه الله. وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير، أخرجه برقم ٢٥٧ ومع إرساله فيه جعفر القمي، قال ابن مندة: ليس بالقوي في سعيد بن جبير. وله شاهد من مرسل الحسن، أخرجه برقم ٢٥٨، ومراسيل الحسن واهية، وفيه عمر بن المغيرة منكر الحديث.

عن رسولِ الله ﷺ قال: إن لله ملائكة تُرعَد فَرائِصُهم من خِيفته، ما منهم مَلَكٌ تقطر منه دمعةٌ من عَينِه إلا وَقَعت على مَلَكٍ يُصَلّي، وإنَّ منهم ملائكة سُجوداً منذ خَلَق الله السمواتِ والأرض لم يرفعُوا رؤوسهم ولا يرفعُونها إلى يومِ القيامة. وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعُوا رُؤوسهم منذ خَلَق الله السمواتِ والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعُوا رُؤوسهم نظروا إلى وجه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قالوا: سبحانَكَ! ما عبدناك حق عبادتك[1]. وهذا إسنادٌ لا بأسَ به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾، قال مجاهدٌ وغيرُ واحدٍ: ﴿وَمَا هِيَ﴾، أي: النّارُ التي وصفتُ، ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، أي: ولّى، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾، أي: أشرقَ، ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾، أي: العظائم، يعني النار، قاله ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والضَّحّاكُ، وغيرُ واحدٍ من السلف: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، أي: لمن شاء أن يقبلَ النّذارة ويهتدِيَ للحقّ، أو يتأخر عنها ويُولّي ويَرُدَّها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

يقول تعالى مخبراً أن كُلَّ نفس بما كسبت رَهِينةٌ، أي: مُعتقَلةٌ بعملها يومَ القيامة، قاله ابنُ عبّاس وغيرُه، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنهم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾، أي: يسألون المجرمين وهم في الغُرُفات وأولئك في الدَّرَكات قائلين لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾، أي: ما عبدنا رَبّنا ولا أحسنّا إلى خَلْقِه من جِنسِنا، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾، أي: نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: كُلّما غَوَى غاوٍ غَوَينا معه، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾، يعني الموتَ. كقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

[٧٠٩٢] وقال رسولُ الله ﷺ: «أمّا هو ـ يعني عثمانَ بن مَظعُونٍ ـ فقد جاءه اليقينُ من ربِّه»[2].

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، أي: مَن كان مُتَّصِفاً بمثل هذه الصفاتِ فإنه لا تنفعُه يومَ القيامةِ شفاعةُ شافعٍ فيه؛ لأن الشفاعة إنما تنجَعُ إذا كان المحلُّ قابلاً، فأما مَن وافى الله كافراً يومَ القيامةِ فإنّ له النارُ لا محالةَ، خالداً فيها. ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾، أي: فما لهؤلاء الكفرةِ الذين قِبَلَك عما تدعُوهم إليه وتُذَكّرهم به مُعرِضين، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾، أي:

---

(١) ضعيف. أخرجه محمد بن نصر ٢٦٠ وفيه عدي بن أرطاة، وهو مقبول كما في التقريب، وعنه عباد بن منصور، وهو ضعيف الحديث. روى مناكير. انظر الميزان ٤١٤١ فالإسناد ضعيف، وليس كما قال ابن كثير رحمه الله. ثم إن المتن غريب بهذا اللفظ.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٩٢٩ من حديث أم العلاء، وله قصة، وتقدم في سورة الحجر.

كأنَّهم في نِفارهم عن الحقِّ وإعراضِهم عنه حُمُرٌ من حُمُر الوحش إذا فَرَّت ممَّن يُريد صيدها من أسدٍ، قاله أبو هُرَيرة، وابن عباس ـ في رواية عنه ـ وزيدُ بن أسلَمَ، وابنه عبد الرحمن، أو: رام، وهو روايةٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، وهو قول الجمهور. وقال حَمَّاد بن سَلَمة، عن علي بن زَيد، عن يوسفَ بنِ ماهك، عن ابن عباس: الأسد بالعربية، ويقال له بالحبشية قَسْوَرةٌ، وبالفارسية شِيرٌ، وبالنبطية أويا.

وقولُه تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾، أي: بل يُريد كلُّ واحدٍ من هؤلاءِ المشركين أن يُنزَّلَ عليه كتابٌ كما أنزل على النبي. قاله مجاهدٌ وغيرُه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وفي رواية عن قتادة: يُريدون أن يُؤتَوا براءةً بغير عَمَلٍ. فقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾، أي: إنما أفسدَهُم عدمُ إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقُوعها. ثم قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾، أي: حقًّا إن القرآنَ تذكِرَةٌ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. وقولُه تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، أي: هو أهلُ أن يُخافَ منه، وهو أهلُ أن يَغفر ذنبُ من تابَ إليه وأناب. قاله قتادةُ.

[٧٠٩٣] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا زيدُ بن الحباب، أخبرني سُهيل أخو حَزم، حدَّثنا ثابت البُنَاني، عن أنسِ بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، وقال: «قال ربكم: أنا أهل أن أُتَّقى فلا يُجعَل معي إله، فمن اتقى أن يجعَلَ معي إلهاً كان أهلاً أن أغفِرَ له»[1]. ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، والنسائي من حديث المعافَى بن عِمران، كلاهما عن سُهيل بن عبد الله القُطَعِيِّ، به. وقال الترمذي: حسن غريبٌ، وسُهيل ليس بالقوي. ورواه ابنُ أبي حاتم عن أبيه، عن هُدبَةَ بن خالد، عن سُهَيلٍ، به. وهكذا رواه أبو يعلَى والبزّار والبَغَوي، وغيرهم، من حديث سُهَيل القُطَعي، به.

آخرُ تفسير سُورة المدَّثِّر، ولله الحمدُ والمنَّةُ

---

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٢٨ وابن ماجه ٤٢٩٩ والنسائي في «التفسير» ٦٥٠ وأحمد ٣/ ٢٤٣ والدارمي ٢/ ٣٠٢ وأبو يعلى ٣٣١٧ والحاكم ٢/ ٥٠٨ ومداره على سهيل، وهو ضعيف، ومع ذلك صححه الحاكم، وسكت الذهبي.

سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾

قد تقدَّم غير مَرَّةٍ أن المقسَمَ عليه متى كان منفياً جاز الإتيانُ بلا قبل القسم لتأكيد النفي. والمُقْسَمُ عليه ها هنا هو إثباتُ المعادِ، والردُّ على ما يزعمه الجَهَلَةُ من العباد من عدم بَعثِ الأجسادِ، ولهذا قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، قال الحسن: أقسَم بيوم القيامةِ ولم يُقسِم بالنفس اللَّوامةِ. وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعاً. هكذا حكاه ابن أبي حاتم. وقد حكى ابنُ جريرٍ، عن الحسن والأعرج أنهما قرآ: (لأقسم). وهذا يُوجِّه قولَ الحسن؛ لأنه أثبتَ القَسَم بيومِ القيامة ونَفَى القَسَم بالنفس اللَّوامة. والصحيحُ أنه أقسَمَ بهما جميعاً كما قاله قتادة، رحمه الله. وهو المرويُّ عن ابن عباس، وسعيد بن جُبير، واختاره ابنُ جريرٍ. فأما يومُ القيامةِ فمعروفٌ، وأما النفسُ اللَّوامة فقال قُرَّةُ بن خالدٍ، عن الحسن البصريِّ في هذه الآية: إنَّ المؤمن ـ والله ـ ما نراه إلا يلومُ نفسَه: ما أردتُ بكَلِمتي؟ وما أردتُ بأكلتي؟ ما أردتُ بحديثِ نفسي؟ وإنَّ الفاجِرَ يَمضي قُدُماً ما يُعاتِبُ نفسه. وقال جُوَيبرٌ: بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾، قال: ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلومُ نفسه يوم القيامة. وقال ابنُ أبي حاتم: [حدثن أبي] حدَّثنا عبد الله بنُ صالح بن مسلم، عن إسرائيلَ، عن سماكٍ: أنه سأل عكرمةَ عن قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾، قال: يلومُ على الخير والشر: لو فعلتُ كذا وكذا! ورواه ابنُ جرير، عن أبي كُرَيب، عن وكيع، عن إسرائيل، به. وقال ابنُ جرير: حدَّثنا محمد بن بَشَّار، حدَّثنا مُؤمَّل، حدَّثنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن الحسن بن مُسلِم، عن سعيد بن جُبَير في: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾، قال: تلومُ على الخير والشرِّ. ثم رواه من وجه آخَرَ عن سعيدٍ أنه سألَ ابنَ عباس عن ذلك، فقال: هي النفس اللؤوم. وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد: تندمُ على ما فات وتلومُ عليه. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ المذمومةُ. وقال قتادةُ: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ الفاجرةُ. قال ابنُ جرير: وكلُّ هذه الأقوال متقاربة المعنى، والأشبهُ بظاهِرِ التنزيل أنها التي تلومُ صاحبَها على الخيرِ والشرِ، وتندَمُ على ما فاتَ.

وقولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾، أي: يومَ القيامة، أيظنُّ أنا لا نقدِرُ على إعادةِ عظامِه

وجَمعِها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾، قال سعيد بن جُبَير والعَوفيُّ، عن ابن عباس: أن نجعله خفاً أو حافراً. وكذا قال مجاهدٌ، وعِكْرمة، والحسنُ، وقتادةُ، والضَّحّاك، وابنُ جَرِير. ووجهه ابنُ جرير بأنه تعالى لو شاء لجعَلَ ذلك في الدنيا. والظاهرُ من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ حالٌ من قوله تعالى: ﴿نَّجْمَعَ﴾، أي: أيظنُّ الإنسان أنا لا نجمعُ عظامه؟ بل سنجمعُها قادرين على أن نُسَوّي بنانه، أي: قُدرتنا صالحةٌ لِجَمْعِها، ولو شئنا لبعثناه أزيدَ مما كان، فنجعل بنانَه، وهي أطرافُ أصابعه، مستويةً. وهذا معنى قول ابن قُتَيبة، والزَّجّاج. وقولُه تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ٥﴾، قال سعيد، عن ابن عباس: يعني يمضي قُدُماً. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، يعني الأمل، يقول الإنسان: أعملُ ثم أتوبُ قبلَ يوم القيامة، ويقال: هو الكُفر بالحقّ بين يَدَي القيامةِ. وقال مجاهدٌ: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: يمضي أمامه راكباً رأسه. وقال الحسن: لا يلقى ابنُ آدم إلا تنزعُ نفسُه إلى مَعْصِيةِ الله قُدُماً قُدُماً، إلاّ من عَصَمه الله تعالى. ورُوي عن عِكْرِمة، وسعيد بن جُبَير، والضَّحّاك، والسُّدّي، وغير واحدٍ من السَّلَفِ: هو الذي يَعْجَلُ الذُّنوبَ ويُسوِّف التوبة. وقال عليُّ بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: هو الكافِرُ يُكَذِّب بيوم الحساب، وكذا قال ابنُ زيدٍ، وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ٦﴾، أي: يقولُ متى يكونُ يومُ القيامة؟ وإنما سؤاله سؤالُ استبعاد لوقوعه وتكذيبٌ لوجوده، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ٣٠﴾ [سبأ: ٢٩ ـ ٣٠].

وقال تعالى ها هنا: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ٧﴾، قال أبو عَمرو بنُ العلاء: ﴿بَرِقَ﴾ ـ بكسر الراء ـ أي: حارَ. وهذا الذي قاله شِبيهٌ بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾، أي: بل ينظرون من الفزَع هكذا وهكذا، لا يستقرُّ لهم بصرٌ على شيءٍ؛ من شدَّة الرُّعب. وقرأ آخرون: (بَرَقَ) بالفتح، وهو قريبٌ في المعنى من الأول. والمقصودُ أنَّ الأبصار تنبهرُ يومَ القيامة وتخشعُ وتحارُ وتذل من شِدّة الأهوالِ ومن عِظَم ما تشاهِدُه يوم القيامةِ من الأمور. وقولُه تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ٨﴾، أي: ذَهَب ضوؤه، ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ٩﴾، قال مجاهد: كُوِّر. وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١ ـ ٢]. ورُوي عن ابن مسعود أنه قرأ: «وجُمع بين الشمس والقمر». وقولُه تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ١٠﴾، أي: إذا عاينَ ابنُ آدمَ هذه الأهوالَ يومَ القيامةِ حينئذ يُريد أن يفرَّ ويقول: أين المفرُّ؟ أي: هل من ملجأٍ أو موئِلٍ؟ قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ١٢﴾، قال ابنُ مسعود، وابنُ عباس، وسعيد بن جُبَير، وغير واحد من السَّلَفِ: أي لا نجاةَ. وهذه كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧]، أي: ليس لكم مكانٌ تتنكرون فيه. وكذا قال ها هنا: ﴿لَا وَزَرَ﴾، أي: ليس لكم مكانٌ تعتصِمون فيه. ولهذا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ١٢﴾، أي: المرجع والمصير. ثم قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾، أي: يُخبر بجميع أعماله قديمها وحَدِيثها، أوَّلها وآخرها، صَغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وهكذا قال ها هنا: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، أي: هو شهيدٌ على نفسِه، عالمٌ بما فعَله ولو اعتذر وأنكرَ، كما قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤﴾ [الإسراء: ١٤]. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ١٤﴾، يقول: سمعُه وبَصَرُه ويداه ورجلاه وجوارحُه. وقال قتادة: شاهدٌ على نفسه. وفي روايةٍ قال: إذا شئتَ ـ والله ـ رأيتَه بصيراً بعيُوب الناس وذنُوبهم غافلاً عن ذُنوبه، وكان يقال: إنَّ في الإنجيل مكتوباً: يابن آدمَ، تُبصر القَذَاة في عينِ أخيكَ، وتترك الجِذْعَ في عينك لا تبصره؟. وقال مجاهدٌ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾، ولو جادَل عنها فهو بَصِيرةٌ عليها. وقال قتادةُ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾: ولو اعتذَرَ يومئذٍ بباطل لا

يُقبل منه. وقال السُّدِّي: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾: حُجَّته. وكذا قال ابنُ زيدٍ، والحسنُ البصريُّ، وغيرهُم. واختاره ابنُ جَرير. وقال قتادةُ، عن زُرَارَةَ، عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾، يقول: لو ألْقى ثيابَه، وقال الضَّحَّاك: ولو أرخى سُتُورَه، وأهلُ اليمن يُسمُّون الستر: المِعْذار. والصحيحُ قولُ مجاهد وأصحابه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٨﴾ [المجادلة: ١٨]. وقال العوفي: عن ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾، هي: الاعتذار، ألم تسمع أنه قال: ﴿لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، وقال: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧]، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل: ٢٨] وقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾

هذا تعليمٌ من الله ـ عزَّ وجلَّ لرسوله في كيفيَّةِ تَلَقِّيه الوحيَ من المَلَكِ، فإنه كان يُبادِر إلى أَخْذِه ويُسابق المَلَكَ في قِراءته، فأمره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا جاءه المَلَكُ بالوحي أن يستمعَ له، وتَكفَّل له أن يجمَعه في صدره، وأن يُيَسِّرَه لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يُبيِّنه له ويُفسِّره ويُوضِّحه. فالحالة الأولى جَمْعُه في صدره، والثانية تلاوتُه، والثالثة تفسيرُه وإيضاحُ معناه. ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾، أي: بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾، أي: في صَدْرِك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾، أي: أن تقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾، أي: إذا تلاه عليك المَلَكُ عن الله عزَّ وجلَّ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، أي: فاستمِعْ له ثم اقرأه كما أقرأَك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾، أي: بعد حِفْظِه وتلاوته نُبيِّنه لك ونوَضِّحه، ونُلْهِمُك معناه على ما أردنا وشرعنا.

[٧٠٩٤] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، عن أبي عَوَانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابنِ عباس قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعالِجُ من التنزيل شدَّةً، فكان يُحرِّك شَفَتيه ـ قال: فقال لي ابنُ عباس: أنا أُحرِّك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يُحرِّك شَفَتيه. وقال لي سعيد: وأنا أُحرِّك شَفَتيَّ كما رأيتُ ابن عباس يُحرِّك شفتيه ـ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾، قال: جَمْعَه في صدرك، ثم تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾: فاستمع له وأنصِت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾، فكان بعد ذلك إذا انطلقَ جبريلُ قرأه كما أقرأه[١].

[٧٠٩٥] وقد رواه البخاريُّ ومسلمٌ، من غير وَجْهٍ، عن موسى بن أبي عائشةَ، به. ولفظُ البخاريِّ: فكان إذا أتاه جبريلُ أطرق، فإذا ذهب قَرَأه كما وَعَده الله عزَّ وجلَّ[٢].

[٧٠٩٦] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا أبو يحيى التيميُّ، حدَّثنا موسى بن أبي عائشةَ، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبَّاسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحيُ يَلقى منه شدَّةً، وكان

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١/٣٤٣ وإسناده على شرطهما، وتقدم في طه: ١١٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٧ و ٤٩٢٨ و ٥٠٤٤ و ٧٥٢٤ ومسلم ١٤٧/٤٤٨ والترمذي ٣٣٢٩ والنسائي في «التفسير» ٦٥٤.

إذا نزل عليه عُرِف في تحريكه شَفَتيه، يتلقّى أوّله ويحرّك شفتيه خشيةَ أن يَنسَى أوّله قبل أن يفرُغَ من آخره، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾[1]. وهكذا قال الشعبيُّ، والحسنُ البصريُّ، وقتادةُ، ومجاهِدٌ، والضَّحّاك، وغير واحدٍ: إن هذه الآية نَزَلت في ذلك. وقد روى ابنُ جرير من طريق العَوفيِّ، عن ابن عبّاس: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾، قال: كان لا يفتُر من القراءة مخافةَ أن يَنساه، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أن نجمّعه لك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾، أن نُقرئكَ فلا تنسَى. وقال ابنُ عباس وعطية العَوفيِّ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾، تبيين حَلاله وحَرامِه. وكذا قال قتادةُ. وقولُه تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾، أي: إنما يحملُهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفةِ ما أنزله الله ـ على رسوله ﷺ من الوحي الحقِّ والقرآنِ العظيم أنّهم إنما هِمَّتُهم إلى الدار الدُّنيا العاجلة، وهم لاهُون متشاغِلون عن الآخرة. ثم قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، من النَّضارةِ، أي: حَسَنة بَهيّة مُشرِقة مَسرُورة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، أي: تراه عِياناً.

[٧٠٩٧] كما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ في صَحيحه: «إنكم سَترون رَبّكم عِياناً»[2]. وقد ثبتت رؤيةَ المؤمنين لله ـ عزّ وجلّ ـ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طُرُقٍ متوافرةٍ عند أئمةِ الحديثِ، لا يُمكِنُ دفعُها ولا مَنعُها.

[٧٠٩٨] لحديث أبي سَعيدٍ وأبي هُرَيرةَ ـ وهما في الصحيحين ـ أن ناساً قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تُضارُّون في رُؤيةِ الشمس والقمر ليس دونَهما سحابٌ؟» قالوا: لا. «فإنّكم تَرَونَ رَبّكم كذلك»[3].

[٧٠٩٩] وفي الصحيحين عن جَريرٍ قال: نَظَر رسولُ الله ﷺ إلى القمر ليلةَ البدْرِ فقال: «إنكم تَرَون رَبّكم كما تَرَون هذا القمرَ، فإن استطعتم ألاّ تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غُروبها فافعَلُوا»[4].

[٧١٠٠] وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسولُ الله ﷺ: «جَنّتان من ذهبٍ آنيتُهما وما فيهما، وجَنّتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظُروا إلى الله إلا رداءُ الكبرياء على وَجْهِه في جنة عَدْنٍ»[5].

[٧١٠١] وفي أفراد مسلم، عن صُهَيب، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دَخَل أهلُ الجنّةِ الجنةَ قال: يقولُ الله تعالى: تُريدون شيئاً أَزيدكُم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّض وُجوهَنا؟ ألم تُدخِلنا الجنّة وتُنجِنا من النار؟ قال: فيُكشَفُ الحجابُ، فما أُعطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى رَبّهم، وهي الزيادة». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[6] [يونس: ٢٦].

---

(١) صحيح. إسناده ضعيف لضعف التيمي واسمه إسماعيل بن إبراهيم، لكن للحديث شواهد.
(٢) تقدم في سورة طه آية ١٣٠.
(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٤٣٧ ومسلم ١٨٢ ح ٢٩٩ وأحمد ٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤ وابن حبان ٧٤٢٩، من حديث أبي هريرة.
(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٣ وأحمد ٣٦٢١٤ والطبراني ٢٢٢٤ وابن حبان ٧٤٤٣.
(٥) تقدم في سورة التوبة آية ٧٢.
(٦) وتقدم الحديث أثناء تفسيرها.

[٧١٠٢] وفي أفراد مسلم، عن جابر في حَدِيثه: «إن الله يَتَجلّى للمؤمنين يَضحَكُ»(١) ـ يعني في عرصات القيامة ـ ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ـ عزّ وجلّ ـ في العرصات، وفي روضات الجنات.

[٧١٠٣] وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا عبدُ الملك بن أبجرَ، حدَّثنا ثُوَير بن أبي فاخِتَةَ، عن ابن عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أدنى أهلِ الجَنّةِ منزلةً لَينظر في مُلكه ألفَي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخَدَمه. وإن أفضَلَهم منزلةً لَينظر في وجهِ الله كلَّ يوم مرَّتَين»(٢). وَرَواه التِّرمذيُّ عن عبد بن حُمَيد، عن شبابةَ، عن إسرائيلَ، عن ثُوَير قال: «سَمِعتُ ابنَ عُمَرَ» . . . فذكره، قال: «وَرَواه عبدُ الملك بن أبجَرَ، عن ثُوَير، عن مجاهِدٍ، عن ابن عُمَر، قوله». وكذلك رَوَاه الثَّورِيّ، عن ثُوَير، عن مُجاهِدٍ، عن ابن عُمَر، ولم يرفعه. ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديثَ بطُرُقها وألفاظِها من الصِّحاح والحِسَانِ والمسانيدِ والسُّنَن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضِعَ من هذا التفسير، وبالله التوفيقُ. وهذا بحمد الله مُجمَعٌ عليه بينَ الصحابة والتابعين وسَلَفِ هذه الأمة، كما هو مُتَّفَق عليه بين أئمة الإسلام. وهُدَاة الأنام.

ومن تأوّل ذلك بأن المراد: ﴿إِلَىٰ﴾ مفرد الآلاء، وهي النِّعم ـ كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، فقال: تنتظر الثواب من رَبِّها. رَواه ابنُ جرير من غير وَجهٍ عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضاً ـ فقد أبعد هذا القائل النُّجعة، وأبطل فيما ذَهَب إليه. وأين هُوَ من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، قال الشافعي ـ رحمه الله ـ ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلِم أن الأبرار يَرَونه عزّ وجلّ. ثم قد تواترتِ الأخبارُ عن رسولِ الله ﷺ بما دلّ عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾. قال ابن جرير: حدَّثنا محمد بن إسماعيلَ البخاري، حدَّثنا آدم، حدَّثنا المبارك، عن الحَسَن: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، قال: حَسَنةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، قال: تنظُر إلى الخالق، وحُقّ لها أن تنضر وهي تنظُر إلى الخالق.

وقولُه تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾: هذه وجوهُ الفجّارِ تكونُ يوم القيامة باسرةً. قال قتادة: كالحةً. وقال السُّدِّي: تُغيِّر ألوانُها. وقال ابن زيد: ﴿بَاسِرَةٌ﴾، أي: عابِسَة. ﴿تَظُنُّ﴾، أي: تَستيقِنُ، ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، قال مجاهدٌ: داهيةٌ. وقال قتادةُ: شرٌ. وقال السُّدِّي: تَستيقِنُ أنها هالكةٌ. وقال ابنُ زيدٍ: تظن أن ستدخُل النار. وهذا المقامُ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وكقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢]. وكقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ [الغاشية: ٢ ـ ١٠]، في أشباهِ ذلك من الآيات والسِّياقات.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٩١ في أثناء حديث مطول.

(٢) ضعيف، وتقدم في سورة طه: ١٣٠..

ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

يُخبر تعالى عن حالة الاحتضارِ وما عندَه من الأهوال ـ ثبَّتنا الله هناك بالقول الثابت ـ فقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾، إن جعلنا ﴿كَلَّآ﴾ رادعةً فمعناها: لستَ يابنَ آدمَ تكذِبُ هناك بما أُخبِرتَ به، بل صار ذلك عِندكَ عِياناً، وإن جعلناها بمعنى «حقًّا» فظاهر، أي: حقًّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾، أي: انتُزِعت روحُك من جَسَدِك وبَلَغت تراقِيَك، والتراقي: جمعُ ترقُوة، وهي العظامُ التي بين ثُغرَةِ النحر والعاتِق، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧]. وهكذا قال ها هنا: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾، ويُذكَرُ ها هنا حديث بُسْر بن جِحَاشٍ الذي تقدَّم في سورة «يس»[1]. والتراقي: جمعُ تَرقُوةٍ، وهي قريبةٌ من الحلقوم. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾، قال عِكرمة، عن ابن عباس: أي مَن راقٍ يَرْقِي؟ وكذا قال أبو قِلابةَ: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾، أي: من طَبيبٌ شافٍ؟ وكذا قال قتادةُ، والضحَّاك، وابنُ زيد. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا نصر بن علي، حدَّثنا رَوحُ بن المسيَّب أبو رجاءِ الكُلْبِيُّ، حدَّثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجَوزاءِ، عن ابن عَبَّاسٍ: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾، قال قيل: من يَرْقَى بِرُوحِه، ملائكةُ الرحمة أم ملائكة العذابِ؟ فعلى هذا يكونُ من كلام الملائكة. وبهذا الإسنادِ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾، قال: التفت عليه الدنيا والآخرةُ. وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾، يقول: آخرَ يوم من أيام الدنيا، وأولَ يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدَّةُ بالشدَّةِ إلا مَن رحم الله. وقال عكرمةُ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾: الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهدٌ: بلاءٌ ببلاءٍ. وقال الحسنُ البصريُّ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾: هما ساقاك إذا التفَّتا. وفي روايةٍ عنه: ماتَت رجلاه فلم تحمِلاه، وقد كان عليهما جَوَّالاً. وكذا قال السُّدِّي، عن أبي مالك. وفي رواية عن الحسن: هو لَفُّهما في الكَفَن. وقال الضحَّاك: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾، اجتمع عليه أمران: النَّاسُ يُجَهِّزون جسده، والملائكة يُجَهِّزون رُوحَه.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾، أي: المرجعُ والمآبُ، وذلك أنَّ الرَّوحَ تُرفَع إلى السموات، فيقولُ الله: رُدُّوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرجُهم تارةً أخرى. كما ورد في حديثِ البراء الطويل[2]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١ ـ ٦٢]. وقولُه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾: هذا إخبارٌ عن الكافر الذي كان في الدار الدُّنيا مُكذِّباً للحقِّ بِقلبه، مُتوليّاً عن العمل بقالبِه، فلا خيرَ فيه باطناً ولا ظاهراً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾، أي: جَذِلاً أَشِراً بَطِراً كَسْلانَ لا هِمَّة له ولا عَمَل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٣١]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾، أي: يرجِعَ، ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: ١٣،

(١) انظر سورة يس: آية ٧٧.

(٢) تقدم في الأعراف: ٤٠.

١٥]. قال الضحّاك، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾: يختال. وقال قتادةُ وزيد بن أسلَم: يَتبختَرُ. قال الله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾: وهذا تهديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ منه تعالى للكافر به المتبختر في مِشيَتِه، أي: يحقُّ لك أن تمشِيَ هكذا وقد كَفَرت بخالِقِك وبارئك، كما يُقال في مثل هذا على سبيل التهكُم والتهديد، كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]. وكقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٦]. وكقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٥]، وكقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. إلى غير ذلك.

[٧١٠٤] وقد قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سِنان الواسطي، حدَّثنا عبد الرحمن ـ يعني ابن مَهدِيّ ـ عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشةَ قال: سألتُ سعيدَ بن جُبَير قلت: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾، قال: قال النبي ﷺ لأبي جَهْلٍ، ثم نزل به القرآن[١].

[٧١٠٥] وقال أبو عبد الرحمن النَّسائي، حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا أبو النُّعمان، حدَّثنا أبو عَوَانة ـ (ح) وحدَّثنا أبو داود: حَدَّثنا محمد بن سليمان، حدَّثنا أبو عَوانة ـ عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبَير قال: قلتُ لابن عباس: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾، قال: قاله رسولُ الله ﷺ ثم أنزله الله عَزَّ وجلّ[٢].

[٧١٠٦] قال ابن أبي حاتم: وحدَّثنا أبي، حدَّثنا هشامُ بن خالد، حدَّثنا شُعَيب بن إسحاق، حدَّثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾، وعيدٌ على أثَر وعيدٍ، كما تسمعون، وَزَعموا أن عَدُوَّ الله أبا جهل أخذَ نبيُّ الله بمجامع ثيابه، ثم قال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾. فقال عدو الله أبو جهل: أتوعِدُني يا محمد؟! والله لا تستطيع أنت ولا ربُّك شيئاً، وإني لأعزُّ مَن مشى بين جبَليها[٣].

وقولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾، قال السُّدِّي: يعني لا يُبعَثُ. وقال مجاهدٌ، والشَّافعيُّ، وعبدُ الرحمن بنُ زيدِ بن أسلم: يعني لا يُؤمَر ولا يُنهى. والظاهر أن الآية تَعُمُّ الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مُهمَلاً لا يُؤمَر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سُدًى لا يُبعث، بل هو مأمورٌ منهيٌ في الدنيا، محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة. والمقصودُ هنا إثباتُ المعَاد، والرَّدُّ على مَن أنكره مِن أهل الزَّيغ والجهل والعِناد، ولهذا قال مُستدلاً على الإِعادة بالبدأَةِ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾، أي: أما كان الإنسانُ نطفةً ضعيفةً من ماءٍ مَهين، ﴿يُمْنَىٰ﴾، يُرَاق من الأصلاب في الأرحام. ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾، أي: فصار عَلقةً، ثم مُضغَةً، ثم شُكِّل ونُفِخ فيه الرُّوحُ، فصار خَلْقاً آخَر سَوياً سَليم الأعضاءِ، ذكراً أو أُنثى بإذن الله وتقديره. ولهذا قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، أي: أما هذا الذي أنشأ هذا الخَلقَ السَّويَّ من هذه النُّطفة الضَّعيفة بقادِرٍ على أن يُعيده كما بَدَأه؟ وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البَدأَةِ، وإما مساويةٌ على القولين في قَوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. والأول أشهر كما تقدَّم في «سورة الروم» بيانُه وتقريرُه، والله أعلم.

[٧١٠٧] قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا الحسنُ بن محمد بن الصَّباح، حدَّثنا شَبَابةُ، عن شُعبة، عن موسى

---

(١) أخرجه الطبري ٣٥٧٣٤ وهو مرسل لكن يعتضد بما بعده.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٥٨ والطبراني ١٢٢٩٨ والحاكم ٢/ ٥١٠ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٥٧٣١ و ٣٥٧٣٢ عن قتادة مرسلاً.

ابن أبي عائشة، عن آخر: أنه كان فوق سطح يقرأُ ويرفعُ صوتَه بالقرآن، فإذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ قال: سبحانك اللهمَّ فَبلَى. فَسُئِلَ عن ذلك فقال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك[1].

[٧١٠٨] وقال أبو داود ـ رحمه الله ـ: حدَّثنا مُحمَّد بن المثنى، حدَّثنا مُحمَّد بن جعفر، حدَّثنا شُعبة، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجلٌ يُصَلِّي فوقَ بيتِه، فكان إذا قَرَأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾. قال: سُبحانَكَ، فَبَلى فسألوه عن ذلك فقال: سمِعته من رسول الله ﷺ[2]. تَفَرَّد به أبو داود، ولم يُسَمِّ هذا الصَّحابيَّ، ولا يَضُرُّ ذلك.

[٧١٠٩] وقال أبو داود أيضاً: حدَّثنا عبد الله بن محمد الزُّهريُّ، حدَّثنا سفيانُ، حدَّثني إسماعيل بن أميَّةَ: سَمِعتُ أعرابياً يقول: سَمِعت أبا هريرة يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «من قرأ منكُم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾، فَلْيقُل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ فانتهى إلى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، فلْيَقُل: بلى. ومَن قرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾، فليقُلْ: آمنَّا بالله»[3]. ورواه أحمد، عن سفيان بن عُيينة. ورواه الترمذيُّ عن ابن أبي عُمَر، عن سفيان بن عُيَينة. وقد رواه شُعبةُ، عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له: مَن حَدَّثك؟ قال: رجُل صدقٍ، عن أبي هُرَيرة.

[٧١١٠] وقال ابنُ جَرير: حدَّثنا بِشرٌ، حدَّثنا يزيدُ، حدَّثنا سَعيدٌ، عن قتادة: قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، ذُكِر لنا أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سُبحانك وَبَلَى»[4]. ثم قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمدُ بن سِنان الواسطي، حدَّثنا أبو أحمد الزُّبَيري، حدَّثنا سفيانُ، عن أبي إسحاقَ، عن مُسلم البَطِين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس أنه مَرَّ بهذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، قال: سبحانك؛ فَبلَى.

آخرُ تفسير سورةِ القيامة، ولله الحمدُ والمنَّةُ

(١) إسناده صحيح، رجاله ثقات، وجهالة الصحابي لا تضر، وانظر ما بعده.

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود ٨٨٤ ورجاله رجال البخاري ومسلم، وجهالة الصحابي لا تضرّ.

(٣) ضعيف. أخرجه أبو داود ٨٨٧ والترمذي ٣٣٤٧ وفيه راوٍ لم يسمّ، وسماه الحاكم ٢/٥١١ أبا اليسع، وهو مجهول، فالإسناد ضعيف، ولا يصح كون ذلك بصيغة الأمر.

(٤) صحيح. أخرجه الطبري ٣٥٧٣٨ مرسلاً، لكن يتأيد بالمتقدم قبل حديث.

سورة الإنسان

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

وهي مكيّة

[٧١١١] قد تقدَّم في صحيح مسلم: أن رسولَ الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصُبح يومَ الجُمُعة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾[١].

[٧١١٢] وقال عبدُ الله بن وهَبٍ: أخبرنا ابنُ زيدٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه السورةَ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾، وقد أُنزِلَت عليه وعندَه رجلٌ أسودُ، فلما بلغ صفةَ الجِنَانِ زَفَر زفرةً فَخَرجت نفسُه. فقال رسولُ الله ﷺ: «أخرجَ نفسَ صاحبكم ـ أو قال: أخيكم ـ الشَّوقُ إلى الجنة»[٢]. مُرسَلٌ غريب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن الإنسانِ أنه أوجدَه بعدَ أن لم يكن شيئاً يُذكَر، لحقارتِهِ وضعفِهِ، فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾. ثم بَيَّن ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، أي: أخلاطٍ. والمَشِيجُ والمَشِيج: الشَّيءُ المختلطُ بعضُه في بعضٍ. قال ابنُ عباسٍ في قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، يعني: ماء الرجلِ وماء المرأةِ إذا اجتمعا واختلطَا، ثم ينتقلُ بعدُ من طورٍ إلى طورٍ، وحالٍ إلى حالٍ ولونٍ إلى لونٍ. وهكذا قال عِكرِمة، ومجاهدٌ، والحسنُ، والربيعُ بن أنس: الأمشاجُ هو اختلاط ماءِ الرجل بماءِ المرأة. وقولُه تعالى: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾، أي: نَختَبِرُه، كقوله جل جلاله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، أي: جَعلنا له سَمْعاً وبَصَراً يتمكّن بهما من الطاعةِ والمعصِية.

وقولُه جل جلاله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، أي: بيّناه له ووضّحناه وبَصّرناه به، كقوله جل جلاله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وكقوله جل جلاله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠]، أي: بيّنا له طريقَ الخيرِ وطريقَ الشرِّ، وهذا قولُ عِكرمة، وعَطِيَّة، وابنِ زيد، ومجاهدٍ ـ في المشهور عنه ـ والجمهورِ. ورُوي عن مَجاهدٍ، وأبي صالح، والضحّاك، والسُّدّي أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا

---

(١) أخرجه مسلم وغيره، وتقدم في السجدة.

(٢) إسناده ضعيف، وهو مرسل، ومع إرساله ابن زيد ـ عبد الرحمن ـ ضعيف الحديث إن وصله، فكيف إذا أرسله؟ وقال السيوطي في «الدرر» ٦/ ٤٨٠: وأخرجه أحمد في «الزهد» عن محمد بن مطرف قال: حدثني الثقة، ثم ذكره بنحوه. وورد موصولاً عن ابن عمر، أخرجه الطبراني وابن مردويه وابن عساكر، وإسناده ضعيف، وسيأتي عند الآية ٢٠ من هذه السورة.

هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: يعني خروجَه من الرحم. وهذا قولٌ غريبٌ، والصحيحُ المشهورُ الأول. وقولُه تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ منصوب على الحال من «الهاء» في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾، تقديره فهو في ذلك إما شقيٌّ وإما سَعِيدٌ.

[٧١١٣] كما جاء في الحديث الذي رواه مُسلِمٌ، عن أبي مالك الأشعريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ الناسِ يغدُو، فبائعٌ نفسَه فَمُوبِقُها أو مُعتِقُها»(١).

[٧١١٤] وتقدَّم في «سورة الروم»، عند قوله جل جلاله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٢) [الروم: ٣٠]، من روايةِ جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ مولود يُولَدُ على الفِطْرَةِ حتى يُعرِبَ عنه لسانُه، فإذا أعربَ عنه لسانه إما شاكراً وإما كَفُوراً».

[٧١١٥] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا عبدُ الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبريِّ، عن أبي هُرَيرة عن النبي ﷺ قال: «ما مِن خارجٍ يخرج إلا ببابه رايتان: رايةٌ بيدِ مَلَك، ورايةٌ بيدِ شَيطان، فإن خرج لما يُحبّ الله اتَّبعه المَلَك برايته، فلم يَزَلْ تحت رايةِ المَلَك حتى يرجعَ إلى بيته. وإن خَرَج لما يُسخِط الله اتبعه الشيطانُ برايته، فلم يَزَل تحتَ رايةِ الشيطانِ حتى يرجع إلى بيته»(٣).

[٧١١٦] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزّاق، حدَّثنا معمَرٌ، عن ابن خُثَيم، عن عبد الرحمن بن سابطٍ، عن جابر بن عبد الله: أن النبيَّ ﷺ قال لكعب بن عُجَرَةَ: «أعاذَكَ الله من إمارةِ السُفهاء». قال: وما إمارةُ السفهاء؟ قال: «أمراء يكونون من بعدي، لا يهتدُون بهُداي، ولا يستَنُّون بسُنَّتي، فمن صَدَّقهم بِكَذِبهم وأعانهم على ظُلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعهنم على ظلمهم، فأولئك مِنيِّ وأنا منهم، وسَيَرِدُون على حَوضِي. يا كعب بن عُجَرَة! الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطفِيءُ الخطيئةَ، والصَّلاةُ قُربانٌ ـ أو قال: بُرَهانٌ. يا كعب بن عجرَة! إنه لا يدخُل الجنةَ لحمٌ نبَتَ من سُحتٍ، النار أولى به. يا كعب! الناسُ غَادِيان، فمبتاعُ نفسَه فَمُعتِقُها، وبائعٌ نفسه فَمُوبقها»(٤). ورواه عن عفَّان، عن وُهَيبٍ، عن عبد الله بن عُثمانَ بن خُثَيم، به.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

(١) تقدم تخريجه في سورة الأعراف، آية ٣٠.
(٢) وتقدم تخريج الحديث فيها.
(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٣ والطبراني في «الأوسط» ٤٧٨٣ ومداره على عثمان بن محمد وهو غير قوي، وقال ابن المديني: روى مناكير اهـ وهذا غريب.
(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٣٢١. انظر «المجمع» ٥/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧، وله شواهد كثيرة.

يُخبِرُ تعالى عما أرصدَه للكافرين من خَلْقِه به من السلاسل والأغلالِ والسَّعير، وهو اللهيبُ والحريقُ في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢]. ولما ذكر ما أعدَّه لهؤلاء الأشقياء من السَّعير قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾، وقد عُلِم ما في الكافور من التبريدِ والرائحةِ الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذةِ في الجنَّة. قال الحسن: بَرْدُ الكافورِ في طيبِ الزَّنجبيل. ولهذا قال: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦﴾، أي: هذا الذي مُزِج لهؤلاء الأبرار من الكافورِ هو عينٌ يشربُ بها المقرَّبون من عبادِ الله صِرفاً بلا مَزْج وَيَرْوَوْنَ بها؛ ولهذا ضَمَّن يَشرَب «يَرْوَى» حتى عداه بالباء، ونَصَبَ ﴿عَيۡنٗا﴾ على التمييز. قال بعضُهم: هذا الشرابُ في طيبه كالكافورِ. وقال بعضهم: هو من عَينِ كافورٍ. وقال بعضُهم: يجوزُ أن يكونَ منصوباً بـ ﴿يَشۡرَبُ﴾. حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير. وقولُه تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾، أي: يَتصرَّفُون فيها حيثُ شاؤوا وأين شاؤوا، من قُصورهم ودُورهم ومجالسهم ومَحالِّهم. والتفجيرُ هو الإنباعُ، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠]، وقال: ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾ [الكهف: ٣٣]. قال مجاهد: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾: يقُودونها حيث شاؤوا. وكذا قال عِكْرِمةُ، وقتادةُ. وقال الثوريُّ: يُصرِّفُونها حيث شاؤوا. وقولُه: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾، أي: يَتعبَّدُون لله فيما أوجبه عليهم من الطاعاتِ الواجبةِ بأصل الشرع، وما أوجبُوه على أنفسهم بطريق النذر.

[٧١١٧] قال الإمام مالك، عن طلحةَ بن عبد الملك الأَيْليِّ، عن القاسم بن مالك، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَن نَذَر أن يُطِيع الله فَلْيُطِعه، ومَن نَذَر أن يَعصِيَ الله فلا يَعْصِه»[١]. رواه البُخاريُّ، من حديث مالك. ويتركُون المحرَّماتِ التي نهاهُم عنها خِيفةً من سُوءِ الحساب يوم المَعادِ، وهو اليومُ الذي شَرُّه مستطيرٌ، أي: منتشرٌ عام على الناس إلاَّ مَن رَحِمَ الله. قال ابنُ عباس: فاشياً. وقال قتادة: استطار ـ والله ـ شرُّ ذلك اليوم حتى مَلأ السمواتِ والأرضَ. قال ابن جرير: ومنه قوله: استطار الصَّدعُ في الزُّجاجةِ واستطالَ. ومنه قول الأعشى:

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرتْ فِي الفُؤا ... دِ صَدْعاً، على نَأيِها، مُستَطِيرا

يعني: ممتدًّا فاشياً. وقوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، قيل: على حُبِّ الله تعالى. وجعلُوا الضَّميرَ عائداً إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لدلالة السياق عليه. والأظهرُ أن الضميرَ عائدٌ إلى الطعام، أي: ويُطعِمُون الطَّعامَ في حالَ محبَّتهم وشَهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتلٌ، واختاره ابنُ جرير، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وكقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وروى البيهقي، من طريق الأعمش، عن نافع قال: مَرِض ابنُ عُمَر فاشتهى عِنَباً، أولَ ما جاء العنبُ، فأرسلت صَفِيَّةُ ـ يعني امرأته ـ فاشترت عُنقوداً بِدِرهَم، فاتبع الرَّسولَ السَّائلُ، فلما دخل به قال السائل: السَّائلُ. فقال ابن عُمَر: أعطُوه إيَّاه. فأعطَوه إياه. ثم أرسلَت بدرهم آخر فاشترت عنقوداً فاتبع الرَّسولَ السَّائلُ، فلما دخل قال السائل: السَّائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطَوه إياه. فأرسلت صَفِيَّة إلى السائِل فقالت: والله إن عُدتَ لا تُصِيبُ منه خيراً أبداً. ثم أرسلت بدرهمٍ آخَرَ فاشترت به.

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٦٩٦ و ٦٧٠٠ وأبو داود ٣٢٨٩ والترمذي ١٥٢٦ والنسائي ٧/١٧ ومالك في «الموطأ» ٢/٤٧٦ وأحمد ٦/٣٦.

[٧١١٨] وفي الصحيح: «أفضلُ الصدقة أن تَصَدّق وأنت صحيحٌ شَحِيحٌ، تأمُل الغِنَى وتخشَى الفقرَ»[(١)]، أي: في حال مَحَبَّتِك للمالِ وحِرْصِك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾، أما المسكين واليتيمُ فقد تقدّم بيانُهما وصفتُهما. وأما الأسيرُ فقال سعيد ابن جُبَير، والحسنُ، والضَّحّاك: الأسير من أهلِ القبلة. وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهَدُ لهذا أن رسول الله ﷺ أَمَر أصحابه يوم بَدْرٍ أن يُكرِمُوا الأسارى، فكانوا يُقدِّمونهم على أنفُسِهم عند الغَدَاء. وهكذا قال سعيد بن جُبَير، وعطاء، والحسنُ، وقتادةُ. وقد وَصَّى رسولُ الله ﷺ بالإِحسانِ إلى الأَرِقَّاء في غير ما حديثٍ.

[٧١١٩] حتى إنه كان آخرُ ما أوصَى أن جَعَل يقول: «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»[(٢)]. وقال عِكْرِمة: هم العبيدُ، واختاره ابنُ جَرِير، لعُمومِ الآيةِ للمسلم والمشرك. وقال مجاهدٌ: هو المحبوسُ. أي: يُطعِمُون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبُّونَه، قائلين بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾، أي: رجاءَ ثوابِ الله ورِضاه، ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، أي: لا نطلبُ منكم مجازاةً تُكافِئُونا بها، ولا أن تشكرونا عند الناس.

قال مجاهد وسعيد بن جُبَير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به لِيَرْغب في ذلك راغب. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾، أي: إنما نفعل هذا لعلَّ الله أن يرحَمنا ويَتَلقَّانا بِلُطفه، في اليوم العَبُوسِ القَمطرير. قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿عَبُوسًا﴾: ضَيِّقاً، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: طويلاً. وقال عِكْرِمةُ وغيره، عنه، في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، أي: يَعبِسُ الكافر يومئذٍ حتى يَسِيل من بين عينيه عَرَق مثلُ القِطِران. وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾، العابس الشفتين ﴿قَمْطَرِيرًا﴾، قال: تَقبِيضُ الوجهِ بالبُسُور. وقال سعيد بن جُبَير، وقتادةُ: تَعبِس فيه الوجوه من الهولِ، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: تقليصُ الجَبِين وما بين العَينين، من الهول. وقال ابنُ زيدٍ: العَبوس: الشرُّ. والقمطرير: الشديدُ. وأوضحُ العباراتِ وأجلاها وأحلاها، وأعلاها وأولاها قولُ ابن عباس، رضي الله عنه. قال ابن جرير: والقمطريرُ هو: الشديدُ؛ يقال: هو يومٌ قَمطَرِيرٌ ويومٌ قَمَاطِرٌ، ويوم عَصِيب وعَصَبْصَب، وقد اقمطرّ اليوم يُقْمَطِرُّ اقمطراراً، وذلك أشدُّ الأيام وأطوَلُها في البلاءِ والشِّدَّة، ومنه قول بعضهم:

بَني عَمِّنا، هل تَذكرون بَلاءَنا ... عَلَيكم إذَا ما كانَ يومُ قُمَاطِرُ

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾، وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾، أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾، أي: في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾، أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري، وقتادةُ، وأبو العالية، والربيعُ بن أنس. وهذه كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩]، وذلك أن القلب إذا سُرّ استنار الوجهُ.

[٧١٢٠] قال كعبُ بن مالك في حديثه الطويل: «وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهُه حتى كأنه فِلقَةُ قَمر»[(٣)].

[٧١٢١] وقالت عائشةُ: «دخل عَلَيّ رسولَ الله ﷺ مَسْرُوراً تبرُقُ أسَارِيرُ وَجْهِهِ»...[(٤)] الحديث.

---

(١) تقدم في سورة البقرة، آية ١٧٧.

(٢) تقدم في سورة النساء، آية ٣٦.

(٣) تقدم تخريجه في سورة التوبة: ١١٨.

(٤) متفق عليه، وتقدم في النور.

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾، أي: بسبب صَبرِهم أعطاهم ونَوَّلهم وبوّأهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، أي: مَنزِلاً رَحِباً، وعيشاً رَغداً، ولِباساً حَسَناً. وروى الحافظُ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سُلَيمان الدَّاراني قال: قُرِئَ على أبي سُليمان الداراني سورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾، قال: بما صبروا على تَرْكِ الشهوات في الدنيا، ثم أنشد:

كَم قَتيلٍ لشَهوةٍ وأسيرٍ ... أُفٍّ مِن مُشتَهي خِلافَ الجَميلِ
شَهَواتُ الإنسانِ تُورِثُه الذُّلَّ ... وتُلقيه في البَلاءِ الطَّويلِ

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾
وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

يُخبر تعالى عن أهل الجنّةِ وما هُم فيه من النعيم المقيم، وما أُسبغَ عليهم من الفضل العَميم فقال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾. وقد تقدّم الكلام على ذلك في «سورة الصافات»، وذُكر الخلاف في الاتكاء: هل هو الاضطجاعُ، أو التمرفق، أو التربُّع، أو التمكُّن في الجلوس؟ وأن الأرائكَ هي السُّرُر تحت الحِجَالِ.

وقولُه تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، أي: ليس عندهم حَرٌّ مُزعِجٌ، ولا بَرْدٌ مؤلِمٌ، بل هي مزاجٌ واحدٌ دائمٌ سَرْمَديّ، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾، أي: قريبةً إليهم أغصانُها، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾، أي: مَتى تعاطاه دَنَا القِطْفُ إليه وتدلّى من أعلى غُصنِه، كأنه سامعٌ طائعٌ، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢٣]. قال مجاهدٌ: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: إن قام ارتفعت بقَدْرِه، وإن قعد تَدلَّتْ له حتى ينالها، وإن اضطجع تَدلَّت له حتى ينالها، فذلك قوله تعالى: ﴿تَذْلِيلًا﴾. وقال قتادةُ: لا يَرد أيديَهم عنها شوكٌ ولا بُعدٌ. وقال مجاهدٌ: أرضُ الجنةِ وَرِقٌ، وتُرابها المسكُ، وأصولُ شجرِها من ذَهَبٍ وفِضَّةٍ، وأفنانُها من اللؤلؤِ الرَّطِب والزَّبرجَدِ والياقوتِ، والوَرَقُ والثَّمرُ بين ذلك. فمن أكلَ منها قائماً لم يُؤذِه، ومن أكل منها قاعداً لم يُؤذِه، ومن أكل منها مُضطجعاً لم يُؤذه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾، أي: يطوفُ عليهم الخَدَم بأواني الطَّعام، وهي من فِضّةٍ، وأكوابِ الشرابِ، وهي الكيزان التي لا عُرَا لها ولا خراطيمَ. وقولُه: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾، فالأول منصوب بخبر «كان»؛ ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾، والثاني منصوب إما على البدلية، أو تمييزاً؛ لأنه بَينه بقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾. قال ابن عباس، ومجاهدٌ، والحسنُ البصريُّ، وغيرُ واحدٍ: بياضُ الفضّةِ في صفاءِ الزُّجاجِ، والقواريرُ لا تكون إلاّ من زُجاجٍ. فهذه الأكوابُ هي من فِضّةٍ، وهي مع هذا شَفّافةٌ يُرَى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظيرَ له في الدنيا. قال ابنُ المبارك، عن إسماعيل، عن رجُلٍ، عن ابن عباس: ليس في الجنّةِ شيءٌ إلا قد أُعطيتم في الدنيا شبهه إلا قواريرَ من فِضّةٍ. رواه ابنُ أبي حاتم. وقولُه تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، أي: على قدر رَيِّهم، لا تَزيد عنه ولا تنقُص، بل هي مُعَدّةٌ لذلك، مُقدّرةٌ بحسب رِيّ صاحبِها. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهدٍ، وسعيد بن جُبَير، وأبي صالح، وقتادة، وابن أَبْزَى، وعبد

الله بن عُبَيد بن عُمَير، وقتادةَ، والشَّعبِيِّ، وابنِ زيدٍ. وقاله ابنُ جرير وغيرُ واحدٍ. وهذا أبلغُ في الاعتناء والشرفِ والكرامة. وقال العَوفي، عن ابن عباس: ﴿قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾، قُدِّرت للكَفِّ. وهكذا قال الربيعُ بن أنَسٍ. وقال الضَّحَّاكُ على قدر أكُفِّ الخُدَّامِ. وهذا لا ينافي القولَ الأولَ، فإنها مُقدَّرة في القَدْر والرِّي.

وقولُه تعالى: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧﴾، أي: ويُسقَون ـ يعني الأبرارَ أيضاً ـ في هذه الأكواب ﴿كَأۡسٗا﴾، أي: خَمراً، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾، فتارة يُمزَج لهم الشَّرابُ بالكافُور وهو باردٌ، وتارةً بالزنجبيلِ وهو حارٌّ، ليعتدلَ الأمرُ، وهؤلاء يُمزَج لهم من هذا تارةً ومن هذا تارةً. وأما المقرَّبون فإنهم يشرَبُون من كلٍّ منهما صِرْفاً، كما قاله قتادةُ وغير واحدٍ. وقد تقدَّم قوله جل وعلا: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، وقال ها هنا: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ۝١٨﴾: أي الزنجبيل عين في الجنة تسمىٰ سلسبيلاً، قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها. وقال قتادة: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ۝١٨﴾ عين سَلِسَةٌ مُستَقِيدٍ ماؤها. وحكى ابنُ جُريرٍ عن بعضهم أنها سُمِّيت بذلك لسلاستها في الحَلْق. واختار هو أنها تَعُمّ ذلك كلَّه، وهو كما قال. وقولُه تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ۝١٩﴾، أي: يطوفُ على أهل الجنة للخدمَةِ وِلْدانٌ من وِلْدانِ الجنة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾، أي: على حالةٍ واحدةٍ مُخَلَّدُون عليها، لا يَتَغيَّرون عنها، لا تَزيد أعمارُهم عن تلك السِّنِّ. ومن فَسَّره بأنهم مُخَرَّصُون في آذانهم الأقرطة فإنما عبَّر عن المعنى بذلك، لأن الصغير هو الذي يليقُ له ذلك دُونَ الكبير. وقولُه تعالى: ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قَضاء حوائج السادة وكَثْرَتهم، وصباحةِ وجُوههم، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحُلِيِّهم، حَسِبتهم لؤلؤاً منثوراً. ولا يكون في التشبيه أحسنَ من هذا، ولا في المنظر أحسنَ من اللؤلؤ المنثور على المكانِ الحسن. قال قتادةُ، عن أبي أيُّوبَ، عن عبد الله بن عَمرو: ما مِن أهلِ الجنةِ من أحدٍ إلا يسعَى عليه ألفُ خادم، كلُّ خادمٍ على عَمَل ما عليه صاحبُه. وقولُه جلا وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ﴾، أي: وإذا رأيتَ يا محمدُ ﴿ثَمَّ﴾، أيْ: هناك، يعني الجنّةَ ونعيمها وسَعَتها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسرور، ﴿رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾، أي: مملكةً لله هُناكَ عظيمةً وسُلطاناً باهراً.

[٧١٢٢] وثبت في الصحيح: «أن الله تعالى يقولُ لآخر أهلِ النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: إن لك مثلَ الدنيا وعشرَة أمثالها»[١].

[٧١٢٣] وقد قدَّمنا في الحديث المرويّ من طريق ثُوَير بن أبي فاختةَ، عن ابن عُمَر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أدنى أهلِ الجنة منزلةً لمن ينظر في مُلكه مسيرةَ ألفَي سنةٍ ينظُر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه»[٢]. فإذا كان هذا عطاءَه تعالى لأدنى مَن يكون في الجنة، فما ظَنُّك بما هو أعلى منزلةً، وأحظى عنده تعالى.

[٧١٢٤] وقد رَوَى الطبراني ها هنا حديثاً غَريباً جدًا فقال: حدَّثنا علي بن عبد العزيز، حدَّثنا محمد ابن عَمَّار الموصلي، حَدَّثنا عُقبة بن سالم، عن أيوب بن عُتبةَ، عن عطاء، عن ابن عُمَر قال: جاء رجلٌ من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسولُ الله: «سَل واستفهم». فقال: يا رسولَ الله! فُضِّلتُم علينا بالصُّوَر والألوانِ والنبوَّة، أفرأيتَ إن آمنت بما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إني لكائن معك في الجنة؟ قال:

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) ضعيف لضعف ثوير، وتقدم في القيامة: ٢٣.

«نعم، والذي نفسي بيده إنه لَيُرَى بياضُ الأسودِ في الجنة في مسيرةِ ألفِ عام. ثم قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عَهدٌ عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كُتِب له مئة ألف حسنة، وأربعةٌ وعشرونَ ألفَ حسنةٍ. فقال رجل: كيفَ نَهلِك بعد هذا يا رسول الله؟! فقال رسولُ الله ﷺ: «إن الرجُل ليأتي يومَ القيامة بالعمل لو وُضِع على جَبَل لأثقله، فتقوم النعْمةُ ـ أو: نِعَم الله ـ فتكاد تَستنفِدُ ذلك كُلَّه، إلا أن يَتَغَمّده الله برحمته». ونزلت هذه السورة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، فقال الحبشي: وإن عيني لتَرى ما ترى عيناكَ في الجنة؟ قال: «نعم». فاستبكى حتى فاضت نفسُه. قال ابن عُمر: فلَقد رأيت رسول الله ﷺ يُدليه في حُفرته بيده[1].

وقولُه جل جلاله: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، أي: لباسُ أهلِ الجنّة فيها الحريرُ، ومنه سُندسٌ، وهو رفيعُ الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإستبرق منه ما فيه بَريقٌ ولَمَعان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللُّبس، ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وهذه صفةُ الأبرارِ، وأما المُقرّبُون فكما قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾. ولما ذكر الله تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، أي: طَهّر بواطنهم من الحَسَد والغِلّ والأذى وسائر الأخلاق الرديّة، كما رَوينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: إذا انتهى أهلُ الجنة إلى باب الجنةِ وَجَدوا هنالك عينيَن، فكأنما أُلهِمُوا ذلك، فشربوا من إحداهما فأذهبت ما في بطونهم من أذًى، ثم اغتسلُوا من الأخرى فَجَرت عليهم نَضرَةُ النعيم. فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾، أي: يُقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]، وكقوله: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وقولُه: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾، أي: جَزاكم الله على القليلِ بالكثير.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

يقول تعالى مُمتنًا على رسولِهِ ﷺ بما نَزّله عليه من القُرآن العظيم تنزيلاً: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، أي: كما أكرمتُكَ بما أنزلتُ عليك فاصبر على قَضائِه وقَدَرِه، واعلم أنه سَيُدَبِّرك بحُسن تدبيره، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، أي: لا تُطِعِ الكافرين والمنافقين إن أرادُوا صَدّك عما أُنزِلَ إليك، بل بَلّغ ما أنزل إليك من رَبّك. وتوكّل على الله؛ فإن الله يَعصِمُك من الناس. فالآثم هو الفاجرُ في أفعاله، والكفورُ هو الكافر بقلبه. ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾، أي: أولَ النهار وآخِرَه. ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾، كقوله

(١) ضعيف. وتقدم في النساء: ٦٩.

تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]، وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾.

ثم قال تعالى منكراً على الكُفّار ومَن أشبههم في حُبّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وتَرْكِ الدار الآخرة وراء ظُهورهم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾، يعني يوم القيامة. ثم قال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾، قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وغيرُ واحد: يعني خَلْقَهم. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾، أي: وإذا شئنا بعثناهم يومَ القيامة، وبَدّلناهم فأعدناهم خَلْقاً جديداً. وهذا استدلال بالبَدْأةِ على الرجعة. وقال ابنُ زيد، وابنُ جرير: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم. كقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء: ١٣٣]، وكقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٦ ـ ١٧].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾، يعني السورة ﴿تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾أي طريقاً ومسلكاً، أي: مَن شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء: ٣٩].

ثـم قـال تـعـالـى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾، أي: لا يقدر أحدٌ أن يَهدِيَ نفسه، ولا يدخل في الإيمان، ولا يجرُّ لنفسه نفعاً، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾، أي: عليم بمن يستَحِق الهداية فَيُيَسّرها له، ويُقَيِّض له أسبابها، ومن يستحقُ الغَوَاية فيصرفُه عن الهدى، وله الحِكمَةُ البالغة، والحجّةُ الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾، أي: يهدي مَن يشاء ويُضِلُّ مَن يشاء، ومن يَهْدِهِ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له.

آخر سورةِ الإنسان، ولله الحمد والمنة

سورة المرسلات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

وهي مكية

[٧١٢٥] قال البخاري، حدَّثنا عمر بن حفص بن غياث، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمش، حدَّثني إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: بينما نحنُ مع النبي ﷺ، في غار بمنى، إذ نَزَلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾، فإنه ليتلوها وإني لأتلقَّاها من فيهِ، وإنَّ فاه لَرَطْبٌ بها، إذ وَثَبت علينا حَيَّةٌ، فقال النبي ﷺ: «اقتلوها». فابتدرناها فذهَبَت. فقال النبي ﷺ: «وُقِيَتْ شرَّكُم كما وُقِيتُم شرَّها»[١]. وأخرجه مسلم أيضاً، من طريق الأعمش.

[٧١٢٦] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان بن عُيَينة، عن الزّهري، عن عُبَيد الله، عن ابن عباس، عن أُمّه: أنها سَمِعَت النبيّ ﷺ يقرأ في المغرب بالمُرسَلات عُرفاً[٢].

[٧١٢٧] وفي رواية مالك، عن الزّهري، عن عُبَيد الله، عن ابن عباس: أن أُمّ الفضل سَمِعته يقرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾. فقالت: يا بُنَيّ! ذكَّرتني بقراءتِك هذه السورة، إنها لآخِرُ ما سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأُ بها في المغرب[٣]. أخرجاه في الصحيحين، من طريق مالك، به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا زَكريا بنُ سهل المَرْوَزِيُّ، حدَّثنا علي بن الحسن بن شَقِيق، أخبرنا الحُسَين بن واقد، حدَّثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾، قال: الملائكةُ. قال: ورُوي عن مَسرُوقٍ، وأبي الضُحى، ومجاهدٍ ـ في إحدى الروايات ـ والسُّدّي، والربيع ابن

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ١٨٣٠ و ٤٩٣٤ ومسلم ٢٢٣٤ و ٢٢٣٥ وأحمد ٤٢٨/١ والطبراني ١٠١٤٩ والحاكم ٤٥٣/١ وابن حبان ٧٠٨.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣٣٨/٦ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٦٣ و ٤٤٢٩ ومسلم ٤٦٢/١٧٣ وأبو داود ٨١٠ والترمذي ٣٠٨ والنسائي ٩٨٦ وفي «التفسير» ٦٦١ وابن ماجه ٨٣١.

أنس، مثلُ ذلك. ورُويَ عن أبي صالح أنه قال: هي الرُّسُل. وفي رواية عنه: هي الملائكةُ. وهكذا قال أبو صالح في ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ﴾، و ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾، و ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ﴾، و ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ﴾: أنها الملائكة. قال الثوري، عن سَلَمة بن كُهَيل، عن مُسلم البَطِين، عن أبي العُبَيدَين قال: سألتُ ابنَ مسعود عن ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾، قال: الريح. وكذا قال في: ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾: إنها الريح. وكذا قال ابن عباس، ومجاهدٌ، وقتادةُ، وأبو صالح ـ في رواية عنه ـ وتوقف ابنُ جرير في ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١﴾: هل هي الملائكة أرسلت بالعُرْف، أو كعُرْف الفَرَس يتبع بعضُهم بعضاً؟ أو: هي الريح إذا هَبَّت شيئاً فشيئاً؟ وقَطَع بأن العاصفاتِ عصفاً هي الرِّياحُ، كما قاله ابنُ مسعود ومَن تابعه. وممن قال ذلك في العاصفاتِ أيضاً: عليُّ بن أبي طالب، والسُّدِّي، وتوقف في ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾، هل هي الملائكة أو الريح؟ كما تقدم. وعن أبي صالح: أن النَّاشراتِ نشراً: المطر. والأظهر أن «المرسلات» هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]. وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عَصفت الرِّيحُ إذا هَبَّت بتصويت، وكذا الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاقِ السماء، كما يشاءُ الربُّ عزَّ وجلَّ. وقوله تعالى: ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾، يعني: الملائكة. قاله ابنُ مسعود، وابنُ عباس، ومسروق، ومجاهدُ، وقتادةُ، والربيعُ بن أنس، والسُّدِّي، والثوري. ولا خلاف ها هنا؛ فإنها تنزلُ بأمر الله على الرسل، تُفَرِّق بين الحقِّ والباطل، والهدى والغيِّ، والحلالِ والحرام، وتُلقي إلى الرسل وَحياً فيه إعذارٌ إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾: هذا هو المُقسَم عليه بهذه الأقسام، أي: ما وُعِدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصُّور، وبَعثِ الأجساد، وجَمع الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد، ومجازاة كُلِّ عاملٍ بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إن هذا كله ﴿لَوَٰقِعٞ﴾، أي: لكائنٌ لا محالَةَ. ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾، أي: ذَهَب ضوؤُها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير: ٢]. وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ [الانفطار: ٢]. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾، أي: انفطرت وانشقَّت، وتدلَّت أرجاؤُها، وَوَهت أطرافها. ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾، أي: ذُهِبَ بها، فلا يبقى لها عينٌ ولا أثرٌ، كقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ۝٤٧﴾ [الكهف: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: جُمعت. وقال ابنُ زيدٍ: وهذه كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾. وقال مجاهد: ﴿أُقِّتَتۡ﴾: أجلت. وقال الثوري، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿أُقِّتَتۡ﴾: أوعِدَت. وكأنه يجعلُها كقوله تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٦٩﴾ [الزمر: ٦٩]. ثم قال تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾، يقول تعالى: لأيِّ يوم أُجلت الرُّسل وأُرجِيءَ أمرها؟ حتى تَقوم الساعة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ۝٤٧ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٧ ـ ٤٨]. وهو يومُ الفصل، كما قال تعالى: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾. ثم قال تعالى مُعظِّماً لشأنه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾، أي: ويلٌ لهم من عذابِ الله غداً. وقد قَدَّمنا في الحديث أن «ويل»: وادٍ في جهنم. ولا يصحُّ[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾، يعني من المكذِّبين للرُسل المخالِفين لما جاؤوهم به، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾، أي: ممّن أشبههم. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. قاله ابن جرير. ثم قال تعالى ممتنًا على خَلْقِه ومُحتجًا على الإعادة بالبذاءة: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: ضَعيفٍ حقير بالنسبة إلى قُدرةِ الباري عزَّ وجلَّ، كما تقدم في سورة ﴿يسٓ﴾ في حديث بُسْر بن جِحَاش:

[٧١٢٨] «ابن آدم، أنّى تُعجِزُني وقد خلقتُك من مثل هذه؟!»[١].

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾، يعني: جَمَعناه في الرَّحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرَّحم مُعَدٌّ لذلك، حافِظٌ لما أُودِعَ فيه من الماء. وقولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾، يعني إلى مُدّةٍ مُعيّنة من ستةِ أشهُر أو تسعةِ أشهُر. ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾، قال ابنُ عباس: ﴿كِفَاتًا﴾: كِنًّا. وقال مجاهدٌ: يُكفَتُ المَيت فلا يُرى منه شيء. وقال الشعبيُّ: بطنها لأمواتكم، وظهرُها لأحيائكم. وكذا قال مجاهد وقتادة. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾، يعني: الجبالَ أُرسِي بها الأرضُ لئلا تَميدَ وتضطربَ. ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: عذباً زُلالاً من السحاب، أو ممّا أنبعه الله من عُيونِ الأرض. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾، أي: ويلٌ لمن تأمَّل هذه المخلوقات الدَّالَّةِ على عَظَمة خالقِها، ثم بعد هذا يستمرُّ على تكذيبه وكفره.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

يقولُ تعالى مخاطباً للكُفّار المكذِّبين بالمعاد والجزاء والجنّة والنار، أنهم يُقال لهم يومَ القيامة: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾، يعني لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعِدَ معه دُخانٌ، فَمِن شِدّته وقُوّته أن له ثلاثَ شعَب، ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾، أي: ظلُّ الدُّخان المقابل لِلَّهب لا ظَليلَ هو في نفسه، ولا يُغني من اللهب، يعني ولا يَقِيهم حرَّ اللَّهَب. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾، أي: يتطاير الشَّررُ من لَهَبِها كالقصر. قال ابن مسعود: كالحُصون، وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادةُ، ومالك عن زيد بن أسلم، وغيرهم: يعني أصولَ الشَّجر. ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾، أي: كالإبل السُّودِ. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة، والضَّحّاك. واختاره ابنُ جرير. وعن ابن عباس، ومجاهد،

(١) تقدم تخريجه.

وسعيد بن جُبَير: ﴿جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾: يعني حبال السفن، وعنه ـ أعني ابن عباس ـ ﴿جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ قطعُ نحاس.
وقال البخاري: حَدَّثنا عمرو بن علي، حدَّثنا يحيى، أخبرنا سفيان، عن عبد الرحمن بن عابِسٍ قال: سَمِعتُ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢﴾، قال: كنا نَعمِدُ إلى الخشبة ثلاثةَ أذرُع وفوقَ ذلك، فنرفعه للبناء، فنسميه القَصَر، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾: حبالُ السُّفن، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال. ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٤﴾، ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾، أي: لا يتكلَّمون. ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾، أي: لا يقدرون على الكلام، ولا يُؤذَن لهم فيه لِيَعتذِرُوا، بل قد قامت عليه الحُجّة ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعَرَصَات القيامةِ حالاتٌ، والرَّبُّ تعالى يُخبر عن هذه الحالةِ تارةً، وعن هذه الحالةِ تارةً؛ ليدل على شدّة الأهوال والزلازل يومئذٍ. ولهذا يقولُ بعدَ كلِّ فصلٍ من هذا الكلام: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾. وقولُه تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾: وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعبادِه يقولُ لهم: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾، يعني أنه جَمَعهم بِقُدرته في صعيدٍ واحدٍ، يُسمِعهُم الداعي وينفذُهم البصر. وقولُه تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾: تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ، أي: إن قدرتم على أن تتخلّصوا من قَبضتي، وتَنجُوا من حُكمي فافعلوا، فإنكم لا تَقدِرُون على ذلك، كما قال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن: ٣٣]. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ [هود: ٥٧].

[٧١٢٩] وفي الحديث: «يا عبادي! إنكم لن تبلُغوا نَفْعِي فتنفعُوني، ولن تَبلُغوا ضرِّي فَتَضُروني»[١].

وقد قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا علي بن المنذر الطَّرِيقي الأَودِي، حدَّثنا محمد بن فُضَيل، حدَّثنا حُصَين بن عبد الرحمن، عن حَسَّان بن أبي المخارق، عن أبي عبد الله الجَدَلي قال: أتيتُ بيتَ المقدس، فإذا عُبادة بنُ الصامت، وعبدُ الله بن عمرو، وكعبُ الأحبار يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة: إذا كان يومُ القيامة جَمَع الله الأولين والآخرين بِصَعيدٍ واحدٍ، ينفذُهم البصر ويُسمِعُهم الداعي. ويقول الله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾، اليوم لا ينجو مني جبارٌ عَنيدٌ، ولا شيطانٌ مَرِيدٌ. فقال عبد الله بن عَمرو: فإنّا نُحدِّث يومئذٍ أنه يَخرُج عُنُق من النار فَتنطلِق حتى إذا كانت بين ظهراني الناسِ نادت: أيُّها الناسُ! إني بُعِثتُ إلى ثَلاثَةٍ أنا أعرَفُ بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يُغَيِّبهم عني وَزَرٌ، ولا تُخفيهم عني خافية: الذي جعَل مع الله إلهاً آخرَ، وكلُّ جبّارٍ عنيدٍ، وشيطان مَرِيدٍ. فتنطوي عليهم، فتَقذِف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن عباده المُتَّقين الذين عَبَدُوه بأداء الواجبات، وتَرْكِ المحرمات، أنَّهم يوم القيامةِ يكونُون في جناتٍ وعيونٍ، أي: بخلافِ ما أولئك الأشقياءُ فيه، من ظلِّ اليحمُوم، وهو: الدُّخان الأسودُ

(١) تقدم تخريجه.

المُنتِن. وقوله تعالى: ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾، أي: ومن سائر أنواع الثمار، مَهما طلبُوا وجدُوا، ﴿كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾، أي: يُقال لهم ذلك على سَبيل الإحسان إليهم. ثم قال تعالى مُخبراً خبَراً مستأنفاً: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾، أي: هذا جزاؤنا لم أحسَنَ العَمَل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾، خطاب للمكذّبين بيوم الدين، وأمَرَهم أمْرَ تهديدٍ ووَعيدٍ فقال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾، أي: مُدّةً قليلةً قريبةً قصيرةً، ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾، أي: ثم تُساقُون إلى نار جَهنّم التي تقدَّم ذكرها، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٧٠]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾، أي: إذا أُمِرَ هؤلاء الجهلةُ من الكفار أن يكونُوا من المصلّين مع الجماعة امتنعُوا من ذلك واستكبَرُوا عنه. ولهذا قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾. ثم قال تعالى: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

[٧١٣٠] قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا ابنُ أبي عُمَر، حدَّثنا سفيانُ، عن إسماعيل بن أُمَيّة: سمعتُ رجلاً أعرابيًا بَدَويًا يقول: سَمِعتُ أبا هُرَيْرَة يَرويه: إذا قرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾، فقرأ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فليقل: آمنتُ بالله وبما أنْزَلَ. وقد تقدم هذا الحديث في «سورة القيامة»(١).

آخرُ تفسيرِ سورة «المُرسَلاتِ»، ولله الحمد والمنّة، وبه التوفيق والعصمة

(١) ضعيف، وتقدم في آخر سورة القيامة.

سُورَةُ النَّبَإِ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

وهي مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

يقولُ تعالى مُنكِراً على المشركين في تساؤلهم عن يومِ القيامة إنكاراً لوقُوعها: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾، أي: عن أي شيء يتساءلون؟ عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني: الخبرَ الهائلَ المُفظِعَ الباهر. قال قتادةُ، وابنُ زيدٍ: النبأ العظيم: البعثُ بعدَ الموت. وقال مجاهدٌ: هو القرآن. والأظهر الأول لقوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾، يعني الناس فيه على قولَين مُؤمِنٍ به وكافر. ثم قال تعالى مُتوعِّداً لِمُنكري القيامة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، وهذا تهديدٌ شديدٌ ووَعِيدٌ أكيدٌ. ثم شرع تعالى يُبيِّن قُدرته العظيمةَ على خَلْقِ الأشياء الغَريبة والأمورِ العجيبة الدالة على قُدرته على ما يشاءُ من أمرِ المَعَادِ وغيره، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾﴾، أي: مُمَهَّدة للخلائق ذَلُولاً لهم، قارَّةً ساكنةً ثابتةً، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾، أي: جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبَّتها وقرَّرها، حتى سكنت ولم تَضطرِب بِمَن عليها. ثم قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾، يعني: ذكراً وأُنثى، يستمتع كلٌّ منهما بالآخر، ويحصُل التناسُل بذلك، كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾، أي: قَطْعاً للحركة لِتحصُلَ الراحةُ مِن كثرةِ التَّرداد والسَّعي في المعاشِ في عَرْضِ النهار. وقد تقدَّم مثل هذه الآية في «سورة الفرقان». ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾، أي: يغشَى الناسَ ظلامُه وسوادُه، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس: ٤]، وقال الشاعر:

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيلَ، أو حِينَ نَصَّبَتْ … لَـهُ مِـن حـذَا آذانِـهـا وَهْـوَ جَـانِـحُ

وقال قتادةُ في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾، أي: سَكناً. وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾، أي: جعلناه مُشرِقاً مُنيراً مُضِيئاً، ليتمكَّن الناسُ من التَّصرُّفِ فيه والذَّهاب والمجيءِ للمعاش والتكسُّب والتجارات، وغير ذلك. وقولُه تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾، يعني: السموات السَّبعَ، في اتِّساعها وارتفاعها، وإحكامها وإتقانِها، وتزيينها بالكواكب الثوابِت والسيَّارات. ولهذا قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾، يعني: الشمسَ المنيرةَ على جَميع العالم التي يتوهَّجُ ضوؤها لأهل الأرضِ كُلِّهم. وقولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: الرِّيحُ. وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد، حدَّثنا أبو داود الحَفَرِيُّ، عن سفيانَ، عن الأعمشِ، عن المِنهال عن سعيدِ بن جُبَير، عن ابن عباس: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾، قال: الرِّياحُ. وكذا قال عِكْرِمةُ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، ومقاتلٌ، والكَلبيُّ، وزيدُ بن أسلَمَ، وابنُه عبدُ الرحمن: أنها الرِّياحُ. ومعنى هذا القولِ أنها تستدرُّ المَطَر من السَّحابِ. وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾، أي: مِن السَّحابِ، وكذا قال عِكْرمة أيضاً، وأبو العالية، والضَّحَّاك، والحسن، والرَّبيعُ بن أنس، والثوريُّ. واختاره ابن جرير. وقال الفرَّاء: هي السحاب التي تَتَحلَّبُ بالمطر ولم تُمطر بعدُ، كما يُقال: امرأةٌ مُعْصِرٌ: إذا دنا حَيضُها ولم تَحض. وعن الحسنِ، وقتادةَ: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: يعني السَّماواتِ. وهذا قولٌ غريبٌ. والأظهرُ أن المرادَ بالمُعصِرات السَّحابُ، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٨]، أي: من بينه. وقوله جلَّ وعلا: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾، قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والرَّبيعُ بن أنس: ﴿ثَجَّاجًا﴾: مُنصبًا. وقال الثوري: مُتَتابعاً. وقال ابنُ زيدٍ: كَثيراً. قال ابن جرير: ولا يُعرَف في كلام العرب في صفة الكثرة الثَّجُّ، وإنما الثَّجُّ: الصبُّ المتتابع.

[٧١٣١] ومنه قول النبي ﷺ: «أفضلُ الحجِّ العجُّ والثجُّ»[1]. يعني: صبَّ دِماءِ البُدْنِ. هكذا قال.

[٧١٣٢] قلتُ: وفي حديثِ المستحاضَة حِين قال لها رسولُ الله ﷺ: «أَنعتُ لَكِ الكُرسُفَ» ـ يعني أن تَحتَشِي بالقُطن ـ قالت: يا رسولَ الله! هو أكثرُ من ذلك، إنما أَثُجُّ ثَجًّا[1]. وهذا فيه دلالة على استعمالِ الثَّجِّ في الصَّبِّ المتتابع الكثير، والله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾، أي: لِنُخرجَ بهذا الماءِ الكثير الطيِّب النافع المُبارَكِ ﴿حَبًّا﴾ يُدَّخر للأناسيِّ والأنعام، ﴿وَنَبَاتًا﴾، أي: خَضِراً يُؤكَل رَطْباً، ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾، أي بساتين وحدائقَ من ثمرات مُتنوِّعةٍ، وألوانٍ مختلفة، وطُعُوم وروائحَ متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدةٍ من الأرض مجتمعاً، ولهذا قال: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾، قال ابن عباس، وغيره: ﴿أَلْفَافًا﴾: مُجتمِعةً. وهذه كقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]... الآية.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾
وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا
يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا
﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

يقولُ تعالى مخبراً عن يوم الفصل، وهو يومُ القيامة، أنه مُؤقَّت بأجلٍ معدودٍ، لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه، ولا يَعلم وقته على التعيين إلا اللهُ عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود:

(١) تقدم في في سورة البقرة.

١٠٤]. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾، قال مجاهد: زُمَراً. قال ابنُ جَرير: يعني: تأتي كلُّ أمةٍ مع رَسُولها، كقولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

[٧١٣٣] وقال البُخاريُّ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾، حدَّثنا محمدٌ، حدَّثنا أبو معاوية، عن الأعمشِ، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيْرَة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بين النفختَين أربعونَ». قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيتُ». قالوا: أربعونَ شهراً؟ قال: «أبيتُ». قال: أربعون سنةً؟ قال: «أبيتُ». قال: «ثم يُنزِلُ الله من السَّماء ماءً فَيَنْبُتونَ كما ينبتُ البقْل، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبلى، إلاَّ عظماً واحداً، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة»(١).

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾، أي: طُرُقاً ومسالِكَ لنزول الملائكةِ، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ٥]. وقال ها هنا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، أي: يُخَيَّل إلى الناظر أنها شيءٌ، وليست بشيءٍ، وبعد هذا تَذهب بالكُلِّية، فلا عينَ ولا أثَرَ، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾، أي: مُرصَدةً، مُعَدَّة ﴿لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾، وهم: المَرَدة العُصاة المخالِفون للرُّسُل، ﴿مَـَٔابًا﴾، أي: مَرْجعاً ومُنقلباً ومَصيراً ونُزُولاً. وقال الحسنُ، وقتادة في قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾، يعني: أنه لا يدخل أحدٌ الجنةَ حتى يجتاز بالنارِ، فإن كان معه جوازٌ نجا وإلا احتُبِسَ. وقال سفيان الثَّوريُّ: عليها ثلاث قَنَاطِر. وقوله تعالى: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾، أي: ماكثين فيها أحقاباً، وهي جمعُ «حُقُبٍ»، وهو: المُدَّة من الزمان. وقد اختلفُوا في مقداره، فقال ابنُ جَرير، عن ابن حُمَيد، عن مِهران، عن سفيان الثوري، عن عَمَّار الدُّهنيِّ، عن سالم بن أبي الجَعد قال: قال عليُّ بن أبي طالب لِهلال الهَجَريِّ: ما تَجدون الحُقُبَ في كتابِ الله المُنزَّل؟ قال: نجده ثمانينَ سنةً، كل سنةٍ اثنا عشرَ شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألفُ سنةٍ. وهكذا رُوِيَ عن أبي هُرَيرة، وعبد الله ابن عَمرو، وابن عباس، وسعيد بن جُبَير، وعَمرو بن ميمُونٍ، والحَسَن، وقتادةَ، والربيع بن أنسٍ، والضحَّاك. وعن الحسن، والسدِّي أيضاً: سبعونَ سنةً كذلك. وعن عبد الله بن عَمرو: الحُقُبُ أربعون سنة. كل يوم منها كألف سنة مما تعدون. رواهما ابنُ أبي حاتم. وقال بُشَير بنُ كعب: ذُكِر لي أن الحُقُبَ الواحد ثلاثُمئةِ سنة، كلُّ سنةٍ ثلاثُمئةٍ وستون يوماً، كلُّ يومٍ ألفُ سنةٍ. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

[٧١٣٤] ثم قال ابن أبي حاتم: ذُكِر عن عُمَر بن علي بن أبي بكر الأسْفَذْنيّ: حدَّثنا مَرْوان بن معاوية الفَزَاري، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامةَ، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾، قال: فالحُقُبُ شهرٌ، الشَّهرُ ثلاثون يوماً، والسَّنةُ اثنا عشر شهراً، والسنةُ ثلاثُمئة وستون يوماً، كلُّ يوم منها ألفُ سنةٍ مما تعدون، فالحُقب ثلاثون ألفَ ألفِ سنة(٢). وهذا حديثٌ منكرٌ جدًّا، والقاسِمُ والراوي عنه، وهو جعفرُ بن الزبير، كلاهما متروكٌ.

[٧١٣٥] وقال البزَّار: حدَّثنا محمد بن مِرْدَاس، حدَّثنا سليمان بن مسلم أبو المُعَلَّى قال: سألتُ سليمان

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري وغيره، وتقدم.

(٢) أخرجه الطبراني ٧٩٥٧، وإسناده ضعيف جداً. فيه القاسم صاحب مناكير. وجعفر بن الزبير متروك الحديث كما قال ابن كثير، والصواب في هذا وأمثاله الوقف، وهو متلقى عن أهل الكتاب.

التيميّ هل يخرج من النار أحدٌ؟ فقال: حدَّثني نافعٌ، عن ابن عُمَر، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «والله لا يخرُج من النار أحدٌ حتى يمكُثَ فيها أحقاباً». قال: والحُقْب: بضعٌ وثمانون سنة، والسنة ثلاثمئة وستُّون يوماً مما تعدُّون[1]. ثم قال: سليمان بن مسلم بصريٌّ مشهورٌ.

وقال السدِّي: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾: سَبْعَمِئَةِ حُقبٍ، كل حُقبٍ سبعون سنة، كلُّ سنةٍ ثلاثمئةٍ وستُّون يوماً، كلُّ يوم كألفِ سنةٍ مما تَعدُّون. وقد قال مُقاتل بن حَيّان: إن هذه الآية منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾. وقال خالد بن معدان: هذه الآية وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في أهل التَّوحيدِ. رواهما ابنُ جرير. ثم قال: ويحتملُ أن يكون قولُه تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ مُتعلِّقاً بقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾، ثم يُحدِث الله لهم بعدَ ذلك عذاباً من شكلٍ آخَرَ ونوعٍ آخَرَ. ثم قال: والصحيحُ أنها لا انقضاءَ لها كما قال قتادةُ والرَّبيعُ بن أنس. وقد قال قبلَ ذلك: حدَّثني محمَّدُ بن عبد الرحيم البَرْقي، حدَّثنا عَمرو بن أبي سَلَمة، عن زُهَير، عن سالم: سَمِعتُ الحَسَن يسألُ عن قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾، قال: أما الأحقاب فليس لها عِدَّةٌ إلا الخلودَ في النَّارِ، ولكن ذَكَروا أن الحُقب سبعُون سنةً، كلُّ يوم منها كألفِ سنةٍ مما تعدُّون. وقال سعيد، عن قتادةَ قال الله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾، وهو: ما لا انقطاعَ له، وكلَّما مَضَى حُقْبٌ جاء حُقْبٌ بعدَه، وذكر لنا أن الحُقبَ ثمانون سنة. وقال الربيع بن أنس: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾: لا يعلم عِدَّةَ هذه الأحقابِ إلا الله عز وجل، ولكن الحُقب الواحدَ ثمانون سنة، والسَّنةُ ثَلاثُمِئَةٍ وسِتُّون يوماً، كلُّ يوم كألفِ سنةٍ مما تعدون. رواهما أيضاً ابنُ جرير.

وقولُه تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾، أي: لا يَجدُون في جَهنَّم برداً لِقُلوبهم، ولا شراباً طَيِّباً يَتَغذَّون به. ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾، قال أبو العالية: استثنى من البرد الحميمَ ومن الشراب الغَسَّاق. وكذا قال الربيعُ بن أنس. فأما الحميمُ فهو الحار الذي قد انتهى حَرُّه وحُمُوُّه. والغَسَّاق: هو ما اجتمع من صديد أهلِ النار وعَرَقهم ودُمُوعهم وجُرُوحهم، فهو بارد لا يُستطاع من برده ولا يُواجَه من نَتْنِه. وقد قَدَّمنا الكلامَ على الغَسَّاقِ في سورة ﴿صٓ﴾ بما أغنى عن إعادته، أجارنا الله من ذلك، بمنِّه وكَرَمِه.

قال ابنُ جريرٍ: وقِيلَ: المرادُ بقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾، يعني: النومَ، كما قال الكِنديُّ:

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَلَيَّ فَصَدَّني ... عنها وعَنْ قُبُلاتِها، البَرْدُ

يعني بالبرد: النُّعاسَ والنَّومَ. هكذا ذكره ولم يَعْزُه إلى أحدٍ. وقد رَوَاه ابن أبي حاتم، من طريق السُّدِّي، عن مُرَّة الطَّيِّب، ونَقَله عن مُجاهِدٍ أيضاً. وحكاه البَغَويُّ عن أبي عُبَيدة، والكسائي أيضاً. وقولُه تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾، أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العُقوبة وَفْقُ أعمالِهم الفاسدةِ التي كانوا يعملُونها في الدنيا. قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، وغيرُ واحدٍ. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾، أي: لم يكونوا يعتقدون أنَّ ثَمَّ داراً يُجازَون فيها ويُحاسَبُون، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾، أي: وكانوا يُكذِّبون بِحُجَجِ الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رُسُله، فيقابِلُونها بالتكذيب والمعاندةِ. وقولُه:

---

(١) باطل. أخرجه البزار ٥٣٠٣. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٣٣: فيه سليمان بن مسلم الخشاب، وهو ضعيف جداً اهـ وأمارة الوضع لائحة على هذا الحديث، فإن هناك من يدخل النار لحظات، أو ساعات، أو أياماً، أو شهوراً، وربما سنوات، على قدر أعمالهم. والله تعالى أعلم. وقد ذكر الذهبي هذا الحديث في «الميزان» ٣٥١٣ في ترجمة الخشاب هذا، مع حديث آخر وقال: وهما موضوعان في نقدي.

﴿كِذَّابًا﴾، أي: تكذيباً، وهو مصدرٌ من غير الفعل. قالوا: وقد سُمِع أعرابي يستفتي الفَرّاء على المروة: آلحلقُ أحبُّ إليك أو القِصَّارُ؟ وأنشد بعضُهم:

لَقَد طَالَ ما ثَبَّطَتنِي عن صَحَابَتي ... وعن حِوَجٍ قِضَّاؤُها من شِفَائيَا

وقولُه تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩﴾، أي: وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلَّهم، وكتبناها عليهم، وسَنَجزيهم على ذلك، إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌ. وقولُه تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾، أي: يقال لأهل النار: ذُوقوا ما أنتم فيه، فلن نَزيدَكم إلاَّ عذاباً من جِنسه، ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: ٥٨]. قال قتادةُ، عن أبي أيّوبَ الأزدِيّ، عن عبد الله بن عَمرو قال: لم ينزل على أهل النار آيةٌ أشدُّ مِن هذه: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾. قال: فَهُم في مَزيدٍ من العذاب أبداً.

[٧١٣٦] قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا محمد بن محمد بن مُصعَب الصُّوري، حدَّثنا خالد بن عبد الرحمن، حدَّثنا جَسر بن فَرقد، عن الحَسَن قال: سألتُ أبا بَرْزَة الأسلَمِيَّ عن أشدِّ آيةٍ في كتابِ الله على أهل النار. قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ قرأ: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾، فقال: «هَلَكَ القوم بمعاصيهم الله عزَّ وجلَّ»[(١)]. جَسْرُ بن فَرْقَدٍ ضعيفُ الحديثِ بالكلّية.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦﴾

يقولُ تعالى مُخبِراً عن السُّعَداء وما أعدَّ لهم تعالى من الكرامة والنعيم المُقيم، فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾. قال ابنُ عباس، والضَّحَّاكُ: مُتنزَّهاً. وقال مجاهدٌ، وقتادةُ: فازوا فَنَجوا من النار. والأظهر ها هنا قولُ ابن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿حَدَآئِقَ﴾، وهي البساتين من النخيل وغيرها ﴿وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾، أي: وحُوراً كَواعب. قال ابن عباس ومجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾، أي: نَواهِد، يعنُون: أن ثُدِيَّهنَّ نواهِدُ لم يتدلَّين لأنهن أبكارٌ عُرُبٌ أترابٌ، أي: في سِنٍّ واحدةٍ، كما تقدّم بيانُه في «سورة الواقعة».

[٧١٣٧] قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدَّشتَكي، حدَّثني أبي، عن أبي سفيان عبدِ الرحمن بن عبد بن تميم، حدَّثنا عطيةُ بن سليمان أبو الغيث، عن أبي عبد الرحمن القاسم ابن أبي القاسم الدِّمَشقي، عن أبي أُمامةَ: أنه سَمِعه يُحدِّث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ قُمُص أهلِ الجَنَّةِ لَتبدُو من رِضوان الله، وإن السحابة لتمرُّ بهم فَتُنادِيهم: يا أهل الجنةِ! ماذا تُريدون أن أُمطِرَكم؟ حتى إنها لَتُمطِرُهم الكواعبَ الأترابَ»[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾، قال ابنُ عباس: مملوءةً متتابعةً. وقال عكرمةُ: صافيةً. وقال مجاهدٌ والحسنُ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾: المَلأى المترعَةُ. وقال مجاهدٌ، وسعيد بن جُبَير: هي

---

(١) ضعيف جداً. له علتان: جسر بن فرقد ضعيف جداً كما ذكر ابن كثير رحمه الله. وكذا الحسن ابن دينار. ضعيف. والحديث أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١١٤٦٣ من وجه آخر، وضعفه بشعيب بن بيان.

(٢) ضعيف جداً. أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن ضعيف الحديث صاحب مناكير، وعطية بن سليمان مجهول، والمتن منكر.

المُتابعة. وقولُه تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ كقوله: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣]، أي: ليس فيها كلامٌ لاغٍ عارٍ عن الفائدةِ، ولا إثمٌ كَذِبٍ، بل هي دار السلام، وكلُّ كلام فيها سالم من النَّقص.

وقولُه: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾، أي: هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه، بفضلِه ومَنِّه وإحسانه ورَحمتِه؛ ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾: أي: كافياً وافراً شاملاً كَثِيراً؛ تقولُ العربُ: «أعطاني فأحسبني»، أي: كفاني. ومنه «حَسْبِي الله»، أي: الله كافِيَّ.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾

يُخبر تعالى عن عَظَمته وجلاله، وأنه ربُّ السماواتِ والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرَّحمنُ الذي شَمَلت رحمتُه كلَّ شيءٍ. وقولُه تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، أي: لا يَقدِرُ أحدٌ على ابتداءِ مُخاطبته إلاَّ بإذنه، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾: اختلف المفسرون في المراد بالرُّوح ها هنا، ما هو؟ على أقوال:

أحدها: ما رواه العَوفِيُّ، عن ابن عباس: أنهم أرواح بني آدم.

الثاني: هم بنو آدمَ، قاله الحسنُ، وقتادةُ. وقال قتادة: هذا مما كان ابنُ عباس يكتمُه.

الثالث: أنهم خَلْقٌ من خَلْقِ الله، على صُوَرِ بني آدَمَ، وليسُوا بملائكةٍ ولا بِبَشَرٍ، وهم يأكُلون ويشربُون. قاله ابن عباس، ومجاهدٌ، وأبو صالح، والأعمش.

الرابع: هو جبريل. قاله الشعبي، وسعيد بن جُبَير، والضَّحّاك. ويُستَشهدُ لهذا القولِ بقولِه عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤]. وقال مقاتل بن حَيَّان: الروحُ أشرفُ الملائكة، وأقربُ إلى الرَّبِّ ـ عزَّ وجلَّ ـ وصاحبُ الوحي.

والخامس: أنه القرآن. قاله ابنُ زيد، كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].. الآية.

والسادس: أنه مَلَكٌ من الملائكةِ بِقَدْرِ جميع المخلوقات؛ قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾، قال: هو مَلَكٌ من أعظَم الملائكة خَلْقاً.

وقال ابنُ جرير: حدَّثني محمد بن خَلَف العسقلاني، حدَّثنا رَوّاد بن الجَرّاح، عن أبي حمزَة، عن الشعبيِّ، عن عَلْقَمة، عن ابن مسعودٍ قال: «الروحُ في السماء الرابعةِ هو أعظَمُ من السماوات ومن الجبالِ ومن الملائكة، يُسَبح كلَّ يوم اثني عشرَ ألفَ تسبيحةٍ، يَخلُق الله تعالى من كلِّ تسبيحة مَلَكاً من الملائكةِ يَجيء يومَ القيامةِ صَفًّا وحدَه»[1]، وهذا قولٌ غريبٌ جدًّا.

[٧١٣٨] وقد قال الطَّبَراني: حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عُرْس المِصري، حدَّثنا وهبُ الله بن رزق أبو هريرة، حدَّثنا بِشرُ بن بَكر، حدَّثنا الأوزاعيُّ، حدَّثني عطاءٌ، عن عبد الله بن عباس: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ

(١) لا أصل له عن ابن مسعود، رواد روى مناكير، وأبو حمزة هو ميمون القصاب متروك الحديث.

يقول: «إن لله مَلَكاً لو قيل له: الْتقِم السماوات السبع والأرَضِينَ بِلُقمةٍ واحدةٍ لَفَعَل، تسبيحُه: سبحانَك حيثُ كنت»(١). وهذا حديثٌ غريبٌ جداً، وفي رَفْعِهِ نَظَر، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس، ويكونُ مما تلقاه من الإسرائيليّات، والله أعلم. وتَوَقَّفَ ابنُ جرير فلم يَقطع بواحد من هذه الأقوال كُلِّها، والأشبه ـ والله أعلم ـ أنهم بنو آدَمَ.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، كقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

[٧١٣٩] وكما ثَبَت في الصحيح: «ولا يَتكلَّم يومئذٍ إلا الرسلُ»(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، أي: حقًّا، ومن الحقِّ: «لا إله إلا الله»، كما قاله أبو صالح، وعِكْرِمة.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾، أي: الكائنُ لا محالَةَ، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾، أي: مَرْجِعاً وطريقاً يهتدي إليه، ومنهجاً يمرُّ به عليه.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يعني: يومَ القيامة، لتأكُّد وقُوعه صار قريباً، لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ آتٍ. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي: يُعرضُ عليه جميعُ أعمالِه، خيرُها وشرُّها، قديمُها وحَدِيثُها، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وكقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، أي: يَودُّ الكافرُ يومئذٍ أنه كان في الدار الدنيا تُراباً، ولم يكن خُلِقَ، ولا خَرَج إلى الوجود. وذلك حين عايَنَ عذابَ الله، ونَظَر إلى أعمالِه الفاسدةِ قد سُطِّرت عليه بأيدي الملائكةِ السَّفَرة الكرام البَرَرةِ. وقيل: إنما يَوَدُّ ذلك حين يحكُم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فَيفصِلُ بينها بحُكمِه العَدْلِ الذي لا يَجُور، حتى إنه لَيَقتصُّ للشاةِ الجَمَّاءِ من القَرْنَاء. فإذا فَرَغ من الحكم بينها قال لها: كُوني تُراباً. فَتَصِير تُراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، أي: كنتُ حيواناً فأرجِعُ إلى التراب. وقد وَرَد معنى هذا في حديثِ الصُّور المشهور(٣)، وَوَرد فيه آثارٌ عن أبي هُرَيرة، وعبد الله بن عَمرو، وغيرهما.

آخر تفسيرُ سورة النبأ، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الإسراء، آية: ٨٥.

(٢) تقدم تخريجه، رواه الشيخان.

(٣) تقدم تخريجه مستوفياً.

سورة النازعات

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

وهي مكيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ
(١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾

قال ابنُ مسعود، وابنُ عباس، ومسروقٌ، وسعيد بن جُبَير، وأبو صالح، وأبو الضُّحَى، والسُّدِّي: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)﴾: الملائكةُ، يَعنُون حين تنتزع أرواحَ بني آدم، فمنهم من تأخذ رُوحَه بعُسْرٍ فتُغرق في نزعها، ومَن تأخذ رُوحه بسهولة وكأنما حَلّته من نشاطٍ، وهو قولُه: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)﴾ قاله ابن عباس. وعن ابن عباس: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: هي أنفس الكُفّار، تُنزَع ثم تُنشط، ثم تُغرَق في النار. رواه ابنُ أبي حاتم. وقال مجاهدٌ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١)﴾: الموتُ. وقال الحسن، وقتادة: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: هي النجومُ. وقال عطاءُ بن أبي رَباح في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ و﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾: هي القِسيُّ في القتال. والصحيح الأول، وعليه الأكثرون. وأما قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)﴾ فقال ابنُ مسعود: هي الملائكة. ورُوِي عن عليٍّ، ومجاهدٍ، وسعيد بن جُبَير، وأبي صالح مثلُ ذلك. وعن مجاهدٍ: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)﴾: الموتُ. وقال قتادةُ: هي النجومُ. وقال عطاءُ بن أبي رباح: هي السُّفن. وقوله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)﴾، رُوي عن علي، ومسروقٍ، ومجاهدٍ، وأبي صالح، والحسن البصريِّ: يعني الملائكةَ؛ [قال] الحسنُ: سَبقت إلى الإيمانِ والتصديق به. وعن مجاهدٍ: الموت. وقال قتادةُ: هي النجومُ. وقال عطاء: هي الخيلُ في سبيل الله. وقولُه تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)﴾، قال علي، ومجاهدٌ، وعطاءٌ، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيعُ بن أنس، والسُّدِّي: هي الملائكة ـ زاد الحسن: تُدَبِّر الأمرَ من السماء إلى الأرض. يعني بأمر ربِّها عزَّ وجلَّ. ولم يختلفوا في هذا، ولم يقطع ابنُ جرير بالمراد في شيء من ذلك، إلا أنه حَكَى في ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)﴾ أنها الملائكةُ، ولا أثبتَ ولا نَفَى. وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، قال ابن عباس: هما النَّفختان الأُولى والثانية. وهكذا قال مجاهدٌ، والحسنُ، وقتادةُ، والضَّحَّاكُ، وغيرُ واحد. وعن مجاهدٍ: أما الأولى، وهي قولُه جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)﴾، فكقوله جَلّت عظمتُه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، والثانية، وهي الرادفة، فهي كقوله: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤)﴾ [الحاقة: ١٤].

[٧١٤٠] وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا وكيعٌ، حدَّثنا سفيانُ، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل، عن الطُّفَيل بن أُبيّ بن كعب، عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «جاءت الرَّاجِفَةُ تَتبعُها الرادفةُ، جاء الموتُ بما فيه». فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن جعلتُ صلاتي كلَّها عليكَ؟ قال: «إذاً يكفيكَ الله ما أهَمَّك من دُنياك وآخرتك»[(١)].

[٧١٤١] وقد رواه الترمذيُّ، وابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم، من حديث سُفيانَ الثوري، بإسناده مثلَه، ولفظُ التِّرمذي وابن أبي حاتم: «كان رسولُ الله ﷺ إذا ذَهَب ثُلُثا اللَّيلِ قام فقال: «يا أيُّها النَّاسُ! اذكُروا الله، جاءت الرَّاجفةُ تتبعها الرَّادفةُ، جاء الموت بما فيه»[(١)].

وقولُه تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾، قال ابن عباس: يعني خائفةً. وكذا قال مجاهدٌ، وقتادةُ. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩﴾، أي: أبصارُ أصحابِها وإنما أُضِيفَ إليها للملابسة. أي: ذليلةٌ حَقيرةٌ؛ مما عايَنَت من الأهوال. وقولُه تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠﴾، يعني مشركي قُرَيشٍ ومن قال بقولهم في إنكار المعادِ، يَستبعِدُون وُقُوعَ البعثِ بعد المصير إلى الحافِرة، وهي القُبور، قاله مجاهدٌ. وبعدَ تمزُّق أجسادهم وتَفتُّتِ عِظامهم ونُخُورِها، ولهذا قالوا: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝١١﴾. وقرىء: ناخرة. وقال ابنُ عباس، ومجاهِدٌ، وقتادةُ: أي بالية. قال ابن عباس: وهو العظم إذا بَلِي ودَخَلت الريحُ فيه. ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾. وعن ابن عباس، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جُبَير، وأبي مالك، والسُّدِّي، وقتادةُ: الحافرة الحياة بعد الموت. وقال ابنُ زيد: الحافرة: النارُ. وما أكثَرَ أسماءَها! هي: النار، والجَحيم، وسَقَرُ، وجهنَّمُ، والهاويةُ، والحافرةُ، ولَظَى، والحُطَمَةُ. وأمَّا قولُهم: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾، فقال محمد بن كعب: قالت قُرَيشٌ: لَئِن أحيانا الله بعدَ أن نموت لنَخسرنَّ. قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾، أي: فإنما هو أمرٌ من الله لا مَثْنَويَّة فيه ولا تأكيدَ فإذا الناسُ قيامٌ ينظرون، وهو أن يأمر [الله] تعالى إسرافيلَ فينفُخَ في الصّور نفخةَ البعثِ، فإذا الأولون والآخِرون قيامٌ بين يَدَي الربِّ ـ عزَّ وجلَّ ـ ينظرون، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]. قال مجاهد: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣﴾: صيحةٌ واحدةٌ. وقال إبراهيم التَّيميُّ: أشدُّ ما يكون الرَّبُّ غَضباً على خَلقِهِ يومَ يبعثُهم. وقال الحسن البصري: زَجرةٌ من الغَضَبِ. وقال أبو مالك، والرَّبيعُ بن أنسٍ: زَجرةٌ واحدةٌ: هي النَّفخةُ الآخرة. وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾، قال ابنُ عباس: «الساهرة» الأرضُ كلُّها. وكذا قال سعيد بن جُبَير، وقتادةُ، وأبو صالح. وقال عِكرمةُ، والحسنُ، والضحَّاك، وابنُ زيد: «الساهرة» وجه الأرض. وقال مجاهدٌ: كانوا بأسفلها فأُخرِجُوا إلى أعلاها، قال: «الساهرة»: المكان المستوِي. وقال الثَّوريُّ: «الساهرة»: أرضُ الشام، وقال عثمانُ بن أبي العاتكة: «الساهرة»: أرضُ بيتِ المقدسِ. وقال وهب بن مُنَبِّه: «الساهرة»: جبلٌ إلى جانب بيت المقدسِ. وقال قتادة أيضاً: «الساهرة»: جَهَنَّم. وهذه أقوالٌ كلُّها غريبةٌ، والصحيح أنها الأرضُ وجهُها الأعلى. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحُسَين، حدَّثنا جِرْزُ بن المبارك الشيخُ الصالحُ، حدَّثنا بِشْرُ بن السَّرِي، حدَّثنا مُصعَبُ بن ثابت، عن أبي حازم، عن سَهلِ بن سعدِ السَّاعديِّ: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾،

---

(١) تقدم في الأحزاب: ٥٦.

قال: أرضٌ بيضاءُ عفراءُ خالية كالخُبزة النقيّ. وقال الربيعُ بن أنس: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ابراهيم: ٤٨]. ويقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طـه: ١٠٥ ـ ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: وبرزت الأرضُ التي عليها الجبالُ، وهي لا تُعَدُّ من هذه الأرض، وهي أرض لم يُعمَل عليها خطيئةٌ، ولم يُهرَق عليها دَمٌ.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

يُخبِرُ تعالى رسولَه محمداً ﷺ عن عَبدِه ورسُوله موسى ـ عليه السلام ـ أنه ابتعثه إلى فِرعَونَ، وأيّده بالمعجزاتِ، ومع هذا استمرّ على كُفره وطُغيانه، حتى أخذه الله أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ. وكذلك عاقبةُ من خَالفك وكَذَّب بما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾. فقولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي: هل سَمِعت بخبره؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾، أي: كلّمه نِداءً، ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، أي: المُطَهّر: ﴿طُوًى﴾، وهو اسم الوادي على الصحيح، كما تقدّم في سُورةِ ﴿طه﴾. فقال له: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾، أي: تَجبّر وتَمرّد وعتَا، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾، أي: قل له: هل لك أن تُجيب إلى طريقةٍ ومَسلكٍ تَزكّى به، أي: تُسلِم وتُطِيعُ. ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، أي: أدلّك إلى عبادةِ ربّك، ﴿فَتَخْشَىٰ﴾، أي: فيصيرَ قلبُك خاضعاً له مُطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسِياً خَبِيثاً بَعيداً من الخير. ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، يعني: فأظهر له موسى مع هذه الدعوةِ الحقّ حُجّةً قويةً ودليلاً واضحاً على صِدْقِ ما جاءه به من عندِ الله، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾، أي: فَكَذّب بالحقّ وخالف ما أمره به من الطاعةِ. وحاصلُه أنه كَفر قلبُه فلم ينفعِل لِموسى بباطِنه ولا بظاهِره، وعِلْمُهُ بأنّ ما جاء به أنه حقٌّ لا يَلْزَم منه أنه مؤمن به؛ لأن المعرفةِ علمُ القلبِ، والإيمانَ عملُه، وهو الانقيادُ للحقّ والخضوع له.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾، أي: في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعهُ السَّحرةَ لِيقابلُوا ما جاء به موسى ـ عليه السلام ـ من المعجزةِ الباهرةِ، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾، أي: في قومه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾. قال ابن عباس، ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فِرعون بعد قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾، بأربعين سنة. قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾، أي: انتقم منه انتقاماً جعَله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المُتمرّدين في الدنيا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١]. هذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾، أي: الدنيا والآخرة. وقيل: المراد بذلك كَلِمتاه الأولى والثانية. وقيل: كُفره وعِصيانه. والصحيحُ الذي لا شكّ فيه الأول. وقولُه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾، أي: يتّعظ وينزَجِر.

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

يقولُ تعالى محتجًا على مُنكِري البعث في إعادة الخَلق بعد بَدئه: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أيُّها النَّاسُ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾؟ يعني: بل السماء أشدُّ خلقاً منكم، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٨١]. فقوله: ﴿بَنَىٰهَا﴾ فسَّره بقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾، أي: جعلها عاليةَ البناءِ، بعيدةَ الفِناءِ، مُستَوِيَة الأرجاءِ، مُكَلَّلةً بالكواكبِ في الليلة الظَّلماءِ. وقولُه تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾، أي: جَعَل ليلها مُظلِماً أسودَ حالِكاً، ونهارَها مُضِيئاً مُشرِقاً نَيِّراً واضحاً. قال ابنُ عباس: أغطش ليلَها. أظلَمَهُ. وكذا قال مجاهدٌ، وعِكرِمةُ، وسعيد بن جُبير، وجماعةٌ كثيرون. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾، أي: أنار نَهارَها. وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾، فسَّره بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾، وقد تقدَّم في سورة ﴿حمٓ﴾ السجدة، أن الأرض خُلِقت قبل السماء، ولكن إنما دُحِيت بعد خَلْقِ السماء، بمعنى أنه أُخرِجَ ما كانَ فيها بالقُوَّة إلى الفعلِ. وهذا معنى قولِ ابن عباس، وغير واحد، واختاره ابنُ جرير، قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن جَعْفَرِ الرَّقي، حدَّثنا عُبَيد الله ـ يعني ابن عَمْرو ـ عن زيد بن أبي أُنيسة، عن المنهال بن عَمْرو، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: ﴿دَحَىٰهَآ﴾: وَدَحْيُها أن أخرجَ منها الماء والمرعى، وشَقَّق فيها الأنهار، وجَعَل فيها الجبالَ والرِّمالَ والسُّبُلَ والآكام، فذلك قولُه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾، وقد تقدَّم تقريرُ ذلك هنالك. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾، أي: قَرَّرها وأثبتها وأكَّدها في أماكنها، وهو الحكيمُ العليمُ. الرؤوف بخلقه الرحيمُ.

[٧١٤٢] قال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيدُ بن هارون، أخبرنا العَوَّام بن حَوشب، عن سُلَيمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النبيِّ ﷺ قال: «لما خَلَق الله الأرض جَعلت تَميد، فَخلق الجِبالَ فألقاها عليها، فاستقرَّت، فَتعجَّبت الملائكةُ من خَلق الجبالِ فقالت: يا ربِّ! فهل من خلقك شيءٌ أشدُّ من الجبال؟ قال: نعم، الحديدُ. قالت: يا ربِّ! فهل من خَلقِك شيءٌ أشدُّ من الحديدِ؟ قال: نعم، النَّارُ. قالت: يا ربِّ! فهل من خَلقِك شيءٌ أشدُّ من النار؟ قال: نعم، الماءُ. قالت: يا ربِّ! فهل من خَلقِك شيءٌ أشدُّ من الماء؟ قال: نعم، الريحُ. قالت؛ يا ربِّ! فهل من خَلقِك شيءٌ أشدُّ من الريح؟ قال: نعم، ابنُ آدم، يَتصدَّق بيمينه يُخفِيها مِن شماله»[1].

وقال أبو جعفر بن جَرير: حدَّثنا ابنُ حميد، حدَّثنا جَرير، عن عطاءٍ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، عن علي قال: لَما خَلَق الله الأرض قَمَصت وقالت: تخلُق عَلَيّ آدم وذُرِّيته، يُلقون عَليَّ نتنهم ويعمَلون عَلَيَّ بالخطايا؟ فأرساها الله بالجبالِ، فمنها ما تَرَون، ومنها ما لا تَرَون، وكان أولُ قَرارِ الأرض كَلحمِ الجزور إذا نُحِر، يَختَلِجُ لَحمُهُ. غريبٌ جداً.

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾، أي: دَحا الأرضَ فَأنبَع عُيونها، وأظهَرَ مكنونها، وأجرَى أنهارها، وأنبتَ زُروعها وأشجارها وثِمَارها، وثَبَّت جِبالَها لتستقر بأهلِها ويَقِرَّ قرارُها، كلُّ ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلُونها ويركَبُونها مدَّةَ احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهيَ الأمدُ، وينقضِيَ الأجلُ.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ

(١) تقدم في سورة البقرة، آية: ٢٧١.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾، وهو يومُ القيامة. قاله ابنُ عباس، سُمِّيت بذلك لأنها تَطمُّ على كلِّ أمرٍ هائلٍ مُفظِعٍ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]. ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾، أي: حينئذٍ يتذكرُ ابنُ آدم جَميعَ عمله خَيره وشرِّه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾، أي: أُظهِرت للناظرين فرآها الناس عِياناً. ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾، أي: تَمرَّد وعتا، ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾، أي: قدَّمها على أمر دِينه وأُخراه، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾، أي: فإنَّ مصيرَه إلى الجحيم، وإنَّ مطعمه من الزُّقوم ومَشْربه من الحَمِيم. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، أي: خاف القيامَ بينَ يدَي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وخاف حُكْمَ الله فيه، ونَهَى نفسه عن هواها، وردَّها إلى طاعةِ مولاها، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي: مُنقَلَبُه ومَصِيره ومَرجِعُه إلى الجنَّة الفيحاءِ. ثم قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾، أي: ليس علمُها إليك ولا إلى أحدٍ من الخَلْقِ، بل مَردُّها ومَرجعُها إلى الله عزَّ وجلَّ، فهو الذي يعلَمُ وقتَها على التعيين؛ ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال ها هنا ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾.

[٧١٤٣] ولهذا لما سأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن وقتِ الساعةِ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلم من السائل[١].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾، أي: إنما بعثتُك لِتُنذِر الناسَ وتُحذِّرَهم من بأسِ الله وعَذابِه، فمن خَشِي الله وخاف مُقامه ووَعيدَه، اتبعك فأفلحَ وأنجحَ، والخيبةُ والخَسار على مَن كَذَّبك وخالَفك. وقولُه تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾، أي: إذا قاموا من قُبورهم إلى المحشرِ يَستقصِرُون مُدَّة الحياةِ الدنيا، حتى كأنها عندَهم كانت عشيةً مِن يوم أو ضُحَى من يوم. قال جُويبر عن الضحَّاك، عن ابن عبَّاس: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾، أما عَشِيَّةٌ فما بيَن الظُهر إلى غُروبِ الشمس، ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾، ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار. وقال قتادةُ: دَقَّتِ الدنيا في أعينُ القوم حين عايَنُوا الآخرة.

آخرُ تفسيرِ سورةِ «النَّازِعات»، ولله الحمدُ والمنَّةُ

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

سورة عبس

ترتيبها ٨٠ آياتها ٤٢

وهي مكيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

ذَكَر غيرُ واحدٍ من المفسِّرين أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يوماً يُخاطِبُ بعضَ عُظماءِ قُرَيشٍ، وقد طَمَعَ في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أُمِّ مكتوم ـ وكان ممن أسلم قديماً ـ فَجَعل يسألُ رسولَ الله ﷺ عن شيءٍ ويُلِحُّ عليه، ووَدّ النبيُّ ﷺ أن لوْ كفَّ ساعته تلكَ لِيتمكَّنَ من مخاطبة ذلك الرجل؛ طَمَعاً ورغبةً في هدايته. وعَبَس في وَجهِ ابن أم مكتوم وأعرضَ عنه، وأقبلَ على الآخر، فأنزل الله عَزَّ وجلَّ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي: يحصُل له زكاةٌ وطهارةٌ في نفسه، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾، أي: يحصُل له اتِّعاظ وانزجار عن المحارم، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾، أي: أما الغنيُّ فأنت تَتعرَّض له لعلَّه يهتدي، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾؛ أي: ما أنت بمُطالب به إذا لم يحصُل له زكاةٌ. ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾، أي: يَقصِدُك ويؤمُّك لِيَهتدِيَ بما تقول له ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾، أي: تتشاغلُ. ومن هنا أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ رسولَه ﷺ ألاّ يَخُصَّ بالإنذار أحداً، بل يُساوِي فيه بين الشريفِ والضعيفِ، والفقير والغنيِّ، والسَّادةِ والعبيدِ، والرجال والنِّساءِ، والصِّغارِ والكبارِ. ثُمَّ الله تعالى يَهدِي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم، له الحكمةُ والحُجَّةُ.

[٧١٤٤] قال الحافظ أبو يَعْلَى في مُسنَدِه: حدَّثنا محمد ـ هو ابن مَهدِيّ ـ حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمرٌ، عن قتادةَ، عن أنس في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾، جاء ابنُ أم مكتوم إلى النبيِّ ﷺ وهو يُكلِّم أُبيَّ بن خَلَفٍ، فأعرضَ عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، فكان النَّبيُّ ﷺ بعد ذلك يُكرِمُه. قال قتادة: وأخبرني أنس بن مالك قال: رأيتُه يوم القادسيَّةِ وعليه دِرْعٌ ومعه رايةٌ سوداءُ، يعني ابن أمِّ مكتُوم[1].

[٧١٤٥] وقال أبو يَعْلَى وابنُ جَرير: حدَّثنا سَعيد بن يحيى [بن سعيد] الأموي، حدَّثني أبي، عن هشام بن عُرْوَة مما عَرَضَه عليه، عن عُرْوَة، عن عائشة قالت: أُنزِلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ في ابن أُمِّ مكتومٍ

---

(١) صحيح. أخرجه أبو يعلى ٣١٢٣ وإسناده حسن، رجاله ثقات، ويشهد له ما بعده.

الأعمى، أتى إلى رسولِ الله ﷺ فجعل يقول: أَرْشِدْني ـ قالت: وعندَ رسولِ الله ﷺ من عُظَماء المشركين ـ قالت: فَجَعل النبيُّ ﷺ يُعرِض عنه ويُقبِلُ على الآخر، ويقول: «أترى بما أقولُ بأساً؟». فيقول: لا. ففي هذا أُنزِلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ①﴾[1]. وقد رَوَى الترمذيُّ هذا الحديثَ، عن سعيد بن يحيى الأُمَوي، بإسناده، مَثْله، ثم قال: «وقد رَوَاه بعضُهم عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أُنزِلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ①﴾ في ابن أم مكتوم، ولم يذكر فيه عن عائشة». قلت: كذلك هو في الموطأ[2].

[٧١٤٦] ثم رَوَى ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم أيضاً من طريق العَوْفيّ، عن ابن عباس قولَه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، قال: بينا رسولُ الله ﷺ يناجي عُتبةَ بن ربيعةَ، وأبا جهل بنَ هشام، والعباسَ بن عبد المطلب ـ وكان يَتصدَّى لهم كثيراً، ويَحرِصُ عليهم أن يُؤمِنُوا ـ فأقبل إليه رجلٌ أعمى ـ يقال له: عبد الله ابن أُمِّ مكتوم ـ يمشي وهو يُناجيهم، فجعل عبدُ الله يستقرئ النبيَّ ﷺ آيةً من القرآن، وقال: يا رسولَ الله! عَلِّمني مما عَلَّمك الله. فأعرض عنه رسُول الله ﷺ وعَبَس في وجهه، وتَولَّى وكَرِهَ كَلامَه، وأقبل على الآخرين، فلما قَضَى رسولُ الله ﷺ نجواه وأخذ يَنْقَلِب إلى أهله أمسك الله بعض بَصَره، ثم خَفَق برأسِه، ثم أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾. فلما نزل فيه ما نزل، أكرمه رسولُ الله ﷺ وكَلَّمه وقال له النبيُّ ﷺ «ما حاجتُك؟ هل تُريد من شيءٍ؟ وإذا ذَهب مِن عنده قال: هل لك حاجةٌ في شيءٍ؟». وذلك لما أنزل الله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾[3]. فيه غرابةٌ ونكارة، وقد تُكُلِّم في إسنادِه.

[٧١٤٧] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن منصور الرَّمادي، حدَّثنا عبدُ الله بن صالح، حدَّثنا اللَّيثُ، حَدَّثني يونُس، عن ابن شهاب قال: قال سالمُ بن عبد الله، عن عبد الله بن عُمَر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ بلالاً يُؤَذِّن بليل، فكُلوا واشربُوا حتى تسمَعُوا أذانَ ابنِ أُمِّ مكتوم». وهو الأعمى الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، وكان يُؤَذِّن مع بلالٍ، قال سالم: وكان رَجُلاً ضَرِيرَ البصرِ، فلم يَكُ يُؤَذِّن حتى يقول له الناس ـ حين ينظرون إلى بُزُوغ الفجر: أَذِّن[4]. وهكذا ذكر عروةُ بن الزُّبير، ومجاهدٌ، وأبو مالك، وقتادةُ، والضَّحَّاك، وابنُ زيدٍ، وغيرُ واحدٍ من السلف والخَلَفِ: أنَّها نَزَلت في ابن أم مكتوم. والمشهورُ أن اسمه عبد الله، ويقال: عَمرو. والله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪﴾، أي: هذه السُّورةُ، أو الوصيةُ بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم. وقال قتادةُ والسُّدِّي: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑪﴾، يعني القرآن. ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ⑫﴾، أي: فمن شاء ذَكَره الله في جميع أُموره. ويَحْتَمِل عودُ الضمير على الوحي؛ لدلالة الكلام عليه. وقولُه تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ⑬ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾، أي: هذه السورةُ أو العِظَةُ، وكلاهُما متلازمٌ، بل جميع القرآن ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ⑬﴾، أي: مُعظَّمة مُوقَّرة. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾، أي: عاليةِ القَدْرِ، ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي: من الدَّنسِ والزيادة والنقص. وقولُه تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ⑮﴾. قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ والضحاكُ، وابنُ زيدٍ: هي الملائكة.

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٢٨ وأبو يعلى ٤٨٤٨ وصححه الحاكم ٢/ ٥١٤ والطبري ٣٦٣١٨ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٢) هو في الموطأ ١/ ٢٠٣.

(٣) إسناده ضعيف. أخرجه الطبري ٣٦٣١٩. وفيه عطية العوفي ضعيف الحديث، وفي الإسناد مجاهيل.

(٤) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح، لكن أصله محفوظ بشواهده.

وقال وهبُ بنُ مُنبهٍ: هم أصحابُ محمدٍ ﷺ. وقال قتادةُ: هم القُرّاء. وقال ابن جُرَيجٍ، عن ابن عباس: السَّفرة بالنَّبَطِية: القُرّاء. وقال ابنُ جريرٍ: الصحيح أن السفرةَ الملائكةُ، والسَّفَرَةُ يعني بين الله تعالى وبين خَلْقِه، ومنه يُقال: السفيرُ الذي يسعَى بين النّاسِ في الصُّلح والخير، كما قال الشاعر:

ومَا أدعُ السِّفارةَ بينَ قومي ... ومَا أمشي بِغشٍّ إن مَشَيْتُ

وقال البخاريُّ: سَفَرةٌ: الملائكةُ. سَفرتُ: أصلحتُ بينهم. وجُعِلَتِ الملائكةُ إذا نَزَلت بوَحْيِ الله وتأديته كالسفير الذي يُصْلِح بين القوم. وقولُه تعالى: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾، أي: خُلُقهم كريم حَسَن شريف، وأخلاقُهم وأفعالُهم بارّةٌ طاهِرَةٌ كامِلةٌ. ومن ها هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السَّدادِ والرَّشادِ.

[٧١٤٨] قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيلُ، حدَّثنا هشامٌ، عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى، عن سَعدِ بن هِشام، عن عائشة قالت: قال رسولُ الله ﷺ «الذي يقرأُ القرآنَ ـ وهو ماهِرٌ به ـ مع السَّفَرَة الكرامِ البَرَرة، والذي يقرؤه ـ وهو عليه شاقٌّ ـ له أجران»[1]. أخرجه الجماعة من طريق قتادة، به.

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾

يقولُ تعالى ذامًّا لمن أنكرَ البعثَ والنُّشور من بين آدم: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾، قال الضَّحّاك، عن ابن عباس: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: لُعِن الإنسان. وكذا قال أبو مالكٍ. وهذا لِجنسِ الإنسانِ المكذِّب؛ لكثرةِ تكذيبه بِلا مُستنَدٍ، بل بِمُجرَّد الاستبعادِ وعَدَم العلم. قال ابن جُريجٍ: ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾: ما أشدَّ كُفرَه! وقال ابنُ جريرٍ: ويحتمل أن يكون المراد أيّ شيء جعله كافراً؟ أي: ما حَمَله على التكذيب بالمَعَادِ. وقال قتادةُ، وقد حكاه البَغَويُّ عن مُقاتِلٍ والكَلْبِيّ: ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ ما ألعنه! ثم بَيَّن تعالى له كيف خَلَقَه الله من الشيء الحقير، وأنه قادرٌ على إعادته كما بدأه، فقال تعالى: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾، أي: قَدَّر أجله ورِزقَه وعَمَله وشَقِيٌّ أو سعيدٌ. ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾، قال العوفي، عن ابن عباس: ثم يَسَّر عليه خُروجَه من بَطنِ أمه. وكذا قال عِكرمة، والضحّاك، وأبو صالح، وقتادةُ، والسُّدِّي، واختاره ابنُ جرير. وقال مجاهدٌ: هذه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان: ٣]. أي: بيَّنّاه له ووَضحناه وسهّلنا عليه علمه، وهكذا قال الحسنُ وابنُ زيد. وهذا هو الأرجحُ، والله أعلم. وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١﴾، أي: إنه بعد خَلْقِه له ﴿أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾، أي: جَعَله ذا قبرٍ، والعربُ تقول: «قَبرتُ الرجلَ»: إذا ولي ذلك منه، وأقبره الله. «وعَضَبْتُ قَرْنَ الثور، وأعضبه الله، وبترتُ ذَنب البعيرِ وأبتره الله، وطردتُ عني فلاناً، وأطرده الله. أي: جعله طريداً، قال الأعشى:

لَو أسْنَدتْ مَيتاً إلى صَدْرِها ... عَاش وَلم يُنقَل إلى قابِر

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٧ ومسلم ٧٩٨ ح ٢٤٤ وأبو داود ١٤٥٤ والترمذي ٢٩٠٤ والنسائي ٧٠ وفي «التفسير» ٦٦٦ وابن ماجه ٣٧٧٩ وأحمد ٦/٤٨.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾، أي: بعثه بعد موته، ومنه يقال: البعث والنُّشور، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠]، (وانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً)(١).

[٧١٤٩] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أصبغُ بن الفَرَج، أخبرنا ابنُ وهب، أخبرني عَمرو ابن الحارث: أن دَرَّاجا أبا السَّمْح أخبرَ، عن أبي الهيثم، عن أبي سَعِيد، عن النبي ﷺ قال: «يأكُل الترابُ كلَّ شيء من الإنسانَ إلا عَجْبَ ذَنَبِه». قيل: وما هو يا رسول الله؟! قال: «مثل حَبَّة خردل منه تُنشأون»(٢).

[٧١٥٠] وهذا الحديث ثابتٌ في الصحيح من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُريرة، بدون هذه الزيادة، ولفظه: «كلُّ ابنِ آدم يبلَى إلا عَجْبُ الذَّنَبِ، منه خُلِق وفيه يُرَكَّب»(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾﴾، قال ابنُ جَرِير: يقول جل ثناؤه: كَلاَّ، ليس الأمرُ كما يقول هذا الإنسانُ الكافرُ؛ من أنه قد أدَّى حقَّ الله عليه في نفسِه وماله، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ﴾، يقول: لم يُؤدِّ ما فُرِض عليه عز وجل من الفرائِض لِربِّه عزَّ وجلَّ. ثم رَوَى هو وابنُ أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهِدٍ قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾﴾، قال: لا يقضي أحدٌ أبداً كلَّ ما افترِض عليه. وحكاه البَغَوِيُّ عن الحسن البصري، بنحوِ من هذا. ولم أجد للمتقدمين فيه كَلاماً سوى هذا. والذي يَقَعُ لي في معنى ذلك ـ والله أعلم ـ أن المعنى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾، أي: بَعَثه، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾﴾: لا يفعله الآن حتى تنقضِي المُدَّةُ، ويفرغ القَدَر من بني آدم ممن كَتَب تعالى أن سيُوجَدُ منهم ويخرُج إلى الدنيا، وقد أَمَر به تعالى كوناً وقَدَراً، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشَرَ الله الخلائقَ وأعادَهُم كما بدأهم. وقد رَوَى ابنُ أبي حاتم، عن وَهْبِ بن مُنَبِّه قال: قال عُزير ـ عليه السلام ـ: قال الملك الذي جاءني: فإن القبور هي بطنُ الأرض، وإن الأرض هي أمُّ الخلق، فإذا خَلَق الله ما أراد أن يَخلُقَ وتَمَّت هذه القبورُ التي مَدَّ الله لها، انقطعتِ الدنيا ومات من عليها، ولَفَظَت الأرضُ ما في جَوفِها، وأخرجتِ القبورُ ما فيها. وهذا شبيهٌ بما قلنا من معنى الآية، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم بالصواب.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾: فيه امتنانٌ وفيه استدلالٌ بإحياءِ النبات من الأرضِ الهامِدَةِ على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاماً باليةً وتُراباً مُتَمزِّقاً، ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾، أي: أنزلناه من السماء على الأرض، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾، أي: أسكنَّاه فيها فَدَخل في تُخُومها وتَخلَّل في أجزاءِ الحَبِّ المُودَع فيها، فَنَبت وارتفع وظهر على وَجْهِ الأرض، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾، فالحبُّ: كلُّ ما يُذكر من الحبوب، والعِنَبُ معروفٌ، والقَضْبُ هو: الفِصْفِصَة التي تأكلها الدوابُّ رَطْبَةً. ويقال لها: القَتُّ أيضاً. قال ذلك ابنُ عباس، وقتادةُ، والضحَّاك، والسُّدِّي. وقال الحسنُ البصري: القَضْب العَلَفُ. ﴿وَزَيْتُونًا﴾، وهو معروف، وهو أُدْمٌ وعَصِيره أُدْمٌ، ويُستَصْبَحُ به، ويُدَّهن به ﴿وَنَخْلًا﴾ يُؤكَلُ بلحاً بُسراً ورُطَباً، وتَمراً، ونيئاً، ومَطبُوخاً، ويُعتَصَرُ منه رُبٌّ وخَلٌّ. ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾: أي بساتين. قال الحسنُ، وقتادةُ: ﴿غُلْبًا﴾: نخل غلاظٌ كِرامٌ. وقال ابنُ عباس، ومجاهد: «الحدائق»: كل ما التفَّ واجتمَعَ. وقال ابنُ عباس أيضاً ﴿غُلْبًا﴾: الشجر الذي يستظل به. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ أي طوال، وقال عكرمة:

(١) البقرة: ٢٥٩. وهذه قراءة أبي عمرو ونافع وابن كثير.

(٢) إسناده ضعيف لضعف دراج، لكن أصل الحديث محفوظ.

(٣) تقدم في سورة المؤمنون آية ١٤ وسورة فاطر آية ٩.

﴿غُلْبًا﴾، أي: غِلاَظُ الأوساط. وفي رواية: غِلاَظ الرِّقاب، ألم تَرَ إلى الرَّجُلِ إذا كان غَلِيظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلَبُ. رواهُ ابن أبي حاتم، وأنشد ابنُ جَرِير للفرزدق:

عَوَى فَأثارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا ... فَوَيْلُ ابنِ المَراغَةِ ما استثَارا

وقولُه تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، أما الفاكهة فهو ما يتفكَّه به من الثمار. قال ابنُ عباس: الفاكهةُ كُلُّ ما أُكِل رُطباً. والأَبُّ ما أنبتتِ الأرضُ مما تأكله الدوابُّ ولا يأكلُه الناس. وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم. وقال مجاهد، وسعيد بن جُبَير، وأبو مالك: الأَبُّ: الكَلأ. وعن مجاهد، والحسن، وقتادةُ، وابن زيد: الأَبُّ للبهائم كالفاكِهة لبني آدَمَ. وعن عطاءٍ: كلُّ شيءٍ نَبَت على وجهِ الأرضِ فهو أَبٌّ. وقال الضَّحّاكُ: كلُّ شيءٍ أنبتته الأرضُ سِوَى الفاكهةِ فهو أَبٌّ.

وقال ابنُ إدريسَ، عن عاصم بن كُلَيب، عن أبيه، عن ابن عباس: الأَبُّ: نبتُ الأرضِ مما تأكُله الدَّوابُّ ولا يأكله الناس. ورواه ابنُ جرير من ثلاث طُرُق، عن ابن إدريس، ثم قال: حدَّثنا أبو كُرَيب وأبو السائب قالا: حدَّثنا ابنُ إدريسَ، حدَّثنا عبدُ الملك، عن سعيد بن جُبَير قال: عَدَّ ابن عباس سبعاً وقال: الأَبُّ: ما أنبتتِ الأرضُ للأنعام. هذا لفظ أبي كريب وقال أبو السائب في حديث: ما أنبتتِ الأرضُ مما يأكل الناس وتأكُل الأنعام. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس: الأَبُّ الكلأُ والمرعى. وكذا قال مجاهدٌ، والحسنُ، وقتادةُ، وابن زيدٍ، وغير واحد. وقال أبو عُبَيد القاسم بن سلام: حدَّثنا محمد بن يَزِيدَ، حدَّثنا العوام بن حَوشَب، عن إبراهيم التَّيمِيِّ قال: سُئِلَ أبو بكر الصِّدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ عن قولِه تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: أيُّ سماء تُظِلُّني وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إن قلتُ في كتابِ الله ما لا أعلم. وهذا منقطع بين إبراهيمَ التَّيمِيِّ والصِّدِّيق رضي الله عنه. فأما ما رواه ابنُ جَرير حيث قال: حدَّثنا ابن بشار، حدَّثنا ابن أبي عَدِيّ، حدَّثنا حُمَيد، عن أنس قال: قَرَأ عُمَر بنُ الخطاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، قال: عَرَفنا ما الفاكهةُ، فما الأَبُّ؟ فقال: لَعَمْرُك يا بنَ الخطّابِ إنَّ هذا لهو التكلف. فهو إسناد صحيحٌ، وقد رَوَاه غيرُ واحدٍ عن أنسٍ، به. هو محمولٌ على أنه أراد أن يَعرِفَ شكلَه وجِنسَه وعَيْنَه، وإلاّ فهو وكلُّ من قرأ هذه الآية يعلَمُ أنه مِن نَباتِ الأرض، لقوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾. وقولُه تعالى: ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾، أي: عِيشةً لكم ولأنعامِكم في هذه الدَّارِ إلى يومِ القيامة.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ۝٤٢﴾

قال ابنُ عباس: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾: اسمٌ من أسماء القيامة، عَظَّمه الله، وحَذَّره عبادَه. قال ابنُ جَرِير: لعلَّه اسمٌ للنفخةِ في الصُّور. وقال البَغَويّ: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾: يعني صيحةُ القيامةِ، سُمِّيت بذلك لأنها تَصُخُّ الأسماعَ، أي: تُبالغ في إسماعِها حتى تكادُ تُصِمُّها. ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾، أي: يَراهم، ويَفِرُّ منهم، ويبتعِدُ عنهم، لأن الهولَ عظيمٌ، والخَطْبَ جليلٌ. قال عِكْرِمةُ: يَلْقى الرَّجُل زوجتَه فيقولُ لها: يا هذه! أيَّ بعلٍ كُنتُ لكِ؟ فتقول: نعم البعلُ كنتَ! وتُثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلبُ إليك اليومَ حسنةً واحدةً تَهَبِينَها لي لعلِّي أنجو مما تَرَينَ. فتقول له: ما أيسَرَ ما طلبتَ، ولكني لا أُطِيق أن أُعطيك

شيئاً أتخوّف مِثْلَ الذي تخاف. قال: وإنَّ الرجلَ لَيَلْقى ابنَه فيتعلّق به فيقول: يا بُنَيّ! أيّ والدٍ كنتُ لك؟ فَيُثني بخير. فيقولُ له: يا بُنَيّ! إني احتجتُ إلى مثقالِ ذَرّةٍ من حَسَناتِك لعلّي أنجو بها مما تَرى. فيقول وَلَدُه: يا أبتِ! ما أيسَرَ ما طلبتَ، ولكني أتخوّف الذي تَتخوّفُ، فلا أستطيعُ أن أعطِيَكَ شيئاً.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

[٧١٥١] وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة: أنه إذا طُلِب إلى كُلٍّ من أُولي العزم أن يشفَع عند الله في الخلائق، يقول: نَفْسِي نَفْسِي، لا أسأله اليومَ إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مَرْيَمَ يقولُ: لا أسأله اليومَ إلا نَفْسِي، لا أسأله مَرْيم التي ولدتني[١].

ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾. قال قتادة: الأحبُّ فالأحبُّ، والأقربَ فالأقربَ، من هَوْلِ ذلك اليوم.

وقولُه تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾، أي: هو في شُغْلٍ شاغلٍ عن غَيرِه.

[٧١٥٢] قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا محمد بن عَمّار بن الحارث، حدَّثنا الوليدُ بن صالح، حدَّثنا ثابتُ أبو زيدِ العَبَّاداني، عن هلال بن خَبَّاب، عن سَعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تُحشَرُون حُفاةً عُراةً مُشاةً غُرلاً». قال: فقالت زوجتُه: يا رسولَ الله! أَوَ يرى بعضُنا عَورةَ بعضٍ؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾. أو قال: «ما أشغَلَه عن النظر!»[٢]. وقد رواه النسائي مُنفَرِداً به، عن أبي داود، عن عارم، عن ثابت بن يَزيد ـ وهو أبو زيد الأحولُ البصريُّ، أحد الثقات ـ عن هلال ابن خَبَّاب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، به.

[٧١٥٣] وقد رواه الترمذي عن عبدَ بن حُمَيد، عن محمد بن الفضل، عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خَبَّاب، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تُحشَرُونَ حفاةً عُراةً غُرلاً». فقالت امرأةٌ: أَيُبصِرَ ـ أو: يَرَى ـ بعضُنا عورةَ بعضٍ؟ قال: «يا فلانةُ! ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾»[٣]. ثم قال الترمذيُّ: وهذا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقد رُوِي من غير وجه عن ابن عباس، رضِي الله عنه.

[٧١٥٤] وقال النَّسائي: أخبرني عَمرو بن عثمان، حدَّثنا بَقِيَّةُ، حدَّثنا الزُّبيدي، أخبرني الزُهري، عن عُروة، عن عائشةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يُبعث النَّاسُ يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرلاً». فقالت عائشةُ: يا رسولَ الله! فكيف بالعوراتِ؟ فقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[٤]. انفرد به النسائي من هذا الوجه.

[٧١٥٥] ثم قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أزهرُ بن حاتم، حدَّثنا الفضلُ بن موسى، عن عائِذ بن شُرَيح، عن أنس بن مالك قال: سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله! بأبي أنتَ وأمّي! إني سائِلتُك عن حديثٍ فَتُخبِرني أنتَ به. قال: «إن كان عندي منه علمٌ». قالت: يا نبيَّ الله! كيف يُحشَر الرجالُ؟ قال: «حفاةً عُراةً». ثم انتظرت ساعةً فقالت: يا نبيَّ الله! كيف يُحشَر النساء؟ قال: «كذلك حُفاةً عُراةً». قالت: واسوأتاه من يوم القيامةِ! قال: «وعن أيِّ ذلك تسألين، إنه قد نَزَل عليَّ آية لا

(١) تقدم في الإسراء: ٧٩.

(٢) وأخرجه النسائي في «التفسير» ٦٦٧ والحاكم ٢/ ٢٥١ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٣٢ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٤) صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٦٨ وفي «السنن» ٢٠٨٣ والحاكم في «مستدركه» ٤/ ٥٦٤.

يَضُرُّك كان عليك ثِيابٌ أو لا يكونُ». قالت: أيةُ آيةٍ هي يا نبيَّ الله؟! قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[١]. وهكذا رواه ابنُ جَريرٍ، عن أبي عمار الحُسَين بن حريث المروزي، عن الفضل ابن موسى، به. ولكن قال أبو حاتم الرازيُّ: «عائذ بن شُرَيح ضعيفٌ، في حديثه ضعفٌ»[٢].

[٧١٥٦] وقال البَغويُّ في تفسيره: أخبرنا أحمدُ بن إبراهيم الشُّريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثَّعلبي، أخبرني الحُسَين بن محمد بن عبد الله، حدَّثنا عبد الله بنُ عبد الرحمن، حدَّثنا محمد بن عبد العزيز، حدَّثنا ابنُ أبي أُوَيس، حدَّثنا أبي، عن محمد بن أبي عَيَّاش، عن عطاء بن يَسَار، عن سَوْدَة زوج النَّبيِّ ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «يُبعث النَّاسُ حُفاةً عُراةً غُرلاً قد ألجمَهُم العرقُ، وبَلَغ شُحُومَ الآذان». فقلت: يا رسولَ الله! واسوأتا! ينظر بعضنا إلى بعض؟! فقال: «قد شُغِل النَّاسُ، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾»[٣]. هذا حَديثٌ غريب من هذا الوجهِ جداً.

وقولُه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، أي: يكونُ الناس هنالك فريقَين «وُجوه مُسفِرة»، أي: مُستنيرة ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾، أي: مسرورةٌ فَرِحة من سُرور قلوبهم، قد ظَهر البِشرُ على وُجوهِهم، وهؤلاء أهل الجنة، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾، أي: يعلُوها ويغشاها قترة، أي: سَوَادٌ.

[٧١٥٧] قال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدَّثنا سهل بن عثمان العسكري، حدَّثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد، عن جَعفر بن محمد، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُلجِمُ الكافرَ العرقُ ثم تَقع الغَبَرةُ على وجوههم». قال: فهو قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾[٤].

وقال ابن عباس: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾، أي: يَغشَاها سواد الوجُوهِ. وقولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾، أي: الكَفَرةُ قلوبُهم، الفَجَرةُ في أعمالِهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

آخر تفسير سورة «عبس»، ولله الحمدُ والمنَّةُ

---

(١) أخرجه الطبري ٣٦٣٩٢، وفيه عائذ بن شريح. ذكره الذهبي في «الميزان» ٤١٠٠ وقال: قال أبو حاتم: فيه ضعف. وقال ابن طاهر: ليس بشيء اهـ. فالإسناد ضعيف، والمتن غريب بهذا اللفظ وأصله له شواهد. انظر ما قبله. والله تعالىٰ أعلم.

(٢) هذا التعليق «وهكذا رواه ابن جرير . . . في حديثه ضعف» جاء في النسخ بعد الحديث الآتي.

(٣) أخرجه البغوي في «تفسيره» ٤/٤١٨، وفيه محمد بن أبي عياش لم أجد من ترجمهُ، وفيه الثعلبي روىٰ مناكير كثيرة، وابن أبي أويس وأبوه رويا مناكير.

(٤) إسناده ضعيف لجهالة أبي علي هذا، والمتن منكر بهذا التمام.

سورة التكوير

ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

وهي مكيَّة

[٧١٥٨] قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرزَّاق، أخبرنا عبد الله بن بَحِير القاصُّ أنَّ عبد الرحمن بن يزيد الصنعانيَّ أخبره: أنه سَمِع ابن عُمَر يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظُر إلى يوم القيامةِ كأنه رَأْيُ عَينٍ فَلْيقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»(١). وهكذا رواه الترمذي، عن العباس بن عبد العظيم العنبريِّ، عن عبد الرزّاق، به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾، يعني: أظلمت. وقال العَوفي، عنه: ذهَبت. وقال مجاهدٌ: اضمحلَّت وذهبت. وكذا قال الضَّحَّاك. وقال قتادةُ: ذهبَ ضوؤُها. وقال سعيد بن جُبَير: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غُوِّرَتْ. وقال الربيع بن خُثَيم: ﴿كُوِّرَتْ﴾: يعني: رُمِي بها. وقال أبو صالح ﴿كُوِّرَتْ﴾: أُلقِيت. وعنه أيضاً: نُكِست. وقال زيد بن أسلَمَ: تَقَع في الأرض. قال ابنُ جرير: والصوابُ من القولِ عندنا في ذلك أن التكوير جَمْعُ الشّيءِ بعضِه على بعضٍ، ومنه تكويرُ العِمامة وهو لَفُّها على الرأس، وكتكوير الكارة وهي جَمْعُ الثياب بعضِها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾: جُمع بعضُها إلى بعضٍ ثم لُفَّت فرُمِي بها، وإذا فُعِل بها ذلك ذهب ضوؤُها. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ وعمرو بن عبد الله الأوديُّ، حدَّثنا أبو أسامة، عن مجالدٍ، عن شَيخ من بَجِيلةَ، عن ابن عباس: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾، قال: يُكوِّر اللهُ الشمسَ والقمرَ والنُّجومَ يومَ القيامَةِ في البحر، ويبعَثُ الله ريحاً دَبُوراً فتضرِمها ناراً وكذا قال عامرٌ الشعبيُّ.

[٧١٥٩] ثم قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو صالح، حدَّثني معاويةُ بن صالح، عن ابن يزيدَ بن

(١) حسن. أخرجه الترمذي ٣٣٣٣ وأحمد ٢/ ٢٧ ـ ٣٦ ـ ١٠٠ والحاكم ٢/ ٥١٥ وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي ٧/ ١٣٤: رواه أحمد بإسنادين ورجالهما ثقات.

أبي مَرْيَم، عن أبيه أن رسولَ الله ﷺ قال في قول الله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، قال: «كُوِّرت في جَهَنَّم»[(١)].

[٧١٦٠] وقال الحافظُ أبو يَعْلَى في مُسنَدِه: حدَّثنا موسى بن محمد بن حَيَّان، حدَّثنا دُرُسْتُ بنُ زيادٍ، حدَّثنا يزيدُ الرَّقاشِيُّ، حدَّثنا أنسٌ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الشمسُ والقمرُ ثَوران عَقِيران في النار»[(٢)]. هذا حديثٌ ضعيفٌ، لأن يزيد الرَّقاشي ضعيفٌ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة.

[٧١٦١] ثم قال البخاري: حدَّثنا مُسَدَّد، حدَّثنا عبد العزيز بنُ المختار، حدَّثنا عبد الله الداناجُ، حدَّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هُرَيْرة، عن النبي ﷺ: «الشمسُ والقمرُ يُكَوَّرانَ يوم القيامة»[(٣)]. انفرد به البخاري وهذا لفظُه، وإنما أخرجه في كتاب «بَدْءِ الخلق»، وكان جديراً أن يذكُره ها هنا أو يُكرِّره، كما هي عادته في أمثاله.

[٧١٦٢] وقد رواه البزّار فَجَوّد إيراده، فقال: حدَّثنا إبراهيم بن زياد البغداديُّ، حدَّثنا يونس بن محمد، حدَّثنا عبدُ العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج قال: سَمِعت أبا سَلَمة بنَ عبد الرحمن [يحدث في زمن][(٤)] خالد بن عبد الله القَسريِّ في هذا المسجدِ مسجد الكوفةِ، وجاء الحسنُ فجلس إليه فَحدّث قال: حدَّثنا أبو هُرَيرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الشمسَ والقمرَ [ثوران] في النار [عقيران] يوم القيامة». فقال الحسن: وما ذَنبهما؟ فقال: أُحدِّثك عن رسولِ الله ﷺ وتقولُ ـ أحسبه قال ـ: وما ذَنْبُهما[(٥)]. ثم قال: لا يُروَى عن أبي هُرَيرة إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناجُ عن أبي سلمةَ سوى هذا الحديث.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾، أي: انتثرت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ٢]، وأصل الانكدارِ الانصبابُ. قال الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبيِّ بن كعب قال: ستُّ آيات قبل يومِ القيامة، بينا الناسُ في أسواقهم إذ ذهبَ ضوءُ الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجومُ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت واضطربت واختلطت. فَفَزِعت الجنُّ إلى الإنسِ والإنسُ إلى الجنِّ، واختلطت الدوابُّ والطيرُ والوحوشُ، فماجوا بعضُهم في بعضٍ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، قال: اختلطت، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾، قال: أهمَلها أهلُها، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾، قال: قالت الجنُّ: نحن نأتيكم بالخبر. قال: فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجّجُ، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدَّعتِ الأرضُ صَدْعةً واحدةً إلى الأرضِ السابعةِ السُفلى وإلى السماء السابعة العُليا، قال: فبينما هم كذلك

---

(١) فيه أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، روىٰ مناكير كثيرة. وابن أبي مريم اسمه نوح، متروك. وأبوه تابعي. فالحديث مرسل. وانظر ما بعده.

(٢) ضعيف. أخرجه أبو يعلىٰ ٤١١٦ وابن عدي ٣/ ١٠٢ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٤٣، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٤٠ وقال: لا يصح. قال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج برواية درست بن زياد اهـ. وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ١٨٥٩٩: فيه ضعفاء وثقوا اهـ. كذا قال رحمه الله، والصواب أن للحديث علة ثانية، فيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف روى مناكير كثيرة عن أنس.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٠.

(٤) في النسخ «ابن عبد الرحمن بن خالد...» والمثبت عن «فتح الباري» ٦/ ٣٠١.

(٥) رجاله ثقات، لكن مسدّد أحفظ من يونس، ومع ذلك فالخبر غريب، فإن القمر لا نور فيه. والحديث عند البخاري ليس فيه «في النار»، والله تعالىٰ أعلم.

إذ جاءتهم الريحُ فأماتتهم. رواه ابن جرير ـ وهذا لفظه ـ وابن أبي حاتم، ببعضه، وهكذا قال مجاهدٌ والربيعُ بن خُثَيم، والحسنُ البصري وأبو صالح، وحَمّاد بن أبي سليمان، والضحَّاك في قوله جلا وعلا: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾، أي: تناثرت. وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾، أي: تغيَّرت.

[٧١٦٣] وقال يزيدُ بن أبي مَرْيَم، عن النبيِّ ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾، قال: «انكدَرت في جَهَنَّم، وكلُّ من عُبِد من دون الله فهو في جهنم، إلا ما كان من عيسى وأمِّه، ولو رَضِيا أن يُعبَدا لدخلاها»(١). رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾، أي: زَالت عن أماكِنها ونُسِفت، فَتُرِكت الأرضُ قاعاً صَفْصَفاً. وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾، قال عِكْرمة، ومجاهدٌ: عشارُ الإبل. قال مجاهد: ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُركت وسُيِّبت. وقال أُبَيُّ بن كعب، والضحَّاك: أهمَلها أهلُها. وقال الربيع بن خُثَيم: لم تُحلَب ولم تُصَرّ، تخلَّى منها أربابها. وقال الضحاك: تُرِكت لا راعِيَ لها. والمعنى في هذا كلِّه متقاربٌ. والمقصود: أن العشار من الإبل ـ وهي: خَيارُها والحواملُ منها التي قد وَصَلت في حملها إلى الشهر العاشر، واحدُها: عُشَراءُ، ولا يزال ذلك اسمَها حتى تَضع ـ وقد اشتغل الناسُ عنها وعن كَفَالتِها والانتفاع بها، بعدما كانوا أرغَب شيءٍ فيها، بما دَهَمهم من الأمرِ العظيم المُفظِع الهائل، وهو أمرُ القيامةِ وانعقادُ أسبابها، ووقُوع مُقَدِّماتها. وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابُها كذلك ولا سبيلَ لهم إليها. وقد قيل في العِشار: إنها السحابُ تعطَّل عن المسير بين السماءِ والأرض، لخرابِ الدُنيا. وقيل: إنها الأرضُ التي تُعشَّر. وقيل: إنها الديارُ التي كانت تسكن تُعطَّل لذهاب أهلها. حكى هذه الأقوالَ كلَّها الإمامُ أبو عبد الله القُرطبيُّ في كتابه «التذكرة»، ورَجَّح أنها الإبلُ، وعزَاه إلى أكثر الناس. قلتُ: بل لا يعرف عن السلف والأئمةِ سواهُ، والله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، أي: جُمِعت. كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]، قال ابن عباس: يُحشَرُ كلُّ شيءٍ حتى الذُباب. رواه ابنُ أبي حاتم. وكذا قال الربيعُ بن خُثَيم والسُدِّي، وغيرُ واحد. وكذا قال قتادةُ في تفسير هذه الآية: إن هذه الخلائقَ موافيةٌ فيقضِي الله فيها ما يشاءُ. وقال عِكْرمةُ: حَشرها موتُها. وقال ابنُ جرير: حدَّثني علي بن مسلمٍ الطُوسيُّ، حدَّثنا عَبَّاد بن العَوَّام، أخبرنا حُصَين، عن عِكْرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، قال: حَشرُ البهائم موتُها، وحَشرُ كلِّ شيءٍ الموتُ غيرَ الجن والإنس، فإنهما يُوقفان يوم القيامة. حَدَّثنا أبو كُرَيب، حدَّثنا وكيعٌ، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يَعْلَى، عن الربيع بن خُثَيم: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾، قال: أَتَى عليها أمرُ الله. قال سفيانُ: قال أبي: فذكرته لِعِكرمة، فقال: قال ابنُ عباسٍ: حَشرُها مَوْتُها. وقد تَقدَّم عن أبي بن كعب أنه قال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾: اختلطت. قال ابنُ جَرير: والأولى قولُ من قال: ﴿حُشِرَتْ﴾ وجُمعت، قال الله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾، أي: مجموعةً. وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾، قال ابن جَرير: حدَّثني يعقوبُ، حدَّثنا ابن عُلَيَّة، عن داودَ، عن سعيد بن المُسَيَّب قال: قال عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ لرجل من اليهود: أينَ جَهَنَّم؟

---

(١) انظر تخريج الحديث ٧١٥٩.

قال: البحر. فقال: ما أراه إلا صادقاً، ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ [الطور: ٦]، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ مخففة. وقال ابن عباس وغيرُ واحدٍ: يُرسِلُ الله عليها الرياح الدَّبُور فَتَسْعَرُها، فَتَصيرُ ناراً تأجَّجُ. وقد تقدَّم الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين بن الجُنَيد، حدَّثنا أبو طاهر، حَدَّثني عبد الجبار بن سليمان أبو سُليمان النفَّاطُ ـ شيخ صالح يُشبه مالك بن أنس ـ عن معاوية بن سعيد قال: إن هذا البحرَ بَرَكَةٌ ـ يعني بحرَ الرُّوم ـ وسطُ الأرض، والأنهارُ كلُّها تَصُبُّ فيه، والبحرُ الكبيرُ يَصُبُّ فيه، وأسفله آبارٌ مُطبقةٌ بالنحاس، فإذا كان يومُ القيامة أُسجِرَ. وهذا أثر غريب عجيب.

[٧١٦٤] وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحرَ إلا حاجٌ أو مُعتمِرٌ أو غازٍ، فإن تحتَ البحر ناراً، وتحت النارِ بحراً» الحديث[١]، وقد تقدم الكلام عليه في «سورة فاطر».

وقال مجاهدٌ، والحسنُ بن مسلم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: أُوقِدَت. وقال الحسنُ: يَبِسَت. وقال الضحَّاك، وقتادةُ: غاضَ ماؤُها فَذَهب فلم يبقَ فيها قطرةٌ. وقال الضحَّاك أيضاً: ﴿سُجِّرَتْ﴾ فُجِّرت. وقال السُّدِّي: فُتِحت وسُيِّرت. وقال الربيع بن خُثَيم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فاضت. وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، أي: جُمع كلُّ شكل إلى نَظِيره، كقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

[٧١٦٥] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدَّثنا محمد بن الصباح البزَّار، حدَّثنا الوليدُ بن أبي ثور، عن سِمَاكٍ، عن النعمان بن بَشير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، قال: «الضرَباءُ»، كل رجل مع كل قوم كانوا يعمَلُون عمله، وذلك بأن الله عَزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١٠][٢]، قال: هم الضُّرَباء. ثم رواه ابن أبي حاتم من طُرُق أُخر، عن سِمَاكِ بن حرب، عن النعمان بن بَشِير أن عُمَر خَطَب الناسَ فقرأ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، فقال: تَزَوُّجها أن تُؤلف كلُّ شيعةٍ إلى شِيعَتهم. وفي رواية: هما الرجلان يعمَلان العملَ فيدخُلان به الجنَّة أو النار. وفي رواية عن النعمان قال: سُئِل عُمَر عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، فقال: يُقرَن بين الرجلِ الصالِح مع الرجل الصالِح، ويقرَنُ بين الرجل السُّوءِ مع الرجل السُّوءِ في النار، فذلك تزويجُ الأنفسِ. وفي رواية عن النعمان أن عُمَر قال للناس: ما تقولُون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ فسكتوا. قال: ولَكِنْ أعلَمُه هو الرجلُ يُزَوَّج نَظِيره من أهل الجنَّة، والرجلُ يُزوَّج نظيره من أهل النار، ثم قرأ: ﴿ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾. وقال العَوفيُّ، عن ابن عَبَّاس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، قال: ذلك حين يكون الناسُ أزواجاً ثلاثةً. وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، قال: الأمثالُ من الناسِ جُمع بينهم. وكذا قال الربيعُ بن خُثَيم والحسن، وقتادةُ. واختاره ابنُ جرير، وهو الصحيح.

قولٌ آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين بن الجُنَيد، حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن أشعثَ [بن سرار]، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: يسيلُ وادٍ من أصل العرش من ماءٍ فيما بين الصيحَتَين، ومقدارُ ما بينهما أربعون عاماً، فَينبُت منه كلُّ خَلْقٍ بَلِيَ، من الإنسان أو طيرٍ أو دابَّةٍ، ولو مرَّ عليهم مارٌّ قد عَرَفهم قبل ذلك

(١) تقدم تخريجه وهو ضعيف.

(٢) والحديث أخرجه الطبري ٣٦٤٥١ وإسناده ضعيف لضعف الوليد بن عبد الله بن أبي ثور. فقد ضعفه أحمد وصالح جزرة وغيرهما، وسماك بن حرب فيه ضعف. والصحيح عن عمر قوله.

لَعَرفهم على وجه الأرض قد نبَتوا، ثم تُرسَل الأرواحُ فتزوّج الأجسادَ، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾. وكذا قال أبو العاليةِ، وعكرمةُ، وسعيد بن جُبَير، والشَّعبي، والحسنُ البصري أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾، أي: زُوِّجت بالأبدانِ. وقيل: زُوِّج المؤمنون بالحُورِ العين، وزُوِّج الكافرون بالشياطين. حكاه القرطبي في «التذكرة».

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ هكذا قَرَأه الجمهور ﴿سُئِلَتْ﴾. والموءودةُ: هي التي كان أهلُ الجاهلية يَدُسُّونها في التراب كراهيةً للبناتِ، فيومَ القيامةِ تسألُ الموءودةُ على أيِّ ذنبٍ قُتِلت، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سُئل المظلومُ فما ظنُّ الظالِم إذاً؟ وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (وإذا الموءودةُ سألت)، وكذا قال أبو الضحى (سألت)، أي: طلبت بدمها. وعن السُّدِّي، وقتادةَ، مثلُه. وقد وردت أحاديثُ تتعلّق بالموءودة.

[٧١٦٦] فقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا عبد الله بن يزيدَ، حدَّثنا سعيدُ بن أبي أيُّوبَ، حدَّثني أبو الأسود ـ وهو: محمد بنُ عبدِ الرحمن بنِ نَوْفل ـ عن عُروةَ، عن عائشةَ، عن جُدَامة بنتِ وهب ـ أخت عُكَّاشة ـ قالت: حَضَرتُ رسولَ الله ﷺ في ناس وهو يقولُ: «لقد هَمَمتُ أن أنهَى عن الغِيلَةِ، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يُغِيلُونَ أولادهم، ولا يضرُّ أولادَهم ذلك شيئاً». ثم سألُوه عن العَزْلِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ذلك الوأدُ الخَفِيُّ، وهو الموءودة سُئِلَت»[(١)]. ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرِىء ـ وهو عبد الله بن يزيد ـ عن سعِيد بن أبي أيوب. ورواه أيضاً ابنُ ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبةَ، عن يحيى بن إسحاقَ السَّيلحيني، عن يحيى بن أيُّوب. ورواه مسلم أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائيُّ، من حديث مالك بن أنس، ثلاثتهم عن أبي الأسود، به.

[٧١٦٧] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا ابن أبي عَديّ، عن داودَ بن أبي هندٍ، عن الشَّعبي، عن عَلْقَمة، عن سَلَمة بن يزيدَ الجُعْفِيِّ قال: انطلقتُ أنا وأخي إلى رسولِ الله ﷺ فقلنا: يا رسولَ الله! إن أُمَّنا مُلَيكة كانت تَصِلُ الرَّحِمَ وتَقْرِي الضيف، وتفعل وتفعل. هلكت في الجاهلية، فهل ذلك نافعُها شيئاً؟ قال: «لا». قلنا: فإنها كانت وَأَدت أختاً لنا في الجاهلية، فهل ذلك نافعُها شيئاً؟ قال: «الوائدةُ والموءودةُ في النار، إلا أن يُدرِكَ الوائدةَ الإسلامُ، فَيعفُو الله عنها»[(٢)]. وَرَواه النسائي، من حديث داودَ بن أبي هندٍ، به.

[٧١٦٨] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن سنان الواسطي، حدَّثنا أبو أحمدَ الزبيري، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاق، عن علقمةَ وأبي الأحوصِ، عن ابنِ مسعودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الوائدةُ والموءودةُ في النار»[(٣)].

[٧١٦٩] وقال أحمد أيضاً: حدَّثنا إسحاقُ الأزرق، أخبرنا عوفٌ، حدَّثتني حَسْنَاء ابنة معاوية الصُّرَيميَّةُ،

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٤٤٢ ح ١٤١ و ١٤٢ والترمذي ٢٠٧٦ وابن ماجه ٢٠١١ والنسائي ٦/١٠٦ ـ ١٠٧ وابن حبان ٤١٩٦ وأحمد ٦/٤٣٤. وعجزه عند مسلم: وهي «وإذا الموؤدة سئلت».

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣/٤٧٨ والنسائي في «التفسير» ٦٦٩ والطبراني ٦٣١٩ وإسناده على شرطهما.

(٣) رجاله رجال البخاري ومسلم، لكن سمع إسرائيل من أبي إسحق بعد الاختلاط، لكن توبع عند ابن حبان بإثر حديث ٧٤٨٠، وورد من وجه آخر، أخرجه الطبراني ١٠٢٣٦ وفيه يحيى الحماني ضعيف ومع ذلك هو يتأيد بما قبله، ويحمل هذا الأخير على الأول على أن ذلك في الكفار، وهو الذي نص عليه ابن حبان.

عن عَمِّها قال: قلتُ: يا رسولَ الله! مَن في الجنة؟ قال: «النبيُّ في الجنةِ، والشهيدُ في الجنّةِ، والمولودُ في الجنة، والموءودةُ في الجنة»[1].

[٧١٧٠] وقال ابنُ أبي حاتم: حَدّثنا أبي، حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا قُرّة قال: سَمِعتُ الحسن يَقولُ: قيلَ: يا رسولَ الله! مَن في الجَنّةِ؟ قال: «الموءودةُ في الجنة»[2]. هذا حديث مُرسَلٌ من مراسيل الحسن، ومنهم مَن قَبله. وقال ابن أبي حاتم: حدّثني أبو عبد الله الطِّهْرَانِيُّ، حدّثنا حفصُ بن عُمَر العَدَني، حدّثنا الحكم بن أبانَ، عن عِكرمة قال: قال ابنُ عباس: أطفالُ المشركين في الجنة، فمن زَعَم أنهم في النار فقد كَذَب، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، قال ابن عباس: هي المدفونة.

[٧١٧١] وقال عبد الرزّاق: أخبرنا إسرائيل، عن سماك بن حَربٍ، عن النعمان بن بَشِير، عن عُمر ابن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾، قال: جاء قيس بنُ عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إني وَأَدتُ بناتٍ لي في الجاهلية، فقال: «أعتِق عن كلِّ واحدةٍ منهُنّ رقبةً». قال: يا رسولَ الله! إني صاحِبُ إبلٍ؟ قال: «فانحر عن كلِّ واحدةٍ منهن بَدَنةً»[3]. قال الحافظ أبو بكر البزّار: خُولِف فيه عبد الرزاق، ولم نكتبه إلا عن الحسين بن مهدي، عنه.

[٧١٧٢] وقد رواه ابنُ أبي حاتم فقال: أخبرنا أبو عبد الله الطهراني، فيما كتب إليّ، قال: حدّثنا عبد الرزّاق... فذكره بإسناده مثله، إلا أنه قال: «وأدت ثمانَ بناتٍ لي في الجاهلية». وقال في آخره: «فأهدِ إن شِئتَ عن كلِّ واحدةٍ بدنَةً»[4].

[٧١٧٣] ثم قال: حدّثنا أبي، حدّثنا عبد الله بن رجاءٍ، حدّثنا قيس بن الربيع، عن الأغرّ بن الصباح، عن خَلِيفة بن حُصين قال: قَدِم قيسُ بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إني وأدتُ اثنتي عشرة ابنةً لي في الجاهلية ـ أو: ثلاثَ عشرةَ ـ قال: «أعتق عَدَدهنّ نَسماً»، قال: فأعتق عددهن نسماً، فلما كان في العام المقبل جاء بمئة ناقةٍ، فقال: يا رسول الله! هذه صدقةُ قومي على أثر ما صَنَعتَ بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب: فكنا نُريحها، ونسميها القَيسيّة[5].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾، قال الضحّاك: أُعطي كلُّ إنسانٍ صَحِيفته بيَمينِه أو بشمالِه. وقال قتادة: صحيفتك يا بنَ آدمَ، تُملي فيها، ثم تُطوَى، ثم تُنشَرُ عليكَ يومَ القيامةِ، فَنظر رجلٌ ماذا يُملي في صحيفته. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾، قال مجاهد: اجتُذِبت. وقال السدّي: كُشِفت. وقال الضحاك: تَنكشِطُ فتذهَبُ. وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾، قال السدّي: أُحمِيَت. وقال قتادةُ: أُوقِدَت. قال: وإنما يُسعِرُها غَضبُ الله وخطايا بني آدم. وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾، قال الضحّاكُ، وأبو مالك، وقتادةُ، والربيعُ بن خُثَيم: أي قُرِّبت إلى أهلها. وقولُه تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ

---

(١) إسناده لين لأجل حسناء، فإنها مقبولة، وتقدم في الإسراء، آية ١٥ وهو في المؤمنين.

(٢) مرسل، ومراسيل الحسن ضعيفة، ولعله يشهد لما قبله.

(٣) حسن. أخرجه البزار ٢٢٨٠ والطبراني ١٨/ ٣٣٧ والبيهقي ٨/ ١١٦ وإسناده حسن، سماك فيه كلام، وهو من رجال مسلم. قلت: لم أره عند عبد الرزاق مسنداً، وإنما هو في «التفسير» ٣٥١٥ عن معمر عن قتادة مرسلاً، وهو عند الطبري ٣٦٤٦٧ من طريق آخر عن معمر عن قتادة مرسلاً، ومع ذلك هو يشهد لما قبله، وانظر ما بعده.

(٤) أخرجه ابن منده كما في «الإصابة» ٣/ ٣٥٣/ ٧١٩٤ بهذا الإسناد، وهو حسن.

(٥) فيه قيس بن الربيع، وهو ضعيف. وورد من وجه آخر أخرجه الطبراني ١٨/ ١٣٨ وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٧٠: ضعيف اهـ.

﴿أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾، هذا هو الجوابُ، أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذٍ تعلَمُ كلُّ نفس ما عمِلت وأُحضِرَ ذلك لها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]. قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبدةُ، حدَّثنا ابنُ المبارك، أخبرنا محمدُ بن مُطرِّف، عن زيدِ بن أسلَمَ، عن أبيه قال: نزلت: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾، قال عُمر: لما بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾، قال: لهذا أُجرِيَ الحديثُ.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

[٧١٧٤] روى مسلم في صحيحه، والنسائيُّ في تفسيره عند هذه الآية، من حديث مِسعَر بن كِدَام، عن الوليد بن سريع، عن عَمرو بن حُرَيث قال: صَلَّيتُ خَلفَ النبيِّ ﷺ الصبحَ، فَسمِعتُه يقرأُ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾(١). ورواه النسائي عن بُندار، عن غُندَرٍ، عن شُعبةَ، عن الحجّاج بن عاصمٍ، عن أبي الأسودِ، عن عَمرو بن حُرَيث، به نحوه. قال ابنُ أبي حاتم وابنُ جَرير، من طريق الثَّوري، عن أبي إسحاقَ، عن رَجُلٍ من مُرادٍ، عن علي: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾، قال: هي النجومُ تَخنِسُ بالنهار، وتظهَرُ بالليل.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا ابن المثنى، حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبةُ، عن سِماكِ بن حَرب، سَمِعتُ خالدَ بن عَرْعَرةَ، سَمِعتُ عليًا وسُئِل عن ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، فقال: هي النجومُ، تَخنِس بالنهار وتكنِس بالليل. وحدَّثنا أبو كُريب، حدَّثنا وَكيع، عن إسرائيل، عن سِماكٍ، عن خالد، عن عَليّ قال: هي النجومُ. وهذا إسناد جَيّدٌ صحيح إلى خالد بن عَرْعَرة، وهو السهميُّ الكوفي، قال أبو حاتم الرازيُّ: «رَوى عن عليّ، ورَوى عنه سِماكٌ والقاسم بن عوف الشيباني». ولم يذكر فيه جَرْحاً ولا تعديلاً، فالله أعلم. ورَوى يونُس، عن أبي إسحاقَ، عن الحارث، عن عليّ: أنها النجوم. رواه ابنُ أبي حاتم. وكذا رُوِي عن ابن عباس، ومجاهدٍ، والحسنِ، وقتادة، والسُّدّي، وغيرهم: أنها النجومُ.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا محمد بن بَشّار، حدَّثنا هَوذَة بن خَليفة، حدَّثنا عَوفٌ، عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، قال: هي النجومُ الدَّراريُّ، التي تجري تستقبل المشرقَ. وقال بعض الأئمة: إنما قيل للنجوم «الخُنَّس»، أي: في حال طُلُوعها، ثم هي جَوَارٍ في فلكها، وفي حال غيبوبتها يقال لها «كُنَّس»، من قول العرب: أوى الظبيُ إلى كِناسِهِ: إذا تَغيَّب فيه. وقال الأعمشُ، عن إبراهيمَ قال: قال عبد الله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾، قال: بَقَرُ الوحْشِ. وكذا قال الثَّوريُّ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي مَيْسَرة، عن عبد الله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾، ما هي يا عَمرو؟ قلت: البقرُ. قال: وأنا أَرَى ذلك. وكذا رَوى يونُس بنُ أبي إسحاق، عن أبيه. وقال أبو داود الطَّيالسي، عن عَمرو، عن أبيه عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عباس: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾، قال: البقر تَكنِسُ إلى الظلِّ. وكذا قال سعيد بن

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٤٥٦ ح ١٦٤ والنسائي في «التفسير» ٦٧١.

جُبَير. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس: هي الظِّباء. وكذا قال سعيد أيضاً، ومجاهدٌ، والضحّاك. وقال أبو الشعثاء جابرُ بن زيدٍ: هي الظباء والبَقَرُ.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا يعقوبُ، حدَّثنا هُشَيم، أخبرنا مُغِيرةُ، عن إبراهيمَ ومجاهدٍ: أنهما تَذَاكرا هذا الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾، فقال إبراهيمُ لمجاهد: قل فيها بما سَمِعت. قال: فقال مجاهدٌ: كنا نسمَعُ فيها شيئاً، وناسٌ يقولون: إنها النجومُ. قال: فقال إبراهيمُ: قل فيها بما سَمِعتَ. قال: فقال مجاهدٌ: كنا نسمَعُ أنها بَقَر الوحش حين تكنِسُ في حِجَرتها. قال: فقال إبراهيم: إنهم يكذبون على عليٍّ، هذا كما رَوَوا عن عَلِيٍّ أنه ضمن الأسفل الأعلى، والأعلى الأسفل. وتوقَّفَ ابنُ جرير في المراد بقوله: ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: هل هو النُّجوم، أو الظِّباء وبَقَرُ الوحْشِ؟ قال: ويَحْتَمِلُ أن يكونَ الجميعُ مراداً.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾، فيه قولان:

أحدهُما: إقباله بظَلامه. قال مجاهدٌ: أظلَمَ. وقال سعيد بن جُبَير: إذا نشأ. وقال الحسن البصريُّ: إذا غَشِيَ الناس. وكذا قال عطية العوفيُّ. وقال علي بن أبي طلحةَ والعوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾: إذا أدبَرَ. وكذا قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والضحّاكَ، وكذا قال زيدُ بن أسلَم، وابنُه عبدُ الرحمن: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾، أي: إذا ذَهَب فَتولَّى. وقال أبو داود الطيالسي: حدَّثنا شعبةُ، عن عَمرو بن مُرّة، عن أبي البَخْتري سَمِع أبا عبد الرحمن السلَمِيَّ قال: خَرَج علينا عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ حين ثُوِّب المُثَوِّبُ بصلاةِ الصُبح فقال: أين السائلون عن الوَتْرِ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، هذا حينُ وَتْرٍ حَسَن. وقد اختار ابنُ جرير أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾: إذا أدْبَر. قال لقوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾، أي: أضاءَ، واستشهدَ بقولِ الشاعرِ أيضاً:

حَتّى إذا الصُّبحُ لـه تَـنَـفَّـسَـا وانجابَ عنها لَيلُها وعَسْعَسا

أي: أدبر. وعندي أن المراد بقوله: ﴿عَسۡعَسَ﴾: إذا أقبلَ، وإن كان يصحُّ استعمالُه في الإدبار أيضاً، لكن الإقبالَ ها هنا أنسبُ؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظَلامه إذا أقبلَ، وبالفَجر وضِيائه إذا أشرَقَ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١ ـ ٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢]. وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وغير ذلك من الآيات. وقال كثير من عُلماء الأصول: إن لفظة ﴿عَسۡعَسَ﴾ تستعمل في الإقبالِ والإدبارِ على وجه الاشتراكِ، فعلى هذا يصحُّ أن يُراد كلٌّ منهما، والله أعلمُ. قال ابنُ جَريرٍ: وكان بعضُ أهلِ المعرفة بكلامِ العربِ يزعمُ أن ﴿عَسۡعَسَ﴾: دَنا من أوّله وأظْلَم. وقال الفرّاء: كان أبو البلاد النحوي يُنشِد بيتاً:

عَسْعَسَ حَتّى لو يشاءُ ادْنَا كانَ لـه مِـن ضَوئِـه مَـقْـبِـسُ

يريد: لو يشاء إذ دنا، أدغم الذالَ في الدالِ. وقال الفرّاء: وكانوا يَرون أن هذا البيت مصنوع. وقولُه: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾، قال الضحاك: إذا طَلَع. وقال قتادةُ: إذا أضاء وأقبلَ. وقال سعيد بن جُبَير: إذا نشأ. وهو المروي عن عليٍّ رضي الله عنه. وقال ابن جرير: يعني: وَضوءِ النهار إذا أقبلَ وتَبيَّنَ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾، يعني: إن هذا القرآن لتبليغُ رسولٍ كريم، أي: مَلَكٍ شريف حَسَن الخَلْقِ، بَهِيِّ المنظر، وهو جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ. قاله ابنُ عباس، والشَّعبيُّ، وميمونُ بن مِهران، والحسنُ، وقتادةُ، والضحّاكُ، والربيعُ بن أنسٍ، وغيرُهم. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ﴾ [النجم: ٥ ـ ٦]، أي: شَديدُ الخَلْق، شَديدُ البطشِ والفِعْلِ، ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾، أي: له مكانةٌ عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ومنزلةٌ رفيعةٌ. قال أبو صالح في قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾، قال: جبريلُ يدخُل في

سبعين حِجَاباً من نُورٍ بغير إذنٍ. ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾، أي: له وجاهةٌ، وهو مسموعُ القولِ مُطَاعٌ في الملأ الأعلى. قال قتادة: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾، أي: في السموات، يعني: ليسِ هو من أفناءِ الملائكةِ، بل هُو من السادة والأشرافِ، مُعْتَنًى به، انتُخِبَ لهذه الرسالة العظيمة.

وقولُه تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾: صفةٌ لجِبريلَ بالأمانة، وهذا عظيمٌ جدًا أن الربَّ ـ عزَّ وجلَّ ـ يُزَكِّي عبدَه ورسولَه المَلَكِي جبريلَ، كما زَكَّى عبده ورسولَه البشريَّ محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾. قال الشعبي، وميمون بن مهران، وأبو صالح، ومن تقدّم ذكرهُم: المرادُ بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾، يعني: محمداً ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، يعني: ولقد رأى محمدٌ جبريلَ الذي يأتيه بالرسالة عن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على الصورة التي خَلَقه الله عليها له سِتمائة جناح، ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، أي: البيِّن، وهي الرؤيةُ الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، كما تقدَّم تفسيرُ ذلك وتقريره. والدليلُ أن المرادَ بذلك جبريل عليه السلام. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذه السورة نَزلت قبلَ ليلةِ الإسراء، لأنه لم يذكُر فيها إلاَّ هذه الرؤيةَ وهي الأولى، وأما الثانيةُ وهي المذكورةُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾. فتلك إنّما ذُكِرت في «سورة النجم»، وقد نزلت بعد الإسراء. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، أي: وما محمدٌ على ما أنزله الله إليه بِظَنين، أي: بِمُتَّهم، ومنهم من قرأ ذلك بالضاد، أي: ببخيلٍ، بل يبذلُه لكلِّ أحدٍ. قال سفيان بن عُيَينة: ظَنِينٌ وضَنِين سواء، أي: ما هو بكاذبٍ، وما هو بفاجرٍ. والظنينُ: المُتَّهم، والضَّنين: البخيل. وقال قتادة: كان القرآنُ غيباً، فأنزله الله على محمد، فما ضَنَّ به على الناس. وكذا قال عكرمة، وابن زيد، وغير واحد، بل بَلَّغه ونَشَره وبَذَله لكل من أراده. واختار ابنُ جرير قراءة الضاد. قلت: وكلاهما متواتر، ومعناه صحيحٌ كما تقدَّم. وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾، أي: وما هذا القرآن بقول شيطانٍ رجيم، أي: لا يقدِرُ على حمله، ولا يُريده، ولا ينبغي له. كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢]. وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾، أي: فأين تَذْهَب عقولُكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظُهوره ووضُوحه، وبيان كونه حقًّا من الله عزَّ وجلَّ، كما قال الصديق ـ رضي الله عنه ـ لوفد بني حَنِيفة حين قَدِمُوا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مُسَيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة، فقال: ويحكُم. أين يُذهَب بِعقُولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل، أي: من إله. وقال قتادةُ: أي عن كتاب الله وعن طاعته.

وقولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾، أي: هذا القرآنُ ذكرٌ لِجَميع الناس، يَتَذكَّرون به ويَتَّعِظُون، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾، أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاةٌ له وهدايةٌ، ولا هدايةَ فيما سواه، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، أي: ليست المشيئةُ موكولةً إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضلّ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ربِّ العالمين. قال سفيان الثوريُّ، عن سَعيد بن عبد العزيز، عن سُلَيمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾، قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

آخر تفسير سورة التكوير، ولله الحمد والمنّة

سورة الانفطار

ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

وهي مكيّة

[٧١٧٥] قال النسائي: أخبرنا محمد بن قُدامة، حدَّثنا جَرِيرٌ، عن الأعمش، عن مُحارب بن دِثار، عن جابر قال: قام معاذٌ فَصلَّى العِشاء الآخرةَ فَطوَّل، فقال النبي ﷺ: «أفتّان يا معاذُ؟، أفتّان يا معاذ؟!، أين كُنتَ عن سَبِّح اسم ربِّك الأعلى، والضحَى، وإذا السماءُ انفطرت»[(١)]؟! وأصلُ الحديث مخرَّج في الصحيحين ولكن ذِكر ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ من أفراد النَّسائي.

[٧١٧٦] وتقدم من رواية عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «من سَرَّه أن ينظُرَ إلى القيامةِ رأيَ عينٍ فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾»[(٢)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾، أي: انشقَّت. كما قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]. ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾، أي: تساقطت. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضَها في بعضٍ. وقال الحسنُ: فَجَّر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤُها. وقال قتادةُ: اختلط مالحها بعذبها. وقال الكلبي: مُلِئَتْ. ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾، قال ابنُ عباس: بُحِثَت. وقال السُّدِّي: تُبعثر: تُحرَّكُ فيخرُجَ من فيها. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾، أي: إذا كان هذا حَصَل هذا. وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾: هذا تهديدٌ، لا كما يتوهَّمه بعضُ الناس من أنه إرشادٌ إلى الجواب؛ حيث قال: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾، حتى يقول قائلهم: غَرَّه كَرَمُه. بل المعنى في هذا الآية: ما غَرَّك ـ يابنَ آدمَ ـ بِرَبِّك الكريم ـ أي: العظيم ـ حتى أقدَمْتَ على مَعْصِيته، وقابلته بما لا يَلِيق؟ كما جاء في الحديث:

[٧١٧٧] «يقولُ الله يومَ القيامة: ابنَ آدم! ما غَرَّك بي؟ ابنَ آدمَ! ماذا أجبتَ المرسلين؟»[(٣)].

---

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٧٢ وفي «السنن» ٨٣١ و ٩٨٤ وإسناده صحيح، وأصل الحديث متفق عليه، وتقدم.

(٢) تقدم تخريجه، وهو حسن.

(٣) تقدم تخريجه.

قال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حدَّثنا ابنُ أبي عُمرَ، حدَّثنا سفيان: سَمِع عُمَرُ رجلاً يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝﴾، فقال عُمر: الجهلُ. وقال أيضاً: حدَّثنا عُمر بن شَبَّة، حدَّثنا أبو خَلَف، حدَّثنا يحيى البكَّاء، سَمِعتُ ابنَ عُمَر يقولُ وقَرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝﴾، قال ابنُ عُمَر: غرَّه ـ والله ـ جهلُه. قال: ورُوي عن ابن عباس، والربيع بن خُثَيم، والحسن، مثلُ ذلك. وقال قتادة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾: شيء ما غرَّ ابنَ آدمَ، وهذا العَدُوُّ الشيطانُ. وقال الفُضَيل بن عِياض: لو قال لي «ما غرَّك بي»، لقلت: سُتُورك المُرْخَاةُ. وقال أبو بكر الورَّاق: لو قال لي: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾، لقلت: غرَّني كرمُ الكريم. قال البَغَويُّ: وقال بعضُ أهلِ الإشارةِ: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر أسمائِه وصفاتِه، كأنه لَقَّنه الإجابة. وهذا الذي تَخيَّله هذا القائلُ ليس بطائلٍ، لأنه إنما أتى باسمه ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾، لِيُنبه على أنه لا يَنبغي أن يُقابلَ الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السُّوء.

[٧١٧٨] وحكى البَغَويُّ، عن الكلبي ومُقاتل أنهما قالا: نَزَلت هذه الآية في الأسود بن شَرِيق، ضَرَب النبيَّ ﷺ ولم يُعاقَب في الحالةِ الراهنةِ، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[١].

وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝﴾، أي: ما غرَّك بالربِّ الكريم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝﴾، أي: جعلك سوياً مستقيماً معتدلَ القامةِ مُنتصِبَها، في أحسن الهيئاتِ والأشكال.

[٧١٧٩] قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو المغيرة، حدَّثنا حَرِيزٌ، حدَّثني عبد الرحمن بن مَيْسَرة، عن جُبَير بن نُفَير، عن بُسْر بن جِحَاش القُرَشي: أن رسولَ الله ﷺ بَصَق يوماً في كَفِّه، فَوَضع عليها إصبعه، ثم قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: ابنَ آدم! أنَّى تُعجِزُني وقد خلقتُك من مثل هذه؟ حتى إذا سَوَّيتك وعَدَلْتك مَشيت بين بُرْدَين وللأرض منك وَئِيدٌ، فجَمَعت ومَنعت، حتى إذا بَلَغتِ التراقي قلتَ: أتصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصدقة»[٢]. وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارونَ، عن حَرِيز بن عثمان، به. قال شيخُنا الحافظُ أبو الحجاج المِزِّي: وتابعه يحيى بن حَمْزَة، عن ثَور بن يزيد، عن عبد الرحمن بن مَيْسَرَة.

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝﴾، قال مجاهد: في أي شَبَه أبٍ أو أمٍّ أو خالٍ أو عَمٍّ؟

[٧١٨٠] وقال ابنُ جَريرٍ: حدَّثني محمد بن سنان القَزَّاز، حدَّثنا مُطَهَّر بن الهيثم، حدَّثنا مُوسَى بنُ عُلَيِّ بن رَباح، حَدَّثني أبي، عن جَدِّي: أن النبيَّ ﷺ قال له: «ما وُلِد لك»؟ قال: يا رسولَ الله! ما عَسَى أن يُولَد لي؟ إما غلامٌ وإما جاريةٌ. قال: «فمن يُشبِه». قال: يا رسولَ الله! مَن عَسى أن يُشبِه؟ إما أباه وإما أُمَّه. فقال النبيُّ ﷺ عندها: «مَه. لا تقولَنَّ هكذا، إنَّ النُّطفة إذا استقرَّت في الرحم أحضَرَها الله كلَّ نَسَبٍ بينها وبين آدم؟ أَمَا قرأتَ هذه الآيةَ في كتاب الله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝﴾»، قال: «سَلَكَك»[٣]. وهكذا رواه ابنُ أبي حاتم والطَّبراني، من حديث مُطَهَّر بن الهَيْثَم، به. وهذا الحديث لو صحَّ لكان فيصلاً في هذه الآية، ولكنَّ إسناده ليس بالثابت، لأن «مُطَهَّرَ بن الهيثم» قال فيه أبو سعيد بن يُونُسَ: كان متروكَ الحديثِ، وقال ابنُ حِبَّان: يَرْوي عن موسى بن عليّ وغيره ما لا يُشبهُ حَديثَ الأثبات.

---

(١) باطل. ذكره البغوي ٤/ ٤٢٤ بدون إسناد. وهو غير صحيح. فالكلبي، وهو محمد بن السائب متروك متهم بالكذب. وكذا مقاتل، إن كان بن سليمان، وإن كان ابن حيان فهو ضعيف، وهو معضل بكل حال.

(٢) مضى هذا الحديث في النحل، ولفظ «بصق» غريب، تفرد به ابن ميسرة، وهو شبه مجهول.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٦٥٦٧ والطبراني ٤٦٢٤. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٧٣: فيه مطهر بن الهيثم، وهو متروك اهـ.

[٧١٨١] ولكن في الصحيحين عن أبي هُريرة أن رَجُلاً قال: يا رسولَ الله! إنَّ امرأتي وَلَدت غُلاماً أسودَ؟! قال: «هل لك من إبل»؟ قال: نعم. قال: «فما ألوانها»؟ قال: حُمرٌ. قال: «فيها من أورَقَ؟» قال: نعم. قال: «فأنّى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نَزَعه عِرْق. قال: «وهذا عَسَى أن يكون نَزَعه عِرقٌ»[١].

وقد قال عِكْرمة في قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾: إن شاء في صورةِ قِرْدٍ، وإن شاء في صورة خِنْزيرٍ، وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صُورة كَلْبٍ، وإن شاء في صورة حمارٍ، وإن شاء في صورةِ خِنْزير.

وقال قتادة: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾، قال: قادرٌ ـ الله ـ ربُّنا على ذلك. ومعنى هذا القولِ عند هؤلاء: أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قادرٌ على خَلْقِ النُّطفةِ على شكلٍ قبيحٍ من الحيوانات المُنكَرَة الخَلْقِ، ولكن بقدرته ولُطفِه وحِلْمِه يَخلُقه على شكلٍ حَسَنٍ مُستقيم مُعتَدلٍ تامٍّ، حَسَنِ المنظر والهيئة.

وقولُه تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾، أي: بل إنما يحمِلُكم على مواجَهةِ الكريم ومُقابَلتِه بالمعاصي تكذيبٌ في قلوبكم بالمَعَاد والجَزاء والحِساب. وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، يعني: وإنَّ عليكم لملائكةً حَفَظَةً كِراماً فلا تُقابِلُوهم بالقبائح، فإنهم يكتُبون عليكم جميعَ أعمالكم.

[٧١٨٢] قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا علي بن محمد الطنَافسي، حدَّثنا وكيعٌ، حدَّثنا سُفيان ومِسْعَر، عن علقمَةَ بن مَرْثدٍ، عن مجاهد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكرِمُوا الكرامَ الكاتِبين الذين لا يُفارِقُونكم إلا عند إحدى حالَتَين: الجَنَابة والغَائِط. فإذا اغتسل أحدُكم فَلْيَستَتِر بِجِرْمِ حائطٍ أو بِبَعيره، أو لِيَستُرْه أخُوه»[٢].

[٧١٨٣] وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار، وَصَله بلفظ آخر، فقال: حدَّثنا محمد بن عثمان بن كَرَامة، حدَّثنا عُبَيد الله بن موسى، عن حَفْصِ بن سُليمان، عن علقمة بن مَرْثَدٍ، عن مُجاهِدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعرِّي، فاستحيُوا من ملائكة الله الذين مَعَكم، الكرام الكاتبين، الذين لا يُفارِقُونَكم إلا عند إحدى ثلاثِ حالاتٍ: الغائطِ، والجَنَابةِ، والغُسْل. فإذا اغتسلَ أحدُكم بالعَراء فَلْيَسْتَتِر بثوبه، أو بِجِذْمِ حائطٍ، أو بِبعيره»[٣]. ثم قال: حفصُ بن سليمان لَيِّن الحديثِ، وقد رُوي عنه، واحتُمِلَ حديثه.

[٧١٨٤] وقال الحافظُ أبو بكر البزَّار: حدَّثنا زيادُ بن أيُّوبَ، حدَّثنا مُبَشِّر بن إسماعيل الحَلَبِي، حدَّثنا تَمَّام بن نَجيحٍ، عن الحسن ـ يعني البصريَّ ـ عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من حافِظَين يرفَعان إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ما حَفِظا في يوم فَيَرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى: قد غفرتُ لعبدي ما بين طَرَفي الصَّحِيفة»[٤]. ثم قال: تفرَّد به تمَّام بن نَجيحٍ، وهو صالح الحديث. قلتُ: وَثَّقه ابنُ

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٠٥ و ٦٨٤٧ ومسلم ١٥٠٠ وأبو داود ٢٢٦١ و ٢٢٦٢ والترمذي ٢١٢٨ والنسائي ٦/١٧٨ ـ ١٧٩ وابن ماجه ٢٠٠٢ وأحمد ٢/٢٣٩ والشافعي ٢/٣١ وابن حبان ٤١٠٧.

(٢) هذا مرسل فهو ضعيف.

(٣) ضعيف. أخرجه البزار ٣١٧ بهذا الإسناد إلا أنه وقع في «المجمع» ١٤٥٤ «جعفر بن سليمان» بدل «حفص» لذا قال الهيثمي: جعفر بن سليمان من رجال الصحيح اهـ. والصواب أن في الإسناد حفص بن سليمان، وهو ضعيف، والراجح المرسل المتقدم. فرجال المرسل ثقات معروفون.

(٤) أخرجه البزار ٣٢٥٢ بهذا الإسناد، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٧٥٨٠: تمام بن نجيح، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره. وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ. فالحديث فيه ضعف محتمل.

مَعين وضعَّفه البُخاري، وأبو زُرعة، وابنُ أبي حاتمٍ، والنَّسائي، وابن عَدِيٍّ. ورماه ابن حبان بالوضع. وقال الإمام أحمد: لا أعرف حقيقة أمره.

[٧١٨٥] وقال الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا إسحاقُ بن سليمان البغداديُّ المعروف بالقُلُوسِيِّ، حدّثنا بيان بن حُمران، حدّثنا سلام، عن منصور بن زاذان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن ملائكةَ الله يعرِفون بني آدَم ـ وأحسِبُه قال: ويعرفُون أعمالهم ـ فإذا نظرُوا إلى عبدٍ يَعْمَلُ بطاعة الله ذكروه بينهم وسَمَّوه، وقالوا: أفلح الليلةَ فلانٌ، نجا الليلة فلانٌ. وإذا نَظروا إلى عبدٍ يَعْمَلُ بمعصيَةِ الله ذَكَرُوه بينهم وسَمَّوه، وقالوا: هَلَكَ الليلة فلانٌ»[1]. ثم قال البزّارُ: سَلام هذا، أحسبه سلام المدائني، وهو لَيِّن الحديث.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

يُخبِر تعالى عمال يَصِيرُ الأبرارُ إليه من النعيم، وهم الذين أطاعُوا الله عزَّ وجلَّ، ولم يقابِلُوه بالمعاصي.

[٧١٨٦] وقد رَوَى ابن عساكر في ترجمة «مُوسَى بن محمد»، عن هِشام بن عَمَّارٍ، عن عيسى بن يُونُسَ بن أبي إسحاقَ، عن عُبَيد الله، عن مُحارِبٍ، عن ابن عُمَر، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنما سَمَّاهم الله الأبرار لأنهم بَرّوا الآباء والأبناء»[2]. وذكر ما يَصِير إليه الفُجّارُ من الجحيم والعذاب المقيم، ولهذا قال: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾﴾، أي: يومَ الحساب والجزاء والقيامة، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾، أي: لا يَغِيبون عن العذابِ ساعةً واحدةً، ولا يُخفَّف عنهم من عَذابها، ولا يُجَابُون إلى ما يسألونَ من الموتِ أو الراحةِ، ولو يوماً واحداً. وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ تعظيمٌ لشأن يوم القيامة، ثم أكّده بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾. ثم فسّره بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾، أي: لا يقدِرُ واحِدٌ على نفع أحدٍ ولا خَلاصَه مما هو فيه، إلا أن يأذن الله لمن يشاءُ ويرضَى.

[٧١٨٧] ويُذكَرُ ها هنا حديث: «يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، لا أملك لكم من الله شيئاً». وقد تقدّم في آخر تفسير سورة الشعراء. ولهذا قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وكقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وكقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾. قال قتادة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾، والأمر ـ والله ـ اليومَ لله، ولكنه يومئذٍ لا يُنازِعُه أحدٌ.

آخر تفسير سورة الانفطار، ولله الحمدُ والمنّةُ، وبه التوفيق والعصمة

(١) أخرجه البزار ٣٢١٤، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٧٦٨٩: وفيه من لم أعرفهم اهـ. فالإسناد ضعيف. وسلاّم هو ابن سلم، وهو متروك الحديث، راجع الميزان ٣٣٤٣، ومن دونه لا يعرف كما قال الهيثمي في «المجمع».

(٢) هشام بن عمار من رجال البخاري، ومن فوقه رجال البخاري ومسلم. وأما موسى بن محمد فهو ابن عطاء المقدسي، وقد كذبه موسى بن سهل الرملي وأبو زرعة، راجع ترجمته في «الجرح والتعديل» فالإسناد ضعيف جداً، والأشبه أنه موقوف، أو من كلام بعض المفسرين، والله أعلم.

سُورَةُ المُطَفِّفِين

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

وهي مَدَنيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

[٧١٨٨] قال النسائي وابنُ ماجه: أخبرنا محمد بن عَقِيل ـ زاد ابن ماجه: وعبدُ الرحمن بن بشر ـ قالا: حدَّثنا علي بن الحسين بن واقد، حدَّثني أبي، عن يزيدَ ـ هو ابن أبي سعيدٍ النحويُّ، مولى قريش ـ عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال: لما قَدِم نبيُّ الله ﷺ المدينةَ كانوا من أخبثِ الناس كيلاً فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، فَحَسَّنُوا الكيلَ بعد ذلك[1].

وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا جعفرُ بن النضر بن حماد، حدَّثنا محمد بن عُبَيد، عن الأعمش، عن عَمرو بن مُرَّة، عن عبد الله بن الحارث، عن هلالِ بن طلق قال: بينا أنا أسيرُ مع ابن عُمَر فقلتُ: مَن أحسنُ هيئةً وأوفاه كيلاً؟ أهلُ مكّة أو المدينة؟ قال: حق لهم، أما سَمِعت الله تعالى يقولُ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾.

وقال ابنُ جَرير: حدَّثنا أبو السائب، حدَّثنا ابن فُضَيل، عن ضِرارٍ، عن عبد الله المُكتِب، عن رجل، عن عبد الله قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! إن أهل المدينة ليوفُون الكيلَ. قال: وما يمنعَهُم أن يوفُوا الكيل وقد قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، حتى بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾. فالمرادُ بالتطفيف ها هنا: البخسُ في المكيال والميزان، إمَّا بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنُقصان إن قَضاهم ولهذا فَسَّر تعالى المُطفِّفين الذين وَعَدهم بالخَسار والهَلاك وهو الويلُ، بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، أي: من الناسِ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، أي: يأخُذون حقَّهم بالوافي والزائد، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾، أي: ينقصون. والأحسنُ أن يُجعَل «كالوا» و«وزنوا» مُتعدِّياً، ويكون هم في محل نصب: ومنهم مَن يجعلُها ضميراً مُؤكِّداً للمستتر في قوله: «كالوا» و«وزنوا»، ويحذف المفعولَ لدلالة الكلام عليه، وكلاهما مُتقارب.

وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكَيل والميزان، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾. وأهلك الله قومَ

(١) حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٧٤ وابن ماجه ٢٢٢٣ والطبراني ٢٠٤١ والحاكم ٢/ ٣٣.

شعيب وذمّهم على ما كانوا يَبْخسُون الناس في المِكيالِ والمِيزان. ثم قال تعالى متوعداً لهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، أي: أما يخافُ أولئك من البعثِ والقيام بَين يَدَي مَن يعلَمُ السرائر والضمائر، في يوم عظيم الهولِ، كثيرِ الفَزَع، جَلِيلِ الخَطْبِ، مَن خَسِر فيه أُدخِلَ ناراً حامية؟ وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾، أي: يَقومون حُفاةً عُراةً غُرلاً، في موقفٍ صعبٍ حَرِجٍ ضَيِّق ضَنكٍ على المُجرِم، ويَغشاهم مِن أمر الله ما تَعجِزُ القُوَى والحواسُّ عنه.

[٧١٨٩] قال الإمام مالك عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ حتى يَغِيب أحدُهم في رَشْحِهِ إلى أنصافِ أذنيه»[(١)]. رواه البخاري، من حديث مالك وعبد الله بن عَون، كلاهما عن نافع، به. ورواه مسلمٌ من الطريقين أيضاً. وكذلك رواه أيُّوبُ وصالح بن كيسان، وعبد الله وعُبَيد الله ابنا عُمَر، ومحمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عُمَر، به.

[٧١٩٠] ولفظ الإمام أحمدَ: حدَّثنا يزيدُ، أخبرنا ابنُ إسحاقَ، عن نافع، عن ابن عُمر: سَمِعتُ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾: لِعَظَمةِ الرحمن ـ عزَّ وجلَّ ـ يوم القيامة، حتى إن العرق لَيُلجِمُ الرجالَ إلى أنصافِ آذانهم»[(٢)].

[٧١٩١] حديث آخر، قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاقَ، حدَّثنا ابنُ المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيدَ بن جابر، حَدَّثني سُليم بن عامر، حدَّثني المقدادُ ـ يعني ابنَ الأسود الكِنديَّ ـ قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يومُ القيامةِ أُدنِيَت الشمس من العبادِ، حتى تكون قِيدَ مَيلٍ أو مَيلين. قال: فَتَصْهَرُهم الشمسُ، فيكونون في العَرَق كَقَدْرِ أعمالهم، منهم مَن يأخذُه إلى عَقِبيه، ومنهم من يأخذُه إلى ركبَتيه، ومنهُم من يأخذُهُ إلى حَقْويه، ومنهم من يُلجِمُه إلجاماً»[(٣)]. رواه مسلم، عن الحكم بن مُوسى، عن يحيى بن حَمْزَة ـ والترمذي، عن سُوَيد، عن ابن المبارك ـ كلاهما عن ابن جابر، به.

[٧١٩٢] حديث آخر، قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا الحسن بن سَوَّار، حدَّثنا الليثُ بن سَعد، عن معاوية بن صالح: أن أبا عبد الرحمن حَدَّثه، عن أبي أُمامة: أن رسول الله ﷺ قال: «تدنُو الشمسُ يومَ القيامةِ على قَدرِ مِيلٍ، ويُزَاد في حَرِّها كذا وكذا، تغلي منها الهَوَامُ كما تَغلِي القُدور، يَغرَقون فيها على قدر خطاياهم، منهم مَن يبلُغ إلى كَعبيه، ومنهم من يبلُغ إلى ساقَيه، ومنهم مَن يبلُغ إلى وَسَطه، ومنهم من يُلجِمُه العرقُ»[(٤)]. انفرد به أحمد.

[٧١٩٣] حديث آخر، قال الإمام أحمدُ: حدَّثنا حسن، حدَّثنا ابن لَهيعة، حدَّثنا أبو عُشَّانة حَيّ بن يُؤمِنُ، أنه سمع عُقبةَ بن عامر يقول: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «تدنُو الشمسُ من الأرضِ فَيعرَق الناسُ، فَمِن الناسِ مَن يبلغ عَرَقُه عَقِبيه، ومنهم من يبلُغ إلى نصفِ الساقِ، ومنهم مَن يبلُغ إلى رُكبَتيه، ومنهم مَن

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٣١ ومسلم ٢٨٦٢ ح ٦٠ والترمذي ٢٤٢٢ و ٣٣٣٦ والنسائي في «التفسير» ٦٧٧ وابن ماجه ٤٢٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣١ والطبري ٣٦٥٨٢ و ٣٦٥٨٣، وفيه عنعنة ابن إسحق، والحديث صحيح، لكن «العظمة الرحمن» مدرج.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٦٤ والترمذي ٢٤٢١ وأحمد ٦/ ٣ ـ ٤ والبغوي ٤٣١٧ وابن حبان ٧٣٣٠.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٢٥٤ ورجاله ثقات سوى أبي عبد الرحمن واسمه القاسم، فقد ضعفه غير واحد، وتفرد بلفظ «تغلي منها الهوام».

يبلُغ العَجزَ، ومنهم مَن يبلُغ الخاصرةَ، ومنهم من يبلُغ مَنْكِبَيه، ومنهم من يبلُغ وَسَطَ فيه ـ وأشار بيده فألجَمَها فاه ـ رأيتُ رسول الله ﷺ يُشِير هكذا ـ «ومنهم من يُغطِّيه عرقُه»، وضرب بيده إشارة[١]. انفرد به أحمد.

[٧١٩٤] وفي حديث أنهم يقومُون سبعينَ سنةً لا يتكلمون[٢]. وقيل: يقومون ثلاثَمِئةَ سنةٍ. وقيل: يقومُون أربعينَ ألفَ سنةٍ، ويُقضى بينهم في مقدارِ عشرةِ آلافِ سنةٍ.

[٧١٩٥] كما في صحيح مُسلم عن أبي هُرَيْرة مرفوعاً: «في يوم كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنة»[٣].

[٧١٩٦] وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو عونٍ الزياديُّ، أخبرنا عبد السلام بن عَجلان، سَمِعت أبا يزيد المَدَنيَّ، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ لبَشير الغِفَاريِّ: كيف أنت صانعٌ في يوم يقومُ الناس فيه ثَلاثَمِئَةِ سنةٍ لربِّ العالمين، من أيام الدنيا، لا يأتيهم فيه خبرٌ من السماءِ ولا يُؤمَر فيه بأمرٍ؟ قال بشير: المستعان الله. قال: فإذا أويت إلى فِراشك فتعوَّذ بالله من كَرْبِ يومِ القيامةِ، وسُوءِ الحساب[٤]. ورواه ابنُ جرير من طريق عبد السلام، به.

[٧١٩٧] وفي سنن أبي داود: أن رسولَ الله ﷺ كان يتعوَّذ بالله من ضيق المُقام يوم القيامة[٥]. وعن ابن مسعود: يقومُون أربعينَ سنةً رافعي رُؤُوسِهم إلى السماءِ، لا يُكَلِّمهم أحدٌ، قد ألجم العرقُ بَرَّهم وفاجرهم. وعن ابن عُمَر: يقومُون مئةَ سنةٍ. رواهُما ابنُ جرير.

[٧١٩٨] وفي سنن أبي داود والنَّسائي وابنِ ماجه، من حديث زَيد بن الحُباب، عن معاوية بن صالح، عن أزهَرَ بنِ سعيد الحَرَازيِّ، عن عاصم بنُ حَميد، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل: يُكَبِّر عشراً، ويحمَد عشراً، ويُسَبِّح عشراً، ويستغفر عشراً، ويقولُ: «اللهمَّ اغفِر لي واهدِني، وارزُقني وعافِني». ويتعوَّذ من ضيق المقام يوم القيامة[٦].

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى: حَقّاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾، أي: إن مَصِيرهم ومأواهم لفي سِجِّين ـ فِعِّيلٌ من السَّجن، وهو الضيقُ ـ كما يقال: فِسِّيقٌ وَشِرِّيبٌ وخمِّيرٌ وسِكِّيرٌ، ونحو ذلك. ولهذا عَظَّم أمره فقال تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٥٧ والطبراني ١٧/ ٨٥٥ والحاكم ٤/ ٥٧١ وابن حبان ٧٣٢٩، وفيه ابن لهيعة اختلط، ولكن أصل الحديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم في سورة المعارج.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٥٦٩٠ بهذا الإسناد، وفيه عبد السلام بن عجلان. قال الذهبي في «الميزان» ٥٠٥٧: قال أبو حاتم: يكتب حديثه، وتوقف غيره في الاحتجاج به اهـ وأبو يزيد شبه مجهول.

(٥) هو عجز الآتي.

(٦) جيد. أخرجه أبو داود ٧٦٦ والنسائي ٣/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ و ٨/ ٢٨٤ وابن ماجه ١٣٥٦ وأحمد ٦/ ١٤٣ وابن حبان ٢٦٠٢، وإسناده حسن، ورجاله ثقات، وورد من وجه آخر بسند ضعيف، أخرجه أحمد ٦/ ١٤٣ والنسائي في «اليوم والليلة» ٨٧٠.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾ أي: هو أمرٌ عظيمٌ، وسِجنٌ مُقِيمٌ وعذابٌ أليمٌ. ثم قد قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة.

[٧١٩٩] وقد تقدَّم في حديث البَرَاء بن عازب، في حديثه الطويل: «يقول الله عزَّ وجلَّ في رُوح الكافر: اكتبوا كتابه في سِجِّين»[١]. وَسِجِّين: هي تحت الأرض السابعة. وقيل: صخرةٌ تحتَ السابعةِ خضراءُ. وقيل: بئرٌ في جَهنَّم. وقد روى ابن جرير في ذلك حديثاً غَرِيباً مُنكراً لا يَصِحُّ، فقال:

[٧٢٠٠] حَدَّثنا إسحاق بن وهب الواسطي، حدَّثنا مسعودُ بن موسى بن مُشكان الواسطي، حدَّثنا نَصر بن خُزَيمة الواسطي، عن شُعَيب بن صِفوان، عن محمد بن كعب القُرَظي، عن أبي هُرَيْرة، عن النبي ﷺ قال: «الفَلَقُ: جُبٌ في جَهنَّم مُغَطًى، وأما سِجِّينٌ فمفتوح»[٢]. والصحيحُ أن «سِجِّيناً» مأخوذ من السِّجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كلَّ ما تسافل منها ضاق، وكلَّ ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعةَ كلُّ واحدٍ منها أوسَعُ وأعلى من الذي دُونه، وكذلك الأرضون كلُّ واحدةٍ أوسعُ من التي دُونها، حتى ينتهي السفولُ المطلق والمَحَلُّ الأضيقُ إلى المركز في وسط الأرض السابعةِ، ولما كان مَصِيرُ الفُجّار إلى جَهنَّم وهي أسفلُ السافلين، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥ ـ ٦]. وقال ها هنا: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾، وهو يجمعَ الضِّيقَ والسُّفُولَ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣﴾ [الفرقان: ١٣].

وقولُه تعالى: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾ ليس تفسيراً لقوله ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾، وإنما هو تفسير لما كُتِب لهم من المصير إلى سِجِّين، أي: مرقُومٌ مكتوب مفرُوغٌ منه، لا يُزَاد فيه أحدٌ ولا يُنقَصُ منه أحدٌ؛ قاله محمد بن كعب القرظيُّ. ثم قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠﴾، أي: إذا صارُوا يومَ القيامة إلى ما أوعَدَهُم الله من السِّجن والعذاب المُهين. وقد تقدَّم الكلامُ على قوله: ﴿وَيۡلٞ﴾ بما أغنى عن إعادته، وأنَّ المراد من ذلك الهلاكُ والدمارُ، كما يقال: ويلٌ لفلان.

[٧٢٠١] وكما جاء في المُسنَدِ والسُّنَنِ من روايةِ بُهز بن حكيم بن مُعاوية بن حَيْدة، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ويلٌ للذي يُحدِّث فَيَكذِبُ، لِيُضحِك الناسَ، ويلٌ له، ويلٌ له»[٣]. ثم قال تعالى مُفسِّراً للمُكذِّبين الفُجّار الكَفَرة: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١﴾، أي: لا يُصدِّقون بوقُوعه، ولا يعتقدُون كونَه وَيستبعِدُون أمْرَه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾، أي: مُعتدٍ في أفعالِه؛ من تَعاطِي الحرامِ والمُجاوَزَةِ في تناول المُباح، والأثيم في أقواله إن حَدَّث كذب، وإن وَعَد أخلف، وإن خاصَم فَجَر.

وقولُه تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾، أي: إذا سَمِع كلامَ الله تعالى من الرسول، يُكذِّب به، ويَظُنُّ به ظَنَّ السَّوءِ، فيعتقد أنه مُفتعَلٌ مجمُوعٌ من كُتُبِ الأوائل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان: ٥]. قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾، أي: ليس الأمر كما زَعَموا ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطيرُ الأولين، بل هو كلامُ الله وَوَحْيُه وتنزيلُه على

(١) تقدم في الأعراف: ٤٠.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٦٦١٤، وفيه شعيب بن صفوان، وهو منكر الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٩٠ والترمذي ٢٣١٥ والنسائي في «التفسير» ٦٧٥ وأحمد ٥/٢ و ٣ والطبراني ٩٥٠ و ٩٥٦ وهو حديث حسن.

رسولِه ﷺ وإنما حَجَب قُلوبَهم عن الإيمان به ما عليها من الرَّيب الذي قد لَبِسَ قُلوبهم من كَثْرَة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾. والرينُ يَعتري قلوبَ الكافرين، والغيمُ للأبرار، والغينُ للمقرَّبين.

[٧٢٠٢] وقد رَوَى ابنُ جرير والتِّرمذي والنَّسائي وابنُ ماجه. من طُرُقٍ، عن محمد بن عَجْلانَ، عن القعقاع بن حَكِيم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ العبدَ إذا أذنَب ذنباً كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب منها صُقِل قلبُه، وإن زاد زادت، فذلك قولُ الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»(١). وقال الترمذي: «حسن صحيح». ولفظ النَّسائي: «إن العبدَ إذا أخطأ خَطِيئَةً نُكِت في قَلْبه نكتةٌ، فإن هو نَزَع واستغفر وتاب صُقِل قلبُه، فإن عاد زِيدَ فيها حَتَّى يَعلُوَ قَلْبَه، فهو الرانُ الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾».

[٧٢٠٣] وقال أحمدُ: حدَّثنا صفوانُ بن عيسى، أخبرنا ابن عَجْلان، عن القعقاع بن حَكيم، عن أبي صالحٍ، عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب ونَزَعَ واستغفر صُقِل قلبه، فإن زاد زادت حتى يعْلو قلبَه، وذاك الرانُ الذي ذَكَر الله في القرآن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»(٢). وقال الحسن البصري: هو الذنبُ على الذنب، حتى يَعْمَى القلبُ فيموتَ. وكذا قال مجاهد بن جَبْرٍ، وقتادةُ، وابنُ زيد، وغيرُهم. وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، أي: لهم يوم القيامة مَنزلٌ ونُزُلُ سجِّين، ثم هم مع ذلك محجُوبون عن رُؤية ربِّهم وخالقهم. قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليلٌ على أن المؤمنين يَرونه ـ عزَّ وجلَّ ـ يومئذٍ. وهذا الذي قاله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في غاية الحسن، وهو استدلالٌ بمفهوم هذه الآية، كما دَلَّ عليه منطوقُ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. وكما دلَّت على ذلك الأحاديثُ الصِّحاح المتواترة في رُؤية المؤمنين رَبَّهم ـ عز وجلَّ ـ في الدار الآخرة، رُؤية بالأبصار في عَرَصات القيامة، وفي روضات الجِنَان الفاخِرةِ. وقد قال ابن جرير محمد بن عمار الرازي: حدَّثنا أبو معمر المنْقريّ، حدَّثنا عبد الوارث بن سعيد، عن عَمرو بن عُبَيدٍ، عن الحسنِ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، قال: يُكشَفُ الحِجابُ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يُحجَبُ عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون. كُلَّ يوم غُدوة وعَشِيَّة. أو كلاماً هذا معناه. وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾، أي: ثم هم مع هذا الحرمانِ عن رؤية الرحمنِ من أهل النيرانِ، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾، أي: يُقال لهم ذلك على وجه التقريعِ والتوبيخ، والتصغيرِ والتحقيرِ.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

(١) حسن. أخرجه الترمذي ٣٣٣٤ والنسائي في التفسير ٦٧٨ وفي «السنن» ٤١٨ وابن ماجه ٤٢٤٤ والطبري ٣٦٦٢٣.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٧ وإسناده حسن لأجل ابن عجلان. وتقدم.

يقولُ تعالى: حَقّاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾، وهم بخلاف الفُجّار، ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾، أي: مَصيرُهم إلى عِلِّيين، وهو بخلاف سِجِّينٍ. قال الأعمش، عن شِمْرِ بن عطية، عن هلال بن يَسَافٍ قال: سأل ابنُ عباس كعباً وأنا حاضرٌ عن سِجِّينٍ، قال: هي الأرضُ السابعة، وفيها أرواحُ الكُفَّار. وسأله عن عِلِّيينَ فقال: هي السماءُ السابعةُ، وفيها أرواحُ المؤمنين. وهكذا قال غيرُ واحد: إنها السماءُ السابعةُ. وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾، يعني: الجنة. وفي رواية العَوفي، عنه: أعمالُهم في السماءِ عند الله. وكذا قال الضحّاك. وقال قتادةُ: عِلِّيون: ساقُ العرش اليُمنى. وقال غيره: عِلِّيون عند سِدْرَة المُنتهَى. والظاهر أن عِلِّيين مأخوذٌ من العُلو، وكُلَّما علا الشيءُ وارتفع عَظُم واتسَعَ، ولهذا قال تعالى مُعظِّماً أمره ومُفخِّماً شأنه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾. ثم قال تعالى مؤكِّداً لما كُتِب لهم: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، وهم الملائكة، قاله قتادة. وقال العوفي، عن ابن عباس: يشهدُه من كلِّ سماءٍ مُقرَّبُوها. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾، أي: يومَ القيامة هم في نعيم مُقِيم، وجَنّاتٍ فيها فضلٌ عَمِيمٌ. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، وهي: السُّرَر تحت الحِجَال، ﴿يَنظُرُونَ﴾، قيل: معناه ينظرُون في مُلكِهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا يَنْقَضي ولا يَبِيدُ. وقيل: معناه ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلى الله عزَّ وجلَّ. وهذا مُقابلٌ لما وُصِف به أولئك الفجّار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾، فَذكر عن هؤلاء أنهم يُباحُون النظر إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهم على سُرُرِهم وفُرُشِهم.

[٧٢٠٤] كما تقدّم في حديث ابن عُمَر: «إنَّ أدنى أهل الجنة منزلةً لَمَن ينظر في مُلْكِه مسيرةَ ألفَي سنة، يَرَى أقصاه كما يرى أدناه، وإنَّ أعلاه لَمَن ينظُر إلى الله في اليوم مرّتين»[(١)].

وقولُه تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾، أي: تَعرِف إذا نظرتَ إليهم في وُجُوههم نَضْرَة النعيم، أي: صِفةَ الترافة والحِشْمَةِ والسُّرور والدَّعَةِ والرِّياسةِ؛ مما هُم فيه من النعيم العظيم. وقولُه تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾، أي: يُسقَون من خَمْرٍ من الجنةِ. والرَّحِيقُ من أسماءِ الخَمْرِ. قاله ابنُ مسعود، وابنُ عباس، ومجاهدٌ، والحسنُ، وقتادةُ، وابنُ زيد.

[٧٢٠٥] قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا حسن، حدَّثنا زُهَير، عن سعد أبي المُجاهد الطائي، عن عَطِيّة ابنِ سعد العَوفي، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ـ أرَاه قد رَفَعه إلى النبيِّ ﷺ قال: «أيُما مُؤمن سَقَى مُؤمِناً شَربةً على ظَمَإٍ سقاه الله يومَ القيامة من الرَّحيقِ المختومُ. وأيُما مؤمِن أطعَم مُؤمِناً على جُوعٍ أطعَمه الله من ثِمارِ الجنّة. وأيُما مُؤمِنٍ كَسَا مُؤمِناً ثوباً على عُرْيٍ كَسَاه الله من خُضْرِ الجنة»[(٢)]. وقال ابنُ مسعود في قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، أي: خَلْطُه مِسْكٌ. وقال العَوفيُّ، عن ابن عبّاس: طَيَّب الله لهم الخمرَ، فكان آخرَ شيءٍ جُعِل فيها مسكٌ، خُتِم بمسْكٍ. وكذا قال قتادةُ، والضحّاكُ. وقال إبراهيمُ والحسن: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، أي: عاقبتُه مِسْكٌ.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا يحيى بن واضح، حدَّثنا أبو حمزةُ، عن جابر، عن

---

(١) إسناده ضعيف، وقد تقدم.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٤٩ وأحمد ٣/ ١٣، وإسناده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي. وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وقد روي موقوفاً على أبي سعيد، وهو أصح، وأشبه اهـ وأخرجه أبو داود ١٦٨٢ من وجه آخر، وفيه أبو خالد الدالاني، وهو غير قوي، لكن يصلح للاعتبار. فالحديث حسن إن شاء الله. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» ٣٠ و ٣١ عن ابن مسعود موقوفاً ومثله لا يقال بالرأي.

عبد الرحمن بن سابط، عن أبي الدرداء: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، قال: شرابٌ أبيضُ مثل الفضّةِ، يَخْتِمُون به شرابَهم. ولو أن رَجُلاً من أهل الدنيا أدخَل إصبَعَه فيه ثم أخرجها لم يبقَ ذُو رُوحٍ إلا وَجَد طِيبَها. وقال ابنُ أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾. قال: طِينُه مِسْكٌ. وقولُه تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾، أي: وفي مثلِ هذا الحالِ فَلْيتفاخَرِ المتفاخرون، ولْيَتباهى ويُكاثِرْ وَيَسْتَبِق إلى مثله المُسْتَبِقُون. كقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾، أي: ومِزاجُ هذا الرحيقِ الموصوفِ من تَسْنِيم، أي: من شَرَابٍ يقال له تَسْنِيمٌ، وهو أشرفُ شراب أهلِ الجنّةِ وأعلاه. قاله أبو صالح والضحّاك. ولهذا قال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، أي: يَشْرَبُها المُقرَّبون صِرْفاً، وتُمزَجُ لأصحاب اليمين. قاله ابنُ مسعود، وابنُ عباس، ومسروقٌ، وقتادةُ، وغيرُهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

يُخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحَكُون من المؤمنين، أي: يَستهزِئون بهم ويحتقِرونهم، وإذا مَرُّوا بالمؤمنين يتغامزُون عليهم، أي: محتقرين لهم، ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾، أي: وإذا انقلب، أي: رجع هؤلاء المجرمُون إلى منازلهم، انقلبوا إليها فاكهين، أي: مهما طلبوا وجدُوا، ومع هذا ما شكرُوا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقِرُونهم ويحسُدونهم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾، أي: لِكَونهم على غير دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾، أي: وما بُعِث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدُر من أعمالهم وأقوالهم، ولا كُلِّفوا بهم، فلم اشتغَلُوا بهم وجعَلُوهم نُصْب أعينِهم؟! كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨ ـ ١١١]. ولهذا قال ها هنا: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني يومَ القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾. أي: في مقابلة ما ضَحِك بهم أولئك، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾، أي: إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ في مُقابلَة من زَعم فيهم أنهم ضالُّون، وليسُوا بضالين، بل هم من أولياء الله المُقرَّبين، ينظُرون إلى ربِّهم في دارِ كَرامتِه. وقولُه تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾، أي: هل جُوزِي الكفار على ما كانوا يُقابِلُون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقّص أم لا؟ يعني: قد جُوزُوا أوفَر الجزاء وأتمّه وأكمَلَه.

آخر تفسير سورة المطففين، ولله الحمد والمنّة

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

وهي مكيَّةٌ

[٧٢٠٦] قال مالكٌ، عن عبد الله بن يزيدَ، عن أبي سَلَمة: أنَّ أبا هُريرة قرأ بهم: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهُم أن رسولَ الله ﷺ سَجَد فيها(١). رواه مسلم والنسائيُّ، من طرِيق مالك، به.

[٧٢٠٧] وقال البخاريُّ: حدَّثنا أبو النُعمان، حدَّثنا مُعتَمِر، عن أبيه، عن بَكْرٍ، عن أبي رافع قال: صَلَّيت مع أبي هُرَيرة العتمة فقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، فَسَجد، فقلتُ له، قال: سجدت خَلْفَ أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجُد بها حتى ألقاه(٢). ورواه أيضاً عن مُسَدَّد، عن مُعتَمِرٍ، به. ثم رواه عن مُسَدِّدٍ، عن يزيدَ بن زُرَيع، عن التَّيمِيِّ، عن بكر، عن أبي رافع، فذكره. وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طُرُق، عن سُلَيمان بن طَرْخان التَّيمي، به.

[٧٢٠٨] وقد رَوَى مسلم وأهل السنن من حديث سُفيان بن عُيينَة ـ زاد النَّسائي: وسفيان الثَّوري ـ كلاهُما عن أيُّوب بن مُوسى، عن عطاء بن مِيناءَ، عن أبي هُرَيرَة قال: سَجَدنا مع رسولِ الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، و ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾(٣) [العلق: ١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾، وذلك يومَ القيامة، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أي: استمعت لربِّها وأطاعت أمْرَه فيما أمرها به من الانشقاق ﴿وَحُقَّتْ﴾، أي: وحقَّ لها أن تُطِيعَ أمره؛ لأنه العظيمُ الذي لا يمانَعُ ولا

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٥٧٨ ح ١٠٧ والنسائي في «التفسير» ٦٨٠ وفي «السنن» ٩٦١.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١٠٧٨ ومسلم ٥٧٨ ح ١١ وأبو داود ١٤٠٨ والنسائي ٢/ ١٦١.

(٣) والحديث صحيح. أخرجه مسلم ٥٧٨ ح ١٠٨ وأبو داود ١٤٠٧ والنسائي ٢/ ١٦٢ والترمذي ٥٧٣ وابن ماجه ١٠٥٨ وابن حبان ٢٧٦٧.

يُغالَبُ، بل قد قَهر كلَّ شيء وذَلَّ له كلُّ شيءٍ. ثم قال: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾، أي: بُسِطت وفُرِشت وَوُسِّعت.

[٧٢٠٩] قال ابنُ جرير رحمه الله: حدَّثنا ابنُ عبد الأعلى، حدَّثنا ابنُ ثَور، عن مَعْمَر، عن الزهريِّ، عن علي بن الحسين: أن النبيَّ ﷺ قال: «إذا كان يومُ القيامة مَدَّ الله الأرض مَدَّ الأدِيم، حتى لا يكونَ لبشرٍ من الناسِ إلا موضع قَدَميه، فأكونَ أوَّلَ مَن يُدعَى، وجبريلُ عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلَها، فأقول: يا ربِّ! إن هذا أخبرني أنك أرسلتَه إليّ؟ فيقولُ الله عزَّ وجلَّ: «صدق». ثم أشفعُ فأقولُ: يا ربِّ! عبادَك عَبَدُوك في أطرافِ الأرض. قال: وهو المقامُ المحمود»(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾، أي: ألقت ما في بطنها من الأمواتِ، وتَخلَّت منهم. قاله مجاهدٌ، وسعيدٌ، وقتادة. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾. كما تقدَّم. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾، أي: إنك ساعٍ إلى ربِّك سعياً، وعاملٌ عملاً، ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، ثُم إنَّك ستلقى ما عَمِلتَ من خير أو شر. ويشهد لذلك.

[٧٢١٠] ما رَوَاه أبو داودَ الطيالسيُّ، عن الحسن بن أبي جعفر، عن أبي الزبير عن جابر قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «قال جبريلُ: يا محمدُ! عِشْ ما شِئتَ فإنك ميِّت، وأحبِبْ ما شِئْتَ فإنك مُفارِقه، واعمل ما شئتَ فإنك ملاقيه»(٢). ومن الناس من يُعِيد الضمير على قوله: ﴿رَبِّكَ﴾، أي: فملاق ربِّك، ومعناه: فَيُجازِيك بِعَمَلِك ويُكافئُك على سَعْيِك. وعلى هذا فكلا القولين متلازمٌ. قال العَوفي، عن ابن عباسٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾، يقول: تعمَلُ عملاً تلقى الله به، خيراً كان أو شراً.

وقال قتادةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾: إن كَدْحَكَ ـ يابنَ آدمَ ـ لَضعيفٌ، فمن استطاع أن يكون كدحُه في طاعة الله فَلْيفعَلْ، ولا قُوَّة إلا بالله. ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، أي: سهلاً بلا تَعْسِير، أي: لا يُحقَّق عليه جَميعُ دقائق أعمالَه؛ فإن من حوسب كذلك يَهلِكُ لا محالةَ.

[٧٢١١] قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل، أخبرنا أيُّوبُ، عن عبد الله بن أبي مُلَيكَة، عن عائشة قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «من نُوقِشَ الحساب عُذِّب». قالت: فقلتُ: أليس قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحسابِ، ولكن ذلك العرضُ، من نُوقِش الحساب يومَ القيامة

---

(١) أخرجه الطبري ٣٦٧٢٥ عن علي بن الحسين، وهو زين العابدين رضي الله عنه، وهذا مرسل، وللحديث شواهد كثيرة سوى لفظ «والله ما رآه قبلها».

(٢) أخرجه الطيالسي ١٧٥٥ والبيهقي في «الشعب» ١٠٥٤٠، وإسناده ضعيف لأجل الحسن بن أبي جعفر، وورد من وجه آخر أخرجه البيهقي ١٠٥٤٠ وابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/ ١٠٨ من حديث سهل بن سعد. وأخرجه الحاكم ٤/ ٣٢٥ والبيهقي ١٠٥٤٢ عن ابن عمر أو عن سهل بن سعد. وصححه الحاكم! وسكت الذهبي! ومداره على زافر بن سليمان، وقال ابن الجوزي: قال ابن عدي: لا يتابع على عامة ما يرويه. قال ابن الجوزي: وفيه محمد بن حميد. وقد كذبه أبو زرعة وأبو داود اهـ قلت: تابعه عيسى بن صبيح عند الحاكم، وزافر بن سليمان وثقه غير واحد. ونقل السيوطي في «اللآلىء» ٢/ ٣٠ عن ابن حجر قوله: صححه الحاكم، ووهاه ابن الجوزي واتهم به محمد بن حميد، أو زافر ـ بن سليمان ـ ومحمد توبع، وزافر لم يتهم بكذب. والصواب أنه لا يحكم عليه بالوضع ولا بالصحة، ولو توبع لكان حسناً اهـ قلت تقدم أنه تابعه غير واحد ومن ذلك حديث جابر، وورد من حديث الحسن بن علي أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٢٠٢ وإسناده ضعيف. فهذا حديث حسن، أو يشبه الحسن، والله أعلم.

عُذِّب»[١]. وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنَّسائي، وابنُ جرير، من حديث أيُّوب السَّختياني، به.

[٧٢١٢] وقال ابن جَرير: حدَّثنا ابن وكيع، حدَّثنا رَوح بن عُبادة، حدَّثنا أبو عامر الخَزَّاز، عن ابن أبي مُلَيكَةَ، عن عائشة قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «إنه ليس أحدٌ يحاسَبُ يومَ القيامة إلا مُعذَّباً». فقلت: أليس اللّهُ يقولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾، قال: «ذاك العرضُ، إنه من نُوقِش الحساب عُذِّب»، وقال بيده على إصبعه كأنه ينكُتُ[٢]. وقد رواه أيضاً عن عمرو بن علي، عن ابن عدي، عن أبي يونس القُشَيري، عن ابن أبي مُلَيكة، عن القاسم، عن عائشة ـ فذكر الحديث. أخرجاه من طريق أبي يونس القُشَيري، واسمه حاتم بن أبي صَغِيرَة، به.

قال ابنُ جرير: وحدَّثنا نصر بن علي الجَهضمي، حدَّثنا مسلم، عن الحريش بن الخِرِّيت أخي الزبير، عن ابن أبي مُلَيكة، عن عائشة قالت: من نُوقِش الحسابَ ـ أو: من حُوسِب ـ عُذِّبَ. قال: ثم قالت: إنما الحسابُ اليسيرُ عرض على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو يراهم.

[٧٢١٣] وقال أحمد: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا محمد بن إسحاق، حدَّثني عبد الواحد بنُ حمزة بن عبد الله بن الزبير، عن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة قالت: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً». فلما انصرف قلتُ: يا رسولَ الله! ما الحسابُ اليسير؟ قال: «أن يُنظر في كتابه فَيُتجاوَزَ له عنه، إنه من نُوقش الحسابَ ـ يا عائشةُ ـ يومئذ هَلَكَ»[٣]. صحيح على شرط مسلم.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾، أي: ويَرجع إلى أهله في الجنة. قاله قتادة، والضحَّاك، ﴿مَسْرُورًا﴾، أي: فرحان مُغتَبِطاً بما أعطاه الله عزَّ وجلَّ. وقد رَوى الطبراني عن ثوبانَ ـ مولى رسولِ الله ﷺ أنه قال: إنكم تعمَلُون أعمالاً لا تُعرَف، ويُوشِك الغائب أن يثوب إلى أهله، فمسرور ومكظوم. وقولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾، أي: بشماله من وراء ظَهرِه، تُثنَى يدُه إلى ورائه ويُعطَى كتابه بها كذلك، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾، أي: خساراً وهلاكاً، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾، أي: فَرِحاً لا يُفكِّر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرحُ اليسيرُ الحزنَ الطويلَ، ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾، أي: كان يعتقد أنه لا يرجِعُ إلى الله ولا يُعِيده بعد موته. قاله ابن عباس، وقتادةُ، وغيرهما، والحَوْرُ: هو الرجوع. قال الله: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾، يعني: بلى سَيُعيده الله كما بدأه، ويُجازِيه على أعماله خيرها وشرِّها، فإنه كان به بصيراً، أي: عليماً خبيراً.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٩ و ٦٥٣٦ ومسلم ٢٨٧٦ ح ٧٩ والترمذي ٣٣٣٧ والنسائي في «التفسير» ٦٧٩، وأحمد ٦/١٢٧، والطبري ٣٦٧٣٦.

(٢) أخرجه الطبري ٣٦٧٣٧ وإسناده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع، لكن أخرجه البخاري ٤٩٣٩ ومسلم ٢٨٧٦ ح ٨٠ من طريق أبي يونس القشيري.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٦/٤٨ والطبري ٣٦٧٣٣ والحاكم ١/٥٧ و ٢٥٥ و ٤/٢٤٩ وابن حبان ٧٣٧٢ وإسناده قوي، وقد صرح ابن إسحق بالتحديث لكن ما روى له مسلم في الأصول، إنما روى له متابعة، وله شواهد.

يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

رُوِي عن علي، وابن عباس، وعُبَادة بن الصامت، وأبي هُرَيْرَة، وشَدّادِ بن أوسٍ، وابن عُمَر، ومحمد بن علي بن الحُسَين، ومكحُولٍ، وبكر بن عبد الله المُزَني، وبُكَير بن الأشجِّ، ومالك، وابن أبي ذِئبٍ، وعبد العزيز بن أبي سَلَمة الماجِشُون أنهم قالوا: الشفق: الحُمرة. وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خُثَيم، عن ابن لَبِيبة، عن أبي هُرَيرة قال: الشفقُ البياضُ. فالشفق هو حمرةُ الأُفق إما قبل طُلوع الشمس ـ كما قاله مجاهد ـ وإما بعد غُروبها ـ كما هو معروف عند أهل اللغة. قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرةُ من غروب الشمس إلى وقت العِشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفَقُ. وقال الجوهري: الشفق: بقيةُ ضوءِ الشمس وحُمرتُها في أول الليل إلى قريب من العَتَمةِ. وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

[٧٢١٤] وفي صحيح مُسلم، عن عبد الله بن عَمْرٍو، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «وقتُ المغربِ ما لم يَغِب الشَّفَق»[١]. ففي هذا كلِّه دلِيلٌ على أن الشفَقَ هو كما قاله الجوهري والخليلُ. ولكن صحَّ عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾: هو النهار كلُّه. وفي روايةٍ عنه أيضاً أنه قال: الشفقُ الشمسُ. رواهما ابن أبي حاتم. وإنما حمله على هذا قَرْنُه بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾، أي: جَمَع. كأنه أقسم بالضياء والظلام.

وقال ابنُ جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً، وبالليل مقبلاً. قال ابن جرير: وقال آخرون: الشفق اسم للحُمرة والبياض. وقالوا: هو من الأضداد. قال ابن عباس، ومجاهدٌ، والحسنُ، وقتادة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: وما جَمَع. قال قتادة: وما جَمَع من نجم ودابةٍ. واستشهَدَ ابنُ عباس بقولِ الشاعر:

مُسْتَوسِقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقاً

وقال عِكْرِمة: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾، يقول: ما ساقَ من ظُلمةٍ، إذا كان الليلُ ذَهَب كلُّ شيءٍ إلى مأواه. وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾، قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى. وكذا قال عِكرِمة، ومجاهدٌ، وسعيد بن جُبَير، ومسروقٌ، وأبو صالح، والضحّاك، وابنُ زيد: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾: إذا استوى. وقال الحسنُ: إذا اجتمَعَ، إذا امتلأ. وقال قتادةُ: إذا استدار. ومعنى كلامهم: أنه إذا تكامل نُوره وأبدَرَ، جعله مقابلاً للَّيل وما وَسَق. وقولُه تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾.

[٧٢١٥] قال البخاري: أخبرنا سعيد بن النضر، أخبرنا هُشَيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهدٍ قال: قال ابنُ عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾: حالاً بعد حالٍ، قال هذا نبيُّكم ﷺ[٢]. هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ، وهو مُحتمِل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبيِّ ﷺ كأنه قال: سَمِعت هذا من نَبِيِّكم ﷺ، فيكون قوله «نبيكم» مرفوعاً على الفاعلية من «قال» وهو الأظهر، والله أعلم.

[٧٢١٦] كما قال أنس: «لا يأتي عام إلا والذي بعده شرٌّ منه»، سَمِعتُه من نَبِيِّكم ﷺ[٣].

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ح ١٧٣.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٠.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٠٦٨ والترمذي ٢٢٠٧ وأحمد ٣/١٧٩ وأبو يعلى ٤٠٣٧.

[٧٢١٧] وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوبُ بن إبراهيم، حدَّثنا هُشَيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد: أن ابن عباس كان يقولُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، قال: يعني: نَبِيُّكم ﷺ، يقول: حالاً بعد حال[١]. هذا لفظه. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حالٍ. وكذا قال عكرمة، ومُرّة الطَّيِّب، ومجاهد، والحسنُ، والضحَّاك. ويحتمل أن يكون المراد: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾: حالاً بعد حال. قال: هذا... يعني المراد بهذا: نبيكم ﷺ فيكون مرفوعاً على أن «هذا» و «نبيكم» يكونان مبتدأ وخبراً، والله أعلم. ولعلّ هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة، كما قال أبو داود الطيالسي وغُندَر: حدَّثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، قال: محمد ﷺ. ويُؤيِّد هذا المعنى قراءةُ عُمَر، وابنِ مسعود، وابنِ عباس، وعامّةِ أهلِ مكة والكوفة: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح التاء والباء.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا أبو أُسامةَ، عن إسماعيلَ، عن الشعبيِّ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، قال: لتركَبَنَّ يا محمدُ سماءً بعدَ سماءٍ. هكذا رُوِي عن ابن مسعودٍ، ومسروقٍ، وأبي العالية: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: سَمَاءً بعدَ سماءٍ. قلتُ: يعنون ليلةَ الإسراء. وقال أبو إسحاق، والسُدِّي، عن رَجُلٍ، عن ابن عباس: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، مَنزِلاً على مَنزِلٍ، وكذا رواه العَوفي، عن ابن عباس مثله، وزادَ: «ويقال: أمراً بعد أمرٍ، وحَالاً بعدَ حالٍ». وقال السُدِّي نفسُه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾: أعمالَ مَن قبلكم مَنزِلاً عن مَنزِلٍ.

[٧٢١٨] قلت: كأنه أراد معنى الحديث الصحيح: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَن من كان قبلكم، حَذْوَ القُذّة بالقُذّة، حتى لو دخلُوا جُحر ضَبٍّ لدخلتُموه». قالوا: يا رسول الله! اليهودَ والنصارى؟ قال: «فمن»؟[٢]. وهذا مُحتَمل.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا هشامُ بن عمّار، حدَّثنا صدقةُ، حدَّثنا ابنُ جابر: أنه سَمِع مكحولاً يقولُ في قول الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، قال: في كلِّ عشرين سنة تُحدِثُون أمراً لم تكونوا عليه. وقال الأعمش: حَدَّثني إبراهيم قال: قال عبدُ الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، قال: السماءُ تنشقُّ ثم تَحمَرُّ، ثم تكون لوناً بعد لونٍ. وقال الثوري، عن قيس بن وَهبٍ، عن مُرّة، عن ابن مسعُودٍ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، قال: السماء مَرة كالدِّهان، ومرّة تَنشَق. وروى البزّار من طريق جابر الجُعفي، عن الشعبيِّ، عن علقمةَ، عن عبدِ الله بنِ مسعُودٍ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، يا محمد، يعني: حالاً بعد حالٍ. ثم قال: وَرَواه جابرٌ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عبّاس. وقال سعيد بن جُبير: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾، قال: قومٌ كانوا في الدُّنيا خَسِيسٌ أمرهم، فارتفعوا في الآخرة. وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا، فاتَّضعُوا في الآخرة. وقال عِكْرِمة: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حالٍ، فَطِيماً بعد ما كان رَضِيعاً، وشيخاً بعدما كان شابًا. وقال الحسن البصريُّ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، يقول: حالاً بعدَ حالٍ، رخاءً بعدَ شِدَّةٍ، وشِدَّةً بعد رخاءٍ، وغِنًى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحَّةً بعد سَقَم، وسَقَماً بعد صِحَّةٍ.

[٧٢١٩] وقال ابن أبي حاتم: ذُكِر عن عبد الله بن زاهر: حدَّثني أبي، عن عَمرو بن شَمِر، عن جابر ـ هو الجُعفِيُّ ـ عن محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إن ابنَ آدم لَفِي

---

(١) صحيح. أخرجه الطبري ٣٦٧٩٠ وإسناده على شرط الصحيح.

(٢) تقدم تخريجه، وهو صحيح.

غَفْلَةٍ مما خُلِقَ له؛ إن الله تعالى إذا أراد خَلْقَه قال للملك: اكتُب رزقه، اكتُب أجله، اكتب أثره، اكتب شَقِيًا أو سعيداً. ثم يَرْتَفِعُ ذلك المَلَكُ ويبعَث الله إليه مَلَكاً فَيَحْفَظُه حتى يُدرِكَ، ثم يَرْتَفِع ذلك المَلَكُ، ثم يُوكِّل الله به مَلَكين يكتبان حسناته وسَيِّئاته، فإذا حَضَره الموتُ ارتفع ذانِكَ الملكان، وجاءه مَلَكُ الموتِ فَقَبض رُوحه، فإذا دخل قبره رَدَّ الروح في جَسَدِه. ثم ارتفع مَلَكُ الموتِ وجاءه مَلَكا القبرِ فامتحناه. ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعةُ انحطَّ عليه مَلَكُ الحسناتِ ومَلَكُ السيِّئات، فانتشطا كتاباً معقوداً في عُنُقه، ثم حَضَرا معه: واحداً سائقاً وآخرُ شهيداً، ثم قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق: ٢٢]. قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩﴾. قال: «حالاً بعدَ حالٍ». ثم قال النبي ﷺ: «إن قُدَّامكم لأمراً عظيماً لا تقدِرُونَه، فاستعِينوا بالله العظيم»(١). هذا حديث مُنكر، وإسناده فيه ضُعَفاء، ولكنَّ معناه صحيحٌ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

ثم قال ابنُ جرير بعد ما حكى أقوالَ الناس في هذه الآية من القُراء والمفسرين: والصوابُ من التأويل قولُ مَن قال: لَتركَبَنّ أنت ـ يا محمَّدُ ـ حالاً بعدَ حالٍ وأمراً بعدَ أمر من الشَّدائد. والمرادُ بذلك ـ وإن كان الخطابُ إلى رسول الله ﷺ جَميعُ الناس أنهم يَلْقون من شَدائِد يوم القيامة وأهوالِه أحوالاً.

وقولُه تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، أي: فماذا يمنعُهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟!. وما لهم إذا قُرِئت عليهم آياتُ الرحمنِ وكلامُه ـ وهو هذا القرآنُ ـ لا يسجدُون إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟! وقولُه تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾، أي: من سَجِيَّتهم التكذيبُ والعنادُ والمخالفةُ للحقِّ. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾، قال مجاهد وقتادة: يكتُمون في صُدُورهم. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾، أي: فأخبِرْهم ـ يا محمد ـ بأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أعدَّ لهم عذاباً أليماً.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هذا استثناء منقطعٌ، يعني: لكن الذين آمنُوا، أي بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾، أي: في الدار الآخرة. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قال ابنُ عباس: غير مَنقُوص. وقال مجاهدٌ، والضحَّاكُ: غيرُ مَحسُوبٍ. وحاصلُ قولهما: أنه غيرُ مقطوع، كما قال تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وقال السُّدِّي: قال بَعضُهم: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير مَنقُوصٍ. وقال بعضُهم: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عليهم. وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غيرُ واحد؛ فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ له المِنَّةُ على أهل الجنَّة في كل حالٍ وآنٍ ولحظةٍ، وإنما دخُولها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المِنَّةُ دائماً سَرْمداً، والحمدُ لله وَحْدَه أبداً، ولهذا يُلهَمُون تَسبيحه وتَحميده كما يلهمُون النَّفَس: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

آخر تفسير سورة الانشقاق، ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة

---

(١) ضعيف جداً. فيه عمرو بن شِمْر الجعفي وهو متروك الحديث، وشيخه جابر هو ابن يزيد الجعفي، وهو متروك أيضاً، ولبعضه شواهد، وبعضه غريب جداً؛ ولعله موضوع.

سورة البروج

ترتيبها ٨٥ — آياتها ٢٢

وهي مكيّة

[٧٢٢٠] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عبدُ الصمد، حدَّثنا زُرَيق بن أبي سَلْمَى، حدَّثنا أبو المُهَزِّم، عن أبي هُرَيرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذاتِ البُروج، والسماءِ والطارق[١].

[٧٢٢١] وقال أحمد: حدَّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدَّثنا حمَّاد بن عباد السَّدُوسي، سَمِعتُ أبا المُهَزِّمِ يحدِّث عن أبي هُرَيرة: أن رَسُولَ الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء[٢]. تفرد به أحمد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

يُقسِم تعالى بالسماء وبُرُوجها، وهي: النجومُ العظامُ. كما تقدَّم بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١]. قال ابن عباس، ومجاهد، والضحَّاك، والحسنُ، وقتادةُ، والسدِّي: البُروج النجومُ. وعن مجاهد أيضاً: البُروج التي فيها الحرسُ. وقال يحيى ابن رافع: البروج: قُصُورٌ في السماء. وقال المنهال بن عمرو: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾: الخَلْقِ الحسن. واختار ابنُ جرير أنها منازلُ الشمسِ والقَمَر، وهي اثنا عَشَر بُرجاً، تَسِير الشمسُ في كلِّ واحدٍ منها شهراً، ويسيرُ القمرُ في كلِّ واحدٍ يومين وثُلُثاً، فذلك ثمانيةٌ وعشرون منزلةً، ويَسْتَسِرُّ ليلتين. وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: اختلف المفسِّرون في ذلك.

[٧٢٢٢] وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا عبدُ الله بن محمد بن عَمرو الغَزِّي، حدَّثنا عُبَيد الله ـ يعني ابنَ موسى ـ حدَّثنا موسى بن عُبَيدة، عن أيُّوبَ بن خالدِ بن صفوانَ بن أوسِ الأنصاريِّ، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هُرَيْرَة قال: قال رسولُ الله ﷺ «﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾: يوم القيامة، ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يوم الجُمُعةِ. وما

---

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧ وإسناده ضعيف فيه أبو المهزّم. قال الهيثمي في «المجمع» ٢٧٠٦: ضعفه شعبة وابن المديني وأبو زرعة والنسائي. وقال أحمد: ما أقرب حديثه اهـ وقال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٧، وهو ضعيف كسابقه. والمقصود: السور التي في مطلعها ذكر «السماء» وهي: الانفطار والانشقاق والبروج والطارق.

طَلَعت شمس ولا غَرَبت على يومٍ أفضلَ من يوم الجُمُعة، وفيه ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، ولا يَستعِيذُ فيها مِن شرٍّ إلا أعاذَه، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يوم عَرفة»[١]. وهكذا رَوَى هذا الحديث ابن خُزيمة من طُرُقٍ، عن مُوسَى بن عُبَيدة الرَّبَذِيّ ـ وهو ضعيفُ الحديثِ ـ وقد رُوِي موقوفاً على أبي هُرَيرة، وهو أشبهُ.

[٧٢٢٣] وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا محمد، حدَّثنا شعبة، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عَمَّار ـ مولى بني هاشم ـ عن أبي هُرَيرَة ـ أما علي فرفَعَه إلى النبيِّ ﷺ، وأما يونُس فلم يَعْدُ أبا هُرَيْرَة ـ أنه قال في هذه الآية: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝﴾ قال: يعني الشاهد يومُ الجمعة، ويوم مشهود يوم القيامة[٢].

وقال أحمد أيضاً: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبة، عن يونس، سمِعتُ عماراً مولى بني هاشم يُحدِّث عن أبي هُرَيرة أنه قال في هذه الآية: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝﴾، قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يومُ عَرَفة، والموعود يوم القيامة. فَقد رُوِيَ عن أبي هريرة أنه قال: اليومُ الموعودُ يوم القيامة. وكذلك قال الحسنُ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ. ولم أرَهم يختلفون في ذلك، ولله الحمدُ.

[٧٢٢٤] ثم قال ابنُ جرير: حدَّثنا محمد بن عَوف، حدَّثنا محمد بن إسماعيلَ بن عَيَّاش، حَدَّثني أبي، حدَّثنا ضَمْضَمُ بن زُرعة، عن شُرَيح بن عُبَيد، عن أبي مالك الأشعريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اليومُ الموعُود يومُ القيامة، وإنَّ الشاهدَ يومُ الجُمُعة، وإنَّ المشهودَ يومُ عَرَفة، ويومُ الجمعةِ ذَخَره الله لنا»[٣].

[٧٢٢٥] ثم قال ابن جرير: حدَّثنا سهل بن موسى الرازيُّ، حدَّثنا ابن أبي فُدِيكٍ، عن ابن حَرْمَلة، عن سعيد بن المُسَيَّب أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ سيِّد الأيام يومُ الجُمُعة، وهو الشاهدُ، والمشهودُ يوم عَرَفة»[٤]. وهذا مُرسَلٌ من مراسيل سَعيد بن المُسَيَّب، ثم قال ابنُ جَرير: حَدَّثنا أبو كُرَيب، حدَّثنا وكيعٌ، عن شُعْبة، عن عليِّ بن زيدٍ، عن يُوسُفَ المكيِّ، عن ابن عباس قال: الشاهدُ هو مُحمَّدٌ ﷺ، والمشهودُ يومُ القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]. وحدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا جَرِير، عن مُغِيرة، عن شباك قال: سأل رجلٌ الحسنَ بن عليٍّ عن: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝﴾ قال: سألتَ أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألتُ ابنَ عُمَر وابنَ الزبير، فقالا: يومُ الذبح ويومُ الجُمُعة. فقال: لا، ولكن الشاهدُ محمد ﷺ: ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝﴾ [النساء: ٤١]، والمشهودُ يومُ القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

---

(١) فيه موسىٰ بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف روى مناكير كثيرة. وأصل الحديث محفوظ، والوهن في تفسير الآيتين، ولأجل ذلك ضعفه ابن كثير وصوب الوقف فيه، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٨ والراجح وقفه، رفعه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وخالفه يونس، وهو ثقة فوقفه على أبي هريرة، وهو أصح. وقد أخرجه الطبري ٣٦٨٣٨ عن يونس عن عمار عن أبي هريرة موقوفاً، وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه الطبري ٣٦٨٤٠ و ٣٦٨٥٢ والطبراني ٣٤٥٨، وإسناده ضعيف له علتان: محمد بن إسماعيل بن عياش ضعفه الجمهور، وهو منقطع بين شريح بن عبيد وأبي مالك. وأعله الهيثمي في «المجمع» ١٤٤٨٠ بضعف ابن إسماعيل فقط.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٦٨٥٠ عن ابن المسيب مرسلاً، ومراسيل ابن المسيب قوية، لكن كرره الطبري ٣٦٨٥٣ و ٣٦٨٥٧ من وجه آخر عن الثوري عن عبد الرحمن بن حرملة عن ابن المسيب، موقوفاً عليه، والثوري أحفظ من ابن أبي فديك والأشبه في هذا وأمثاله الوقف على بعض الصحابة، أو على بعض التابعين، والله أعلم.

وهكذا قال الحسن البصري. وقال سفيان الثوريُّ، عن ابن حَرْملة، عن سعيد بن المُسيِّب: ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يوم القيامة. وقال مجاهد، وعكرمةُ، والضحَّاك: الشاهدُ ابنُ آدم، والمشهود يومُ القيامة. وعن عِكْرِمَة أيضاً: الشاهد محمدٌ ﷺ والمشهودُ يومُ الجمعة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الشاهد الله، والمشهود يومُ القيامة. وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو نُعَيم الفَضلُ بن دُكَين، حدَّثنا سُفيان، عن أبي يحيى القَتَّات، عن مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ قال: الشاهدُ الإنسانُ. والمشهودُ يومُ الجمعة. هكذا رواه ابنُ أبي حاتم.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا مِهران، عن سُفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾، الشاهدُ: يومُ عرفة، والمشهودُ يوم القيامة. وبه عن سفيان ـ هو الثوري ـ عن مُغيرةَ، عن إبراهيم قال: يومُ الذبح، ويومُ عرفة، يعني الشاهدَ والمشهود. قال ابن جرير: وقال آخرون: المشهودُ يومُ الجمعة.

[٧٢٢٦] ورَوَوا في ذلك ما حدَّثنا أحمدُ بن عبد الرحمن، حدَّثني عَمِّي عبدُ الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سَعيد بن أبي هلال، عن زيدِ بن أيمن، عن عُبادَةَ بن نُسَيّ، عن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكثِرُوا عليَّ من الصلاة يومَ الجُمُعة، فإنه يومٌ مشهودٌ، تَشهدُه الملائكة»[1]. وعن سعيد بن جُبَير: الشاهد اللّهُ، وتَلاَ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]. والمشهودُ نحن. حكاه البَغَوِيُّ، وقال: الأكثرون على أن الشاهد يومُ الجُمُعةِ، والمشهودُ يومُ عرفة.

وقولُه تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾، أي: لُعِن أصحابُ الأخدود، وجمعُه أخاديد، وهي الحفيرُ في الأرض. وهذا خبرٌ عن قوم من الكُفَّار عَمَدوا إلى مَن عندهم من المؤمنين بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ فقهروهم وأرادوهم أن يَرجعوا عن دينهم، فَأَبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أُخدُوداً وأجَّجُوا فيه ناراً، وأعدُّوا لها وقوداً يَسْعَرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلُوا منهم، فَقَذفُوهم فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾، أي: مُشاهِدون لما يفعل بأولئك المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾، أي: وما كان لهم عندهم ذنبٌ إلا إيمانُهم بالله العزيزِ الذي لا يُضَام مَن لاذ بِجَنابه، المَنيع الحميدِ في جميع أفعاله وأقواله وشَرْعه وقَدَره، وإن كان قد قَدَّر على عباده هؤلاء هذا الذي وَقَع بهم بأيدي الكفار به، فهو العزيزُ الحميدُ، وإن خَفِي سببُ ذلك على كثيرٍ من الناس.

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، من تمام الصفة أنه المالكُ لجميع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، أي: لا يَغِيب عنه شيءٌ في جميع السماوات والأرض، ولا تخفى عليه خافية. وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصَّة، مَن هم؟ فَعَن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ أنهم أهل فارس حين أراد مَلِكُهم تحليلَ تزويج المحارم، فامتنع عليه علماؤُهم، فَعَمد إلى حَفْرِ أخدودٍ فَقَذَف فيه مَن أنكر عليه منهم، واستمرَّ فيهم تحليلُ المحارم إلى اليوم. وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنُوهم ومشركُوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين، فَخَدُّوا لهم الأخاديد،

---

(١) أخرجه الطبري ٣٦٨٦٧، وفيه زيد بن أيمن، قال الذهبي في «الميزان» ٢٩٩١: روى عنه سعيد بن أبي هلال فقط، لكن ذكره ابن حبان في الثقات على قاعدته اهـ أي في توثيقه للمجاهيل. وقال عنه الحافظ في «التقريب» مقبول. أي حيث يتابع، وله علة ثانية، أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي عبد الله بن وهب ضعيف الحديث. وفي الباب أحاديث تشهد لصدره.

وأحرقوهم فيها. وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة، واحدُهم حَبَشيّ. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾، قال: ناسٌ من بني إسرائيل، خَدُّوا أُخدوداً في الأرض، ثم أوقدُوا فيه ناراً، ثم أقامُوا على ذلك الأخدودِ رجالاً ونساءً، فَعُرِضُوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه. وهكذا قال الضحَّاك بن مُزاحم، وقيل غير ذلك.

[٧٢٢٧] وقد قال الإمام أحمد: حَدَّثنا عفان، حدَّثنا حماد بن سَلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن صُهَيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمَن كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلما كَبِر الساحرُ قال للملك: إني قد كَبِرت سِنِّي وحَضَر أجلي، فادفع إليَّ غلاماً فأُعلِّمه السحر. فدفع إليه غلاماً فكان يُعلِّمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حَبَسك؟ وإذا أتى أهله ضَرَبُوه وقالوا: ما حَبَسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يَضرِبك فَقُلْ: حَبَسَني أهلي. وإذا أراد أهلك أن يَضرِبُوك فقل: حبسني الساحر. قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابّةٍ فظيعةٍ عظيمةٍ، قد حَبَست الناس فلا يستطيعون أن يَجُوزوا، فقال: اليوم أعلَمُ أمر الراهب أحبُّ إلى الله أم أمرُ الساحر؟ قال: فأخذ حَجراً فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك وأرضَى من أمرِ الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يَجُوزَ الناس. وَرَماها فقتلها، ومضى الناسُ. فأخبر الراهبَ بذلك، فقال: أيْ بُنَي، أنت أفضل مِنيّ، وإنك سَتُبتَلى، فإن ابتُلِيت فلا تَدُلَّ عليّ. فكان الغلام يُبرِىءُ الأكمه والأبرصَ وسائر الأدواءِ ويَشفِيهم، وكان جليسٌ للملك فَعَمِي، فَسَمِع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفِني ولك ما ها هنا أجمعُ. فقال: ما أنا أشِفي أحداً، إنما يَشْفِي الله عزَّ وجلَّ، فإن آمنت به دعوتُ الله فشفاك. فآمن فَدَعا الله فَشَفاه. ثم أتى الملكَ فَجَلَس منه نحو ما كان يجلس، فقال له المَلِكُ: يا فلان، مَن رَدّ عليك بَصَرَك؟ فقال: رَبِّي؟ فقال: أنا؟ قال: لا، رَبِّي وربُّك الله. قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: نعم، رَبِّي وربُّك الله. فلم يزل يُعَذِّبه حتى دلَّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أيْ بُنَي، بَلَغ من سحرك أن تُبرِىءَ الأكمهَ والأبرصَ وهذه الأدواء؟! قال: ما أشفِي أنا أحداً، إنما يَشفِي الله عزَّ وجلَّ. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أوَ لك ربٌّ غيري؟ قال: رَبِّي وربُّك الله. فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دَلَّ على الراهب، فَأُتي بالراهب فقال: ارجع عن دِينك. فَأَبى، فوضَع المنشار في مَفْرِق رأسه حتى وَقَع شِقَّاه، وقال للأعمى: ارجع عن دِينك. فأبى، فوضع المِنشار في مَفرِق رأسه حتى وقع شِقَّاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك. فَأَبى، فَبَعث به مع نَفَرٍ إلى جبلٍ كذا وكذا، وقال: إذا بلغتُم ذِرْوَته فإن رَجَع عن دينه وإلاَّ فَدَهْدِهُوه. فَذَهَبُوا به، فلما عَلَوا به الجبَل قال: اللهُمّ اكفِنِيهم بما شئتَ. فَرُجِف بهم الجبلُ فَتَدَهْدَهُوا أجمعُون. وجاء الغلامُ يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابُك؟ فقال: كفانِيهم الله. فَبَعث به مع نَفَرٍ في قُرْقُور فقال: إذا لَجَجتُم به البحرَ فإن رجع عن دينه وإلا فَغَرِّقُوه في البحر. فَلَجَّجوا به البحرَ فقال الغلام: اللهُمّ، اكفنيهم بما شِئتَ. فَغَرِقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فَعَل أصحابُك؟ فقال: كَفانِيهُم الله. ثم قال للمَلِك: إنك لستَ بقاتلي حتى تفعَلَ ما آمُرُك به، فإن أنت فعلتَ ما آمُرُك به قَتَلتني، وإلا فإنّك لا تستطيعُ قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمَعُ الناس في صعيدٍ واحدٍ ثم تَصْلِبني على جذعٍ وتأخذ سهماً من كِنَانتي ثم قل: «باسم الله ربِّ الغلام»، فإنك إذا فعلت ذلك قَتَلتني. ففعل، ووضع السهمَ في كَبِدِ قوسه ثم رماه، وقال: «باسم الله رب الغَلام»، فوقع السهم في صُدْغِه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنَّا بربِّ الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كُنتَ تحذَر؟ فقد ـ والله ـ نَزَل بك، قد آمن الناسُ كُلُّهم. فأمر بأفواه السِّكك فَخُدّت فيها الأخاديدُ، وأُضرِمت فيها النيرانُ، وقال: من رجَع عن دينه

فَدَعُوه وإلا فَأَقحِمُوه فيها. قال: فكانوا يتعادَون فيها ويتدافَعُون، فجاءت امرأة بابن لها تُرضِعه، فكأنها تقاعَسَت أن تَقَع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه، فإنك على الحقّ»[1]. وهكذا رواه مسلمٌ في آخر الصحيح عن هُدْبَة بن خالدٍ، عن حَمَّادِ ابن سَلَمة به نحوه. ورواه النَّسائي عن أحمد بن سَليمان، عن عَفَّان، عن حَمَّاد بن سلمة، ومن طريق حَمَّاد بن زيد، كلاهما عن ثابتٍ، به واختصرُوا أوله.

[٧٢٢٨] وقد جَوّده الإمام أبو عيسى الترمذي، فَرَواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غَيلانَ وعبد بن حُميد ـ المعنى واحدٌ ـ قالا: أخبرنا عبد الرزّاق، عن مَعْمَر، عن ثابتِ البُنَاني، عن عبد الرحمن ابن أبي لَيْلَى، عن صُهَيبٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلّى العصر هَمَس ـ والهَمس في بعض قولهم: تحريك شفتيه كأنه يتكلّم ـ فقيل له: ـ يا رسول الله ﷺ إذا صليت العصر هَمَسْتَ؟ قال: «إنَّ نبياً من الأنبياء كان أُعجِبَ بأُمَّتِهِ فقال: من يقوم لهؤلاء؟! فأوحى الله إليه أن خَيِّرهم بين أن أنتقم منهم، وبين أن أُسلّط عليهم عَدُوَّهم. فاختاروا النقمة، فَسَلَّط عليهم الموتَ، فمات منهم في يوم سَبْعون ألفاً». قال: وكان إذا حَدَّث بهذا الحديث، حَدَّث بهذا الحديث الآخرِ قال: كان مَلِكٌ من الملوك، وكان لذلك المَلِك كاهنٌ يتكهَّن له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاماً فَهِماً ـ أو قال: فَطِناً لَقِناً ـ فأعلّمَه علمي هذا... فذكر القصّة بتمامها، وقال في آخره: «يقول الله عزّ وجلّ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾. قال: فأما الغلامُ فإنه دفن قال: فيذكر أنه أُخرِج في زَمانِ عُمَر بن الخطاب، وإصبعُه على صُدغه كما وَضَعها حين قُتِل»[2]. ثم قال الترمذي: «حسن غريب». وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصّة من كلام النبيّ ﷺ قال شيخُنا الحافظ أبو الحجاج المِزّي: فيحتملُ أن يكونَ من كلام صُهَيب الروميّ، فإنه كان عنده علمٌ من أخبار النصارى، والله أعلم.

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يَسَار هذه القصة في السيرةِ بسياق آخر، فيها مخالفةٌ لما تقدم فقال: حَدَّثني يزيدُ بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي ـ وحَدَّثني أيضاً بعض أهل نجران، عن أهلِها ـ: أن أهل نجران كانوا أهل شركٍ يعبُدون الأوثان، وكان في قرية من قُراها قريباً من نَجران ـ ونجرانُ هي القرية العُظمى التي إليها جِمَاعُ أهلِ تلك البلاد ـ ساحر يُعَلِّم غلمانَ أهلِ نجرانَ السحرَ، فلما نَزَلها فَيْمِيُونُ ـ ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابنُ مُنبِّه، قالوا: رَجُلٌ نزلها ـ فابتنى خيمةً بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحرُ، وجعل أهلُ نجران يُرسِلُون غلمانهم إلى ذلك الساحر يُعَلِّمهم السحر، فبعث التامرُ ابنَه عبد الله بنَ التامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مرَّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يَرَى من عبادته وصَلاتَه، فَجَعل يجلِس إليه ويسمع منه، حتى أسلم فَوحَّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فَقِه فيه جَعَل يسألُه عن الاسم الاعظم، وكان يَعْلَمُه، فكتَمَه إياه وقال له: يابنَ أخي، إنك لن تحمِلَه؛ أخشى ضَعْفَك عنه. والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلِفُ إلى الساحر كما يَختلِف الغلمانُ، فلما رأى عبدُ الله أن صاحبه قد ضَنَّ به عنه، وتخوَّف ضَعفَه فيه، عَمَد إلى أقداح فَجَمعها، ثم لم يُبقِ لله اسماً يَعْلَمُه إلا كتبه في قِدْح، وكلُّ اسم في قِدْح، حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يَقذِفها فيها قِدحاً قِدحاً، حتى إذا مَرَّ بالاسم الأعظم قذف فيها بِقِدْحه، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم يضرَّه شيء، فأخذه ثم أتى به صاحبه، فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٥ ح ٧٣ والنسائي في التفسير ٦٨١ وفي «السنن» ٦١٤ وأحمد ٦/١٧.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٤٠ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

الذي كَتَمه فقال: وما هو؟ قال: هُو كذا وكذا. قال: وكيف عَلِمته؟ فأخبره بما صَنَع. قال: أيْ ابنَ أخي! قد أصبتَه فأمسِكْ على نفسك، وما أظنُّ أن تفعَلَ.

فجعل عبدُ الله بن التامر إذا دَخَل نجران لم يلق أحداً به ضُرٌّ إلا قال: يا عبدَ الله! أتُوحِّدُ الله وتدخلُ في ديني وأدعوَ الله لك فَيُعافِيكَ مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم. فَيُوحِّد الله ويُسلم، فيدعُو الله له فَيُشفى، حتى لم يبق بنجران أحدٌ به ضُرٌّ إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودَعَا له فعُوفِي، حتى رُفِع شأنه إلى مَلِك نجرانَ، فدعاه فقال له: أفسدتَ عليَّ أهل قريتي، وخالفتَ ديني ودينَ آبائي، لأُمثِّلَنَّ بك. قال: لا تقدِرُ على ذلك. قال: فَجَعَل يُرسِل به إلى الجبل الطويل، فَيُطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ما به بأسٌ، وجعل يبعَثُ به إلى مياه بنجران، بُحورٌ لا يُلقى فيها شيءٌ إلا هَلَك، فَيُلقَى به فيها، فيخرُج ليس به بأس. فلما غلبه قال له عبدُ الله بن التامر: إنَّك ـ والله ـ لا تقدِرُ على قتلي حتى تُوَحِّدَ الله فَتُؤمِن بما آمنتُ به؛ فإنك إن فعلتَ سُلِّطتَ عليَّ فقتلتني. قال: فَوحَّد الله ذلك الملكُ، وشهد شهادةَ عبدِ الله بن التامر، ثم ضَرَبه بعصا في يدِه فَشجَّه شجَّةً غير كبيرة، فَقَتله، وهَلَك الملك مكانَه. واستجمع أهلُ نجرانَ على دين عبد الله بن التامر ـ وكان على ما جاء به عيسى ابنُ مريم ـ عليه السلام ـ من الإنجيل وحُكمِه ـ ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصلُ دينِ النصرانيّة بنجرانَ.

قال ابن إسحاق: فهذا حديثُ محمدِ بنُ كعب القُرَظي وبعضِ أهل نجران عن عبد الله بن التامر، والله أعلم أيَّ ذلك كان. قال: فسار إليهم ذُو نواس بِجُنده، فدعاهم إلى اليهوديّة، وخَيَّرهم بين ذلك أو القتل، فاختارُوا القَتل، فخدَّ الأخدودَ، فَحَرق بالنار وقَتَل بالسيف ومَثَّل بهم، حتى قَتَل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذِي نُواس وجُندِه أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على رسوله ﷺ ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾. هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة: أن الذي قَتَل أصحابَ الأُخدود هو ذو نُواس، واسمه: زُرعَة، ويسمّى في زمان مملكته بيوسُف، وهو ابن تُبَانِ أسعدَ أبي كَرِبٍ، وهو تُبَّع الذي غزا المدينة وكَسَا الكعبة، واستصحب معه حَبْرَين من يَهُودِ المدينة، فكان تَهَوّدُ مَن تَهَوَّدَ من أهل اليمن على يَدَيهما، كما ذكره ابن إسحاقَ مبسوطاً، فقتل ذُو نُواس في غَدَاةٍ واحدةٍ في الأُخدود عشرين ألفاً، ولم ينجُ منهم سوى رجلٍ واحدٍ يقال له: دَوْسُ ذو ثُعلبان، ذهب فارساً، وطَرَدُوا وراءه فلم يُقْدَر عليه، فَذَهب إلى قيصر ملك الشام، فكَتَب إلى النجاشيِّ ملكِ الحبشة، فأرسل معه جيشاً من نَصارى الحبشةِ يَقْدُمهم أرياط وأبرهَةُ، فاستنقذوا اليمنَ من أيدي اليهود، وذَهَب ذُو نواس هارباً فَلَجَج في البحر فَغَرِق. واستمر مُلْكُ الحبشة في أيدي النصاري سبعينَ سنة، ثم استنقذه سيفُ بن ذي يَزَنِ الحِمْيَريّ من أيدي النصارى، لما استجاش بكسرى ملك الفرس، فأرسل معه مَن في السجون، وكانوا قريباً من سَبْعِمئَةٍ، فَفَتح بهم اليمنَ، وَرَجع الملكُ إلى حِمْيَرٍ. وسنذكر طرفاً من ذلك ـ إن شاء الله ـ في تفسير سورة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾.

وقال ابن إسحاق: وَحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْمٍ: أنه حُدِّث: أن رَجُلاً من أهل نجران كان في زمان عُمَر بن الخطاب، حَفَر خَربةً من خَرِب نجران لبعضِ حاجته، فَوَجد عبد الله بن التامر تحت دَفنٍ فيها قاعداً، واضعاً يَدَه على ضَرْبَةٍ في رأسه، مُمسِكاً عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها تَنْثَعِبُ دماً، وإذا أرسلت يده ردّت عليها، فأمسكت دَمَها، وفي يَده خاتَمٌ مكتوب فيه: رَبِّي الله. فكُتِبَ فيه إلى

عُمَر بن الخطاب يُخبره بأمره، فكتب عُمَر إليهم: أن أقرّوه على حاله، ورُدُّوا عليه الدَّفْنَ الذي كان عليه. فَفَعلوا.

وقد قال أبو بكر عبدُ الله بنُ محمد بن أبي الدنيا ـ رحمه الله ـ: حدَّثنا أبو بلال الأشعري، حدَّثنا إبراهيمُ بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حَدَّثني بعضُ أهل العلم: أن أبا موسى لما افتتح أصبهانَ وَجَد حائطاً من حِيطانِ المدينة قد سَقَط، فبناه فَسَقط، ثم بناه فَسَقط، فقيل له: إن تحته رجُلاً صالحاً. فَحَفر الأساس فوجد فيه رجلاً قائماً معه سيفٌ، فيه مكتوبٌ: أنا الحارث بن مُضَاض، نَقِمْتُ على أصحاب الأخدود. فاستخرجه أبو موسى، وبَنَى الحائط، فَثَبت. قلت: هو الحارث بن مُضَاضِ بن عمرو بن مُضَاض بن عَمْرو الجُرهمي، أحدُ ملوكِ جُرْهم الذين وَلُوا أمْرَ الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم، وَوَلَدُ الحارث هذا هو: عَمْرو بن الحارث بنِ مُضاض هو آخر ملوك جُرهم بمكّة، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليَمَن، وهو القائلُ في شِعْرِه الذي قال ابن هشام: إنه أوّلُ شعرٍ قاله العربُ:

كأن لم يَكُنْ بين الحَجُون إلى الصفا ... أنِيسٌ، ولَم يَسمُرْ بمكّةَ سامِرُ

بَلَى، نَحنُ كُنّا أهلَها فأبادَنا ... صُروفُ اللّيالي والجُدودُ العَواثِرُ

وهذا يَقتضي أنَّ هذه القصّة كانت قديماً بعدَ زمان إسماعيلَ ـ عليه السلام ـ بقريبٍ من خَمسِمِئَةِ سنةٍ أو نحوِها، وما ذكره ابنُ إسحاق يقتضي أن قِصّتهم كانت في زمان الفَتْرَة التي بين عيسى ومحمد ـ عليهما من الله السلامُ ـ وهو أشبَهُ، والله أعلم. وقد يحتملُ أن ذلك قد وَقَع في العالم كثيراً، كما قال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوانُ، عن عبد الرحمن بن جُبَير قال: كان الأخدودُ في اليمن زَمَان تُبَّع، وفي القُسطَنطِينية زمان قُسطَنطِين حين صَرَف النصارى قِبْلَتهم عن دين المسيح والتوحيدِ، فاتخذُوا أتوناً، ألقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بُختنصّر، حين صَنَع الصَنَم وأمرَ الناس أن يسجُدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه: عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتوناً وألقَى فيه الحَطَب والنار، ثم ألقاهما فيه، فَجَعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً، وأنقذَهُما منها، وألقى فيها الذين بَغَوا عليه وهُم تسعةُ رَهْطٍ، فأكلتهم النارُ.

وقال أسباطٌ، عن السُدِّي في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾، قال: كانت الأخدودُ ثلاثةً: خدٌّ بالشام وخَدٌّ بالعراق، وخدٌّ باليمن. رواه ابنُ أبي حاتم. وعن مُقاتل قال: كانت الأخدودُ ثلاثةً: واحدةٌ بنجرانَ باليمن، والأُخرى بالشام، والأخرى بفارس، حُرِقوا بالنار أما التي بالشام فهو انطنايوس الرومي، وأما التي بفارس فهو بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس. فأما التي بفارس والشام فلم يُنزل الله فيهم قرآناً، وأنزل في التي كانت بِنجرانَ.

وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا أحمدُ بن عبد الرحمن الدَّشتَكِيُّ، حدَّثنا عبدُ الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع ـ هو ابن أنس ـ في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾، قال: سَمِعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رَأوا ما وقع في الناس من الفِتنة والشرّ وصارُوا أحزاباً، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٣٢]، اعتزلوا إلى قريةٍ سَكَنُوها، وأقاموا على عبادة الله ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة: ٥]، وكان هذا أمرَهم حتى سَمِع بهم جَبّارٌ من الجبارين، وحُدِّث حَدِيثَهم، فأرسلَ إليهم فأمَرهم أن يَعبدُوا الأوثان التي اتّخذُوا، وإنهم أبَوا عليه كلُّهم وقالوا: لا نعبُد إلا الله وحدَه، لا شريك له. فقال لهم: إن لم تعبُدوا هذه الآلهة التي عَبدتُ فإني قاتِلُكم. فأبَوا عليه، فَخَدَّ أخدوداً من نار، وقال لهم الجبار ـ وَوَقفهم عليها ـ: اختاروا هذه أو الذي نحن فيه. فقالوا: هذه أحبُّ إلينا. وفيهم نساءٌ وذُرِّيَّة،

فَفَزِعت الذرّية، فقالوا لهم: لا نارَ مِن بعد اليوم. فوَقَعُوا فيها، فقُبِضت أرواحهم من قبل أن يَمَسَّهم حَرُّها، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبّارين، فأحرقهم الله بها، ففِي ذلك أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾. ورواه ابن جرير: حُدِّثتُ عن عمّار، عن عبد الله بن أبي جعفر، به نحوَه. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، أي: حرَّقُوا. قاله ابن عباس، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والضحّاك، وابن أبزَى. ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾، أي: لم يُقلِعُوا عما فعَلُوا، ويندَمُوا على ما أسلفُوا، ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾، وذلك أنّ الجزاء من جنسِ العمل. قال الحسن البصريُّ: انظروا إلى هذا الكرَم والجُود، قتَلوا أولياءه وهو يدعُوهم إلى التَّوبة والمَغفِرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾

يُخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾، بخلاف ما أعدَّ لأعدائه من الحريقِ والجَحِيم، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، أي: إنّ بطشه وانتقامه من أعدائِه الذين كَذَّبوا رُسُلَه وخالَفُوا أمْره لشديدٌ عظيمٌ قويٌّ؛ فإنه تعالى ذو القُوّة المتينُ، الذي ما شاء كان كَمَا يشاءُ في مثل لَمْح البصر، أو هو أقربُ، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾، أي: من قُوّته وقُدرته التامة يُبدِىء الخلق ثم يُعيده كما بدأه، بلا مُمانِع ولا مُدافع. ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾، أي: يغفِر ذَنْب مَن تاب إليه وخَضَع لديه، ولو كان الذنبُ من أيّ شيءٍ كان. والوَدُود، قال ابنُ عباس وغيره: هو الحبيبُ ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾، أي: صاحبُ العرشِ المُعظَّم العالي على جميع الخلائق. والمجيد: فيه قراءتان، الرفعُ على أنه صفة للربّ ـ عزّ وجلّ ـ والجَرُّ على أنه صِفةٌ للعرش، وكلاهما معنى صحيح. ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾، أي: مَهْمَا أراد فعَله، لا مُعقِّب لِحكْمِه، ولا يُسأل عما يَفْعَلُ؛ لعظمته وقَهْره وحِكْمته وعَدْلِه، كما رَوَينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مَرَضِ الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إنّي فعالٌ لما أُريدُ.

وقولُه تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾، أي: هل بَلَغك ما أحلّ الله بهم من البأس، وأنزلَ عليهم من النِّقمة التي لم يَرُدَّها عنهم أحدٌ؟ وهذا تقريرٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾، أي: إذا أخذ الظالم أخذَه أخذاً أليماً شديداً، أخذَ عَزيزٍ مُقتَدِرٍ.

[٧٢٢٩] قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا علي بن محمد الطَّنافِسيُّ، حدَّثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال: مَرّ النبي ﷺ على امرأةٍ تقرأ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾، فقام يَسْتَمِعُ، فقال: «نعم، قد جاءني»[1]. وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾﴾، أي: هم في شَكٍّ

---

(١) ضعيف جداً. عمرو بن ميمون تابعي، فهو مرسل، وأبو بكر بن عياش، صدوق إلا أنه كثير الخطأ، لذا ضعفه غير واحد وفيه عنعنة أبي إسحق؛ والمتن منكر.

وريب وكُفر وعِنادٍ، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾، أي: هو قادرٌ عليهم، قاهرٌ لا يَفوتونه ولا يُعجِزونه، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾، أي عظيمٌ كريمٌ، ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾، أي: هو في الملأ الأعلى محفوظٌ من الزيادةِ والنقصِ والتحريفِ والتبديل.

قال ابنُ جرير: حدَّثنا عَمرو بن علي، حدَّثنا قُرَّةُ بن سليمان، حدَّثنا حرب بن سُرَيْج، حدَّثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾، قال: إن اللوح المحفوظَ الذي ذَكَر الله. ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾، في جَبْهَةِ إسرافيل. وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أبو صالح، حدَّثنا معاويةُ بن صالح: أن أبا الأغيَس ـ وهو عبد الرحمن بن سَلْمَان ـ قال: ما من شيءٍ قَضَى الله ـ القرآن فما قبله وما بعدَه ـ إلا وهُو في اللَّوحِ المحفوظِ. واللوحُ المحفوظُ بين عَيني إسرافيل، لا يُؤذن له بالنظر فيه. وقال الحسن البصريُّ: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوحٍ محفوظٍ، يُنزل منه ما يشاءُ على مَن يشاءُ مِن خَلْقِه. وقد روى البَغَوي من طريق إسحاق بن بشر: أخبرني مقاتِل وابن جُرَيج، عن مجاهدٍ، عن ابن عباس قال: إن في صَدْرِ اللوح: لا إله إلا الله وحدَه، دينُه الإسلامُ، ومحمدٌ عبدُه ورسولُه، فمن آمن بالله وصَدَّق بوعده واتبع رُسُلَه، أدخله الجنة. قال: واللوحُ لوحٌ من دُرَّةٍ بيضاءَ، طولُه ما بين السماء والأرض، وعَرضُه ما بين المشرق والمغرب، وحافَتَاه الدرُّ والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامُه معقودٌ بالعرش، وأصله في حِجْرِ مَلَكٍ[1]. قال مُقاتِلٌ: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

[٧٢٣٠]وقال الطَّبراني: حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَةَ، حدَّثنا مِنْجاب بنُ الحارث، حدَّثنا إبراهيم بن يوسف، حدَّثنا زيادُ بن عبد الله، عن ليثٍ، عن عبد الملك بن سعيد بن جُبَير، عن أبيه، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خَلَق لَوحاً محفوظاً من دُرَّةٍ بيضاءَ، صَفَحاتُها من ياقوتةٍ حَمراءَ، قلمُه نورٌ وكتابُه نورٌ، لله فيه في كلِّ يومٍ سِتُّون وَثلاثُمِئَةِ لحظةٍ، يخلُق ويَرزُق، ويُميت ويُحيي، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويَفْعل ما يشاء»[2].

آخرُ تفسير سورة البروج، ولله الحمدُ والمنَّة

---

(١) لا أصل له عن ابن عباس. إسحاق بن بشر أبو حذيفة متهم بالكذب.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ١٢٥١١، وفيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وهو ضعيف. وزياد وليث ضعيفان، والخبر شبه موضوع.

سورة الطارق

ترتيبها ٨٦ — آياتها ١٧

وهي مكيّة

[٧٢٣١] قال عبدُ الله ابن الإمام أحمد: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبدُ الله بن محمد ـ قال عبد الله: وسمعتُه أنا منه ـ حَدَّثنا مَرْوانُ بن معاويةَ الفَزَاريُّ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفيِّ، عن عبد الرحمن بن خالد ابن أبي جَبَل العَدْوانيِّ، عن أبيه: أنه أبصَرَ رسولَ الله ﷺ في مُشَرَّقِ ثَقيف وهو قائم على قَوسٍ ـ أو: عصا ـ حين أتاهم يبتغي عندهُم النصرَ، فسمعتُه يقول: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾، حتى خَتَمها ـ قال: فوعيتُها في الجاهلية وأنا مشركٌ، ثم قرأتُها في الإسلام ـ قال: فدَعتني ثقيفُ فقالوا: ماذا سَمِعتَ من هذا الرجل؟ فقرأتُها عليهم. فقال مَن مَعَهم من قُريشٍ: نحن أعلَمُ بصاحِبنا، لو كنا نعلم مايقول حَقًّا لاتَّبعناه[١].

[٧٢٣٢] وقال النَّسائي: حدثنا عَمرو بن منصور، حدَّثنا أبو نُعيم، عن مِسْعر، عن مُحارب بن دِثَارٍ، عن جابر قال: صَلَّى معاذُ المغرِبَ، فقرأ البقرةَ والنساءَ، فقال النبيُّ ﷺ: «أفتَّانٌ يا معاذ؟! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماءِ والطارِق، والشمس وضُحاها، ونحوِ هذا»[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

يُقسِم تعالى بالسماء وما جَعَل فيها من الكواكب النيِّرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢﴾، ثم فَسَّره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾. قال قتادةُ وغيره: إنما سُمِّي النجم طارقاً لأنه إنما يُرى بالليل ويختفي بالنهار.

[٧٢٣٣] ويُؤيِّده ما جاء في الحديث الصحيح: نُهي أن يَطرُق الرجل أهلَه طُروقاً[٣]، أي: يأتيهم فجاةً بالليل.

[٧٢٣٤] وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرقُ بخير يا رحمنُ»[٤].

---

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ٣٣٥ والطبراني ٤١٢٦ و ٤١٢٧، وفيه عبد الرحمن مجهول، والطائفي ضعفه غير واحد.

(٢) تقدم، وهو صحيح.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٥٢٤٣ ومسلم ١٥٢٨ وأبو داود ٢٧٧٦ وأحمد ٣/ ٢٩٩ و ٣٠٢ وابن حبان ٤١٨٢ من حديث جابر.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ٣/ ٤١٩ وأبو يعلى ٦٨٤٤ وهو حسن، وتقدم.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾، قال ابن عباس: المضيءُ. وقال السُّدي: يَثقُب الشياطين إذا أُرسِل عليها. وقال عِكرمةُ: هو مضيءٌ مُحرِق للشيطان. وقولُه تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾، أي: كلُّ نفس عليها من الله حافظٌ يحرُسها من الآفاتِ، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. . الآية. وقولُه تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾، تنبيهٌ للإنسان على ضعف أصلِه الذي خُلِق منه، وإرشادٌ له إلى الاعترافِ بالمَعَادِ؛ لأنَّ من قدر على البَدْأة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾، يعني: المنيَّ؛ يخرج دَفقاً من الرجُل ومن المرأةِ، فيتولَّد منهما الولدُ بإذن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾، يعني صُلبَ الرجلِ وترائِبَ المرأةِ، وهو صَدرُها. قال شَبيبُ بن بُشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾؛ صلب الرجل وترائب المرأة، أصفرُ رقيقٌ، لا يكون الولدُ إلا منهما. وكذا قال سعيد بن جُبَير، وعِكْرمة، وقتادة، والسُّدِّي، وغيرُهم. وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا أبو أسامة، عن مِسْعر: سمِعتُ الحكم ذَكَر عن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾، قال: هذه الترائبُ. وَوَضع يَدَه على صَدْرِه. وقال الضحّاك وعطيةُ، عن ابن عباس: تَريبةُ المرأةِ موضِعُ القِلادَة. وكذا قال عكرمةُ، وسعيد بن جُبَير. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الترائبُ: بين ثَدْيَيها. وعن مجاهد: الترائبُ ما بين المَنْكِبين إلى الصدر. وعنه أيضاً: الترائب أسفلُ من التَّراقي. وقال سفيانُ الثوريُّ: فوق الثديين. وعن سعيد بن جُبير: الترائبُ أربعةُ أضلاعٍ من هذا الجانب الأسفلِ. وعن الضحّاك: الترائبُ بين الثديين والرِّجلين والعَيْنين. وقال الليثُ بن سعد، عن معمر بن أبي حَبيبة المَدَنيّ: أنه بَلَغه في قولِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾، قال: هو عُصارة القلبِ، من هناك يكون الولد. وعن قتادة: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾، من بين صُلبه ونَحره. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾، فيه قولان: أحدهما: على رَجْع هذا الماء الدافِق إلى مَقَرِّه الذي خَرَج منه لقادرٌ على ذلك. قاله مجاهدٌ، وعِكْرمةُ، وغيرُهما. والقول الثاني: إنه على رَجْعِ هذا الإنسان المخلوقِ من ماء دافقٍ، أي: إعادتِه وبعثِه إلى الدار الآخرة، لقادر؛ لأن مَن قدر على البَدأة قَدَر على الإعادةِ. وقد ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع، وهذا القولُ قال به الضحّاك، واختاره ابن جَرير. ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾، أي: يومُ القيامةِ تُبلَى فيه السرائرُ، أي: تظهر وتَبدَّى، ويبقى السرُّ علانية والمكنونُ مشهوراً.

[٧٢٣٥] وقد ثبت في الصحيحين، عن ابنِ عُمَر: أن رسولَ الله ﷺ قال: «يُرفَع لكل غادرٍ لواءٌ عند استِهِ، يقال: هذه غَدْرَةُ فلان بن فلانٍ»[1].

وقولُه تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾، أي: الإنسان يومَ القيامةِ ﴿مِن قُوَّةٍ﴾، أي: في نفسِه، ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾، أي: من خارجٍ منه، أي: لا يقدِرُ على أن يُنقِذَ نفسَه من عذابِ الله، ولا يستطيعُ له أحدٌ ذلك.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

قال ابنُ عباسٍ: الرَّجعُ المطرُ. وعنه: هو السحابُ فيه المطرُ. وعنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١﴾، تُمطر ثم

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦١٧٨ ومسلم ١٧٣٥ ح ١٠ وأبو داود ٢٧٥٦ وأحمد ٢/ ٥٦ و ١١٦ وابن حبان ٧٣٤٢.

تُمطرُ، وقال قتادةُ: ترجعُ رزقَ العبادِ كلَّ عام، ولولا ذلك لَهَلَكوا وهَلَكت مواشِيهم. وقال ابنُ زيدٍ: تَرْجِعُ نجومَها وشمسَها وقَمَرها، يأتين من ها هنا. ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾، قال ابنُ عباس: هو انصداعُها عن النباتِ. وكذا قال سعيد بن جُبَير، وعِكْرِمَةُ، وأبو مالك، والضحَّاك، والحسنُ، وقتادةُ، والسُدِّي، وغيرُ واحدٍ. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾، قال ابن عباس: حَقٌّ. وكذا قال غيره. وقال آخرُ: حُكمٌ عدلٌ. ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾، أي: بل هو جدٌّ حقٌّ. ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذِبُون به ويصدُّون عن سبيله، فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾، أي: يمكُرون بالناس في دعوتهم إلى خلافِ القرآن. ثم قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي: أنظِرْهم ولا تَستعجِل لهم، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾، أي: قليلاً. أي: وتَرَى ماذا أُحِلُّ بهم من العذابِ والنَّكال والعُقوبة والهَلاك، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤].

آخر تفسير «سورة الطارق»، ولله الحمدُ والمنّة

سُورَةُ الأَعْلَى

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

ويقال: سورة سبِّح؛ وهي مكِّيَّة

[٧٢٣٦] والدليلُ على ذلك: مارَوَاه البُخاري: حدَّثنا عَبْدَانُ: حدَّثنا أبي، عن شُعبةَ، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء بن عازبٍ قال: أولُ من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مُصعَب بن عمير وابنُ أم مكتوم، فَجَعلا يُقرِئاننا القرآن. ثم جاء عَمَّار وبلالٌ وسعدٌ. ثم جاء عُمَر بن الخطاب في عشرين. ثم جاء النبيُّ ﷺ فما رأيتُ أهلَ المدينة فرِحوا بشيءٍ فَرَحَهم به، حتى رأيتُ الولائِدَ والصِّبيان يقولُون: هذا رسولُ الله قد جاء، فما جاء حتى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سُوَرٍ مِثْلِها[١].

[٧٢٣٧] وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا وكيعٌ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن ثُوَير بن أبي فاختَةَ، عن أبيه، عن علي قال: كان رسولُ الله ﷺ يُحبُّ هذه السورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[٢]. تفرَّد به أحمدُ.

[٧٢٣٨] وثبت في الصحيحين: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لمعاذٍ: «هلا صَلَّيت بسبِّح اسم ربِّك الأعلى. والشمسِ وضُحاها. والليل إذا يغشى»[٣].

[٧٢٣٩] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا سفيان، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حبيب ابن سالم، عن أبيه، عن النعمان بن بَشِير: أن رسولَ الله ﷺ قرأ في العيدين: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾، وإن وافق يوم الجُمُعة قَرَأهما جميعاً[٤]. هكذا وقع في مُسنَدِ الإمام أحمد إسنادُ هذا الحديثِ. وقد رواه مسلم ـ في صحيحه ـ وأبو داود والترمذي والنَّسائي، من حديث أبي عَوَانة وجَرير وشُعبَة، ثلاثتهم، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن حَبِيب بن سالم، عن النُعمان ابن بَشِير، به. قال الترمذي: «وكذا رواه الثوري ومِسْعَرٌ، عن إبراهيم ـ قال: ورواه سفيان بن عُيينَة عن إبراهيم ـ عن أبيه، عن حبيب بن سالم، عن أبيه، عن النعمان. ولا يعرف لحبيب روايةٌ عن أبيه. وقد رواه ابنُ ماجه عن محمد بن الصبَّاح، عن سُفيان بن عُيينة، عن إبراهيم بن المنتشِر، عن أبيه، عن حَبِيب ابن سالم، عن النُعمان به. كما رواه الجماعةُ، والله أعلم.

[٧٢٤٠] ولفظ مسلم وأهل السُنَن: كان يقرأ في العيدين ويوم الجُمُعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما[٥].

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤١ و ٣٩٢٤ و ٣٩٢٥ و ٤٩٩٥.

(٢) أخرجه أحمد ١/٩٦ وإسناده ضعيف لضعف ثوير.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٠٥ ومسلم ٤٦٥ ح ١٧٩ وتقدم.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٤/٢٧٧، وإسناده على شرط الصحيح.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٨٧٨ ح ٦٢ وأبو داود ١١٢٢ والترمذي ٥٣٣ والنسائي في «التفسير» ٦٨٥ وفي «السنن» ١٤٢٤ و ١٥٦٨ و ١٥٩٠ وابن ماجه ١٢٨١.

[٧٢٤١] وقد رَوَى الإمامُ أحمد في مُسنَده من حديث أُبيّ بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبْزَى، وعائشةَ أُمّ المؤمنين: أنّ رسولَ الله ﷺ كان يقرأ في الوَترِ بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، زادت عائشة: والمُعوِّذتين(١). وهكذا رُوِي هذا الحديث من طريق جابر وأبي أُمامَة صُدَيّ بن عَجلان، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ ولولا خشية الإطالةِ لأوردنا ما تَيسَّر لنا من أسانيدِ ذلك ومُتونه، ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

[٧٢٤٢] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا موسى ـ يعني ابن أيُّوب الغافقي ـ حدثنا عَمّي إياس بن عامر، سَمِعتُ عُقبة بن عامر الجُهَني لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾، قال لنا رسولُ الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم». فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، قال: «اجعلوها في سجودكم»(٢). ورواه أبو داود وابن ماجه، من حديث ابن المبارك، عن موسى بن أيوب، به.

[٧٢٤٣] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكيعٌ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاق، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، قال: «سُبحان ربّي الأعلى»(٣). وهكذا رواه أبو داود عن زُهَير بن حَرب، عن وكِيع، به. وقال: «خُولِف فيه وكيعٌ، رواه أبو وكيع وشعبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد، عن ابن عباس، موقوفاً». وقال الثَّوري، عن السدِّي، عن عبدِ خيرٍ قال: سَمِعتُ عليًا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، فقال: سُبحان ربِّي الأعلى.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا ابنُ حُمَيد، حدَّثنا حَكّام، عن عَنبَسة، عن أبي إسحاق الهَمْداني: أنَّ ابن عباس كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، يقول: سُبحان ربِّي الأعلى، وإذا قرأ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ فأتى على آخِرِها: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٤٠]، يقول: سُبحانَك وبلى.

[٧٢٤٤] وقال قتادةُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾: ذُكِر لنا أن نَبِيَّ الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحان ربّي الأعلى»(٤). وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾، أي: خَلَق الخليقة وسوَّى كُلَّ مخلوقٍ في أحسنِ

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ١٢٣ من حديث أبي بن كعب بسند صحيح، وأخرجه أبو داود ١٤٢٤ وصححه الحاكم ١/ ٣٠٥ ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد ٣/ ٤٠٦ عن ابن أبزى.

(٢) تقدم تخريجه، وهو إلى الضعف أقرب.

(٣) حسن. أخرجه أبو داود ٨٨٣ وأحمد ١/ ٢٣٢ وإسناده على شرطهما، لكن روي موقوفاً.

(٤) حسن. أخرجه الطبري ٣٦٩٧٢ وهو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف. لكن يشهد للموصول المتقدم، وقد صح عن علي وابن عباس موقوفاً، كما تقدم.

الهيئاتِ. وقولُه: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾، قال مجاهدٌ: هَدَى الإنسانَ للشقاوةِ والسعادةِ، وهَدَى الأنعام لمراتِعِها. وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: قَدَّر قَدَراً، وهدى الخلائق إليه.

[٧٢٤٥] كما ثبت في صحيح مُسلِم، عن عبد الله بن عَمْرو: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الله قَدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلُق السماواتِ والأرض بخمسين ألف سنةٍ، وكان عرشُه على الماء»(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾، أي: مِن جميع صُنُوفِ النباتات والزُّرُوع، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾، قال ابن عباس: هَشِيماً مُتغيِّراً. وعن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، نحوه.

قال ابنُ جرير: وكان بعضُ أهل العلم بكلام العرب يَرَى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وأن معنى الكلام: والذي أخرج المرعى أحْوَى، أي: أخضر إلى السواد، فجعله غُثاءً بعد ذلك. ثم قال ابنُ جرير: وهذا وإن كان مُحتملاً إلا أنه غيرُ صوابٍ، لمخالفته أقوالَ أهلِ التأويل. وقولُه تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، أي: يا محمد: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾. وهذا إخبارٌ من الله ـ عزّ وجلّ ـ ووعدٌ منه له: بأنه سَيُقرِئه قراءةً لا ينساها، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾. وهذا اختيار ابن جرير. وقال قتادةُ: كان رسولُ الله ﷺ لا يَنسى شيئاً إلاَّ ما شاء الله. وقيل: المرادُ بقوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ طَلَبٌ، وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النَّسْخ، أي: لا تَنسَ ما نُقرِئك إلا ما شاء الله رَفْعَه؛ فلا عليك أن تَترُكَه. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: يعلم ما يجهر به العبادُ وما يُخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يَخْفَى عليه من ذلك شيء. وقولُه تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾، أي: نُسَهِّل عليك أفعالَ الخير وأقواله، ونشرَعُ لك شرعاً سهلاً سَمْحاً مستقيماً عَدْلاً، لا اعوجاجَ فيه ولا حَرج ولا عُسْرَ. وقولُه تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾، أي: ذَكِّر حيث تنفعُ التذكرةُ. ومن ها هنا يُؤخَذ الأدب في نشرِ العلم، فلا يَضَعُهُ عند غير أهله، كما قال أميرُ المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ: ما أنت بمُحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تبلُغه عقولُهم إلاَّ كان فتنةً لبعضهم. وقال: حَدِّث الناس بما يَعْرِفون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسولُه؟ وقولُه تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾، أي: سيَتَّعظ بما تُبلِّغه ـ يا محمد ـ مَن قلبه يخشى الله ويعلَم أنه مُلاقِيه، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾، أي: لا يموتُ فيستريح ولا يحيا حياةً تنفعُه، بل هي مَضَرّة عليه، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من ألِيم العذابِ، وأنواعِ النَّكالِ.

[٧٢٤٦] قال الإمام أحمد: حدَّثنا ابنُ أبي عَدِيٍّ، عن سُليمان ـ يعني التيميّ ـ عن أبي نَضْرَة، عن أبي سَعِيدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أما أهلُ النار الذين هم أهلها لا يَموتون ولا يحيَون، وأما أناسٌ يُريد الله بهم الرحمةَ فَيُمِيتُهم في النار فيدخُل عليهم الشُفعاء، فيأخذ الرجل الضُبارة فَيُنبِتُهم ـ أو قال: يَنبتون ـ في نهر الحياءِ ـ أو قال: الحياة ـ أو قال: الحيوان ـ أو قال: نهر الجنة، فينبتون ـ نبات الحبَّة في حَميل السيل» ـ قال: وقال: النبي ﷺ: «أما تَرَون الشجرةَ تكونُ خضراءَ، ثم تكون صفراءَ، أو قال: تكون صفراء ثم تكون خضراء؟». ـ قال: فقال بعضُهم: كأن النبيَّ ﷺ كان بالبادية(٢).

[٧٢٤٧] وقال أحمد أيضاً: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا سعيدُ بن يَزِيد، عن أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أما أهلُ النار الذين هم أهلُها فإنهم لا يَموتُون فيها ولا يَحْيَون، ولكن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

أناسُ ـ أو كما قال ـ تُصِيبهم النارُ بِذُنُوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فَيُميتُهم إماتةً، حتى إذا صارُوا فحماً أُذِن في الشفاعة، فجيءَ بهم ضَبائر ضَبائر، فبثوا على أنهار الجنة، فَيُقال: يا أهلَ الجنةِ! أفيضُوا عليهم، فينُبتون نباتَ الحبَّة تكون في حَميلِ السيل». قال: فقال رجلٌ من القوم حينئذٍ: كَأَنَّ رسول الله ﷺ كان بالبادية[١]. وَرَواه مسلمٌ من حديث بِشرِ بن المُفضَّل وشُعبةَ، كلاهما عن أبي مَسْلَمة سعيد بن يَزِيد، مثله.

[٧٢٤٨] ورواه أحمد أيضاً عن يزيد، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سَعِيد، عن النبي ﷺ قال: «إن أهلَ النار الذين لا يُرِيد الله إخراجهم لا يموتُون فيها ولا يَحْيَون، وإنَّ أهلَ النار الذين يُرِيد الله إخراجهم يُميتهم فيها إماتةً حتى يَصِيرُوا فَحماً، ثم يخرجون ضَبائِر فَيُلقَون على أنهار الجنة، فَيُرَشُّ عليهم من أنهار الجنة، فينبُتون كما تنبُت الحبّة في حَميل السَّيلِ»[٢]. وقد قال الله تعالى إخباراً عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ [فاطر: ٣٦]. إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾، أي: طَهَّر نفسَه من الأخلاق الرذيلة، وتابَعَ ما أنزله الله على الرسول ـ صلوات الله وسلامُهُ عليه ـ ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾، أي: أقام الصلا في أوقاتها؛ ابتغاء رِضوانِ الله وطاعةً لأمرِ الله وامتثالاً لشرع الله.

[٧٢٤٩] وقد قال الحافظ أبو بكر البَزّارُ: حدَّثنا عَبّاد بن أحمد العرزمي، حدَّثنا عمِّي محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عطاء بنِ السائب، عن عبد الرحمن بن سابطٍ، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾، قال: «من شَهِد أن لا إله إلا الله، وخَلَع الأنداد، وشَهِد أنّي رسولُ الله»، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾، قال: «هي الصلواتُ الخمسُ والمحافظةُ عليها والاهتمامُ بها»[٣]. ثم قال: لا يُروَى عن جابر إلا من هذا الوجه. وكذا قال ابنُ عباس: إنَّ المرادَ بذلك الصلواتُ الخمسُ. واختاره ابنُ جرير.

وقال ابنُ جَرِير: حدَّثني عَمرو بن عبد الحميد الآملي، حدَّثنا مَرْوان بن مُعَاوِيةَ، عن أبي خَلْدَةَ قال: دخلت على أبي العالية فقال لي: إذا غَدَوْتَ غداً إلى العيد فَمُرَّ بي. قال: فمررتُ به فقال: هل طعمتَ شيئاً؟ قلتُ: نعم. قال: أَفَضتَ على نفسك من الماء؟ قلتُ: نعم. قال: فأخبرني ما فَعَلْت زكاتُك؟ قلت: قد وَجَّهتُهَا. قال: إنما أردتُك لهذا. ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. وقال: إن أهلَ المدينةِ لا يرون صدقةً أفضلَ منها ومن سِقَايةِ الماء. قلت: وكذلك رَوَينا عن أمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر النَّاسَ بإخراج صَدَقة الفطر، ويتلُو هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾. وقال أبو الأَحْوَصِ: إذا أتى أحدَكُم سائلٌ وهو يريدُ الصلاة فَلْيُقدِّم بين يَدَي صلاتِهِ زكاتَه، فإن الله تعالى يقول: ﴿قَدْ

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٨٥ وابن ماجه ٤٣٠٩ وأحمد ٣/ ١١ وابن حبان ١٨٤.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٢٠ وإسناده على شرط الشيخين.

(٣) ضعيف. أخرجه البزار ٢٢٨٤، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٨٨: عباد بن أحمد العرزمي، متروك اهـ وفيه عطاء بن السائب. صدوق إلا أنه اختلط بأَخَرَة.

أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾. وقال قتادةُ في هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾: زَكَّى ماله، وأرْضَى خالِقَه.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾، أي: تُقدِّمونها على أمر الآخرة، وتُبدُونها على ما فيه نفعُكم وصلاحُكم في معاشكم ومعادكم، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾، أي: ثوابُ الله في الدار الآخرة خيرٌ من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دَنِيَّةٌ فانية، والآخرة شَرِيفة باقية، فكيف يُؤْثِرُ عاقلٌ ما يفنَى على ما يبقَى، ويهتَمُّ بما يزول عنه قريباً، ويتركُ الاهتمامَ بِدَارِ البقاءِ والخُلدِ.

[٧٢٥٠] قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا حُسين بن محمد، حدَّثنا ذُوَيد، عن أبي إسحاق، عن عُروةَ، عن عائشة قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «الدنيا دَارُ من لا دارَ له، ومالُ من لا مَالَ له، ولها يجمَعُ من لا عَقْلَ له»(١). وقال ابنُ جرير: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا يحيى بن وَاضِح، حدَّثنا أبو حَمْزَة، عن عطاءٍ، عن عَرْفَجة الثقفي قال: استقرأتُ ابن مسعودٍ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ فلما بَلَغ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ تَرَك القراءةَ، وأقبل على أصحابِهِ فقال: آثرنا الدنيا على الآخرة. فَسَكت القومُ، فقال: آثرنا الدنيا لأنا رأينا زِينتَها ونساءَها وطعامَها وشَرَابها وزُوِيت عنا الآخرةُ فاخترنا هذا العاجلَ وتركنا الآجل. وهذا منه على وجه التواضع والهَضم، أو هو إخبارٌ عن الجنسِ من حيثُ هُو، والله أعلم.

[٧٢٥١] وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا سُليمان بن داود الهاشميُّ، حدَّثنا إسماعيل بن جَعْفَر، أخبرني عَمرو بن أبي عَمرو، عن المُطَّلب بن عبد الله، عن أبي موسى الأشعريِّ: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أحب دُنياه أَضرَّ بآخرته، ومَن أحب آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقَى على ما يفنى»(٢). تفرَّد به أحمدُ. وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخُزاعِيِّ، عن الدَّراوَرْدِي، عن عَمرو بن أبي عمرو، به مثله سواءً.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾.

[٧٢٥٢] قال الحافظ أبو بكر البزَّارُ: حدَّثنا نصرُ بن علي، حدَّثنا مُعْتَمِرُ بن سُلَيمان، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عِكْرِمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نَزَلت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾، قال النبيُّ ﷺ: «كان كلُّ هذا ـ أو: كان هذا ـ في صُحُف إبراهيمَ وموسى»(٣). ثم قال: لا نعلم أسندَ الثقاتُ عن عطاءِ بن السائب، عن عِكْرمة، عن ابن عباس غيرَ هذا، وحديثاً آخر أورَدَه قبل هذا.

وقال النَّسائي: أخبرنا زكريا بن يحيى، أخبرنا نصرُ بن علي، حدَّثنا المُعْتَمِر بن سليمان، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، قال: كلُّها في صُحُف إبراهيم وموسى. فلما نزلت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾، قال: وفَّى إبراهيم ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾. يعني أن هذه الآية كقوله تعالى في «سورة النجم»: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾. الآيات إلى آخرهن. وهكذا قال عِكْرِمة، فيما رواه ابنُ جرير، عن ابن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف. أخرجه أحمد ٤/٤١٢ وإسناده ضعيف، المطلب لم يسمع من أبي موسى، وعمرو غير قوي.

(٣) ضعيف. أخرجه البزار ٢٢٨٥، وفيه عطاء بن السائب. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٨٩: وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات اهـ فالإسناد ضعيف، والصواب وقفه على ابن عباس، وهم عطاء فرفعه، والله تعالى أعلم.

حُمَيد، عن مِهران، عن سفيان الثَّورِيّ، عن أبيه، عن عِكْرِمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، يقول: الآياتُ التي في سَبِّح اسم ربك الأعلى. وقال أبو العالية: قِصَّةُ هذه السورةِ في الصحُف الأولى. واختارَ ابنُ جرير أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾، أي: مَضمُون هذا الكلام ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾. وهذا الذي اختاره حسنٌ قويٌّ، وقد رُوِي عن قتادة وابنِ زَيدٍ، نحوه. والله أعلم.

آخر تفسير «سورة سبّح» ولله الحمدُ والمنّةُ ،وبه التوفيق والعصمة

سُورَةُ الغَاشِيَة

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

وهي مكيَّةٌ

[٧٢٥٣] قد تقدَّم عن النعمان بن بَشير: أن رسولَ الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، والغاشِيةِ، في صلاةِ العيد ويوم الجُمُعة[١].

[٧٢٥٤] وقال الإمام مالك، عن ضَمْرَة بن سعيد، عن عُبَيد الله بن عبد الله، أن الضحّاك بن قيس سأل النعمان بن بَشيرٍ: بِمَ كان رسولُ الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سُورة الجُمُعة؟ قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[٢]. ورَواه أبو داود عن القَعْنَبي، والنَّسائيُّ عن قُتيبةَ، كلاهُما عن مالكٍ، به. ورَواه مسلمٌ وابن ماجه، من حديثِ سفيان بن عُيينةَ، عن ضَمْرَة بن سَعيدٍ، به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

الغاشيةُ: من أسماء يوم القيامة. قاله ابنُ عباس، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ؛ لأنها تغشَى الناسَ وتعُمُّهم.

[٧٢٥٥] وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدَّثنا علي بن محمد الطَّنافسي، حدَّثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن أبي إسحاق، عن عَمرو بن مَيمونٍ قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ على امرأةٍ تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾، فقام يستمعُ ويقولُ: «نَعَم، قد جاءني»[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾، أي: ذليلةٌ. قاله قتادةُ. وقال ابنُ عباسٍ: تنخشعُ ولا ينفعُها عملُها. وقولُه تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾، أي: قد عَمِلت عملاً كثيراً، ونَصِبَت فيه، وصَلِيَتْ يومَ القيامةِ ناراً حاميةً.

وقال الحافظ أبو بكر البَرْقانيُّ: حدَّثنا إبراهيم بن محمد المُزَكي، حدَّثنا محمد بن إسحاق السراجُ، حدَّثنا هارون بن عبد الله، حدَّثنا سَيَّار، حدَّثنا جعفر قال: سَمِعتُ أبا عِمران الجَوْني يقول: مَرَّ عُمَر بن الخطاب ـ رَضِي الله عنه ـ بدير راهبٍ، قال: فناداه: يا راهبُ! يا راهبُ! فأشرَفَ، قال: فجعل عُمَر ينظُر إليه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٨٧٨ ح ٦٣ وأبو داود ١١٢٣ والنسائي في «التفسير» ٦٨٩ وفي «السنن» ١٤٢٣ وابن ماجه ١١١٩.

(٣) ضعيف جداً. فهو مرسل، عمرو بن ميمون، تابعي وفيه أبو بكر بن عياش، صدوق إلا أنه كثير الخطأ، وتقدم مثل هذا، وبهذا الإسناد لكن في «سورة سبح» والظاهر أنه خبر منكر لا أصل له، والله أعلم.

ويبكي. فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، ما يُبكِيك من هذا؟ قال: ذكرتُ قول الله ـ عزّ وجلّ ـ في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾، فذاك الذي أبكاني.

وقال البخاري: قال ابن عباس: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾، النصارى. وعن عِكْرمة، والسدِّي: ﴿عَامِلَةٌ﴾ في الدنيا بالمعاصي، ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ في النار بالعذابِ والأغلالِ. قال ابن عباس، والحسن، وقتادةُ: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾، أي: حارّة شديدة الحرّ، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥﴾، أي: قد انتهى حَرُّها وغليَانُها. قاله ابنُ عباس، ومجاهدٌ، والحسنُ، والسدِّي. وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾، قال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباسٍ: شَجَرٍ من نارٍ. وقال سعيد بن جُبَير: هو الزقُّوم. وعنه: إنها الحجارةُ. وقال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وأبو الجوزاءِ، وقتادةُ: هو الشِّبرِقُ. قال قتادةُ: قُرَيشٌ تُسمِّيه في الربيع الشِّبْرِق، وفي الصيف الضَّريع، قال عكرمةُ: وهو شجرةٌ ذات شَوْكٍ لاطِئَةٍ بالأرض. وقال البخاريُّ: قال مجاهدٌ: الضَّريعُ نبتٌ يقال له: الشِّبرق، يُسَمِّيه أهلُ الحجاز الضريعَ إذا يَبِس، وهو سُمٌّ. وقال معمرٌ، عن قتادة: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ هو الشِّبرق، إذا يبس سُمِّي الضريعَ. وقال سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾: من شَرِّ الطعام وأبشَعِه وأخبَثِه. وقوله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾، يعني: لا يحصُل به مقصودٌ، ولا يندفعُ به محذورٌ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾

لما ذَكَر حالَ الأشقياء، ثنّى بذكر السعداء فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، أي: يومَ القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾، أي: يعرف النعيم فيها. وإنما حَصَل لها ذلك بِسَعيها. وقال سفيان: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾، قد رَضِيت عَمَلها. وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾، أي: رفيعةٍ بَهِيَّةٍ في الغُرُفات آمنون، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾، أي: لا يُسمَعُ في الجنة التي هُم فيها كَلِمةُ لَغو. كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦]. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾، أي: سَارِحَةٌ. وهذه نكرة في سياقِ الإثبات، وليسَ المرادُ بها عيناً واحدةً، وإنما هو جنسٌ، يعني: فيها عيونٌ جارياتٌ.

[٧٢٥٦] وقال ابن أبي حاتم: قُرِىء على الربيع بن سليمان: حَدَّثنا أسد بن موسى، حدَّثنا ابنُ ثوبان، عن عطاء بن قُرَّة، عن عبد الله بن ضَمْرَة، عن أبي هُرَيرة قال: قال النبيُّ ﷺ: «أنهارُ الجنةِ تُفَجَّر من تحت تِلالٍ ـ أو: من تحت جبال ـ المِسْكِ»[1].

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾، أي: عاليةٌ ناعمةٌ كثيرةُ الفُرُش مرتفعةُ السَّمْك، عليها الحورُ العينُ. قالوا: فإذا أراد وَليُّ الله أن يجلس على تلك السرُر العالية تواضعَت له، ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾، يعني: أواني الشراب مُعَدَّةٌ مُرصَدة لمن أرادها من أربابها، ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾، قال ابن عباس: النمارق الوسائد. وكذا قال عكرمةُ، وقتادةُ، والضحّاكُ، والسدِّي، والثوريُّ، وغيرهم. وقوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾، قال ابنُ

(١) أخرجه ابن حبان ٧٤٠٨ والعقيلي في «الضعفاء» ٢/ ٣٢٦ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣١٣ وأعله العقيلي بعبد الرحمن بن ثوبان، ونقل عن ابن معين قوله: ضعيف، وقال أحمد: ليس بالقوي.

عباس: الزرابيُّ البُسُط. وكذا قال الضحَّاك، وغيرُ واحد. ومعنى ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾، أي: ها هنا وها هنا لمن أراد الجلوس عليها.

[٧٢٥٧] ونذكر ها هنا الحديث الذي رواه أبو بكر بن أبي داود: حدَّثنا عمرو بن عثمان، حدَّثنا أبي، عن محمد بن مُهاجر، عن الضَّحاك المَعَافِرِيِّ، عن سليمان بن موسى: حدَّثني كُريب أنه سَمِع أسامة بن زيد يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا هل من مُشَمِّرٍ للجنة فإن الجنة لا خَطَر لها؟ هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ، وريحانة تهتزُّ، وقصرٌ مَشِيدٌ، ونهرٌ مطَّرد، وثمرة نَضِيجة، وزوجَةٌ حسناءُ جميلةٌ، وحُلَل كثيرةٌ، ومقام في أبد في دارِ سليمةٍ، وفاكهةٍ وخُضْرَةٍ، وحَبْرَةٍ ونَعْمَةٍ، في محلَّةٍ عالية بَهِيَّة». قالوا: نَعَم، يا رسول الله! نحن المشمِّرون لها. قال: «قولوا إن شاء الله». قال القوم: إن شاء الله[(١)]. ورواه ابنُ ماجه، عن العباس بن عثمان الدِّمَشقي، عن الوليد بن مسلم، عن محمد بن مهاجر، به.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

يقولُ تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالَّة على قُدرته وعَظَمته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾، فإنها خَلقٌ عَجيبٌ، وتركيبها غريبٌ، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تَلِينُ للحَمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكَل، ويُنتَفَعُ بِوَبَرِها، ويُشرَب لبنُها. ونُبِّهوا بذلك لأن العرب غالبُ دوابِّهم كانت الإبل، وكان شُرَيح القاضي يقول: اخرُجوا بنا حتى ننظرَ إلى الإبل كيف خُلِقت، وإلى السماء كيف رُفِعت؟ أي: كيف رَفَعها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن الأرض هذا الرفع العظيم، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق: ٦]. ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾، أي: جُعِلت منصوبةً قائمةً ثابتةً راسِيةً لئلا تَميدَ الأرضُ بأهلها، وجَعَل فيها ما جَعَل من المنافع والمعادن. ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾، أي: كيف بُسِطت ومُدَّت ومُهِدت؟ فنبَّه البدويَّ على الاستدلال بما يشاهده من بَعيره الذي هو راكبٌ عليه، والسماءِ التي فوقَ رأسه، والجَبَل الذي تُجاهه، والأرض التي تَحته، على قُدرةِ خالقِ ذلك وصانِعه، وأنه الربُّ العظيمُ الخالقُ المتصرِّف المالكُ، وأنه الإله الذي لا يستَحِقُّ العبادة سِوَاه. وهكذا أقسم «ضِمَام» في سُؤاله على رسول الله ﷺ.

[٧٢٥٨] كما رواه الإمامُ أحمد حيث قال: حدَّثنا هاشمُ بن القاسم، حدَّثنا سُلَيمان بن المُغِيرة، عن ثابت، عن أنس قال: كُنَّا نُهينا أن نسأل رسولَ الله ﷺ عن شيءٍ، فكان يُعجبنا أن يجيء الرجُل من أهل البادية العاقلُ فيسأله ونحنُ نسمعُ، فجاء رجلٌ من أهل البادية فقال: يا محمدُ! إنه أتانا رَسولُك فزعَمَ لنا أنك تَزعُم أن الله أرسلَكَ؟ قال: «صَدَق». قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله». قال: فمن خلق الأرضَ؟ قال: «الله». قال:

(١) ضعيف. أخرجه ابن ماجه ٤٣٣٢ وابن حبان ٧٣٨١ والبخاري في «تاريخه» ٤/ ٣٣٦ والفسوي في «المعرفة والتاريخ» ١/ ٣٠٤٠ والطبراني ٣٨٨ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٠١ وابن أبي داود في «البعث» ٧٢ والبغوي ٤٣٨٦، قال البوصيري في «الزوائد»: في إسناده مقال. والضحاك المعافري الدمشقي، ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي في «طبقات التهذيب»: مجهول، وفيه سليمان بن موسى مختلف فيه اهـ. وقال المنذري في «الترغيب» ٥٤٧٢ ما ملخصه: الضحاك ـ هذا ـ وثقه ابن حبان، وهو في عداد المجهولين اهـ فالإسناد ضعيف.

فمن نَصَب هذه الجبال وجَعَل فيها ما جَعَل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خَلَق السماء والأرضَ ونصب هذه الجبالَ، آللَّهُ أرسلَكَ؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولكَ أن علينا خمسَ صَلَوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك، آللَّهُ أمَرَكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: وزَعَم رسولُك أن علينا زكاةً في أموالنا؟ قال: «صدق». قال: فبالذي أرسلك، آللَّهُ أمرك بهذا؟ قال: «نعم». قال: وَزَعم رسولُك أن علينا حَجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدق». قال: ثم ولّى فقال: والذي بعثك بالحقّ لا أَزِيدُ عليهنّ شيئاً ولا أَنْقُص منهن شيئاً. فقال النبي ﷺ: «إن صَدَقَ لَيَدْخُلَنّ الجنة»[١]. وقد رواه مسلم، عن عَمرو الناقد، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، به. وعَلّقه البخاريُّ، ورواه الترمذيُّ، والنّسائيُّ، من حديث سليمان بن المغيرة، به.

[٧٢٥٩] ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد، عن سعيد المقبُري، عن شريك بن عبد الله بن أبي نَمر، عن أنسٍ، به بطوله، وقال في آخره: «وأنا ضمامُ بن ثعلبة أخُو بني سَعد بن بكر»[٢].

[٧٢٦٠] وقال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا إسحاقُ، حدّثنا عبدُ الله بن جعفر، حدّثني عبدُ الله بن دينار، عن ابن عُمَر قال: كان رسول الله ﷺ كثيراً مِمّا كان يحدِّث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل، معها ابن لها ترعَى غنماً، فقال لها ابنها: يا أُمّه، مَن خلقك؟ قالت: الله. قال: فمن خَلَق أبي؟ قالت: الله. قال: فمن خَلَقني؟ قالت: الله. قال: فمن خلق السماء؟ قالتِ: الله. قال: فمن خَلَق الأرض؟ قالت: الله. قال: فمن خَلَق الجبل؟ قالت: الله. قال: فمن خلق هذه الغنم؟ قالت: الله. قال: إني لأسمع لله شأناً. وألقى نفسه من الجبل فتقطع. قال ابن عُمَر: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يُحدِّثنا هذا. قال ابنُ دينار: كان ابن عُمَر كثيراً ما يحدثنا بهذا[٣]. في إسناده ضعفٌ، وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني ضَعّفه ولَدُه الإمام علي بن المديني وغيرُه.

وقولُه تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾، أي: فَذَكِّر ـ يا محمد ـ الناس بما أُرسِلتَ به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحسابُ. ولهذا قال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾، قال ابنُ عباس، ومجاهد وغيرُهما: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ بجبار، أي: لست تخلق الإيمان في قلوبهم. وقال ابنُ زيدٍ: لست بالذي تُكرِهُهم على الإيمان.

[٧٢٦١] قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيعٌ، عن سفيانَ، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرت أن أُقاتل الناسَ حتى يقولُوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عَصَموا مِنّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله عزّ وجلّ». ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٤]. وهكذا رواه

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ١٢ ح ١٠ والترمذي ٦١٩ والنسائي ٤/ ١٢١ ـ ١٢٢ وأحمد ٣/ ١٤٣.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٣ وأبو داود ٤٨٦ والنسائي ٤/ ١٢٢ ـ ١٢٣ وابن ماجه ١٤٠٢ وأحمد ٣/ ١٦٨، وابن حبان ١٥٤.

(٣) إسناده ضعيف، كما قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ وقد تقدم تخريجه.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢١ ح ٤٥ والترمذي ٣٣٤١ والنسائي في «التفسير» ٦٩٠ وأحمد ٣/ ٣٠٠ لكن ذكر الآية ههنا مدرج من كلام جابر، فإن الحديث معارض لظاهر هذه الآية، والآية مكية، فيكون مخصص لها أو ناسخ، فإنه حديث مشهور بل متواتر. وعلى هذا يصح تخصيص الكتاب به، كما هو مقرر في قواعد علماء الأصول. والحديث ورد عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما بدون ذكر الآية، والله تعالى أعلم.

مسلم في كتاب «الإيمان»، والترمذيُّ والنسائي في كتاب «التفسير» من سُنَنَيهما، من حديث سفيان بن سعيد الثَّوري، به بهذه الزيادةِ. وهذا الحديثُ مخرَّج في الصحيحين من رواية أبي هُرَيرة، بدون ذِكْرِ هذه الآية.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾، أي: تولَّى عن العمل بأركانه، وكَفَر بالحقِّ بجنَانه ولِسانه. وهذه كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٢]. ولهذا قال: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٧٢٦٢] قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا قُتيبة، حدَّثنا ليثٌ، عن سَعيد بن أبي هلال، عن علي بن خالد، أنَّ أبا أُمامة الباهليَّ مَرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كَلِمة سَمِعها من رسول الله ﷺ فقال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ألا كُلُّكُم يدخلُ الجنةَ، إلا من شَرَد على الله شِرَاد البعير على أهله»(١). تفرَّد بإخراجه الإمامُ أحمد، وعليُّ بن خالد(٢) هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه، ولم يَزِد على ما ها هنا: «روى عن أبي أُمَامة، وعنه سعيدُ بن أبي هلال». وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾، أي: مَرْجِعَهُم ومُنْقَلَبَهُم، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾، أي: نحن نحاسِبُهم على أعمالهم ونُجازِيهم بها، إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

آخر تفسير سورة الغاشية، ولله الحمدُ والمنَّةُ

---

(١) حسن. أخرجه أحمد ٥/٢٥٨ وإسناده حسن، ولأصله شواهد.

(٢) قال عنه الحافظ في «التقريب» ٤٧٢٨: صدوق. اهـ.

سُورَةُ الفَجْرِ

ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

وهي مكيَّةٌ

[٧٢٦٣] قال النَّسائيُّ: أخبرنا عبدُ الوهّاب بنُ الحكم، أخبرني يحيى بن سعيد، عن سُلَيمان، عن محارب بن دثار وأبي صالح، عن جابر قال: صلَّى معاذٌ صلاةً، فجاء رجلٌ فصلَّى معه فطوَّلَ، فصلَّى في ناحية المسجد ثم انصرفَ، فبلغ ذلك معاذاً فقال: مُنافِقٌ. فذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى، فقال: يا رسولَ الله! جئتُ أصلِّي معه فَطَوَّل عَلَيّ، فانصرفتُ وصليتُ في ناحية المسجدِ، فَعَلفتُ ناضحي. فقال رسولُ الله ﷺ: «أفتَّانٌ يا معاذ؟ أين أنتَ مِنْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ و ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾»(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

أما الفجرُ فمعروفٌ، وهو: الصبحُ. قاله عليٌّ، وابنُ عباس، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، والسدِّي. وعن مسروق، ومجاهدٍ، ومحمَّد بن كعب: المراد به فجرُ يوم النحر خاصَّةً، وهو خاتِمة الليالي العشر. وقيل: المراد بذلك الصلاةُ التي تُفْعَل عنده، كما قاله عِكْرَمةُ. وقيل: المرادُ به جميعُ النهار. وهو رواية عن ابن عباس. والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة. كما قاله ابنُ عباس، وابنُ الزبير، ومجاهدٌ، وغيرُ واحد من السلَفِ والخَلَف.

[٧٢٦٤] وقد ثَبَت في صحيح البخاري، عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العملُ الصالحُ أحبُّ إلى الله فيهنَّ العملُ من هذه الأيام» ـ يعني عَشر ذي الحِجَّةِ ـ قالوا: ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيءٍ»(٢). وقيل: المرادُ بذلك العشرُ الأُوَل من المحرم، حكاه أبو جعفر بنُ جرير، ولم يَعزُه إلى أحد. وقد رَوَى أبو كُدَينة، عن قابوس بن أبي ظَبْيان،

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الانفطار، وهو صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٩٦٩ وأبو داود ٢٤٣٨ والترمذي ٧٥٧ وابن ماجه ١٧٢٧ وأحمد ١/ ٢٢٤ والطيالسي ٢٦٣١ وابن حبان ٣٢٤.

عن أبيه، عن ابن عباسٍ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾، قال: هو العشرُ الأولُ من رمضان. والصحيح القولُ الأول.

[٧٢٦٥] قال الإمام أحمد: حدَّثنا زيدُ بن الحباب، حدَّثنا عَيَّاش بن عُقبة، حدَّثني خير بن نُعَيم، عن أبي الزُّبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشرُ الأضحَى، والوَتر يومُ عرفة، والشفعُ يوم النحر»[١]. وَرَواه النَّسائي عن محمد بن رافع وعَبْدَةَ بن عبد الله، كلٌّ منهما عن زيد بن الحباب، به. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث زيدِ بن الحُبابِ، به. وهذا إسناد رجالُه لا بأسَ بهم، وعندي أن المتن في رَفْعِه نَكَارةٌ، والله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾، قد تقدَّم في هذا الحديث أنَّ الوتر يومُ عرفة، لِكَوْنِهِ التاسع، وأن الشفعَ يومُ النحرِ لِكَوْنِه العاشر. وقاله ابن عباس، وعِكْرِمة، والضحَّاك أيضاً.

قولٌ ثانٍ: قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثني عُقْبَةُ بن خالد، عن واصل بن السائب قال: سألتُ عطاءً عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾، قلتُ: صلاتنا وَتْرُنا هذا؟ قال: لا، ولكن الشفعُ يومُ عرفَةَ، والوَتْرُ ليلةُ الأضحى.

قولٌ ثالث: قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهانيّ، حدَّثني أبي، عن النعمان ـ يعني ابن عبد السلام ـ عن أبي سعيد بن عوف، حدَّثني بمكَّة قال: سَمِعت عبدَ الله بن الزُّبير يخطبُ الناسَ، فقام إليه رجلٌ فقال: يا أميرَ المؤمنين! أخبرني عن الشَّفع والوتر. فقال: الشفع قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، والوتر قولُه تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. وقال ابنُ جريج: أخبرني محمد بن المرتفع أنه سَمِع ابن الزبير يقولُ: الشفعُ أوسط أيام التشريق، والوترُ آخر أيام التشريق. ورواه ابنُ أبي حاتم وابنُ جَرير من طريق ابن جُرَيج.

[٧٢٦٦] ثم قال ابنُ جَرير: ورُوِي عن النبي ﷺ خَبَرٌ يُؤيِّد القول الذي ذكرناه عن ابن الزبير، حَدَّثني عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدَّثنا زيد بن الحباب، أخبرني عياش بن عقبة، حَدَّثني خير بن نُعَيم، عن أبي الزُّبَير، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: الشفعُ اليومانِ، والوَتْرُ الثالث»[٢]. هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالف لما تقدَّم من اللفظ من رواية أحمد والنَّسائيّ وابن أبي حاتم، وما رواه هو أيضاً، والله أعلم.

[٧٢٦٧] وفي الصحيحين من رواية أبي هُرَيرة، عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعينَ اسماً، مئةٌ إلا واحداً، مَن أحصاها دَخَل الجنَّةَ، وهو وَتْرٌ يُحبُّ الوَتر»[٣].

قول رابعٌ: قال الحسنُ البصري، وزيدُ بن أسلَمَ: الخلقُ كلُّهم شفعٌ وَوَتْرٌ، أقسم تعالى بخلقه. وهو رواية عن مجاهد، والمشهور عنه الأول. وقال العَوفيّ، عن ابن عباسٍ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾، قال: الله وَتْرٌ

---

(١) الصحيح موقوف. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٩١ وأحمد ٣/ ٣٢٧ والطبري ٣٧٠٧٣ والحاكم ٤/ ٢٢٠ والبزار ٢٢٨٦ من حديث جابر. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣٧، رجاله رجال الصحيح غير عياش بن عقبة، وهو ثقة، اهـ. قلت: علته الوحيدة، عنعنه أبي الزبير، فهو وإن كان من رجال مسلم، إلا أنه مدلس، وقد عنعن. ومما يقوي ما ذهب إليه ابن كثير من نكارة رفعه هو اختلاف أئمة التفسير في ذلك من الصحابة والتابعين، فلو صح هذا المرفوع لكان فَيْصلاً في ذلك، وانظر هذا الاختلاف في الروايات الآتية.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧١٠٢ من حديث جابر، وفيه أبو الزبير مدلس، وقد عنعن، وقد رواه غير واحد بهذا الإسناد، لكن بلفظ آخر وتقدم.

(٣) متفق عليه. وتقدم مراراً.

واحدٌ، وأنتم شَفْعٌ. ويقال: الشفعُ صلاة الغَدَاة، والوترُ صلاة المغرب.

قولٌ خامس: قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ، حدَّثنا عُبَيد الله بن موسى، عن إسرائيلَ، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾، قال: الشفعُ الزوج، والوتر: اللّٰهُ عزَّ وجلَّ. وقال أبو عبد الله عن مجاهد: اللّٰهُ الوترُ، وخلقُه الشفع، الذكَرُ والأنثى. وقال ابنُ أبي نَجِيح، عن مجاهد قولُه: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾: «كلُّ شيءٍ خَلَقه الله شَفْعٌ، والسماءُ والأرضُ، والبرُ والبحرُ، والجنُّ والإنسُ، والشمسُ والقمرُ، ونحو هذا». ونحا مجاهدٌ في هذا ما ذَكَروه في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾، أي: لِتَعلَموا أن خالق الأزواجِ واحد.

قول سادس: قال قتادةُ، عن الحسنِ: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾: هو العددُ، منه شفعٌ ومنه وَتْرٌ.

قولٌ سابعٌ في الآية الكريمة: قال أبو العالية، والربيعُ بن أنس، وغيرهما: هي الصلاة، منها شفع كالرُباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب، فإنها ثلاث، وهي وتر النهارِ. وكذلك صلاة الوَتر في آخر التهجُد من الليل. وقد قال عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة، عن عِمران بن حُصين: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾، قال: هي الصلاة المكتوبة، منها شَفعٌ ومنها وَتْرٌ. وهذا منقطع وموقوف، ولفظه خاصٌ بالمكتوبة. وقد رُوِي متصلاً مرفُوعاً إلى النبي ﷺ ولفظه عام.

[٧٢٦٨] قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو داود ـ هو الطيالسي ـ حدَّثنا هَمَّام، عن قتادَةَ، عن عمران بن عِصَام: أن شيخاً حَدَّثه من أهل البصرةِ، عن عمران بن حُصِين: أن رسولَ الله ﷺ سُئِل عن الشَّفْعِ والوَتْرِ، فقال: «هي الصلاةُ، بعضُها شَفعٌ، وبعضُها وَترٌ»[١]. هكذا وقع في المسند، وكذا رَوَاه ابنُ جَرِير عن بُندار، عن عفان، وعن أبي كُريب، عن عُبَيد الله بن موسى، كلاهما عن هَمَّام ـ وهو ابنُ يحيى ـ عن قتادة، عن عِمْران بن عِصَام، عن شيخ، عن عمران بن حُصَين. وكذا رواه أبو عيسى الترمذي، عن عَمرو بن علي، عن ابن مهدي وأبي داودَ، كلاهما عن هَمَّام، عن قتادة، عن عمران بن عِصام، عن رجل من أهل الصبرة، عن عِمران بن حُصَين، به. ثم قال: «غريب، لا نَعرِفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة. وقد رُوِي عن عمران بن عِصام، عن عِمْران نفسِه، والله أعلم.

[٧٢٦٩] قلت: ورواه ابن أبي حاتم: حدَّثنا أحمدُ بن سنان الواسطي، حدَّثنا يزيدُ بن هَارُونَ، أخبرنا هَمَّام، عن قتادة، عن عمران بن عِصَام الضبَعي، شَيخٍ من أهل البصرة ـ عن عِمران بن حصين، عن النبيِّ ﷺ فذكره[٢]، هكذا رأيته في تفسيره، فجعل الشيخ البصرِي هو عِمْرَان بن عِصَام.

[٧٢٧٠] وهكذا رواه ابنُ جرير: حدَّثنا نصر بن علي، حدَّثني أبي، حدَّثني خالد بن قيس، عن قتادة، عن عمران بن عصام، عن عمران بن حُصَين، عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال: «هي الصلاةُ، منها شفع، ومنها وتر»[٣]. فأسقط ذكر الشيخ المُبهَم، وتفرَّد به عمران به عِصَام الضبَعي أبو عُمارة البصري، إمامُ مسجد

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٤٢ وأحمد ٤/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ والطبري ٣٧٠٩٩ من حديث عمران بن حصين. وضعفه الترمذي بقوله: غريب، وهو كما قال، فإن فيه رجلاً لم يسمّ. وقد كرره الطبري ٣٧٠٩٧ من وجه آخر عن قتادة بهذا الإسناد بدون ذكر الشيخ الذي لم يسمّ، والظاهر أنه أسقطه بعض الرواة. والحديث ضعيف بكل حال، والأشبه فيه الوقف كما اختاره ابن كثير كما سيأتي، والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف، وانظر ما بعده.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٠٩٧ والحاكم ٢/ ٥٢٢ وصححه! ووافقه الذهبي، مع أن إسناده منقطع، وانظر ما تقدم.

بني ضُبَيعة وهو والد أبي جَمْرَة نصر بن عِمران الضبعي. روى عنه قتادة، وابنُه أبو جَمْرَة، والمثنّى بن سعِيد، وأبو التيَّاح يزيدُ بن حُميد. وذكره ابن حبّان في كتاب الثقات، وذكره خليفة ابن خَيّاط في التابعين من أهل البصرة، وكان شريفاً نبيلاً حَظِيًّا عند الحجاج بن يوسف، ثم قَتَله يوم الزّاوية سنة ثلاث وثمانين، لخروجه مع ابن الأشعث، وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد. وعندي أن وَقْفه على عمران بن حُصَين أشبهُ، والله أعلم. ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشَّفْعِ والوَتْرِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾، قال العَوفيُّ، عن ابن عباس: أي إذا ذهب. وقال عبد الله بن الزبير: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾: حتى يُذهب بعضُه بعضاً. وقال مجاهد، وأبو العالية، وقتادة، ومالك، عن زيد بن أسلم وابن زَيْدٍ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾، إذا سار. وهذا يمكن حَمْلُه على ما قال ابن عباس، أي: ذَهَب. ويحتملُ أن يكون المرادُ إذا سار، أي: أقبل. وقد يقال: إن هذا أنسبُ، لأنه في مقابلة قوله: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١﴾، فإنّ الفجر هو إقبالُ النهار وإدبار الليل، فإذا حُمل قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾، على إقباله كان قَسَماً بإقبالِ الليلِ وإدبارِ النهار، وبالعكس، كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ ـ ١٨]. وكذا قال الضحّاك: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾، أي: يجري. وقال عِكْرمة: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾، يعني: ليلة جَمْع. رواه ابن جَرِيرٍ وابنُ أبي حاتم، ثم قال ابن أبي حاتم.

حدَّثنا أحمد بن عصام، حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا كثير بن عبد الله بن عَمرو قال: سَمِعتُ محمد بن كعب القُرَظِيّ، يقول في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾، قال: اسْرِ يا سارِ ولا تبيتن إلا بجَمْع. وقولُه تعالى: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾، أي: لذي عَقْلٍ ولُبّ وحِجاً؛ وإنما سُمِي العقل حِجْراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يَلِيق به من الأفعال والأقوال، ومنه حِجْرُ البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشاميّ. ومنه حِجْرِ اليمامة، وحَجَر الحاكم على فلان: إذا منعه التصرفَ، ﴿وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٢٢]، كل هذا من قَبِيلٍ واحِدٍ، ومعنًى متقارِبٍ، وهذا القَسَمُ هو بأوقاتِ العبادةِ، وبنفس العبادة من حَجٍّ وصلاة وغير ذلك من أنواع القُرب التي يتقرّب بها إليه عبادُه المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضِعُون لَدَيه، الخاشِعُون لوجهه الكريم. ولما ذكر هؤلاءِ وعبادتَهم وطاعتَهم قال بعده: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾، وهؤلاء كانُوا مُتمرِّدين عُتاةً جَبّارين، خارجين عن طاعته مكذِّبين لِرُسُلِه، جاحدين لِكُتُبه، فذكر تعالى كيف أهلكَهُم ودَمَّرهم، وجَعَلهم أحاديثَ وعِبَراً، فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾: وهؤلاء عادٌ الأولى، وهم أولادُ عاد بن إرَمَ بن عَوْص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق وهم الذين بَعثَ فيهم رسوله هوداً ـ عليه السلام ـ فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهُرهم ومَن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صَرْصرٍ عاتية، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧ ـ ٨]. وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضعٍ، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون. فقولُه تعالى: ﴿بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾: عطف بيان؛ زيادةِ تعريفٍ بهم.

وقولُه تعالى: ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾، لأنهم كانوا يسكنون بُيوت الشعر التي تُرفع بالأعمدة الشّدَادِ، وقد كانوا أشدَّ الناس في زمانهم خِلْقَة وأقواهم بَطْشاً، ولهذا ذَكَّرهم هودٌ بتلك النعمة وأرشَدَهم إلى أن يستعمِلُوها في طاعةِ ربِّهم الذي خَلَقهم، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ﴾ [فصلت: ٥١]. وقال ها هنا: ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي

﴿ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾، أي: القَبِيلةُ التي لم يُخلق مثلُها في بلادِهم، لِقوّتهم وشدّتهم وعظم تركيبهم. قال مجاهد: إرمُ أُمّةٌ قديمةٌ. يعني عاداً الأولى، كما قال قتادةُ بن دِعامة، والسدّي: إن إرمَ بيتُ مَمْلَكةِ عادٍ. وهذا قول حسنٌ جيّدٌ قويّ. وقال مجاهد، وقتادة، والكلبيُّ في قوله: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ كانوا أهل عمُودٍ لا يُقِيمون. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس: إنما قيل لهم ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ لِطولهم. واختار الأولَ ابنُ جرير، وردَّ الثاني فأصاب. وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾: أعاد ابنُ زيدٍ الضميرَ على العمادِ لارتفاعها، وقال: بَنَوا عُمُداً بالأحقاف لم يُخلق مثلُها في البلاد. وأما قتادةُ وابنُ جرير فأعاد الضمير على القبيلة، أي: لم يُخلق مثلُ تلك القبيلةِ في البلاد، يعني في زمانهم: وهذا القولُ هو الصواب، وقولُ ابن زيدٍ ومَن ذهب مَذْهَبه ضعيفٌ؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال: التي لم يُعمَل مثلُها في البلاد، وإنما قال: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

[٧٢٧١] وقال ابنُ أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو صالح كاتبُ الليث، حَدّثني معاويةُ بن صالح، عمّن حدثه، عن المقدام، عن النبيِّ ﷺ أنه ذَكر إرَمَ ذاتَ العِمَادِ فقال: «كان الرجل منهم يأتي على الصخرةِ فَيَحمِلها على الحيِّ فَيُهلكهم»[١]. ثم قال ابن أبي حاتم ـ حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو الطاهر، حدثنا أنس بن عياض، عن ثور بن زيد الديلي قال: قرأت كتاباً قد سَمّى حيث قَرَاه ـ: أنا شدّادُ ابن عاد، وأنا الذي رفعتُ العِمَاد، وأنا الذي شَدَدت بِذِراعي نَظَرَ واحدٍ، وأنا الذي كنزتُ كنزاً على سبعةِ أذْرُع لا يُخرجه إلا أُمّة مُحمّدٍ ـ. قلتُ: فعلى كلّ قولٍ سواءٌ كانت العمادُ أبنيةً بَنَوها، أو أعمدةَ بَيوتهم للبدو، أو سلاحاً يُقاتلون به، أو طول الواحد منهم، فهم قبيلةٌ وأُمّة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرُونون بِثمود كما ها هنا. والله أعلم.

ومن زعَم أن المراد بقوله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ مدينةٌ إما دمشقُ، كما رُوي عن سعيد بن المسيّب وعِكْرِمةَ ـ أو إسكندريةَ كما رُوي عن القُرَظي ـ أو غيرهما ـ ففيه نظرٌ، فإنه كيف يلتئمُ الكلام على هذا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾، إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحلَّ الله بهم من بأسِهِ الذي لا يُرَدُّ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم. وإنما نَبّهت على هذا لئلا يُغترّ بكثير مما ذكره جماعةٌ من المفسّرين عند هذه الآية، من ذكر مدينةٍ يقال لها: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾، مبنيّةٍ بِلَبِنِ الذهبِ والفضّة، قصورُها ودورُها وبساتينُها، وأن حصباءَها لآلىءُ وجواهرُ، وترابَها بنادقُ المسك، وأنهارَها سارحةٌ، وثمارَها ساقطةٌ، ودُورها لا أنيسَ بها، وسورَها وأبوابها تَصفِرُ، ليس بها داعٍ ولا مُجيبٌ. وأنها تَنْتَقِلُ فتارة تكونُ بأرض الشام، وتارةً باليمنِ، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلادِ فإن هذا كلّه من خُرافات الإسرائيليّين، من وَضْعِ بعضِ زَنَادِقتهم، لِيختبروا بذلك القول عُقُولَ الجَهَلةِ من الناسِ أنْ صَدَّقَهم في جميع ذلك.

وذكَرَ الثّعلبي وغيرُه أن رجلاً من الأعراب، وهو عبد الله بن قِلابة، في زمان معاويةَ ذَهَب في طلب أباعر له شَرَدت، فبينما هو يتيه في ابتغائها، إذ اطلع على مدينة عظيمةٍ لها سورٌ وأبوابٌ، فَدَخلها فوجَدَ فيها قريباً مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدّم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس، فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يَرَوا شيئاً. وقد ذكر ابنُ أبي حاتم قصة ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ ها هنا مُطوّلة جدًا، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادُها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوعٌ من الهَوَس

---

(١) إسناده ضعيف جداً، فيه راوٍ لم يسمّ، وعلة ثانية: عبد الله بن صالح، روى مناكير كثير، بسبب جار له كان يدس في كتبه، والأشبه في مثل هذا الوقف على بعض الصحابة أو التابعين.

والخَبَال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك. وهذا مما يقطَع بعدم صِحَّته. وهذا قريب مما يُخبِر به كثيرٌ من الجَهَلة والطامعين والمتحيِّلين، من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطير الذهب والفضة، وألوان الجواهر واليواقيت واللآلىء والإكسير[١] الكبيرُ، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذِ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضَّعَفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات، ويَطْنِزُون[٢] بهم. والذي نَجزِمُ به أن في الأرض دفائن جاهليَّة وإسلاميَّة وكنوزاً كثيرة، من ظَفِرَ بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعمُوها فَكِذبٌ وافتراءٌ وبَهتٌ، ولم يصحَّ في ذلك شيءٌ مما يقولونه إلا عن نَقْلِهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانَه وتعالى الهادي للصواب.

وقولُ ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِرَمَ﴾ قبيلةً أو بلدةً كانت عاد تسكُنها فذلك لم تُصرَف ـ فيه نظر؛ لأن المراد من السياق إنما هو الإخبارُ عن القبيلة، ولهذا قال بعدَه: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩﴾، يعني يقطعون الصخر بالوادي. قال ابن عباس: يَنحتونها ويخرِقُونها. وكذا قال مجاهدٌ، وقتادة، والضحاكُ، وابنُ زيدٍ، ومنه يقال «مُجتابي النِّمار»، إذا خرقوها، واجتاب الثوب: إذا فتحه. ومنه الجيبُ أيضاً. وقال الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۝١٤٩﴾ [الشعراء: ١٤٩]. وأنشد ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم ها هنا قولَ الشاعر:

ألاَ كُلّ شيء ـ ما خلا الله ـ بائدُ   كَما بَاد حَيّ من شنيفٍ ومارِدِ
هُم ضَرَبُوا في كُلّ صَمّاء صَعدة   بأيدِ شِدادٍ أيِّداتِ السَّواعِدِ

وقال ابن إسحاق: كانوا عرباً، وكان منزلُهم بوادي القُرَى. وقد ذكرنا قصَّتَه مُستَقْصاةً في سورة «الأعرافِ»، بما أغنى عن إعادته.

وقولُه تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠﴾، قال العَوفي، عن ابن عباس: الأوتادُ الجنودُ الذين يَشُدُّون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديَهم وأرجلَهم في أوتاد من حَديدٍ يُعَلِّقهم بها.. وكذا قال مجاهدٌ: كان يوتد الناس بالأوتادِ، وهكذا قال سعيد بن جُبَير، والحسن، والسُّدِّي. قال السُّدِّي: كان يَربِطُ الرجلَ، كلَّ قائمةٍ من قوائمه في وَتِدٍ، ثم يُرسِلُ عليه صخرةً عظيمةً فتشدَخُه. وقال قتادةُ: بَلَغنا أنه كانت له مَطالُّ ومَلاَعِبُ يُلعَب له تحتَها، من أوتادٍ وحبالٍ. وقال ثابت البُناني، عن أبي رافع: قيل لِفِرعون ذي الأوتادِ لأنه ضَرَب لامرأته أربعةَ أوتادٍ، ثم جَعَل على ظَهرِها رحًى عظيمةً حتى ماتت.

وقولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾، أي: تَمرَّدوا وعَتوا وعاثُوا في الأرض بالإفسادِ والأذيَّة للناس، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾، أي: أنزل عليهم رجزاً من السماءِ، وأحلَّ بهم عقوبةً لا يَرُدها عن القوم المجرمين. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾، قال ابنُ عباس: يَسْمَعُ ويَرَى. يعني: يرصُد خَلْقه فيما يعملون، ويُجازي كلاًّ بِسَعيه في الدنيا والأخرى، وسَيُعرَض الخلائقُ كُلُّهم عليه، فيحكُم فيهم بِعَدْله، ويُقَابِل كلاًّ بما يَستحِقُّه. وهو المُنزَّه عن الظُّلم والجور. وقد ذكر ابنُ أبي حاتم ها هنا حديثاً غريباً جدًّا ـ وفي إسناده نظرٌ وفي صِحَّته، فقال:

[٧٢٧٢] حدَّثنا أبي، حدَّثنا أحمد بن أبي الحَوَارِيّ، حدَّثنا يونُس الحذَّاء، عن أبي حَمزَةَ البَيْسانيُّ، عن

(١) الإكسير: الكيمياء.
(٢) يطنزون: يسخرون.

مُعاذِ بن جَبَلٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ «يا معاذُ! إنَّ المؤمن لَدَى الحقِّ أسيرٌ. يا معاذُ! إن المؤمنَ لا يَسكُن روعُه ولا يأمن اضطرابه حتى يُخلف جِسْرَ جهنم خَلْفَ ظهره. يا معاذُ! إن المؤمن قيدهُ القرآنُ عن كثير من شَهَواته، وعن أن يَهْلِكَ فيها هو بإذن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فالقرآن دليلُه، والخوف مَحَجَّته، والشوقُ مَطِيَّته، والصلاةُ كهفُه، والصومُ جُنَّته، والصدقةُ فَكَاكه، والصدقُ أَميرُه، والحياءُ وَزِيرُه، وربُّه ـ عزَّ وجلَّ ـ من وراءِ ذلك كله بالمرصاد»[1]. قال ابن أبي حاتم: يونس الحذّاء وأبو حَمْزَة مجهولان، وأبو حَمْزَة عن معاذٍ مُرسَلٌ، ولو كان عن أبي حَمْزَة لكان حسناً، أي: لو كان من كلامه لكان حسناً. ثم قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا صفوانُ بن صالح، حدَّثنا الوليدُ بن مسلم، عن صَفْوَان بن عَمرو، عن أيفع بن عَبْدٍ الكَلاَعِيِّ: أنه سمعه وهو يَعِظُ الناس يقول: إن لجهنَّم سبعَ قناطِرَ، قال: والصراط عليهنَّ، قال: فَيُحبس الخلائقُ عند القنطرة الأولى، فيقول: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصافات: ٢٤]، قال: فَيُحاسَبُون على الصلاةِ ويُسألون عنها، قال: فَيهلِكُ فيها من هلك، وينجُو مَن نجا، فإذا بلغوا القنطرةَ الثانية حُوسِبوا على الأمانة كيف أدوها، وكيف خَانُوها؟ قال: فيهلك مَن هَلك وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئِلُوا عن الرحم كيفَ وَصَلُوها وكيف قَطَعُوها؟ قال: فَيَهلِكُ من هلك وينجُو من نجا. قال: والرحم يومئذٍ مُتدلِّية إلى الهَوِيِّ في جهَنَّم تقول: اللهُمَّ مَن وصلني فَصِلْه، ومن قَطَعني فاقطَعْهُ. قال: وهي التي يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ١٤﴾. هكذا أورد هذا الأثر، ولم يذكر تمامه.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾

يقولُ تعالى مُنكِراً على الإنسان في اعتقاده إذا وَسَّع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فَيعتقِدَ أن ذلك من الله إكرامٌ له وليس كذلك. بل هو إبتلاءٌ وامتحانٌ. كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون ٥٥ ـ ٥٦]. وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه فامتحنه وضَيَّق عليه في الرزق، يَعتقِد أن ذلك من الله إهانةٌ له. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، أي: ليس الأمر كما زَعم، لا في هذا ولا في هذا؛ فإن الله تعالى يعطي المالَ من يُحبُّ ومن لا يُحبُّ، ويُضَيِّق على من يُحبُّ ومن لا يُحبُّ، وإنما المدار في ذلك على طاعةِ الله في كلِّ من الحالين، إذا كان غنيًا بأن يشكُر الله على ذلك، وإذا كان فقيراً بأن يصبِرَ. وقولُه تعالى: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾، فيه أمر بالإكرام له.

[٧٢٧٣] كما جاء في الحديث الذي رواه عبدُ الله بن المبارك، عن سَعِيد بن أبي أيوب، عن يحيى ابن سليمان، عن زيد بن أبي عَتَّابٍ، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبي ﷺ: «خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسَنُ إليه، وشرُّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُسَاء إليه». ثم قال بإصبَعَيه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هَكذا»[2].

[٧٢٧٤] وقال أبو داود: حَدَّثنا محمدُ بن الصباح بن سفيان، أخبرنا عبد العزيز ـ يعني ابن أبي حازم ـ

(١) ضعيف جداً. وقد ضعفه ابن أبي حاتم، فأعله بيونس الحذّاء، وأبي حمزة، والانقطاع؛ ومع ذلك لم يصح الإسناد إلى معاذ.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٦٥٤ وتقدم.

حدَّثني أبي، عن سَهْلٍ ـ يعني ابن سَعْدٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة». وقرن بين إصبعيه: الوُسطى والتي تلي الإبهام[1].

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨﴾، يعني: لا يأمرون بالإحسان إلى الفُقراء والمساكين، ويحثُّ بعضهم على بعض في ذلك، ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾، يعني الميراث، ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾، أي: من أيِّ جهةٍ حَصَل لهم، من حلالٍ أو حَرَام، ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾، أي: كثيراً، زاد بعضُهم: فاحشاً.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾

يُخبِر تعالى عما يَقَع يومَ القيامة من الأهوال العظيمة، فقال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾، أي: حقًّا ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾، أي: وُطِئت ومُهِّدت وسُوِّيت الأرضُ والجبالُ، وقام الخلائق من قُبورهم لربِّهم، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، يعني لفصل القضاء بين خَلْقِه، وذلك بعدما يَستشفِعون إليه بسيِّدِ ولد آدم على الإطلاق مُحمدٍ ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ بعد ما يسألون أُولي العزم من الرُّسل واحداً بعد واحدٍ، فكلهم يقولُ: لستُ بصاحب ذاكُم، حتى تنتهي النَّوبةُ إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها، أنا لها. فَيَذْهَبُ فيشفَعُ عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاءِ، فَيُشفِّعه الله في ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقامُ المحمودُ، كما تقدَّم بيانُه في سورة «سبحان»، فيجيء الربُّ تعالى لفصل القضاءِ كما يشاءُ، والملائكةُ يجيؤون بين يَدَيه صُفُوفاً صُفُوفاً.

[٧٢٧٥] وقولُه تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾؛ قال الإمامُ مسلمُ بن الحجاج في صَحِيحه: حدَّثنا عُمَر بن حفص بنِ غياث، حدَّثنا أبي، عن العلاءُ بن خالد الكاهلي، عن شَقِيق، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُؤتَى بجهنَّم يومئذٍ لها سَبعُون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف مَلَك يَجرُونها»[2]. وهكذا رواه الترمذيُّ عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارميِّ، عن عُمَر بن حَفْص، به. ورواه أيضاً عن عبد بن حُمَيد عن أبي عامر، عن سُفيان الثوريِّ، عن العلاء بن خالد، عن شَقِيق بن سَلَمة ـ وهو أبو ائل ـ عن عبد الله بن مسعود، قولَه ولم يرفعه. وكذا رواه ابنُ جرير، عن الحسن بن عرفة، عن مَرْوان بن معاوية الفَزَارِيِّ، عن العلاء بن خالد، عن شَقِيقٍ، عن عبد الله، قوله. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، أي: عَمَله وما كان أسلَفَه في قديم دَهره وحَدِيثه، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، أي: وكيف تنفعهُ الذكرى؟! ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤﴾، يعني يندَمُ على ما كان سَلَف منه من المعاصي ـ إن كان عاصياً ـ وَيَودُّ لو كان ازداد من الطاعاتِ ـ إن كان طائعاً ـ.

[٧٢٧٦] كما قال الإمام أحمدُ بن حنبل: حدَّثنا علي بن إسحاق، حدَّثنا عبد الله ـ يعني ابنَ المبارك ـ حدَّثنا ثَورُ بن يزيدَ، عن خالد بن مَعْدَان، عن جُبَير بن نُفَير، عن محمد بن أبي عَمِيرَةَ ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لو أن عبداً خَرَّ على وَجهِه من يوم وُلِد إلى أن يَمُوت في طاعة الله لحَقِرَه يومَ القيامة،

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٠٤ وأبو داود ٥١٥٠ والترمذي ١٩١٨ وأحمد ٥/ ٣٣٣ وابن حبان ٤٦٠.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٤٢ والترمذي ٢٥٧٣.

ولوَدَّ أنه يُرَدّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب(١). ورواه بَحِيرُ بنُ سَعد، عن خالد بن مَعْدَان، عن عتبة بن عبد، عن رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾، أي: ليس أحدٌ أشدَّ عذاباً من تعذيب الله من عَصاه، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾، أي: وليس أحدٌ أشدَّ قبضاً وَوَثْقاً من الزبانية لمن كَفَر بربهم عزَّ وجلَّ، هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفسُ الزكيّةُ المُطمئنّةُ وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحقِّ فيقال لها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، أي: إلى جوارِه وثَوابِه وما أعدَّ لعباده في جنته، ﴿رَاضِيَةً﴾، أي: في نفسها ﴿مَّرْضِيَّةً﴾، أي: قد رضيت عن الله ورَضِي عنها وأرضاها، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾، أي: في جُملَتِهم، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾. وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يُبَشِّرون المؤمن عند احتضارِه وعند قيامِه من قَبره، وكذلك ها هنا.

ثم اختلفَ المفسِّرون فيمن نَزَلت هذا الآية: فَروى الضحّاك، عن ابن عباس: نَزَلت في عثمان بن عَفّانَ. وعن بُرَيدة بن الحُصَيب: نزلت في حَمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. وقال العَوفي، عن ابن عباس: يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾، يعني: صاحِبك، وهو بَدَنُها الذي كانت تعمُره في الدنيا ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. ورُوِي عنه أنه كان يَقرؤها: (فادخلي في عَبْدي وادخلي جنّتي). وكذا قال عكرمةُ والكلبيُّ، واختاره ابنُ جرير، وهو غريب، والظاهر الأول لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣]، أي: إلى حكمه والوقوف بين يَدَيه.

[٧٢٧٧] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا علي بن الحسين، حدَّثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتَكِيُّ، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن أشعثَ، عن جَعفرٍ، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، قال: نَزَلَت وأبو بكر جالسٌ، فقال: يا رسولَ الله! ما أحسنَ هذا! فقال: «أما إنه سَيُقال لك هذا»(٢).

[٧٢٧٨] ثم قال: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا ابنُ يمان، عن أشعثَ، عن سعيد بن جُبَير قال: قُرِأَت عند النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا لَحسنٌ! فقال له النبي ﷺ: «أما إن المَلَكَ سَيقُول لك هذا عند الموتِ»(٣). وكذا رواه ابنُ جرير، عن أبي كُرَيب، عن ابن يَمانٍ، به. وهذا مرسل حسن.

ثم قال ابن أبي حاتم: وحدَّثنا الحسنُ بن عَرَفة، حدَّثنا مَرْوان بن شُجاع الجَزَرِيُّ، عن سالم الأفطس،

---

(١) هو موقوف. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٣٤ وأحمد ٤/ ١٨٥، وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه أحمد ٤/ ١٨٥ والبخاري في «التاريخ» ١/ ١/ ١٥ وأبو نعيم ٢/ ١٥ و ٥/ ٢١٩ من طريق بقية بن الوليد عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة مرفوعاً، وإسناده ضعيف، خالد ثقة لكنه كثير الإرسال، وهو لم يسمعه من عتبة، إنما سمعه من جبير كما في الرواية المتقدمة. ولم يتنبه الألباني إلى هذه العلة فجرى على ظاهره، وأورده في «الصحيحة» ٤٤٦ ولم يذكر له طرقاً ولا شواهد، فالصواب أنه موقوف، والمرفوع ضعيف. وقد روي موقوفاً من طرق. راجع «الإصابة» ٣/ ٣٨١/ ٧٧٩٨.

(٢) ضعيف. رجاله ثقات، لكن أشعث، وهو ابن إسحاق بن سعد قال البزار: روى أحاديث لا يتابع عليها. وفيه أيضاً جعفر بن أبي المغيرة، ذكره ابن أبي حاتم من غير جرح ولا تعديل. وقال ابن مندة: ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير اهـ وهذا رواه عن سعيد والمتن غريب. والله أعلم.

(٣) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٢١٣ مرسلاً، ومع إرساله سقط الواسطة بين أشعث وسعيد.

عن سعيد بن جُبَير قال: مات ابنُ عباس بالطائف، فجاء طيرٌ لم يُرَ على خَلْقتهِ، فدخل نَعْشه، ثم لم يُرَ خارجاً منه فلما دُفِن تُليت هذه الآية على شَفِيرِ القبرِ، لا يُدرَى مَن تلاها: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. رَواه الطَبَراني عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن مَرْوانَ بن شجاع، عن سالم بن عجلانَ الأفطسِ، به فذكره.

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذرِ الهرويُّ ـ المعروف بشكر ـ في كتاب العجائب بسنده عن قُباث ابن رَزين أبي هاشم قال: أُسِرتُ في بلاد الروم، فَجمعنا المَلِكُ وَعَرَض علينا دينه، على أنَّ من امتنع ضُرِبت عنقُه. فارتدَّ ثلاثةٌ، وجاء الرابع فامتنعَ، فَضُرِبت عنقه، وأُلقي رأسُه في نهر هناكَ، فَرَسب في الماء ثم طَفَا على وجه الماء، ونَظَر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلانُ! ويا فلان! ويا فلان! ـ يُناديهم بأسمائهم ـ قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. ثم غاص في الماء، قال: فكادت النصارى أن يُسلِمُوا، وَوَقع سَريرُ المُلكِ، ورجَعَ أولئك الثلاثة إلى الإسلام ـ قال: وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جَعفر المنصُور فَخَلَّصنا.

[٧٢٧٩] وروى الحافظُ ابنُ عساكرِ في ترجمة رَوَاحة بنت أبي عمرو الأوْزاعي، عن أبيها: حدَّثني سليمان بن حَبِيب المُحاربي، حدَّثني أبو أُمامة: أن رسولَ الله ﷺ قال لرجلٍ: «قُل: اللهُمَّ، إني أسألك نفساً بك مُطمئِنَّة، تُؤمِن بلقائك، وترضَى بِقَضائك، وتقنَع بعطائِك»[١]. ثم رَوَى عن أبي سليمان بن زَبْر أنه قال: حَدِيث رواحةَ هذا واحدُ أُمِّه.

آخرُ تفسيرِ سُورةِ الفجرِ، ولله الحمدُ والمنَّةُ

(١) إسناده ضعيف. رواحة، تفرد بذكرها ابن عساكر، ولم أجد لها ترجمة في شيء من كتب التراجم، وقد تفردت بهذا الحديث، ولم يتابعها عليه أحد، فهي لا تعرف بحمل العلم، فالخبر ضعيف.

سورة البلد

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

وهي مكيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾

هذا قسمٌ من الله ـ عزّ وجلّ ـ بمكّة أمّ القُرى في حالِ كونِ الساكِن فيها حَلالاً؛ لينبه على عَظَمة قَدرِها في حال إحرام أهلها. قال خُصَيف، عن مجاهد ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾: ﴿لَآ﴾: رَدٌّ عليهم؛ ﴿أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ وقال شَبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾، يعني مَكّة، ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾، قال: أنت ـ يا محمد ـ يحل لك أن تُقاتِل به. وكذا رُوِي عن سعيد بن جُبَير، وأبي صالح، وعطية، والضحّاك، وقتادَة، والسُدّي، وابنِ زيد. وقال مجاهد: ما أصبتَ فيه فهو حلالٌ لك. وقال قتادة: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾، قال: أنت به من غير حَرَج ولا إثم. وقال الحسنُ البصريُّ: أَحَلّها الله له ساعةً من نهار.

[٧٢٨٠] وهذا المعنى الذي قالوه قد وَرَد به الحديث المُتّفق على صِحّته: «إن هذا البلد حَرّمه الله يوم خَلَق السماوات والأرض، فهو حَرَام بِحُرمَة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضَد شَجَرُه ولا يُختَلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حُرمَتُها اليوم كحُرمتها بالأمس، ألا فَلْيُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ». وفي لفظ: «فإنْ أحدٌ تَرَخّص بِقتال رسولِ الله فقولوا: إن الله أذِن لرسُوله ولم يأذَن لكم»(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾، قال ابن جرير: حدّثنا أبو كُرَيب، حدّثنا ابنُ عطيّة، عن شَرِيكٍ، عن خُصَيفٍ، عن عِكْرِمةَ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾، الوالدُ: الذي يَلِدُ، وما وَلَد: العاقر الذي لا يولد له. ورواهُ ابنُ أبي حاتم، من حديث شريك ـ وهو ابن عبد الله القاضي ـ به. وقال عِكْرمةُ: الوالِد: العاقرُ، وما ولد: الذي يَلِدُ. رواه ابن أبي حاتم. وقال مجاهِدٌ، وأبو صالح، وقتادةُ، والضحّاك، وسُفيان الثوريُّ، وسعيد بن جُبَير، والسدّي، والحسنُ البصريُّ، وخُصَيف، وشُرَحبيل بن سعد، وغيرهم: يعني بالوالد آدَمَ، وما وَلَد ولدُه. وهذا الذي ذَهَب إليه مجاهدٌ وأصحابُه حَسَنٌ قوي؛ لأنه تعالى لما أقسم بأمّ القرى وهي المساكن أقسَم بعده بالساكن، وهو آدم أبو البشر وولدُه. وقال أبو عِمْرانَ الجَوْنِيُّ: هو إبراهيم وذُرّيته. رواهُ ابن جَرِير، وابن أبي حاتم. واختار ابن جرير أنه عامٌ في كل والدٍ وَوَلده. وهو مُحتَملٌ أيضاً.

---

(١) متفق عليه، وتقدم في البقرة ١٢٦.

وقولُه تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾: رُوِي عن ابن مسعُودٍ، وابن عباس، وعكرمةَ، ومجاهدٍ، وإبراهيم النَّخعي، وخَيْثَمة، والضحَّاك، وغيْرِهم: يعني مُنتصِباً، زاد ابن عباس في رواية عنه ـ في بطن أُمِّه. والكَبَدُ: الاستواءُ والاستقامةُ. ومعنى هذا القول: لقد خَلَقنا الإنسان سَوِيًّا مُستقيماً كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧ ـ ٨]، وكقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]. وقال ابنُ جُرَيج، عن عطاءٍ، عن ابن عباس: ﴿فِى كَبَدٍ﴾، قال: في شدَّةِ خَلْقٍ، ألم تر إليه وذكر مَوْلِدَه ونباتَ أسنانه؟ وقال مجاهدٌ: ﴿فِى كَبَدٍ﴾: نُطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، يتكبَّد في الخلق، قال مجاهد: وهو كقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وأرضعته كُرهاً، ومعيشتُه كرهٌ، فهو يُكابِدُ ذلك. وقال سعيد بن جُبَير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾: في شِدَّةٍ وطَلَبِ معيشةٍ. وقال عِكْرمةُ: في شِدَّةٍ وطُولٍ. وقال قتادة: في مشقَّةٍ. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن عِصَام، حدَّثنا أبو عاصم، أخبرنا عبدُ الحميد بنُ جعفر، سَمِعتُ محمد بن علي أبا جعفر الباقرَ سأل رَجُلاً من الأنصار عن قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾، قال: في قيامِه واعتدالِه. فلم يُنكِر عليه أبو جعفر. ورَوَى من طريق أبي مَودُودٍ: سَمِعتُ الحسَن قرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾، قال: يُكابِدُ أمراً من أمر الدنيا، وأمراً من أمر الآخرة. وفي رواية: يُكابِدُ مضايقَ الدُّنيا وشدائدَ الآخرةِ. وقال ابنُ زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾، قال: آدمُ خُلِق في السماء فَسُمِّي ذلك الكَبَد، واختار ابنُ جَريرٍ أن المراد بذلك مكابدةُ الأمور ومشاقُّها. وقولُه تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾، قال الحسن البصري: يعني ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ يأخُذ مالَه. وقال قتادةُ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾، قال: ابنَ آدم يظُنُّ أن لن يُسأل عن هذا المال: مِن أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟ وقال السُدِّي: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾، قال: الله عزَّ وجلَّ. وقولُه تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾، أي: يقول ابنُ آدم: أنفقتُ مالاً لُبداً، أي: كثيراً. قاله مجاهدٌ، والحسنُ، وقتادةُ، والسدِّي، وغيرُهم. ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾، قال مجاهدٌ: أي أيحسَبُ أن لم يَرَه الله عزَّو جلَّ. وكذا قال غيرُه من السَّلَف. وقولُه تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾، أي: يُبصِرُ بهما. ﴿وَلِسَانًا﴾، أي: يَنطِقُ به، فيُعَبِّر عما في ضَمِيره، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلامِ، وأكل الطعامِ، وجَمالاً لوجهه وفَمِهِ.

[٧٢٨١] وقد رَوَى الحافظ ابنُ عساكر في ترجمة أبي الربيع الدِّمشقي، عن مكحُولٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: «يقولُ الله تعالى: يابنَ آدم، قد أنعمتُ عليك نِعَماً عظاماً لا تُحصي عَدَدَها ولا تُطِيق شُكرَها، وإنَّ مما أنعمتُ عليك أن جعلتُ لك عينيَين تنظُر بهما، وجعلت لهما غِطاءً، فانظر بعينيك إلى ما أحللتُ لك، وإن رأيتَ ما حَرَّمت عليك فأَطْبِق عليهما غِطاءَهما. وجعلتُ لك لساناً، وجعلتُ له غِلافاً، فانطِق بما أمرتُك وأحللتُ لك، فإن عَرَض لك ما حَرَّمت عليك فأغلِق عليك لسانك. وجَعَلت لك فَرْجاً، وجعلت لك سِتراً، فَأَصب بفرجك ما أحللتُ لك، فإن عَرَض لك ما حَرَّمت عليك فَأَرْخِ عليك سِتْرَكَ. يابن آدم، إنك لا تَحْمِل سَخَطي، ولا تُطِيق انتقامي»[1].

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾، قال سفيانُ الثَّوري، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله ـ هو ابنُ مسعود ـ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾، قال: الخيرَ والشرَّ. وكذا رُوِي عن عليٍّ، وابنِ عباسٍ، ومجاهدٍ، وعكرمةَ، وأبي

---

(١) ضعيف جداً. فهو مرسل، فهذه علة، ومكحول فيه ضعف إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله، ولم يذكر المصنف رجال الإسناد، والمتن غريب جداً، يشبه أنه من الاسرائيليات.

وائلٍ، وأبي صالحٍ، ومحمد بن كعبٍ، والضحَّاكِ، وعطاءِ الخُرَاساني في آخرين.

[٧٢٨٢] وقال عبدُ الله بن وهب: أخبرني ابن لَهيعة، عن يزيدَ بن أبي حَبيب، عن سِنانِ بن سَعد، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «هما نَجدانِ، فما جُعِل نجد الشرِّ أحب إليكم من نَجدِ الخير»(١). تَفرَّد به سنانُ بن سعد ـ ويقال: سَعد بن سِنانٍ ـ وقد وثقه ابن معين. وقال الإمام أحمدُ والنسائي والجُوزجاني: منكر الحديث: وقال أحمدُ: تركتُ حديثه لاضطرابه. ورَوى خمسةَ عشرَ حديثاً منكرةً كلُّها، ما أعرِفُ منها حديثاً واحداً، يشبُه حديثه حديثَ الحسن ـ يعني البصريَّ ـ لا يُشبِه حديثَ أنس.

[٧٢٨٣] وقال ابنُ جرير: حدَّثني يعقوبُ، حدَّثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رجاءٍ قال: سمعتُ الحسنَ يقول: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾، قال: ذُكِر لنا أن نبيَّ الله ﷺ كان يقولُ: «يا أيُّها الناسُ، إنهما النجدانِ، نجدُ الخير ونجدُ الشر، فما جُعِل نجدُ الشرِّ أحبَّ إليكم من نجد الخير»(٢). وكذا رواه حَبيبُ بن الشَّهيد، ومعمر، ويونُس بن عُبَيد، وأبو وَهبٍ، عن الحسن مُرسلاً. وهكذا أرسله قتادة. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أحمد بن عصام الأنصاريُّ، حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيريُّ، حدَّثنا عيسى بن عِقَالٍ، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾، قال: الثَّديين. ورُوِي عن الربيع بن خُثَيم، وقتادة، وأبي حازم، مثلُ ذلك. ورواهُ ابنُ جريرٍ عن أبي كُرَيب، عن وَكيعٍ عن عيسى بن عِقَال، به ثم قال: والصواب القول الأول. ونظيرُ هذه الآيــة قــولُــه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢ ـ ٣].

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

قال ابنُ جرير: حدَّثني عُمَر بن إسماعيل بن مُجالد، حدَّثنا عبدُ الله بن إدريسَ، عن أبيه، عن عَطيَّة، عن ابن عُمَر في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾، قال: جَبَلٌ في جهنَّم آزِلٌ. وقال كعب الأحبار: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، هو سبعون درجةً في جهنَّم. وقال الحسن البصري: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾، قال: عقبةٌ في جهنَّم. وقال قتادةُ: إنها قُحمَةٌ شديدةٌ فاقتحِمُوها بطاعةِ الله عزَّ وجلَّ. وقال قتادة في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾، ثم أخبر عن اقتحامها فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾. وقال ابنُ زيدٍ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾، أي: أفلا سَلَكَ الطريقَ التي فيها النجاةُ والخيرُ؟! ثم بَيَّنها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾. قُرِىء: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ بالإضافة، وقُرِىء على أنه فعل، وفيه ضميرُ الفاعِل، والرقبة مفعولُه. وكلتا القراءتين معناهما متقاربٌ.

[٧٢٨٤] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا علي بن إبراهيم، حدَّثنا عبدُ الله ـ يعني ابن سَعِيد بن أبي هند ـ عن إسماعيل بن أبي حكيم ـ مولى آل الزبير ـ عن سعيد بن مُرجانَةَ: أنه سَمِع أبا هُرَيْرَة يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «من أعتَقَ رقبةً مُؤمِنةً أعتَقَ الله بكل إرْبٍ منها إرْباً منه من النار، حتى إنه لَيَعتِقُ باليدِ اليدَ، وبالرجلِ الرجلَ،

---

(١) ضعيف جداً. وله علتان ضعف ابن لهيعة، وسنان بن سعد، بل هو منكر الحديث.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه عبد الرزاق ٣٦٢٢ والطبري ٣٧٢٩٩ و ٣٧٣٠٢ من طرق عن الحسن مرسلاً، فهذه علة، ومراسيل الحسن واهية، والمتن رفعه غريب، فهذه علل ثلاث.

وبالفرجِ الفرجَ». فقال عليُّ بن الحسين: أنتَ سَمِعتَ هذا من أبي هُرَيْرَة؟ فقال سعيدٌ: نعم. فقال علي بن الحسين لغلام له أَفْرَهُ غلمانه: ادعُ مِطْرَفاً. فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حُرٌّ لِوَجْهِ الله[١]. وقد رواه البخاريُّ ومسلم والترمذي والنسائي، من طُرُق، عن سعيد بن مُرجانة، به. وعند مسلمٍ أن هذا الغلام الذي أعتقه عليُّ بن الحسين زينُ العابدين كان قد أُعطِي فيه عشرةَ آلافِ دِرْهَم.

[٧٢٨٥] وقال قتادةُ، عن سالم بن أبي الجعد، عن مَعْدَانَ بن أبي طلحةَ، عن أبي نَجِيح قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أيُّما مُسلِم أعتقَ رجلاً مُسلِماً فإن الله جاعلٌ وقاءَ كل عَظْم من عِظامه عَظْماً من عِظام محرَّرِهِ من النار، وأيُّما امرأة مُسلِمَة أعتقت امرأة مسلمةً فإن الله جاعل وقاءَ كلِّ عظم من عظامِها عظماً من عِظامها من النار»[٢]. رواه ابنُ جرير هكذا. وأبو نَجيح هذا هو عمرو بن عَبَسَة السُّلَمِيُّ، رضِي الله عنه.

[٧٢٨٦] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا حيوةُ بن شُرَيح، حدَّثنا بقيةُ، حدَّثني بَحير بن سَعدٍ، عن خالد ابن مَعْدان، عن كثير بن مُرَّةَ، عن عمرو بن عَبَسَة: أنه حدَّثهم: أن النبيَّ ﷺ قال: «مَن بنى مَسجِداً لِيُذكَرَ اللهُ فيه بَنَى الله له بيتاً في الجنة. ومن أعتقَ نفساً مُسلِمةً كانت فِديته من جَهنَّم. ومن شاب شيبةً في الإسلامِ كانت له نُوراً يوم القيامة»[٣].

[٧٢٨٧] طريق أخرى، قال أحمد: حدَّثنا الحكم بن نافع، حدَّثنا حَريز؛ عن سُليم بن عامر: أن شُرَحْبيلَ بن السِّمطِ قال لِعَمْرو بن عَبَسة: حَدِّثنا حديثاً ليس فيه تَزَيُّدٌ ولا نِسْيَانٌ. قال عمرو: سَمِعت رسولَ الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مُسلِمةً كانت فكاكَه من النار، عُضواً بِعُضوٍ. ومن شَاب شيبةً في سبيل الله كانت له نُوراً يوم القيامة. ومَن رَمَى بسهم فَبَلغ فأصابَ أو أخطأ كان كمُعتِق رقبةٍ من بني إسماعيل»[٤]. ورَوى أبو داود، والنسائيُّ بعضه.

[٧٢٨٨] طريقٌ أخرى، قال أحمدُ: حدَّثنا هاشم بن القاسم، حدَّثنا الفرجُ، حدَّثنا لقمانُ، عن أبي أُمامَة، عن عَمْرو بن عَبَسة السلَمِيُّ قال: قلت له: حَدِّثنا حديثاً سَمِعْتَه من رَسُولِ الله ﷺ ليس فيه انتقاصٌ ولا وَهَم. قال: سَمِعتُه يقول: «من ولِد له ثلاثة أولادٍ في الإسلام فماتُوا قبل أن يبلُغوا الحِنْثَ، أدخله الله الجنةَ بِفَضْلِ رحمته إياهم. ومَن شاب شيبةً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة، ومن رَمَى بسهم في سبيل الله بلغ به العدوَّ، أصابَ أو أخطأ، كان له عِتقُ رَقَبةٍ. ومن أعتق رَقَبةً مؤمنة أعتقَ الله بكلِّ عُضو منه عضواً منه من النار، ومَن أنفق زَوْجين في سبيل الله فإنَّ للجنة ثمانيةَ أبوابٍ يدخِلُه الله من أيِّ بابٍ شاء منها»[٥]. وهذه أسانيدُ جَيِّدةٌ قويةٌ، ولله الحمد.

[٧٢٨٩] حديث آخر، قال أبو داود: حدَّثنا عيسى بن محمد الرَّملي، حدَّثنا ضَمْرَةَ، عن ابن أبي عَبلَة، عن الغَريفِ بن عياش الدَّيلمي قال: أتينا واثلةَ بن الأسقع فقلنا له: حدِّثنا حديثاً ليس فيه زيادةٌ ولا نقصانٌ. فَغَضِب وقال: إنَّ أحدَكم ليقرأ ومصحفُه مُعلَّق في بيته، فَيَزِيد وينقُص. قلنا: إنما أردنا حَديثاً سَمِعته من رَسُول الله ﷺ. قال: أتينا رسول الله ﷺ في صاحبٍ لنا قد أوجَبَ ـ يعني النار ـ بالقتلِ، فقال: «اعتِقُوا عنه

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٥١٧ و ٦٧١٥ ومسلم ١٥٠٩ والترمذي ١٥٤١ والنسائي ٩/٥٠٥ وأحمد ٢/٤٢٠.
(٢) صحيح. أخرجه الطبري ٣٧٣١٧ وإسناده على شرط مسلم، وله طرق.
(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٤/٣٨٦ وإسناده على شرط مسلم.
(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٤/٣٨٦ وأبو داود ٣٩٦٦ والنسائي ٤٨٨٥ وإسناده على شرط مسلم.
(٥) حسن. أخرجه أحمد ٤/٣٨٦ وإسناده ضعيف لضعف فرج بن فضالة، لكن له شواهد مجتمعة ومتفرقة يحسن بها.

يُعتِقُ الله بكلِّ عُضوٍ منه عُضواً منه من النار»[١]. وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم ابن أبي عبلَةَ، عن الغَرِيف بن عَيَّاش الدَّيلمي، عن واثلة، به.

[٧٢٩٠] حديث آخر، قال أحمد: حدَّثنا عبدُ الصمد، حدَّثنا هِشَام، عن قتادةَ، عن قَيس الجُذَامي، عن عقبة بن عامر الجَهني: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من أعتقَ رقبةً مسلِمةً فهو فداؤه من النار»[٢].

[٧٢٩١] وحَدَّثنا عبد الوهاب الخفاف، عن سَعيدٍ، عن قتادةَ قال: ذُكِر أن قيساً الجُذَامِيَّ حَدَّث عن عُقبَة بن عامرٍ أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبةً مُؤمِنةً فهي فكَاكه من النار»[٣]. تَفرَّد به أحمد من هذا الوجه.

[٧٢٩٢] حديث آخرُ، قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا يحيى بن آدم وأبو أحمدَ قالا: حدَّثنا عيسى بن عبد الرحمن البَجَلِيُّ ـ من بني بَجِيلةَ ـ من بني سُلَيم ـ عن طلحة ـ قال أبو أحمد: حدَّثنا طلحةُ بن مُصَرِّف ـ عن عبد الرحمن بن عوسَجَةَ، عن البراء بن عازبٍ قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! عَلِّمني عملاً يُدخِلني الجنةَ. فقال: «لئن كُنتَ أقصرتَ الخطبَةَ لقد أعرضت المسألةَ. أعتق النَسمة، وفُكَّ الرقبة». فقال: يا رسول الله! أوَليستا بواحدةٍ؟ قال: «لا، إن عِتقَ النَسَمَةِ أن تتفردِ بِعتقِها، وفكُّ الرقبة أن تُعين في عتقِها. والمِنْحة الوكوفُ، والفيء على ذي الرحم الظالم؛ فإن لم تُطِق ذلك فأطعم الجائعَ، واسقِ الظمآنَ ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، فإن لم تطق ذلك فكُفَّ لسانك إلا من الخير»[٤].

وقولُه تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ قال ابنُ عباس: ذي مَجاعةٍ. وكذا قال عِكرمةُ، ومجاهدٌ، والضحَّاك، وقتادةُ، وغيرُ واحدٍ. والسَّغَبُ: هو الجُوع. وقال إبراهيم النَخَعِيُّ: في يوم الطعامُ فيه عزيزٌ. وقال قتادة: في يوم يُشتَهى فيه الطعامُ. وقولُه تعالى: ﴿يَتِيمًا﴾، أي: أَطْعِم في مثل هذا اليوم يتيماً، ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أي: ذا قَرابةٍ منه. قاله ابنُ عباس، وعِكْرمةُ، والحسنُ، والضحَّاكُ، والسدِّي.

[٧٢٩٣] كما جاء في الحديث الذي رَوَاه الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا يزيدُ، أخبرنا هشامٌ، عن حفصة بنت سيرين، عن سَلْمان بن عامر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ، وعلى ذي الرَّحم اثنتان، صَدَقة وصِلَةٌ»[٥]. وقد رواه الترمذي والنسائيُّ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

وقولُه تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾، أي: فقيراً مُدقعاً لاصقاً بالتراب، وهو الدقعاءُ أيضاً. قال ابن عباس: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ هو المطروح في الطريق، الذي لا بيتَ له، ولا شيءَ يَقِيه من التراب. وفي رواية: هو الذي لَصِق بالدقعاءِ من الفقرِ والحاجةِ، ليس له شيء. وفي رواية عنه: هو البعيدُ التُّرَبة. قال ابن أبي حاتم: يعني الغريبَ عن وطنه. وقال عِكْرمة: هو الفقير المديُون المحتاجُ. وقال سعيد بن جُبَير: هو الذي لا أَحَدَ له. وقال ابن عباس، وسَعِيدٌ، وقتادةُ، ومُقاتِل بن حَيَّان: هو ذُو العِيَال. وكلُّ هذه قريبةُ المعنى. وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجَميلة الطاهِرةِ مؤمن بقلبه، مُحتَسِبٌ ثوابَ ذلك عند الله عزَّ وجلَّ. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم

(١) أخرجه أبو داود ٣٩٦٤١ والنسائي ٤٨٩٢ وهو غير قوي، وتقدم.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٤/ ١٥٠ وفيه عنعنة قتادة، وهو لم يسمعه من قيس كما يدل عليه الإسناد الآتي.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٤/ ١٤٧، وإسناده ضعيف لانقطاعه، لكن للحديث شواهد.

(٤) جيد. أخرجه أحمد ٤/ ٢٩٩، وإسناده حسن، وله شواهد.

(٥) تقدم تخريجه في سورة البقرة.

﴿مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧]. الآية. وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، أي: كان من المؤمنين العاملين صالحاً، المُتواصين بالصبرِ على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث:.

[٧٢٩٤] «الراحمُون يرحَمُهم الرحمنُ، ارحمُوا مَن في الأرض يَرْحَمْكُم من في السماء»(١).

[٧٢٩٥] وفي الحديث الآخر: «لا يَرْحَم الله مَن لا يَرْحَم الناسَ»(٢).

[٧٢٩٦] وقال أبو داود: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، حدَّثنا سفيانُ، عن ابن أبي نَجِيح، عن ابن عامرٍ، عن عبد الله بن عَمْرو يرويه(٣)، قال: «من لم يرحم صَغيرنا ويَعرِفْ حَقَّ كبيرنا فليس منا»(٤).

وقولُه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ أي: المُتَّصِفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾﴾، أي: أصحابُ الشمال، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾، أي: مُطبقةٌ عليهم، فلا مَحيدَ لهم عنها، ولا خُروج لهم منها. قال أبو هُرَيرة، وابن عباس، وعِكْرِمةُ، وسعيد بن جُبَير، ومجاهدٌ، ومحمد بن كعب القُرَظي، وعَطِيَّة العوفيُّ، والحسنُ، وقتادة، والسُّدِّي: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، أي: مُطبِقةٌ، قال ابن عباس: مُغلَقَةُ الأبواب. وقال مجاهدٌ: أَصَد الباب بلغة قريش: أي أغلَقه. وسيأتي في ذلك حديثٌ في سورة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾. وقال الضحاك: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: حيط لا بابٌ له. وقال قتادة: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مُطبقة فلا ضوءَ فيها ولا فُرَج، ولا خُروج منها آخر الأبد.

وقال أبو عمران الجَوْنيُّ: إذا كان يومُ القيامة أمر الله بكلِّ جبارٍ وكلّ شياطن وكلِّ مَن كان يَخافُ الناس في الدنيا شرَّه، فَأُوثِقُوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم، ثم أوصدُوها عليهم، أي: أطبقُوها ـ قال: فلا والله لا تَسْتَقِرُّ أقدامهم على قَرَار أبداً، ولا والله لا يَنظُرون فيها إلى أَدِيم سماءٍ أبداً، ولا والله لا تَلتقِي جفونُ أعينهم على غَمْضِ نومٍ أبداً، ولا والله لا يَذُوقون فيها باردَ شرابٍ أبداً. رواه ابن أبي حاتم.

آخر تفسير سورة البلد، ولله الحمدُ والمنةُ

(١) تقدم تخريجه في سورة محمد آية ٤٧، وهو قوي.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٣٧٦ ومسلم ٣١٩ وأحمد ٤/ ٥٦٢ وابن حبان ٤٦٥ من حديث جرير بن عبد الله.

(٣) أي يرفعه كما هو مقرر في كتب علم الحديث.

(٤) جيد. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٣٥٥ و ٣٥٨ وأبو داود ٤٩٤٣ والترمذي ١٩٢٠ وهو حديث قوي وله شواهد.

سُورَةُ الشَّمْسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

وهي مكيَّةٌ

[٧٢٩٧] تقدَّم حديث جابر الذي في الصحيحَين أن رسولَ الله ﷺ قال لمعاذٍ: «هَلاَّ صلَّيتَ بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؟»(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾

قال مجاهدٌ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾، أي: وَضوئِها. وقال قتادةُ: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾، النهارُ كلُّه. قال ابنُ جرير: والصوابُ أن يُقال: أقسم الله بالشمسِ ونهارِها، لأن ضوءَ الشمس الظاهرَ النهارُ، ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾، قال مجاهدٌ: تَبِعها. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباسٍ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾، قال: يتلُو النهارَ. وقال قتادةُ: ﴿تَلَىٰهَا﴾ ليلةَ الهلالِ، إذا سَقطَتِ الشمسُ رُؤي الهلالُ. وقال ابنُ زيدٍ: هو يتلُوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلُوه. وهو يَتقدَّمها في النصفِ الأخير من الشهر. وقال مالك، عن زيد بن أسلَمَ: إذا تَلاَها ليلةَ القدرِ. وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾، قال مجاهدٌ: أضاءَ. وقال قتادةُ: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾، إذا غَشِيها النهارُ. قال ابن جرير: وكان بعضُ أهلِ العربية يتأوَّل ذلك بمعنى: والنهارِ إذا جَلَّى الظُّلمةَ، لدلالة الكلام عليها.

قلتُ: ولو أن هذا القائل تأول بمعنى ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾، أي: البسيطةَ، لكان أولى ولصحَّ تأويلُه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾، فكان أجودَ وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾ إنه كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الليل: ٢]. وأما ابنُ جرير فاختار عودَ الضمير في ذلك كلِّه على الشمس، لجريان ذكرها. وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾، يعني إذا يَغْشَى الشمسَ حين تَغيبُ فَتُظلِمُ الآفاقُ. وقال بقِيَّةُ بن الوليد، عن صفوان: حدَّثني يزيد بن ذي حمامةَ قال: إذا جاء الليلُ قال الربُّ جلَّ جلالُه: غَشِيَ عبادي خلقي العظيمُ، فالليلُ يهابُه، والذي خَلَقه أحقُّ أن يُهابَ. رواه ابنُ أبي حاتمٍ. وقولُه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾﴾: يحتمل أن تكون «ما» ها هنا مصدرية، بمعنى: والسماء وبنائِها، وهو قولُ قتادة: ويحتمل أن تكون بمعنى «مَن» يعني: والسماء وبانيها. وهو قول مجاهدٍ، وكلاهما متلازمٌ،

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

والبناءُ هو الرفع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾، أي: بقوةٍ، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٧ ـ ٤٨]. وهكذا قولُه: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾، قال مجاهدٌ: ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾ دَحاها. وقال العَوفيُّ، عن ابن عباس: ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾، أي: خَلَق فيها. وقال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: ﴿طَحَىٰهَا﴾ قَسَمها. وقال مجاهدٌ، وقتادةُ، والسُّدِّي، والثوري، وأبو صالح، وابنُ زيد: ﴿طَحَىٰهَا﴾: بَسَطها. وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثرُ من المفسِّرين، وهو المعروفُ عند أهل اللغة، قال الجوهريّ: طَحَوته مثل دَحَوته، أي: بسطتُه. وقولُه تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾، أي: خَلَقها سويّةً مستقيمةً على الفطرةِ القويمةِ، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠].

[٧٢٩٨] وقال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ مولود يُولَدُ على الفطرةِ، فأبواه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمَسِّجانه، كما تُولَد البهيمةُ بهيمةً جَمعاء هل تُحِسُّون فيها من جَدْعاء؟»[1]. أخرجاه من رواية أبي هُرَيرة.

[٧٢٩٩] وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المُجاشِعي، عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عزَّ وجلَّ: إني خلقتُ عبادي حُنَفاء فجاءتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم»[2].

وقولُه تعالى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾، أي: فأرشَدها إلى فُجورها وتقواها، أي: بَيَّن لها ذلك، وهداها إلى ما قَدَّر لها. قال ابن عباس: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾، بيَّن لها الخيرَ والشرَّ، وكذا قال مجاهدٌ، وقتادةُ، والضحّاك، والثوريُّ. وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخيرَ والشرَّ، وقال ابنُ زيد: جعل فيها فُجورها وتقواها.

[٧٣٠٠] وقال ابنُ جرير: حدَّثنا ابنُ بَشّار، حدَّثنا صفوانُ بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا: حدَّثنا عَزْرَةُ بن ثابت، حدَّثني يحيى بن عَقِيل، عن يحيى بن يعمُر، عن أبي الأسود الدِّيلي قال: قال لي عمران ابن حُصَين: أرأيتَ ما يعمَلُ فيه الناسُ ويتكادَحُون فيه، أشيءٌ قُضِي عليهم ومَضى عليهم مِن قَدَر قد سَبَق، أو فيما يَستَقبِلُون مما أتاهم به نبيُّهم ﷺ وأكدت عليهم الحجَّة؟ قلت: بل شيء قُضِي عليهم. قال: فهل يكون ذلك ظُلماً؟ قال: فَفزِعتُ منه فزعاً شديداً، قال: قلت له: ليس شيءٌ إلاّ وهو خَلقُه ومِلكُ يَدِه، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، قال: سَدَّدك الله، إنما سألتُ لأخبر عَقلَك، إنَّ رجلاً من مُزَينة ـ أو: جُهَينة ـ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادَحُون، أشيء قُضِي عليهم ومَضَى عليهم من قَدَر قد سَبَق، أم شيء مما يَستَقبِلُون مما أتاهم به نَبيُّهم. وأُكِّدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قُضِي عليهم». قال: ففيم نعمَلُ؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يُهَيِّئُه لها، وتصديقُ ذلك في كتابِ الله تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾»[3]. رواه أحمد ومسلم، من حديث عَزرَة بن ثابت، به.

وقولُه تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: يحتملُ أن يكون المعنى: قد أفلحَ من زكّى نفسَه، أي: بطاعةِ الله ـ كما قال قتادةُ ـ وطَهَّرها من الأخلاقِ الدنيئة والرذائل. وَيُرْوَى نحوُه عن مجاهِدٍ، وعِكْرِمةَ، وسعيد بن جُبَير. وكقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥]. ﴿وَقَدۡ

---

(١) تقدم في سورة النساء، آية ١١٩.

(٢) تقدم تخريجه في سورة الإسراء، آية ١٥.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٠ وأحمد ٤/٤٣٨ والطبري ٣٧٣٨٢.

خَابَ مَن دَسَّنهَا ﴿١٠﴾﴾، أي: دَسَّسها، أي: أخملها وَوَضع منها بِخِذْلانه إيَّاها عن الهُدَى، حتى رَكِب المعاصيَ، وتركَ طاعة الله عزَّ وجلَّ. وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكَّى اللّهُ نفسه، وقد خاب من دَسَّى الله نَفْسَه، كما قال العَوْفيُّ وعلي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

[٧٣٠١] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي وأبو زُرعة قالا: حدَّثنا سهلُ بن عثمان، حدَّثنا أبو مالك ـ يعني عَمْرو بن هاشم ـ عن جُوَيبر، عن الضحَّاك، عن ابن عباس قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ في قول الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا ﴿٩﴾﴾، قال النبيُّ ﷺ: «أفلحت نفسٌ زكَّاها الله» عز وجل:[١]. وَرَواه ابنُ أبي حاتم من حديث أبي مالك، به. وجُوَيبر هو ابن سعيدٍ، متروكُ الحديث، والضحَّاك لم يلق ابن عباس.

[٧٣٠٢] وقال الطبراني: حدَّثنا يحيى بن عثمان بنُ صالح، حدَّثنا أبي، حدَّثنا ابنُ لهيعَة، عن عَمْرو بن دينار، عن ابن عباس قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا مَرَّ بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنهَا﴾، وَقَف، ثم قال: «اللهم آتِ نَفْسِي تقواها، أنت وَلِيُّها ومولاها، وخَير من زكَّاها»[٢].

[٧٣٠٣] حديثٌ آخر، قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعة، حدَّثنا يعقوبُ بن حميد المَدَنيُّ، حدَّثنا عبد الله بن عبد الله الأُمويُّ، حدَّثنا معنُ بن محمد الغِفاريُّ، عن حنظلة بن علي الأسلميِّ، عن أبي هُرَيْرَة قال: سَمِعتُ النبي ﷺ يقرأ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَنهَا ﴿٨﴾﴾، قال: «اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها»[٣]. لم يُخرِّجوه من هذا الوجه.

[٧٣٠٤] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وكيعٌ، عن نافع بن عُمَر، عن صالح بن سَعِيد، عن عائشة: أنها فَقَدت النبيَّ ﷺ من مَضجَعِه، فلمسته بيدِها، فوقعت عليه وهو ساجدٌ، وهو يقولُ: «ربِّ، أعطِ نفسي تقواها، وزكِّها أنتَ خيرُ من زَكَّاها، أنت وليُّها ومَوْلاَها»[٤]. تفرَّد به.

[٧٣٠٥] حديثٌ آخر، قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عفَّان، حدَّثنا عبدُ الواحد بن زياد، حدَّثنا عاصمُ الأحولُ، عن عبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقَمَ قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ، إني أعوذُ بك من العَجْزِ والكَسَل والهَرَم، والجُبنِ والبُخلِ وعذابِ القبر. اللهُمَّ، آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها. اللهُمَّ إني أعوذُ بك من قلبٍ لا يخشَعُ، ومن نفسٍ لا تَشْبَعُ، وعلمٍ لا ينفَعُ، ودَعْوَةٍ لا يُستجابُ لها». قال زيدٌ: كان رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُناهُنَّ ونحن نُعلِّمُكُوهُنَّ[٥]. رواه مُسلمٌ من حديث أبي مُعاوية، عن عاصم الأحولِ، عن عبد الله بن الحارث ـ وأبي عثمان النَّهديِّ، عن زيد بن أرقم، به.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَنهَا ﴿١١﴾ إِذِ انۢبَعَثَ أَشْقَنهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَنهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّنهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَنهَا ﴿١٥﴾﴾

---

(١) إسناده ضعيف جداً. فيه جويبر، وهو متروك الحديث. والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٢) حسن. أخرجه الطبراني ١١١٩١ وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، لكن يشهد له ما بعده. وقال الهيثمي ١١٤٩٥: إسناده حسن!!؟

(٣) حسن. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٣١٨ وفيه عبد الله الأموي، وهو ضعيف، لكن يصلح حديثه شاهداً لما قبله.

(٤) أخرجه أحمد ٦/٢٠٩ وإسناده ضعيف صالح لم يدرك عائشة، وهو مجهول، واللفظ المرفوع له شواهد منها الآتي، وحكاية عائشة في الصحيح لكن فيه غير هذا الدعاء، وتقدم.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٢٢ ح ٧٣ وأحمد ٤/٣٧١.

يُخبِرُ تعالى عن ثمودَ أنهم كَذَّبوا رَسُولهم بِسَبَب ما كانوا عليه من الطغيان والبَغْي: وقال محمد بن كعب: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾، أي: بأجْمَعها. والأول أولى، قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، وغيرهما: فأعقبهم ذلك تكذيباً في قُلُوبهم بما جاءهم به رسولُهم من الهُدى واليقين. ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾، أي: أشقى القبيلة، وهو قُدَار بنُ سالف عاقِرُ الناقة، وهو أُحَيمر ثَمُود، وهو الذي قال تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر: ٢٩]. وكان هذا الرجلُ عَزيزاً فيهم، شَرِيفاً في قَومِهِ، نَسِيباً رَئِيساً مُطاعاً.

[٧٣٠٦] كما قال الإمام أحمد: حدَّثنا ابنُ نمير، حدَّثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمْعَة قال: خَطَب رسولُ الله ﷺ فَذَكر الناقةَ، وذكر الذي عقَرها، فقال: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾، انبعَثَ لها رجلٌ عارِمٌ عزيزٌ مَنِيعٌ في رَهطِهِ، مثل أبي زَمْعَة»[(١)]. وَرَواه البخاري في التفسير، ومُسلم في صفةِ النار، والترمذي والنَّسائي في التفسير من سُنَنهما، وكذا ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، عن هشام بن عروة، به.

[٧٣٠٧] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثنا أبو زُرْعة، حدَّثنا إبراهيم بن موسى، حدَّثنا عيسى بن يونُس، حدَّثنا محمد بن إسحاق، حدَّثني يزيدُ بن محمد بن خُثَيم، عن محمد بن كعب القُرَظيِّ، عن محمد بن خُثَيم أبي يزيدَ، عن عَمَّار بن ياسرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ لعليٍّ: ألا أُحَدِّثك بأشقى الناس؟» قال: بلى. قال: «رَجُلان: أُحَيمِرُ ثمودَ الذي عَقَرَ الناقة، والذي يَضرِبُك يا عليُّ عَلَى هذا ـ يعني قَرْنَه ـ حتى تَبْتَلَّ منه هذه» يعني لِحْيَتَه[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعني: صالحاً ـ عليه السلامُ ـ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، أي: احذَرُوا ناقةَ الله أن تَمَسُّوها بسُوءٍ ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾، أي: لا تعتدُوا عليها في سُقياها، فإن لها شِرْبُ يوم ولكم شِرْبُ يوم معلوم. قال الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، أي: كذَّبوه فيما جاءهم به فأعقَبَهم ذلك أن عَقَرُوا الناقة التي أخرجَها من الصخرة آية لهم وحُجَّة عليهم، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾، أي: غضِب عليهم، فدمَّر عليهم،

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٢ و ٣٣٧٧ و ٦٠٤٢ ومسلم ٢٨٥٥ ح ٤٩ والترمذي ٣٣٤٣ والنسائي في «التفسير» ٦٩٥ وفي «السنن» ٢٨٤ وابن ماجه ١٩٨٣، وأحمد ٤/ ١٧.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٦٣ والطحاوي في «المشكل» ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢ والنسائي في «خصائص علي» ١٤٩ والدولابي في «الكنى» ٢/ ١٦٣ والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ١١ ـ ١٢ والبزار ٢٥٦٧ من حديث عمار بن ياسر. قال الهيثمي في «المجمع» ١٤٧٧٥: رجال الجميع موثقون، إلا أن التابعي، لم يسمع من عمار اهـ وصححه الحاكم ٣/ ١٤٠ ـ ١٤١ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي!!، وليس كذلك. فإن محمد بن خثيم، وابنه يزيد، ما روى لهما مسلم شيئاً، ولا لهما رواية في الكتب الستة. وهما في عداد المجهولين، إلا أن ابن معين قال عن يزيد: ليس به بأس. قال الذهبي في «الميزان» ٧٤٨٣: محمد بن خثيم المحاربي، ذكره البخاري في «الضعفاء»، بهذا الحديث، وقال: لا يعرف سماع يزيد من محمد، ولا محمد من ابن خثيم، ولا ابن خثيم من عمار اهـ فالإسناد ضعيف فيه انقطاع، وضعف، وله شواهد واهية. فقد ورد من حديث صهيب أخرجه أبو يعلى ٤٨٥ والطبراني ٧٣١١ وقال الهيثمي ١٣٧٧٦: فيه رشدين بن سعد، وقد وثق. وبقية رجاله ثقات! والصواب أن رشدين بن سعد ضعيف متروك الحديث. وفيه سويد بن سعيد، وهو ضعيف أيضاً. وورد من حديث جابر بن سمرة. أخرجه الطبراني ٢٠٣٧ وقال الهيثمي ١٤٧٧٧: فيه ناصح ابن عبد الله متروك. وورد عن عبيد الله بن أنس مرسلاً. أخرجه ابن سعد ٣/ ٣٥، ومع إرساله فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو متروك. وورد من حديث علي. أخرجه أبو يعلى ٤٣٠ و ٤٣١ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤٧٨١: فيه عبد الله بن جعفر، والد علي المديني، وهو ضعيف اهـ لكن توبع فقد أخرجه الحاكم ٣/ ١١٣ والطبراني ١/ ١١/ ٢ من وجه آخر عن زيد بن أسلم به، وصححه الحاكم على شرط البخاري. وهو كما قال رجاله رجال البخاري لكن عبد الله بن صالح. ضعيف، فسد أمره بأَخَرَة، وذلك من قبل جار له كان يدس في كتبه لذا روىٰ مناكير كثيرة. انظر ترجمته في «الميزان».

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾، أي: فجعل العُقوبة نازلةً عليهم على السواء. قال قتادة: بَلَغنا أن أُحيمِرَ ثمودَ لم يعقِر الناقة حتى تابعه صَغيرُهم وكَبيرُهم، وذَكَرُهم وأُنثاهم، فلما اشترك القومُ في عَقْرِها دَمْدَم الله عليهم بذنبهم فسوّاها.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾. وقُرِىء (فلا يخافُ عقباها). قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحَدٍ تَبِعةً. وكذا قال مجاهدٌ، والحسنُ، وبكر بن عبد الله المُزَنيُّ، وغيرُهم. وقال الضحّاك والسُدّي: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾، أي: لم يَخَف الذي عَقَرها عاقبةَ ما صَنَع. والقولُ الأولُ أولى لدلالة السياقِ عليه، والله أعلم.

آخر تفسير «والشمس وضحاها»، ولله الحمدُ والمنّةُ

سورة الليل

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

وهي مكيَّة

[٧٣٠٨] تقدَّم قولُه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ لمعاذٍ: «فهلاً صَلَّيت بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾»(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾

[٧٣٠٩] قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا يزيدُ بن هارونَ، حدَّثنا شعبةُ، عن مُغيرة، عن إبراهيم، عن عَلْقمةَ: أنه قَدِم الشام فدخلَ مَسجدَ دِمَشْقَ، فصلى فيه ركعتَين وقال: اللهُمّ، ارزقني جليساً صالحاً. قال: فجلس إلى أبي الدَّرداءِ، فقال له أبو الدَّرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: كيف سَمِعت ابن أُمّ عبدٍ يقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾؟ قال علقمةُ: (والذكر والأنثى)، فقال أبو الدرداء: لقد سَمِعتُها من رسول الله ﷺ فما زَال هؤلاء حتى شَكَّكُوني. ثم قال: ألم يَكُن فيكم صاحبُ الوساد وصاحب السرِّ الذي لا يعلمه أحدٌ غيره، والذي أُجير من الشيطان على لسان النبي ﷺ(٢).

[٧٣١٠] وقد رواه البخاري ها هنا ومسلمٌ، من طريق الأعمش، عن إبراهيم قال: قَدِم أصحابُ عبد الله على أبي الدرداء، فَطَلبهم فَوَجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قالوا: كُلُّنا، قال: أيُّكم أحفظُ؟ فأشاروا إلى علقَمة، فقال: كيف سَمِعته يقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾؟ قال: (والذكر والأنثى)، (قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوني أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾) والله لا أُتابعهُم(٣). هذا لفظُ البُخاريّ. هكذا قرأ ذلك ابنُ مسعود، وأبو الدرداء ـ ورفعه أبو الدَّرداء ـ وأما الجمهورُ فَقرؤوا ذلك كما هو مُثبتٌ في المُصحَف الإمامِ العثماني في سائر الآفاق: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾، فأقسم تعالى: بـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾، أي: إذا غَشِيَ الخليقةَ بظلامه، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾، أي: بِضيائِه وإشراقه، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ [النبأ: ٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٦/٤٤٩ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٤ ومسلم ٨٢٤ ح ٢٨٢.

ولما كان القسمُ بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضاً مُتضاداً، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾، أي: أعمال العباد التي اكتسبوها متضادةٌ أيضاً ومتخالفة، فمن فاعل خيراً ومن فاعلِ شرًّا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ أي: أعطى، ما أُمِر بإخراجه، واتّقى الله في أُموره، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، أي: بالمجازاة على ذلك، قاله قتادةُ: وقال خُصَيف: بالثّواب. وقال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وعِكْرمة، وأبو صالح، وزيدُ بن أسلَمَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، أي: بالخلف. وقال أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، أي: بلا إله إلا الله. وفي روايةٍ عن عِكْرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، أي: بما أنعم الله عليه. وفي رواية عن زيد بن أسلَمَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، قال: الصلاةُ والزكاةُ والصومُ. وقال مَرَّة: وصدقةُ الفطر.

[٧٣١١] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعة، حدَّثنا صفوانُ بن صالح الدمشقي، حدَّثنا الوليدُ بن مسلم، حدَّثنا زُهَير بن محمد، حدَّثني مَن سَمع أبا العالية الرِّياحي يُحدِّث عن أُبيِّ بن كعب قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الحُسنى قال: «الحسنى: الجنة»[١].

وقولُه تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾، قال ابن عباس: يعني للخيرَ. وقال زيدُ بن أسلَمَ: يعني للجنة. وقال بعض السلف: مِن ثوابِ الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومِن جزاءِ السيئةِ السيئةُ بعدها. ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾، أي: بما عندَه، ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾، قال عكرمةُ، عن ابن عباسٍ، أي بَخِل بمالِه واستغنى عن ربِّه عزَّ وجلَّ. رواه ابنُ أبي حاتم: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩﴾، أي: بالجزاء في الدار الآخرةِ، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾، أي: لطريق الشرّ، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾[٢]. والآياتُ في هذا المعنى كثيرة دالّة على أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يُجازِي مَن قَصَد الخير بالتوفيقِ له، ومَن قَصَد الشرَّ بالخِذْلانِ. وكلُّ ذلك بِقَدَرٍ مُقَدَّرٍ، والأحاديثُ الدالّة على هذا المعنى كثيرةٌ.

[٧٣١٢] روايةُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال الإمام أحمد: حدَّثنا علي بن عَيَّاش، حدَّثني العَطَّاف بن خالد، حدَّثني رجلٌ من أهل البصرة، عن طلحةَ بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه قال: سَمِعتُ أبي يذكُر أن أباه سَمِع أبا بكرٍ وهو يقول: قلتُ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! أنعمل على ما فُرِغَ منه أو على أمر مُؤتَنَفٌ؟ قال: «بل على أمر قد فُرِغ منه». قال: ففيم العملُ يا رسول الله؟! قال: «كُلٌّ ميسَّر لما خُلِق له»[٣].

[٧٣١٣] روايةُ علي رضي الله عنه. قال البخاري: حدَّثنا أبو نُعيم، حدَّثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عُبَيدة، عن أبي عبد الرحمن السلَمي، عن علي بن أبي طالب قال: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ في بقيع الغَرقَدِ في جَنازةٍ، فقال: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مَقعدُه من الجنة ومقعدُه من النار». فقالوا: يا رسول الله! أفلا نَتَّكِلُ؟ فقال: «اعمَلُوا، فكل مُيسَّر لما خُلِق له قال: ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾»[٤]. وكذا رواه من طريق شُعبة ووكيعٍ، عن الأعمشِ، بنحوه.

---

(١) إسناده ضعيف. له علتان: زهير بن محمد هذا روى عنه أهل الشام مناكير كما قال الإمام أحمد والبخاري. وفي الإسناد من لم يسمّ، وقد مر شيء من هذا في سورة يونس ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

(٢) الأنعام: ١١٠.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٦/١ وإسناده ضعيف فيه من لم يسمّ، لكن للحديث شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٥.

[٧٣١٤] ثم رواه عن عُثمانَ بن أبي شيبة، عن جَرير، عن منصورٍ، عن سعد بن عُبَيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا في جنازةٍ في بَقيع الغَرْقَدِ، فأتى رسولُ الله ﷺ فَقَعد وقَعَدنا حولَه، ومعه مِخصرةٌ فَنَكَس فجعل ينكُث بمِخصَرتِهِ، ثم قال: «ما منكم من أحد أو: ما من نفس مَنفُوسة إلا كُتِب مكانُها من الجنَّة والنارِ، وإلاَّ قد كُتِبت شقيةً أو سَعِيدةً». فقال رجُل: يا رسولَ الله! أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا ونَدَعُ العَمَل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فَسَيصيرُ إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصيرُ إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهلُ السعادة فَيُيَسَّرُون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فَيُيسَّرون إلى عمل الشقاء». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾. . . الآية[1]. وقد أخرجه بقية الجماعة، من طُرُق، عن سَعد بن عُبَيدة، به.

[٧٣١٥] روايةُ عبد الله بن عُمَر. قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، حدَّثنا شعبةُ، عن عاصم ابن عُبَيد الله قال: سَمِعتُ سالم بنَ عبد الله يُحدِّث عن ابن عُمَر: قال: قال عُمَر: يا رسولَ الله! أرأيت ما نعمَلُ فيه؟ أفي أَمرٍ قد فُرِغ أو مبتدأ أو مُبتَدع؟ قال: «فيما قد فُرِغَ منه، فاعمل يابنَ الخطاب فإن كُلاً مُيَسَّرٌ، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما مَن كان من أهل الشقاءِ فإنه يعملُ للشقاء»[2]. ورواه الترمذيُّ في القَدَرِ، عن بُندَارٍ، عن ابن مَهدِيٍّ، به وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

[٧٣١٦] حديث آخرُ من رِوَايةِ جابرٍ. قال ابنُ جريرٍ: حدَّثني يونُس، أخبرنا ابنُ وهب، أخبرني عَمرو بن الحارث، عن أبي الزبَير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسولَ الله! أنعمَلُ لأمر قد فُرِغ منه أو لأمر نَستأنِفُه؟ فقال: «لأمر قد فُرغ منه». فقال سراقة: فَفِيم العملُ إذاً؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ عاملٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِه»[3]. ورواه مُسلِمٌ عن أبي الطاهر، عن ابن وَهبٍ، به.

[٧٣١٧] حديث آخر. قال ابنُ جَرِيرٍ: حدَّثني يُونُس، حدَّثنا سُفيان، عن عَمرو بن دينار، عن طَلْق ابن حَبِيب، عن بَشير بن كعب العَدَوِيِّ قال: سأل غلامان شابَّان النبيَّ ﷺ فقالا: يا رسولَ الله! أنعملُ فيما جَفَّت به الأقلامُ وجَرَت به المقادير، أو في شيءٍ يُستأنف؟ فقال: «بل فيما جَفَّت به الأقلام وجَرَت به المقادير». قالا: ففيم العمل إذاً؟ قال: «اعملوا فكلُّ عامِلٍ مُيَسَّر لعمله الذي خُلق له». قالا: نجدُّ ونعمَلُ[4].

[٧٣١٨] روايةُ أبي الدرداء. قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا هَيْثم بن خارجةَ، حدَّثنا أبو الربيع سُليمان بن عُتبةَ السلَمي، عن يُونُس بن مَيْسَرة بن حَلْبَس، عن أبي إدريسَ، عن أبي الدرداء قال: قالوا: يا رسولَ الله! أرأيتَ ما نعمَلُ، أمرٌ قد فُرِغ منه أم شيء نَستأنِفه؟ قال: «بل أمرٌ قد فُرِغ منه». قالوا: فكيف بالعملِ يا رسولَ الله؟! قال: «كلُّ امرىءٍ مُهَيَّأٌ لما خُلِقَ له»[5]. تَفرَّد به أحمدُ من هذا الوجه.

[٧٣١٩] حديث آخر. قال ابن جرير: حدَّثني الحسنُ بن سَلَمة بن أبي كَبْشَة، حدَّثنا عبد الملك بن عَمرو، حدَّثنا عباد بن راشد، عن قتادة، حدَّثني خُلَيد العَصَرِيُّ، عن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله ﷺ:

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٤٨ ومسلم ٢٦٤٧ ح ٦ وأبو داود ٤٦٩٤ والترمذي ٢١٣٦ و ٣٣٤٤ والنسائي في «التفسير» ٦٩٨ وابن ماجه ٧٨.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٢١٣٥ وأحمد ٢/ ٥٢ وإسناده ضعيف لضعف عاصم، لكن للحديث شواهد.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٤٨ والطبري ٣٧٤٧٨.

(٤) صحيح. أخرجه الطبري ٣٧٤٧٩ هكذا مرسلاً، لكن للحديث شواهد.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ٦/ ٤٤٦ وإسناده حسن لأجل سليمان، وللحديث شواهد.

«ما من يوم غَرَبت فيه شمسُه إلا وبجَنْبَتَيْها مَلَكان يُناديان يَسْمَعهما خلقُ الله كلُّهم إلا الثقلين: اللهم أعْطِ منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً». وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1]. ورواه ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن ابن أبي كَبْشَة، بإسناده مثله.

[٧٣٢٠] حديثُ آخر، قال ابن أبي حاتم: حَدَّثني أبو عبد الله الطِّهراني، حدَّثنا حفص بن عُمَر العَدَنيُّ، حدَّثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً كان له نخل، ومنها نخلةٌ فرعُها في دار رجل صالح فقير ذي عيال، فإذا جاء الرجُل فدخل دارَه [فصعد إلى النخلة][2] ليأخذ الثمرَ من نخلته، فتسقط التمرةُ فيأخذُها صبيان الفقير، فينزل من نخلته فَينزعُ التمرة من أيديهم، وإن أدخل أحدهم التمرة في فمه أدخل إصبَعَه في حَلْق الغلام ونَزَع الثمرةَ من حَلْقِه. فَشَكا ذلك الرجلُ إلى النبي ﷺ وأخبَرَه بما هو فيه من صاحب النخلة، فقال له النبيُّ ﷺ: «اذهب». ولقي النبيُّ ـ ﷺ ؛ صاحبَ النخلة، فقال له النبي ﷺ: «أعطني نخلتك التي فَرْعُها في دار فُلان ولَكَ بها نخلة في الجنَّة». فقال له: لقد أعطيت، ولكن يُعجبني ثمرُها، وإنَّ لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجبُ إليَّ ثَمرةً من ثمرها. فَذَهب النبيُّ ﷺ فَتبِعه رجلٌ كان يسمَعُ الكلامَ من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فقال الرجل: يا رسولَ الله! إن أنا أخذتُ النخلة فصارت لي النخلةُ فأعطيتها أتُعطِيني بها ما أعطيتَه بها نخلةً في الجَنَّة؟ قال: «نعم». ثُم إن الرجلَ لَقِي صاحب النخلة، ولِكلاهما نخلٌ، فقال له: أُخبِرُك أن محمداً أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: قد أعطيت ولكنِ يُعجِبُني ثَمرُها. فسكت عنه الرجل فقال له: أتراك إذاً بِعْتَها؟ قال: لا، إلا أن أُعطَى بها شيئاً، ولا أظُنني أُعطاه. قال: وما مُناكَ بها؟ قال: أربعون نخلةً. فقال الرجل: لقد جئتَ بأمرٍ عظيم، نخلتك تَطلُب بها أربعينَ نخلةً؟! ثم سكتا وأنشأا في كلام آخَرَ، ثم قال: فأنا أُعطِيك أربعين نخلة، فقال: أَشهِدْ لي إن كنتَ صادقاً. فأمر بأُناسٍ فَدَعاهم فقال: اشهَدُوا أني قد أعطيتُه من نخلي أربعينَ نخلةً، بنخلته التي فَرْعُها في دار فلانِ بن فلانٍ. ثم قال: ما تقولُ؟ فقال صاحبُ النخلة: قد رَضِيت. ثم قال بعدُ: ليس بيني وبينك بيعٌ لم نفترق. قال له: قد أقالك الله ولستُ بأحمقَ حين أعطيتك أربعينَ نخلةً بنخلتك المائلة. فقال صاحبُ النخلة: قد رضيتُ على أن تعطيني الأربعين على ما أُريد. قال: تُعطِينيها على ساق. ثم مكثَ ساعةً ثم قال: هي لك على ساقٍ، وأوقف له شُهوداً، وعدَّ له أربعين نخلة على ساقٍ، فتفرّقا، فَذَهب الرجل إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إن النخلة المائلة في دار فلانٍ قد صارت لي، فهي لَكَ. فَذَهب رسولُ الله ﷺ إلى الرجُل صاحب الدار فقال له: «النخلةُ لك ولعيالك». قال عكرمةُ: قال ابن عباس: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ . . . إلى آخر السورة[3]. هكذا رواه ابنُ أبي حاتم، وهو حديثٌ غريبٌ جداً.

---

(١) أخرجه الطبري ٣٧٤٥٦ وإسناده ضعيف لضعف خُليد، وقد تفرد بذكر الآية عقب هذا الحديث، ثم حديثه معارض بما في الصحيح «ما من صباح».

(٢) زيادة عن «الدر» و «أسباب النزول».

(٣) ضعيف. أخرجه الواحدي في «الأسباب» ٨٥٢ وفيه حفص بن عمر العدني. وهو ضعيف، والخبر مدني كما هو ظاهر. والسورة مكية. وقد ضعفه السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٦٢.

[٧٣٢١] قال ابنُ جرير: وذُكِر أن هذه الآية نَزَلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. حدَّثني هارون بن إدريس الأصمُّ، حدَّثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، حدَّثنا محمد بن إسحاق، عن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتِق على الإسلام بمكَّة، فكان يعتِق عجائِزَ ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني! أراك تعتِق أناساً ضُعفاء، فلو أنك تُعتِق رجالاً جُلدَاء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك؟! فقال: أيْ أبَتِ! إنما أريدُ ـ أظنه قال ـ ما عند الله. قال: فَحَدَّثني بعضُ أهل بيتي أن هذه الآية أُنزِلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[١].

وقولُه تعالى ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾، قال مجاهد: أي: إذا مات. وقال أبو صالح ومالك، عن زيد بن أسلم: إذا تَردى في النار.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

قال قتادة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾، أي: نبيِّن الحلالَ والحرامَ. وقال غيره: مَن سَلك طريقَ الهُدى وَصَل إلى الله. وجَعله كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]. حكاه ابنُ جَرير. وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣﴾، أي: الجميعُ مِلكنا وأنا المتصرِّف فيهما. وقولُه تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾، قال مجاهدٌ: أي توهَّجُ.

[٧٣٢٢] قال الإمام أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبةُ، عن سماك بن حرب، سمِعتُ النعمان بن بشير يخطُب يقول: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يَخطب يقولُ: «أنذرتُكم النار، أنذرتُكم النار، أنذرتُكم النار» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لَسَمِعه من مَقامي هذا، قال: حتى وقعت خَميصة كانت على عاتقه عند رِجلَيه[٢].

[٧٣٢٣] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبةُ، حدَّثني أبو إسحاق: سَمِعتُ النعمانَ بن بَشير يخطُب ويقول: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أهونَ أهل النارِ عذاباً يومَ القيامةِ رَجُلٌ يُوضَع في أخْمَصِ قَدَمَيه جمرتان يغلي منهما دِماغُه»[٣]. رواه البخاري.

[٧٣٢٤] وقال مسلمٌ: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ، حدَّثنا أبو أُسامَةَ، عن الأعمش، عن أبي إسحاقَ، عن النعمان بن بَشير قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أهون أهل النارِ عذاباً من له نعلان وشِراكان من نار يغلي منهما دِماغُه كما يَغْلِي المِرجَل، ما يرى أن أحداً أشدَّ منه عذاباً، وإنه لأهونهُم عذاباً»[٤]. وقولُه تعالى: ﴿لَا

(١) أخرجه الطبري ٣٧٤٥٧ مرسلاً، وأخرجه الواحدي ٨٥٥ عن عامر عن بعض أهله، ووصله الحاكم ٢/ ٥٢٥ بذكر ابن الزبير، وله شاهد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٧٤٩١، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها لكن الصواب عموم الآية، وأن أبا بكر منهم، والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٢ وإسناده على شرط مسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٦١ وأحمد ٤/ ٤٧١.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢١٣ ح ٣٦٤.

﴿يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾، أي: لا يدخُلها دخولاً تُحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى. ثم فَسّره فقال: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾، أي: بِقَلْبِه، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾، أي: عن العمل بجوارِحه وأركانه.

[٧٣٢٥] قال الإمام أحمدُ: حَدَّثنا حسن بن موسى، حدَّثنا ابنُ لَهيعة، حدَّثنا عبد رَبّه بن سعيد، عن المقبري، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخُل النارَ إلا شقيٌّ». قيل: ومَن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل بطاعةٍ، ولا يترُك لله معصية»(١).

[٧٣٢٦] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يونس وسُرَيج قالا: حدَّثنا فُلَيح، عن هلال بن علي، عن عطاء ابن يسار، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسولُ الله ﷺ «كلُّ أمتي يدخُل الجنة يومَ القيامة إلا مَن أبى». قالوا: ومن يأبى يا رسولَ الله؟! قال: «من أطاعني دَخَل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»(٢). ورواه البخاري عن محمد بن سِنان، عن فُلَيح، به.

وقولُه تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾، أي: وسَيُزَحزح عن النار التَّقي النقيُّ الأتقى، ثم فسره بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي: يصرف ماله في طاعة ربه، لِيُزكّي نفسَه وماله وما وَهَبه الله من دِين ودُنيا، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾، أي: ليس بَذْله ماله في مكافأة من أسدَى إليه معروفاً فهو يُعطي في مقابلةِ ذلك، وإنما دَفعه ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، أي: طمعاً في أن يحصُلَ له رُؤيته في الدار الآخِرة في روضات الجناتِ، قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾، أي: ولسوف يرضَى من اتَّصف بهذه الصفات.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ حتى إن بعضهم حَكَى الإجماعَ من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخلٌ فيها، وأَوْلى الأُمَّة بِعُمُومها، فإن لفظها لفظُ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾، ولكنه مُقَدَّمُ الأُمَّة وسابِقُهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحَمِيدة؛ فإنه كان صِدِّيقاً تقياً كَريماً جَوَاداً بَذَّالاً لأمواله في طاعةِ مولاه، ونُصرةِ رَسُولِ الله، فكم من درهم ودينارٍ بذله ابتغاء وَجْه ربِّه الكريم، ولم يكن لأحدٍ من الناس عنده مِنَّةٌ يحتاج إلى أن يُكافِئه بها، ولكنْ كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عُروة بن مسعود ـ وهو سيِّد ثقيف، يوم صُلح الحديبية ـ: أما والله لولاَ يَدٌ لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتُك. وكان الصديقُ قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العَرَب ورُؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

[٧٣٢٧] وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أنفق زَوْجَين في سبيل الله دَعَته خَزَنةُ الجَنَّة: يا عبدَ الله! هذا خيرٌ». فقال أبو بكر: يا رسولَ الله! ما على من يُدعَى منها ضرورةٌ، فهل يُدعى منها كلها أحدٌ؟ قال: «نعم»، وأرجو أن تكون منهم»(٣).

آخرُ تفسير سورةِ الليل، ولله الحمدُ والمنَّةُ

(١) ضعيف. أخرجه أحمد ٢/ ٣٤٩ وفيه ابن لهيعة ضعيف.
(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٢٨٠ وأحمد ٢/ ٣٦١.
(٣) تقدم تخريجه في سورة الزمر آية ٧٣.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

وهي مكيّة

[٧٣٢٨] رُوينا من طريق أبي الحسن أحمدَ بن محمد بن عبد الله بن أبي بَزّة المُقرىء قال: قرأتُ على عِكْرِمة بن سُليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيلَ بن قُسطَنطين وشِبْل بن عَبّاد، فلما بلغتُ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ قالا لي: كَبِّر حتى تختمَ مع خاتِمة كلِّ سورة، فإنّا قرأنا على ابن كثير فأمَرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ على مُجاهِدٍ فأمَرَه بذلك، (وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك. وأخبره أُبي أنه قرأ على رسولِ الله ﷺ فأمره بذلك[١]. فهذه سُنّةٌ تفرّد بها أبو الحسن أحمدُ بن محمد بن عبد الله البَزّي، من ولد القاسم بن أبي بَزّة، وكان إماماً في القراءات. فأمّا في الحديث فقد ضَعّفَه أبو حاتم الرازي وقال: لا أُحدِّث عنه. وكذلك أبو جعفر العُقَيلي قال: هو مُنكَر الحديث. لكن حَكَى الشيخ شهابُ الدين أبو شامةَ في «شَرح الشاطبية» عن الشافعيِّ أنه سَمِع رجلاً يُكَبِّرُ هذا التكبير في الصلاة، فقال له: أحسنتَ وأصبتَ السنّة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. ثم اختلَف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيّته، فقال بعضُهم: يُكبِّر من آخِرِ ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾. وقال آخرون: من آخر ﴿وَالضُّحَىٰ﴾: وكيفيَّةُ التكبير عند بعضِهم أن يقولَ: الله أكبر. ويقتصِرُ، ومنهم مَن يقول: الله أكبرُ، لا إله إلا الله الله أكبرُ.

[٧٣٢٩] وذكر القُرّاء في مُناسَبَةِ التكبير من أوّل «سورة الضُحى»: أنه لما تَأخَّر الوحيُ عن رسولِ الله ﷺ وفَتَر تلك المدّة ثمّ جاء المَلَكُ فأوحى إليه: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾... السورة بتمامها ـ كَبَّر فَرَحاً وسُروراً[٢]. ولم يَرْوَ ذلك بإسناد يُحكَمُ عليه بصحّةٍ ولا ضَعفٍ، فالله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

[٧٣٣٠] قال الإمامُ أحمد: حدّثنا أبو نُعَيم، حدّثنا سُفيان، عن الأسود بن قَيس قال: سَمِعتُ جُندُباً يقول: اشتكى النبي ﷺ فلم يَقُم ليلةً أو ليلتَين، فأتت امرأةٌ فقالت: يا محمدُ! ما أُرى شيطانَك إلا تَرَكك.

---

(١) ضعيف. أخرجه الحاكم ٣/ ٣٠٤ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥١٣ ـ ٥١٤ وإسناده ضعيف لضعف أحمد البزي، ولم يتابع عليه، ومع ذلك صححه الحاكم! لكن أعله الذهبي.

(٢) لا أصل له، حيث لم أجد له إسناداً.

فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[١]. رَوَاه البخاريُّ، ومسلمٌ، والتِّرمذي، والنَّسائي، وابنُ أبي حاتم، وابنُ جرير، من طُرُقٍ، عن الأسود بن قَيسٍ، عن جُنْدُبٍ هو ابن عبد الله البَجَلِيُّ، ثم العَلَقِيُّ به.

[٧٣٣١] وفي رواية سفيان بن عُيَينة، عن الأسود بن قيس: سَمِع جُنْدُباً قال: أبطأ جبريلُ على رسول الله ﷺ فقال المشركون: وُدِّع محمدٌ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٢].

[٧٣٣٢] وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ وعمرو بن عبد الله الأَوْدِيُّ قالا: حدَّثنا أبو أُسامَةَ، حدَّثني سفيان، حدَّثني الأسودُ بن قيس، أنه سَمِع جُنْدُباً يقول: رُمِي رسولُ الله ﷺ بحجر في إصبعه فقال: «هل أنتِ إلا إصبَعٌ دَمِيتِ * وفي سبيل الله ما لقيتِ». قال: فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأةٌ: ما أرى شيطانَكَ إلا تَرَكَك. فنزلت: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٣]. والسياقُ لأبي سعيد. قيل: إن هذه المرأةَ هي أمُّ جميل امرأة أبي لَهَبٍ، وذُكِر أن إصبعه ـ عليه السلام ـ دَمِيَتْ. وقوله هذا الكلامَ الذي اتفق أنه موزونٌ ثابتٌ في الصحيحين، ولكن الغريبَ ها هنا جعلُه سبباً لِتَرْكِه القيامَ، ونزولِ هذه السورة.

[٧٣٣٣] فأما ما رواه ابنُ جرير، حدَّثنا ابنُ أبي الشوارب، حدَّثنا عبدُ الواحد بن زياد، حدَّثنا سُليمان الشَّيباني، عن عبد الله بن شَدَّاد: أن خديجة قالت للنبيِّ ﷺ: ما أرى رَبَّك إلا قد قلاك. فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٤].

[٧٣٣٤] وقال أيضاً: حدَّثنا أبو كُرَيب، حدَّثنا وَكيعٌ، عن هشام بن عُروَة، عن أبيه قال: أبطأ جبريلُ على النبيِّ ﷺ فَجَزِع جَزَعاً شديداً، فقالت خديجة: إني أرى رَبَّك قد قَلاكَ مما نَرى من جَزَعِكَ. قال: فنزلت: ﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.. إلى آخرها[٥]. فإنه حديث مرسل من هذين الوجهين، ولعلَّ ذِكْرَ خديجة ليس محفوظاً، أو قالته على وجهِ التأسُّف والتحزُّنِ، والله أعلم.

وقد ذَكَر بعضُ السَّلَف ـ منهم ابنُ إسحاقَ ـ أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريلُ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ١١٢٤ ومسلم ١٧٩٧ والترمذي ٣٣٤٥ والنسائي في «التفسير» ٧٠١ وأحمد ٤/ ٣١٢.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ١٧٩٧ ح ١١٤ بأتم منه.

(٣) غريب. إسناده صحيح. رجاله رجال البخاري ومسلم، لكن المتن غريب بهذا اللفظ، والحديث خرجه الشيخان دون ذكر الشعر فيه، وإنما ورد ذكر الشعر في حديث ليس فيه هذه القصة، كذا أخرجه مسلم ١٧٩٦، وأغرب من ذلك كله هو أن الترمذي أخرجه ٣٣٤٥ من طريق ابن أبي عمر عن ابن عيينة به، وصدره «كنت مع النبي ﷺ...» بمثل سياق ابن أبي حاتم، وهذا منكر جداً وإن كان على شرط مسلم، لأن فيه «كنت» وفي آخره: «فنزلت...» ومعلوم أن السورة مكية باتفاق، وجندب أسلم في العهد المدني، بل قال أحمد: ليست له صحبة قديمة. راجع «التهذيب». وجرى الألباني على ظاهره في «صحيح الترمذي» ٢٦٦٥ فقال: «صحيح: ق» يعني متفق عليه؟!! وتقدم أنهما ما روياه بهذا اللفظ وهو غريب وعلته ابن أبي عمر، قال أبو حاتم: كانت فيه غفلة والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبري ٣٧٥٠٧ عن عبد الله بن شداد، وهذا مرسل، ابن شداد تابعي، فالخبر ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري ٣٧٥١٢ عن عروة مرسلاً، وهو معضل، والصواب أن القائلة هي امرأة من قريش كما رواه مسلم، وتقدم آنفاً. والله أعلم.

حين تَبَدَّى له في صورته التي خَلَقه الله عليها، وَدَنا إليه وتدلّى مُنهبطاً عليه وهو بالأبطح، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]، قال: قال له هذه السورة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾. قال العَوفيّ، عن ابن عباس: لما نَزَلَ على رسول الله ﷺ القرآنُ، أبطأ عنه جبريلُ أياماً، فتَغيّر بذلك، فقال المشركون: وَدّعه ربُّه وقلاه. فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾. وهذا قَسَمٌ منه تعالى بالضحى وما جَعَل فيه من الضياء، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾، أي: سَكَن فأظلم وادلَهَمّ. قاله مجاهدٌ، وقتادةُ، والضحّاكُ، وابنُ زيدٍ، وغيرُهم. وذلك دليلٌ ظاهرٌ على قُدرةِ خالقِ هذا وهذا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾. وقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. وقولُه تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾، أي: ما تَركك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: أبغضك، ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾، أي: وللدارُ الآخرةُ خيرٌ لك من هذه الدار. ولهذا كان رسولُ الله ﷺ أزهَدَ الناس في الدنيا، وأعظَمَهم لها اطّراحاً، كما هو معلومٌ بالضرورة من سيرته. ولما خُيِّرَ ـ عليه السلام ـ في آخر عُمره بين الخُلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنّة، وبين الصَّيْرُورة إلى الله عزّ وجلّ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنيّة.

[٧٣٣٥] قال الإمامُ أحمدُ: حدّثنا يزيدُ، حدَّثنا المسعُوديُّ، عن عمرو بن مُرّة، عن إبراهيم النَّخَعِيّ، عن عَلْقَمةَ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: اضطجع رسولُ الله ﷺ على حَصِيرٍ، فأثَّر في جنبه، فلما استيقظ جَعَلت أمسح جَنْبَه وقلتُ: يا رسولَ الله! ألا آذَنْتَنا حتى نبسُط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «مالي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا؟! إنما مَثَلي ومَثَلُ الدنيا كراكبٍ ظَلّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها»(١). وَرَواه الترمذي وابنُ ماجه، من حدِيث المسعودي، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ أي: في الدارِ الآخرة يُعطيه حتى يُرضيَه في أُمّته، وفيما أعدّه له من الكرامةِ، ومن جُملَتِهِ نهرُ الكوثر الذي حافَتَاه قبابُ اللؤلؤ المُجَوَّفِ، وطِينُه مسكٌ أذفرُ، كما سيأتي.

[٧٣٣٦] وقال الإمام أبو عَمرو الأوزاعيُّ، عن إسماعيلَ بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزُومي، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: عُرِض على رسول الله ﷺ ما هو مَفتُوح على أُمّته من بعده كنزاً كنزاً، فَسُرَّ بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ فأعطاه في الجنة ألْفَ ألْفِ قَصْرٍ، في كل قَصْرٍ ما ينبغي له من الأزواج والخُدّام(٢). رواه ابنُ جرير وابن أبي حاتم من طريقه، وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن عباس، ومثلُ هذا ما يُقال إلا عن توقيفٍ(٣). وقال السدّي، عن ابن عباس: مِنْ رضا محمدٍ ﷺ ألا يدخل أحدٌ من أهل بيته النارَ. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم. وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة. وهكذا قال أبو جعفر الباقرُ.

[٧٣٣٧] وقال أبو بكر بن أبي شيبَةَ: حدّثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن يزيد بن أبي

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٣٧٧ وابن ماجه ٤١٠٩ وأحمد ١/ ٤٤١، وفي إسناده المسعودي تغير حفظه، لكن للحديث شواهد كثيرة.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢٦ والطبري ٣٧٥١٣ والطبراني ١٠٦٥٠ والواحدي في الأسباب ٨٦١ وعند الطبري عمرو بن هاشم غير قوي، وعند الحاكم وغيره رواد الجراح، وهو ضعيف.

(٣) كذا قال المصنف رحمه الله، والصواب أن ذلك ليس لكل الصحابة وبخاصة ابن عباس، فإنه كان يفسر القرآن آية آية لمجاهد وغيره ويجتهد في ذلك، وقد حدث عن الإسرائيليات أيضاً.

زياد، عن إبراهيمَ، عن علقمةَ، عن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّا أهلَ بيتٍ اختارَ الله لنا الآخرةَ على الدنيا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾»[1].

ثم قال تعالى يُعَدِّد نِعَمَه على عبده ورسوله محمدٍ ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾، وذلك أن أباه تُوفي وهو حَمْلٌ في بطن أُمِّه، وقيل: بعد أن وُلِد عليه الصلاة والسلام. ثم تُوفِّيت أمه آمنة بنتُ وهب وله من العمر ستُّ سنينَ. ثم كان في كفالة جَدِّه عبد المطلب، إلى أن تُوفِّي وله من العُمر ثمان سنين، فكَفَله عَمُّه أبو طالب. ثم لم يزل يَحُوطه وينصُره ويَرفع من قَدره ويُوقِّره، ويكفُّ عنه أذى قومِه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنةً من عُمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادةِ الأوثان، وكل ذلك بِقَدَرِ الله وحسن تدبيره، إلى أن تُوفي أبو طالب قبلَ الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاءُ قُرَيش وجُهَّالهم، فاختار الله له الهجرةَ من بين أظهُرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سُنَّته على الوجه الأتم الأكمل. فلما وَصَل إليهم آوَوه ونَصروه وحاطُوه وقاتلُوا بين يَدَيه، رضي الله عنهم أجمعين، وكلُّ هذا مِن حِفْظِ الله له وكَلاَءَته وعنايته به.

وقولُه تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، ومنهم من قال: إنَّ المرادَ بهذا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ضَلَّ في شعاب مكَّةَ وهو صغير، ثم رَجَع. وقيل: إنه ضَلَّ وهو مع عَمِّه في طريق الشام، وكان راكباً ناقةً في الليل، فجاء إبليسُ فَعَدل بها عن الطريق، فجاء جبريلُ فنفخ إبليسَ نفخةً ذَهَب منها إلى الحبشة، ثم عَدَل بالراحلة إلى الطريق. حكاهما البغوي. وقولُه تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾، أي: كُنتَ فقيراً ذا عِيالٍ، فأغناك الله عَمَّن سواه، فَجمع له بين مَقَامَي، الفقير الصابر والغنيِّ الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه. وقال قتادةُ في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، قال: كانت هذه منازل رَسول الله ﷺ قبل أن يبعثَه الله عزَّ وجلَّ. رواه ابنُ جَرير، وابن أبي حاتم.

[٧٣٣٨] وفي الصحيحين من طريق عبد الرزَّاق ـ عن مَعْمَر، عن هَمَّام بن منبِّه قال: هذا ما حدَّثنا أبو هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس الغِنَى عن كَثْرةِ العرض، ولكنَّ الغِنى غنى النفس»[2].

[٧٣٣٩] وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عَمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورُزِق كفافاً، وقَنَّعه الله بما آتاه»[3].

ثم قال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ أي: كما كنتَ يتيماً فآواك الله فلا تَقْهرِ اليتيمَ، أي: لا تُذِلَّه وتَنْهره وتُهنه، ولكن أَحْسِن إليه، وتَلَطَّفْ به. قال قتادةُ: كُن لليتيم كالأب الرحيم. ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾، أي: وكما كُنتَ ضالاً فهداك الله، فلا تنهر السائلَ في العلم المسترشِد. قال ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾، أي: فلا تكن جَبَّاراً، ولا مُتكبِّراً، ولا فَحَّاشاً، ولا فَظّاً على الضعفاء من عباد الله. وقال قتادة: يعني رَد المِسكين برحمةٍ ولين. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾، أي: وكما كُنتَ عائلاً فقيراً فأغناك الله، فَحَدِّث بنعمة الله عليك.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٣٧٧١٦ وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد، وللحديث تتمة، وليس فيه ذكر الآية، فلعل سياق المصنف في «التفسير» والله أعلم، وهو لم يطبع.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٤٦ ومسلم ١٠٥١ والترمذي ٢٣٧٣ وأحمد ٢/ ٣٨٩ وابن حبان ٦٧٩.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١٠٥٤ والترمذي ٢٣٤٨ وابن ماجه ٤١٣٨ وأحمد ٢/ ١٦٨ و ١٧٢ وابن حبان ٦٧٠.

[٧٣٤٠] كما جاء في الدعاء المأثور النبوي: «واجعلنا شاكرينَ لنعمتك، مُثنِين بها، قابليها، وأتمَّها علينا»[١]. وقال ابنُ جرير: حدَّثني يعقوبُ، حدَّثنا ابن عُلَيَّة، حدَّثنا سعيد بن إياسٍ الجُرَيريُّ، عن أبي نَضْرَة قال: كان المسلمون يَرَون أن من شكر النِّعم أن يُحَدِّث بها.

[٧٣٤١] وقال عبد الله ابنُ الإمام أحمد: حدَّثنا منصُور بن أبي مُزَاحم، حدَّثنا الجرَّاح بن مُلَيح، عن أبي عبد الرحمن، عن الشعبي، عن النعمان بن بَشِير قال: قال رسولُ الله ﷺ على المنبر: «من لم يشكر القَلِيلَ لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناسَ لم يَشكُرِ الله. والتحدُّث بنعمةِ الله شكرٌ، وتركُها كفرٌ. والجماعةُ رحمةٌ، والفرقةُ عذابٌ»[٢]. إسنادُه ضعيفٌ.

[٧٣٤٢] وفي الصحيح، عن أنس، أن المهاجرين قالوا: يا رسولَ الله! ذَهَب الأنصارُ بالأجر كلِّه. قال: «لا، ما دعوتُم الله لهم، وأثنيتُم عليهم»[٣].

[٧٣٤٣] وقال أبو داود: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا الربيعُ بن مسلم، عن محمد بن زيادٍ، عن أبي هُرَيرة، عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناسَ»[٤]. ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد، عن ابن المبارك، عن الربيع بن مسلم، وقال: صحيحٌ.

[٧٣٤٤] وقال أبو داود: حدَّثنا عبد الله بن الجرَّاح، حدَّثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من أبلى بلاءً فذكره فقد شَكَره، وإن كَتَمه فقد كَفَره»[٥]. تَفرَّد به أبو داود.

[٧٣٤٥] وقال أبو داود: حدَّثنا مُسَدَّد، حدَّثنا بشر، حدَّثنا عُمارة بن غَزِيَّة، حدَّثني رجلٌ من قومي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من أُعطِيَ عَطاء فَوَجَد فَلْيَجْزِ به، فإن لم يجد فَلْيُثْنِ به، فمن أثنى به فقد شَكَره، ومن كَتَمه فقد كَفَره»[٦]. قال أبو داود: ورواه يحيى بن أيُّوب، عن عُمارةَ بن غَزِيَّة، عن شُرَحبيل، عن جابر. كَرِهوه فلم يُسَمُّوه[٧]. تَفرَّد به أبو داود. وقال مجاهد: يعني النبوَّة التي أعطاك ربُّك. وفي رواية عنه: القرآن. وقال ليثٌ، عن رَجُلٍ، عن الحسن بن علي: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾، قال: ما عَمِلت من خَير فَحدِّث إخوانَكَ. وقال محمدُ بن إسحاقَ: ما جاءك من الله من نعمةٍ وكَرَامةٍ من النُّبوَّة فَحدِّث بها واذكُرها، وادعُ إليها: فَجعل رسول الله ﷺ «يذكُر ما أنعم الله به عليه من النُّبوَّة سِرًّا إلى من يَطْمَئِنُّ إليه من أهله، وافتُرِضت عليه الصلاة، فَصَلَّى.

آخر تفسير سورة الضحى، ولله الحمدُ والمنَّةُ

(١) تقدم.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٤/ ٣٧٥ وابنه ٤/ ٣٧٥ أيضاً كلاهما من حديث النعمان بن بشير، وإسناده ضعيف، فيه الجراح بن مليح، وهو ضعيف الحديث. وأما الهيثمي فقال في «المجمع» ١٣٦٤٨: أبو عبد الرحمن راويه عن الشعبي، لم أعرفه اهـ لكن للحديث شواهد بكل فقراته، ومنها ما سيأتي.

(٣) تقدم في سورة الحشر آية ٩.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٨١١ والترمذي ١٩٥٥ والبخاري في «الأدب المفرد» ٢١٨ والطيالسي ٢٤٩١ وأحمد ٢/ ٥٨، وابن حبان ٣٤٠٧ وهو صحيح، وله شواهد.

(٥) صحيح. أخرجه أبو داود ٤٨١٤ وإسناده حسن، وله شواهد، انظر «الصحيحة» ٦١٨.

(٦) حسن. أخرجه أبو داود ٤٨١٣، وفي الإسناد شرحبيل بن سعد، وقد اختلط، لذا ضعفه غير واحد، وقد توبع؛ فقد أخرجه الترمذي ٢٠٣٤ من طريق آخر وفيه عنعنة أبي الزبير. لكن يصلح للمتابعة.

(٧) أي أن عمارة بن غزية كره شرحبيل، فلم يسمه حيث قال في الإسناد الأول «عن رجل من قومي».

سُورَةُ الشَّرْح

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

وهي مكيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

يقولُ تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾، يعني أما شَرَحنا لك صَدْرَك؟ أي: نَوَّرناه وجعلناه فَسِيحاً رَحِيباً واسعاً كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكما شَرَحَ الله صَدْرَه كذلك جَعَل شَرْعه فَسِيحاً واسعاً سَمْحاً سهلاً لا حَرَجَ فيه ولا إصْرَ ولا ضِيقَ. وقيل: المرادُ بقولِه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ شَرْحُ صَدْرِه ليلة الإسراء، كما تقدَّم من رواية مالك بن صَعْصَعَة، وقد أورده التِّرمذي ها هنا، وهذا وإن كان واقعاً، [ليلة الإسراء كما رواه مالك ابن صعصعة]، ولكن لا منافاةَ، فإن من جُملة شَرْحِ صَدْرِه الذي فُعِل بِصَدْرِه ليلة الإسراء، ما نَشأ عنه من الشَّرْحِ المعنويِّ أيضاً، والله أعلم.

[٧٣٤٦] قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدَّثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزّاز، حدَّثنا يونس ابن محمد، حدَّثنا معاذ بن محمد بن أبي بن كعب، حدَّثني أبي محمد بن معاذ، عن معاذ عن محمد، عن أُبيِّ بن كعب: أن أبا هُرَيْرةَ كان جَرِيئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياءَ لا يسأله عنها غيرُه، فقال: يا رسولَ الله! ما أَوَّلُ ما رأيتَ من أمر النبوَّةِ؟ فاستوى رسولُ الله ﷺ جالساً وقال: «لقد سألتَ يا أبا هُريرة، إني لفي الصحراء ابنَ عشر سنينَ وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجلٌ يقول لرجل: أهُوَ هُوَ؟ قال: نعم. فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلقٍ قَطُّ، وأرواح لم أجدها من خَلْقٍ قطُّ، وثيابٍ لم أرها على أحدٍ قَطُّ. فأقبلا إليَّ يمشيان، حتى أخذ كلُّ واحدٍ منهما بعَضُدي، لا أجدُ لأحدهما مسًّا، فقال أحدهما لصاحبه: ضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر. فقال أحدهما لصاحبه: إفلق صدره فهوى أحدهما إلى صَدْري فَفَلَقه فيما أرى بلا دَم، ولا وَجَع، فقال له: أخرج الغِلَّ والحَسَدَ. فأخرج شيئاً كهيئة العَلَقةِ ثم نَبَذَها فَطَرحها، فقال له: أَدْخِلِ الرأفةَ والرَّحمة، فإذا مثلُ الذي أخرج شِبهُ الفِضَّة، ثم هَزَّ إبهامَ رِجْلي اليُمنى فقال: اغدُ واسلم. فرجعت بها أعدُو، رِقةً على الصغير، ورحمة للكبير»[1].

وقولُه تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ بمعنى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ الإنقاض: الصوتُ. وقال غير واحد من السَّلَف في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ أي

---

(١) اخرجه عبد الله في «زوائد المسند» ٥/ ١٣٩ بإسناد ضعيف، معاذ بن محمد مقبول، ومحمد بن معاذ مجهول، لكن أصل الحديث له شواهد.

أثقلك حَمْلُه. وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾، قال مجاهدٌ: لا أُذكَرُ إلا ذُكِرت معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً رسول الله. وقال قتادةُ: رَفَع اللَّهُ ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيبٌ ولا مُتشهِّدٌ ولا صاحبُ صلاةٍ إلا يُنادِي بها: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله.

[٧٣٤٧] قال ابنُ جَرِير: حدَّثني يونُسُ، أخبرنا ابنُ وهب، أخبرنا عَمْرو بنُ الحارث، عن دَرَّاج، عن أبي الهَيْثَم، عن أبي سعيدٍ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريلُ فقال: إنَّ ربِّي وربَّك يقولُ: كيف رفعتُ ذِكْرَكَ؟ قال: اللَّهُ أعلمُ. قال: إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي»[١]. وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن يونُسَ بن عبد الأعلى، به. ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة، عن دَرَّاج».

[٧٣٤٨] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعة، حدَّثنا أبو عُمَر الحَوضي، حدَّثنا حَمَّاد بن زيد، حدَّثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألتُ ربِّي مسألةً وَدِدْتُ أني لم أكُن سألتُه، قلت: قد كانت قبلي أنبياءُ، منهم من سَخَّرت له الريحَ، ومنهم من يحيي الموتى. قال: يا محمدُ! ألم أجِدْك يتيماً فآويتُك؟ قال: قلت: بلى يا ربِّ! قال: ألم أجِدك ضالاً فهديتك؟ قلت: بَلَى يا ربِّ! قال: ألم أجِدْكَ عائلاً فأغنيتك؟ قال: قلت بلى يا ربِّ! قال: ألم أشرَحْ لك صَدْرَك؟ ألم أرْفَع لك ذِكْرَك؟ قلت: بلى يا ربِّ»![٢].

[٧٣٤٩] وقال أبو نُعَيم في دلائل النبوة: حدَّثنا أبو أحمد الغِطْريفي، حدَّثنا مُوسى بن سهل الجوني، حدَّثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيتي، حدَّثنا نصر بن حَمَّاد، عن عثمان بن عطاء، عن الزهريِّ، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما فَرَغتُ مما أمرني الله به من أمر السموات والأرضِ قلتُ: يا ربِّ! إنه لم يكُن نبيٌّ قبلي إلاَّ وقد كرَّمتُه، جعلت إبراهيم خليلاً، ومُوسى كليماً، وسَخَّرت لداودَ الجبالَ، ولسليمان الريحَ والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جَعَلت لي؟ قال: أوَ ليس قد أعطيتُك أفضلَ من ذلك كلِّه؟ أني لا أُذكَر إلا ذُكِرْتَ معي، وجَعَلْتُ صُدورَ أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً، ولم أعطِها أمةً، وأعطيتُكَ كنزاً من كنوز عَرْشِي، لا حولَ ولا قُوة إلا بالله العليِّ العظيم»[٣]. وحكى البَغويُّ، عن ابن عَبَّاس ومجاهدٍ: أن المراد بذلك: الأذانَ. يعني ذِكْرَه فيه، وأورد من شعر حَسَّان بن ثابت:

أغَـرُّ عَـلَـيْـه لِـلـنـبـوة خـاتَـمٌ ... مِـنَ الله مـن نُـور يَـلـوحُ وَيـشـهَـدُ
وَضَـمَّ الإلـهُ اسـمَ الـنـبـيِّ إلـى اسـمِـهِ ... إذا قـالَ فـي الـخَـمْـسِ الـمؤذنُ: أشـهـدُ
وَشَـقَّ لـه مِـنَ اسـمـه لِـيُـجِـلَّـه ... فَذُو الـعَـرْشِ مَـحـمُـود، وهَـذا مُـحـمَّـدُ

وقال آخرون: رَفَع الله ذِكْرَه في الأوَّلين، ونَوَّه به حين أخذ الميثاق على جَميع النبيِّين أن يُؤمِنوا به، وأن يأمُروا أُممهم بالإيمانِ به، ثم شَهَر ذِكْره في أُمته فلا يُذكَرُ الله إلا ذُكِر معه. وما أحسن ما قال الصَّرصَرِيُّ رحمه الله:

لاَ يَـصِـحُّ الأذانُ فـي الـفَـرْضِ ... إلا باسمه العَذْب في الفم المرضي

وقال أيضاً:

أَلَـم تَـر أنَّـا لاَ يَـصِـحُّ أَذانُـنَـا ... وَلاَ فَرْضُنَا إنْ لـم نُـكَـرِّره فـيـهـمـا

(١) أخرجه ابن حبان ٣٣٨٢ والطبري ٣٧٥٣٢، وإسناده ضعيف فهو من رواية درّاج عن أبي الهيثم.

(٢) فيه ابن السائب، اختلط بأَخَرَة، لكن سمع منه حماد قبل الاختلاط. فالحديث حسن إن شاء الله.

(٣) فيه عثمان بن عطاء، وهو ضعيف، ضعفه ابن معين ومسلم وغيرهما. وللحديث شواهد تقويه منها المتقدم، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، أخبر تعالى أن مع العسر يُوجَد اليسرُ، ثم أكد هذا الخبر.

[٧٣٥٠] قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعَة، حدَّثنا محمود بن غَيلان، حدَّثنا حُميد بن حماد بن أبي خُوَار أبو الجهم، حدَّثنا عائِذُ بن شُرَيح قال: سَمِعت أنس بن مالك يقولُ: كان النبيُّ ﷺ جالساً وحيالَه حجرٌ، فقال: «لو جاء العُسر فدخل هذا الحجر لجاء اليُسر حتى يدخُلَ عليه فيُخرِجَه». فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾(١).

[٧٣٥١] ورواه أبو بكر البَزَّار في مسنده عن محمد بن معمر، عن حُميد بن حَمَّاد، به ولفظه: لو جاء العسرُ حتى يدخلَ هذا الحجر لجاء اليسرُ حتى يُخرجه ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٢)، ثم قال البزار: لا نعلَمُ رَوَاه عن أنس إلا عائذُ بن شُرَيح. قلت: وقد قال فيه أبو حاتم الرازيُّ: في حديثه ضعف، ولكن رواه شُعْبَةُ عن معاوية بن قُرَّة، عن رَجُلٍ، عن عبد الله بن مسعود، موقوفاً.

وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا الحسن بن مُحمَّد بن الصباح، حدَّثنا أبو قَطَنٍ، حدَّثنا المبارك بن فَضَالة، عن الحسن قال: كانوا يقولون: لا يغلبُ عسرٌ واحدٌ يُسرَينِ اثنين.

[٧٣٥٢] وقال ابنُ جَرير: حدَّثنا ابنُ عبد الأعلى، حدَّثنا ابنُ ثَورٍ، عن مَعْمَرٍ، عن الحَسَن قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ يوماً مسروراً فَرِحاً وهو يَضحكُ، وهو يقول: «لن يغلِبَ عُسرٌ يُسرَين، لن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ، إن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً»(٣). وكذا رواه من حديث عَوفٍ الأعرابي، ويونس بن عُبَيد، عن الحسن مرسلاً.

[٧٣٥٣] وقال سعيد، عن قتادَة: ذُكِر لنا أن رَسُولَ الله ﷺ بَشَّر أصحابه بهذه الآيةِ فقال: «لن يَغلِبَ عُسْرٌ يُسرَين»(٤). ومعنى هذا أن العسرَ مُعرَّفٌ في الحالين، فهو مفردٌ، واليُسرَ منكَّرٌ فَتعدَّدَ، ولهذا قال: «لن يغلِبَ عُسرٌ يُسرَين»، يعني قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فالعسرُ الأولُ عين الثاني، واليُسر تَعدَّدَ.

[٧٣٥٤] وقال الحسن بن سُفيان: حدثنا يزيدُ بن صالح، حدَّثنا خارجةُ، عن عباد بن كثير، عن أبي الزِّناد، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة: أن رسول الله ﷺ قال: «نزل المعونة من السماءِ على قَدْرِ المَؤُونةِ،

---

(١) إسناده ضعيف، وانظر ما بعده.

(٢) ضعيف. أخرجه البزار ٢٢٨٨ والطبراني في «الأوسط» ١٥٤٨ والحاكم ٢/ ٢٥٥٠ والبيهقي في «الشعب» ٢/ ١٠٠، وإسناده ضعيف. له علتان حميد بن حماد وشيخه عائذ بن شريح، كلاهما ضعيف. قال الحاكم: حديث عجيب، غير أن الشيخين لم يحتجا بابن شريح. وتعقبه الذهبي، فقال: تفرد به حميد بن حماد عن عائذ، وحميد منكر الحديث كعائذ اهـ وكذا ضعفه البيهقي قبل روايته للحديث. وأما الهيثمي فأعله في «المجمع» ١١٥٠١ بعائذ، وأنه ضعيف، مع أن ابن حماد واهٍ أيضاً، ثم إن المتن معلول، فظاهره أنه كان في المدينة، والسورة مكية كما تقدم. وورد عن ابن مسعود مرفوعاً، أخرجه الطبراني ٩٩٧٧ وأعله الهيثمي في «المجمع» ١١٥٠٠ بضعف أبي مالك النخعي، بل فيه أيضاً أبو حمزة، وهو ضعيف، وقد جاء موقوفاً عليه أخرجه البيهقي ١٠٠١١ والطبري ٣٧٥٣٨ و ٣٧٥٣٩ وهذا أصح من المرفوع، وانظر الآتي.

(٣) ضعيف. أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢٨ والطبري ٣٧٥٣٣ و ٣٧٥٣٤ و ٣٧٥٣٥ و ٣٧٥٣٦ عن الحسن مرسلاً، ومرسلات الحسن واهية فهاتان علتان للحديث.

(٤) ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٥٣٧ عن قتادة مرسلاً، ومع إرساله هو بصيغة التمريض، قتادة أخذه عن الحسن فإنه كثير الرواية عنه فعلى هذا يكون مخرجه متحد، وهو ضعيف بكل حال، والأشبه فيه الوقف، والله أعلم.

ونزل الصبر على قَدْرِ المُصيبة»[١]. ومما يروى عن الشافعيِّ أنه قال:

صَبراً جَميلاً ما أقرَبَ الفَرجا ... مَن راقَب الله في الأمور نَجَا
مَن صدّق الله لَم يَنلْه أذى ... وَمَن رَجَاه يكونُ حَيثُ رَجَا

وقال ابنُ دُرَيد: أنشدني أبو حاتم السِّجستانيُّ:

إذا اشتمَلت على اليَأس القُلوبُ ... وَضَاقَ لما به الصدْرُ الرَّحِيبُ
وأوطأتِ المَكَاره واطمأنّت، ... وَأرست في أماكِنِها الخُطوبُ
وَلَم تَرَ لانكشاف الضرّ وجْهاً ... ولا أغنى بحيلَتِه الأريبُ
أتاك على قُنوطٍ منك غَوثٌ ... يَمُنُّ به اللطيفُ المُستَجِيبُ
وَكلُّ الحادثاتِ إذا تناهت ... فَموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

وقال آخر:

وَلَرُب نازلة يَضيقُ بها الفَتَى ... ذَرْعاً، وعند الله منها المَخْرَجُ
كَمُلت، فلما استحكمتَ حلقاتُها ... فُرِجت، وكان يَظُنُّها لا تُفرَجُ

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾، أي: إذا فَرَغت من أمور الدنيا وأشغالها وقَطعت علائقها، فانصَبْ في العبادة، وقم إليها نَشِيطاً فارغَ البالِ، وأخلِصْ لربِّك النيّة والرغبةَ. ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صِحَّته:

[٧٣٥٥] «لا صلاةَ بحضرة طعامٍ، ولا وهو يُدافعه الأخبثانِ»[٢].

[٧٣٥٦] وقوله ﷺ: «إذا أُقيمتُ الصلاة وحَضَر العَشاء فابدؤوا بالعَشاء»[٣]. قال مجاهد في هذه الآية: إذا فَرَغت من أمر الدنيا فَقُمتَ إلى الصلاة، فانصَب لربِّك، وفي روايةٍ عنه: إذا قمتَ إلى الصلاةِ فانصَبْ في حاجَتِكَ، وعن ابن مسعود: إذا فَرَغتَ من الفرائض فانصَب في قيام الليل. وعن ابن عياض نحوه. وفي رواية عن ابن مسعود: ﴿فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾، بعد فراغك من الصَّلاة وأنتَ جالسٌ. وقال علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾، يعني في الدعاء. وقال زيد بن أسلم، والضحَّاك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾، أي: من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾، أي: في العبادة. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾، قال الثَّوريُّ: اجعل نِيَّتك ورَغْبَتَك إلى الله عزَّ وجلَّ.

آخر تفسير سُورة «ألم نَشرَح»، ولله الحمدُ والمنّةُ

(١) فيه خارجة وعباد، وكلاهما ضعيف. لكن توبعا، فقد أخرجه البزار ١٥٠٦ من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧٧٠٣: فيه طارق بن عمار قال البخاري: لا يتابع على حديثه. وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ وبهذا الإسناد أخرجه البخاري في تاريخه ٢/ ٢/ ٣٥٢ وأخرجه العقيلي ٢/ ٢٢٧ عن عباد عن طارق عن أبي الزناد به. في حين أخرجه البيهقي ٩٩٥٤ وابن عدي ٥/ ١٧٠٤ عن عباد وطارق معاً عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً به. وله طريق آخر أخرجه البيهقي ٩٩٥٦ وفيه معاوية بن يحيى الأطرابلسي الدمشقي، وهو ضعيف، وبهذا الإسناد أخرجه ابن عدي ٤/ ١٤٣٥ وأعله بمعاوية هذا. لكن تابعه عمر بن طلحة عند البيهقي ٩٩٥٧ وابن عدي ٥/ ١٧٠٤ وإسناده ضعيف أيضاً. فلعل هذه الطرق تعتضد بمجموعها، وإن كانت واهية، وهو في «الصحيحة» ١٦٦٤، والله تعالى أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٥٦٠ وأبو داود ٨٩ وأحمد ٦/ ٤٣ و ٥٤ و ٧٣ والحاكم ١/ ١٦٨ وابن حبان ٢٠٧٣ من حديث عائشة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٥٤٦٣ من حديث أنس بن مالك.

سُورَةُ التِّين

ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

وهي مكيَّةٌ

[٧٣٥٧] قال مالكٌ وشُعبَةُ، عن عَدِيِّ بن ثابتٍ، عن البَرَاء بن عازبٍ: كان النبيُّ ﷺ في سَفَرٍ فَقَرأ في إحدى الركعتين بالتِّين والزيتُونِ، فما سَمِعتُ أحداً أحسن صوتاً أو قراءةً منه[1]. أخرجه الجماعةُ في كُتُبِهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

اختلف المفسِّرون ها هنا على أقوالٍ كثيرةٍ فقِيلَ: المرادُ بالتِّين مسجدُ دِمَشقَ. وقيل: هي نفسُها. وقيل: الجبلُ الذي عندها. وقال القُرَظِيُّ: هو مَسجدُ أصحاب الكَهفِ. ورَوَى العَوفِيُّ، عن ابن عبَّاسٍ: أنه مَسجِدُ نُوحٍ الذي على الجُودِيِّ. وقال مجاهدٌ: هو تِينُكُم هذا. ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾، قال كعبُ الأحبارِ، وقتادةُ، وابنُ زيدٍ، وغيرُهم: هو مسجدُ بيتِ المقدِس. وقال مجاهدٌ، وعِكْرمةُ: هو هذا الزيتونُ الذي تَعصِرون. ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾، قال كعبُ الأحبار وغيرُ واحدٍ: هو الجَبَلُ الذي كَلَّم الله عليه موسى. ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾: يعني مَكَّة. قاله ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وعِكْرمة، والحَسَنُ، وإبراهيم النخَعِيُّ، وابنُ زيدٍ، وكعبُ الأحبارِ، ولا خِلافَ في ذلك. وقال بعضُ الأئمةِ: هذه مَحَالُّ ثلاثةٌ، بَعَثَ الله في كلِّ واحدٍ منها نبيًّا مُرسَلاً من أُولي العَزمِ وأصحابِ الشرائعِ الكبار، فالأوَّلُ: مَحَلَّةُ التين والزيتُونِ، وهي بيتُ المقدِس التي بَعَث الله فيها عيسى ابن مَرْيَم. والثاني: طُورُ سِينينَ، وهو طُور سيناءَ الذي كلَّم الله عليه موسى بنَ عمران. والثالث: مكَّةُ، وهو البلدُ الأمينُ الذي مَن دَخَله كان آمناً، وهو الذي أَرْسَل فيه محمداً ﷺ قالوا: وفي آخر التوراة ذِكْرُ هذه الأماكنِ الثلاثةِ: جاء الله من طور سيناء ـ يعني: الذي كلَّم الله عليه موسى ـ وأشرق من سَاعِيرَ يعني: جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى، واستعلن من جبال فارانَ ـ يعني: جبال مَكَّة التي أرسلَ الله منها محمّداً ﷺ فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوُجُودِيِّ بحسَبِ ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرفِ، ثم الأشرفِ منه، ثم بالأشرفِ منهما.

وقولُه تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾، هذا هو المُقْسَم عليه، وهو أنه تعالى خَلَق الإنسانَ

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٧٦٧ و ٧٦٩ و ٤٩٥٢ ومسلم ٤٦٤ ح ١٧٥ و ١٧٦ وأبو داود ١٢٢١ والترمذي ٣١٠ والنسائي في «التفسير» ٧٠٢ وفي «السنن» ١٠٠٠ وابن ماجه ٨٣٤ و ٨٣٥.

في أحسن صُورَةٍ، وشَكْل مُنتَصِب القامةِ، سَوِيِّ الأعضاءِ حَسَنِها. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ أي: إلى النار. قاله مجاهدٌ، وأبو العالية، والحسنُ، وابنُ زيدٍ، وغيرُهم. ثم بعد هذا الحُسن والنَّضارة مَصِيرُه إلى النار إن لم يُطِع الله ويَتَّبع الرُّسُل. ولهذا قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وقال بعضُهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾، أي: إلى أرْذَلِ العُمُر. رُوِيَ هذا عن ابن عباس، وعِكْرِمة، حتى قال عِكْرِمة: مَن جَمع القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذَلِ العُمُر. واختار ذلك ابنُ جرير. ولو كان هذا هو المرادَ لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهَرَم قد يُصِيب بعضهم، وإنما المُراد ما ذكرناه، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

وقولُه: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، أي: غيرُ مقطوعٍ كما تَقَدَّم. ثم قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾، يعني يابنَ آدمَ: ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾، أي: بالجزاء في المَعَاد، وقد عَلِمت البَدْأة، وعَرَفت أن من قدر على البَدْأة فهو قادر على الرَّجْعَةِ بطريق الأولى، فأيُّ شيءٍ يحمِلُك على التكذيب بالمعاد وقد عَرَفت هذا؟! قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أحمدُ بن سِنَانٍ، حدَّثنا عبد الرحمن، عن سُفيان، عن منصورٍ قال: قلتُ لمجاهدٍ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾، عنى به النبيَّ ﷺ؟ قال: مَعَاذ الله! عَنَى به الإنسانَ. وهكذا قال عِكْرِمةُ وغيره. وقولُه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾، أي: أمَا هو أحكَمُ الحاكمين، الذي لا يَجُور ولا يظلم أحداً، ومِن عَدْلِه أن يُقِيم القيامة فينتصِفُ المظلوم في الدنيا ممَّن ظَلَمه.

[٧٣٥٨] وقد قدَّمنا في حديثِ أبي هُرَيرة مرفوعاً: «فإذا قرأ أحدُكم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ فأتى على آخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾، فليَقُل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»[1].

آخر تفسير «والتين والزيتون» ولله الحمدُ والمِنَّةُ

(١) تقدم، وهو ضعيف بصيغة الأمر، وقد صح أنه كان يقوله.

سُورَةُ العَلَق

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

وهي أوّل شيء نَزَل من القرآنِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

[٧٣٥٩] قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبدُ الرزاق، حَدَّثنا مَعْمَرٌ، عن الزهريِّ، عن عُروةَ، عن عائشة قالت: أولُ ما بُدِيء به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقةُ في النوم، فكان لا يرى رُؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصُبح. ثم حُبِّب إليه الخلاءُ؛ فكان يأتي حراء فيتحنَّث فيه ـ وهو: التعبُّد ـ الليالي ذَواتَ العَدَدِ، ويَتزوَّد لذلك ثم يرجعُ إلى خديجةَ فَتُزَوِّدُه لمثلها حتى فَجِئَه الحقُّ وهو في غار حراء، فجاءه المَلَكُ فيه فقال: اقرأ: قال رسول الله ﷺ : «قلت: ما أنا بقارىء! قال: فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجُهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: «ما أنا بقارىء!» فَغَطَّني الثانية حتى بَلَغ مني الجُهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء! فَغَطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجهدُ، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ حتى بلغ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾»، قال: فَرَجع بها ترجُف بَوادره حتى دخل على خديجةَ فقال: «زَمِّلوني زَمِّلُوني». فَزَمَّلُوه حتى ذَهَب عنه الروعُ. فقال: «يا خديجةُ، مالي؟» فأخبرها الخبرَ وقال: «قد خَشِيتُ على نفسي». فقالت له: كلاَّ، أَبْشِرْ، فوالله لا يُخزيك الله أبداً؛ إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدُق الحديثَ، وتحمِل الكَلَّ، وتقري الضيفَ، وتُعِين على نوائبِ الحقِّ. ثم انطلقت به خديجةُ حتى أتت به وَرَقة بن نَوْفلِ بن أسَد بن عبد العُزى بن قُصَي ـ وهو ابنُ عَمّ خدِيجة، أخي أبيها، وكان أمراً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتُب الكِتاب العربيّ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتُبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ـ فقالت خديجةُ: أيْ ابن عمّ! اسمَعْ من ابنِ أخيكَ. فقال وَرَقة: ابنَ أخي! ما ترى؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ ما رَأى، فقال وَرَقةُ: هذا النامُوس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً أكون حَيًّا حين يُخرِجُك قومُك. فقال رسولُ الله ﷺ : «أو مُخرجيَّ هم؟». فقال وَرَقةُ: نَعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بما جئتَ به إلا عُودِي، وإن يُدرِكْني يومُك أنصُرْكَ نصراً مُؤزَراً. ثُمَّ لم يَنْشب وَرَقة أن تُوفي، وفَتر الوحيُ فترة حتى حَزِن رسول الله ﷺ فيما بلغنا[١] ـ حُزناً غدا منه مراراً كي يَتَردَّى من رُؤوس شَوَاهِق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبلٍ لكي يُلقِيَ نفسَه منه تبدَّى له جبريلُ فقال: يا محمَّدُ! إنك رسولُ الله حقاً. فَيَسْكُن بذلك جاشُه، وتَقَرّ نفسُه فيرجعُ. فإذا طالت عليه فترةُ الوحي غَدَا لمثل ذلك، فإذا أوفى بِذِرْوَةِ

(١) هذا من كلام الزهري. فما بعده مرسل، وليس بمتصل، فتنبه، والله الموفق.

جبلٍ تَبَدى له جبريلُ، فقال له مثلَ ذلك[١]. وهذا الحديث مخرَّج في الصحيحَين من حديث الزهريّ، وقد تكلَّمنا على هذا الحديث من جهة سَنَده ومَتنِه ومعانيه في أول شرحنا للبُخاري مستقصًى، فمَن أراده فهُو هناك محرَّرٌ، ولله الحمدُ والمنةُ. فأوّلُ شيءٍ نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهُنّ أول رَحْمَة رَحِم الله بها العِبادَ، وأوّلُ نعمةٍ أنعم بها عليهم. وفيها التنبيهُ على ابتداءِ خلق الإنسان من عَلَقةٍ، وأن من كَرَمه تعالى أن علّم الإنسانَ ما لم يعلَم، فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدمُ على الملائكة، والعلمُ تارة يكون في الأذهان، وتارةً يكونُ في اللسان، وتارة يكون في الكتابةِ بالبنانِ، ذهنيٌّ ولفظيٌّ ورسمِيٌّ، والرسميُّ يستلزِمُها من غير عكس، فلهذا قال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾.

[٧٣٦٠] وفي الأثر: «قَيِّدوا العلمَ بالكتابةِ»[٢].

[٧٣٦١] وفيه أيضاً: «من عَمِل بما عَلِم أورثه علم ما لم يكن يعلم»[٣].

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ۝١٩﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فَرَح وأَشرٍ وبَطَرٍ وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكَثُر ماله. ثم تهدَّده وتوعَّده ووعَظه فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾، أي: إلى الله المصيرُ والمرجعُ، وسيُحاسبك على مالِكَ، من أين جَمَعته؟ وفيم صَرَفته؟ قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا زيد بن إسماعيل الصائغُ، حدَّثنا جَعفر ابنُ عَونٍ، حدَّثنا

---

(١) صحيح دون عجزه، أخرجه أحمد ٦/ ١٥٣ وإسناده على شرطهما وتقدم من رواية البخاري ومسلم، وعجزه مدرج من كلام الزهري.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الحاكم ١/ ١٠٦ والخطيب في «تقييد العلم» ص ٦٩ وابن عبد البر في «جامع العلم» ١/ ٧٣ وابن الجوزي في «العلل» ٩٥ و ٩٦ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. ضعفه الحاكم. وقال الذهبي: ابن المؤمل ـ وهو عبد الله ـ ضعيف. وقال ابن الجوزي: قال أحمد: ابن مؤمّل أحاديثه مناكير. وقال يحيى: ضعيف. وتابعه إسماعيل بن يحيى ٩٧ وهو يروي الموضوعات كما قال ابن حبان، وكذبه الدارقطني. وورد من حديث أنس، أخرجه الخطيب في «تقييد العلم» ص ٧٠ و ٩٧ وفي «التاريخ» ١٠/ ٤٦ وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» ٢/ ٢٢٨ وابن عبد البر ص ٧٢ـ ٧٣ وأعله ابن الجوزي بقوله: لا يصح، تفرد بروايته مرفوعاً عبد الحميد ـ بن سليمان ـ وهو غير ثقة، وقال الدارقطني: ضعيف. وقال الدارقطني: وهم ابن المثنى في رفعه. والصواب عن ثمامة عن أنس كان يقول ذلك لبنيه. ولا يرفعه اهـ وقال الحاكم في «المستدرك» ١/ ١٠٦/ ٣٦٠: صح ذلك عن عمر من قوله، وكذا عن أنس، وقد أُسند ـ أي رُفع ـ من غير وجه معتمد. اهـ باختصار. ولا يصح رفع هذا الحديث، فالنبي ﷺ كان قد نهاهم أن يكتبوا عنه شيئاً سوى القرآن. وقد أجاز لعبد الله بن عمرو بن العاص وحده أن يكتب. والحديث يشمل كافة الصحابة فهو منكر. والإسناد ضعيف. والله تعالىٰ أعلم.

(٣) لا أصل له في المرفوع. أخرجه أبو نعيم ١٠/ ١٤ ـ ١٥ من حديث أنس، وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسىٰ عليه السلام، فوهم بعض الرواة، فجعله عن النبي ﷺ، فوضع له هذا الإسناد لسهولته وقربه اهـ وذكره العراقي في «تخريج الإحياء» ١/ ٧١ وقال: أخرجه أبو نعيم، وضعفه اهـ والله تعالىٰ أعلم.

أبو عُمَيس، عن عَوْنٍ قال: قال عبد الله: مَنهُومان لا يشبعَان، صاحبُ العلم وصاحبُ الدنيا، ولا يستويان، فأما صاحبُ العلم فيزداد رضًا الرحمن، وأما صاحبُ الدنيا فيتمادى في الطغيان. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾. وقال للآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

[٧٣٦٢] وقد رُوِي هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «منهومان لا يَشبَعان: طالب علم، وطالب دُنيا»[(١)].

ثم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾؛ نزلت في أبي جهلٍ لعنه الله، تَوعَّد النبيَّ ﷺ على الصلاة عند البيت، فَوعظه تعالى بالتي هي أحسنُ أوّلاً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾﴾، أي: فما ظنُّك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فِعْلِه، ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾ بقوله، وأنت تزجُره وتتوعَّده على صلاته، ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ أي: أما عَلِم هذا الناهي لهذا المُهتدِي أنَّ الله يَراه ويسمَعُ كلامَه، وسَيُجازِيه على فعله أتمَّ الجزاء[(٢)]؟ ثم قال تعالى مُتوعِّداً ومُتهدِّداً: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾، أي: لئن لم يرجع عمَّا هو فيه من الشقاق والعنادِ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لَنَسِمنَّها سواداً يومَ القيامة. ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾، يعني: ناصيةُ أبي جهلٍ كاذبةٌ في مقالها، خاطئة في فعالِها. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾﴾، أي: قومَه وعَشِيرتَه، أي: لِيَدْعُهم يَستنصِرُ بهم. ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾، وهم ملائكةُ العذابِ، حتى يعلم من يَغلِبُ: أحِزبُنا أو حِزبُه؟

[٧٣٦٣] قال البخاري: حدَّثنا يحيى، حدَّثنا عبد الرزّاق، عن معمر، عن عبد الكريم الجَزَري، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، قال أبو جهل: لَئِن رأيتُ محمداً يُصلّي عند الكعبة لأطأن على عُنُقه. فبلغَ النبيَّ ﷺ، فقال: «لَئِن فعله لأخذته الملائكة»[(٣)]. ثم قال: تابَعه عَمرو بن خالد، عن عُبَيد الله ـ يعني ابنَ عمرو ـ عن عبد الكريم. وكذا رواه التِّرمذيُّ والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزّاق، به. وهكذا رواه ابنُ جرير، عن أبي كُرَيب، عن زكريا بن عَدي، عن عُبَيد الله بن عمرو، به.

---

(١) أخرجه الطبراني ١٠٣٨٨ وابن الجوزي في «العلل» ١١١ من حديث ابن مسعود. قال الهيثمي في «المجمع» ٥٧١: فيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف اهـ وورد من حديث ابن عباس. أخرجه أبو خيثمة في «العلم» ١٤١ وابن الجوزي ١١٢ وأعله بليث بن أبي سليم، وأنه اختلط. وكذا ضعفه الهيثمي ٥٧٢ بليث. وورد من حديث أنس أخرجه الحاكم ١/ ٩٢، وقال: صحيح على شرطهما، ولم أجد له علة، ووافقه الذهبي! وليس كما قالا. فإن مداره عنده على أحمد بن نصر، وهو من رجال الترمذي والنسائي فقط، ولم يرو له الشيخان أو أحدهما. لكنه ثقة حافظ. وشيخه شريح بن النعمان، لم أجد له ترجمة، وأخشى أن يكون قد تصحف في «المستدرك» فلينظر. وورد من وجه آخر أخرجه ابن الجوزي ١١٣ وابن عدي ٦/ ٢٩٦ وأعله بمحمد بن أحمد البلخي، وقال: حدث بأشياء منكرة، وهو يسرق الحديث. وهو حديث الهسنجاني، سرقه منه محمد. وقد حدثنا الهسنجاني به عن الحسن مرسلاً بنحوه، وصحفه الهسنجاني فصير الحسن أنساً اهـ ووقع هذا للبيهقي حيث أخرجه في «الشعب» ١٠٢٧٩ من طريق الهسنجاني عن حماد عن أنس. وذكره السخاوي في «المقاصد» ١٢٠٦ وقال: وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة، وهي وإن كانت مفرداتها ضعيفة فبمجموعها تقوى اهـ، وفي ذلك نظر فليحرر، ولم يصب من صححه من المتأخرين، فالمتن رفعه غريب، والله تعالى أعلم.

(٢) وما زالت هذه الآية مستمرة شاملة لكل من يمنع الصلاة بأي شكل من الأشكال، سواء كان بالقوة، أو بمجرد تخويف، أو تهديد. وسواء كان في الأماكن العامة، أو كان في الأماكن الخاصة، وسواء كان مباشرة، أو بصورة غير مباشرة، فهؤلاء كلهم آباء جهل. نسأل الله السلامة، وحسن الختام.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٨ والترمذي ٣٣٤٨ والنسائي في «التفسير» ٧٠٥ وأحمد ١/ ٣٦٨ والطبري ٣٧٦٧٩.

[٧٣٦٤] وَرَوى أحمدُ، والترمذي، والنَّسائي، وابنُ جَرير ـ وهذا لفظُه ـ من طريق داودَ بن أبي هندٍ، عن عِكْرمةَ، عن ابن عباس قال: كان رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي عند المقام، فَمَرَّ به أبو جَهْل بن هشام فقال: يا محمدُ، ألم أنهك عن هذا؟ وتَوَعَّده، فأغلظَ له رسولُ الله ﷺ وانتهره فقال: يا محمدُ! بأيِّ شيء تُهَدِّدني؟ أما والله إني لأكثرُ هذا الوادي نادياً! فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، قال ابن عباس: لو دعا ناديَه لأخذته ملائكةُ العذابِ من ساعته[١]. وقال الترمذي: حسن صحيح.

[٧٣٦٥] وقال الإمام أحمدُ أيضاً: حدَّثنا إسماعيل بنُ زيد أبو يزيدَ، حدَّثنا فُراتٌ، عن عبد الكريم، عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو جهلٍ: لئن رأيت رسول الله يُصَلِّي عند الكعبة لآتينَّه حتى أطأ على عُنُقِه. قال: فقال: «لو فعَل لأخذته الملائكةُ عِياناً، ولو أن اليهودَ تَمَنَّوا الموتَ لماتُوا ورَأوا مَقاعِدَهم من النار، ولو خَرَج الذين يُبَاهِلُون رسولَ الله ﷺ لرجعوا لا يجِدُون مالاً ولا أهلاً»[٢].

[٧٣٦٦] وقال ابنُ جرير أيضاً: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا يحيى بن واضح، أخبرنا يونُس بن أبي إسحاق، عن الوليد بن العَيْزَارِ، عن ابن عباس قال: قال أبو جَهل: لئِن عاد محمد يُصَلِّي عند المقام لأقتُلَنَّه. فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾، حتى بلغ هذه الآية: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾. فجاء النبي ﷺ وهو يُصَلِّي، فقيل: ما يمنعُك؟ قال: قد اسودَّ ما بيني وبينه من الكتائب. قال ابن عباس: والله لو تحرَّك لأخذته الملائكةُ والناسُ ينظُرون إليه»[٣].

[٧٣٦٧] وقال ابنُ جَرير: حدَّثنا ابنُ عبد الأعلى، حدَّثنا المُعتمِر، عن أبيه، حدَّثنا نُعَيم بن أبي هندٍ، عن أبي حازمٍ، عن أبي هُريرة قال: قال أبو جَهلٍ: هل يُعَفِّرُ محمدٌ وجهَه بين أظهُرِكم؟ قالوا: نَعَم. قال: فقال: واللاتِ والعُزَّى، لئن رأيتُه يُصَلِّي كذلك لأطأنَّ على رَقَبته، ولأعفِّرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يُصَلي لِيَطأ على رَقبته، قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو يَنكُص على عقبيه ويَتَّقي بيَدَيه، قال: فقيل له: مالَكَ؟ فقال: إن بيني وبينه خَنْدَقاً من نارٍ وهَوْلاً وأجنحةً. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطَفَته الملائكةُ عُضواً عُضواً». قال: وأنزل الله ـ لا أدري في حديثِ أبي هُرَيرة أم لا: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ . . . إلى آخر السورة[٤]. وقد رواه أحمدُ بن حنبل، ومسلمٌ، والنَّسائي، وابنُ أبي حاتم، من حديث مُعتمر بن سليمان، به. وقولُه تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾، يعني: يا محمد! لا تُطِعه فيما ينهاك عنه من المُداومة على العبادة وكثرتها، وصَلِّ حيث شئتَ ولا تُبالِه، فإنَّ الله حافظُك وناصرُك، وهو يَعصِمُك من الناس، ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾.

[٧٣٦٨] كما ثبت في الصحيح عند مسلم، من طريق عبد الله بن وَهب، عن عَمرو بن الحارث، عن

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٣٤٩ والنسائي في «التفسير» ٧٠٤ وأحمد ١/ ٢٥٦ و ٣٢٩ والطبري ٣٧٦٨٥.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ١/ ٢٤٨ وكرره ١/ ٢٤٨/ ٢٢٢٧ من وجه آخر صحيح، لكن ظاهر المتن الوقف.

(٣) صحيح. أخرجه الطبري ٣٧٦٨٨ على شرط الشيخين.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٩٧ ح ٣٨ والنسائي في «التفسير» ٧٠٣ وأحمد ٢/ ٣٧٠ والطبري ٣٧٦٨٧.

عُمارة بن غَزِيَّة، عن سُمَيٍّ، عن أبي صالح، عن أبي هُريرة: أن رسولَ الله ﷺ قال: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربه وهو ساجدٌ، فأكثِروا الدعاء»(١).

[٧٣٦٩] وتَقَدَّم أيضاً: أن رسولَ الله ﷺ كان يسجُد في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾، و ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾(٢).

آخرُ تفسيرِ سورة اقرأ ولله الحمدُ والمنَّةُ، وبه التوفيق والعصمة

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٤٨٢ وأبو داود ٨٧٥ والنسائي ٢/٢٢٦ وأحمد ٢/٤٢١ وابن حبان ١٩٢٨.
(٢) تقدم مراراً.

سورة القدر

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

وهي مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

يُخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلةَ القدر، وهي الليلةُ المباركةُ التي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وهي ليلةُ القدرِ، وهي من شهر رَمَضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابنُ عباس وغيرُه: أنزل الله القرآنَ جُملةً واحدةً من اللَّوح المحفُوظِ إلى بيتِ العِزَّةِ من السماء الدُنيا، ثم نزل مُفصَّلاً بحسب الوقائع في ثلاثٍ وعشرين سنةً على رسولِ الله ﷺ. ثم قال تعالى مُعظِّماً لشأنِ ليلةِ القدر، التي اختصَّها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

[٧٣٧٠] قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدَّثنا محمود بن غيلان، حدَّثنا أبو داودَ الطيَّالسي، حدَّثنا القاسم بن الفضل الحُدَّاني، عن يوسف بن سعدٍ قال: قام رجلٌ إلى الحسن بن علي بعدما بايَع معاويَة فقال: سوَّدت وجوهَ المؤمنين ـ أو: يا مُسَوِّد وجُوهِ المؤمنين ـ فقال: لا تؤنِّبني ـ رحمك الله ـ فإن النبيَّ ﷺ أُرِيَ بني أمية على مِنْبَره، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ يا محمدُ، يعني نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، يملكها بعدك بنو أميَّة يا محمد. قال القاسم: فَعَددنا فإذا هي ألفُ شهرٍ، لا تزيدُ يوماً ولا تنقُص[1]. ثم قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفُه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وقد قيل عن القاسم بن

---

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٥٠ والطبري ٣٣٧١٤ والحاكم ٣/ ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٥، وضعفه الترمذي، وأعله بجهالة يوسف بن سعد، ويقال: ابن مازن، وخالفه ابن كثير على أنه معروف مشهور لكن علته الاضطرب، وهو منكر جداً، ونقل عن شيخه المزي قوله: هو حديث منكر اهـ. وصححه الحاكم. وقال الذهبي: القاسم، وثقوه، وما أدري آفته من أين؟ اهـ. قلت: اضطراب في هذا الإسناد، فعند الترمذي «يوسف بن سعد» وعند الحاكم والطبري «يوسف بن مازن» وعند الطبري عيسى بن مازن وقد اضطرب أئمة الجرح والتعديل، فقال بعضهم هما واحد. وفرق آخرون بينهما، وأياً كان فالمتن منكر كما قال ابن كثير والمزي وقد ضعفه الترمذي. وقد رواه الحاكم من وجوه متعددة بأسانيد جياد، وليس فيه ذكر بني أمية، والمنبر. وتقدم تخريج هذه الأحاديث فيما مضى.

الفضل عن يوسف بن مازن والقاسم بن الفضل الحداني وهو ثقة، وثّقه يحيى القطّان وعبد الرحمن بنُ مهدي. قال: وشيخُه يوسفُ بن سعد ـ ويقال: يوسف بن مازن ـ رجلٌ مجهولٌ، ولا نعرف هذا الحديث، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه. وقد رَوَى هذا الحديث الحاكمُ في مستدركه، من طريق القاسم بن الفضل، عن يوسفَ بن مازنٍ، به. وقول الترمذي: إنّ يوسف هذا مجهولٌ ـ فيه نظرٌ؛ فإنه قد روى عنه جماعةٌ، منهم: حَمّاد بن سلمة، وخالد الحذَّاء، ويونس بن عُبَيد. وقال فيه يحيى بن مَعِين: هو مشهورٌ، وفي رواية عن ابنِ مَعين: هو ثِقَةٌ، وَرَواه ابنُ جرير من طريق القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث، والله أعلم، ثم هذا الحديثُ على كلِّ تقديرِ مُنكَرٌ جداً، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزّي: هو حديث منكرٌ.

قلت: وقولُ القاسم بن الفضل الحُدّاني: إنه حَسَب مُدّة بني أمية فَوَجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإن معاويةَ بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ استقلّ بالملك حين سَلّم إليه الحسنُ ابنُ عليٍّ الإمرةَ سنة أربعين، واجتمعت البيعةُ لمعاوية، وسُمّي ذلك عام الجماعة، ثم استمرُّوا فيها مُتَتابعين بالشام وغيرها، لم تخرُج عنهم إلا مُدَّةَ دولة عبد الله بن الزُبَير في الحرمين والأهواز وبعضِ البلاد قريباً من تسع سنينَ، لكن لم تَزُل يدُهم عن الإمرةِ بالكلّية، بل عن بعضِ البلادِ، إلى أن استلَبَهُم بنُو العباس الخلافةَ في سنة اثْنتين وثلاثين ومئةٍ، فيكونُ مجموعُ مُدَّتهم اثنتين وتسعينَ سنة، وذلك أزيدُ من ألفِ شهر، فإن الألف شهر عبارةَ عن ثلاثٍ وثمانين سنةً وأربعةِ أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مُدَّتهم أيامَ ابن الزبير، وعلى هذا فَتَقارب ما قاله للصِّحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدلّ على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذمّ دولة بني أمية، ولو أُريد ذلك لم يكُن بهذا السياق؛ فإنّ تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذَمّ أيامهم، فإنّ ليلة القَدْر شريفةٌ جداً، والسورةُ الكريمةُ إنما جاءت لمدح ليلةِ القدر، فكيف تُمدَحُ بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومةٌ بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلا كما قال القائل:

أَلَـم تـر أنَّ الـسَّـيـفَ يـنـقُـصُ قـدْرُهُ إذا قيلَ: إنَّ السيفَ أَمْضَى من العَصا

وقال آخر:

إذا أنـتَ فَـضَّـلْـتَ أمـرأً ذا بَـرَاعَـة عَلَى نَاقص، كَانَ المديحُ من النَّقْص

ثم مَن الذي يفهم من الآية أن الألفَ الشهر المذكورةِ في الآية هي أيامُ بني أمية، والسورةُ مكيّة، فكيف يُحال على ألف شهر هي دولةُ بني أميّة، ولا يَدُل عليها لفظُ الآيةِ ولا معناها؟! والمنبَرُ إنما صُنِع بالمدينة بعد مُدّةٍ من الهجرة، فهذا كلُّه مما يدلُّ على ضَعْفِ هذا الحديث ونَكَارته، والله أعلم.

[٧٣٧١] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعَة، حدَّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا مسلم ـ يعني ابنَ خالد ـ عن ابن أبي نجيحِ، عن مجاهد: أن النبيَّ ﷺ ذَكَر رجلاً من بني إسرائيلَ لَبِسَ السلاحَ في سَبيل الله ألفَ شهرٍ، قال: فَعَجِبَ المسلمون من ذلك، قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، التي لَبِس ذلك الرجلُ السلاحَ في سبيلِ الله ألفَ شهرِ[١].

(١) ضعيف جداً، فهو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف وله علة ثانية، فيه مسلم بن خالد الزنجي، وهو ضعيف. والأشبه كونه عن مجاهد كما هو الآتي، وهو متلقىً عن أهل الكتاب، والله أعلم.

وقال ابنُ جَرير: حدَّثنا ابن حُمَيد، حدَّثنا حَكّام بن سَلْم، عن المثنّى بن الصباح، عن مُجاهِدٍ قال: كان في بني إسرائيلَ رجلٌ يقوم الليلَ حتّى يُصبح، ثم يُجاهِدُ العَدو بالنهار حتى يُمسِيَ، ففعل ذلك ألفَ شهرٍ، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾، قيامُ تلك الليلة خيرٌ من عَمَل ذلك الرجل.

[٧٣٧٢] وقال ابنُ أبي حاتم: أخبرنا يونُس، أخبرنا ابنُ وهب، حدَّثني مسلمة بن عُلَيٍّ عن علي بن عَرْوَة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعةً من بني إسرائيلَ، عبَدُوا الله ثمانين عاماً، لم يعصُوه طرفةَ عينٍ: فذكر أيُّوب، وزكريًا، وحِزْقيلَ بن العجُوز، ويُوشَع بن نُونٍ ـ قال: فَعَجِبَ أصحابُ رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريلُ فقال: يا محمدُ! عجِبت أمتُك من عبادة هؤلاء النفر ثمانينَ سنةً، لم يَعْصُوه طرفة عينٍ؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك. فقرأ عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، هذا أفضلُ مما عجبت أنت وأمتُك. قال: فَسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ والناسُ معه[١].

وقال سُفيان الثَّورِيُّ: بَلَغني عن مجاهِدٍ: ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهر. قال: عَمَلُها وصيامُها وقيامها، خيرٌ من ألف شهر. رواه ابن جرير. وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعة، حدَّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابنُ أبي زائدةَ، عن ابن جُرَيج، عن مُجاهِدٍ: ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهر، ليس في تلك الشهورِ ليلةُ القدرِ. وهكذا قال قتادةُ بن دِعامةَ، والشافعيُّ، وغير واحد. وقال عمرو بن قيس المُلائي: عملٌ فيها خيرٌ من عمل ألف شهر. وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ـ وليس فيها ليلةُ القدرِ ـ هو اختيارُ ابن جرير، وهو الصواب لا ما عداه.

[٧٣٧٣] وهو كقوله ﷺ: «رباطُ ليلةٍ في سبيل الله خيرٌ من ألفِ ليلةٍ فيما سواه من المنازل»[٢]. رواه أحمد.

[٧٣٧٤] وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، ونيّةٍ صالحةٍ: أنه يُكتَبُ له عملُ سنةٍ، أجرُ صيامِها وقيامِها[٣]. إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

[٧٣٧٥] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدَّثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي هُريرة قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهرُ رمضان، شهرٌ مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تُفتَح فيه أبوابُ الجنة، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشياطين، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، من حُرِم خيرَها فقد حُرِم»[٤]. ورواه النسائي، من حديث أيوب، به. ولما كانت ليلةُ القدر تَعدِل عبادتُها عبادَةَ ألفِ شهر.

[٧٣٧٦] ثبَت في الصحيحين عن أبي هُريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»[٥].

---

(١) باطل لا أصل له في المرفوع، والحمل فيه على علي بن عروة، وهو الدمشقي. فإنه متهم بالكذب ووضع الحديث، ومع ذلك هو معضل، وله علة ثالثة مسلمة بن عُلي هو الخشني الشامي، متروك الحديث، ليس بشيء.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٧٥ وإسناده لين لأجل أبي صالح، فإنه مقبول، وللحديث شواهد كثيرة، تقدمت في آل عمران.

(٣) تقدم في سورة الجمعة، وهو صحيح.

(٤) أخرجه النسائي ٤/ ١٢٩ وأحمد ٢/ ٢٣٠ و ٤٢٥. ورجاله رجال الصحيح، فهو صحيح إن كان أبو قلابة سمعه من أبي هريرة، فإنه كثير الإرسال وله شواهد دون «من حرم...».

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ١٩٠١ ومسلم ٧٦٠ وأبو داود ١٣٧٢ والنسائي ٨/ ١١٨ والترمذي ٨٠٨ وأحمد ٢/ ٥٢٩ وأبو يعلى ٢٦٣٢.

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾، أي: يكثر تنزُّل الملائكةِ في هذه الليلةِ لكثرةِ بَرَكتها، والملائكةُ ينزلون مع تَنَزُّل البركة والرحمة، كما يَتنزَّلون عند تلاوةِ القرآن ويُحيطون بحلق الذِّكر، ويَضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له. وأما الروح فقيل: إنَّ المراد به ها هنا جبريلُ عليه السلام، فيكون من باب عَطْفِ الخاصِّ على العام. وقيل: هم ضَرْبٌ من الملائكة. كما تَقَدَّم في سورة النبأ. والله أعلم. وقولُه تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، قال مجاهدٌ: سَلام هي من كلِّ أمر. وقال سعيد بن منصور: حدَّثنا عيسى بن يونس، حدَّثنا الأعمش، عن مجاهدٍ في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾، قال: هي سالمةٌ، لا يستطيع الشيطانُ أن يعمَل فيها سُوءاً أو يعمل فيها أذًى. وقال قتادة وغيرُه: تقضى فيها الأمورُ، وتُقَدَّر الأرزاقُ والآجالُ، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤] وقولُه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾، قال سعيدُ بن منصور: حدَّثنا هُشَيم، عن أبي إسحاقَ، عن الشعبيِّ في قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال: تسليمُ الملائكةِ ليلةَ القدرِ على أهل المساجد، حتى يَطلُعَ الفجرُ. وَرَوى ابنُ جرير، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: (من كلِّ امرىء. سلام هي حتى مطلع الفجر). وروى البيهقي في كتابه «فضائِلِ الأوقاتِ» عن عليٍّ أثراً غريباً في نُزُول الملائِكة، ومُرُورِهم على المصلِّين ليلةَ القدرِ، وحُصُول البركة للمُصلِّين. وَرَوى ابنُ أبي حاتم عن كعب الأحبار أثراً غريباً عجيباً مُطَوَّلاً جداً، في تنزل الملائكة من سِدْرَةِ المنتهى صحبة جبريل ـ عليه السلام ـ إلى الأرض، ودُعائِهم للمؤمنين والمؤمنات.

[٧٣٧٧] وقال أبو داود الطيالسيُّ: حدَّثنا عمران ـ يعني القطَّان ـ عن قتادةَ، عن أبي ميمونة، عن أبي هُريرة: أن رسولَ الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعةٍ، أو تاسعةٍ وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرضِ أكثرُ من عَدَدِ الحصى»[١]. وقال الأعمشُ، عن المِنهالِ، عن عبد الرحمن بن أبي لَيْلَى في قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، قال: لا يَحدُثُ فيها أمرٌ. وقال قتادةُ وابنُ زيدٍ في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾، يعني: هي خيرٌ كلها، ليس فيها شرٌّ إلى مطلع الفجرِ.

[٧٣٧٨] ويُؤيِّد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد: حدَّثنا حَيْوَةُ بن شُرَيح، حدَّثنا بَقِيَّةُ، حدَّثني بَحِير ابن سعدٍ، عن خالد بن مَعْدان، عن عُبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن ابتغاءَ حِسْبَتهن فإن الله يغفِرُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وهي ليلةُ وتر: تسع، أو سبع، أو خامسةٍ، أو ثالثةٍ، أو آخر ليلةٍ. وقال رسولُ الله ﷺ: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلْجَة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنةٌ ساجية، لا بَرْدَ فيها ولا حرٌ، ولا يحل لكوكب يُرمَى به حتى تُصبحَ. وإن أمارتها أن الشمس صَبيحتها تخرُج مستويةً، ليس لها شعاعٌ، مثل القمر ليلة البدر، ولا يحلُّ للشيطانِ أن يخرُج معها يومئذ»[٢]. وهذا إسناد حسن، وفي المتن غرابةٌ، وفي بعض ألفاظِه نَكارةٌ.

[٧٣٧٩] وقال أبو داود الطيالسي: حدَّثنا زَمْعَة، عن سَلَمة بن وَهْرام، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في ليلة القدر: «ليلةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لا حارَّةٌ ولا باردةٌ، وتُصبح شمسُ صَبيحتها ضعيفةً حمراء»[٣].

(١) حسن. أخرجه الطيالسي ٢٥٤٥ وإسناده لا بأس به، وله شواهد.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٣٢٤ وقال الهيثمي في «المجمع» ٥٠٤١: رجاله ثقات اهـ. وحسن إسناده ابن كثير، إلا أنه استنكر بعض ألفاظه، وفيما قاله نظر، فإن لصدره شواهد، وكذا لعجزه شواهد، وهي الآتية، والله أعلم. وانظر «المجمع» ٥٠٣٥ و ٥٠٤٠ و ٥٠٤٢ و ٥٠٥٢ و ٥٠٥٨ و ٥٠٦٥ فللحديث شواهد يحسن بها إن شاء الله. والله الموفق.

(٣) حسن. أخرجه الطيالسي ٢٦٨٠ وإسناده غير قوي لأجل زمعة، لكن للحديث شواهد.

[٧٣٨٠] وَرَوَى ابن أبي عاصم النبيلُ بإسناده عن جابر بن عبد الله، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إني رأيتُ ليلةَ القدرِ فَأُنسِيتُها، وهي في العشر الأواخر من لياليها، وهي ليلةٌ طلقة بَلْجَةٌ، لا حارّةٌ ولا باردةٌ، كأن فيها قَمَراً، لا يخرُج شيطانُها حتى يُضِيءَ فجرُها»(١).

فصل: اختلف العلماءُ: هل كانت ليلةُ القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين:

[٧٣٨١] قال أبو مُصعب أحمد بن بكر الزهريُّ: حدَّثنا مالك: أنه بَلَغه أن رسولَ الله ﷺ أُرِيَ أعمارَ الناسِ قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصَرَ أعمارَ أُمَّتِه ألاَّ يبلغوا من العَمَل الذي بلغ غيرُهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلةَ القدر، خيراً من ألف شهر(٢). وقد أُسنِدَ من وجه آخر. وهذا الذي قاله مالك يَقتضِي تخصيصَ هذه الأمة بليلة القدر، وقد نقله صاحبُ «العدّة» أحد أئمةِ الشافعية عن جُمهورِ العُلَماء، فالله أعلم. وحكى الخطّابي عليه الإجماع، ونقله الراضي جازماً عن المذهب. والذي دل عليه الحديثُ أنها كانت في الأُمم الماضين كما هي في أُمّتنا:

[٧٣٨٢] قال الإمام أحمد بن حنبل: حدَّثنا يحيى بن سعيد، عن عِكْرمة بن عَمّار: حدَّثني أبو زُمَيلٍ سِمَاك الحَنَفي: حدَّثني مالك بن مَرثد بن عبد الله، حدَّثني مَرْثَد قال: سألت أبا ذَرٍّ قلتُ: كيف سألتَ رسولَ الله ﷺ عن ليلة القدر؟ قال: أنا كنتُ أسألُ الناس عنها، قلت: يا رسولَ الله! أخبرني عن ليلةِ القدْرِ، أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «بل هي في رمضان». قلت: تكونُ مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قُبِضُوا رُفِعت؟ أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «بل هي إلى يوم القيامة». قلت: في أيِّ رمضانَ هي؟ قال: «التمسوها في العشر الأول، والعشر الأواخر». ثم حَدَّث رسولُ الله ﷺ وحَدّث، ثم اهتبلتُ غَفْلَته قلت: في أيِّ العشرينَ هي؟ قال: ابتغُوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيءٍ بعدها. ثم حدَّث رسول الله ﷺ ثم اهتبلتُ غَفلته فقلتُ: يا رسولَ الله! أقسمتُ عليك بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي؟ فغَضِبَ عليّ غضباً لم يغضَب مثله منذ صَحِبتُه، وقال: «التمِسُوها في السبع الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها»(٣). ورَواه النسائيُّ عن الفلاّس، عن يحيى بن سعيدِ القطان به. ففيه دلالةٌ على ما ذكرناه، وفيه أنها تكون باقيةً إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي ﷺ لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رَفْعها بالكُلّية، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام: «فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم»(٤)، لأن المراد رفع علم وقتها عيناً. وفيه دلالةٌ على أن ليلة القدر يختصُّ وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور، لا كما رُوي عن ابن مسعودٍ ومن تابعه من علماء أهل الكوفة، مع أنها تُوجد في جميع السنة، وتُرتجى في جميع الشهور على السواء.

---

(١) عزاه المصنف لابن أبي عاصم، ولم أره في «السنة» ولعله في كتاب آخر، وأخرجه ابن خزيمة ٢١٩٠ بهذا اللفظ من حديث جابر، وفيه عنعنة أبي الزبير، لكن للحديث شواهد.

(٢) ضعيف. أخرجه مالك ١/ ٣٢١ عمن يثق به، وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٣٦٦٧ عن مالك بلاغاً، وقد ورد من مرسل مجاهد بنحوه وتقدم.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٧١ والبزار ١٠٣٥ و ١٠٣٦ وإسناده ضعيف، مرثد لم يرو عنه سوى ابنه، وأصل الحديث محفوظ لكنه ضعيف بهذا اللفظ، ومن ذلك تكرار سؤالات أبي ذر.

(٤) سيأتي.

[٧٣٨٣] وقد تَرجم أبو داود في سننه على هذا: فقال: «باب بيان أن ليلة القدر في كلِّ رمضان»: حدَّثنا حُميد بن زنجويه النسائي، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، حدَّثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، حدَّثني موسى بن عُقبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جُبير، عن عبد الله بن عمر قال: سُئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر، فقال: «هي في كُلِّ رمضان»[١]. وهذا إسنادٌ رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال: «رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه». وقد حُكي عن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ رواية أنه ترتَجى في جميع شهر رمضان، وهو وجه الغزالي، واستغربه الرافعيُّ جدًّا.

فصل: ثم قد قيل: إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان، يُحكى هذا عن أبي رَزين. وقيل: إنها تقعُ ليلة سبع عشرة. وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود[٢]. ورُوي موقوفاً عليه، وعلى زيد بن أرقم، وعثمان بن أبي العاص. وهو قولٌ عن محمد بن إدريس الشافعيِّ، ويُحكى عن الحسن البصري. ووجَّهوه بأنها ليلة بَدْر، وكانت ليلة جُمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾. وقيل: ليلة تسعَ عشرة، يُحكى عن عليٍّ وابن مسعود أيضاً، رضي الله عنهما. وقيل: ليلة إحدى وعشرين، لحديث أبي سعيد الخدريِّ قال:

[٧٣٨٤] اعتكف رسولُ الله ﷺ العشر الأُول من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلُب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه، فأتاه جبريلُ فقال: الذي تطلُب أمامك. ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضانَ، فقال: «من كان اعتكف معي فلْيرجع، فإني رأيتُ ليلة القدر، وإني أُنسيتُها، وإنها في العشر الأواخر في وترٍ، وإني رأيت كأني أسجُد في طينٍ وماءٍ» وكان سقفُ المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قزعة فمُطرنا، فصلَّى بنا النبي ﷺ ـ حتى رأيتُ أثر الطِّين والماء على جبْهةِ رسول الله ﷺ تصديقَ رُؤياه. وفي لفظ: «من صُبح إحدى وعشرين»[٣]. أخرجاه في الصحيحين. قال الشافعي: وهذا الحديث أصحُّ الروايات. وقيل: ليلة ثلاثٍ وعشرين، لحديث عبد الله بن أنيس في «صحيح مسلم»، وهو قريب السِّياق من رواية أبي سعيد فالله أعلم. وقيل: ليلة أربع وعشرين.

[٧٣٨٥] قال أبو داود الطيالسي: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن الجُريري، عن أبي نَضْرة. عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»[٤]. إسناد رجاله ثقات.

[٧٣٨٦] وقال أحمد: حدَّثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن الصنابحيِّ، عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلةُ القدر ليلة أربع وعشرين»[٥]. ابن لهيعة ضَعِيفٌ. وقد خالفه ما رواه البُخاري عن أصبغَ، عن ابن وَهب، عن عَمرو بن الحارث، عن يزيد بن حَبِيب،

---

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود ١٣٨٧ بهذا الإسناد وهو إسناد قوي. لكن رواه شعبة والثوري عن أبي إسحاق به موقوفاً. وهو الراجح فإن كل واحد منهما أحفظ من موسى بن عقبة فمن دونه. كما هو مقرر في كتب الرجال. فالمرفوع ضعيف، والراجح وقفه.

(٢) الصحيح موقوف. أخرجه أبو داود ١٣٨٤ ورجاله ثقات ليس فيه سوى عنعنة أبي إسحق، وبكل حال هو معارض بما في «الصحيحين» وأنها في العشر الأخير.

(٣) صحيح. أخرجه مالك ١/ ٣١٩ والبخاري ٢٠١٨ و ٢٠٤٠ و ٦٩٩١ ومسلم ١١٦٥ وأبو داود ١٣٨٢ والنسائي ٣/ ٧٩ وأحمد ٣/ ٧ وابن حبان ٣٦٧٣.

(٤) أخرجه الطيالسي ٢١٦٧ وإسناده على شرط مسلم لكن المتقدم أرجح منه، وكذا ما سيأتي.

(٥) أخرجه أحمد ٦/ ١٢ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، والموقوف أصح كما ذكر ابن كثير.

عن أبي الخير، عن أبي عبد الله الصُنابحي قال: أخبرني بلالٌ مؤذّنُ رسولِ الله ﷺ أنها أوّل السبعِ الأواخر. فهذا الموقوف أصحُّ، والله أعلم. وهكذا رُوِي عن ابن مسعود، وابن عباس، وجابر، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن وَهب: أنها ليلة أربع وعشرين:

[٧٣٨٧] وقد تقدَّم في «سورة البقرة»، حديث واثلَة بن الأسقَعِ مرفوعاً: «إنَّ القرآن أُنزل ليلةَ أربعِ وعشرينَ»[١]. وقيل: تكونُ ليلةَ خمسٍ وعشرين:

[٧٣٨٨] لما رواه البُخاري، عن عبد الله بن عباس: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «التمِسُوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعةٍ تبقَى، في سابعة تبقَى، في خامسةٍ تبقَى»[٢]. فَسّره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهرُ وأشهرُ. وحَمَله آخرون على الأشفاع كما رواه مسلم، عن أبي سعيد، أنه حمله على ذلك. والله أعلم. وقيل: إنها تكون ليلة سبعٍ وعشرين:

[٧٣٨٩] لما رواه مسلم في صحيحه عن أُبيِّ بن كَعْبٍ عن رسول الله ﷺ «أنها ليلة سَبعٍ وعشرين»[٣].

[٧٣٩٠] قال الإمام أحمد: حدَّثنا سفيان: سَمِعتُ عَبْدَة وعاصماً، عن زِرٍّ: سألتُ أُبيَّ بن كَعْبٍ قلت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقولُ: من يُقِم الحَولَ يُصِبْ ليلةَ القَدْرِ. قال: يرحمُه الله، لقد عَلِم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلةُ سبع وعشرين. ثم حَلَف. قلت: وكيف تعلمُون ذلك؟ قال: بالعلامةِ ـ أو: بالآية ـ التي أُخبِرْنا بها، تطلع ذلك اليومَ لا شُعاعَ لها، يعني الشمس[٤].

[٧٣٩١] وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عُيينة وشعبة والأوزاعي، عن عَبْدَة، عن زِرٍّ، عن أُبيٍّ.. فذكره. وفيه فقال: «والله الذي لا إله إلا هو إنها لَفِي رَمَضان ـ يحلف ما يَسْتَثني ـ ووالله إني لأعلَمُ أيَّ ليلةٍ هيَ، هِيَ التي أَمَرنا رسولُ الله ﷺ بقيامها، هي ليلةُ سبعٍ وعشرينَ، وأمارتها أن تطلع الشمس في صَبيحة يومها بيضاءَ لا شُعَاعَ لها»[٥]. وفي الباب عن معاوية، وابن عُمَر، وابن عباس، وغيرهم، عن رَسُولِ الله ﷺ: إنها ليلة سبع وعشرين، وهو قولُ طائفة من السلف، وهو الجَادَّة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وهو روايةٌ عن أبي حنيفة أيضاً. وقد حُكِيَ عن بعض السَلف أنه حاول استخراج كَوْنِها ليلةَ سبعِ وعشرينَ من القرآن، من قوله: ﴿هِيَ﴾ لأنها الكلمة السابعةُ والعشرون من السُورةِ، فالله أعلم.

وقد قال الحافظُ أبو القاسم الطَبَراني: حدَّثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ الدبَري؛ أخبرنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن قتادةَ وعاصم: أنهما سَمِعا عِكْرمة يقول: قال ابنُ عباس: دعا عُمَر بن الخطاب أصحابَ محمد ﷺ فَسألهم عن ليلةِ القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر. قال ابنُ عباسٍ: فقلتُ لعُمَر: إني لأعلَمُ ـ أو؛ إني لأظنُّ ـ أيَّ ليلةٍ هيَ؟ فقال عمر: وأيُّ ليلةٍ هِيَ؟ فقلت: سابعة تمضي أو سابعة تبقى ـ من العشر الأواخر. فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس، فقلتُ: خَلَق الله سبعَ سموات، وسبعَ أرضِين، وسبعةَ أيام، وإن الشهر يدور على سبعٍ، وخلقَ الإنسان من سبع، ويأكل من سَبعٍ، ويسجُد على

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢١.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٧٦٢ ح ٢٢١.

(٤) صحيح. أخرجه مسلم ٨٢٨ ح ٢٢٠ وأحمد ٥/ ١٣٠ والحميدي ٣٧٥ وابن خزيمة ١٢٩١ وابن حبان ٣٦٨٩ والبغوي ١٨٢٨.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٧٦٢ ح ١٨٠ وأبو داود ١٣٧٨ والترمذي ٧٩٣ وعبد الرزاق ٧٧٠٠.

سبع، والطوافُ بالبيت سبع، ورَمْيُ الجمارِ سبعٌ، لأشياء ذكرها. فقال عُمَر: لقد فَطِنتَ لأمرٍ ما فَطِنّا له. وكان قتادةُ يزيدُ عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبعٍ، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ [عبس: ٢٧].. الآية. وهذا إسناد جَيِّدٌ قَوِيٌّ، ومَتْنٌ غريبٌ جداً، والله أعلم. وقيل: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين.

[٧٣٩٢] قال أحمد بن حنبل: حدَّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدَّثنا سعيدُ بن سَلَمة، حدَّثنا عبد الله بن محمد بن عَقِيل، عن عُمر بن عبد الرحمن، عن عُبادة بن الصامتِ: أنه سأل رسولَ الله ﷺ عن ليلة القَدْرِ، فقال رسول الله ﷺ: «في رَمضان، فالتمِسُوها في العشر الأواخر، فإنها في وَتْرٍ إحدى وعشرين، أو ثلاثٍ وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو في آخر ليلة»[١].

[٧٣٩٣] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سُليمان بن داودَ ـ وهو: أبو داودَ الطيالسي ـ حدَّثنا عِمْرانُ القَطّان، عن قتادة، عن أبي مَيْمونةَ، عن أبي هُريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في ليلة القدرِ: «إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإنَّ الملائكة تلك الليلةَ في الأرض أكثرُ من عدد الحَصَى»[٢]. تفرَّد به أحمد، وإسنادُه لا بأسَ به.

وقيل: إنها تكون في آخر ليلةٍ، لما تقدم من الحديث آنفاً.

[٧٣٩٤] ولما رواه الترمذي والنسائي، من حديث عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بَكْرَة أن رسول الله ﷺ قال: «في تسع يَبْقَين، أو سبع يَبْقَين، أو خمس يَبْقَين، أو ثلاثٍ، أو آخر ليلة. يعني: التمسوا ليلة القدر»[٣]. وقال الترمذي: «حَسَنٌ صحيحٌ». وفي المُسنَد من طريق أبي سَلَمَة، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبي ﷺ في ليلةِ القَدْرِ: «إنها آخرُ ليلةٍ».

فصل: قال الشافعيُّ في هذه الروايات: صَدَرت من النبيِّ ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له: أَنَلْتَمِسُ ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول: نعم. وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنة لا تنتقِلُ. نقله الترمذي عنه بمعناه. وروى عن أبي قلابة أنه قال: ليلةُ القَدْرِ تنتقل في العشر الأواخر. وهذا الذي حكاه عن أبي قِلابة نَصَّ عليه مالك، والثوريُّ، وأحمدُ بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمُزني، وأبو بكر بن خُزَيمة، وغيرهم. وهو مَحْكِيٌّ عن الشافعي ـ نَقَله القاضي عنه، وهو الأشبه، والله أعلم.

[٧٣٩٥] وقد يُستأنس لهذا القولِ بما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عُمر: أنَّ رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا ليلةَ القدرِ في المنام في السبع الأواخر من رَمَضان، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَرَى رُؤياكم قد تواطأت في السبعِ الأواخِر، فمن كان مُتحرِّيهَا فَلْيَتحرَّها في السبع الأواخر»[٤].

[٧٣٩٦] وفيهما أيضاً عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تَحَرَّوا ليلةَ القدر في الوَتْرِ من العشر الأواخر من رَمَضان»[٥]. ولفظه للبخاري.

ويُحتَج للشافعي أنها لا تَنتَقِل، وأنها مُعَيَّنة من الشهر:

---

(١) حسن. أخرجه أحمد ٥/ ٣١٨ وإسناده حسن في الشواهد لأجل ابن عقيل.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٢/ ٥١٩ وإسناده حسن في الشواهد لأجل عمران القطان.

(٣) صحيح. أخرجه الترمذي ٧٩٤ وأحمد ٥/ ٣٦ و ٣٩ و ٤٠ وابن خزيمة ٢١٧٥ وابن أبي شيبة ٣/ ٧٦ والحاكم ١/ ٤٣٨ وابن حبان ٣٦٨٦ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠١٥ ومسلم ١١٦٥ ح ٢٠٥ والبيهقي ٤/ ٣١٠ و ٣١١ والبغوي ١٨٢٣ وابن حبان ٣٦٧٥.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٠ ومسلم ١١٦٩ والترمذي ٧٩٢ والطحاوي في «المشكل» ٥٤٧٩.

[٧٣٩٧] بما رواه البخاري في صَحِيحه، عن عُبَادة بن الصامت قال: خَرَج رسول الله ﷺ ليُخبرنا بليلة القَدْرِ، فتلاحَى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجتُ لأُخبِرَكُم بليلة القَدْرِ، فتلاحَى فلان وفلان، فَرُفِعَت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمِسُوها في التاسعةِ والسابعةِ والخامسةِ»(١). وَجْهُ الدلالة منه أنها لو لم تكن مُعَيَّنة مُستمِرّة التعيين لما حصل لهم العلمُ بعينها في كل سنة، إذ لو كانت تَنتقِلُ لما عَلِمُوا تَعيُّنها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يُقَال: إنه إنما خَرَج لِيُعلِمَهم بها تلك السنةَ فقط. وقولُه: «فَتَلاحَى فلان وفلان فَرُفِعَت»: فيه استئناسٌ لما يقال: إن المُمَاراة تقطَعُ الفائِدَة والعلم النافع.

[٧٣٩٨] وكما جاء في الحديث: «إنَّ العبد لَيُحرم الرزقَ بالذنب يُصِيبه»(٢). وقولُه: «فَرُفِعت» أي: رُفِع عِلْم تعيينها لكم، لا أنها رُفِعت بالكُلية من الوجود، كما يقوله جَهَلةُ الشِّيعةِ، لأنه قد قال بعد هذا: «فالتمِسُوها في التاسعةِ والسابعةِ والخامسةِ».

وقولُه: «وعَسَى أن يكون خيراً لكم»، يعني عَدَمَ تَعْيينها لكم، فإنها إذا كانت مُبهَمَةً اجتهد طُلاَّبها في ابتغائها في جَمِيع مَحَالِّ رجائها، فكان أكثرَ للعبادةِ، بخلاف ما إذا عَلِمُوا عَيْنَها فإنها كانت الهِمَمُ تَتَقاصر على قيامها فقط. وإنما اقتضت الحكمةُ إبهامَها لتعمّ العبادةُ جميعَ الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهادُ في العشر الأواخر أكثر.

[٧٣٩٩] ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يَعتكِفُ العشرَ الأواخِرَ من رَمَضان، حتى توفاه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ثم اعتكف أزواجُه من بعده(٣). أخرجاه من حديث عائشة.

[٧٤٠٠] ولهما عن ابن عُمَر: كان رسولُ الله ﷺ يَعتكِفُ العشرَ الأواخِرَ من رمَضان(٤).

[٧٤٠١] وقالت عائشة: كان رسولُ الله ﷺ إذا دخل العشرُ أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المِئْزَر(٥) أخرجاه.

[٧٤٠٢] ولمسلم عنها: كان رسولُ الله ﷺ يجتهدُ في العشرِ ما لا يجتهدُ في غَيرِه(٦). وهذا معنى قولها «وشدَّ المِئْزَر». وقيل: المراد بذلك: اعتزالُ النساءِ. ويَحتمِل أن يكونَ كنايةً عن الأمرين.

[٧٤٠٣] لما رَوَاه الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا سُرَيجٌ، حدَّثنا أبو مَعْشَرٍ، عن هِشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا بَقِي عشرٌ من رمضان شَدَّ مِئْزَره، واعتزَلَ نِساءَه(٧). انفرد به أحمد.

وقد حُكِي عن مالك ـ رحمه الله ـ أنَّ جميعَ ليالي العشر في تطلُّبِ ليلةِ القدر على السواء، لا يترجَّح منها ليلةٌ على أخرى. رأيتُه في شرح الرافعي رحمه الله. والمستحبُّ الإكثار من الدُّعاء في جميع الأوقات،

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٣ و ٤٩ و ٦٠٤٩ والطيالسي ٥٧٦ ومالك ١/ ٣٢٠ وأحمد ٥/ ٣١٣ و ٣١٩ وابن حبان ٣٦٧٩.

(٢) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم آية ٧.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٦ ومسلم ١١٧٢ ح ٥ وأبو داود ٢٤٦٢ والترمذي ٧٩١ والنسائي ٢/ ٤٤ ـ ٤٥ وابن ماجه ١٧٧١ وأحمد ٦/ ١٦٧ وابن حبان ٣٦٦٥.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٥ ومسلم ١١٧١ ح ١.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٤ ومسلم ١١٧٤ ح ٧.

(٦) صحيح. أخرجه مسلم ١١٧٥ ح ٨.

(٧) أخرجه أحمد ٦/ ٦٧ وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر، لكن أصل الحديث له شواهد.

وفي شهر رمضان أكثرَ، وفي العشرِ الأخير منه، ثُمَّ في أوتارِه أكثرَ. والمستحبُّ أن يُكثِر من هذا الدعاء: اللهُمَّ، إنك عفوٌّ تُحبُّ العَفو فاعفُ عني.

[٧٤٠٤] لِمَا رواه الإمامُ أحمدُ. حدَّثنا يزيدُ ـ هو ابن هارون ـ حدَّثنا الجُرَيري ـ وهو: سَعِيد بن إياس ـ عن عبد الله بن بُرَيْدَة: أن عائشة قالت: يا رسول الله! إن وافقتُ ليلةَ القدر فما أدعو؟ قال: «قُولي: اللهُمَّ إنك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عني»(١).

[٧٤٠٥] وقد رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق كَهْمَس بن الحسن، عن عبد الله بن بُرَيْدَة، عن عائشة قالت: قلت: يا رسولَ الله! أرأيت أن علمْتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدرِ، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهُمَّ إنك عفُوٌّ تحبُّ العفوَ، فاعفُ عني»(٢). وهذا لفظُ الترمذي، ثم قال: «هذا حديثٌ حَسَن صحيح». وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقال: «هذا صَحِيح على شرط الشيخين».

[٧٤٠٦] ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان الثوري، عن علقمة بن مَرْثَد، عن سليمان بن بُرَيْدَة عن عائشة قالت: [قلت:] يا رسول الله! أرأيت إن وافقتُ ليلةَ القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهُمَّ إنك عَفو تحب العفو، فاعفُ عني»(٣).

ذِكرُ أثرٍ غريب ونبأٍ عجيبٍ، يَتَعلَّق بليلة القدر، رواه الإمامُ أبو محمد بن أبي حاتم، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني، حدثنا سيار بن حاتم، حدَّثنا موسى بن سعيد ـ يعني الراسبيَّ ـ عن هلال بن أبي جَبَلَة، عن أبي عبد السلام، عن أبيه، عن كعب أنه قال: إنَّ سِدْرَة المُنتهى على حَدِّ السماء السابعة، مما يلي الجنة، فهي على حَدِّ هواء الدنيا وهواء الآخرة، عُلوُها في الجنة، وعُرُوقها وأغصانها من تحت الكُرسِيِّ، فيها ملائكةٌ لا يَعْلَم عِدَّتهم إلا الله عزَّ وجلَّ، يَعبُدون الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على أغصانها في كل موضع شَعْرَةٌ منها مَلَكٌ. ومقامُ جبريلَ ـ عليه السلام ـ في وَسَطها، فَيُنادِي الله جبريل أن ينزل في كلِّ ليلةِ قَدْرٍ مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المُنْتهى، وليس فيهم ملك إلا قد أُعطِيَ الرأفة والرحمةَ للمؤمنين، فينزِلُون على جبريلَ في ليلةِ القدرِ، حين تَغرُب الشمس، فلا تبقى بقعةٌ في ليلة القدرِ إلا وعليها مَلَكٌ، إما ساجدٌ وإما قائمٌ، يدعُو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعةٌ أو بيت نار أو وَثَن، أو بعض أماكنكم التي تَطرحُون فيها الخبَثَ، أو بيت فيه سكرانُ، أو بيتٌ فيه مُسكِرٌ، أو بَيتٌ فيه وَثَنٌ منصوبٌ، أو بيت فيه جَرَسٌ مُعلَّق، أو مَبْوَلة، أو مكانٌ فيه كُسَاحة البيت. فلا يزالون ليلتهم تلك يَدْعُون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريلُ لا يَدعُ أحداً من الناس إلا صافحه، وعلامةُ ذلك مَن اقشعَرَّ جلدُه ورقَّ قلبُه ودَمَعت عيناه فإن ذلك من مصافحة جبريل.

وذكر كعب أنَّ من قال في ليلةِ القدر: «لا إله إلا الله»، ثلاثَ مرَّاتٍ، غَفَر الله له بواحدةٍ، ونَجَّاه من النار بواحدةٍ، وأدخله الجنةَ بواحدةٍ. فقلنا لكعب الأحبار: يا أبا إسحاق! صادقاً؟ فقال كعب: وهل يقول «لا إله إلا الله» في ليلةِ القَدْرِ إلا كلُّ صادق؟ والذي نفسي بيدِه إنَّ ليلةَ القدرِ لَتَثقُل على الكافر والمنافِق، حتى كأنها على ظهره جَبَلٌ، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلُعَ الفجرُ. فأول من يصعَد جبريل حتى يكونَ في وجه الأفقِ الأعلى من الشمس، فيبسُط جناحَيه ـ وله جناحانِ أخضَران، لا يَنشُرهما إلاَّ في تلك الساعة ـ فتصيرُ

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٦/ ١٨٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.
(٢) صحيح. أخرجه الترمذي ٣٥١٣ والنسائي في «التفسير» ٧٠٨ وابن ماجه ٣٨٥٠ وإسناده على شرطهما.
(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» ٨٨٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

الشمس لا شُعاع لها، ثم يدعُو مَلَكاً مَلَكاً فيصعد، فيجتمعُ نُور الملائكة ونورُ جناحَي جبريل، فلا تزال الشمس يومَها ذلك مُتحيِّرة، فَيُقِيم جبريلُ ومَن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومَهم ذلك، في دُعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات، ولِمَن صَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً، ودعا لمن حَدَّث نفسه إن عاش إلى قابل صام رَمَضان لله. فإذا أمسوا دَخَلُوا إلى السماء الدنيا، فيجلسون حِلَقاً، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا، فيسألونهم عن رَجُلٍ رجلٍ، وعن امرأةٍ امرأةٍ، فَيُحدِّثونهم حتى يقولوا: ما فعَل فلان؟ وكيف وجدتُموه العام؟ فيقولون: وَجَدنا فلاناً عام أول في هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعاً، ووجدنا فلاناً مبتدعاً ووجدناه العام عابداً. قال: فَيَكُفُّون عن الاستغفار لذلك، ويُقبِلُون على الاستغفارِ لهذا، ويقولون: وَجَدنا فلاناً وفلاناً يذكُران الله، ووجدنا فلاناً راكعاً، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تالياً لكتاب الله. قال: فَهُم كذلك يومَهم وليلَتَهم، حتى يَصعَدُون إلى السماء الثانية، ففي كلِّ سماءٍ يومٌ وليلةٌ، حتى ينتَهُوا مكانَهم من سدرة المنتهى، فتقول لهم سدرةُ المُنتهى: يا سُكَّاني، حَدِّثوني عن الناس وسَمُّوهم لي. فإنَّ لي عليكم حقاً، وإني أُحِبُّ مَن أحبَّ الله. فَذَكر كعبُ الأحبار أنهم يَعدُّون لها، ويحكُون لها الرجلَ والمرأةَ بأسمائهم وأسماء آبائهم. ثم تُقبِلُ الجنةُ على السِّدرة فتقولُ: أخبريني بما أخبَرَكِ سُكَّانك من الملائكة. فَتُخبِرُها، قال: فتقول الجنةُ: رحمةُ الله على فلان، ورحمةُ الله على فلانةَ، اللهم، عَجِّلهم إليَّ، فيبلغ جبريلُ مكانَه قبلَهم، فَيُلهِمُه الله فيقول: وجدتُ فلاناً ساجداً فاغفر له، فَيَغفِر له، فيسمعُ جبريلُ جميع حَمَلةِ العرشِ فيقولون: رحمةُ الله على فلانٍ، ورحمة الله على فلانةَ، ومغفرتُه لفلانٍ، ويقولُ: يا ربِّ! وجدت عَبْدَك فلاناً الذي وجدته عامَ أوَّلَ على السنَّةِ والعبادةِ، ووجدته العامَ قد أحدث حَدَثاً وتولى عما أُمِر به. فيقول الله: يا جبريلُ! إن تاب فَأعْتَبَني قبل أن يموتَ بثلاث ساعات غفرتُ له. فيقولُ جبريلُ: لك الحمدُ إلهي، أنت أرحمُ مِن جميع خَلْقِك، وأنتَ أرحمُ بعبادِكَ من عِبادِكَ بأنفسِهم، قال: فيرتج العرشُ وما حَوله، والحجُبُ والسموات ومَن فيهنَّ، تقولُ: الحمدُ لله الرحيم، الحمد لله الرحيم. قال: وذكر كعبٌ أنه مَن صام رمضانَ وهو يُحَدِّث نفسه إذا أفطَر بعد رمضانَ أن لا يَعصِيَ الله دَخَل الجنة بغير مسألةٍ ولا حسابٍ(١).

آخر تفسير سورة «القدر»، ولله الحمدُ والمِنَّةُ

(١) هذا وما قبله من كلام كعب الأحبار، وقد تلقاه عن أجداده من بني إسرائيل، لا حجة فيه البتة.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

ويقال: سورة لم يكن؛ وهي مدنيّة

[٧٤٠٧] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عَفَّان، حدَّثنا حمادٌ ـ هو ابن سَلَمة ـ أخبرنا علي ـ هو ابنُ زيدٍ ـ عن عمّار بن أبي عَمّار قال: سمعت أبا حَبَّةَ البَدْرِيَّ ـ وهو: مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري ـ قال: لما نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إلى آخرها، قال جبريلُ: يا رسولَ الله! إنَّ ربَّكَ يأمُركَ أن تُقرِئَها أُبياً. فقال النبيُّ ﷺ لأُبيّ: «إنَّ جبريل أمرني أن أُقرِئَكَ هذه السورةَ». قال أُبيٌّ: وقد ذُكِرتُ ثَمّ يا رسولَ الله؟! قال: نعم. قال: فبكى أُبيٌّ[١].

[٧٤٠٨] حديثٌ آخرُ: وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبةُ، سَمِعتُ قتادة يحدِّث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأُبيِّ بن كعب: «إنَّ الله أَمَرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» قال: وَسَمَّاني لك؟ قال: «نعم». فبكى[٢]. وَرَواه البخاريُّ، ومسلم، والترمِذِيُّ، والنَّسائي، من حديث شُعبةَ، به.

[٧٤٠٩] حديثٌ آخرُ: قال الإمام أحمد: حدَّثنا مُؤمَّلٌ، حدَّثنا سُفيان، حدَّثنا أسلَم المِنقَرِيُّ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزَى، عن أبيه، عن أُبَيِّ بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إني أُمِرتُ أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا». قلتُ: يا رسولَ الله! وقد ذُكِرتُ هناك؟ قال: «نعم». فقلتُ له: يا أبا المنذرِ! فَفَرِحتَ بذلك؟ قال: وما يمنعني والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾[٣] [يونس: ٥٨]. قال مُؤمّل: قلت لسفيان: القراءة في الحديث؟ قال: نعم. تَفرَّد به من هذا الوجه.

[٧٤١٠] طريقٌ أخرى! قال أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر وحجَّاج قالا: حدَّثنا شعبةُ، عن عاصم ابن بَهْدَلة، عن زِرِّ بن حُبَيش، عن أُبَيِّ بن كعب قال: إن رسولَ الله ﷺ قال لي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآنَ». قال: فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، قال: فقرأ فيها: «ولو أنَّ ابنَ آدم سألَ وادياً من مالٍ فَأُعطِيه لَسَأل ثانياً، ولو سَأل ثانياً فَأُعطِيه لسأل ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلاَّ الترابُ، ويتوبُ الله على مَن تاب. وإنَّ ذلك الدين عند الله الحَنِيفيَّةُ، غير المُشرِكة، ولا اليهوديَّة، ولا النصرانية. ومَن يفعل خيراً فلن يُكفَرَهُ»[٤]. ورواه الترمذي من حديث أبي داودَ الطَّيالِسِيِّ، عن شُعبةَ، به. وقال: «حسن صحيح».

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٨٩ وفيه علي بن زيد ضعفه الجمهور، ولكن يشهد لحديثه ما بعده.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٣٨٠٨ و ٤٩٥٩ ومسلم ٧٩٩ والنسائي في «التفسير» ٧١١ وأحمد ٣/ ٢٧٣.

(٣) والحديث حسن. أخرجه أحمد ٥/ ١٢٣ وفيه مؤمّل وهو صدوق سيىء الحفظ، وقد توبع، فقد أخرجه أحمد ٥/ ١٢٣ من وجه آخر وفيه عبد الله بن أبزى، وهو مقبول، يصلح للمتابعة.

(٤) حسن. أخرجه أحمد ٥/ ١٣٢ والترمذي ٣٨٩٨ وإسناده حسن لأجل عاصم، وفيه لين، لكن للحديث شاهد بمعناه، أخرجه أحمد ٥/ ٢١٨ ورجاله ثقات.

[٧٤١١] طريق أخرى: قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدَّثنا أحمد بن خُلَيد الحلبي، حدَّثنا محمد بن عيسى الطباع، حدَّثنا مُعاذ بن محمد بن مُعاذ بن أُبَيّ بن كعب، عن أبيه، عن جدِّه، عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المُنذِر! إني أُمِرت أن أعرِضَ عليك القرآن». قال: بالله آمنتُ، وعلى يدك أسلمتُ، ومنك تعلَّمتُ. قال: فردَّ النبيُّ ﷺ القول، فقال: يا رسولَ الله! وذُكِرتُ هناك؟ قال: «نعم، باسمِكَ ونَسَبِك في الملأ الأعلى». قال: فاقرأ إذاً يا رسولَ الله![1]. هذا غريبٌ من هذا الوجه، والثابتُ ما تقدَّمَ. وإنما قرأ عليه النبيُّ ﷺ هذه السورة تَثبيتاً له، وزيادةً لإيمانه، فإنه ـ كما رَوَاه أحمد والنسائي من طريق أنس عنه، ورواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه وأحمدُ عن عَفّان، عن حَمّاد، عن حُمَيد، عن أنسٍ، عن عُبادَةَ بن الصامت، عنه.

[٧٤١٢] ورواه أحمد ومسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدِ الله ابن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عنه ـ كان قد أنكر على إنسانٍ، وهو عبدُ الله بن مسعود، قراءةَ شيءٍ من القرآنِ على خلاف ما أقرأه رسولُ الله ﷺ فرَفعه إلى النبي ﷺ فاستقرأهما، وقال لكلٍّ منهما: «أصبتَ». قال أُبَيٌّ: فأخذني من الشكِّ ولا إذ كنتُ في الجاهلية. فَضربَ رسولُ الله ﷺ في صَدْرِه، قال أُبَيٌّ: فَفِضتُ عَرَقاً، وكأنما أنظُر إلى الله فَرَقاً. وأخبره رسولُ الله ﷺ أن جبريلَ أتاه فقال: إن الله يأمُرك أن تُقرِىءَ أُمَّتك القرآنَ على حرف. فقلتُ: «أسأل الله معافاته ومغفِرَته»، فقال: على حرفين. فلم يَزَل حتَّى قال: إن الله يأمُرك أنْ تُقرِىءَ أُمَّتَكَ القرآنَ على سبعةِ أحرُفٍ[2]. كما قدَّمنا ذكر هذا الحديث بُطرقِه وألفاظه في أول التفسير. فلما نزلت هذه السورةُ الكريمةُ وفيها: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، قرأها عليه رسولُ الله ﷺ قراءةَ إبلاغٍ وتَثبيتٍ وإنذارٍ، لا قراءة تَعَلُّمٍ واستذكارٍ، والله أعلم.

[٧٤١٣] وهذا كما أن عُمَرَ بن الخطاب لما سأل رسولَ الله ﷺ يوم الحُدَيبية عن تلك الأسئلةِ، وكان فيما قال: أولم تكُن تخبرنا أنا سنأتي البيتَ ونَطُوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامَكَ هذا»؟ قال: لا، قال: «فإنك آتيه ومُطوِّفٌ به». فلما رَجعوا من الحُدَيبية، وأنزل الله على النبي ﷺ: «سُورة الفتح»، دَعَا عُمَر بن الخطاب فقرأها عليه، وفيها قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[3] [الفتح: ٢٧]. . الآية، كما تقدَّم.

[٧٤١٤] وروى الحافظ أبو نُعَيْم في كتابه «أسماء الصحابة»، من طريق محمد بن إسماعيلَ الجَعفريِّ المدني: حدَّثنا عبد الله بن سَلَمة بن أسلم، عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن أبي حكيم المَدَني، حدَّثني فُضَيل ـ سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لَيسمَعُ قراءة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فيقول: أبشِر عَبْدِي! فَوعِزَّتي لأُمَكِّنَنَّ لَكَ في الجنة حتى تَرضى»[4]. حديث غريب جداً.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٤٤٧ وفيه محمد بن معاذ، وهو مجهول ولأصل الحديث شواهد، لكن استنكر ابن كثير لفظ «عرض».

(٢) تقدم في المقدمة.

(٣) وتقدم تخريج الحديث فيها.

(٤) إسناده ضعيف جداً، فيه محمد بن إسماعيل الجعفري، وهو منكر الحديث، قاله أبو حاتم، ونقله الذهبي في «الميزان» ٩٢٢٣. وله علة ثانية: فيه عبد الله بن سلمة بن أسلم. ذكره الذهبي في «الميزان» ٤٣٦٣ وقال: قال أبو زرعة: منكر الحديث. وفي رواية: متروك. وانظر ما بعده.

[٧٤١٥] وقد رواه الحافظ أبو موسى المَديني وابن الأثير، من طريق الزهري، عن إسماعيل بن أبي حكيم عن نَظِير المُزَني ـ أو: المَدَني ـ عن النبي ﷺ: إن الله ليسمَعُ قراءةَ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ويقول: أبشر عبدي! فوعِزَّتي لا أنساك على حالٍ من أحوالِ الدنيا والآخرة، ولأُمَكِّنَنَّ لك في الجنة حتى ترضى[١].

فقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤﴾

أما أهل الكتاب فهُم اليهودُ والنصارى، والمشركون عَبَدةُ الأوثان والنيران من العَرَب والعَجَم. وقال مجاهد: لم يكونوا ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يعني: مُنْتهين حتى يَتبيَّن لهم الحقُّ. وكذا قال قتادة: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، أي: هذا القرآن. ولهذا قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ①﴾. ثم فسَّر البَيِّنة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ②﴾، يعني: محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مُكتتبٌ في الملأ الأعلى، في صُحُفٍ مطهرة، كقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ⑬ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ⑭ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑮ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③﴾، قال ابنُ جرير: أي في الصُحُف المطهَّرة كُتُبٌ من الله قَيِّمة: عادلةٌ مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله عزَّ وجلَّ. قال قتادة: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ②﴾، يذكُر القرآن بأحسن الذكر، ويُثني عليه بأحسن الثناء، وقال ابنُ زيد: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③﴾: مستقيمة معتدلة.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④﴾، كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑩⑤﴾ [آل عمران: ١٠٥]، يعني بذلك: أهلَ الكُتب المنزلة على الأمم قبلَنا، بعدما أقام الله عليهم الحُجج والبيِّناتِ تَفرَّقوا واختلَفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كثيراً، كما جاء في الحديث المرويِّ من طُرُقٍ:

[٧٤١٦] «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعينَ فرقةً، وإن النصارى اختلُفوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمةُ على ثلاث وسبعين فرقةً، كلُّها في النار إلا واحدةً». قالوا: من هُم يا رسولَ الله؟! قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ㉕﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ولهذا قال: ﴿حُنَفَاءَ﴾، أي: مُتحنفين عن الشرك إلى

---

(١) إسناده ضعيف جداً كسابقه. ذكره الحافظ في «الإصابة» ٣/ ٥٥٨/ ٨٧٢١ في ترجمة نظير المزني. وقال: ذكره أبو موسى في «الذيل» من طريق محمد بن إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن سلمة عن الزهري عن إسماعيل عن نظير مرفوعاً. وقال الحافظ: وعبد الله بن سلمة، واهي الحديث اهـ وكذا الرواي عنه كما تقدم.

(٢) تقدم تخريجه وهو صحيح.

التوحيد. كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقد تقدَّم تقريرُ الحنيفِ في «سورة الأنعام» بما أغنى عن إعادته ها هنا. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وهي أشرفُ عبادات البَدَن، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، وهي الإحسانُ إلى الفقراءِ والمحاويج. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾. أي: المِلّة القائمة العادلة، أو: الأُمّة المستقيمة المعتدلة. وقد استدلَّ كثيرٌ من الأئمة، كالزُهريِّ والشافعي، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمالَ داخلةٌ في الإيمان. ولهذا قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾

يخبر تعالى عن مآلِ الفُجّار، من كَفَرةِ أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لِكُتُبِ الله المُنزَّلة وأنبياء الله المُرسَلةِ، أنهم يومَ القيامة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ماكثين، لا يحولُون عنها ولا يَزُولون. ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، أي: شَرُّ الخليقة التي بَرَأها الله وذَرأها.

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم، وعَمِلوا الصالحات بأبدانهم، بأنهم خيرُ البرية. وقد استدل بهذه الآية أبو هُريرة وطائفةٌ من العُلماء، على تَفضِيل المُؤمنين من البريّة على الملائكة؛ لقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي: يوم القيامة، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، أي: بلا انفصالٍ ولا انقضاءٍ ولا فراغ. ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ومقامُ رضاه عنهم أعلى مما أُوتُوه من النعيم المُقيم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيما مَنَحهم من الفضل العميم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، أي: هذا الجزاءُ حاصل لمن خَشِي الله واتقاه حَقَّ تقواه، وعَبَده كأنه يَراه، وعلم أنه إن لم يَرَه فإنه يراه.

[٧٤١٧] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا إسحاق بن عيسى، حدَّثنا أبو معشر، عن أبي وهب ـ مولى أبي هُريرة ـ عن أبي هُريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُخبركُم بِخَير البريّة؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله! قال: رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هَيْعَةٌ استوى عليه. ألا أخبركم بخير البريّة. قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «رجل في ثُلّة من غنمه، يُقِيم الصلاة ويُؤتِي الزكاة. ألا أخبركم بِشَرِّ البريّة؟ قالوا: بلى. قال: الذي يسأل بالله، ولا يُعطِي به»[1].

آخر تفسير سورة «لم يكن» ولله الحمدُ والمنّةُ

(١) أخرجه أحمد ٢/١٦٩ وإسناده ضعيف لأجل أبي معشر واسمه نجيح، وأبو وهب مجهول لا يعرف، انظر «المجمع» ٥/ ٢٧٩. والهيعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدوّ.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

وهي مكيّة

[٧٤١٨] قال الإمام أحمد: حَدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثنا سعيدٌ، حدَّثنا عَيَّاش بن عباس، عن عيسى بن هلال الصَّدفيِّ، عن عبد الله بن عَمرو قال: أتى رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله! قال له: «اقرأ ثلاثاً من ذَوَات الر. فقال له الرجل: كَبِرَ سني واشتدَّ قلبي، وغَلُظَ لساني. قال: فاقرأ من ذوات حم». فقال مثل مقالته الأولى، فقال: اقرأ ثلاثاً من المسبّحات. فقال مثلَ مقالته، فقال الرجُل: ولكن أقرئني - يا رسول الله - سورةً جامعةً. فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾. حتى إذا فَرغَ منها قال الرجُل: والذي بَعَثك بالحقِّ لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجُل، فقال رسول الله ﷺ : «أفلح الرُّويجل! أفلح الرُّويجل»! ثم قال: «عَليّ به». فجاءه فقال له: «أُمِرتُ بيوم الأضحى جَعَله الله عيداً لهذه الأمة». فقال له الرجل: أرأيتَ إن لم أجد إلا مَنِيحَة أنثى فأضحي بها؟ قال: «لا، ولكنك تأخذُ من شَعْرِك، وتُقَلِّم أظفارك، وتقص شارِبَك، وتَحلِق عانتك، فذاك تمامُ أضحيتك عند الله عزَّ وجلَّ»[١]. وأخرجه أبو داود والنَّسائي، من حديث أبي عبد الرحمن المقرىء، به.

[٧٤١٩] وقال الترمذي: حدَّثنا محمدُ بن موسى الحَرشي البصري، حدَّثنا الحسن بن سَلْم بن صالح العجْلي، حدَّثنا ثابت البُناني، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ : «مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عُدِلَتْ له بنصف القرآن»[٢]. ثم قال: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سَلْم».

[٧٤٢٠] وقد رواه البزّارُ عن محمد بن موسى الحَرَشيِّ، عن الحسن بن سَلْم، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسولُ الله ﷺ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدل ثُلث القرآن، و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل رُبُع القرآن»[٣]. هذا لفظه.

[٧٤٢١] وقال الترمذي أيضاً: حدَّثنا علي بن حُجْر، حدَّثنا يزيد بن هَارون، حدَّثنا يَمَان بن المغيرة العَنَزِي، حدَّثنا عطاءٌ، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدل نصف القرآن، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدل ثُلُثَ القرآن، و ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تَعْدل رُبُعَ القرآن»[٤]. ثم قال: «غريبٌ، لا نَعرفه إلا من حدِيث يَمَان بن المُغيرة».

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٩٩ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ٧٢١ وأحمد ٢/ ١٦٩ وابن حبان ٧٧٣ وإسناده لا بأس به لأجل عيسى بن هلال، فقد وثقه ابن حبان والفسوي، وروى عنه غير واحد من الثقات، وباقي الإسناد ثقات، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في الإحسان، في حين ذكره الألباني في «ضعيف أبي داود» ٣٠٠.

(٢) إسناده ضعيف لضعف الحسن بن سلم العجلي. وقد ضعفه الترمذي بقوله: غريب.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٨٩٣ وإسناده كسابقه، والوهن فقط فيه ذكر الزلزلة. وأما باقيه فله شواهد تقويه.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٩٤ والحاكم ١/ ٥٦١ وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل يمان ضعفوه. وكذا ضعفه الترمذي بقوله: غريب، قلت: والوهن فقط في ذكر الزلزلة. وإلا فباقيه له شواهد ستأتي.

[٧٤٢٢] وقال أيضاً: حدَّثنا عُقبة بن مُكْرَم العَمِّي البَصري، حدَّثني ابن أبي فُدَيك، أخبرني سَلَمة ابن وَرْدَان، عن أنس بن مالك: أن رسولَ الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوَّجت يا فلان؟!» قال: لا والله يا رسولَ الله! ولا عندي ما أتزوَّج؟! قال: أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟» قال: بلى. قال: «ثُلُث القرآن». قال: «أليس معك: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾»؟ قال: بلى. قال: «رُبُع القرآن». قال: «أليس مَعَك ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾؟» قال: «بلى». قال: «رُبُع القرآن». قال: «أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾»؟ قال: بلى، قال: «ربع القرآن، تَزوَّج، تَزوَّج»[١]. ثم قال: «هذا حديث حسن». تفرَّد بهن ثلاثِتهن الترمذيُّ، لم يَرْوهن غيرُه من أصحاب الكُتُب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

قال ابنُ عباس: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾، أي: تحرَّكت من أسفلها. ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾، يعني: ألقت ما فيها من الموتى. قاله غيرُ واحدٍ من السلف. وهذه كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحج: ١]. . وكقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣ ـ ٤].

[٧٤٢٣] وقال مسلم في صحيحه: حدَّثنا واصلُ بن عبد الأعلى، حدَّثنا محمد بن فُضَيل، عن أبيه، عن أبي حَازم، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبدها أمثال الأُسطوانِ من الذهب والفضة، فيجيء القاتلُ فيقول: في هذا قَتَلْتُ. ويجيء القاطعُ فيقول: في هذا قَطَعْتُ رَحِمي. ويَجيءُ السارقُ فيقول: في هذا قُطِعتْ يَدي، ثم يَدَعُونَه فلا يَأْخُذونَ منه شيئاً»[٢].

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾، أي: استنكر أمرَها هذا بعد ما كانت قارَّةً ساكنةً ثابتةً، وهو مُستقِرٌ على ظهرها، أي: تَقَلَّبت الحالُ، فصارت مُتَحرِّكة مضطربةً، قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أَعَدَّ لها من الزلزال الذي لا مَحيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأوَّلين والآخرين، وحينئذ استنكرَ الناسُ أمرَها وتَبدَّلتِ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ، وبَرَزُوا لله الواحد القهَّارِ. وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾، أي: تُحدِّث بما عمل العاملُون على ظهرها.

[٧٤٢٤] قال الإمام أحمد: حدَّثنا إبراهيم، حدَّثنا ابنُ المبارك ـ وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النَّسائي، واللفظ له: حدَّثنا سُوَيد بن نصر، أخبرنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ عن سعيد بن أبي أيُّوب، عن يحيى بن أبي سُليمان، عن سعيد المقبريِّ عن أبي هُريرة قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾، قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّ أخبارَها أن تشهدَ على كلِّ

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٩٥، وإسناده ضعيف لضعف سلمة بن وردان، وتقدم الكلام عليه.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ١٠١٣ والترمذي ٢٢٠٨ وابن حبان ٦٦٩٧.

عبدٍ وأمة بما عمِلَ على ظهرها، أن تقولَ: عَمِل كذا وكذا، يومَ كذا وكذا. فهذه أخبارها»[(١)]. ثم قال الترمذي: «هذا حديث حَسَنٌ صحيح غريب».

[٧٤٢٥] وفي معجم الطبراني من حديث ابن لَهيعة: حدَّثني الحارث بن يَزيدَ ـ سمع ربيعة الجُرَشي: أن رسول الله ﷺ قال: «تَحفَّظُوا من الأرض فإنها أُمُّكم؛ وإنه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مُخبِرَةٌ»[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾، قال البخاريُّ: «أوحى لها وأوحى إليها، وَوَحى لها وَوَحى إليها، واحدٌ». وكذا قال ابن عباس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾، أي: أوحى إليها. والظاهر أن هذا مُضمَّنٌ: أذِن لها. وقال شَبيبُ بن بِشرٍ، عن عِكْرمة، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾، قال: قال لها ربُّها: قولي، فقالت. وقال مجاهد: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمَرها. وقال القُرَظي: أمرها أن تنشقَّ عنهم. وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، أي: يَرجِعُون عن مَوقفِ الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾، أي: أنواعاً وأصنافاً، ما بين شَقِيٍّ وسَعِيدٍ، مأمورٍ به إلى الجنّةِ، ومأمورٍ به إلى النار. قال ابن جُريج: يَتصدَّعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخرَ ما عليهم. وقال السُّدِّي: ﴿أَشْتَاتًا﴾ فِرقاً. وقولُه تعالى: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أي: لِيَعلموا ويُجازُوا بما عَمِلوه في الدنيا، من خيرٍ وشرٍّ. ولهذا قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

[٧٤٢٦] قال البخاري: حدَّثنا إسماعيلُ بن عبد الله، حدَّثني مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السمَّان، عن أبي هُرَيرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الخيلُ لثلاثةٍ: لرجلٍ أجرٌ، ولرجُلٍ سترٌ، وعلى رَجُلٍ وِزرٌ. فأما الذي له أجرٌ، فرجل رَبَطها في سبيلِ الله فأطال طِيَلَها في مَرْجٍ أو روضة، فما أصابت في طِيَلها ذلك في المَرْجِ والرَّوضةِ كان له حسناتٍ، ولو أنها قَطَعت طِيَلَها فاستنَّت شَرَفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسناتٍ له. ولو أنها مَرَّت بنهر فَشَرِبت منه ولم يُرِد أن يَسقِي به كان ذلك حسناتٍ له، وهي لذلك الرجل أجرٌ. ورجل رَبَطها تَغنّياً وتعففاً، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظُهُورها، فهي له سترٌ. ورجُلٌ رَبَطها فخراً ورئاءً ونِواءً فهي على ذلك وِزرٌ». فسُئل رسولُ الله ﷺ عن الحُمُر، فقال: «ما أنزَل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذَّةَ الجامعة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾»[(٣)]. ورواه مسلمٌ من حديث زيدِ بن أسلَم، به.

[٧٤٢٧] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا يزيد بن هارون، أخبرنا جَريرُ بن حازم، حدَّثنا الحسنُ، عن صعصَعَة بن معاوية، عَمِّ الفرزدق، أنه أتى النبيَّ ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٢٩ و ٣٣٥٣ والنسائي في «التفسير» ٧١٣ وأحمد ٢/ ٣٧٤ والحاكم ٢/ ٢٥٦ ـ ٥٣٢ والبغوي في تفسيره ٤/ ٥١٥ وفي «السنة» ٤٣٠٨. قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي في الموضع الأول، وتعقبه في الموضع الثاني، فقال: يحيىٰ بن أبي سليمان ـ هذا منكر الحديث، قاله البخاري اهـ قلت: ووثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، ولعل حديث مسلم المتقدم يشهد له، وكذا الآتي والله تعالىٰ أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني ٤٥٩٦، وقال الهيثمي في «المجمع» ١/ ٢٤١: فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف اهـ لكن يشهد لما قبله والله أعلم.

(٣) تقدم تخريجه في سورة الأنفال آية ٦٠.

يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾، قال: حسبي! لا أُبالي ألاَّ أسمع غيرها[١]. وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن يونسَ بن محمد المؤدِّب، عن أبيه، عن جَرير بن حازم، عن الحسن البصري قال: حدَّثنا صَعصعةُ عمُّ الفرزدق. . . فذكره.

[٧٤٢٨] وفي صحيح البُخاريِّ، عن عَدِيٍّ مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بِشقِّ تمرة، ولو بكلمة طيبة»[٢].

[٧٤٢٩] له أيضاً وفي الصحيح: «لا تحقِرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغَ من دَلْوِك في إناءِ المُستَسقِي، ولَو أن تَلْقَى أخاك ووجهُكَ إليه مُنبَسِطٌ»[٣].

[٧٤٣٠] وفي الصحيح أيضاً: «يا نساءَ المؤمناتِ، لا تَحقِرَنَّ جارة لجارتها ولو فِرسِنَ شاةٍ»[٤]: يعني ظلفها.

[٧٤٣١] وفي الحديث الآخر: «ردُّوا السائل ولو بِظِلْفٍ مُحرَقٍ»[٥].

[٧٤٣٢] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريُّ، حدَّثنا كَثِير بن زَيدٍ، عن المطلب ابن عبد الله، عن عائشةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: يا عائشةُ! استَتِري من النار ولو بشقِّ تمرةٍ، فإنها تَسُدُّ من الجائع مَسدّها من الشبعان»[٦]. تفرّد به أحمدُ. ورُوِيَ عن عائشة أنها تَصدّقت بِعِنَبَةٍ، وقالت: كم فيها من مثقالِ ذرَّةٍ.

[٧٤٣٣] وقال أحمد: حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير: حدَّثني عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبيَّ ﷺ كان يقول: يا عائشةُ! إيَّاك ومُحقَّرات الذنوبِ، فإن لها من الله طالباً»[٧]. ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سعيد بن مسلم بن بَانَك، به.

[٧٤٣٤] وقال ابنُ جريرٍ: حدَّثني أبو الخطاب الحَسَّاني، حدَّثنا الهيثم بن الربيع، حدَّثنا سِماك بن عطيَّة، عن أيُّوب، عن أبي قِلابةَ، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكُل مع النبي ﷺ فنَزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾، فرفع أبو بكر يَدَه وقال: يا رسول الله! إني أُجزى بما عَمِلتُ من مثقال ذَرَّةٍ من شرٍّ؟ فقال: «يا أبا بكر! ما رأيتَ في الدنيا مما تَكرَه فبمثاقيل ذَرِّ الشر، ويدَّخِرُ الله لك مثاقيل ذَرِّ الخير حتى تُوَفَّاه يوم القيامة»[٨]. ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي الخَطَّاب، به.

---

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٧١٤ وأحمد ٥/ ٥٩ والحاكم ٣/ ٦١٣ والطبراني ٧٤١١ وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٤١ رواه أحمد والطبراني مرسلاً ومتصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١٤١٣ و ١٤١٧ ومسلم ١٠١٦ وأحمد ٤/ ٢٥٦ وابن حبان ٤٧٣.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٢٥٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٥) صحيح. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٢٦٢ والنسائي ٥/ ٨١ وأحمد ٦/ ٤٣٥ ومالك في «الموطأ» ٢/ ٩٣١ والطبراني ٢٤/ ٥٥٥ وابن حبان ٣٣٧٤ وإسناده حسن. وله شواهد.

(٦) أخرجه أحمد ٦/ ٧٩ وإسناده ضعيف، المطلب لم يسمع من عائشة.

(٧) صحيح. أخرجه ابن ماجه ٤٢٤٣ وأحمد ٦/ ٧٠ والدارمي ٢/ ٣٠٣ وابن حبان ٥٥٦٨ وإسناده على شرط البخاري، وله شاهد، أخرجه أحمد ٥/ ١٣٣ من حديث سهل بن سعد وإسناده قوي، وحسنه الحافظ في «الفتح» ١١/ ٢٨٣.

(٨) أخرجه الطبري ٣٧٧٤٧. وإسناده ضعيف لضعف الهيثم بن الربيع. وورد مرسلاً، وهو الآتي، وموصولاً.

[٧٤٣٥] ثم قال ابنُ جرير: حدَّثنا ابن بَشَّار، حدَّثنا عبد الوهاب، حدَّثنا أيُّوبُ قال: في كتاب أبي قِلابَةَ، عن أبي إدريسَ أن أبا بكر كان يأكل مع النبيِّ ﷺ فذكره[١]. ورواه أيضاً عن يعقوب، عن ابن عُلَيَّة، عن أيُّوبَ عن قِلابَةَ: أن أبا بكر... وذكره.

[٧٤٣٦] طريقٌ أخرى، قال ابن جرير: حدَّثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابنُ وهب، أخبرنا حُيَي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾، وأبو بكر الصدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ قاعد، فبكى حين أُنزِلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يُبكيك يا أبا بكر؟!» قال: تُبكِيني هذه السورةُ. فقال له رسول الله ﷺ: «لولا أنكم تُخطِئون وتُذنِبُون، فيغفر الله لكم، لَخَلق الله أمةً يُخطِئُون ويُذنِبون، فيغفِرُ لهم»[٢].

[٧٤٣٧] حديثٌ آخر: قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعَةَ وعلي بن عبد الرحمن بن المُغيرة ـ المعروف بعلاَّن المصري ـ قالا: حدَّثنا عمرو بن خالد الحَرَّاني، حدَّثنا ابنُ لَهيعة، أخبرني هشامُ بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عَطاءِ بن يسار، عن أبي سَعيد الخُدري قال: لما نَزَلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ قلت: يا رسول الله! إني لراءٍ عَمَلي؟ قال: «نَعم». قلتُ: تلك الكبار الكبارَ؟ قال: «نعم». قلت: الصغارَ الصغارَ؟ قال: نعم. قلت: واثُكلَ أُمي؟ قال: «أَبشِر يا أبا سعيد! فإن الحسنةَ بعشر أمثالِها ـ يعني إلى سبعمئة ضعف ـ ويضاعِفُ الله لمن يشاء، والسيِّئةُ بمثلها أو يَغفِرُ الله، ولن يَنجُو أحدٌ منكم بِعَمَله». قلت: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟! قال: «ولا أنا إلا أن يَتَغمَّدني الله منه بِرَحمَةٍ»[٣]. قال أبو زُرْعَة: لم يَرْوِ هذا غيرُ ابن لَهيعة.

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعة، حدَّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَير، حدَّثني ابن لَهيعة، حدَّثني عطاء بن دينار، عن سعِيدُ بن جُبَير في قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، وذلك لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، كان المسلمون يَرَون أنهم لا يُؤجَرون على الشيءِ القليلِ إذا أعطَوه، فيجيءُ المسكينُ إلى أبوابهم فيستقلُّون أن يُعطوه الثمرةَ والكِسْرَةَ والجَوْزَة ونحو ذلك، فَيرِدُّونه ويقولُون: ما هذا بشيءٍ؟ إنما نُؤجر على ما نُعطِي ونحن نُحِبُّه. وكان آخرون يَرون أنهم لا يُلامُون على الذنب اليسير: الكَذْبَة والنظرة والغيبة، وأشباه ذلك، يقولون: إنما وَعد الله النارَ على الكبائر. فَرَغَّبهم في القليل من الخير أن يَعْمَلُوه، فإنه يُوشِكُ أن يكثُرَ، وحَذَّرهم اليسيرَ من الشرِّ، فإنه يُوشِك أن يكثُرَ، فنزلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يعني: وَزْنُ أصغر النمل ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ يعني في كتابه، ويَسُرُّه ذلك. قال: يُكتَب لكل بَرٍّ وفاجرٍ بكلِّ سَيِّئة سيئة واحدةً، وبكلِّ

---

(١) أخرجه الطبري ٣٧٧٤٨ عن أيوب وجادة من كتاب أبي قلابة عن أبي إدريس، وهذا والظاهر أنه الخولاني، وهو مرسل أيضاً. وكرره ٣٧٧٤٩ عن أيوب قال: قرأت في كتاب أبي قلابة... فذكره. وهذا مع إرساله، صيغة التحمل فيه وجادة، وهي أضعف أقسام التحمل في الرواية. وله شاهد وهو الآتي، وهو متصل الإسناد، وشواهد أخرى في الدر المنثور ٦/ ٦٤٦ فهو يتقوىٰ بذلك إن شاء الله.

(٢) أخرجه الطبري ٣٧٧٦٠ والبيهقي في «الشعب» ٧١٠٣ وإسناده حسن، وقال الهيثمي ٧/ ١٤١: فيه حيي بن عبد الله، وثقه يحيى وغيره. ويشهد له مرسل أبي إدريس السابق، وفي الباب أحاديث.

(٣) إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وشيخه هشام بن سعد، ضعيف أيضاً، ولعجزه شواهد في الصحيح.

حَسَنة عشرُ حسناتٍ، فإذا كان يومُ القيامة ضاعَفَ اللّهُ حسناتِ المؤمنين أيضاً، بكلِّ واحدة عشراً، ويمحُو عنه بكل حَسَنةٍ عشرَ سيئات، فمن زادت حسناتُه على سَيئاتِه مثقالَ ذَرّةٍ دَخَل الجنة.

[٧٤٣٨] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا سُليمان بن داودَ، حدَّثنا عِمرانُ، عن قتادةَ، عن عبدِ رَبِّه، عن أبي عياض، عن عبد الله بن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إيَّاكُم ومُحقِّرات الذنوبِ، فإنهم يجتمعنَ على الرجل حتى يُهلِكنه». وإن رسول الله ﷺ ضَرَب لهنَّ مثلاً، «كَمَثل قومٍ نَزَلُوا أرضَ فلاةٍ فَحَضر صَنيع القوم، فجعل الرجُل ينطلِق فيجيء بالعُود، والرجُل يجيء بالعُود، حتى جَمَعوا سواداً، وأجَّجُوا ناراً، وأنضجُوا ما قَذَفوا فيها»[1].

آخر تفسير سورة إذا زُلزِلت، ولله الحمد والمنّةُ

(١) صحيح. أخرجه أحمد ١/٤٠٢ والطبراني ١٠٥٠٠ وفيه عبد ربه بن يزيد، وهو مجهول. وأخرجه أبو يعلى ٥/٢٢ من وجه آخر وفيه إبراهيم الهجري، وهو ضعيف لكن له شواهد، راجع «المجمع» ١٠/١٨٩.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

وهي مكيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ① فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ② فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ⑤ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ⑪﴾

يُقسِم تعالى بالخيل إذا أُجريت في سَبيله فَعَدت وضَبَحَت، وهو: الصوتُ الذي يُسمَع من الفرس حين تعدُو: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ②﴾، يعني: اصطكاكَ نِعالها بالصخر فَتقْدَح منه النار. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ③﴾، يعني الإغارة وقتَ الصباح، كما كان رسول الله ﷺ يغِيرُ صَباحاً وَيَتسمَّع، فإن سَمِع أذاناً وإلا أغارَ. وقوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ④﴾، يعني: غُباراً في مُعترَك الخيول. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ⑤﴾، أي: تَوَسَّطن ذلك المكان كُلُّهن جُمَعُ. قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا عَبْدَةُ، عن الأعمشِ، عن إبراهيمَ، عن عبد الله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾، قال: الإبلُ. وقال عليٌّ: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيلُ. فَبَلغ عليًّا قولُ ابنِ عباس، فقال: ما كانت لنا خيلٌ يوم بَدْرٍ. قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سَرِيَّة بُعِثت.

قال ابن أبي حاتم وابنُ جَرير: حدَّثنا يونس، أخبرنا ابنُ وهب، أخبرني أبو صَخْرٍ، عن أبي مُعاوية البَجَلي، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس حَدَّثه قال: بينا أنا في الحِجْر جالساً جاءني رَجُلٌ فسألني عن: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾، فقلت له: الخيلُ حين تُغِير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فَيَصنعُون طعامعهم، ويُورُون نارهم. فانفتل عني فذهبَ إلى علي ـ رضي الله عنه ـ وهو عند سِقاية زَمْزَمَ، فسأله عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾، فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألتُ ابنَ عباس فقال: الخيلُ حين تُغِير في سبيل الله. قال: اذهب فادعُه لي. فلما وَقَف على رأسِه قال: تُفتِي الناس بما لا عِلْمَ لك، والله لَئِن كان أَوَّلَ غَزْوَةٍ في الإسلام بدرٌ، وما كان معنا إلا فَرَسان، فَرَس للزُبَير، وفَرَس للمقدادِ فكيف تكونُ العادياتِ ضَبْحاً؟ إنما العاديات ضَبْحاً من عَرَفَة إلى المزدلفة، ومن المُزدلفة إلى مِنًى. قال ابنُ عباس: فَنَزعتُ عن قَولي وَرَجعْتُ إلى الذي قال عليٌّ، رضي الله عنه[1]. وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قال عليٌّ: إنما ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ من عَرَفَة إلى المُزدَلِفة، فإذا أوَوا إلى المُزدَلِفة أوْرَوُا النيرانَ. وقال العَوفيُّ وغيره عن ابن عباس: هي الخيلُ.

---

(١) في إسناد هذا الأثر أبو معاوية البجلي، قال الذهبي في «الميزان» ١٠٦١٩: يقال هو والد عمار الدهني، وفيه جهالة اهـ وسياق الآيات يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس والجمهور. وهذا الأثر لا يصح عن علي لجهالة البجلي هذا، ثم إن الإبل لينة الخفاف لا تقدح أثناء سيرها بخلاف الخيل. وكذلك الغارة على الأعداء إنما يكون بواسطة الخيل لا الإبل، فإن الإبل تسير هويناً على الأرض، فتنبه، والله أعلم.

وقد قال بقولِ عليٍّ: إنها الإبلُ، جماعة منهم: إبراهيمُ، وعُبَيد بن عمير. وبقول ابن عباس آخرون، منهم: مجاهدٌ، وعِكْرِمَةُ، وعطاءٌ، وقتادةُ، والضحّاك. واختاره ابن جرير. قال ابنُ عباسٍ، وعطاءٌ: ما ضَبَحت دابة قط إلاّ فَرَسٌ أو كَلْبٌ. وقال ابن جُرَيج، عن عطاء: سَمِعت ابنَ عباس يصف الضبح: أَحْ أَحْ. وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾، يعني: بحوافرها. وقيل: أَسْعَرْنَ الحربَ بين رُكبانهنَّ. قاله قتادة. وعن ابن عبّاس ومُجاهدٍ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾، يعني: مَكْرَ الرجالِ. وقيل: هو إيقاد النار إذا رَجَعُوا إلى منازلهم من الليل. وقيل: المراد بذلك: نيران القبائل. وقال من فسرها بالخيل: هو إيقادُ النارِ بالمزدلفة. قال ابنُ جرير: والصوابُ الأول، أنها الخيلُ حين تقدَحُ بحوافرها. وقولُه: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادةُ: يعني إغارةَ الخيل صُبحاً في سبيل الله. وقال من فسّرها بالإبل: هو الدفعُ صبحاً من المزدلفة إلى منًى. وقالوا كُلُّهم في قوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ هو: المكان الذي حَلَّت فيه، أثارت به الغُبَار إما في حَجٍّ أو غَزْوٍ. وقولُه تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾، قال العَوفي، عن ابن عباس، وعطاءٌ، وعكرمةُ، وقتادةُ، والضحاكُ: يعني جَمعَ الكُفّار من العدو. ويَحتمِلُ أن يكون: فوسَطْنَ بذلك المكان جَميعُهُن، ويكون ﴿جَمْعًا﴾ منصوباً على الحال المؤكدة.

[٧٤٣٩] وقد روى أبو بكر البزّار ها هنا حديثاً [غريباً جداً] فقال: حدَّثنا أحمد بن عَبْدَة، حدَّثنا حفصُ بن جُمَيع، حدَّثنا سِماكٌ، عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال: بَعَث رسولُ الله ﷺ خيلاً فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبرٌ، فنزلت: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾، ضَبَحت بأرجُلها، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾، قدحت بحوافرها الحجارةَ فأورَتْ ناراً، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾: صَبَّحت القومَ بغارةٍ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾، أثارت بحوافِرِها الترابَ، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾، قال: صَبَّحتِ القومَ جميعاً[١]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾، هذا هو المُقسَمُ عليه، بمعنى أنه لِنِعَم ربِّه لَجَحُودٌ كَفُورٌ. قال ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وإبراهيم النخَعي، وأبو الجَوزاء، وأبو العالية، وأبو الضُحَى، وسعيد بن جُبَير، ومحمد بن قيس، والضحّاك، والحسنُ، وقتادةُ، والربيعُ بن أنس، وابنُ زيدٍ: الكَنُودُ الكفورُ. قال الحسن: هو الذي يَعُدُّ المصائِبَ، وينسَى نِعَمَ ربِّه عليه.

[٧٤٤٠] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو كُرَيب، حدَّثنا عُبَيد الله، عن إسرائيلَ، عن جعفر بن الزبَير، عن القاسم، عن أبي أُمامَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾، قال: الكفورُ الذي يأكُل وحدَه، ويضربُ عبدَه، ويمنع رِفْدَه»[٢]. ورواه ابنُ أبي حاتم: من طريق جعفر بن الزُبير، وهو متروك. فهذا إسنادٌ ضعيفٌ. وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حَرِيز بن عثمان، عن حَمْزَة بن هانىء، عن أبي أُمامة موقوفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾، قال قتادةُ وسفيان الثوريُّ: وإن الله على ذلك لشهيدٌ. ويحتملُ أن يعودَ الضميرُ على الإنسان، قاله محمد بن كعب القُرَظي. فيكون تقديره: وإن الإنسانَ على كونِه كَنُوداً لَشَهِيدٌ، أي: بِلسانِ حاله. أي: ظاهرٌ ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن

(١) أخرجه البزار ٢٢٩١، وقال الهيثمي في «المجمع» ٥/ ١١٥: فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف.

(٢) المرفوع ضعيف جداً، والصواب موقوف، أخرجه الطبراني ٧٧٧٨ و ٧٩٥٨ بهذا الإسناد وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥١٦: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف. وفي الآخر من لم أعرفه اهـ وفيه القاسم بن عبد الرحمن ضعيف الحديث، روى مناكير كثيرة.

يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]. وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾، أي: وإنه لحب الخير، وهو المالُ، لشديدٌ. وفيه مذهبان: أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديدُ المحبّة للمالِ. والثاني: وإنه لحريصٌ بخيلٌ؛ من مَحَبَّةِ المال. وكلاهُما صحيحٌ. ثم قال تعالى مُزَهِّداً في الدنيا، ومُرَغِّباً في الآخرة، ومُنَبِّهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبِلُه الإنسان من الأهوال: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾، أي: أُخرِجَ ما فيها من الأموات. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾، قال ابن عباس وغيرُه: يعني أُبرزَ وأُظهِرَ ما كانوا يُسِرُّون في نُفُوسِهم، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾، أي: لَعَالِمٌ بِجَميع ما كانوا يَصنَعُون ويعمَلُون، ومجازيهم عليه أوْفَرَ الجزاءِ، ولا يَظلِمُ مِثقَالَ ذَرَّةٍ.

آخر سورة «العاديات» ولله الحمد والمنَّةُ

سُورَةُ القَارِعَة

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

وهي مكيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ① مَا ٱلْقَارِعَةُ ② وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑥ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑧ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ⑪﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: من أسماء يوم القيامة، كالحاقّة والطامّة والصاخّة والغاشية، وغير ذلك. ثم قال تعالى مُعظِّماً أمرها ومُهَوِّلاً لشأنها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ③﴾، ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ④﴾، أي: في انتشارهم وتفرُّقهم، وذَهابهم ومَجيئهم، من حيْرَتهم مما هم فيه، كأنّهم فراشٌ مبثوثٌ. كما قال في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وقولُه تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ⑤﴾، يعني: قد صارت كأنها الصوفُ المنفوشُ، الذي قد شرَع في الذَّهاب والتمزُّق. قال مجاهدٌ، وعكرمةُ، وسعيد بن جُبَير، والحسنُ، وقتادةُ، وعطاءُ الخُراساني، والضحَّاك، والسُدِّي: «العهن»: الصُّوفُ. ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عملُ العاملين، وما يَصيرون إليه من الكَرامة أو الإهانة، بِحَسَب أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑥﴾، أي: رَجَحت حسناتُه على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⑦﴾، يعني: في الجنّة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⑧﴾، أي: رَجَحت سيِّئاته على حَسَناته. وقولُه تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ⑨﴾، قيل: معناه: فهو ساقطٌ هاوٍ بأُمِّ رأسِهِ في نار جهنّم، وعَبّر عنه بأُمِّه، يعني دماغَه، رُوي نحو هذا عن ابن عباس، وعِكرمة، وأبي صالح، وقتادة، قال قتادة: يَهْوِي في النار على رأسه. وكذا قال أبو صالح: يَهْوُون في النار على رُؤوسهم. وقيل: معناه: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ التي يرجع إليها، ويَصِير في المعاد إليها ﴿هَاوِيَةٌ﴾، وهي اسمٌ من أسماء النار. قال ابنُ جرير: وإنما قيل للهاوية: أمه، لأنه لا مأوى له غيرها. وقال ابنُ زيدٍ: الهاويةُ: النارُ، هي أمُّه ومَأْواه التي يَرْجع إليها ويَأْوِي إليها، وقَرأ: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾. قال ابنُ أبي حاتم: ورُوِي عن قتادةَ أنه قال: هي النارُ، وهي مأواهم. ولهذا قال تعالى مُفسِّراً للهاوية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

قال ابنُ جَرير: حدَّثنا ابنُ عبد الأعلى: حدَّثنا ابنُ ثَور، عن مَعْمَر، عن الأشعثِ بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمِنُ ذُهَب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوِّحوا أخاكم فإنه كان في غَمِّ الدنيا. قال: ويسألونه: ما فعل فلانٌ؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذُهِب به إلى أمه الهاوية. وقد رَوَاه ابن

مَرْدُويه من طريق أنسِ بن مالك مرفوعاً، بأبسَطِ من هذا، وقد أوردناه في كتاب صفة النار، أجارنا الله منها بمنّه وكَرَمه. وقولُه تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾، أي: حارّة شديدةُ الحرّ، قَوِيّة اللَّهِيب والسَّعِير.

[٧٤٤١] قال أبو مُصعَبٍ، عن مالكٍ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيْرَة: أن النبيَّ ﷺ قال: «نارُ بني آدم التي تُوقِدُون جزءٌ من سبعينَ جزءاً من نارِ جَهَنَّم». قالوا: يا رسول الله! إن كانت لكافيةً! فقال: «إنها فُضِّلت عليها بتسعةٍ وستِّين جزءاً»[١]. ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أُوَيسٍ، عن مالك.

[٧٤٤٢] ورواه مسلم عن قُتَيبة، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، به. وفي بعض ألفاظه: «إنها فُضِّلت عليها بتسعةٍ وستِّين جزءاً كُلُّهن مثل حرِّها»[٢].

[٧٤٤٣] وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن، حدَّثنا حَمَّاد ـ وهو ابنُ سَلَمة ـ عن محمد بن زياد ـ سمع أبا هُرَيْرَة يقول: سَمِعتُ أبا القاسم ﷺ يقول: «نارُ بني آدَمَ التي تُوقِدُون جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جَهَنَّم». فقال رجل: إن كانت لكافيةً! فقال: «لقد فُضِّلت عليها بتسعة وستين جُزءاً حَرّاً فَحَرّاً»[٣]. تفرَّد به أحمدُ من هذا الوجهِ، وهو على شَرْطِ مُسلِم.

[٧٤٤٤] وقال الإمامُ أحمدُ أيضاً: حَدَّثنا سفيانُ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبيِّ ﷺ ـ وعمرو، عن يحيى بن جَعْدَة ـ «إنَّ ناركُم هَذِه جزءٌ من سبعين جُزءاً من نار جَهَنَّم، وضُرِبَتْ بالبحر مَرَّتين، ولولا ذلك ما جَعَل الله فيها مَنْفَعَةً لأحدٍ»[٤]. وهذا على شرط الصحيحين، ولم يُخرِجُوه من هذا الوجه. وقد رواه مسلمٌ في صحيحه من طريق[٥].

[٧٤٤٥] ورواه البزَّار من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخُدْرِي: «ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً»[٦].

[٧٤٤٦] وقد قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا قُتَيبة، حدَّثنا عبدُ العزيز ـ هو ابن محمد الدَّراوَرْدِيُّ ـ عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبيِّ ﷺ قال: «هذه النارُ جزءٌ من مئةِ جزءٍ من جَهَنَّم»[٧]. تفرَّد به أيضاً من هذا الوجه، وهُو على شَرْطِ مُسلم أيضاً.

[٧٤٤٧] وقال أبو القاسم الطَّبراني: حدَّثنا أحمد بن عمرو الخَلَّال، حدَّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزَامي، حدَّثنا مَعْنُ بن عيسى القَزّاز، عن مالك، عن عَمِّه أبي سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتدرُون ما مَثَلُ نارِكم هذه من نار جَهَنَّم؟ لَهي أشدُّ سواداً من دُخانِ نارِكم هذه بسبعين ضعفاً»[٨]. وقد رواه أبو مصعب، عن مالك... ولم يَرْفَعه.

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الواقعة آية ٧١.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٤٣ وتقدم.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٢/٤٦٧ وإسناده على شرط مسلم كما ذكر ابن كثير رحمه الله.

(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٢/٢٤٤ وإسناده على شرطهما كما قال الحافظ ابن كثير.

(٥) بياض في سائر النسخ.

(٦) صحيح. أخرجه البزار ٢/٢٢ و ٣٤٩٠ والطبراني ١٠٥٣٢ وفيه عبيد بن إسحق وهو ضعيف، لكن للحديث شواهد منها المتقدم، والآتي.

(٧) صحيح. أخرجه أحمد ٢/٣٧٩ وإسناده على شرط مسلم كما قال الحافظ.

(٨) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٤٨٩ ورجاله رجال البخاري ومسلم، لكن روي موقوفاً، ولعله أصح، فالمشهور في التضعيف سبعين مرة هو الحرارة لا السواد، والله أعلم.

[٧٤٤٨] وروى الترمِذيُّ وابنُ ماجه، عن عباس الدُوريِّ، عن يحيى بن أبي بُكَير، حدَّثنا شَرِيك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُوقِد على النار ألف سنةٍ حتى احمرَّت، ثُمّ أُوقِد عليها ألف سنةٍ حتى ابيضَّت، ثم أُوقِد عليها ألف سنةٍ حتى اسودّت، فهي سَوْدَاء مُظلِمةٌ»[١]. وقد رُوِي هذا من حديث أنسٍ وعُمَر بن الخطاب.

[٧٤٤٩] وجاء في الحديث ـ عند الإمام أحمد ـ من طريق أبي عثمان النَّهدِيِّ، عن أنس ـ وأبي نَضْرَة العَبْدِي، عن أبي سعيد، وعَجْلان مولى المُشْمَعِلّ، عن أبي هُرَيْرَة ـ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إن أهوَنَ أهلِ النارِ عذاباً من له نَعلانِ يَغْلي منهما دِمَاغُه»[٢].

[٧٤٥٠] وثَبَت في الصحيح أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اشتكت النارُ إلى ربها فقالت: يا ربِّ! أَكَل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفَسَين: نفسٌ في الشتاء، ونفسٌ في الصيفِ. فأشدُ ما تجدُون في الشتاء من بَرْدِها، وأشدُ ما تَجدُون في الصيف من حَرِّها»[٣].

[٧٤٥١] وفي الصحيحين: «إذا اشتدَّ الحرُ فَأبرِدُوا عَنِ الصلاة، فإنَّ شدّة الحر من فِيْح جَهَنَّم»[٤].

آخر تفسير سورة القارعة، ولله الحمد والمنة

(١) أخرجه الترمذي ٢٥٩١ وابن ماجه ٤٣٢٠ وإسناده ضعيف، شريك ساء حفظه لما تولى القضاء، وكرره الترمذي عن أبي هريرة موقوفاً، وقال: هو أصح.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٤٣٢ ورجاله ثقات، وله شواهد.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٧ و ٣٢٦٠ ومسلم ٦١٧ ح ١٨٥ والترمذي ٢٥٩٢ وابن ماجه ٤٣١٩ وأحمد ٢/ ٤٦٢ وابن حبان ٧٥٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٣٦ ومسلم ٦١٥ ح ١٨٣ ومالك ١/ ١٦ وأحمد ٢/ ٢٢٩ و ٢٥٦ و ٣٤٨ وابن حبان ١٥٠٦ من حديث أبي هريرة.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

آياتها ٨ — ترتيبها ١٠٢

وهي مكيّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

يقولُ تعالى: شَغَلكُم حبُّ الدنيا ونعيمُها وزَهرتُها عن طَلَبِ الآخرة وابتغائها، وتَمادى بكُم ذلك حتّى جاءكم الموتُ وزرتُم المقابر، وصرتم من أهلها!

[٧٤٥٢] قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا زكريا بنُ يحيى الوَقّار المصري، حدّثني خالد بن عبد الدائم، عن ابن زيد بن أسلَم، عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ عن الطاعة، ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾: حتى يأتيكم الموت»(١). وقال الحسنُ البصري: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ في الأموالِ والأولادِ.

[٧٤٥٣] وفي صحيح البخاريِّ، في «الرقاق» منه: وقال لنا أبو الوليد: حدّثنا حَمّاد بن سَلَمة، عن ثابتٍ، عن أنس بن مالك، عن أُبيِّ بن كعب قال: كُنّا نَرَى هذا من القرآن حتى نَزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، يعني: لو كان لابنِ آدَمَ وادٍ من ذهب(٢).

[٧٤٥٤] وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبةُ: سَمِعت قتادةَ يُحدِّث عن مُطَرِّف ـ يعني ابنَ عبد الله بن الشِّخِّير ـ عن أبيه قال: انتهيتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو يقولُ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾، يقول ابنُ آدَم: مالي مالي. وهل لك من مالِكَ إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لَبِستَ فأبليتَ، أو تَصَدَّقت فأمضيتَ؟»(٣). ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من طريق شُعبَةَ، به.

---

(١) لا أصل له عن رسول الله ﷺ، وحسبه أن يكون من كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ـ المفسّر ـ لا يتعداه. وهو مُعلول بعلل عدة، الأولى الإرسال. والثانية: ابن زيد سواء كان عبد الرحمن أو عبد الله أو أسامة فقد قال ابن معين: أولاد زيد ليسوا بشيء. وعلة ثالثة: خالد بن عبد الدائم ضعفه ابن حيان واتهمه، وعلة رابعة وهي الأسوأ، زكريا بن يحيى المصري الوقّار، كذبه صالح جزرة، وقال: كان من الكذابين الكبار. وقال ابن عدي: يضع الحديث.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٤٠.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٣/٢٩٥٨ والترمذي ٢٣٤٢ و ٣٣٥٤ والنسائي في «السنن» ٣٦١٣ وفي «التفسير» ٧١٦ وأحمد ٤/٢٤.

[٧٤٥٥] وقال مُسلِمٌ في صحيحه: حدَّثنا سُويدُ بن سعيدٍ، حدَّثنا حفصُ بن مَيْسَرة، عن العَلاءِ، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي! وإنما له من ماله ثلاثٌ: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلَى، أو تَصدَّق فاقتنى، وما سِوَى ذلك فذاهبٌ وتاركُه للناس»[١]. تفرَّدَ به مُسلِمٌ.

[٧٤٥٦] وقال البخاري: حدَّثنا الحُمَيدي، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزم، سَمِع أنس بن مالك يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: «يَتْبَع الميتَ ثلاثةٌ، فيرجعُ اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجعُ أهلُه ومالُه، ويبقى عَمَلُه»[٢]. وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عُيَينة، به.

[٧٤٥٧] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا يحيى، عن شُعبةَ، حدَّثنا قتادةَ، عن أنس: أن النبيَّ ﷺ قال: «يَهْرَم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرصُ والأمل»[٣]. أخرجاه في الصحيحين. وقد ذكر الحافظ ابنُ عساكر في ترجمة الأحنفِ بن قَيسٍ، واسمه الضحَّاك، أنه رأى في يَدِ رجلٍ درهماً فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي. فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر وابتغاءَ شُكرٍ. ثم أنشد الأحنف مُتَمثِّلاً قول الشاعر:

أنتَ للمال إذا أمسكتَه ... فإذا أنفقتَه فالمالُ لَك

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا أبو أسامة: قال صالح بن حيان: حدَّثني عن ابن بُرَيْدَة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، قال: نَزَلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخَرُوا وتكاثَرُوا، فقالت إحداهما: فيكُم مثلُ فُلان بنِ فُلانٍ وفلانٍ؟ وقال الآخرون مثلَ ذلك، تفاخَرُوا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القُبور. فَجَعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثلُ فلان؟ يُشِيرون إلى القَبر، ومثل فلان؟ وفعل الآخَرُون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرةٌ وشغلٌ. وقال قتادةُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، كانوا يقولون: نحن أكثَرُ من بني فلان، ونحن أعَدُّ من بني فلان. وهم كلَّ يوم يتساقطون إلى آخرِهم، والله ما زالوا كذلك حتى صَاروا من أهل القبور كلُّهم. والصحيحُ أن المُراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، أي: صِرتُم إليها ودُفِنتم فيها.

[٧٤٥٨] كما جاء في الصَّحيح أن رسول الله ﷺ دَخَل على رَجُلٍ من الأعراب يَعُوده، فقال: «لا بأس، طَهُورٌ إن شاء الله». فقال: قلتَ: طَهُور؟! بل هي حُمَّى تَفُور، على شيخٍ كَبير، تُزِيرُه القُبور! قال: «فَنَعَم إذاً»[٤].

[٧٤٥٩] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعَةَ، حدَّثنا محمد بن سَعيد الأصبهانيُّ، أخبرنا حكام بن سَلْم الرازيُّ، عن عمرو بن أبي قَيس، عن الحَجَّاج، عن المِنهال، عن زِرِّ بن حُبَيش، عن علي قال: ما زِلْنا نَشُكُّ في عذابِ القبر حتى نَزَلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[٥]. وَرَواه التِّرمذي عن أبي كُرَيب، عن حكام بن سلم، وقال: «غريب».

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٥٩ ح ٤.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٦٥١٤ ومسلم ٢٩٦٠ والترمذي ٢٣٧٩ والنسائي ٢٠٦٤ وابن حبان ٣١٠٧.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١١٥ والبخاري ٦٤٢١ ومسلم ١٠٤٧ والطيالسي ٢٠٠٥ وأبو يعلى ٢٩٧٩ و ٣٠١٠ وابن حبان ٣٢٢٩.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٦٢٢ والطبراني ١١٩٥١ وابن حبان ٢٩٥٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٥٥ وإسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثني أبي، حدثنا سلمة بن داود العُرَضِيّ، حدثنا أبو المليح الرَّقِّي، عن ميمون بن مِهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾، فلبث هُنَيْهةً فقال: يا ميمونُ ما أرَى المقابرَ إلا زيارةً، وما للزائر بُدٌّ مِن أن يرجع إلى مَنْزِله. قال أبو مُحمَّد: يعني أن يَرْجِع إلى منزله، أي: إلى جنةٍ أو نارٍ، وهكذا ذُكِر أن بعضَ الأعراب سَمِعَ رجلاً يتلُو هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾، فقال: بُعِثَ اليومَ وربِّ الكعبة! إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره.

وقولُه تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال الحسن البصريُّ: هذا وَعِيدٌ بعدَ وَعِيدٍ. وقال الضَّحاكُ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾، يعني: الكفار ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ يعني: أيها المؤمنون. وقولُه تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾، أي: لو عَلِمتُم حقَّ العلم لما ألهاكم التكاثُر عن طَلَبِ الدار الآخرة، حتى صِرتُم إلى المقابر. ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾، هذا تفسيرُ الوعيدِ المتقدِّم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ توعدهم بهذا الحال، وهي رؤية النارِ التي إذا زَفَرت زفرةً خَرَّ كلُّ مَلَكٍ مُقرَّب، ونَبِيٍّ مُرسَل على رُكبَتيه، من المهابةِ والعَظمة ومُعَاينة الأهوالِ، على ما جاء به الأثرُ المرويُّ في ذلك. وقولُه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، أي: ثم لَتُسألُنَّ يومئذٍ عن شُكرِ ما أنعم الله به عليكُم، من الصحَّةِ والأمنِ والرزقِ وغير ذلك. ما إذا قابلتُم به نِعَمَه من شُكرِه وعبادتِهِ.

[٧٤٦٠] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرْعة، حدَّثنا زكريا بن يحيى الخزاز المقرىءُ، حدَّثنا عبد الله بن عيسى أبو خَلَفٍ الخزاز، حدَّثنا يونس بن عُبَيد، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس أنه سَمِعَ عُمَر بن الخطاب يقول: خَرَج رسولُ الله ﷺ عند الظهيرة، فوجَد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجَك هذه الساعة؟» قال: أخرجني الذي أخرجكَ يا رسولَ الله! قال: وجاء عُمَر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا بنَ الخطَّابِ؟» قال: أخرجَني الذي أخرجكما. قال: فَقَعد عُمَر، وأقبل رسولُ الله ﷺ يُحدِّثُهما، ثم قال: «هل بكما من قُوَّة، تنطلقان إلى هذا النخلِ فَتُصِيبان طعاماً وشراباً وظِلاًّ؟» قلنا: نعم. قال: «مُرُّوا بنا إلى مَنْزِل ابن التَّيِّهان أبي الهَيْثَم الأنصاريِّ». قال: فتقدَّم رسولُ الله ﷺ بين أيدينا، فَسلَّم واستأذن ـ ثلاث مرَّاتٍ ـ وأمُّ الهيثم من وراءِ البابَ تسمَعُ الكلام، تُريد أن يَزيدها رسولُ الله ﷺ من السلام، فلما أراد أن ينصرِفَ خَرَجت أم الهيثم تسعَى خَلْفَهُم، فقالت: يا رسولَ الله! قد ـ والله ـ سَمِعتُ تسليمَكَ، ولكن أردتُ أن تَزِيدنا من سلامِكَ. فقال لها رسول الله ﷺ: «خيراً». ثم قال: «أين أبو الهيثم لا أراه؟» قالت: يا رسولَ الله! هو قَرِيبٌ ذهب يستعذِبُ الماء، ادخلُوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله. فبسَطَت بساطاً تحت شجرةٍ، فجاء أبو الهيثم فَفرِحَ بهم، وقَرَّت عيناه بهم، فَصَعِد على نخلة فصَرم[١] لهم أعذاقاً، فقال له رسولُ الله ﷺ: «حَسْبُكَ يا أَبَا الهيثم!» قال: يا رسولَ الله! تأكُلون من بُسرِه، ومن رُطَبِه، ومن تَذْنُوبه. ثم أتاهم بماءٍ فَشَرِبُوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تُسألُون عنه»[٢]. هذا غريب من هذا الوجه.

[٧٤٦١] وقال ابنُ جَرِيرٍ: حدَّثني الحُسين بن علي الصُّدَائي، حدَّثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كَيْسَانَ، عن أبي حازم عن أبي هُرَيرة قال: بينما أبو بكر وعُمَر جالسان إذ جاءهما النبيُّ ﷺ فقال: «ما أجلسكما ها هنا؟» قالا: والذي بَعَثَك بالحقِّ ما أخرجنا من بُيوتنا إلا الجُوع. قال: «والذي بَعَثني بالحقِّ ما

---

(١) صرم النخل والشجر: جزُّه. والعذق: قنو النخلة، أي عنقود البلح.

(٢) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عيسى، لكن أصل الحديث محفوظ بما بعده.

أخرجني غيره». فانطلقوا حتى أتوا بيت رَجُلٍ من الأنصار. فاستقبلتهم المرأةُ، فقال لها النبيُّ ﷺ: «أينَ فلانٌ؟» فقالت: ذهب يَسْتَعذِبُ لنا ماءً. فجاء صاحبُهم يحمل قِربَتَه فقال: مرحباً، ما زار العبادَ نَبِيٌّ أفضلَ من نَبِيٌّ زارني اليوم! فعلق قِرْبَتَه بكَرَبِ نخلة، وانطلق فجاءهم بِعِذْق، فقال النبي ﷺ: «ألا كنت اجتنيت؟» فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم. ثم أخذ الشفرَة، فقال النبي ﷺ: «إياك والحلوبَ؟» فَذَبح لهم يومئذٍ، فأكلوا. فقال النبيُّ ﷺ: «لَتُسأَلُنَّ عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوعُ، فلم تَرجِعُوا حتى أصبتُم هذا، فهذا من النَّعيم»[١]. ورواه مسلمٌ من حديث يزيدَ بن كيسان، به؛ ورواه أبو يَعْلَى وابن ماجه، من حديث المُحَارِبيّ عن يحيى بن عُبَيد الله، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَة، عن أبي بكر الصديق، به. وقد رَوَاه أهلُ السنَن الأربعةِ، من حديث عبد الملك بن عُمَير، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُرَيْرة، بنحوِ من هذا السياق وهذه القصّةِ.

[٧٤٦٢] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا سُرَيج، حدَّثنا حَشرَجُ، عن أبي نُصَيرة، عن أبي عَسِيب ـ يعني مولى رسول الله ـ قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ ليلاً فمرّ بي، فدعاني فخرجتُ إليه، ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فَخَرج إليه، ثم مرّ بِعُمَر فدعاه فخرج إليه. فانطلق حَتَّى دَخَل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطْعِمنا». فجاء بِعِذْق فوضعه، فأكل رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، ثم دعاء بماءٍ باردٍ فَشَرِبَ، وقال: «لَتُسأَلُنَّ عن هذا يومَ القيامة». قال: فأخذ عُمَرُ العِذْقَ فَضَرب به الأرض حتى تناثر البُسرُ قِبَلَ رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسولَ الله! إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نَعَم، إلا من ثلاثة: خرقة كفَّ بها الرجُل عَوْرَتَه، أو كِسْرَة سَدّ بها جَوْعَته، أو جُحْرٍ يَتدخَّل فيه من الحرّ والقَرّ»[٢]. تفرّد به أحمد.

[٧٤٦٣] وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا عبدُ الصمد، حدَّثنا حمّاد، حدَّثنا عَمّار، سَمِعتُ جابر بن عبد الله يقول: أكلَ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رُطَباً، وشَرِبُوا ماء، فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»[٣]. ورَواه النسائي، من حديث حَمّاد بن سَلَمَة، به.

[٧٤٦٤] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا أحمدُ، حدَّثنا يزيدُ، حدَّثنا مُحمَّد بن عمرو، عن صَفْوان بن سُلَيم، عن محمود بن الرَّبيع قال: لما نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾، فقرأ حتى: بَلَغ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول الله! عن أيِّ نعيم نُسأَلُ؟ وإنما هُما الأسودانِ الماءُ والتمرُ، وسيوفُنا على رقابنا، والعدوُّ حاضِرٌ، فعن أيّ نَعِيم نُسأَلُ؟ قال: «أمَا إن ذلك سَيكُون»[٤].

[٧٤٦٥] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعةَ، حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا سفيان، عن محمد بن عَمْرو، عن يحيى بن حاطب، عن عبد الله بن الزبَير قال: قال الزبير: لما نزلَتْ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: يا

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم ٢٠٣٨ ح ٢٠٣٨ والطبري ٣٧٨٩٢ وأبو داود ٥١٢٨ والترمذي ٢٨٢٢ و ٢٣٦٩ وابن ماجه ٣٧٤٥ والنسائي في «التفسير» ٧١٧.

(٢) صحيح دون بعضه، أخرجه أحمد ٥/ ٨١ وقال الهيثمي ١٠/ ٢٦٧: رجاله ثقات، وكذا قال المنذري في «الترغيب» ٤٧١١ قلت: حشرج بن نباتة وإن وثقه غير واحد، فذكره البخاري في «الضعفاء»، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وصدر الحديث صحيح بشواهده المذكورة، ولعجزه شواهد في الترغيب، والوهن فقط في «فأخذ عمر العذق... قبل رسول الله ﷺ.

(٣) صحيح. أخرجه النسائي ٦٤٦٦ وأحمد ٣/ ٣٣٨ وإسناده قوي.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٤٢٩ وإسناده حسن، لكن محمود عامة ما يرويه عن الصحابة فإنه صحابي صغير، وانظر ما بعده.

رسول الله! لأيِّ نَعِيم نُسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمرُ والماءُ! قال: «إن ذلك سيكون»(١). وكذا رواه الترمذي وابن ماجه، من حديث سفيان ـ هو ابن عُيَينة ـ به. ورواه أحمد عنه، وقال الترمذي: «حسن».

[٧٤٦٦] وقال أحمد: حدَّثنا أبو عامر عبد الملك بن عَمْرو، حدَّثنا عبد الله بن سليمان، حدَّثنا معاذ ابن عبد الله بن خَبَيب، عن أبيه، عن عَمِّه قال: كُنَّا في مجلس فَطَلع علينا النبيُّ ﷺ وعلى رأسه أثَرُ ماءٍ، فقلنا: يا رسولَ الله! نَراكَ طَيِّب النفس. قال: «أجَلْ». قال: ثم خاض الناسُ في ذكر الغِنَى، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا بأسَ بالغنى لِمَن اتقى الله، والصحّةُ لمن اتقى الله خيرٌ من الغنى، وطِيبُ النفسِ من النعيم»(٢). وَرَواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة، عن خالد بن مخلد، عن عبد الله بن سليمان، به.

[٧٤٦٧] وقال التِّرمِذيُّ: حدَّثنا عَبْدُ بن حُمَيد، حدَّثنا شَبابةُ، عن عبد الله بن العلاءِ، عن الضحّاك ابن عبد الرحمن بن عَرْزَمٍ الأشعريُّ قال: سَمِعتُ أبا هُرَيْرة يقولُ: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ أول ما يُسأَلُ عنه ـ يعني يوم القيامة ـ العبدُ مِن النعيم أن يُقال له: ألم نُصِحَّ لك جِسْمَكَ، ونُرْوِكَ من الماء البارد»(٣). تَفرَّد به التِّرمِذيُّ. ورواه ابنُ حِبَّان في صَحِيحِهِ، من طريق الوليد بن مُسلِمٍ، عن عبد الله بن العَلاء بن زَبْرٍ، به.

[٧٤٦٨] وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو عبد الله الطِّهرانيُّ، حدَّثنا حفص بن عُمَر العَدَني، عن الحكم بن أبانَ، عن عِكْرِمة قال: لما أُنزِلَتْ هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾، قالت الصحابة: يا رسولَ الله! وأيُّ نَعِيم نحنُ فيه، وإنما نأكُل في أنصافِ بُطونِنا خُبز الشَّعير؟ فأوحى الله إلى نَبِيِّه ﷺ قل لهم: «أليس تَحتذُون النعال، وتَشربُون الماء البارِدَ؟ فهذا من النعيم»(٤).

[٧٤٦٩] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعة، حدَّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا محمد بن سُليمان ابن الأصبهاني، عن ابن أبي ليلى ـ أظنه عن عامرٍ ـ عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، قال: «الأمن والصحَّةُ»(٥).

[٧٤٧٠] وقال زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾، «يعني: شِبَعَ البطون، وبارِدَ الشراب، وظِلالَ المساكنِ، واعتدال الخَلْقِ، ولَذَّة النوم»(٦). رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم، عنه في أول السُّورةِ. وقال سعيد بن جُبَير: حَتَّى عن شَرْبةِ عَسَلٍ. وقال مجاهدٌ: عن كُلِّ لذَّةٍ من لَذَّاتِ الدُّنيا، وقال الحسن البصريُّ: من النعيم الغَداءُ والعَشاءُ. وقال أبو قِلابَة: من النعيم أكلُ السَّمنِ والعسل بالخبز النَّقِيِّ. وقولُ مجاهدٍ أشملُ هذه الأقوالِ. وقال عليُّ بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٥٣ وابن ماجه ٤١٥٨ وأحمد ١/ ١٦٤ وإسناده حسن لأجل محمد بن عمرو. لكن قوله: «لما نزلت» في هذا الحديث وكذا المتقدم، غريب، ولعله من أوهام محمد بن عمرو، فإن السورة مكية باتفاق، وسياق الخبر مدني، والصحيح دون ذكر نزول الآية، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢١٤١ وأحمد ٥/ ٣٧٢ وإسناده حسن لأجل معاذ، وصححه الحاكم ٢/ ٣ ووافقه الذهبي والبوصيري.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٣٥٨ وابن حبان ٧٣٦٤ والحاكم في «المستدرك» ٤/ ١٣٨ وإسناده قوي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) حفص بن عمر ضعفه غير واحد، ولينه أبو حاتم. لكن للمتن شواهد كما ترى. والله أعلم.

(٥) إسناده ضعيف، له علتان: ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن، صدوق سيىء الحفظ، وقد شك في شيخه. فقال: أظنه عن عامر. والمراد ابن شراحيل الشعبي، وهو لم يدرك ابن مسعود. فهو منقطع، وإلا فهو مجهول.

(٦) تقدم أنه إسناد باطل انظر ٧٤٥٢، وحسبه أن يكون من كلام عبد الرحمن بن زيد المفسّر.

لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾، قال: النعيمُ صِحَّةُ الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العبادَ فيم استعملُوها؟ وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

[٧٤٧١] وثَبَت في صَحِيح البُخاريِّ، وسُنَن الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هندٍ، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحَّة والفراغ»(١). ومعنى هذا أنهم مُقصِّرُون في شكر هاتين النِّعمتين، لا يَقُومون بواجِبِهما، ومن لا يقومُ بحقِّ ما وَجَب عليه فهو مَغبُونٌ.

[٧٤٧٢] وقال الحافظ أبو بكر البزَّار: حدَّثنا القاسم بنُ محمد بن يحيى المروزيُّ، حدَّثنا علي بن الحَسَن بن شَقِيق، حدَّثنا أبو حمزة، عن ليث، عن أبي فزَارةَ، عن يزيدَ بن الأصمِّ، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما فوق الإزار، وظل الحائط، وجَرّ الماءِ فَضْلٌ يُحاسَبُ به العبدُ يوم القيامةِ، أو يُسأَلُ عنه»(٢). ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

[٧٤٧٣] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا بَهْزٌ وعفَّانُ قالا: حدَّثنا حَمّاد، قال عفان في حديثه: قال إسحاقُ بن عبد الله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «يقولُ الله عزَّ وجلَّ ـ قال عفان؛ يوم القيامة ـ: يابنَ آدمَ، حَمَلتُكَ على الخيلِ والإبلِ، وزَوَّجتُك النساءَ، وجعلتك تَرْبَع وتَرْأس، فأين شكر ذلك؟»(٣). تفَرَّد به من هذا الوجه.

آخر تفسير سورة التكاثر،ولله الحمد والمنة

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٤١٢ والترمذي ٢٣٠٤ وابن ماجه ٤١٧٠ وتقدم.

(٢) حسن. أخرجه البزار ٣٦٤٣ وإسناده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم، لكن للحديث شاهد تقدم قبل أحاديث، وقال المنذري في «الترغيب» ٤٧١٤: رواته ثقات إلا ليث، وحديثه جيد في المتابعات.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٤٩٢ وإسناده على شرط مسلم. وورد من وجه آخر، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٥٤ وابن حبان ٧٣٦٧ وإسناده حسن.

سُورَةُ العَصْرِ

ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

وهي مكيّةٌ

ذكرُوا أنَّ عَمرو بن العاصِ وَفَد على مُسَيلِمةَ الكذّابِ، وذلك بعد ما بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وقبل أن يُسلِمَ عَمرو، فقال له مُسَيلِمةُ: ماذا أُنزِلَ على صاحبكم في هذه المدَّة؟ قال: لقد أُنزِلَ عليه سُورةٌ وجيزةٌ بليغةٌ. قـال: ومـا هـي؟ فـقـال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، ففكَّر مُسَيلِمةُ هُنَيهةً ثم قال: وقد أُنزِلَ عليَّ مثلُها. فقال له عَمرو: وما هو؟ فقال: يا وَبْر يا وَبْر، إنما أنت أُذُنانِ وصَدْر، وسائرك حَفْرٌ نَقْرٌ. ثم قال: كيفَ ترى يا عَمرو؟ فقال له عَمرو: والله إنَّكَ لَتَعْلَمُ أنّي أعلمُ أنكَ تكذِبُ[1].

وقد رأيت أبا بكر الخرَائِطيَّ أسند في كتابه المعروف «بمساوِىء الأخلاق»، في الجزء الثاني منه، شيئاً من هذا أو قريباً منه. والوَبْرُ: دُويبةٌ تُشبِه الهِرَّ، أعْظَمُ شيءٍ فيه أُذُناه، وصدرُه وباقيه لَطِيفٌ دَمِيمٌ، فأراد مُسَيلِمةُ أن يُرَكِّب من هذا الهذيان، ما يُعارِضُ به القرآن. فلم يَرُج ذلك على عابدِ الأوثانِ، في ذلك الزمان.

[٧٤٧٤] وذكر الطَّبَرانيُّ من طريق حَمَّاد بن سَلَمة، عن ثابتٍ، عن عُبَيد الله بن حِصْنٍ أبي مَدِينَةَ، قال: كان الرجلان من أصحاب رسُولِ الله إذا التقيا لم يتفرقا إلاَّ على أن يقرأ أحدُهما على الآخر سورة العَصْرِ، إلى آخرها، ثم يُسَلِّم أحدهما على الآخر[2]. وقال الشافعي رحمه الله: لو تَدَبَّر الناسُ هذه السورة لَوَسِعَتهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

العصرُ: الزمانُ الذي يَقَع فيه حَركاتُ بني آدَمَ، من خيرٍ وشرٍّ. وقال مالكٌ، عن زيدِ بن أسلَمَ: هو

---

(١) أخرجه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» ١٧٣ في أثناء خبر مطول، وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح، وليس فيه تكذيب عمرو لمسيلمة، وهذا خبر مشهور في كتب السير، لكن تكذيب عمرو له بعيد، فإن مسيلمة كان عاتياً شديد البأس.

(٢) غريب جداً. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٥١٢٠ والبيهقي في «الشعب» ٩٠٥٧، ورجاله ثقات، لكن أبو مدينة اختلف فيه هل هو صحابي أو تابعي، وبكل حال المتن غريب، فلو صح مثل هذا لجاء متواتراً، ولو ثبت لعمل به التابعون ومن بعدهم وأهل الحديث والفقه، لأن لفظ «الرجلان» يفيد العموم لأن «أل» هنا لاستغراق الجنس، ولكن كل ذلك لم يكن، بل لم يروه من أهل الأثر إلا الطبراني والبيهقي، وكلاهما يروي ما يجد، فالخبر غريب جداً، والوهم فيه إما من حماد حيث تغير بأخرة، أو من أبي مدينة، على أنه التابعي، فهو غير مشهور بحمل العلم، بل ليس له رواية غير هذا الأثر، والله أعلم. راجع «الإصابة» ٢/ ٢٩٧/ ٤٦٢٦.

العَشِيُّ. والمشهورُ الأولُ. فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسانَ لفي خُسرٍ، أي: في خسارةٍ وهلاكٍ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحِهِم، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾، وهو أداءُ الطاعاتِ، وتَرْكُ المحرَّماتِ، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى مَن يُؤذِي ممن يأمُرُونه بالمعروف وينهَونه عن المنكرِ.

آخرُ تفسير سورة «العصر» ولله الحمدُ والمنَّةُ

سُورَةُ الهُمَزَةِ

ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

وهي مكيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨﴾

الهمّازُ بالقول، واللّماز بالفعلِ، يعني: يَزْدَرِي بالناس ويَتنقّص بهم. وقد تقدّم بيانُ ذلك في قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ⑪﴾ [القلم: ١١]. قال ابنُ عبّاس: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: طعّان معياب. وقال الربيعُ بن أنس: الهُمَزةُ، يَهمِزُه في وجهه، واللُّمَزَةُ من خَلْفِهِ. وقال قتادة: يَهمِزُه ويَلْمِزه بلسانِه وعَيْنِه، ويأكل لحوم الناس، ويطعُن عليهم. وقال مجاهدٌ: الهَمَزَةُ باليدِ والعينِ، واللُّمَزَةُ باللسانِ. وهكذا قال ابنُ زيدٍ. وقال مالكٌ، عن زيد بن أسلم: هَمَزَةُ لحومَ الناس. ثم قال بعضُهم: المراد بذلك الأخنس بن شَرِيقٍ، وقيل: غيرُه. وقال مجاهد: هي عامّةٌ. وقولُه تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②﴾، أي: جَمَعه بعضَه على بعض، وأحصى عَدَده، كقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ⑱﴾، قاله السُّدي، وابنُ جريرٍ. وقال محمدُ بن كعبٍ في قوله: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، ألهاه مالُه بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليلُ نام كأنه جِيفَةٌ. وقولُه تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③﴾، أي: يَظُنُّ أن جَمْعه المالَ يُخلِدهُ في هذه الدار! ﴿كَلَّا﴾، أي: ليس الأمر كما زَعَم ولا كَمَا حَسِبَ. ثم قال تعالى: ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾، أي: لَيُلقيَنَّ هذا الذي جَمَع مالاً فَعَدّده في الحُطَمة، وهي اسمٌ من أسماءِ النارِ صِفَةٌ، لأنها تَحطِمُ مَن فيها. ولهذا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، قال ثابتٌ البُناني: تَحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياءٌ، ثم يقول: لقد بَلَغ منهم العذابُ، ثم يبكي. وقال محمدُ بن كعبٍ: تأكل كل شيءٍ من جَسَدِه، حتى إذا بَلَغت فُؤادَه حذو حَلْقِه، فَرُجِع على جَسَدِهِ. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ⑧﴾، أي: مُطبقَةٌ كما تقدّم تفسيرُه في سورة البلد.

[٧٤٧٥] وقال ابن مَرْدُويه: حدّثنا عبدُ الله بن محمدٍ، حدّثنا عليُّ بن سراج، حدّثنا عثمان بن خُرّزَاذ، حدّثنا شجاع بن أَشْرَس، حدّثنا شَرِيكٌ، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ⑧﴾، قال: «مُطبقَةٌ»[1]. وقد رَوَاه أبو بَكْرِ بن أبي شَيْبَةَ، عن عبدِ الله بن أَسِيدٍ، عن

---

(١) ضعيف. فيه علي بن سراج. قال الدارقطني: كان يحفظ الحديث، لكنه كان يشرب المسكر. راجع «الميزان» ٥٨٤٩ فلا حجة بحديثه، فلعله أداه من حفظه، وشريك ساء حفظه لما تولى القضاء. وعاصم بن بهدلة سيىء الحفظ أيضاً. لكنه صدوق. وقد رواه ابن أبي شيبة كما ذكر المصنف عن أبي صالح من قوله، وهو الصواب، والله أعلم.

إسماعيلَ بن خالدٍ، عن أبي صَالح، قولِهِ، ولم يَرْفَعْه. وقوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾، قال عَطِيّة العَوفي: عَمَدٍ من حَدِيدٍ. وقال السُّدِّي: من نار. وقال شَبِيب بن بِشْرٍ، عن عِكْرمةَ، عن ابن عباس: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾، يعني: الأبوابَ هي الممدُودة. وقال قتادة: في قراءةِ عبدِ الله بن مسعود: «إنها عليهمْ مُؤْصَدةٌ بِعَمَد ممدّدة». وقال العوفيُّ، عن ابن عباس: أدخلهُم في عَمَدٍ فَمُدَّت عليهم بِعِمَادٍ، في أعناقِهِم السلاسلُ فَسُدّت بها الأبواب. وقال قتادةُ: كُنا نُحدَّث أنهم يُعذَّبون بِعَمَدٍ في النار. واختاره ابنُ جرير. وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ يعني القيودَ الطِّوالَ.

آخرُ تفسيرِ سورةِ «ويلٌ لكل هُمَزةٍ لُمَزَةٍ»، ولله الحمدُ والمنّةُ

سُورَةُ الفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

وهي مكيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾

هذه من النِّعم التي امتنَّ الله بها على قُرَيشٍ، فيما صَرَف عنهُم من أصحابِ الفِيل، الذين كانوا قد عَزَمُوا على هَدْمِ الكعبةِ ومَحْوِ أثرها من الوُجودِ، فأبادهم الله، وأرغَم آنافهم، وخَيَّب سَعْيَهم، وأضلَّ عَمَلهم، وردَّهُم بشَرِّ خَيْبَةٍ. وكانوا قوماً نَصارى، وكان دِينهُم إذْ ذاكَ أقربَ حالاً مما كان عليه قُرَيشٌ من عبادةِ الأوثانِ. لكن كان هذا من باب الإرهاصِ والتوطئة لمبعثِ رَسُولِ الله ﷺ فإنه في ذلك العام وُلِد على أشهر الأقوال، ولسانُ حالِ القَدَرِ يقول: لم نَنْصُركم ـ يا معشرَ قريش ـ على الحبشةِ لخيريَّتِكم عليهم، ولكن صيانةً للبيتِ العتيقِ الذي سَنُشرِّفه ونُعَظِّمه ونُوَقِّره ببعثِه النبيِّ الأمي مُحمَّدٍ ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ خاتم الأنبياء.

وهذه قصة أصحابِ الفيل على وَجْهِ الإيجازِ والاختصارِ والتقريب: قد تقدَّم في قصةِ أصحابِ الأُخدود أن ذا نُواسٍ ـ وكان آخر ملوك حِمْيَر، وكان مُشرِكاً ـ هو الذي قتل أصحابَ الأُخدود، وكانوا نَصارى، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً، فلم يُفلِت منهم إلاَّ دَوسُ ذو ثُعْلبانٍ، فذهب فاستغاث بقيصرَ ملكِ الشام، وكان نصرانياً، فكَتب له إلى النجاشيِّ ملكِ الحبشةِ، لكونه أقربَ إليهم، فبعثَ معه أميرين: أرياطَ وأبرهةَ بن الصباح أبا يَكسُومَ، في جيش كَثِيفٍ، فدخلُوا اليمنَ فجاسُوا خلالَ الدِّيار، واستلَبوا الملك من حِمْيَر، وهلك ذُو نُوَاسٍ غريقاً في البحر، واستقلَّ الحبشةُ بملك اليمن وعليهم هذان الأميران: أرياطُ وأبرهةُ، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا، وتصافًا، فقال أحدُهما للآخر: إنه لا حاجةَ بنا إلى اصطدام الجَيشَين بيننا، ولكن ابرزْ إليَّ وأبرُز إليكَ، فأيُّنا قتلَ الآخرَ استقلَّ بعده بالمُلكِ. فأجابه إلى ذلك فَتبارزَا، وخَلْفَ كلِّ واحد منهما قناةٌ، فَحَمل أرياطُ على أبرهةَ فضربه بالسيف، فَشَرم أنفه وفمَه وشقَّ وجهَه، وحَمَل عَتَوْدَةُ مولى أبرهةَ على أرياطَ فقتله، ورَجَعَ أبرهةُ جَرِيحاً، فَدَاوى جُرحَه فَبَرأ، واستقلَّ بتدبير جيشِ الحبشةِ باليَمَنِ. فكتب إليه النجاشِيُّ يَلُومه على ما كان منه، ويتوعَّده ويحلِفُ لَيَطَأَنَّ بلاده ويَجُزَّنَّ ناصِيته. فأرسل إليه أبرهةُ يترقَّق له ويُصانِعُه، وبَعَثَ مع رَسُولِه بهدايا وتُحَفٍ، وبجرابٍ فيه من تُرَابِ اليمن، وجَزَّ ناصيتَه، وأرسلها معه، ويقول في كتابه: لِيَطأِ الملكُ على هذا الجرابِ فَيَبَرَّ قَسَمُه، وهذه ناصِيتي قد بعثتُ بها إليك. فلما وصل ذلك إليه أعجَبه منه، ورَضِي عنه، وأقرّه عَلى عمله، وأرسل أبرهة يقولُ للنجاشيِّ: إنِّي سَابني لك كنيسة بأرضِ اليَمَنِ

لم يُبْنَ قبلَها مثلُها. فَشَرع في بناءِ كَنِيسةٍ هائلةٍ بصنعاءَ، رفيعةِ البناءِ، عاليةِ الفناءِ، مُزَخرفةِ الأرجاءِ، سَمَّتها العرب القُلَّيسَ؛ لارتفاعها، لأن الناظِرَ إليها يكادُ تسقط قَلَنْسُوَتُه عن رأسه من ارتفاع بنائها. وعَزَم أبرهةُ الأشرمُ على أن يَصرِف حَجَّ العربِ إليها كما يُحَجُّ إلى الكعبةِ بمكَّةَ، ونادى بذلك في مملكتِه. فَكَرِهت العربُ العدنانيةُ والقحطانيةُ ذلك، وغَضِبت قريشٌ لذلك غضباً شديداً، حتى قَصَدها بعضُهم، وتَوَصَّل إلى أن دَخَلها ليلاً، فأحدث فيها، وكَرَّ راجعاً. فلما رأى السَّدَنةُ ذلك الحدثَ رَفَعُوا أمره إلى مَلِكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صَنَع هذا بعضُ قريش غضباً لِبَيتِهِم الذي ضاهيتَ هذا به. فأقسم أبرهةُ ليسيرنَّ إلى بيتِ مكَّة، وَلَيُخربنَّه حجراً حَجَراً.

وذكر مقاتلُ بن سُلَيمان أن فتيةً من قُرَيشٍ دخلُوها فَأَجَجُوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواءٌ شديدٌ فاحترقت، وسَقَطت إلى الأرض. فَتَأَهَّبَ أبرهةُ لذلك، وسار في جيش كثيفٍ عَرَمْرَمٍ لئلا يَصُدَّه أحدٌ عنه، واستصحَب معه فيلاً عظيماً كبير الجُثةِ لم يُرَ مثلُه، يقال له: محمود. وكان قد بَعَثه إليه النجاشيُّ ملكُ الحبشةِ لذلك، ويقال: كان معه أيضاً ثمانيةُ أفيالٍ، وقيل: اثنا عَشَر فيلاً، وقيل غيره، والله أعلم. يعني لِيَهدِمَ به الكعبةَ، بأن تُجعِلَ السلاسلُ في الأركان، وتُوضَع في عُنُق الفيل، ثم يُزْجَرُ لِيُلقى الحائطُ جملةً واحدةً. فلما سَمِعت العربُ بِمَسِيره أعظمُوا ذلك جداً، وَرَأوا أنَّ حقاً عليهم المُحَاجبةُ دون البيت، وردُّ من أراده بِكَيدٍ. فخرج إليه رجلٌ من أشراف أهل اليمن ومُلُوكهم، يقال له: ذو نَفْرٍ، فدعاقومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حَرْبِ أبرهَةَ وجهادِهِ عن بيت الله، وما يُريدُه من هَدِّه وإخرابِه. فأجابوه وقاتلوا أبرهةَ، فَهَزمهم لما يُريده الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من كرامةِ البيتِ وتعظِيمه، وأُسِر «ذو نَفْر» فاستصحبه معه، ثم مَضَى لوجهه حتى إذا كان بأرض خَثْعَمٍ عَرَض له نُفَيل بنُ حَبيب الخَثْعَمي في قومه: شهرانَ وناهسٍ، فقاتلوه، فهزمهم أبرهةُ، وأُسِر نُفَيلُ بن حَبيبٍ، فأراد قَتْلَه ثم عفا عنه، واستصحبه معه ليدله في بلادِ الحِجَازِ. فلما اقترب من أرض الطائفِ خَرَج إليه أهلُها ثقيف وصانعوه خيفةً على بيتهم الذي عندهم، الذي يُسَمُّونه اللاتَ. فأكرمَهُم وبعثُوا معه «أبا رِغَالٍ» دَلِيلاً. فلما انتهى أبرهةُ إلى المُغَمَّس ـ وهو قريبٌ من مكة ـ نَزَل به وأغار جيشُه على سَرْح أهلِ مكَّة من الإبلِ وغيرِها، فأخذُوه. وكان في السَّرح مئتا بعيرٍ لعبد المطلب. وكان الذي أغار على السَّرح بأمرِ أبرهةَ أميرُ المُقدِّمة، وكان يُقال له: الأسودُ بن مَقْصود، فهجاه بعضُ العرب ـ فيما ذكره ابنُ إسحاق ـ وبعث أبرهةُ حُناطةَ الحِميَريَّ إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرفِ قُرَيشٍ، وأن يُخبِرَه أنَّ الملِكَ لم يَجيء لقتالكم إلا أن تَصُدُّوه عن البيت. فجاء حُناطَةُ فَدُلَّ على عبدِ المطلب بن هاشم، وبلغه عن أبرهةَ ما قال. فقال له عبد المطلب: والله ما نُريد حربه، وما لنا بذلك من طاقةٍ، هذا بيتُ الله الحرامُ، وبيتُ خليله إبراهيم، فإن يَمْنَعْه منه فهو بيتُه وحَرَمه، وإن يُخَلِّي بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفعٌ عنه. فقال له حُناطَةُ: فاذهب معي إليه. فَذَهب معه، فلما رآه أبرهَةُ أجَلَّه، وكان عبدُ المطلب رَجُلاً جَميلاً حَسَنَ المنظر، ونزلَ أبرهةُ عن سَرِيره، وجلس معه على البِساط، وقال لِتَرجُمانه: قل له: حاجَتك؟ فقال للتَّرجُمانِ: إنَّ حاجتي أن يَرُدَّ عليَّ الملك مئتي بعيرٍ أصابها لي. فقال أبرهةُ لِتَرجُمانه: قل له: لقد كُنتَ أعجبتني حين رأيتُك، ثم قد زَهِدتُ فيكَ حين كَلَّمتني، أتكلِّمني في مئتي بعير أصبْتها لك، وتترك بيتاً هو دِينُك ودين آبائك قد جئتُ لِهَدْمِه لا تُكلِّمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رَبُّ الإبلِ، وإنَّ للبيتِ ربًّا سَيَمْنَعه. قال: ما كان لِيَمْتَنِعَ مني! قال: أنت وذاك[1].

(١) خبر أبرهة ومحاولته هدم الكعبة، خبر مشهور بل متواتر. وقد ساقه المصنف ههنا عن مقاتل مرسلاً، ومن وجوه أخر =

ويُقال: إنه ذَهَب مع عبد المطلب جماعةٌ من أشراف العرب فَعَرضوا على أبرهةَ ثُلث أموالِ تِهَامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، وَرَدَّ أبرهَةُ على عبد المطلب إبلَه، ورجع عبدُ المطلب إلى قُرَيش فأمرهم بالخُروج من مكة. والتحصُّنِ في رُؤوس الجبالِ، تَخَوُّفاً عليهم من مَعَرَّةِ الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقةِ باب الكعبةِ، وقام معه نفرٌ من قريش يَدْعون الله ويستنصرونه على أبرهةَ وجُندِه، وقال عبدُ المطلب وهو آخذٌ بِحَلْقَةِ بابِ الكعبة:

لا هُـــمَّ إن الـــمَـــرْء يَـــمْــــ ـــنَعُ رَحْـلَـه فـامْـنَـعْ حِـلالَـك
لا يَـــغْـــلِـــبَـــنّ صَـلِـيـبُـهُـم ومِـحـالُـهُـم غَـدْواً مِـحـالَـكْ

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبدُ المطلب حَلْقة الباب، ثم خرجُوا إلى رؤوس الجبال. وذَكَر مُقاتِلُ ابن سُلَيمان أنهم تَرَكُوا عند البيت مئةَ بَدَنةٍ مُقَلَّدةٍ، لعلّ بعضَ الحبشة ينالُ منها شيئاً بغير حَقٍّ، فينتقم اللّهُ منه. فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخُولِ مكَّةَ، وهَيّأ فِيله ـ وكان اسمُه محموداً ـ وعَبّأ جيشَه، فلما وَجَّهوا الفِيلَ نحو مكَّةَ أقبل نُفَيل بن حَبيب حتى قام إلى جَنبِه، ثم أخذ بأذُنه وقال: ابرك محمودُ، أو ارجع راشداً من حيثُ جِئتَ، فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه، فبرك الفيلُ، وخَرَج نُفَيل بن حَبِيب يَشْتَدُّ حتى أصْعَد في الجبل. وضربُوا الفيل ليقوم، فأبى، فَضَربُوا في رأسه بالطَّبَرزين، وأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقّه فَبَزغوه[1] بها ليقومَ، فأبى، فَوَجَّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يُهروِلُ. ووجَّهُوه إلى الشام ففعل مثلَ ذلك، ووجَّهُوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، وَوَجَّهوه إلى مكة فَبَرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان مع كلِّ طائر منها ثلاثةُ أحجار يحمِلُها: حَجَرٌ في منقارِه، وحَجَرانِ في رجليه، أمثال الحِمَّصِ والعَدَسِ، لا تُصِيب منهم أحداً إلا هَلَك، وليس كُلّهم أصابت. وخَرَجُوا هاربين يبتدرُون الطريق، ويسألُونَ عن نُفَيل لِيدلَّهم على الطريق. هذا ونُفَيل على رأس الجَبَلِ مع قُرَيشٍ وعَرَب الحِجَازِ، ينظرُون ماذا أنزل الله بأصحابِ الفيل من النِّقمَةِ، وجَعَل نُفَيلٌ يقول:

أيـنَ الـمَـفَـرُّ؟ والإلـه الـطّـالـبُ والأشـرَمُ الـمغلوبُ غير الـغـالبِ

قال ابنُ إسحاق: وقال نُفَيل في ذلك أيضاً:

ألاَ حُـيِّـيـتِ عَـنَّـا يـا رُدَيْـنَـا نَـعِـمْـنَـاكُـمْ مَـعَ الإصبَـاح عَـيْـنَـا
رُدَيـنـةُ، لـو رأيـت ـ وَلا تَـرَيْـه لَـدَى جَـنْبِ الـمُحَصَّب ـ ما رَأيْنَا
إذاً لَـعَـذَرْتـنـي وحَـمَـدْتِ أمْـرِي وَلَـم تَـأسَـيْ عَـلَـى مَـا فـات بَـيْـنَـا
حَـمِـدْتُ الـلّـه إذ أبـصَـرتُ طـيـرَاً وَخِـفْـتُ حـجـارَةً تُـلـقـى عَـلَـيْـنـا
فَـكُـلُّ الـقـومِ يـسـألُ عـن نُـفَـيـلٍ كَـأنَّ عَـلَـيَّ لـلـحُـبْـشـان دَيـنَـا؟

وذَكَر الواقديُّ بأسانيده أنّهم لما تعبَّؤوا لدخول الحرم وهيّؤوا الفيل جَعَلُوا لا يَصْرِفُونه إلى جهةٍ من سائر الجهات إلا ذَهَب فيها، فإذا وَجَّهوه إلى الحرم رَبَضَ وصاحَ. وجعل أبْرَهةُ يحملُ على سائس الفيل وينهَرُه

= عامتها مرسل. وهذا لا يدل على وهن الخبر بل شهرته تغني عن الإسناد، والله تعالى أعلم. وانظر «الدر المنثور» ٦/ ٦٧٢ ـ ٦٧٦. والطبري ٣٧٩٨٩ و «السيرة النبوية» ١/ ٤٨ و «السيرة» لابن كثير ١/ ٢٩ و «دلائل النبوة» ١/ ٨٥.

(١) الطبر بالفارسية: الفأس. والمحجن: عصا معوجة الطرف. وقيل: حديدة معقوفة. المراقّ: ما سفل من البطن. وبزغوه: أدموه.

ويَضرِبُه، لِيقهَرَ الفيل على دُخول الحرم. وطال الفصلُ في ذلك. هذا وعبدُ المطلب وجماعةٌ من أشراف مكَّة، منهم المُطعِم بن عَديّ، وعمرو بن عائذ بن عمرانَ بن مَخزُوم، ومسعود بن عَمْرو الثقفي، على حِرَاء ينظُرون إلى ما الحبشةُ يصنَعُون، وماذا يَلْقَون من أمر الفيل وهو العَجَبُ العُجابُ. فبينما هم كذلك إذ بَعَث الله عليهم طيراً أبابيلَ، أي: قِطَعاً قِطَعاً صُفراً دون الحمام، وأرجُلهم حمرٌ، ومع كل طائر ثلاثةُ أحجار، وجاءت فَحَلَّقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجارَ عليهم فَهَلكُوا. وقال محمد بن كعب: جاؤوا بِفِيلَين فأما محمود فَرَبَض، وأما الآخر فَشَجُعَ فَحُصِبَ.

وقال وَهبُ بن مُنبِّه: كان معهم فِيلَةٌ، فأما محمودُ ـ وهو فِيل الملك ـ فَرَبض، لِيقتدِيَ به بقيةُ الفِيلَةِ، وكان فيها فيلٌ تَشَجّع فَحُصِب، فَهَربت بقيةُ الفِيلة. وقال عطاءُ بن يَسَار وغيرُه: ليس كلُّهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم مَن جَعَل يَتَساقَطُ عُضواً عُضواً وهم هاربون، وكان أبرهَةُ يَتَساقط عُضواً عُضواً، حتى مات ببلاد خَثْعَم. قال ابنُ إسحاق: «فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويَهْلِكُون على كُلِّ مَنْهَلٍ، وأُصِيبَ أبرهَةُ في جَسَده، وخرجُوا به معهم يَسقُط أنمُلةً أنمُلةً، حتى قَدِموا به صنعاء وهو مثلُ فرخ الطائرِ، فما مات حتى انصدَع صدرُه عن قلبه فيما يزعُمون». وذكر مُقاتل بن سُليمان: أن قُريشاً أصابُوا مالاً جَزيلاً من أسلابهم، وما كان معهم، وأنَّ عبد المطلب أصاب يومئذٍ من الذهب ما مَلأ حُفرةً. وقال ابنُ إسحاق: وحدَّثني يعقوب بن عُتْبَة أنه حُدِّث أنَّ أوَّل ما رُؤيت الحَصْبةُ والجُدريُّ بأرضِ العربِ ذلك العامَ، وأنه أوَّلُ ما رُؤِي به مَرائِرُ الشَّجَرِ الحَرْمَلُ والحنظَلُ والعُشَر، ذلك العام. وهكذا رُوِي عن عكرمة، من طريق جيد.

قال ابنُ إسحاق: «فلما بَعَث الله مُحمداً ﷺ كان فيما يَعُدُّ به على قُرَيشٍ من نِعْمَتِهِ عليهم وفضلِه، ما رَدَّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاءِ أمرهم ومُدَّتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾، أي: لئلا يُغيِّر شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لِمَا أرادَ الله بهم من الخير لو قَبِلُوه»[1].

قال ابن هشام: الأبابيلُ: الجماعاتُ، ولم تتكلم العربُ بواحِدِه. قال: وأما السجِّيل فأخبرني يونُس النحويُّ وأبو عُبَيدة أنه عند العرب: الشَّدِيدُ الصُلْبُ. قال: وذكر بعضُ المفسِّرين أنهما كلمتان بالفارسيَّةِ، جَعَلتهما العربُ كلمةً واحدةً، وإنما هو سَنج وجِلّ يعني بالسَنج: الحجر، والجِلّ الطين، يقول: الحجارة من هذين الجنسين: الحَجَر والطين. قال: والعصفُ: ورقُ الزرع الذي لم يُقَصَّب، واحدته عَصْفَةٌ. انتهى ما ذكره. وقد قال حَمّادُ بن سَلَمة، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله ـ وأبو سَلَمة ابنُ عبدِ الرحمن ـ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قال: الفِرَق. وقال ابنُ عباس، والضحَّاك: ﴿أَبَابِيلَ﴾: يتبعُ بعضُها بعضاً. وقال الحسنُ البصريُّ، وقتادةُ: الأبابيلُ الكثيرةُ. وقال مجاهد: أبابيل، شَتَّى متتابعةٌ مجتمِعةٌ. وقال ابنُ زيدٍ: الأبابيلُ المختلفة، تأتي من ها هنا، ومن ها هنا، أتتهم من كلِّ مكانٍ. وقال الكسائي: «سمعتُ النحويين يقولون: إبَّوْل مثل العِجَّولِ. قال: وقد سمعت بعض النحويين يقول واحد الأبابيل: إبِيلٌ».

وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن المثنى، حدَّثني عبد الأعلى، حدَّثني داودُ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارثِ بن نَوْفَلٍ أنه قال في قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾، هي: الأقاطيع، كالإبل المُؤبَّلة. وحَدَّثنا

(١) انظر «السيرة النبوية» ١/ ٣٦ ـ ٤٥.

أبو كُرَيب، حدَّثنا وَكِيعٌ، عن ابن عَونٍ، عن ابن سيرين، عن ابن عباس: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾، قال: لها خراطيمُ كخراطيم الطيرِ، وأكفٌ كأكُفِّ الكلابِ. وحدَّثنا يعقوبُ، حدَّثنا هُشَيم، أخبرنا حُصَين، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قال: كانت طيراً خُضراً خَرَجت من البحر، لها رؤوسٌ كرؤوسِ السباع. وحدَّثنا ابنُ بشَّار، حدَّثنا ابنُ مهدي، عن سُفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيانُ، عن عُبَيد بن عُمَير: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قال: هي طيرٌ سودٌ بحرية، في مناقِرِها وأظفارِها الحجارةُ، وهذه أسانيد صَحِيحةٌ.

وقال سعيد بن جُبَير: كانت طيراً خُضراً لها مناقيرُ صُفْرٌ، تختلف عليهم. وعن ابن عباس، ومجاهدٍ، وعطاءٍ: كانت الطيرُ الأبابيل مثل التي يُقال عنقاءُ مُغْرِب. رواه عنهم ابنُ أبي حاتم. وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو زُرعةَ، حدَّثنا عبد الله بن محمد بن أبي شَيبةَ، حدَّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن عُبَيد بن عُمَير قال: لما أراد الله أن يُهلِكَ أصحابَ الفِيل بعثَ عليهم طيراً أُنشِئَت من البحر أمثالَ الخطاطيفِ، كلُّ طيرٍ منها يحمل ثلاثة أحجار مُجَزَّعةٍ: حَجَرينِ في رِجلَيه وحجراً في مِنقاره، قال: فجاءت حتى صَفَّت على رُؤوسِهم، ثم صاحت وألقَت ما في أرجُلِها ومناقيرها، فما يقع حَجَرٌ على رأسِ رجُلٍ إلا خَرَج من دُبُره، ولا يَقَع على شيءٍ من جَسده إلا خَرَج من الجانب الآخر. وبَعَث الله ريحاً شديدةً فَضَربتِ الحجارةَ فزادتها شدَّةً فأهلِكُوا جميعاً. وقال السُّدِّي، عن عكرمة، عن ابن عباس: حجارةٍ من سجِّيل. قال: طينٌ في حِجَارةٍ: «سنك، وكِل». وقد قدَّمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ها هنا.

وقولُه تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾، قال سعِيد بن جُبَير: يعني التِّبْنَ الذي تُسمِّيه العامة: هَبُور. وفي رواية عن سعيد: وَرَق الحِنطة. وعنه أيضاً: العصفُ: التِّبنُ. والمأكول: القَصيل يُجَزُّ للدوابِّ. وكذلك قال الحسن البصري. وعن ابن عباس: العَصفُ: القِشرةُ التي على الحَبَّة، كالغِلاَفِ على الحنطَةِ. وقال ابنُ زيدٍ: العصفُ: وَرَقُ الزرع، وورق البَقْلِ، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار دَريناً. والمعنى أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أهلكهم ودمَّرهُم، ورَدَّهم بكَيدِهم وغيظِهم لم ينالُوا خيراً، وأهلكَ عامَّتهم، ولم يرجع منهم مُخبِرٌ إلا وهو جَريح، كما جَرَى لِملِكهم أبرهةَ، فإنه انصدَعَ صَدْرُه عن قلبِه حين وصل إلى بلدِه صنعاءَ، وأخبرهُم بما جَرَى لهم، ثم مات. فَمَلك بعده ابنه يَكسُومُ، ثم من بعده أخوه مسروقُ بن أبرهةَ. ثم خَرَج سيفُ بن ذِي يَزَن الحميري إلى كسرى فاستغاثه على الحبشة، فأنفذ معه من جُيوشه فقاتلوا معه، فرَدَّ الله إليهم مَلِكهم، وما كان في آبائهم من الملك، وجاءته وفودُ العَرَب للتهنئة. وقد قال محمدُ بن إسحاق: حدَّثنا عبد الله بن أبي بكر، عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن أسعدَ بن زُرارة، عن عائشة قالت: لقد رأيتُ قائدَ الفِيل وسائِسَه بمكَّة أعميين مُقعَدَين، يَستطعِمَان. ورواه الواقدي، عن عائشة مثله. ورواه أيضاً عن أسماء بنتِ أبي بكر أنها قالت: كانا مُقعدَين يستطعمان الناس عند إسافٍ ونائلةَ، حيث يذبحُ المشركون ذبائِحهم. قلتُ: كان اسم قائد الفيل: أنيساً.

وقد ذكر الحافظُ أبو نُعَيم في كتاب «دلائل النبوة» من طريق ابن وهب، عن ابن لَهيعة، عن عُقَيل بن خالدٍ، عن عُثمان بن المغيرة قصةَ أصحاب الفيل، ولم يذكر أنَّ أبرهةَ قدِمَ من اليمن، وإنما بَعَث على الجيشِ رَجُلاً يقال له شَمِر بن مفصود، وكان الجيش عشرين ألفاً، وذكر أنَّ الطير طرقتهم ليلاً، فأصبحوا صَرْعَى. وهذا السياق غريب جداً، وإن كان أبو نعيم قد قَوَّاه ورجَّحه على غيره، والصحيحُ أن أبرهَةَ الأشرمَ الحبشيَّ قَدِم مكة كما دَلَّ على ذلك السياقات والأشعارُ. وهكذا رَوَى ابن لهيعة، عن الأسود، عن عُرْوَةَ؛ أن أبرهة بَعَث الأسودَ بن مفصُودٍ على كتيبةٍ معهم الفيل، ولم يذكر قُدُوم أبرهة نفسِهِ. والصحيح قدومُه، ولعلَّ ابنَ مفصُودٍ كان على مُقَدِّمة الجيشِ، والله أعلم. ثم ذكر ابنُ إسحاقَ شيئاً من أشعار العرب، فيما كان من قِصَّةِ أصحاب الفيل، فمن ذلك شعرُ عبد الله بن الزِّبَعْرَى:

تَنَكَّلُوا عن بَطن مَكَّةَ إنَّها ... كانَتْ قديماً لا يُرَام حَرِيمُها
لم تُخلَقِ الشِّعرَى ليالي حُرِّمتْ ... إذْ لا عَزِيزَ من الأنام يَرُومُها
سَائل أميرَ الجيش عنها ما رَأى؟ ... فَلَسوفَ يُنبي الجاهلينَ عَلِيمُهَا
سِتُّون ألفاً لم يؤوبُوا أرضَهم ... ولم يَعِش بعد الإيابَ سَقِيمُها
كَانَتْ بها عَادٌ وجُرْهُمْ قَبْلَهُمْ ... والله من فَوق العِباد يُقِيمُها

وقال أبو قيس بن الأسْلَتِ الأنصاريُّ المُرِّيُّ:

وَمِن صُنْعِهِ يومَ فيل الحُبُو ... شِ؛إذْ كُلُّ ما بَعَثُوه رَزَم
مَحَاجِنُهُمْ تَحتَ أقرابِهِ ... وَقَد شَرَّمُوا أنفَه فانْخَرَم
وَقَدْ جَعَلوا سَوْطَه مِغْولاً ... إذَا يَمَّمُوهُ قَفاه كُلِمْ
فَوَلَّى وأدْبَر أدراجَهُ ... وَقَد باءَ بالظُّلم مَن كان ثَم
فأرسَلَ مِنْ فوقهم حَاصِباً ... يَلُفُّهم مثلَ لَفِّ القُزُمْ
تَحُثُّ على الصبر أحبارُهم ... وَقَد ثَأجُوا كَثُؤاجِ الغَنَم

وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفيُّ، ويُروَى لأُمَيَّة بن أبي الصَّلت بن أبي رَبِيعَةَ:

إنَّ آيات رَبِّنا بَاقِيَاتٌ ... ما يُمَارِي فيهنَّ إلا الكفورُ
خُلِقَ الليلُ والنهارُ، فكُلٌّ ... مُسْتَبِينٌ حِسَابُه مَقْدورُ
ثُم يجلو النهارَ ربٌّ رَحيم ... بمهاة شُعاعها مَنشورُ
حُبِسَ الفيلُ بالمُغَمَّس حَتى ... صَار يَحبُو كأنَّه مَعْقُورُ
لازِماً حَلْقَهُ الجِرانَ كما قُطِّرَ ... مِنْ ظَهر كَبْكَب مَحدُورُ
حَوله من مُلُوك كِنْدَة أبطالٌ ... مَلاويثُ في الحُرُوب صُقورُ
خَلَّفُوه ثم ابذَعَروا جَميعاً ... كُلُّهم عَظْمُ ساقِه مَكْسُورُ
كُل دِينٍ يَوْمَ القِيامَة عِندَ الـ ... ـلـه إلاَّ دينَ الحَنِيفَةِ، بُورُ

[٧٤٧٦] وقد قدَّمنا في تفسير «سورة الفتح» أن رسول الله ﷺ لما أطلَّ يوم الحُديبية على الثَّنِيَّةِ التي تَهْبط به على قُرَيشٍ بركت ناقتُه، فزجرُوها فألَحّت، فقالوا: خَلأتِ القصواءُ. أي: حَرَنت. فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القَصْواءُ، وما ذاك لها بِخُلُقٍ، ولكن حَبَسها حابسُ الفيلِ». ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خُطَّةً يُعظِّمون فيها حُرُماتِ الله إلا أجبتُهم إليها». ثم زَجَرها فقامت[١]. والحديث من أفراد البخاري.

[٧٤٧٧] وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكَّة: «إن الله حَبَس عن مَكَّة الفيلَ، وسَلَّط عليها رَسُوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حُرمَتُها اليوم كحُرمتها بالأمس، ألا فَلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ»[٢].

آخر تفسيرُ سورة الفيل، ولله الحمدُ والمنَّةُ

(١) تقدم تخريجه في سورة الفتح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٣٤ ومسلم ١٣٥٥، وتقدم.

سورة قريش

ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

وهي مكيَّةٌ

[٧٤٧٨] ذكر حديثٍ غريبٍ في فَضْلها. قال البيهقيُّ في كتاب «الخِلافيَّات»: حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدَّثنا بكر بن محمد بن حَمْدان الصيرفيُّ بِمَرْو، حدَّثنا أحمد بن عُبَيد الله النَّرْسِيُّ، حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهريُّ، حدَّثنا إبراهيمُ بن محمد بن ثابت بن شُرَحبيل، حدَّثني عثمان بن عبد الله بن أبي عَتِيق، عن سعيد بن عَمْرو بن جَعْدَة بن هُبَيرة، عن أبيه، عن جَدَّته أم هانىء بنتِ أبي طالب: أن رسولَ الله ﷺ قال: «فَضَّل الله قُرَيشاً بسبع خلالٍ: أني منهم، وأنَّ النبوَّة فيهم، والحجابةَ والسِّقايةَ فيهم. وأنَّ الله نَصَرهم على الفيلِ، وأنهم عَبَدُوا الله عَشْرَ سنينَ لا يَعبدُه غيرُهم، وأنَّ الله أنزلَ فيهم سورةً من القرآن، ثم تلاها رسولَ الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾»[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

هذه السورةُ مفصولةٌ عن التي قبلها في المُصحَف الإمام[٢]، كَتَبُوا بينهما سَطْرَ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وإن كانت متعلقةً بما قبلها، كما صَرَّح بذلك محمد بن إسحاق، وعبدُ الرحمن بن زيد بن أسلَمَ، لأن المعنى عندهما: حَبَسنا عن مكَّة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾، أي: لائتلافِهِم واجتماعهم في بلدهم آمنينَ.

وقيل: المرادُ بذلك ما كانوا يألفونَه من الرحلة في الشِّتاء إلى اليَمَن، وفي الصيفِ إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يَرجِعُون إلى بَلَدِهِم آمنينَ في أسفارهم، لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن

---

(١) ضعيف. أخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٦ بهذا الإسناد، وقال: صحيح الإسناد! وتعقبه الذهبي بقوله: يعقوب ـ بن محمد الزهري ـ ضعيف، وإبراهيم ـ بن محمد ـ صاحب مناكير، وبهذا الإسناد أخرجه الخطيب ٧/ ١٩٥ وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦٤٤٦ من حديث أم هانىء، وقال: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه اهـ. وورد عن سعيد بن المسيب مرسلاً أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٤٧٧ وقال: لا يصح، وهو مرسل. وعتيبة ـ بنت عبد الملك، مجهولة الحال، وإبراهيم التيمي ضعيف. وورد من حديث الزبير أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٦٤٤٧ وإسناده ضعيف فيه غير واحد من الضعفاء. وقال الهيثمي: فيه من ضُعّف، ووثقهم ابن حبان اهـ والأشبه في هذا الوقف على بعض الصحابة، أو التابعين، والله تعالى أعلم.

(٢) أي مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جمع الناس عليه.

عَرَفهم احترَمهُم بل من ضَوَى إليهم وسار معهم أمن بهم، وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ولهذا قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ﴾، بدل من الأول ومُفسِّر له. ولهذا قال تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾﴾.

وقال ابنُ جَرير: الصوابُ أن «اللام» لامُ التعجُّبِ، كأنه يقول: اعجبُوا لإيلافِ قُرَيشٍ ونِعْمَتي عليهم في ذلك. قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سُورتَانِ مُنْفَصِلتانِ مُسْتَقِلتانِ.

ثم أرشدهُم إلى شُكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾، أي: فَلْيوحِّدوه بالعبادةِ، كما جعل لهم حرماً آمِناً وبيتاً مُحرّماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النمل: ٩١].

وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾، أي: هو ربُّ البيتِ، وهو الذي أطعمهم من جُوعٍ، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾، أي: تفضَّل عليهم بالأمن والرُّخص، فَلْيفردُوه بالعبادة وحدَه لا شريكَ له، ولا يَعبدُوا من دُونه صنماً ولا نِدّاً ولا وَثناً. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَع الله له بين أمْنِ الدنيا وأمنِ الآخرة، ومن عَصَاه سَلَبهُما منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢ ـ ١١٣].

[٧٤٧٩] وقد قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا عبد الله بن عمرو العَدَني، حدَّثنا قَبِيصَةُ، حدَّثنا سفيان، عن ليثٍ، عن شَهرِ بن حَوْشَبٍ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ قالت: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «ويل أُمِّكم قريش، لإيلاف قريش»[(١)].

[٧٤٨٠] ثم قال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا المؤمَّل بن الفضل الحرَّاني، حدَّثنا عيسى ـ يعني ابن يُونُسَ ـ عن عُبَيد الله بن أبي زياد، عن شَهرِ بن حَوْشَبٍ، عن أسامة بن زيد قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾، ويحكم يا معشرَ قُرَيشٍ، اعبدوا ربَّ هذا البيت، الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف»[(٢)]. هكذا رأيتُه عن «أسامة بن زيد»، وصوابُه عن أسماء بنت يزيدَ بنِ السَّكَنِ، أم سَلَمة الأنصارية رضي الله عنها. فلعله وَقَع غَلَطٌ في النسخَةِ أو في أصل الرواية، والله أعلم.

آخر تفسير سورة لإيلاف قريش، ولله الحمدُ والمنَّةُ

(١) أخرجه الطبراني ٢٤/١٧٧ ـ ١٧٨ بهذا الإسناد، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، وشهر بن حوشب غير قوي، وتوبع ليث. تابعه عبد الله بن أبي زياد القداح عند أحمد ٦/ ٤٦٠. وقال الهيثمي ١١٥٢٠: ابن أبي زياد وشهر، وقد وثقا، وفيهما ضعف. وبقية رجال أحمد ثقات اهـ. قلت: القداح توبع، وأما شهر فقد قال أحمد: روى عن أسماء بنت يزيد أحاديث حساناً، فالحديث حسن على رأي الإمام أحمد، في حين قال ابن عدي: لا يحتج به، ولا يتدين بحديثه، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٢) تقدم مع ما قبله. والصواب من حديث أسماء، كما رواه أحمد. وليس لشهر بن حوشب رواية عن أسامة بن زيد، وقد ذكر السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٧٧ كلا الطريقين، وقال: من حديث أسماء. والظاهر أن نسخة ابن أبي حاتم من تفسيره وقع فيها تصحيف، والله أعلم.

سُورَةُ المَاعُونِ

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

وهي مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

يقولُ تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ﴾، يا محمدُ ﴿الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، وهو: المعادُ والجزاءُ والثوابُ، ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾، أي: هو الذي يقهرُ اليتيمَ ويَظلِمُه حقَّه، ولا يُطعِمُه ولا يُحسِنُ إليه، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧ ـ ١٨]، يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأَوَدِه وكفايته. ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قال ابنُ عباس وغيرُه: يعني المنافقين. الذين يُصلُّون في العلانية ولا يُصلُّون في السرِّ. ولهذا قال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾، أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزمُوا بها، ثم هم عنها ساهُون، إمَّا عن فِعلها بالكُلّية، كما قاله ابنُ عباس، وإمَّا عن فِعلها في الوقت المقدَّر لها شرعاً، فيُخرجُها عن وقتها بالكُلّية، كما قاله مسروق، وأبو الضحَى. وقال عطاءُ بن دينار: الحمدُ لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولم يقل: في صلاتهم ساهون. وإمَّا عن وقتها الأول فيُؤخِّرُونها إلى آخره دائماً أو غالباً. وإما عن أدائها بأركانها وشُروطها على الوجه المأمُور به، وإما عن الخُشوع فيها والتدبُّر لمعانيها. فاللفظ يشمل هذا كلَّه، ولِكُلٍّ من اتَّصفَ بشيء من ذلك قسطٌ من هذه الآية. ومن اتَّصف بجميع ذلك فقد تم نَصِيبُه منها، وكَمَل له النِّفاقُ العمليُّ.

[٧٤٨١] كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاةُ المنافِق، تلك صلاةُ المنافق، تلك صلاةُ المنافِق، يجلِس يرقُب الشمسَ، حتى إذا كانت بين قَرْنَي الشيطانِ قام فنَقر أربعاً لا يذكُر الله فيها إلا قليلاً»(١). فهذا آخرُ صلاةِ العَصْرِ التي هي الوسطى، كما ثبتَ به النصُّ إلى آخر وقتها، وهو وقتُ كَرَاهةٍ، ثم قام إليها فنَقرها نَقْرَ الغُرابِ، لم يَطمَئِنَّ ولا خَشَع فيها أيضاً. ولهذا قال: «لا يذكُر الله فيها إلا قليلاً». ولعلّه إنما حَمَله على القيام إليها مراءاةُ الناس، لا ابتغاءَ وجهِ الله، فهو إذاً لم يُصَلِّ بالكُلّية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا

(١) تقدم تخريجه في سورة النساء آية ١٤٢.

قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى ها هنا: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾.

[٧٤٨٢] وقال الطَّبرانيّ: حدَّثنا يحيى بن عبد الله بن عَبدُويه البغدادي، حدَّثني أبي، حدَّثنا عبدُ الوهاب بن عطاء، عن يُونُسَ، عن الحسن، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إن في جهنم لوادياً، تستعيذُ جهنَّمُ من ذلك الوادي في كل يوم أَرْبَعَمِئةِ مَرَةٍ، أُعِدَّ ذلكَ الوادي للمُرائين من أُمَّةِ محمدٍ: لحامل كتابِ الله، وللمُصَّدِّق في غير ذاتِ الله، وللحاجِّ إلى بيت الله، وللخارج في سبيلِ الله»[١].

[٧٤٨٣] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا الأعمش، عن عَمْرُو بن مُرَّةَ قال: كُنَّا جُلُوساً عند أبي عُبَيدَةَ فذكروا الرِّياء، فقال رجل يُكنى بأبي يزيدَ: سَمِعت عبد الله بن عَمْروٍ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «من سَمَّع الناس بعمله سَمَّع الله به، سَامَع خلقه، وحَقَّره وصَغَّره». وَرَواه أيضاً عن غُندَرٍ ويحيى القطَّان، عن شُعبةَ، عن عَمرو بن مُرَّةَ، عن رجل، عن عبد الله بن عَمْرٍو، عن النبي ﷺ فذكره[٢]. ومما يتعلقُ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾، أنَّ من عَمِل عَمَلاً لله فأطلع عليه الناسَ فأعجبَه ذلك، أن هذا لا يُعَدُّ رياءً.

[٧٤٨٤] والدليلُ على ذلك ما رواه الحافظ أبو يَعْلى الموصليُّ في مُسنَدِهِ: حدَّثنا هارون بنُ معروف، حدَّثنا مخلد بن يزيد، حدَّثنا سعيد بن بَشِير، حدَّثنا الأعمشُ، عن أبي صالح، عن أبي هُريرة قال: كنتُ أُصلي، فدخل عليَّ رجلٌ، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسولِ الله ﷺ فقال: «كُتِب لك أجران: أجرُ السرِّ، وأجرُ العلانيةِ»[٣]. قال أبو علي هارونُ بن معروفٍ: «بلغني أن ابنَ المبارك قال: نعم الحديثُ للمُرَائين». وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجهِ، وسَعيد بن بَشير متوسِّطٌ، وروايتهُ عن الأعمشِ عَزيزةٌ. وقد رواه غيره عنه.

[٧٤٨٥] قال أبو يَعْلَى أيضاً: حدَّثنا محمد بن المثنى بن موسى، حدَّثنا أبو داودَ، حدَّثنا أبو سِنان، عن حَبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح، عن أبي هُرَيْرة قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! الرجل يعمَلُ العملَ يسرّه، فإذا اطُّلِع عليه أعجبه، قال: قال رسول الله ﷺ: «له أجرانِ، أجرُ السرِّ وأجرُ العلانيةِ»[٤]. وقد رواه الترمذي عن محمد بن المُثَنى، وابنُ ماجه عن بندار، كلاهما عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني، واسمُه: ضِرارُ بن مُرَّة. ثم قال الترمذي: «غريبٌ، وقد رواه الأعمشُ وغيرُه، عن حبيبٍ [عن أبي صالح] مُرسَلاً».

---

(١) أخرجه الطبراني ١٢٨٠٣. وإسناده ضعيف جداً. فهو منقطع. الحسن هو البصري لم يسمع من ابن عباس. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٧٦٥٨: شيخ الطبراني يحيى بن عبد الله بن عبدويه عن أبيه، ولم أعرفهما، وبقية رجاله رجال الصحيح! وتقدم أنه منقطع أيضاً، فهاتان علتان توجبان ضعف الحديث. وقال المنذري في «ترغيبة» ٤١: رفع حديث ابن عباس غريب، ولعله موقوف، والله أعلم اهـ. وله شاهد من حديث أبي هريرة. أخرجه الترمذي ٢٣٨٣ وابن ماجه ٢٥٦ وإسناده ضعيف جداً لأجل عمار بن سيف الصيني. وكذا شيخه سليمان بن أرقم البصري واهٍ. وورد من وجه آخر أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٨٥٨٥ وأعله الهيثمي بمحمد بن الفضل بن عطية، وأنه مجمع على ضعفه. فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) فيه راوٍ مجهول. لكن للحديث شواهد كثيرة تجعله صحيحاً. انظر «المجمع» (١٠/ ٢٢٢) ١٧٦٦٠ ـ ١٧٦٦٧ وغيرها من الروايات.

(٣) أخرجه البغوي في «شرح السنة» ٤١٤١ وسعيد ضعفه الجمهور.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٨٤ وابن ماجه ٤٢٢٦ والطيالسي ٢٤٣٠ وابن حبان ٣٧٥ وإسناده ضعيف، حبيب مدلس، وقد عنعن، والراجح الإرسال وانظر «الضعيفة» ٤٣٤٤.

[٧٤٨٦] وقد قال أبو جعفر بن جَرير: حدَّثني أبو كُرَيبٍ، حدَّثنا معاويةُ بن هشام، عن شَيْبانَ النَّحويّ، عن جابر الجُعفيّ، حَدَّثني رجلٌ، عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي قال: قال رسولُ الله ﷺ لما نَزَلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾، «الله أكبر هذا خيرٌ لكم من أن لو أعطي كُلُّ رجلٍ منكم مثلَ جَميع الدنيا. هو الذي إن صلى لم يَرْجُ خيرَ صلاتِهِ، وإن تَرَكها لم يَخَفْ رَبَّه»[١]. فيه جابر الجُعفي، وهو ضَعِيفٌ، وشيخه مُبهمٌ لم يُسَمَّ، والله أعلم.

[٧٤٨٧] وقال ابنُ جرير أيضاً: حدَّثني زكريا بن أبانَ المِصْرِيُّ، حدَّثنا عَمرو بن طارقٍ، حدَّثنا عِكْرِمة بن إبراهيم، حدَّثني عبد الملك بن عُمَير، عن مُصَعبِ بن سعدٍ، عن سعد بن أبي وقَّاصٍ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾، قال: «هم الذين يُؤخِرون الصلاةَ عن وقتها»[٢]. قلت: وتأخير الصلاة عن وقتها يَحتَمِلُ تركَها بالكُلِّية، أو صلاتها بعد وَقْتِها شرعاً، أو تأخيرها عن أوّلِ الوَقْتِ. وكذا رواه الحافظ أبو يَعْلَى عن شَيْبَانَ بن فَرّوخ، عن عكرمة بن إبراهيم، به. ثم رواه عن أبي الربيع، عن حماد عن عاصم، عن مُصعَب، عن أبيه موقوفاً سهواً عنها حتى ضاع الوقت». وهذا أصحُّ إسناداً، وقد ضَعَّفَ البيهقيُّ رَفْعَه وصَحَّحَ وقفه وكذلك الحاكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝﴾، أي: لا أحسنُوا عبادة ربِّهم، ولا أحسنُوا إلى خَلْقِه حتَّى ولا بإعارةِ ما يُنْتَفَعُ به ويُستَعان به، مع بقاء عينه ورجُوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرُبات أولَى وأولَى. وقد قال ابن أبي نَجِيحٍ، عن مجاهد: قال علي: الماعُون الزكاة. وكذا رواه السُّدِّي، عن أبي صالح، عن عَلِيٍّ. وكذا رُوِي من غير وجهٍ عن ابن عُمَر. وبه يقول محمد بن الحنفية، وسعيد بن جُبَير، وعكرمةُ، ومجاهدٌ، وعطاءٌ، وعطيةُ العَوفي، والزُّهريُّ، والحسنُ، وقتادةُ، والضحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. وقال الحسنُ البصريُّ: إن صَلّى راءَى، وإن فاتته لم يَأْسَ عليها، ويمنَعُ زكاةَ مالِهِ. وفي لفظ: صدقة ماله. وقال زيدُ بن أسلَمَ: هم المنافقون، ظَهَرتِ الصلاةُ فصلوها، وخَفِيت الزكاةُ فَمنَعُوها. وقال الأعمشُ وشُعبةُ، عن الحَكَم، عن يحيى بن الجَزّار: أن أبا العُبَيدِينَ سأل عبد الله بن مسعُودٍ عن الماعُونِ، فقال: هو ما يتعاوَرُه الناسُ بينهم من الفأسِ والقِدْرِ. وقال المَسعُودِيُّ، عن سَلَمة بن كُهَيل، عن أبي العُبَيدين: أنه سأل ابنَ مَسعُودٍ عن الماعونِ، فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم، من الفأس والقدر والدَّلْوِ، وأشباه ذلك.

وقال ابنُ جرير: حدَّثني محمد بن عُبَيد المُحاربيُّ، حدَّثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العُبَيدين وسعد بن عياض، عن عبدِ الله قال: كنَّا ـ أصحابَ رسول الله ﷺ نتحدَّث أن الماعونَ الدلو والفأس والقدرُ، لا يُستغنى عنهنَّ. وحَدَّثنا خَلَّاد بن أَسْلَم، أخبرنا النضرُ بن شُمَيل، أخبرنا شعبةُ، عن أبي إسحاق قال: سَمِعتُ سعدَ بن عَيَاضٍ يُحَدث عن أصحاب النبيِّ ﷺ مثلَهُ. وقال الأعمش، عن إبراهيم، عن الحارث بن سُويد، عن عبد الله: أنه سُئِل عن الماعون، فقال: ما يتعاورُ الناس بينهم: الفأسُ والدلْو، وشبهُه.

[٧٤٨٨] وقال ابنُ جرير: حدَّثنا عَمرو بن علي الفلاَّس، حدَّثنا أبو داود ـ هو الطيالسي ـ حدَّثنا أبو

---

(١) أخرجه الطبري ٣٨٠٥٥، وإسناده ضعيف جداً، له علتان: جابر هو ابن يزيد الجعفي ضعيف واتهمه أبو حنيفة، وفيه راوٍ لم يسمّ. ثم إن المتن غريب، والأشبه فيه الوقف والله أعلم.

(٢) الصحيح وقفه. أخرجه الطبري ٣٨٠٣٤ والطبراني ١٨٥٣، وقال الهيثمي ١١٥٢٤: فيه عكرمة بن إبراهيم، وهو ضعيف جداً اهـ وقد رواه حماد موقوفاً كما هو الآتي. والله أعلم.

عَوانة، عن عاصِم بن بَهْدَلة، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كُنّا مع نَبيِّنا ﷺ ونحن نقولُ: الماعونُ، منعُ الدلوِ وأشباه ذلك[١].

[٧٤٨٩] وقد رواه أبو داود والنسائي، عن قُتَيبة، عن أبي عَوانة بإسنادِهِ، نحوه. ولفظُ النسائيِّ عن عبدِ الله قال: كلُّ معروفٍ صَدَقةٌ، كنا نَعُدُّ الماعونَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ عاريةَ الدلوِ والقِدرِ[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا عفَّان، حدَّثنا حَمَّاد بن سَلَمة، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله قال: الماعون: العَوارِيّ، القِدرُ والميزان، والدَّلْوُ. وقال ابنُ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾، يعني متاعَ البيتِ. وكذا قال مجاهدٌ، وإبراهيمُ النخَعِيُّ، وسعيد بن جُبَير، وأبو مالك، وغيرُ واحدٍ: إنها العارية للأمتعةِ. وقال ليث بن أبي سُلَيم، عن مجاهدٍ، عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾، قال: لم يَجِيء أهلُها بعدُ. وقال العَوْفِيُّ عن ابن عباس: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾، قال: اختلف الناسُ في ذلك، فمنهم من قال: يمنعونَ الزكاةَ. ومنهم من قال: يمنعون الطاعةَ، ومنهم من قال: يمنعون العاريَّة. رواه ابن جرير. ثم روي عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عُلَيَّة، عن ليث بن أبي سُلَيم، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ: الماعونُ منعُ الناسِ الفأس والقِدْرَ والدلو. وقال عِكْرِمةُ: رأسُ الماعون زكاةُ المالِ، وأدناه المُنخُل والدَّلْوُ والإبرةُ. رواه ابنُ أبي حاتم. وهذا الذي قاله عِكْرِمةُ حَسَنٌ؛ فإنه يشملَ الأقوالَ كلها، ويرجع كلُّها إلى شيءٍ واحدٍ، وهو تركُ المعاونة بمال أو منفعةٍ، ولهذا قال محمدُ بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾، قال: المعروف.

[٧٤٩٠] ولهذا جاء في الحديث: «كلُّ معروفٍ صدقةٌ»[٣].

وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشجُّ، حدَّثنا وكيعٌ، عن ابن أبي ذئبٍ، عن الزُّهريِّ: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾، قال: بلسانِ قُريشٍ المالُ.

[٧٤٩١] وَروَى ها هنا حديثاً غَرِيباً في إسناده ومَتْنِهِ، فقال: حدَّثنا أبي وأبو زُرعَةَ قالا: حدَّثنا قيس ابنُ حَفصٍ الدارميُّ، حدَّثنا دَلْهَمُ بن دَهْثَم العِجْلِيُّ، حدَّثنا عائذُ بن رَبِيعةَ النمَيريُّ، حدَّثني قُرَّة بن دُعْمُوصٍ النُّمَيريُّ: أنهم وفدُوا إلى رسُولِ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! ما تَعْهَدُ إلينا؟ قال: «لا تمنَعُوا الماعُونَ». قالوا: يا رسول الله! وما الماعُون؟ قال: «في الحَجرِ، وفي الحَدِيدة، وفي الماء». قالوا: فأيُّ الحَدِيدةِ؟ قال: «قُدُورُكم النحاسُ، وحديدُ الفأسِ الذي تَمْتَهِنُون به». قالوا: ما الحجر؟ قال: «قدورُكم الحجارَةُ»[٤]. غريبٌ جداً، ورفعه منكَرٌ، وفي إسنادِه مَن لا يُعرَفُ، والله أعلم.

[٧٤٩٢] وقد ذكر ابنُ الأثير في الصحابة ترجمة «علي النميري»، فقال: رَوَى ابنُ قانعٍ بسندِه إلى

---

(١) أخرجه الطبري ٣٨١٣٠ وله حكم الرفع، وكذا ما بعده، لقوله «على عهد رسول الله» والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٥٧ والنسائي في «التفسير» ٧٢١، والبزار ٢٢٩٢ وإسناده حسن.

(٣) تقدم.

(٤) ضعيف. فيه دَلْهَم بن دهثم. قال الذهبي في «الميزان» ٢٦٧٩: تكلم فيه. ولم يترك. وقال الأزدي: يتكلمون فيه اهـ وشيخه عائذ وثقه ابن حبان، وقيس بن حفص الدارمي، وثقه ابن حبان أيضاً على قاعدته، وقرة بن دُعموص مذكور في الصحابة. انظر الإصابة ٣/ ٢٢٣/ ٧١٠٣ فالإسناد ضعيف، والمتن غريب كما ذكر ابن كثير، والله تعالى أعلم.

عائذِ بن ربيعة بن قيس النميري، عن علي بن فلان النُمَيرِيِّ: سَمِعت رسول الله ﷺ يقول: «المسلمُ أخُو المسلم، إذا لقيه حَيّاهُ بالسلام، ويَرُدُّ عليه ما هو خيرٌ منه، لا يمنع الماعون». قلت: يا رسول الله! ما الماعُون؟ قال: «الحَجَرُ والحديدُ، وأشباه ذلك»[1].

آخر تفسير سورة الماعون، ولله الحمد والمنّةُ

(١) ضعيف. ذكره الحافظ في الإصابة ٢/ ٥١١/ ٥٦٩٥ في ترجمة علي النميري، وقال: قال الدارقطني: له صحبة. وروى ابن قانع.. فذكر هذا الحديث. وتوبع فيه دَلْهَم بن دهثم لكن من فوقه مجاهيل والله تعالى أعلم.

سُورَةُ الكَوثَر

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

مدنيّة، وقيل مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

[٧٤٩٣] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا محمد بن فُضَيل، عن المختار بن فُلفُلٍ، عن أنس بن مالك قال: أغفى رسولُ الله ﷺ إغفاءةً، فرفع رأسَه مُتبسِّماً، إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكتَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنه أُنزلت عَلَيَّ آنِفاً سورةٌ. فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، حتى خَتَمها قال: «هل تَدرُون ما الكوثَرُ؟» قالوا: اللّهُ ورسولُه أعلَمُ. قال: «هو نهرٌ أعطانيه ربِّي ـ عزَّ وجلَّ ـ في الجنة، عليه خيرٌ كثيرٌ، تَرِدُ عليه أُمّتي يومَ القيامةِ، آنيتُه عددُ الكواكبِ، يُختَلج العبدُ منهم فأقول: يا ربِّ! إنه من أُمتي. فيقال: إنَّك لا تَدْرِي ما أحدثوا بَعْدَكَ!»[١]. هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي، وهذا السياقِ.

[٧٤٩٤] وقد ورد في صِفة الحوض يوم القيامة: أنه يَشْخَبُ فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر، وأنَّ عليه آنية عدد نُجوم السماء[٢].

[٧٤٩٥] وقد رَوَى هذا الحديث مُسلِمٌ وأبو داود والنَّسائي، من طريق محمد بن فُضَيل وعلي بن مُسهِر، كلاهما عن المختار بن فُلْفُلٍ، عن أنس، ولفظُ مسلم قال: بينا رسولُ الله ﷺ بين أظهُرنا في المسجد إذْ أغفَى إغفاءةً ثم رفع رأسه مُتَبَسِّماً، قلنا: ما أضحَكَك يا رسولَ الله؟! قال: «أنزلت عليّ آنِفاً سُورةٌ فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾». ثم قال: «أتدرُون ما الكوثرُ؟» قلنا: الله ورسُوله أعلَمُ. قال: «فإنه نهر وَعدنيه ربِّي ـ عزَّ وجلَّ ـ عليه خيرٌ كثيرٌ، [و] هو حوضٌ تَرِدُ عليه أُمّتي يوم القيامة، آنيته عددُ النجومِ في السماء، فَيُختَلَجُ العبدُ منهم، فأقول: ربِّ! إنه من أُمّتي. فيقول: إنك ما تَدرِي ما أحدث بعدك!»[٣]

وقد استدلَّ به كثير من القُرّاء على أن هذه السورة مَدَنِيّةٌ، وكثيرٌ من الفقهاء على أنَّ البسملةَ من السُورةِ، وأنها مُنَزَّلةٌ معها. فأما قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، فقد تقدم في هذا الحديث: أنه نهَرٌ في الجنة.

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١٠٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٧٤٩ وأحمد ٤/ ٤٢٤ وعبد الرزاق ٢٠٨٥٢ وابن حبان ٦٤٥٨ من حديث أبي برزة وهو صحيح، وله شواهد.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٤٠٠ وأبو داود ٧٨٤ والنسائي ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤.

[٧٤٩٦]وقد رَوَاه الإمام أحمد من طريق أُخرى، عن أنس فقال: حدَّثنا عَفَّان، حدَّثنا حَمَّادُ، أخبرنا ثابتٌ، عن أنسٍ أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ الكوثَرَ فإذا هو نهرٌ يجري، ولم يُشَق شَقًّا، وإذا حافتاه قِبابُ اللؤلؤ، فضربتُ بِيَدِي في تربته، فإذا مِسْكَةٌ ذَفِرَةٌ، وإذا حَصَاهُ اللُّؤلؤ»(١).

[٧٤٩٧]وقال الإمام أحمد أيضاً: حدَّثنا محمد بن أبي عَدِيٍّ، عن حُمَيد، عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بنهر، حافتَاهُ اللُّؤلُؤ، فَضَربتُ بِيدِي إلى ما يجرِي فيه الماءُ، فإذا مسكٌ أذفَرُ، قلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟! قال: هذا الكوثرُ أعطاكَهُ الله عزَّ وجلَّ»(٢).

[٧٤٩٨]وَرَواه البخاريُّ في صحِيحه ومسلمٌ، مِن حديثِ شيبانَ بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أنسِ بن مالك قال: لما عُرِجَ بالنبيِّ ﷺ إلى السماء قال: «أتيتُ على نهر حافتَاه قِبابُ اللُؤلُؤِ المُجَوَّفة، فقلت: ما هذا يا جبريلُ؟! قال: هذا الكوثَرُ»(٣). وهذا لفظ البخاري، رحمه الله.

[٧٤٩٩]وقال ابنُ جرير: حدَّثنا الربيع، أخبرنا ابنُ وهبٍ، عن سُليمان بن بلالٍ، عن شَرِيك بن أبي نَمر، قال: سَمِعتُ أنس بن مالك يُحدِّثنا قال: لما أُسرِيَ برسُولِ الله ﷺ مَضى به جبريلُ في السماء الدُنيا، فإذا هو بِنَهرٍ عليه قصرٌ من لُؤلؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فذهب يَشَمُّ ترابه فإذا هو مِسْكٌ، قال: «يا جبريلُ! ما هذا النهرُ؟» قال: هو الكوثر الذي خَبَأَ لك ربُّك(٤). وقد تَقَدَّم في حديث الإسراءِ في سُورة «سُبحان»، من طريق شَرِيكٍ عن أنسٍ، وهو مُخرَّجٌ في الصَّحِيحَين.

[٧٥٠٠]وقال سعيدُ، عن قتادةَ، عن أنس: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بينما أنا أسيرُ في الجَنَّة إذ عَرَض لي نهرٌ، حافتاه قِبابُ اللُؤلؤِ، مُجَوَّفٌ، فقال المَلَك الذي معه: أتدري ما هذا؟ هذا الكوثرُ الذي أعطاك الله. وضَرَب بيده إلى أرضِهِ فأخرج من طِينه المِسْك»(٥). وكذا رواه سليمان بن طَرْخان، ومعمر وهَمّام وغيرهم، عن قتادةَ، به.

[٧٥٠١]وقال ابنُ جَرِير: حدَّثنا أحمدُ بن أبي سُرَيج، حدَّثنا أبو أيُّوبَ العباسُ، حدَّثنا إبراهيمُ بن سَعدٍ، حدَّثني محمد بن عبد الله ابنُ أخِي ابنِ شِهابٍ، عن أبيه، عن أنسٍ قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الكَوْثَرِ، فقال: «هو نهرٌ أعطانيه الله تعالى في الجنَّةِ، ترابُه مِسْكٌ، أبيضُ من اللبن، وأحلَى من العسل، تَرِدُه طير أعناقها مثلُ أعناق الجُزر». فقال أبو بكر: يا رسول الله! إنها لناعمةٌ؟ قال: «آكِلُها أنعم منها»(٦).

[٧٥٠٢]وقال أحمد: حدَّثنا أبو سَلَمة الخُزاعِيُّ، حدَّثنا الليثُ، عن يزيدَ بن الهادِ، عن عبد الوهّاب، عن عبد الله بن مُسلِم بن شهاب، عن أنس أنَّ رجُلاً قال: يا رسول الله! ما الكَوْثَرُ؟ قال: «نهرٌ في الجَنَّةِ أعطانيه رَبِّي، لهو أشَدُّ بياضاً من اللَّبَنِ، وأَحلى من العَسَلِ، فيه طيورٌ أعناقُها كأعناق الجُزُرِ»، قال عُمَر: يا

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١٥٢ وإسناده على شرط مسلم.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١٠٣ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٦٤.

(٤) تقدم تخريجه في سورة الإسراء.

(٥) صحيح. أخرجه الطبري ٣٨١٧٠ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

(٦) جيد. أخرجه الطبري ٣٨١٧٤ وإسناده قوي، وتقدم.

رسولَ الله! إنَّها لناعِمَةٌ؟ قال: «آكِلُها أنعَمُ منها يا عُمَرُ!»(١). ورَوَاه ابن جرير، من حديث الزهريِّ، عن أخيه عبد الله، عن أنس: أنه سأل رسولَ الله ﷺ عن الكوثر... فذَكَر مثلَه سواءً.

[٧٥٠٣] وقال البخاري: حدَّثنا خالد بن يزيدَ الكاهِليُّ، حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاقَ، عن أبي عُبَيْدة، عن عائشة قال: سألتُها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، قالت: نهر أُعطِيَه نبيُّكم ﷺ، شاطِئاه عليه دُرٌّ مُجوَّفٌ، آنيته كعَدَدِ النجوم(٢). ثم قال البخاريُّ: «رواه زكريا وأبو الأحْوَصِ ومُطَرِّفٌ، عن أبي إسحاق». ورواه أحمد والنسائي، من طريق مُطرِّف، به.

وقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كَرَيب، حدَّثنا وكيع، عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيدة، عن عائشة قالت: الكوثرُ نهر في الجنة، شاطئاه دُرٌّ مُجَوَّف. وقال إسرائيلُ: نهرٌ في الجنّة عليه من الآنيةِ عَدَدُ نجوم السماء. وحَدَّثنا ابنُ حُمَيد، حدَّثنا يعقوب القُمّي، عن حفص بن حُمَيد، عن شَمِر ابن عَطِيَّةَ، عن شَقِيق أو مَسْرُوقٍ قال: قلتُ لعائشة: يا أمَّ المؤمنين! حَدِّثيني عن الكوثرِ. قالت: نَهرٌ في بطنان الجنة، قلت: وما بُطنان الجنة؟ قالت: وَسَطُها، حافَتَاه قُصور اللؤلؤِ والياقوتِ، تُرَابُه المسكُ، وحَصْباؤه اللؤلؤُ والياقوتُ. وحدَّثنا أبو كُرَيب، حدَّثنا وكيع، عن أبي جَعْفَرٍ الرازيِّ، عن ابن أبي نَجِيح، عن عائشة قالت: من أحب أن يَسْمَعَ خرير الكوثر، فَلْيَجْعل إصبَعَيْهِ في أُذُنَيه(٣). وهذا منقطع بين ابنِ أبي نَجيح وعائشةَ، وفي بعض الروايات: عن رَجُلٍ، عنها، ومعنى هذا أنه يَسْمَعُ نَظِيرَ ذلك، لا أنه يسمعه نَفْسَه، والله أعلم.

[٧٥٠٤] قال السهَيليُّ: وَرَواه الدارَقُطني مرفوعاً، من طريق مالكِ بن مِغْوَلٍ، عن الشعبيِّ، عن مَسْروقٍ، عن عائِشَةَ، عن النبيِّ ﷺ(٤).

ثم قال البخاري: حدَّثنا يعقوبُ بن إبراهيم، حدَّثنا هُشَيمٌ، أخبرنا أبو بِشْرٍ، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس أنه قال في الكوثَر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بِشْرٍ: قلتُ لسعيد بن جُبَير: فإن ناساً يَزْعَمُون أنه نهرٌ في الجنة؟ فقال سعيد: النهرُ الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. ورَوَاه أيضاً من حديث هُشَيم، عن أبي بِشْرٍ وعطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: الكَوْثَرُ: الخيرُ الكثيرُ. وقال الثوريُّ، عن عطاءِ بن السائب، عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: الكَوْثَرُ: الخيرُ الكثيرُ. وهذا التفسير يَعُمُّ النهر وغيرَه، لأنَّ الكَوْثَر من الكَثْرَةِ، وهو الخيرُ الكَثِيرُ، ومن ذلك النهر، كما قال ابن عباس، وعِكْرِمَةُ، وسعيد بن جُبَير، ومجاهدٌ، ومُحَارِبُ بن دِثَارٍ، والحسنُ بن أبي الحَسَن البَصْرِيُّ. حتى قال مجاهدٌ: هو الخيرُ الكثيرُ في الدُّنيا والآخرة. وقال عِكْرِمةُ: هو النبُوّة والقرآن، وثوابُ الآخرة. وقد صَحّ عن ابن عباس أنه فَسَّره بالنهر أيضاً. فقال ابن جرير: حدَّثنا أبو كُرَيبٍ، حدَّثنا عُمَر بن عُبَيدٍ، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: الكَوْثرُ نهرٌ في الجنةِ، حافَتَاه ذَهَبٌ وفضّةٌ، يجري على الياقوتِ والدُّرِّ،

---

(١) جيد. أخرجه أحمد ٣/ ٢٢١ والطبري ٣٨١٧٧ وإسناده جيد، وكذا جوده المنذري في «الترغيب» ٥٥٠٦.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٦٥ والنسائي في «التفسير» ٧٢٥.

(٣) واه بمرة، ومع انقطاعه فيه أبو جعفر الرازي عيسىٰ بن أبي عيسىٰ، وهو ضعيف، روى مناكير كثيرة.

(٤) منكر جداً. مالك بن مِغول فمن فوقه رجال البخاري ومسلم. وهذا دليل على بطلانه، فلو كان عند مالك بن مغول بهذا الإسناد لرواه أصحاب الكتب المعتمدة. والظاهر أنه من وضع أحد الرواة ممن دون مالك ابن مِغول، ولم يسق المصنف إسناده، وللدارقطني كتاب «الأفراد» والظاهر أنه رواه فيه، فلينظر، وأياً كان فالمتن منكر جداً لا يصح حتى موقوفاً، والله تعالى أعلم.

ماؤه أبيضُ من الثلج وأحلى من العَسَل. وَرَوى العَوفِيُّ، عن ابن عباس، نَحْوَ ذلك.

وقال ابنُ جَرِير: حدَّثني يعقوبُ، حدَّثنا هُشَيم، أخبرنا عطاءُ بن السائب، عن مُحارِب بن دِثَارٍ، عن ابن عُمَر أنه قال: الكوثرُ نهرٌ في الجَنَّةِ، حافتَاه ذَهبٌ وفضَّةٌ، يجرِي على الدُرِّ والياقوت، ماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل. وكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد، عن جرير، عن عطاء بن السائب به مثله موقوفاً.

[٧٥٠٥] وقد روي مرفوعاً، فقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص، حدثنا ورقاءُ قال: وقال عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العَسَل»[١]. وهكذا رَواه التِرمِذِيُّ، وابنُ ماجه، وابن أبي حاتم وابنُ جَرِيرٍ، من طريق محمد بن فُضَيل، عن عطاءِ بن السائب، به مرفوعاً. وقال الترمذيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٧٥٠٦] وقال ابنُ جريرٍ: حدَّثني يَعقُوبُ، حدَّثنا ابنُ عُلَيَّة، أخبرنا عطاءُ بن السائب قال: قال لي محاربُ بن دِثَارٍ: ما قال سعيد بن جُبَير في الكوثر؟ قلت: حَدَّثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخيرُ الكثيرُ. فقال: صَدَقَ، والله إنه للخيرُ الكثيرُ، ولكن حدَّثنا ابنُ عمر قال: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، قال رسول الله ﷺ: «الكوثرُ نهرٌ في الجنَّةِ، حافتَاه من ذهَبٍ، يجري على الدرِّ والياقوت»[٢].

[٧٥٠٧] وقال ابنُ جريرٍ: حدَّثني ابنُ البَرْقِيِّ، حدَّثنا ابنُ أبي مَرْيَم، حدَّثنا محمدُ بن جعفر بن أبي كَثِير، أخبرني حَرام بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أسامةَ بن زيدٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى حمزةَ بن عبد المطلب يوماً فلم يَجده، فسأل امرأته عنه ـ وكانت من بني النَّجار ـ فقالت: خَرَج يا نبيَّ الله آنفاً عامِداً نحوَكَ، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النَّجار، أوَ لا تدخُل يا رسولَ الله؟! فدخل، فَقَدَّمت إليه حَيْساً فأكلَ منه، فقالت: يا رسولَ الله! هَنِيئاً لَكَ ومَرِيئاً، لقد جِئتَ وأنا أريدُ أن آتِيكَ فَأهنيكَ وأمْرِيكَ؛ أخبرني أبو عُمَارة أنك أُعطِيتَ نهراً في الجَنَّةِ يُدعى الكوثَرَ. فقال: «أجَل، وعَرْضُه ـ يعني أرضه ـ ياقوتٌ ومرجان، وزَبَرجدٌ ولُؤلؤٌ»[٣]. حَرَامُ بن عثمانَ ضعيفٌ. ولكن هذا سياق حَسَنٌ، وقد صَحَّ أصلُ هذا، بل قد تَواتَرَ من طريق تُفِيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحَوضِ. وهكذا رُوِيَ عن أنسٍ، وأبي العالية، ومُجاهِدٍ، وغير واحد من السَّلَفِ: أنَّ الكوثَرَ نهرٌ في الجنة. وقال عطاءٌ: هو حوضٌ في الجَنَّة.

وقولُه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾، أي: كما أعطيناك الخيرَ الكثيرَ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن ذلك النهرُ الذي تقدَّم صفته، فَأخلِصْ لربِّك صلاتَكَ المكتوبةَ والنافلةَ ونَحْرَك، فاعبُده وحدَه لا شريكَ له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]، قال ابنُ عباس، وعطاءٌ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، والحسنُ: يعني بذلك نَحرَ البُدْنِ ونحوَها. وكذا قال قتادةُ، ومحمد بن كعب القُرَظِيُّ، والضحَّاك، والربيع،

---

(١) حسن. أخرجه الترمذي ٣٣٦١ وابن ماجه ٤٣٣٤ والطيالسي ٢٨١١ و ٢٨١٢ وأحمد ٢/ ٦٧ وفيه عطاء اختلط، لكن للحديث شواهد.

(٢) حسن. أخرجه الطبري ٣٨١٨١ وعطاء اختلط، لكن للحديث شواهد.

(٣) أخرجه الطبري ٣٨١٨٣، وضعفه ابن كثير بحرام بن عثمان، وحسن سياقه، أي لأن أحاديث الحوض متواترة، والله أعلم.

وعطاءُ الخُراساني، والحَكَمُ، وإسماعيلُ بن أبي خالدٍ، وغيرُ واحدٍ من السلف. وهذا بخلافِ ما كان المشركون عليه من السُجودِ لغير الله، والذبحِ على غير اسمِه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].. الآية. وقيل: المرادُ بقوله: ﴿وَانْحَرْ﴾: وَضع اليدِ اليُمنى على اليُسرَى تحتَ النحرِ. يُروَى هذا عن عليّ، ولا يَصِحُّ، وعن الشعبي مثله. وعن أبي جَعْفَر الباقِر: ﴿وَانْحَرْ﴾، يعني: ارفَعِ اليَدين عند افتتاح الصلاة. وقيل: ﴿وَانْحَرْ﴾، أي: استقبل بِنَحْرِك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

[٧٥٠٨] وقد رَوَى ابن أبي حاتم ها هنا حديثاً مُنكراً جدًا. فقال: حدَّثنا وهبُ بن إبراهيم الفَامِيُّ ـ سنة خمس وخمسين ومئتين ـ حدَّثنا إسرائيل بن حاتم المَرْوزِيُّ، حدَّثنا مُقاتل بن حَيَّانَ، عن الأصبغ بن نُباتَةَ، عن علي بن أبي طالب قال: لما نَزَلت هذه السورةُ على النبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، قال رسُول الله: «يا جبريلُ! ما هذه النَّحِيرَةُ التي أمرني بها ربِّي؟» فقال: ليست بِنَحِيرةٍ، ولكنه يأمُرك إذا تَحرَّمتَ للصلاة، ارفَعْ يدَيك إذا كَبَّرت وإذا رَكَعت، وإذا رَفَعت رأسَك من الركوع، وإذا سَجَدْتَ، فإنها صلاتُنا وصلاةُ الملائكة الذين في السَمواتِ السبعِ، وإنَّ لكلِّ شيءٍ زينةً، وزينةُ الصلاةِ رَفْعُ اليدينِ عند كلِّ تكبيرةٍ[1]. وهكذا رواه الحاكمُ في المستدرك، من حديث إسرائيل بن حاتم، به. وعن عطاء الخراساني: ﴿وَانْحَرْ﴾، أي: ارفَعْ صُلبَكَ بعد الركُوعِ واعتدِلْ، وأبرِزْ نحرَكَ، يعني به الاعتدالَ. رواه ابنُ أبي حاتم. وكل هذه الأقوال غريبة جداً. والصحيح القَولُ الأول، أنَّ المرادَ بالنحر ذبحُ المناسِكِ.

[٧٥٠٩] ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي العِيدَ ثم يَنحر نُسُكه ويقول: «مَن صلى صلاتنا، ونَسَك نُسُكنا، فقد أصابَ النُسُك. ومن نَسَك قبل الصلاة فلا نُسُكَ له». فقام أبو بُردَةَ بن نيار فقال: يا رسولَ الله! إني نَسكتُ شاتي قبل الصلاةِ، وعَرَفت أن اليوم يومٌ يُشتَهى فيه اللحم. قال: «شاتك شاةُ لحم». قال: فإنَّ عندي عَنَاقاً هي أحبُّ إليّ من شاتين، أفتُجزِئ عني؟ قال: «تُجزئك، ولا تُجزِئ أحداً بعدك»[2].

قال أبو جعفر بنُ جرير: «والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعَلْ صلاتك كُلَّها لربِّكَ خالصاً دون ما سواه من الأندادِ والآلهةِ، وكذلك نَحْرَكَ اجعَلْه له دُونَ الأوثانِ؛ شكراً له على ما أعطاك من الكَرامة والخير، الذي لا كِفاء له، وخصَّك به». وهذا الذي قاله في غاية الحُسن، وقد سَبَقه إلى هذا المعنى: محمدُ بن كعب القرظي، وعطاءُ. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾، أي: إن مُبغِضَكَ ـ يا محمدُ ـ ومُبغِضَ ما جِئتَ به من الهُدَى والحقِّ والبُرهانِ الساطع والنُورِ المبين، هو الأبترُ الأقلُّ الأذلُّ المُنقطِعُ ذِكْرُه. قال ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وسَعِيد بن جُبَير، وقتادةُ: نَزَلت في العاص بنِ وائلٍ.

وقال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رُومانَ قال: كان العاصُ بن وائلٍ إذا ذَكَر رسولَ الله ﷺ يقول:

---

(١) إسناده ضعيف جداً، والمتن باطل. أخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٨ وابن حبان في «المجروحين» ١/ ١٧٧ وابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/ ٩٨ ـ ٩٩. سكت عليه الحاكم! وقال الذهبي: إسرائيل صاحب عجائب، لا يعتمد عليه. وأصبغ شيعي متروك عند النسائي. اهـ وهذا تساهل من الذهبي رحمه الله، فكلاهما متهم بالكذب، وليس بالضعف فقط. قال ابن حبان: إسرائيل بن حاتم يروي عن مقاتل بن حيان الموضوعات، وعن غيره الأوابد والطامات. وهذا الخبر يرويه عمر بن صبح، وعمر يضع الحديث، فظفر به إسرائيل، فحدث به اهـ. وأصبغ بن نباتة نقل الذهبي نفسه في «الميزان» ١٠١٤ عن أبي بكر بن عياش قوله فيه: كذاب، واتهمه ابن حبان اهـ وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٩٥٥ ومسلم ١٩٦١ ح٧ وأبو داود وابن حبان ٥٩١٠ والبيهقي ٣/ ٢٨٣ من حديث البراء.

دَعُوه فإنه رجلٌ أبتَرُ لا عَقِب له، فإذا هَلَك انقطعَ ذِكْرُه، فأنزل الله هذه السورة. وقال شَمِرُ بن عَطِيَّة: نزلت في عُقبة بن أبي مُعيط. وقال ابن عباس أيضاً، وعِكْرمةُ: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعةٍ من كُفّار قُرَيشٍ. وقال البزار: حدَّثنا زياد بن يحيى الحَسَّاني، حدَّثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المُصَنْبر المُنْبَتِر من قومه؟ يزعم أنه خيرٌ منا، ونحنُ أهل الحَجِيج، وأهل السِّدانةِ وأهلُ السِّقايةِ. فقال: أنتم خيرٌ منه. قال: فنَزَلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾. هكَذا رَوَاه البزار، وهو إسنادٌ صحيحٌ. وعن عطاءٍ: نزلت في أبي لَهَبٍ، وذلك حين ماتَ ابنٌ لرسول الله ﷺ فذَهب أبو لَهَب إلى المشركين وقال: بُتِرَ محمدٌ الليلةَ. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

وعن ابن عبّاسٍ: نَزَلت في أبي جَهْلٍ. وعنه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، يعني: عَدُوَّك. وهذا يَعُمُّ جميعَ من اتَّصفَ بذلك ممن ذُكِر وغيرهم. وقال عِكْرمة: الأبترُ: الفردُ. وقال السُّدِّي: كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا: بُتِر. فلما مات أبناءُ رسولِ الله ﷺ قالوا: بُتِر محمدٌ. فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾. وهذا يرجِعُ إلى ما قلناه مِن أنَّ الأبتر الذي إذا مات انقطَع ذِكْرُه، فتوهَّمُوا لجهلهم أنه إذا مات بَنُوه يَنْقَطِعُ ذكرُه، وحاشا وكلاَّ، بل قد أبقى الله ذِكْرَه على رُؤوسِ الأشهاد، وأوجَبَ شَرْعَه على رقابِ العبادِ، مُستمِرًّا على دَوَام الآبادِ، إلى يومِ الحشرِ والمَعَادِ، صَلَواتُ الله وسلامُه عليه دائماً إلى يوم التنادِ.

آخر تفسير سورة الكوثر، ولله الحمدُ والمِنَّةُ

سُورَةُ الكَافِرُون

ترتيبها ١٠٩ — آياتها ٦

وهي مكيَّة

[٧٥١٠] ثَبَت في صحيح مسلم، عن جابرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَرَأ بهذه السورة، وبـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ في ركعتي الطَّوَاف[١].

[٧٥١١] وفي صحيح مسلمٍ، من حديث أبي هُرَيْرَة: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَرَأ بهما في رَكْعَتي الفَجْرِ[٢].

[٧٥١٢] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عُمَر: أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفَجْرِ والركعَتَين بعد المغربِ، بضعاً وعشرين مَرَّةً ـ أو: بضعَ عشرةَ مَرَّةً ـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾[٣].

[٧٥١٣] وقال أحمدُ أيضاً: حدَّثنا مُحمَّد بن عبد الله بن الزبَير، حدَّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مجاهدٍ، عن ابن عُمَر قال: رَمَقتُ النبيَّ ﷺ أربعاً وعشرينَ ـ أو: خمساً وعشرين ـ مرَّة، يقرأ في الركعتين قبل الفجرِ، والركعتين بعد المغربِ بـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾[٤].

[٧٥١٤] وقال أحمدُ: حدَّثنا أبو أحمدَ ـ هو محمدُ بن عبد الله بن الزبير الزُّبَيرِيُّ ـ حدَّثنا سُفيانُ ـ هو الثوريُّ ـ عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عُمَر قال: رَمَقتُ النبيَّ ﷺ شهراً، وكان يقرأ في الركعَتين قبل الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾[٥]. وكذا رواه التِّرمِذِيُّ، وابنُ ماجه، من حديث أبي أحمدَ الزُّبَيرِيِّ، وأخرجه النسائي من وجهٍ آخَرَ، عن أبي إسحاقَ، به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

[٧٥١٥] وقد تقدَّم في حديث «أنها تَعدِلُ رُبعَ القرآن، و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ القرآن»[٦].

[٧٥١٦] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا هاشمُ بن القاسم، حدَّثنا زُهَير، حدَّثنا أبو إسحاق، عن فَرْوَةَ ابن نَوْفَلٍ ـ هو ابنُ معاوية ـ عن أبيه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له: «هل لَكَ في رَبيبةٍ لنا تَكفُلها؟» قال: أُرَاها زينبَ.

(١) صحيح. هو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ١٢١٨ ح ١٤٧ وتقدم.
(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٧٢٦ ح ٩٨.
(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٢٤ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.
(٤) صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٩٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم.
(٥) صحيح. أخرجه الترمذي ٤١٧ وابن ماجه ١١٤٩ وأحمد ٢/ ٩٤ والنسائي ١٠٦٤ وإسناده على شرطهما.
(٦) تقدم تخريجه في الزلزلة.

قال: ثم جاء فَسأله النبيُّ ﷺ عنها، قال: «ما فَعلت الجاريةُ؟» قال: تَرَكتُها عند أُمِّها. قال: «فَمَجِيءَ ما جاء بِكَ؟» قال: جئتُ لِتُعَلِّمني شيئاً أقولُه عند منامي. قال: «اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ثم نَمْ على خاتِمتِها، فإنها براءةٌ من الشِّرك»(١). تفرَّدَ به أحمدُ.

[٧٥١٧] وقال أبو القاسم الطَّبَرانيُّ: حدَّثنا أحمد بن عَمْرو القَطِرانيُّ، حدَّثنا محمد بن الطفَيل، حدَّثنا شَرِيك، عن أبي إسحاقَ، عن جَبَلة بن حارثة ـ وهو أخو زيدِ بن حارثةَ ـ أن النبي ﷺ قال: «إذا أَوَيتَ إلى فِرَاشِكَ فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ حتى تَمُرَّ بآخرها، فإنها براءةٌ من الشرك»(٢).

[٧٥١٨] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا حَجّاجُ، حدَّثنا شَرِيكٌ، عن أبي إسحاق، عن فَرْوَةَ بن نَوْفَلٍ، عن الحارث بن جَبَلة قال: قلتُ: يا رسولَ الله، عَلِّمني شيئاً أقولُه عند مَنَامِي. قال: «إذا أخذتَ مَضجعكَ من الليلِ فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فإنها براءةٌ من الشِّرْكِ»(٣).

[٧٥١٩] وَرَوى الطَّبَراني من طريق شَرِيكٍ، عن جابر، عن مَعْقِل الزبَيديِّ، عن عَبّادِ بن أخضَرَ أو أحمَرَ: أن رسول الله ﷺ كان إذا أخَذَ مَضجَعه قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ حتى يَختِمَها(٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾، شَمِلَ كلَّ كافرٍ على وجه الأرض، ولكن المواجَهون بهذا الخطاب هم كُفّار قريش. وقيل: إنهم من جَهلِهم دَعَوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنةً، ويعبدُون معبودَه سنةً، فأنزل الله هذه السورةَ، وأَمَر رسُولَه ﷺ فيها أن يتبرأً من دينهم بالكُلِّية، فقال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾. يعني من الأصنام والأنداد، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، وهو الله وحدَه لا شريكَ له. فـ «ما» ها هنا بمعنى «مَن». ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، أي: ولا أعبد عبادَتَكم، أي: لا أسلكُها ولا أقتدِي بها، وإنما أعبدُ الله على الوجه الذي يُحبُّه ويرضاه. ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾، أي: لا تقتدُون بأوامر الله وشَرعه في عبادته، بل قد اخترعتُم شيئاً من تلقاء أنفُسِكم، كما قال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، فَتبرّأ منهم في جَميع ما هم فيه، فإن العابد لا بُدَّ له من معبودٍ يعبده، وعبادةٍ يسلُكها إليه، فالرسولُ ﷺ وأتباعُه يعبُدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة

---

(١) جيد. أخرجه أحمد ٥/ ٤٥٦ وأبو داود ٥٠٥٥ والترمذي ٣٤٠٣ وإسناده حسن، وله شواهد.

(٢) حسن. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٩٨٩ و «الكبير» ٢١٩٥ وقال الهيثمي ١٧٠٣٣: رجاله وثقوا. قلت: شريك فيه كلام، لكن يشهد لأصل حديثه ما قبله.

(٣) إسناده حسن في الشواهد لأجل شريك. ولم أره في «المسند» ولا ذكره صاحب المجمع»، فالله أعلم.

(٤) أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١٧٠٣٢. وقال الهيثمي في «المجمع»: فيه يحيى الحمّاني، وجابر الجعفي، وكلاهما ضعيف، وأخرجه البزار ٣١١٣ من حديث خبّاب لكن فيه جابر ـ بن يزيد الجعفي ـ وهو ضعيف كما تقدم.

الإسلام «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، أي: لا معبود إلا الله، ولا طريقَ إليه إلا بما جاء به الرسولُ ﷺ، والمشركُون يعبُدون غيرَ الله عبادةً لم يأذن بها الله. ولهذا قال لهم الرسولُ ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس: ٤١]. وقال: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال البخاري: يقال لكم دينكُم الكفر، ولي دين الإسلامُ. ولم يقل «ديني» لأن الآيات بالنُونِ، فحذف الياء، كما قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، و ﴿يَشْفِينِ﴾، وقال غيرُه: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ الآن، ولا أُجيبُكم فيما بَقِيَ من عُمُري، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾، وهم الذين قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]. انتهى ما ذكره. ونقل ابنُ جريرٍ عن بعضِ أهل العرَبيّة أن ذلك من باب التأكيدِ، كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الانشراح: ٥ ـ ٦]، وكقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦ ـ ٧]. وحكاه بعضهم كابن الجَوْزي وغيره عن ابن قُتَيبة، فالله أعلم. فهذه ثلاثة أقوال: أولها ما ذكرناه أولاً. الثاني: ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في الماضي ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ في المستقبل، الثالث: أن ذلك تأكيدٌ محضٌ.

وثَمّ قولٌ رابعٌ، نصره أبو العباس ابن تَيميّة في بعضِ كُتُبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ نَفْيَ الفعل لأنها جملةٌ فعليّةٌ، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾، نفي قبوله لذلك بالكُلّية؛ لأن النفي بالجُملة الاسمية آكدُ فكأنه نَفى الفِعلَ، وكونَه قابلاً لذلك. ومعناه نفيُ الوقوع ونفيُ الإمكانِ الشرعيَّ أيضاً. وهو قولٌ حَسَنٌ أيضاً، والله أعلم. وقد استدلَّ الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيرُه بهذه الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾، على أن الكُفرَ كُلَّه مِلّةٌ واحدةٌ، فَوَرثَ اليهود من النصارى، وبالعكس؛ إذا كان بينهما نَسَبٌ أو سَبَبٌ يُتوارَثُ به؛ لأنَّ الأديان ما عدا الإسلامَ كُلّها كالشيء الواحدِ في البطلان. وذهب أحمدُ بن حنبل ومَن وافقه إلى عَدَم توريثِ النصارى من اليهود وبالعكس.

[٧٥٢٠] لحديث عَمْرو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يتوارَثُ أهل مِلّتينِ شتى»[1].

آخر تفسير سورة «قل يا أيها الكافرون»، ولله الحمدُ والمنّةُ

---

(١) تقدم في سورة الأنفال آية ٧٣.

سُورَةُ النَّصرِ

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

وهي مدنيَّةٌ

[٧٥٢١] قد تَقدَّم «أنها تَعدِلُ رُبُعَ القرآنِ، و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدِلُ رُبُعَ القرآنِ»[(١)].

[٧٥٢٢] وقال النَّسائي: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا جعفر، عن أبي العُمَيس (ح) ـ وأخبرنا أحمد بن سليمان ـ حدَّثنا جعفرُ بن عَون، حدَّثنا أبو العُمَيس عن عبد المجيد بن سُهَيل، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبةَ قال: قال لي ابنُ عباس: يابن عُتبةَ، أتعلم آخرَ سورةٍ من القرآن نزلت؟ قلت: نعم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾. قال: صَدَقْتَ[(٢)].

[٧٥٢٣] ورَوَى الحافظان أبو بكر البزّار والبَيْهَقِيُّ، من حديث مُوسَى بن عُبَيْدَة الرَّبَذِيّ، عن صَدَقَةَ ابن يسارٍ، عن ابن عُمَر قال: أُنزِلَت هذه السورةُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسَطَ أيّام التشريق، فَعَرف أنه الوداعُ، فأمر براحلته القَصْواءِ فَرُحِلت، ثم قام فَخَطَب الناسَ... فذكر خطبته المشهورة[(٣)].

[٧٥٢٤] وقال الحافظ البَيْهَقِيُّ: أخبرنا علي بن أحمد بن عَبْدَان، أخبرنا أحمد بن عُبَيد الصفار، حدَّثنا الأسفاطِيُّ، حدَّثنا سَعِيد بن سليمان، حدَّثنا عَبّادُ بن العَوّام، عن هلال بن خَبّابٍ، عن عِكْرمَةَ، عن ابن عَبّاس قال: لما نَزَلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، دَعا رسولُ الله ﷺ فاطمةَ وقال: «إنه قد نُعِيَتْ إليَّ نَفْسِي». فَبَكت ثم ضَحِكت، وقالت: أخبرني أنه نُعِيَت إليه نَفْسُه فَبَكيتُ، ثم قال: «اصبِري فإنَّك أوَّلُ أهْلِي لَحَاقاً بي». فَضَحِكْتُ[(٤)]. وقد رَوَاه النَّسائيُّ، كما سيأتي، بدُونِ ذكْرِ فاطِمَةَ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾

[٧٥٢٥] قال البخاريُّ: حدَّثنا موسى بن إسماعيل، حدَّثنا أبو عَوانةَ، عن أبي بشر، عن سعيد بن

---

(١) تقدم إلا أنه لم يصح.

(٢) صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٢٤ ح ٢١ والنسائي في «التفسير» ٧٣٣.

(٣) أخرجه البيهقي ٥/ ١٥٢، وفيه موسى بن عبيدة الرَّبَذي، وهو ضعيف الحديث.

(٤) أخرجه الطبراني ١١٩٠٧ والأوسط ٨٨٧ بهذا الإسناد، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤٢٤٢: رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة، وفيه ضعف اهـ. فالإسناد غير قوي. والله أعلم.

جُبَير، عن ابن عباس قال: كان عُمَر يُدخِلُني مع أشياخِ بَدْرٍ، فكأنَّ بعضَهم وَجَد في نَفْسِهِ، فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عُمَر: إنه ممن عَلِمتُم. فدعاهم ذاتَ يوم فأدخلَه معهم، فما رُئِيتُ أنه دعاني فيهم يومئذٍ إلا لِيُريهم. فقال: ما تقولُون في قولِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾؟ فقال بعضهم: أُمِرْنا أن نَحْمَد الله ونستغفِرَه إذا نُصِرنا وفُتِح علينا. وسَكَت بعضُهم فلم يَقُل شيئاً، فقال لي: أَكَذاكَ تقولُ يابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أَجَلُ رسولِ الله ﷺ أعْلَمَه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فذلك علامةُ أجَلِك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾. فقال عُمَر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقولُ(١): تَفرَّد به البخاري. وروى ابنُ جرير، عن مُحمَّدِ بن حُمَيد، عن مِهْرانَ، عن الثوريِّ، عن عاصم، عن أبي رَزِينٍ، عن ابن عباس. . فذكر مثل هذه القصة، أو نحوها.

[٧٥٢٦] وقال الإمام أحمد: حدَّثنا مُحمَّد بن فُضَيل، حَدَّثنا عطاءٌ، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباسٍ قال: لما نَزَلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، قال رسولُ الله ﷺ: «نُعِيَت إليَّ نفسِي»، بأنه مقبوضٌ في تلك السنة(٢)، تفرّد به أحمد. وَرَوَى العَوْفِيُّ، عن ابن عباس، مثله. وهكذا قال مجاهدٌ، وأبو العاليةِ، والضحَّاكُ، وغيرُ واحد: إنها أجل رسول الله ﷺ نُعِي إليه.

[٧٥٢٧] وقال ابنُ جريرٍ: حدَّثني إسماعيلُ بن موسى، حدَّثنا الحُسَين بن عيسى الحَنَفِيُّ، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن أبي حازم، عن ابن عَبَّاسٍ قال: بينما رسولُ الله ﷺ في المدينةِ إذ قال: «الله أكبر، الله أكبر! جاءَ نصرُ الله والفتحُ، جاءَ أهلُ اليَمَنِ». قيل: يا رسولَ الله! وما أهلُ اليمنِ؟ قال: «قومٌ رقيقةٌ قلوبُهم، لَيِّنةٌ طباعُهم، الإيمانُ يمانٍ، والفقهُ يَمانٍ، والحكمة يَمَانِيةٌ»(٣). ثم رواه عن ابن عبد الأعلى، عن ابن ثَورٍ، عن معمر، عن عكرمة مرسلاً.

[٧٥٢٨] وقال الطبرانيُّ: حدَّثنا زكريا بن يحيى، حدَّثنا أبو كامل الْجَحْدَرِيّ، حدَّثنا أبو عَوَانة، عن هلال بن خَبَّابٍ، عن عِكْرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نَزَلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، حتى خَتَم السورةَ، قال: نُعِيَتْ لرسول الله ﷺ نفسُه حين نَزَلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قطُّ اجتهاداً في أمر الآخرةِ، وقال رسولُ الله ﷺ بعد ذلك: «جاء الفتحُ ونصر الله، وجاء أهلُ اليمن». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! وما أهلُ اليَمَنِ؟ قال: «قومٌ رقيقةٌ قلوبُهم، لَيِّنةٌ قلوبُهم، الإيمانُ يَمانٍ، والفقهُ يمانٍ»(٤).

[٧٥٢٩] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا وكيعٌ، عن سفيانَ، عن عاصم، عن أبي رَزِينٍ، عن ابن عباس قال: لما نَزَلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، عَلِم النبيُّ ﷺ أن قد نُعِيت إليه نَفسُه، فقيل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، السورة كُلُّها(٥).

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٧٠.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢١٧، وفيه عطاء بن السائب، وهو صدوق إلا أنه اختلط، والراجح في لفظ «نعيت. .» أنه من قول ابن عباس كما اشتهر عنه ذلك، انظر ما بعده.

(٣) أخرجه الطبري ٣٨٢٣٠ وأبو يعلى ٢٥٠٥ والبزار ٢٨٣٧. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٦٦٢٢: فيه الحسين بن عيسى الحنفي، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور. اهـ.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١١٩٠٣ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤٢٤١: وزاد «والحكمة يمانية» وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه أحمد ١/٣٤٤ وإسناده حسن لأجل عاصم، وهو ابن بهدلة.

[٧٥٣٠] حدَّثنا وكيعٌ، عن سُفيان، عن عاصم، عن أبي رَزِينٍ: أن عُمَر سألَ ابنَ عباسٍ عن هذه الآيةِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾، قال: لما نَزَلَت نُعِيَتْ إلى رسول الله ﷺ نفسُه[١].

[٧٥٣١] وقال الطبرانيُّ: حدَّثنا إبراهيمُ بن أحمدَ بن عُمَر الوكِيعيُّ، حدَّثنا أبي، حدَّثنا جعفرُ بن عَونٍ، عن أبي العُمَيسِ، عن أبي بكر بن أبي الجَهْم، عن عُبَيدِ الله بن عبدِ الله بن عُتْبَةَ، عن ابن عباسٍ قال: آخرُ سورةٍ نَزَلت من القرآن جَميعاً: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾[٢].

[٧٥٣٢] وقال الإمامُ أحمدُ أيضاً: حدَّثنا محمدُ بن جعفر، حدَّثنا شعبةُ، عن عَمْرو بن مُرَّة، عن أبي البَختريِّ الطائيِّ، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لما نَزَلت هذه السورةُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾، قَرأها رسولُ الله ﷺ حتى خَتَمها، فقال: الناس حَيِّزٌ، وأنا وأصحابي حَيِّزٌ. وقال: لا هِجْرَةَ بعدَ الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ». فقال له مَرْوانُ: كَذَبْتَ. وعنده رافع بن خَدِيج وزيدُ بن ثابت قاعدانِ معه على السرير، فقال أبو سعيدٍ: لو شاء هذانِ لحدَّثاكَ، ولكن هذا يخاف أن تَنْزَعَه عن عِرَافةِ قومه، وهذا يخشَى أن تنزِعَه عن الصدقة. فَرفَع مروانُ عليه الدرَّة ليضربَه، فلما رأيا ذلك قالا: صَدَقَ[٣]. تَفَرَّد به أحمدُ، وهذا الذي أنكره مَرْوَانُ على أبي سعيد ليس بِمُنْكَر.

[٧٥٣٣] فقد ثَبَت من روايةِ ابن عَبَّاسٍ أن رسولَ الله ﷺ قال يومَ الفتحِ: «لا هجرةَ، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ، ولكن إذا استُنْفِرتُم فانفِروا»[٤]. أخرجه البخاري ومسلم في صَحِيحَيهما.

فالذي فَسَّر به بعضُ الصحابة من جُلَساء عُمَرَ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ مِنْ أنه قد أُمِرْنا إذا فَتَح الله علينا المدائن والحُصُونَ أن نحمَد الله ونشكُرَه ونُسَبِّحه، يعني: نُصَلِّي له ونستغفره ـ معنًى مَلِيحٌ صَحِيحٌ، وقد ثَبَت له شاهدٌ من صلاة النبي ﷺ يومَ فتح مكَّةَ وقت الضحَى ثماني ركعات[٥]، فقال قائلونَ: هي صلاةُ الضحى. وأُجِيبُوا بأنه لم يكن يُواظِبُ عليها، فكيف صَلَّاها ذلكَ اليومَ وقد كان مُسافِراً لم يَنْوِ الإقامة بمكة؟ ولهذا أقامَ فيها إلى آخرِ شهرِ رمضانَ قريباً من تسعةَ عشَرَ يوماً يَقصرُ الصلاةَ ويُفطِر هو وجميعُ الجيشِ، وكانوا نحواً من عشرةِ آلاف، قال هؤلاء: وإنما كانت صلاة الفتحِ، قالوا: فَيُستَحَبُّ لأمير الجيش إذا فَتَحَ بلداً أن يُصَلِّي فيه أولَ ما يدخُله ثمانِي رَكَعاتٍ. وهكذا فعل سعدُ بن أبي وقاص يوم فتح المَدَائن، ثم قال بعضُهم: يُصَلِّيها كُلَّها بتسليمةٍ واحدةٍ. والصحيحُ أنه يُسَلِّم من كلِّ ركعتين.

[٧٥٣٤] كما ورد في سُنَن أبي داود: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُسَلِّم يومَ الفتحِ من كلِّ ركعتين[٦]. وأما ما فسَّر به ابنُ عبَّاسٍ وعُمَر ـ رَضِي الله عنهما ـ من أنَّ هذه السورةَ نُعِي فيها إلى رسولِ الله ﷺ نفسُه الكريمةُ، وأُعلِم أنك إذا فتحتَ مكة ـ وهي: قريتُك التي أخرجَتْكَ ـ ودَخل الناس في دين الله أفواجاً، فقد فرغ شُغلنا بك في الدنيا، فَتَهيَّأْ للقُدوم علينا والوفُود إلينا، فالآخرة خيرٌ لك من الدنيا، ولسوف يُعطِيك ربُّك فترضَى، ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢١٧ وإسناده حسن.

(٢) صحيح. أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٠/ ١٠٧٣٦ وإسناده على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢ و ٥/ ١٨٧ وإسناده حسن، رجاله ثقات.

(٤) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ٢١٦.

(٥) تقدم في سورة «ص».

(٦) تقدم.

[٧٥٣٥] قال النسائي: أخبرنا عمرو بن منصور، حدَّثنا محمد بن محبُوب، حدَّثنا أبو عَوَانة، عن هلال بن خبَّاب، عن عِكْرمة، عن ابن عباس: قال لما نَزَلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، إلى آخر السورة، قال: نُعِيَت لرسُولِ الله ﷺ نفسُه حين أنزلت، فأخَذَ في أشدِّ ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة، وقال رسولُ الله ﷺ بعد ذلك: جاء الفتحُ، وجاء نصرُ الله، وجاء أهلُ اليَمَن. فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! وما أهلُ اليَمنِ؟ قال: قَومٌ رقيقةٌ قلوبُهم، لينةٌ قلوبُهم، الإيمانُ يَمَانٍ، والحكمةُ يمانِيَةٌ، والفقهُ يَمَانٍ[١].

[٧٥٣٦] وقال البُخارِيُّ: حدَّثنا عثمانُ بن أبي شيبةَ، حدَّثنا جَرِيرٍ، عن منصورٍ، عن أبي الضحى، عن مَسْرُوقٍ، عن عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُكثِر أن يقولَ في ركُوعه وسجُوده: «سبحانَكَ اللهمَّ ربَّنا وبِحَمْدِك، اللهم اغفر لي»، يتأول القرآن[٢]. وأخرجه بَقِيَّةُ الجماعةِ إلاَّ الترمذيَّ، من حديث منصُورٍ، به.

[٧٥٣٧] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا محمد بنُ أبي عَدِيٍّ، عن داودَ، عن الشعبيِّ، عن مَسْرُوقٍ قال: قالت عائشةُ: كان رسولُ الله ﷺ يُكثرُ في آخر أمْرِهِ من قَوْلِ: «سبحان الله وبحمده، أستغفِرُ الله وأتوبُ إليه»، وقال: «إنَّ ربِّي كان أخبَرَني أني سأرى علامةً في أُمَّتي، وأمرني إذا رأيتُها أن أُسَبِّح بِحَمْدِهِ وأستغفِرَه، إنه كان توَّاباً، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾»[٣]. ورواه مُسلِمٌ من طريق داودَ، وهو ابن أبي هند، به.

[٧٥٣٨] وقال ابنُ جرير: حدَّثنا أبو السائب، حدَّثنا حَفصٌ، حدَّثنا عاصم، عن الشَّعبيِّ، عن أم سَلَمة قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقومُ ولا يقعُد، ولا يذهَب ولا يجيءُ، إلا قال: «سبحانَ الله وبِحَمْدِه». فقلتُ: يا رسولَ الله! إنك تُكثِرُ من سبحانَ الله وبحمدِه، لا تذهَبُ ولا تجيءُ، ولا تقومُ ولا تقعُد إلا قلت: سُبحانَ الله وبحمده؟ قال: «إني أُمِرتُ بها، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾...» إلى آخر السورةِ[٤]. غريب. وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مُفْرَدٍ، فيكتب ها هنا.

[٧٥٣٩] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا وكيعٌ، عن إسرائيلَ، عن أبي إسحاق، عن أبي عُبَيدة، عن عبد الله قال: لما نَزَلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، كان يكثر إذا قرأها ورَكَع أن يقول: «سبحانَكَ اللهُمَّ وبِحَمْدِك، اللهُمَّ اغفِرْ لي إنك أنت التوَّابُ الرحيمُ» ثلاثاً[٥]. تَفرَّد به أحمد. ورواه ابنُ أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن مُرَّةَ، عن شعبة، عن أبي إسحاق، به. والمرادُ بالفتح ها هنا فتحُ مكَّةَ قولاً واحداً، فإنَّ أحياء العرب كانت تَتَلَوَّم بإسلامها فتحَ مكَّة، يقولون: إن ظَهَر على قومه فهو نَبِيٌّ. فلما فتحَ الله عليه مَكَّة دخلُوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسَقَتْ جزيرةُ العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مُظهِرٌ للإسلام، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

---

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٧٣٢ والطبراني ١١٩٠٤ وإسناده لين لأجل هلال.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٩٤ و ٨١٧ و ٤٢٩٣ و ٤٩٦٧ ومسلم ٤٨٤ ح ٢١٧ و ٢١٨ وأبو داود ٨٧٧ والنسائي في «السنن» ١٠٤٧ و ١١٢٢ وفي «التفسير» ٧٣٠ وابن ماجه ٨٨٩.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ٤٨٤ ح ٢٢٠ وأحمد ٦/ ٣٥.

(٤) أخرجه الطبري ٣٨٢٤٨ وفيه حفص بن سليمان، وهو ضعيف، واللفظ المتقدم هو المحفوظ.

(٥) حسن. أخرجه أحمد ١/ ٤١٠ ورجاله ثقات، لكن فيه إرسال بين أبي عبيدة وأبيه، لكن للحديث ما يؤيده كما تقدم.

[٧٥٤٠] وقد روى البخاريُّ في صحيحه، عن عمرو بن سَلِمة قال: «لما كان الفتحُ بادَرَ كُلُّ قوم بإسلامِهِم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياءُ تَتَلَوَّمُ بإسلامها فتحَ مكّة، يقولون: دَعُوه وقومَه، فإن ظَهَر عليهم فهو نَبِيٌّ. . .». الحديث[١]. وقد حَرّرنا غزوةَ الفتح في كتابنا: السِّيرةِ، فمن أرادَه فَلْيُراجِعْه هناك، ولله الحمدُ والمنة.

[٧٥٤١] وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا مُعَاوِيةُ بن عَمرو، حدّثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعيِّ، حدّثني أبو عَمّار، حدّثني جارٌ لجابر بن عبد الله قال: قَدِمتُ من سَفَر فجاءني جابرُ بن عبد الله يُسَلِّم عليّ، فَجَعلتُ أُحدِّثُه عن افتراق الناسِ وما أحدثُوا، فَجَعل جابرٌ يبكي، ثم قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن الناسَ دخلُوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجُون منه أفواجاً»[٢].

آخر تفسير السورة، ولله الحمدُ والمنّةُ

(١) صحيح. هو جزء من حديث أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣٤٣، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسمّ، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٢٢١٢: جار جابر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

سورة المسد

ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

وهي مكيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۞﴾

[٧٥٤٢] قال البخاري: حدَّثنا محمد بن سَلاَم، حدَّثنا أبو معاوية، حدَّثنا الأعمش، عن عَمْرو بن مرَّةَ عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: أن النبيَّ ﷺ خَرَج إلى البطحاء، فَصَعِد الجبل فنادى: «يا صباحاه!» فاجتمعت إليه قُرَيشٌ، فقال: «أرأيتم إن حَدَّثتكُم أن العدوّ مُصبِحُكم أو مُمْسِيكم، أكنتُم تُصدِّقوني؟» قالوا: نعم. قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يَدَي عذابٍ شديدٍ». فقال أبو لهب: ألِهَذا جَمعتنا؟ تَبًّا لك! فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞﴾ . . . إلى آخرها. وفي روايةٍ: فقام ينفُض يَدَيه، وهو يقول: تبًّا لَكَ سائرَ اليوم! ألِهذا جَمَعْتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞﴾[١]. الأولُ دُعاءٌ عليه، والثاني خَبرٌ عنه. فأبو لَهَب هذا هو أحدُ أعمامِ رسولِ الله ﷺ واسمُه: عبد العُزّى بن عبدِ المطلب، وكنيته أبو عُتبة، وإنما سُمِي «أبا لهبٍ» لإشراقِ وَجْهِه، وكان كثيرَ الأذِيَّةِ لرسول الله ﷺ والبِغْضَةِ له، والازدراءِ به، والتنقُّصِ له ولدينه.

[٧٥٤٣] قال الإمام أحمد: حدَّثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدَّثنا عبد الرحمن بنُ أبي الزِّناد، عن أبيه، قال: أخبرني رجلٌ يُقَال له ربيعةُ بن عَبَّادٍ، من بني الديل، وكان جاهِليًا فأسلم ـ قال: رأيت النبيَّ ﷺ في الجاهليَّة في سوق ذي المَجاز وهو يقول: «يا أيُّها النَّاسُ! قولوا: لا إله إلا الله، تفلِحُوا». والناسُ مُجتَمِعُون عليه، ووراءه رجلٌ وَضِيءُ الوجه أحولُ ذو غَدِيرَتَينِ، يقول: إنه صابىءٌ كاذبٌ يَتْبَعه حيثُ ذَهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عَمُّه أبو لهب. ثم رَوَاه عن سُرَيج، عن ابن أبي الزِّنادِ، عن أبيه. . . فذكره. قال أبو الزِّناد: قلتُ لربيعة: كنتَ يومئذٍ صغيراً؟ قال: لا، والله إنّي يومئذٍ لأعقِلُ أني أَزْفِرُ القربة[٢]. تَفَرَّد به أحمدُ.

[٧٥٤٤] وقال محمد بن إسحاق: حدَّثني حُسَين بن عبد الله بن عُبَيد الله بن عباس قال: سَمِعتُ رَبيعةَ بن عَبّاد الدِّيليّ يقولُ: إني لَمَع أبي رَجُلٌ شابٌ أنظُر إلى رسول الله ﷺ يَتْبعُ القبائلَ ـ ووراءه رَجُلٌ أحولُ وَضِيءٌ، ذو جُمَّةٍ ـ يَقِفُ رسولُ الله ﷺ على القَبِيلة فيقولُ: «يا بَني فُلاَنٍ! إني رسول الله إليكم، آمركُم أن تَعبدُوا الله لا تُشرِكوا به شيئاً، وأن تُصَدِّقوني وتَمنعُوني حتى أُنفِّذَ عن الله ما بَعَثني به». وإذا فَرَغ من مقالته قال الآخرُ من

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٧٢.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد ٣٤١/٤ والحاكم ١٦/١ وإسناده غير قوي لأجل عبد الرحمن، لكن يتأيد بما بعده. والزفر: الحمل على الظهر، والزافر: القوي على حمل القرب.

خَلفِه: يا بني فُلَانٍ! هذا يريدُ منكم أن تَسلُخوا اللاتَ والعُزّى، وحُلفاءكم من الجنِّ من بني مالك بن أُقَيش، إلى ما جاء به من البِدْعَةِ والضَّلالَةِ، فلا تَسمَعُوا له ولا تَتْبَعُوه. فقلت لأبي: مَن هذا؟ قال: عَمُّه أبو لَهَبٍ[(١)]. رواه أحمد أيضاً، والطبراني بهذا اللفظ.

فقولُه تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، أي: خَسِرت وخابت، وضلَّ عملُه وَسَعْيُه، ﴿وَتَبَّ﴾، أي: وقد تَبَّ تحقُّق خَسارته وهَلاكه.

وقولُه تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾، قال ابن عباس وغيرُه: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، يعني: وَلَدَه. وَرُوِي عن عائشة، ومجاهِدٍ، وعطاءٍ، والحَسَن، وابن سيرينَ، مثله.

[٧٥٤٥] وذُكِر عن ابن مسعود أن رسُولَ الله ﷺ لما دَعَا قومَه إلى الإيمان، قال أبو لَهَب: إن كان ما يقولُ ابنُ أخي حقًّا فإني أَفْتَدِي نفسي يومَ القيامة من العذاب بمالي وولدي. فأنزل الله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾، أي: ذات شَرَرٍ وَلَهيب وإحراقٍ شديدٍ، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾، وكانت زوجتُه من ساداتِ نساءِ قريش، وهي أُمُّ جَميلٍ، واسمها أَرْوَى بنتُ حَرْبِ بن أُمَيَّة، وهيَ أختُ أبي سُفيان. وكانت عَوناً لزوجها على كُفرِه وجُحُودِه وعِناده، فلهذا تكونُ يومَ القيامة عَوناً عليه في عذابه في نار جَهنَّم.

ولهذا قال تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾، يعني: تحمِلُ الحطب فَتُلقِي على زَوْجِها، ليزدادَ في ما هو فيه، وهي مُهَيَّأَةٌ لذلك مُستَعِدَّة له. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾، قال مجاهدٌ وعُروَةُ: من مَسَدِ النار. وعن مجاهِدٍ، وعِكْرِمةَ، والحسنِ، وقتادة، والثوريِّ، والسدِّي: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: كانت تَمشِي بالنَّميمَةِ.

وقال العَوفيُّ عن ابن عباس، وعَطِيَّة الجَدَلي، والضحّاك، وابن زيد: كانت تَضَعُ الشوكَ في طريق رسول الله ﷺ. واختاره ابن جرير.

قال ابنُ جرير: وقيل: كانت تُعَيِّر النبي ﷺ بالفقر، وكانت تحتطِبُ، فَعُيِّرت بذلك. كذا حكاه، ولم يَعزُه إلى أحدٍ، والصحيحُ الأوّلُ، والله أعلم.

قال سعيدُ بن المُسيب: كانت لها قلادةٌ فاخرةٌ، فقالت: لأنفِقَنَّها في عداوةِ مُحمَّدٍ، يعني فأعقبَها الله بها حبلاً في جيدِها من مَسَد النارِ.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا أبو كُرَيب، حدَّثنا وكيعٌ، عن سُلَيم مولى الشعبيِّ، عن الشعبيِّ قال: المسدُ اللِّيفُ. وقال عُروةُ بن الزُّبير: المَسَدُ سلسلةٌ ذرعها سبعون ذراعاً. وعن الثوريِّ: هي قلادةٌ من نار، طولُها سبعونَ ذراعاً. وقال الجوهريُّ: المَسَدُ الليفُ: والمَسَد أيضاً: حبلٌ من لِيفٍ أو خُوصٍ، وقد يكونُ من جُلودِ الإبلِ أو أوبارِها، ومَسَدْتُ الحبلَ، أَمْسُدُه، مَسْداً: إذا أجَدْتُ فَتْلَه.

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٢ والطبراني في «الكبير» ٤٥٨٩ وقال الهيثمي في «المجمع» ٩٨٥٤: فيه حسين ابن عبد الله بن عبيد الله وهو ضعيف ووثقه ابن معين في رواية. قلت: توبع في المتقدم، وأخرجه الحاكم ١/ ١٥ وأحمد ٣/ ٤٩٢ من وجه آخر، وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) لم أره مسنداً، وقد أشار ابن كثير لضعفه حيث ساقه معلقاً، وبصيغة التمريض.

وقال مجاهدٌ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾، أي: طوقٌ من حَديدٍ، ألا تَرى أن العرب يُسمُّون البَكْرَةَ مَسَداً؟

[٧٥٤٦] وقال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي وأبو زُرعة قالا: حدَّثنا عبدُ الله بن الزبَير الحُمَيدي، حدَّثنا سُفيان، حدَّثنا الوليد بن كثير، عنَ ابن تَدْرُس، عن أسماء بنتِ أبي بكر قالت: لما نَزَلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾، أقبلت العوراءُ أُمُّ جميل بنتُ حَربٍ، ولها وَلْوَلَةٌ، وفي يدها فِهرٌ[1]، وهي تقول:

مُذَمَّماً أَبَيْنَا * وَدِينَه قَلَيْنَا * وَأَمْرَه عَصَيْنَا

ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في المسجد ومَعَه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسولَ الله! قد أقبلت وأنا أخافُ عليك أن تَرَاك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تَراني، وقرأ قرآناً اعتصَم به». كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝﴾[2] [الإسراء: ٤٥]. فأقبلت حتى وَقَفت على أبي بكر ولم تَرَ رسولَ الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر! إني أُخبِرتُ أنَّ صاحِبَكَ هَجاني؟ قال: لا. وَرَبِّ هذا البيتِ ما هَجَاك. فَوَلَّت وهي تقولُ: قد عَلِمت قُرَيشٌ أني ابنة سَيِّدها. قال: وقال الوليدُ في حديثه، أو غيره: فَعَثَرت أُمُّ جَميلٍ في مِرْطِها وهي تطوفُ بالبيت، فقالت: تَعِسَ مُذَمَّمٌ. فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب: إني لَحَصانٌ فما أُكَلَّم، وثَقافٌ فما أُعلَّم، وكُلُّنا من بني العمّ، وقُرَيش بعدُ أعلم.

[٧٥٤٧] وقال الحافظ أبو بكر البزّارُ: حدَّثنا إبراهيم بن سَعيدٍ وأحمد بن إسحاقَ قالا: حدَّثنا أبو أحمد، حدَّثنا عبد السلام بن حَرْبٍ، عن عطاء بن السائب، عن سَعيد بن جُبَير، عن ابن عبَّاس قال: لما نَزَلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ جاءت امرأة أبي لهب، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ، ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تَنَحَّيت لا تُؤذِيك بشيءٍ. فقال رسولُ الله ﷺ: «إنه سَيُحال بيني وبينها». فأقبلت حتى وَقفَت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر! هَجَانا صاحِبُك. فقال أبو بكر: لا، وربِّ هذه البَنِيَّة ما نَطَق بالشعر ولا يَتَفوَّه به. فقالت: إنك لَمُصدَّق، فلما وَلَّت قال أبو بكر: ما رأتك؟ قال: لا، «ما زَال مَلَكٌ يسترني حتى وَلَّت»[3]، ثم قال البزّارُ: لا نعلَمُه يُروَى بأحسنَ من هذا الإسناد عن أبي بكر، رضي الله عنه.

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾، أي: في عنقها حَبلٌ من نار تُرفع به إلى شَفِيرها، ثم يُرمَى بها إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً.

قال أبو الخطاب بن دِحْيَةَ في كتابه التنوير ـ وقد رَوَى ذلك ـ: وعُبِّر بالمَسَد عن حَبْلِ الدلو، كما قال أبو حنيفة الدِّينوريّ في كتاب «النبات»: كلّ مَسَدٍ رِشاءٌ، وأنشد في ذلك:

وَبَكْرَةً ومِحْوَراً صِرَارَا ... وَمَسَداً مِنْ أَبَقٍ مُغَارا

قال: والأَبَقُ القِنَّبُ. وقال الآخر:

يا مَسَدَ الحَوضِ تَعَوَّذْ مِنِّي ... إنْ تَكُ لَدْناً لَيِّناً فإنِّي

مَا شِئْتَ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَئِنِّ

(١) الفهر: الحجر قدر ما يملأ به الكف.

(٢) وتقدم الحديث فيها.

(٣) أخرجه أبو يعلى ٢٥ و ٢٣٥٨ والبزار ٢٩٤ وقال: حسن الإسناد، وقال الهيثمي في المجمع ١١٥٢٩: ولكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط، لكن توبع، راجع سورة الإسراء.

قال العلماءُ: وفي هذه السورة مُعجِزَةٌ ظاهرة ودليلٌ واضح على النبوة، فإنه منذ نَزَل قولُه تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾، فأخبر عنهما بالشقاء وعَدَم الإيمان، لم يُقَيِّض لهما أن يُؤمِنا، ولا واحدٌ منهما، لا ظاهراً ولا باطناً، لا مُسِرًّا ولا مُعلِناً، فكان هذا من أقوى الأدلَّة الباهرةِ على النبوَّة الظاهرةِ.

آخر تفسير سورة «تَبّت»، ولله الحمد والمنَّة

سورة الإخلاص

ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

وهي مكيّة

ذكرُ سَبَب نُزُولها وفَضِيلَتِها:

[٧٥٤٨] قال الإمام أحمد: حدَّثنا أبو سَعْدٍ محمد بن مُيَسَّر الصاغاني، حدَّثنا أبو جعفر الرازي، حدَّثنا الربيعُ بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبَيِّ بن كعبٍ: أن المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: يا محمدُ، انسُب لنا ربَّك. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. وكذا رَواه التِّرمِذيُّ، وابنُ جَرِير، عن أحمد بن مَنِيعٍ ـ زاد ابنُ جَرِيرٍ: ومحمودُ ابن خِدَاش ـ عن أبي سَعْدٍ مُحمَّد بن مُيَسَّر، به ـ زاد ابنُ جرير والتِّرمذي ـ قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لم يَلِد ولم يُولَد، لأنه ليس شيءٌ يُولَد إلا سَيَموتُ، وليس شيءٌ يَموتُ إلا سَيُورَثُ، وإنَّ الله ـ جلَّ جلالُه ـ لا يموتُ ولا يُورَثُ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولم يكن له شِبْه ولا عِدْل، وليس كمثله شيء[1]. ورواه ابن أبي حاتم، من حديث أبي سَعدٍ محمد بن مَيَسّر، به. ثم رَواه التِّرمِذيُّ عن عَبْدِ بن حُمَيد، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية... فذكره مُرسلاً ولم يذكر «أخبرنا». ثم قال الترمذي: «وهذا أصح من حديث أبي سعد».

[٧٥٤٩] حديثٌ آخرُ في معناه، قال الحافظ أبو يَعْلَى الموصِليُّ: حدَّثنا سُرَيج بن يُونُس، حدَّثنا إسماعيلُ بن مُجالِدٍ، عن مُجالِدٍ، عن الشعبيِّ، عن جابر: أنَّ أعرابيًّا جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: انسُب لنا ربَّك. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، إلى آخرِها[2]. إسنادُه مُقَارِب. وقد رَواه ابنُ جَرِيرٍ، عن مُحمَّد بن عَوفٍ، عن سُرَيجٍ، فذكره. وقد أرسله غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ.

[٧٥٥٠] ورَوى عُبَيد بن إسحاق العَطَّار، عن قيس بن الربيع، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مَسْعُودٍ قال: قالت قُرَيشٌ لرسول الله ﷺ: انسُب لنا ربَّك، فنَزلت هذه السورةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3].

---

(١) حسن دون الزيادة. أخرجه الترمذي ٣٣٦٤ والحاكم ٢/ ٥٤٠ وأحمد ٥/ ١٣٤ والواحدي ٨٨٠ والطبري ٣٨٢٩٨. صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وضعفه الترمذي بأن أعله بالإرسال وقال: المرسل أصح اهـ. قلت: له ثلاث علل. أبو سعد تفرد برفعه وهو ضعيف الحديث كما في «التقريب» ٦٣٤٤، وأبو جعفر الرازي، صدوق إلا أنه كثير الخطأ، وعلة ثالثة وهي كونه روي مرسلاً، وقد أخرجه الترمذي ٣٣٦٥ والوهن فقط في عجزه، وأما صدره فله شواهد وهي الآتية.

(٢) أخرجه أبو يعلى ٢٠٤٤ وفيه مجالد بن سعيد، وهو غير قوي لكن يصلح شاهداً لما قبله.

(٣) حسن. إسناده ضعيف لضعف عُبيد، وقيس ضعفه قوم ووثقه آخرون، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٩١ عن أبي وائل مرسلاً، ومع ذلك يشهد له ما تقدم.

قال الطبراني: ورَوَاه الفِرْيابي وغيره، عن قَيسٍ، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مُرسلاً.

[٧٥٥١] ثم رَوَى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفي، عن الوازع بن نافع، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ شيءٍ نِسبَةٌ، ونسبةُ الله ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[١].

[٧٥٥٢] حديثٌ آخرُ في فَضلِها، قال البخاريُّ: حدَّثنا محمد، هو الذُهْليّ، حدَّثنا أحمدُ بن صالح، حدَّثنا ابنُ وَهبٍ، أخبرنا عَمرو، عن ابن أبي هلالٍ: أن أبا الرِّجالِ مُحمَّد بن عبد الرحمن حدَّثه، عن أمِّه عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن ـ وكانت في حِجْرِ عائشة زوجِ النبي ﷺ: أن النبيَّ ﷺ بعث رَجُلاً على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صَلاتهم، فيختم بـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رَجَعوا ذكَروا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «سلوه: لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمن، وأنا أُحِبُّ أن أقرأ بها فقال النبيُّ ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يُحبُّه»[٢]. هكذا رواه في كتاب «التوحيد». ومنهم من يُسقِطُ ذكر «محمد الذهلي»: ويجعلُه من روايته عن أحمد بن صالح. وقد رواه مسلم والنسائيُّ أيضاً من حديث عبد الله بن وهب، عن عَمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، به.

[٧٥٥٣] حديثٌ آخر، قال البُخاري في كتاب الصلاة: وقال عُبَيد الله، عن ثابت، عن أنس قال: كان رجلٌ من الأنصار يَؤُمُّهم في مسجد قُباء، فكان كُلَّما افتتح سورةً يقرأُ بها لهم في الصلاة مما يُقرأُ به، افتتح بـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يَفرُغَ منها، ثم يقرأ سورةً أُخرى مَعَها، وكان يصنَعُ ذلك في كلِّ ركعةٍ. فَكَلَّمه أصحابُه فقالوا: إنَّك تفتتح بهذه السورة ثم لا تَرَى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تَدَعها وتَقرَأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتُم أن أؤمَّكم بذلك فعلتُ، وإن كَرِهتُم تَركتُكم. وكانوا يَرونَ أنه من أفضلهم، وكَرِهُوا أن يَؤُمَّهُم غيرُه. فلما أتاهم النبيُّ ﷺ أخبروه الخبَرَ فقال: «يا فُلان! ما يمنعُكَ أن تفعل ما يأمُرك به أصحابُك، وما حَمَلك على لزوم هذه السورةِ في كلِّ ركعةٍ؟» قال: إني أحبُّها. قال: «حُبّك إياها أدخلَكَ الجنة»[٣]. هكذا رَوَاه البُخارِيُّ تعليقاً مجزوماً به. وقد رَوَاه أبو عيسى الترمِذيُّ في جَامِعِه، عن البُخارِيِّ، عن إسماعيل بن أبي أُوَيسٍ، عن عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدِيِّ، عن عُبَيد الله بن عُمَر... فَذَكَر بإسناده مثلَه سواء، ثم قال الترمذيّ: «غريب من حديث عُبَيد الله، عن ثابت».

[٧٥٥٤] قال: «ورَوَى مُبارك بن فَضالة، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً قال: يا رسولَ الله! إني أحبُّ هذه السورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. قال: «إن حُبّك إياها أدخلَكَ الجنّة»[٤].

[٧٥٥٥] وهذا الذي عَلَّقه الترمذي قد رَوَاه الإمام أحمد في مسنده متصلاً، فقال: حدَّثنا أبو النضر، حدَّثنا مُبارك بن فَضالة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: إني أُحِبُّ هذه السورةَ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. فقال رسول الله ﷺ: «حُبّك إيّاها أدخلك الجنة»[٥].

---

(١) ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٧٣٦ وفيه الوازع بن نافع العقيلي. قال ابن معين: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك. وقال أحمد: ليس بثقة اهـ راجع «الميزان» ٩٣٢٠. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥٤٣: الوازع، متروك.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٧٣٧٥ ومسلم ٨١٣ والنسائي ٢/ ١٧١ وابن حبان ٧٩٣.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري ٧٧٤ تعليقاً، ووصله الترمذي ٢٩٠١ وابن حبان ٧٩٤ والبيهقي ٢/ ٦١.

(٤) صحيح. أخرجه الترمذي ٢٩٠١ وأحمد ٣/ ١٤١ و ١٥١ والدارمي ٢/ ٤٦٠ وابن حبان ٧٩٢ وإسناده حسن في الشواهد.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١٤١ و ٣/ ١٥٠ وإسناده لا بأس به لأجل مبارك لكن للحديث طرق وشواهد.

[٧٥٥٦] حديثٌ في كَونِها تعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ. قال البُخاريُّ: حدَّثنا إسماعيلُ، حدَّثني مالك، عن عبدِ الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَة، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ: أن رَجُلاً سَمِع رَجُلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُها، فلما أصبحَ جاء إلى النبيِّ ﷺ فذكر ذلك له، وكأنَّ الرجُلَ يتقالُّها، فقال النبي ﷺ: «والذي نَفسي بِيدِه إنها لَتَعدِلُ ثُلُثَ القرآن». زاد إسماعيل بن جعفر، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن أبي سَعِيدٍ قال: أخبرني أخي قتادةُ بنُ النعمان، عن النبي ﷺ[١]. وقد رواه البخاري أيضاً عن عبد الله بن يوسف، والقَعْنَبيِّ. ورواه أبو داود عن القَعْنَبي، والنسائي عن قتيبة، كلهم عن مالك، به. وحديثُ قتادةَ بن النعمان أسنده النسائيُّ من طريقَين، عن إسماعيل بن جعفر، عن مالك، به.

[٧٥٥٧] حَدِيثٌ آخر، قال البخاريُّ، حدَّثنا عُمَرُ بن حفص، حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا الأعمشُ، حدَّثنا إبراهيمُ والضحَّاك المَشرقِيُّ، عن أبي سَعِيدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «أيعجِزُ أحدُكم أن يقرأَ ثُلُثَ القرآن في ليلة؟» فَشَقَّ ذلك عليهم وقالُوا: أيُّنا يُطِيقُ ذلك يا رَسولَ الله؟! فقال: «الله الواحدُ الصمَدُ ثلث القرآن»[٢]. تَفَرَّد بإخراجه البخاريُّ من حديث إبراهيمَ بن يزيدَ النَخعِيِّ والضحَّاك بن شُرَحبيلِ الهَمْدَانيِّ المَشرقِيِّ، كلاهُما عن أبي سَعِيدٍ. «قال الفَرَبْرِيُّ: سَمِعتُ أبا جعفر محمدَ بن أبي حاتم وَرَّاقَ أبي عبدِ الله قال: قال أبو عبد الله البخاريُّ: عن إبراهيم مُرْسَلٌ، وعن الضحاك مُسْنَدٌ».

[٧٥٥٨] حديثٌ آخرُ: قال الإمام أحمدُ: حدَّثنا يحيى بن إسحاق، حدَّثنا ابنُ لَهيعَةَ، عن الحارثِ ابن يزيدَ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ قال: بات قتادةُ بن النعمان يقرأ الليلَ كُلَّه بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَذُكِر ذلك لَلنبيِّ ﷺ فقال: والذي نفسي بِيَدِه لَتَعْدِلُ نصفَ القُرآن، أو: ثُلُثَه[٣].

[٧٥٥٩] حديثٌ آخر، قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا حسن، حدَّثنا ابن لَهيعة، حدَّثنا حُيَيُّ بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِّي، عن عبد الله بن عَمرو: أنَّ أبا أيُّوبَ الأنصاريَّ كان في مجلسٍ وهو يَقُول: ألا يستطيعُ أحدُكم أن يقومَ بِثُلثِ القرآن كُلَّ ليلةٍ؟ فقالوا: وهل يَستطيعُ ذلك أحدٌ؟ قال: فإن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلثُ القرآنِ. قال: فجاء النبيُّ ﷺ وهو يسمَعُ أبا أيُّوبَ، فقال: «صَدَقَ أبو أيُّوب»[٤].

[٧٥٦٠] حَديثٌ آخر: قال أبو عيسى التِّرمذِيُّ: حدَّثنا محمد بن بَشَّار، حدَّثنا يحيى بن سعيدٍ، حدَّثنا يزيدُ بن كيسَانَ، أخبرني أبو حَازِمٍ، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «احشُدُوا فإني سأقرأ عليكم ثُلُثَ القرآن». فَحَشَد من حَشَدَ، ثم خرج نبيُّ الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. ثم دخل فقال بعضُنا لبعضٍ: قال رسولُ الله ﷺ: «فإني سأقرأ عليكم ثُلُثَ القرآنِ»، إني لأرى هذا خبراً جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت سأقرأ عليكم ثُلُثَ القرآن، ألا وإنها تَعدِلُ ثُلُث القرآنِ»[٥]. وهكذا رواه مسلم في صحيحه، عن محمد بن بشار، به. وقال التِّرمذِيُّ: «حَسَنٌ صحيحٌ غَرِيب، واسم أبي حازمٍ سَلْمانُ».

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٣ و ٥٠١٤ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤ وأبو داود ١٤٦١ والنسائي ٢/ ١٧١ وفي «عمل اليوم والليلة» ٦٩٨.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٥.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ١٥ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، والوهن فقط في «نصف» وأما أصل الحديث فيشهد له ما قبله.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٣ وابن لهيعة ضعيف، لكن كونها تعدل ثلث القرآن محفوظ بشواهده.

(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٨١٢ والترمذي ٢٩٠٠ وأحمد ٢/ ٤٢٩.

[٧٥٦١] حديثٌ آخرُ: قال الإمام أحمد: حدَّثنا عبد الرحمن بن مَهدِيٍّ، عن زائِدَةَ بن قُدَامة، عن منصور، عن هلالِ بن يساف، عن الرَّبيع بن خُثَيم، عن عَمرو بن مَيْمُونٍ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلَى، عن امرأةٍ من الأنصارِ، عن أبي أيُّوبَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «أيعجزُ أحدُكُم أن يقرأَ ثُلُثَ القرآن في ليلةٍ؟ فإنَّه مَن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝﴾ في ليلة، فقد قرأ لَيلَتئذٍ ثُلُثَ القرآن»[١]. هذا حديث تُسَاعِيُّ الإسنادِ للإمامِ أحمَدَ. ورَوَاه الترمذي والنسائيُّ، كلاهما عن محمد بن بشّار بُندَارٍ ـ زاد الترمذِيُّ: وقُتَيْبَة ـ كلاهما عن عبد الرحمن بن مهديٍّ، به. فصار لهما عُشَارِيًا. وفي رواية الترمذي: «عن امرأة أبي أيوب، عن أبي أيوب»، به. ثم قال: «وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي سعيدٍ، وقتادةَ بن النعمان، وأبي هُرَيْرة، وأنسٍ، وابن عُمَر، وأبي مسعود. وهذا حديث حَسَنٌ، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديثَ أحسنَ من رواية «زائِدَة»، وتابَعَه على روايته إسرائيل، والفُضَيلُ بن عِيَاضٍ. وقد رَوَى شُعبةُ وغيرُ واحدٍ من الثِّقات هذا الحديثَ عن منصورٍ، واضطربوا فيه».

[٧٥٦٢] حديثٌ آخر: قال أحمدُ: حدَّثنا هُشَيم، عن حُصَين، عن هلال بن يسافٍ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُبي بن كعب ـ أو: رَجُلٍ من الأنصار ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ بثلث القرآن»[٢]. ورواه النسائي في «اليوم والليلة»، من حديث هُشيم، عن حُصَين، عن ابن أبي ليلى، به. ولم يقع في روايته: هلال بن يَسافٍ.

[٧٥٦٣] حديثٌ آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا وَكِيعٌ، عن سُفيانَ، عن أبي قيسٍ، عن عَمْرو بن مَيْمُونٍ، عن أبي مَسْعُودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِلُ ثلث القرآن»[٣]. وهكذا رواه ابنُ ماجه عن علي بن محمد الطنافِسِيِّ، عن وَكِيعٍ، به. ورواه النَّسائي في اليوم والليلة من طُرُقٍ أُخَر، عن عَمرو بن ميمون، مرفوعاً وموقُوفاً[٤].

[٧٥٦٤] حديثٌ آخر: قال الإمام أحمد: حدَّثنا بَهزٌ، حدَّثنا بُكَير بن أبي السَّمِيطِ، حدَّثنا قتادةُ، عن سالم بن أبي الجَعْدِ، عن مَعْدَان بن أبي طَلْحَةَ، عن أبي الدَّرداءِ أن رسُولَ الله ﷺ قال: «أيعجزُ أحدُكم أن يَقرأ كُلَّ يوم ثُلُثَ القرآن؟» قالوا: نَعَم يا رسول الله، نحن أضعَفُ من ذلك وأعجَزُ. قال: «فإن الله جَزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلث القرآن»[٥]. وَرَوَاه مسلمٌ والنَّسائيُّ، من حديث قتادةَ، به.

[٧٥٦٥] حديثٌ آخر، قال الإمام أحمدُ: حدَّثنا أُميَّةُ بن خالدٍ، حدَّثنا مُحَمَّد بن عبد الله بنِ مُسلم ـ ابنُ أخي ابن شهاب ـ عن عَمِّه الزهريِّ، عن حُمَيدِ بن عبد الرحمن ـ هو ابنُ عوفٍ ـ عن أُمِّه ـ وهي أُمُّ كلثوم بنت عُقبَة بن أبي مُعَيط ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِلُ ثُلُث القرآن»[٦]. وكذا رَوَاه النسائي في «اليوم والليلة»، عن عَمرو بن علي، عن أُمَيَّة بن خالد، به. ثم رواه من طريق مالك، عن الزُّهريِّ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن، قوله.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٩٦ والنسائي ٢/ ١٧٢ وأحمد ٥/ ٤١٩. وهو حسن صحيح بطرقه وشواهده.
(٢) جيد. أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» ٦٨٤ وأحمد ٥/ ١٤١ وهو حديث حسن صحيح بطرقه وشواهده.
(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٧٨٩ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ٦٩٨ وأحمد ٤/ ١٢٢ وإسناده صحيح، وله شواهد.
(٤) الموقوف لا يعلل المرفوع. فإنه حديث يبلغ حد الشهرة.
(٥) صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٩ ح ٨١١ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ٧٠٦ وأحمد ٦/ ٤٤٢ و ٤٤٧.
(٦) صحيح. أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» ٧٠٠ وأحمد ٦/ ٤٠٤.

[٧٥٦٦] وَرَواه النسائي أيضاً في «اليوم والليلة» من حديث مُحمَّد بن إسحاق، عن الحارث بن الفُضَيل الأنصاري، عن الزُّهريِّ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن: أن نَفَراً من أصحاب محمد ﷺ حَدَّثوه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِلُ ثُلُث القرآن لمن صَلَّى بها»[١].

[٧٥٦٧] حديثٌ آخر في كَوْنِ قراءتها تُوجِبُ الجنَّة، قال الإمام مالك بن أنس، عن عُبَيد الله بن عبد الرحمن، عن عُبَيد بن حُنَين قال: سَمِعتُ أبا هُرَيرةَ يقول: أقبلتُ مع النبي ﷺ فَسَمِعَ رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسولُ الله ﷺ: «وَجَبَتْ. قلتُ: وما وَجَبت؟ قال: الجنة»[٢]. ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالكٍ. وقال الترمذيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لا نعرِفُه إلاَّ من حَدِيثِ مالكٍ.

[٧٥٦٨] وتَقَدَّم حديثُ: «حُبّك إيَّاها أدخَلَكَ الجنَّة»[٣].

[٧٥٦٩] حديثٌ في تَكْرَارِ قراءتها. قال الحافظُ أبو يَعْلَى الموصِليُّ: حدَّثنا قَطَنُ بن نُسَير، حدَّثنا عبيس بن ميمون القُرَشِيُّ، حَدَّثنا يزيدُ الرَّقاشِيُّ، عن أنسٍ قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «أما يستطيعُ أحدُكم أن يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مَرَّات في لَيلةٍ، فإنها تَعْدِلُ ثلث القرآن»؟[٤]. هذا إسنادٌ ضَعِيفٌ.

[٧٥٧٠] وأجودُ منه حديثٌ آخر: قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدَّثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، حدَّثنا الضحَّاك بن مَخْلدٍ، حدَّثنا ابن أبي ذئب، عن أَسِيد بن أبي أَسِيدٍ، عن مُعاذِ بن عبد الله ابن خُبَيب، عن أبيه قال: أصابنا عطَشٌ وظُلْمَةٌ، فانتظرنا رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي لنا، فَخَرج فأخَذ بِيَدِي، فقال: «قُل». فَسَكتُّ، قال: «قُل». قلتُ: ما أقولُ؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعَوِّذتين حين تُمسِي وحين تُصبح ثلاثاً، تَكفِك، كُلَّ يوم مَرَّتين»[٥]. وَرَواه أبو داود والترمِذيُّ والنسائيُّ، من حديث ابن أبي ذئبٍ، به. وقال الترمذيُّ: «حَسَنٌ غَريبٌ من هذا الوجه». وقد رَوَاه النسائي من طريق أُخرى، عن مُعاذ ابن عبد الله بن خُبَيبٍ، عن أبيه، عن عقبة بن عامر.. فذكره.

[٧٥٧١] حديث آخر في ذلك، قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسحاق بن عيسى، حدَّثني ليثُ بن سعدٍ، حدَّثني الخليل بن مُرَّة، عن الأزهَرِ بن عبد الله، عن تميم الداريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: من قال: «لا إله إلا الله، واحداً أحداً صَمَداً، لم يَتَّخِذ صاحبةً ولا وَلَداً، ولم يكن له كفواً أحد ـ عَشرَ مرَّاتٍ ـ كُتِب له أربعونَ ألفَ ألفِ حسنةٍ»[٦]. تفرَّد به أحمد، والخليل بن مُرّة، ضعَّفه البخاري وغيره بمرَّةٍ.

[٧٥٧٢] حديثٌ آخر: قال الإمام أحمدُ أيضاً: حدَّثنا حسن بن موسى، حدَّثنا ابن لَهِيعة، حدَّثنا زَبَّان بن

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» ٧٠١ وإسناده حسن، وابن إسحاق صرح بالتحديث عند النسائي.

(٢) أخرجه مالك ١/ ٢٠٨ والترمذي ٢٨٩٨ والنسائي ٧٠٧ وإسناده حسن في الشواهد لأجل عبيد الله.

(٣) تقدم، وهو صحيح.

(٤) أخرجه أبو يعلى ٤١١٨، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥٤٩ و ١١٥٥٠: عبيس بن موسى، متروك اهـ وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف أيضاً، لكن يشهد له ما بعده، والله أعلم.

(٥) حسن. أخرجه أبو داود ٥٠٨٢ والنسائي في «الكبرى» ٧٨٦٠ والترمذي ٣٥٧٥ وإسناده حسن، وأخرجه النسائي ٧٨٥٢ من حديث عقبة بن عامر وسنده حسن.

(٦) باطل. أخرجه أحمد ٤/ ١٠٣. وإسناده ضعيف جداً لأجل الخليل بن مرة كما قال ابن كثير. وقال ابن حبان في «المجروحين» ١/ ٢٨٦: الخليل بن مرة منكر الحديث عن المجاهيل. روى نسخة مقلوبة اهـ.

فائد، عن سَهل بن معاذ بن أنسٍ الجُهَنيِّ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يَختمِها ـ عشر مَرَّات ـ بَنَى الله له قصراً في الجنَّة». فقال عُمَر: إذن نستكثر يا رسولَ الله: فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب»[(١)]. تفرَّد به أحمد.

[٧٥٧٣] ورواه أبو محمد الدارميّ في مسنده فقال: حدَّثنا عبدُ الله بن يزيدَ، حدَّثنا حَيْوة، حدَّثنا أبو عَقِيل زهرة بن مَعْبَدٍ، قال الدارميُّ: وكان من الأبدال ـ أنه سمع سَعِيد بن المُسَيَّب يقول: إن نَبِيَّ الله ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشرَ مَرَّاتٍ ـ بنَى الله له قصراً في الجنَّةِ، ومَن قرأها عشرين مَرَّة بنى الله له قصرَين في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرَّة بنى الله له ثلاثة قُصُور في الجنة». فقال عمر بن الخطاب: إذنْ لَتَكْثُر قُصُورنا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أوسع من ذلك»[(٢)]. وهذا مرسل جيد.

[٧٥٧٤] حَدِيثٌ آخرُ: قال الحافظُ أبو يَعْلَى: حدَّثنا نصرُ بن علي، حدَّثني نوحُ بن قيس، أخبرني مُحمَّد العطَّار، أخبرتني أم كَثِير الأنصارية، عن أنسِ بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «من قَرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسينَ مَرَّةً غُفِرت له ذنوبُ خَمسِينَ سنة»[(٣)]. إسنادُه ضعيفٌ.

[٧٥٧٥] حديثٌ آخر: قال أبو يَعْلَى: حدَّثنا أبو الربيع، حدَّثنا حاتم بن ميمون، حدَّثنا ثابتٌ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في يوم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئتي مرَّةٍ كَتب الله له ألفاً وخمسمئةِ حَسَنةٍ، إلا أن يكون عليه دين»[(٤)]. إسنادُه ضعيف، حاتمُ بن ميمون ضَعَّفَه البخاريُّ وغيره.

[٧٥٧٦] ورواه الترمذي، عن محمد بن مرزوق البصري، عن حاتم بن ميمون، به. ولفظه: «من قرأ كل يوم مئتي مرَّة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُحي عنه ذنوبُ خمسين سنة، إلاَّ أن يكون عليه دين»[(٥)].

[٧٥٧٧] قال الترمذيُّ: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من أراد أن يَنَام على فراشِه، فَنَام على يمينه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئةَ مرَّةٍ، فإذا كان يومُ القيامة يقولُ له الربُّ ـ عزَّ وجلَّ ـ يا عبدي! ادخُلْ على يمينك الجنَّة»[(٦)]. ثم قال: «غريبٌ من حديث ثابتٍ، وقد رُوِي من غير هذا الوجه، عنه».

[٧٥٧٨] وقال أبو بكر البزَّارُ: حدَّثنا سهل بن بحر، حدَّثنا حَبَّان بن أغلب، حدَّثنا أبي، حدَّثنا ثابت،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٧ وإسناده ضعيف فهو مسلسل بالضعفاء ابن لهيعة، وابن فائد، وابن معاذ، ثلاثتهم ضعفاء. لكن يشهد له المرسل الآتي.

(٢) مرسل. أخرجه الدارمي ٢/ ٤٥٩.

(٣) منكر. أخرجه الدارمي ٢/ ٤٦١، وفيه نوح بن قيس، فيه ضعف، ومحمد العطار عن أم كثير، لم أجد لهما ترجمة، وبكل حال المتن منكر. وفيه مبالغة تدل على وهنه.

(٤) أخرجه أبو يعلى ٣٣٦٥ وابن عدي ٢/ ٤٣٩ وإسناده ضعيف جداً، لضعف حاتم بن ميمون، وضعفه الترمذي، بقوله غريب، وكذا ضعفه ابن عدي وابن حبان في «المجروحين» ١/ ٢٧١ وأعلاه بحاتم هذا. والمتن منكر فإن فيه مبالغة ظاهرة، وهي أمارة على بطلانه.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٨٩٨، وإسناده ضعيف كسابقه، والمتن منكر. والله أعلم.

(٦) إسناده ضعيف كسابقه، والمتن منكر جداً فإن الاشتغال بحفظ القرآن الكريم، أو بعضه. ومذاكرته أفضل من الاقتصار على تكرار سورة واحدة في كل يوم عشرات المرات، فتنبه، والله الموفق.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ـ مئتي مرَّةٍ ـ حَطَّ الله عنه ذنوب مئتي سنة»[١]. ثم قال: «لا نعلم رَوَاه عن ثابتٍ إلا الحسنُ بن أبي جعفر، والأغلب بن تميم، وهما متقاربان في سُوءِ الحِفظِ».

[٧٥٧٩] حديثٌ آخرُ في الدعاء بما تَضمَّنته من الأسماء: قال النسائيُّ عند تفسيرها: حدَّثنا عبدُ الرحمن بن خالد، حدَّثنا زيدُ بن الحباب، حدَّثني مالك بن مِغول، حدَّثنا عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه: أنه دَخَل مع رسول الله ﷺ المسجدَ، فإذا رجلٌ يصلي، يدعو يقول: اللهُمَّ، إني أسألك بأني أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يُولَد، ولم يكن له كُفُواً أحدٌ. قال: «والذي نفسي بِيَدِه لقد سَأله باسمِه الأعظمِ الذي إذا سُئِل به أعطَى، وإذا دُعِي به أجابَ»[٢]. وقد أخرجه بقيةُ أصحاب السنَن من طُرُق، عن مالك بن مِغْوَلٍ، عن عبد الله بن بُرَيْدَة، عن أبيه، به. وقال الترمذيُّ: «حسنٌ غريبٌ».

[٧٥٨٠] حديثٌ آخر في قراءتها عشر مرَّات بعد المكتوبة: قال الحافظ أبو يَعْلَى: حدَّثنا عبد الأعلى، حدَّثنا بشر بن منصور، عن عُمَر بن نَبْهان، عن أبي شدَّاد، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ «ثلاثٌ من جاء بهنَّ مع الإيمان دَخَل من أيِّ أبواب الجنَّةِ شاءَ، وزُوِّج من الحورِ العين حيثُ شاء: مَن عفا عن قاتله، وأدَّى ديناً خَفِياً، وقَرأ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ عَشرَ مَرَّاتٍ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾». قال: فقال أبو بكر: أو إحداهنَّ يا رسولَ الله؟! قال: «أو إحداهنَّ»[٣].

[٧٥٨١] حديثٌ في قراءتها عندَ دُخولِ المنزلِ: قال الحافظُ أبو القاسم الطَّبَراني: حدَّثنا محمدُ بن عبد الله بن بكر السرَّاج العَسْكري، حدَّثنا محمد بن الفَرَج، حدَّثنا محمد بن الزبرقان، عن مَرْوَانَ بن سالم، عن أبي زُرْعَة بن عَمرو بن جَريرٍ، عن جَرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يدخلُ منزله نَفتِ الفقرَ عن أهل ذلك المنزل والجيرانِ»[٤]. إسناده ضعيف.

[٧٥٨٢] حديثٌ في الإكثارِ من قراءتها في سائر الأحوالِ: قال الحافظُ أبو يَعلَى: حدَّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي، حدَّثنا يزيدُ بن هارون، عن العلاء أبي محمد الثقفيِّ قال: سَمِعتُ أنسَ بن مالك يقولُ: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ بِتَبُوكَ، فَطَلَعتِ الشمسُ بضياءٍ وشُعاع ونُورٍ لم نَرَها طَلَعت فيما مَضَى بمثله، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: «يا جبريلُ! ما لي أرى الشمسَ طَلَعت اليَومَ بضياءٍ ونُورٍ وشُعاعٍ لم أرها طلعت فيما مضى؟». قال: إن ذلك أنَّ معاويةَ بن مُعاوية اللَّيثيَّ مات بالمدينة اليوم، فَبعث الله إليه سَبعين ألفَ ملكٍ يُصَلُّون عليه. قال: «وفيم ذلك؟». قال: كان يُكثِر قراءةِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الليل والنهار، وفي مَمْشاه وقِيامه

---

(١) ضعيف جداً. أخرجه البزار ٣/ ٨٤ وأعله بأغلب بن تميم. وهو منكر الحديث قاله البخاري، والمتن منكر انظر الكلام على الحديث المتقدم.

(٢) جيد. أخرجه أبو داود ١٤٩٣ والترمذي ٣٤٧٥ وابن ماجه ٣٨٥٧ وأحمد ٥/ ٣٥٠ وتقدم.

(٣) أخرجه أبو يعلى ١٧٩٤، وإسناده ضعيف جداً، فيه أبو شداد، وهو مجهول، وعمر بن نبهان، ضعيف الحديث. وأعله الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ١٠٢ بعمر بن نبهان وحده، وقال: هو متروك اهـ.

(٤) متن باطل بإسناد ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ٢٤١٩، وعلته مروان بن سالم، وهو الجزري متروك الحديث. واتهمه أبو عروبة الحراني بالوضع. وهذا الحديث يدل على أنه من وضعه، فإن عامة المسلمين يقرؤونها على كل حال، ولا يرفع عنهم الفقر أو الفاقة. وله علة ثانية محمد بن الفرج هو المصري، منكر الحديث، راجع «الميزان» ٨٠٥٠.

وقُعوده، فهل لك يا رسولَ الله أن أقبِضَ لك الأرض فتُصلّي عليه؟ قال: «نعم». فَصَلّى عليه[١]. وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في «دلائل النبوّة»، من طريق يزيدَ بن هارون، عن العلاء أبي محمد، وهو مُتّهَمٌ بالوضع، فالله أعلم.

[٧٥٨٣] طريق أخرى: قال أبو يَعْلَى: حَدَّثنا محمد بن إبراهيم الشّامي أبو عبد الله، حدَّثنا عُثمان ابن الهَيْثَم ـ مُؤذّن مسجد الجامع بالبصرة عَبْدِيٌّ ـ عن محمود أبي عبد الله، عن عطاء بن أبي ميمُونة، عن أنس قال: نزلَ جبريلُ على النبيِّ ﷺ فقال: ماتَ معاويةُ بن معاوية الليثيُّ، فَتُحِبُّ أن تُصليَ عليه؟ قال: «نعم». فضرب بجناحِه الأرضَ، فلم تَبْقَ شجرةٌ ولا أكمَةٌ إلا تَضَعْضَعَتْ، فَرُفِع سريرُه فنظرَ إليه، فكبّر عليه وخَلْفَه صَفَّانِ من الملائكة، في كُلِّ صَفٍّ سبعُون ألفَ مَلَكٍ، فقال النبي ﷺ: «يا جبريلُ، بِمَ نال هذه المنزلة من الله تعالى؟». قال: بحبّه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقراءته إياها ذاهباً وجائياً، وقائماً وقاعداً، وعلى كلِّ حالٍ[٢]. ورواه البيهقي، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن، عن محبوب بن هلال، عن عطاءِ ابن أبي ميمونة، عن أنسٍ... فذكره. وهذا هو الصوابُ، ومحبوبُ بن هلال قال أبو حاتم الرازيُّ: «ليس بالمشهور». وقد رُوِي هذا من طرق أخر، تركناها اختصاراً، وكلها ضعيفةٌ.

[٧٥٨٤] حديثٌ آخرُ في فَضلِها مع المُعَوِّذَتين: قال الإمامُ أحمد: حدَّثنا أبو المُغِيرةِ، حدَّثنا مُعاذُ ابن رِفاعَةَ، حدَّثني علي بن يزيدَ، عن القاسم، عن أبي أُمامَةَ، عن عقبةَ بن عامر قال: لَقِيتُ رسولَ الله ﷺ فابتدأتُه فأخذتُ بيده، فقلتُ: يا رسولَ الله! بم نجاة المُؤمِن؟ قال: «يا عُقْبَةُ! احرُسْ لسانَك، وَلْيَسَعْكَ بَيتُكَ، وابْكِ على خَطِيئتك». قال: ثُمّ لَقِيني رسولُ الله ﷺ فابتَدَأني فأخَذ بيدِي، فقال: «يا عقبة بنَ عامِرٍ! ألا أُعلِّمك خيرَ ثلاثِ سُورٍ أُنزلَت في التوراة، والإنجيل، والزَّبُور، والقرآنِ العظيم؟» قال: قلت: بلى، جعلني الله فداكَ. قال: فاقرأني: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ثم قال: «يا عُقبَةُ، لا تَنسَهُنّ، ولا تَبِتْ ليلةً حتى تقرأهُنّ». قال: فما نَسِيتُهنّ منذ قال: لا تَنسهُنّ، وما بِتُّ ليلةً قَطُّ حتى أقرأهُنّ. قال عقبةُ: ثم لَقِيتُ رسول الله ﷺ فابتدأتُه، فأخذتُ بيده فقلتُ: يا رسولَ الله! أخبرْني بفواضِلِ الأعمالِ. فقال: «يا عقبةُ! صِلْ مَن قَطَعكَ، وأعْطِ من حَرَمَك، وأعرِضْ عَمَّن ظَلَمَك»[٣]. رَوَى الترمذي بعضَه في «الزهد»، من حديث عُبَيد الله بن زَحْرٍ، عن عليِّ بن يزيدَ وقال: «هذا حديثٌ حَسنٌ».

[٧٥٨٥] وقد رواه أحمد من طريق آخر: حدَّثنا حُسَين بن محمد، حدَّثنا ابن عَيّاش، عن أَسِيدِ بن عبد

---

(١) إسناده ضعيف. والمتن منكر. أخرجه أبو يعلى ٤٢٦٧ وابن حبان في «المجروحين ٢/ ١٨١ من حديث العلاء أبي محمد الثقفي. وهو متروك الحديث واتهمه علي المديني بالكذب وقال ابن حبان: منكر الحديث. ولست أحفظ أحداً من الصحابة يقال له: معاوية بن معاوية الليثي. وقد سرق هذا الحديث شيخ من أهل الشام فرواه عن بقية عن محمد بن زياد عن أبي أمامة، اهـ.

(٢) إسناده ضعيف. أخرجه أبو يعلى ٤٢٦٨ والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٤٦، وفيه محبوب بن هلال قال الذهبي في «الميزان» ٧٠٨٥: لا يُعرف، وحديثه منكر، ومقدار ما يرويه غير محفوظ. وقال ابن حبان: يروي عن عبيد الله ما ليس من حديثه اهـ، وقال ابن عبد البر: أسانيد هذه الأحاديث ليست قوية، ولو أنها في الأحكام، لم يكن في شيء منها حجة اهـ، راجع الإصابة والاستيعاب في ترجمة معاوية بن معاوية الليثي.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٤٨ والطبراني ١٧/ ٢٧١ وإسناده ضعيف. له علتان: علي بن يزيد هو الألهاني، متروك ليس بشيء. والقاسم ضعيف روى مناكير كثيرة اهـ. لكن صدره له شواهد عن أبي ذر وغيره. وكذا لعجزه شواهد، وانظر الآتي: والوهن فيه فقط لفظ «أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور».

الرحمن الخَثْعَمِيّ، عن فَرْوَة بن مُجاهِد اللَّخمِيّ، عن عُقبةَ بن عامر، عن النبيّ ﷺ . . . فذكر مثله سواء[1]. تفرَّد به أحمد.

[٧٥٨٦] حديثٌ آخرُ في الاستشفاء بهنّ: قال البُخَارِيُّ: حدَّثنا قُتَيْبَة، حدَّثنا المفضَّلُ، عن عُقَيل، عن ابن شهابٍ، عَن عُرْوَة، عن عائشة أن النبيَّ ﷺ كان إذا أَوَى إلى فراشِهِ كُلَّ ليلةٍ جَمَع كَفَّيه، ثم نفث فيهما، فَقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ثم يَمْسَحُ بهما ما استطاعَ من جَسَدِه، يبدأ بهما على رأسه وَوَجْهِه، وما أقبلَ من جَسَدِه، يفعل ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ[2]. وهكذا رَوَاه أهل السنَن، من حديث عُقَيلٍ، به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

قد تَقَدَّم ذكرُ سَبَبِ نُزولِها. وقال عكرمةُ: لما قالت اليهود: نحنُ نعبُد عُزيرَ ابنَ الله. وقالت النصارى: نحن نعبُد المسيحَ ابن الله. وقالت المجُوس: نحن نعبُد الشمسَ والقَمَر. وقالت المشركون: نحن نعبُد الأوثانَ ـ أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾. يعني: هو الواحدُ الأحدُ، الذي لا نَظِير له ولا وَزِيرَ، ولا نَدِيدَ ولا شَبيه ولا عَدِيل، ولا يُطْلَقُ هذا اللفظ «أحَد» في الإثباتِ إلاَّ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأنه الكاملُ في جميع صفاتِهِ وأفعالِهِ. وقولُه تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾، قال عِكْرِمةُ، عن ابن عباس: يعني الذي يَصْمُدُ الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم. قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو السيِّدُ الذي قد كَمُل في سُؤْدُدِه، والشريفُ الذي قد كَمُل في شَرَفِهِ، والعظيمُ الذي قد كَمُل في عظمته، والحليمُ الذي قد كمل في حلمه، والعَلِيم الذي قد كَمُل في عِلْمِه، والحكيمُ الذي قد كَمُل في حِكْمَتِهِ. وهو الذي قد كمل في أنواع الشرفِ والسؤْدُدِ، وهو الله سبحانه، هذه صِفَتُه لا تَنبغي إلا له. ليس له كُفْءٌ، وليس كَمِثلِه شيءٌ، سبحانَ الله الواحد القهَّار. وقال الأعمشُ، عن شقيقٍ، عن أبي وائل: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السيد الذي قد انتهى سُؤْدُده، ورواه عاصمٌ، عن أبي وائل، عن ابن مَسْعُودٍ، مثله. وقال مالكٌ، عن زيد بن أسلم: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السيِّد. وقال الحسنُ، وقتادةُ: هو الباقي بعد خَلْقه. وقال الحسن أيضاً: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الحي القيُّوم الذي لا زَوَالَ له. وقال عكرمةُ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لم يخرج منه شيءٌ ولا يَطْعَمُ. وقال الربيعُ بن أنسٍ: هو الذي لم يَلِد ولم يُولَد. كأنه جَعَل ما بعدَه تفسيراً له، وهو قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾. وهو تفسيرٌ جيِّدٌ. وقد تقدَّمَ الحديثُ[3] من روايةِ ابن جَرِيرٍ، عن أُبَيِّ بن كعبٍ في ذلك، وهو صَرِيحٌ فيه. وقال ابنُ مسعود، وابنُ عباس، وسعيدُ بن المسيَّب، ومجاهدٌ، وعبد الله بن بُرَيْدَة، وعِكْرِمةُ أيضاً، وسعيد بن جُبَير، وعطاءُ بن أبي رَباح، وعطيةُ العَوفيُّ، والضحَّاكُ، والسدِّي: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لا جَوْفَ له. [و] قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: المُصمَتُ الذي لا جَوْفَ له. وقال الشَّعبِيُّ: هو الذي

(١) حسن. أخرجه أحمد ٤/١٥٨ ـ ١٥٩. وقال الهيثمي ١١٥٧: رجاله ثقات اهـ لكن هذا فيه «ما أنزلت» وهو الصحيح.
(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٧ وأبو داود ٥٠٥٦ والترمذي ٣٤٠٢ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ٧٩٣.
(٣) تقدم أول السورة.

لا يأكُل الطعامَ، ولا يشرَبُ الشراب. وقال عبد الله بن بُرَيْدَة أيضاً: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾ نورٌ يتلألأ. رَوَى ذلك كلّه وحَكَاه: ابنُ أبي حاتم، والبيهقيُّ، والطَّبَرانيُّ. وكذا أبو جعفرُ بن جَرِيرٍ ساق أكثَرَ ذلك بأسانيدِه.

[٧٥٨٧] وقال: حدَّثني العباس بن أبي طالب، حدَّثنا محمد بن عُمَر بن رُومِيّ، عن عُبَيد الله بن سعيد قائد الأعمش، حَدَّثني صالح بن حَيَّان، عن عبد الله بن بُرَيْدة، عن أبيه قال ـ لا أعلم إلا قد رَفَعَه ـ قال: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾ الذي لا جَوْفَ له(١). وهذا غريبٌ جدًّا، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بُرَيدةَ.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنّة» له، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: وكلُّ هذه صَحِيحةٌ، وهي صفاتُ ربِّنا عزَّ وجلَّ، هو الذي يُصمَدُ إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سُؤْدُده، وهو الصمد الذي لا جَوْفَ له، ولا يأكلُ ولا يشربُ، وهو الباقي بعد خَلْقِهِ. وقال البيهقيُّ نحوَ ذلك أيضاً. وقولُه تعالى: ﴿لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ ۝٣ وَلَـمْ يَكُن لَّمُ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، أي: ليس له وَلَدٌ ولا والدٌ ولا صاحبةٌ. قال مجاهد: ﴿وَلَـمْ يَكُن لَّمُ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، قال: يعني لا صاحبةَ له. وهذا كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، أي: هو مالكُ كلِّ شيءٍ وخالقُه، فكيف يكونُ له مِن خَلْقِه نظيرٌ يُساميه، أو قريبٌ يُدانيه، تعالى وتقدَّس وتنزَّه، قال الله تـعـالـى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧]. وقـال تـعـالـى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٥٨ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨ ـ ١٥٩].

[٧٥٨٨] وفي الصحيح، صحيح البخاري: «لا أحَد أصبرُ على أذًى سَمِعه من الله، إنهم يجعَلُون له ولداً، وهو يرزقُهم ويُعافِيهم»(٢).

[٧٥٨٩] وقال البُخاريُّ: حدَّثنا أبو اليمان، حدَّثنا شُعَيب، حدَّثنا أبو الزِّناد، عن الأعرجِ، عن أبي هُرَيْرَة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: كَذَّبني ابنُ آدمَ ولم يكُن له ذلك، وشَتَمني ولم يَكُن له ذلك، فأما تَكْذيبه إياي فقولُه: لن يُعِيدني كما بَدَأني. وليسَ أوَّلُ الخَلْقِ بأهونَ عليَّ من إعادتِهِ، وأما شَتْمُه إيّايَ فقوله: «اتخذ الله ولداً. وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحداً»(٣). ورَواه أيضاً من حديث عبد الرزّاق، عن مَعْمَرٍ، عن هَمّام بن مُنَبِّه، عن أبي هُرَيْرَة، مرفوعاً بمثلِه. تَفرَّد بهما من هذين الوجهَين.

آخر تفسير سورة «الإخلاص»، ولله الحمد والمنّة

---

(١) ضعيف جداً. والصواب موقوف. أخرجه الطبراني ١١٦٢. قال الهيثمي في «المجمع» ١١٥٣٠: فيه صالح بن حيان، وهو ضعيف اهـ، وله علة ثانية: عبد الله بن سعيد قائد الأعمش. قال أبو داود: عنده أحاديث موضوعة. راجع الميزان ٥٣٦٤.

(٢) أخرجه البخاري وغيره، وتقدم.

(٣) تقدم في سورة النحل آية ٤٠.

تفسير سورتي المُعَوِّذَتَين

وهما مَدَنِيَّتانِ

[٧٥٩٠] قال الإمامُ أحمد: حَدَّثنا عَفَّانُ، حدَّثنا حَمَّادُ بن سَلَمة، أخبرنا عاصم بن بَهْدَلَةَ، عن زِرِّ ابن حُبَيشٍ قال: قلتُ لأُبيِّ بن كعبٍ: إنَّ ابنَ مسعودٍ لا يَكتُبُ المُعَوِّذَتين في مُصحَفِه؟ فقال: أشهدُ أن رَسُولَ الله ﷺ أخبرني أن جبريل ـ عليه السلام ـ قال له: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ فَقُلتُها، قال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فَقُلتُها. فنحن نقولُ ما قال النبيُّ ﷺ [(١)].

[٧٥٩١] وَرَواه أبو بكر الحُمَيديُّ في مُسنَدِه، عن سفيان بن عُيينة، حدَّثنا عَبْدَةُ بن أبي لُبابة وعاصم ابن بَهْدَلة، أنهما سَمِعا زِرَّ بن حُبَيشٍ قال: سَأَلتُ أُبيَّ بن كعبٍ عن المُعوِّذَتين، فقلت: يا أبا المُنذِر! إنَّ أخاكَ ابنَ مسعُودٍ يَحُكُّهما من المُصحَفِ. فقال: إنِّي سَأَلتُ رسولَ الله ﷺ، فقال: «قيل لي: ﴿قُلۡ﴾ فقلتُ». فنحن نُقول كما قال رسولُ الله ﷺ [(٢)].

[٧٥٩٢] وقال أحمدُ: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثنا سفيانُ، عن عاصم، عن زِرٍّ قال: سَأَلتُ ابنَ مسعُودٍ عن المُعَوِّذَتين فقال: سألتُ النبيَّ ﷺ عنهما فقال: «قيل لي، فقلتُ لكم. فقولُوا»[(٣)]. قال أُبيٌّ: فقال لنا النبي ﷺ، فَنحنُ نقولُ.

[٧٥٩٣] وقال البخاري: حَدَّثنا علي بن عبد الله، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عبدةُ بن أبي لُبَابة، عن زِرِ ابن حُبَيش ـ وحَدَّثنا عاصم عن زِرٍّ ـ قال: سألتُ أُبيَّ بن كعبٍ فقلتُ: أبا المُنذِرِ! إنَّ أخاكَ ابنَ مسعُودٍ يقولُ كذا وكذا. فقال: إنِّي سألتُ النبيَّ ﷺ فقال: «قيل لي، فقلتُ». فنحن نقولُ كما قال رسول الله ﷺ [(٤)]. ورواه البخاري أيضاً والنسائي، عن قُتَيبة، عن سفيان بن عُيَينة، عن عبدة وعاصم بن أبي النجود، عن زِرِّ بن حُبَيش، عن أبي بن كعب، به.

[٧٥٩٤] وقال الحافظُ أبو يَعْلَى: حدَّثنا الأزرَقُ بن علي، حدَّثنا حَسَّان بن إبراهيم، حدَّثنا الصَّلت ابن بَهْرَام، عن إبراهيم، عن عَلْقَمَة قال: كان عبد الله يَحُكُّ المُعَوِّذَتين من المُصحَفِ، ويقولُ: إنما أُمِرَ رسولُ الله ﷺ أن يَتَعوَّذ بهما. ولم يكن عبدُ الله يقرأ بهما[(٥)].

[٧٥٩٥] ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيدَ قال:

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ١٢٩ وإسناده حسن لأجل عاصم، لكن توبع.

(٢) أخرجه الحميدي ٣٧٤.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ١٢٩ وهو صحيح الإسناد.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٧٧.

(٥) صحيح. أخرجه البزار ٢٣٠١ والطبراني في «الكبير» ٩١٥٢ وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٥٦٣: رجالهما ثقات.

كان عبد الله يحكُّ المُعَوِّذَتَين من مَصاحِفِهِ، ويقولُ: إنهما ليستا من كتاب الله. قال الأعمش: وحَدَّثنا عاصم، عن زِرِّ بن حُبَيش، عن أُبَيِّ بن كعبٍ قال: سألنا عنهما رسولَ الله ﷺ قال: «قيل لي، فقلتُ»[١]. وهذا مشهورٌ عند كثير من القُرّاء والفُقَهاء: أن ابنَ مسعُودٍ كان لا يكتُب المُعَوِّذَتين في مُصحَفِهِ، فَلَعلَّه لم يَسْمَعهما من النبيِّ ﷺ، ولم يَتَواتَرْ عنده[٢]، ثم لعلَّه قد رَجَع عن قوله ذلك إلى قولِ الجماعةِ، فإنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كَتَبُوهما في المصاحفِ الأئمَّةِ، ونَفَّذُوها إلى سائر الآفاقِ كذلك، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

[٧٥٩٦] وقد قال مُسلمٌ في صَحِيحِه: حدَّثنا قُتَيبةُ، حدَّثنا جَريرٌ، عن بَيانٍ، عن قيس بن أبي حَازِمٍ، عن عُقبةَ بن عامرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألم تَرَ آياتٍ أُنزلت هذه الليلةَ لم يُرَ مِثْلَهنَّ قطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٣]. ورواه أحمدُ، ومسلمٌ أيضاً، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، من حديث إسماعيلَ بن أبي خالدٍ، عن قيس بن أبي حازمٍ، عن عُقبَةَ، به. وقال الترمذيُّ: «حسن صحيح».

[٧٥٩٧] **طريقٌ أخرى**: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا الوليدُ بن مسلم، حدَّثنا ابنُ جابرٍ، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن عُقبَة بن عامرٍ قال: بينا أنا أقودُ برسولِ الله ﷺ في نَقْب من تلك النِّقاب، إذ قال لي: «يا عقبةُ! ألا تَرْكب؟» قال: «فأجْلَلْت رسولَ الله ﷺ أن أركَبَ مَرْكَبه». ثم قال: «يا عُقَيبُ! ألا تَرْكبُ؟» قال: فأشفقتُ أن تكونَ مَعصِيةً، قال: فنزل رسولُ الله ﷺ ورَكِبتُ هُنَيهَةً، ثم رَكِب، ثم قال: «يا عُقَيبُ! ألاَ أُعلِّمُكَ سُورَتَينِ من خَيرِ سُورَتَين قرأ بهما الناسُ؟» قلت: بلى يا رسول الله! فاقرأني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. ثم أُقِيمَتِ الصلاةُ، فتقدَّم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مَرَّ بي فقال: «كيفَ رأيتَ يا عُقَيبُ! اقرأ بهما كُلَّما نِمتَ وكُلَّما قُمتَ»[٤]. ورواه النسائيُّ من حديث الوليدِ بن مُسلم وعبد الله بن المبارك، كلاهما عن ابن جابرٍ، به. ورواه أبو داود والنَّسائي أيضاً، من حديث ابن وَهْبٍ، عن معاوية بن صالح، عن العَلاَء بن الحارث، عن القاسمِ بن عبد الرحمن، عن عُقْبَةَ، به.

[٧٥٩٨] **طريقٌ أخرى**، قال أحمدُ: حدَّثنا أبو عبد الرحمن، حدَّثناسعيدُ بن أبي أيُّوبَ، حدَّثني يزيدُ بن عبد العزيز الرُّعينيُّ وأبو مرحُوم، عن يَزيد بن محمد القُرَشِيِّ، عن علي بن رَبَاح، عن عُقبَةَ بن عامرٍ قال: أمرني رسولُ الله ﷺ أن أقرأ بالمُعوِّذات في دُبُر كلِّ صلاة[٥]. وَرَواه أبو داودَ والتِرمِذيُّ والنَّسائيُّ، من طُرُقٍ، عن علي بن رَبَاحٍ، وقال التِرمِذيُّ: «غَريبٌ».

[٧٥٩٩] **طريقٌ أخرى**، قال أحمدُ: حدَّثنا يحيى بن إسحاق، حَدَّثنا ابنُ لَهيعة، عن مِشْرحِ بن هاعان، عن عُقبةَ بن عامر: قال لي رسولُ الله ﷺ: «اقرأ بالمُعوِّذَتينِ، فإنَّك لن تقرأ بمثلهما»[٦]. تَفَرَّد به أحمدُ.

[٧٦٠٠] **طريقٌ أخرى**: قال أحمدُ: حدَّثنا حَيْوَةُ بن شُرَيح، حدَّثنا بَقِيَّةُ، حدَّثنا بَحِيرُ بن سعد، عن

---

(١) صحيح. أخرجه عبد الله بن أحمد ٥/ ١٢٩ والطبراني في «الكبير» ٩١٥٠ وقال الهيثمي في المجمع: ١١٥٦٢ ورجال عبد الله رجال الصحيح ورجال الطبراني ثقات.

(٢) وقد حصل لابن مسعود محنة بسبب ذلك أثناء جمع عثمان رضي الله عنهما للمصاحف على المصحف الأم، وحرق وإتلاف ما سواه والقصة في ذلك معروفة، والله أعلم.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم ١/ ٥٥٨ ح ٨١٤ والترمذي ٣٣٦٧ والنسائي ٢/ ١٥٨ وأحمد ٤/ ١٥١.

(٤) حسن. أخرجه أبو داود ١٤٦٢ والنسائي في «الكبرى» ٧٨٤٣ وأحمد ٤/ ١٤٤.

(٥) صحيح. أخرجه أبو داود ١٥٢٣ والترمذي ٢٩٠٣ والنسائي ١٢٥٩ وأحمد ٤/ ٢٠١.

(٦) أخرجه أحمد ٤/ ١٤٦، وهو حديث صحيح بطرقه.

خالد بن مَعْدَان، عن جُبَير بن نُفَير، عن عُقْبَةَ بن عامرٍ أنه قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ أُهدِيَت له بغلةٌ شهباءُ، فرَكِبها، فأخذ عُقبَةُ يقودُها له، فقال رسولُ الله ﷺ: «اقرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾». فأعادها له حتى قَرَأها، فَعَرف أني لم أفرح بها جدًا، فقال: «لَعَلَّك تهاونتَ بها؟ فما قمتَ تُصَلّي بشيءٍ مثلِها»[1]. وَرَواه النَّسائيُّ عن عَمرو بن عثمان، عن بَقِيَّةَ، به.

[٧٦٠١] وَرَواه النَّسائيُّ أيضاً من حديث الثَّوريِّ، عن معاويةَ بن صالح، عن عبد الرحمن بن جُبَير ابن نُفَير، عن أبيه، عن عُقْبَةَ بن عامرٍ: أنه سأَلَ رسول الله ﷺ عن المُعوِّذَتَين... فذكر نَحوه[2].

[٧٦٠٢] طريقٌ أخرى: قال النَّسائيُّ: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، حدَّثنا المعتمرُ، سَمِعت النعمانَ، عن زياد أبي الأسد، عن عقبةَ بن عامر: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الناس لم يَتعوَّذُوا بِمثْلِ هَذَين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[3].

[٧٦٠٣] طريقٌ أخرى: قال النَّسائيُّ: أخبرنا قُتَيبة، حدَّثنا اللَّيثُ، عن ابن عَجْلان، عن سَعِيدٍ المقبُريِّ، عن عُقبَةَ بن عامر قال: كنتُ أمشِي مَع رسولِ الله ﷺ فقال: «يا عُقَيبُ! قُلْ». فَقُلتُ: ماذا أقولُ؟ فسكت عَنّي، ثم قال: «قُلْ». فقلتُ: ماذا أقولُ يا رسول الله؟! فَسكت عَنّي، فقلت: اللَّهُمَّ، اردُدْه عَلَيَّ. فقال: يا عُقْبَةُ! «قل». قلتُ: ماذا أقولُ يا رسولَ الله! فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، فقرأتُها حتى أتيتُ على آخرِها، ثم قال: «قُل». فقلتُ: ماذا أقولُ يا رسُولَ الله! قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقرأتُها حتى أتيتُ على آخرِها، ثم قال رسولُ الله ﷺ عندَ ذلك: «ما سأل سائلٌ بمثلهما، ولا استعاذَ مُستعيذٌ بمثلهما»[4].

[٧٦٠٤] طريقٌ أخرى: قال النسائي: أخبرنا مُحمَّد بن بَشَّار، حدَّثنا عبدُ الرحمن، حدَّثنا معاويةُ، عن العلاءِ بن الحارث، عن مكحُول، عن عَقبةَ بن عامرٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَرَأ بهما في صلاة الصبح[5].

[٧٦٠٥] طريقٌ أخرى: قال النَّسائيُّ: أخبرنا قُتيبة، حدَّثنا الليثُ، عن يزيدَ بن أبي حبيب، عن أبي عمرانَ أسلم، عن عُقبةَ بن عامر قال: اتبعتُ رسولَ الله ﷺ وهو راكبٌ، فوضعتُ يَدِي على قَدَمِه فقلتُ: أقرئني سورةَ هُودٍ أو سورةَ يُوسُفَ. فقال: «لن تقرأ شيئاً أنفعَ عندَ الله من: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾»[6].

[٧٦٠٦] حديثٌ آخر: قال النَّسائيُّ: أخبرنا محمودُ بن خالد، حدَّثنا الوليدُ، حدَّثنا أبو عَمرو الأوزاعيُّ، عن يحيى بن أبي كَثِير، عن محمد بن إبراهيم بن الحارثِ، عن أبي عبد الله، عن ابن عابِسٍ الجُهَنيِّ: أن النبي ﷺ قال له: «يا ابنَ عابِسٍ! ألا أدلك ـ أو: ألا أُخبِرُكَ ـ بأفضلِ ما يتعوَّذ به المُتعوِّذون؟» قال: بلى، يا رسول الله! قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هاتان السورتان»[7]. فهذه طُرُقٌ عن عُقبةَ كالمتواتِرةِ عنه، تُفِيدُ القطعَ عند كثيرٍ من المُحَقِّقين في الحديث.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٤٢ وأحمد ٤/ ١٥١ وإسناده على شرط مسلم، وقد صرح بقية بالتحديث.

(٢) صحيح. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٥١ وإسناده على شرط مسلم.

(٣) حسن. أخرجه النسائي ٧٨٥٦ وفيه زياد هذا لم أجد له ترجمة، لكن للحديث طرق.

(٤) جيد. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٣٨ وإسناده حسن لأجل ابن عجلان، لكن توبع.

(٥) حسن. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٥٠ وإسناده ضعيف مكحول عن عقبة منقطع، لكن أخرجه النسائي ٧٨٤٨ من وجه آخر، فهو حسن.

(٦) أخرجه النسائي ٧٨٣٩ في «الكبرى» وإسناده ضعيف، يزيد مدلس، وقد عنعن، وتفرد بذكر سورة هود أو يوسف في المتن.

(٧) حسن. أخرجه النسائي ٧٨٤١ في «الكبرى» وإسناده حسن في الشواهد، أبو عبد الله مقبول.

[٧٦٠٧] وقد تقدَّم في رواية صُدَيّ بن عَجْلان، وفَرْوة بن مُجاهِد[١]، عنه: «ألا أُعلِّمك ثلاثَ سُورَ لم ينزلْ في التوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الزَّبُورِ ولا في القرآن مثلهن»؟ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

[٧٦٠٨] حديثٌ آخر: قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثنا الجُرَيْرِيُّ، عن أبي العلاءِ قال: قال رجلٌ: كُنّا مع رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، والناس يَعتقِبُون، وفي الظَّهر قِلَّةٌ، فحانت نَزْلَة رسول الله ﷺ ونزلتي فَلَحِقَني فضرب من بعدي مَنْكِبي، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، ثم قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقرأها رسولُ الله ﷺ وقَرَأتُها مَعَه، فقال: «إذا صَلَّيتَ فاقرأ بهما»[٢]. الظاهر أن هذا الرجل هو عُقبة بن عامر، والله أعلم. ورواه النسائي عن يَعقُوبَ بن إبراهيم، عن ابن عُلَيَّة، به.

[٧٦٠٩] حديثٌ آخرُ: قال النَّسائيُّ: أخبرنا محمد بن المثنَّى، حدَّثنا محمد بن جعفر، عن عبد الله ابن سَعِيد، حدَّثني يزيدُ بن رُومان، عن عُقبةَ بن عامر، عن عبد الله الأسلَمي ـ هو ابنُ أُنَيس ـ: أنَّ رسولَ الله ﷺ وَضَع يده على صَدْره ثم قال: «قل». فلم أَدرِ ما أقولُ، ثم قال لي: «قل». قلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. ثم قال لي: «قُل». قلت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ حتى فَرَغتُ منها. ثم قال لي: «قُل». قلت: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، حتى فَرَغتُ منها. فقال رسولُ الله ﷺ: «هكذا فَتَعَوَّذْ، ما تَعَوَّذَ المُتَعوِّذُون بمثلِهن قطُّ»[٣].

[٧٦١٠] حَدِيثٌ آخرُ: قال النَّسائيُّ: أخبرنا عمرو بن علي أبو حَفْص، حدَّثنا بَدَلٌ، حدَّثنا شَدَّاد بنُ سعيدٍ أبو طلحةَ، عن سعيد الجُرَيريَ، حدَّثنا أبو نضرَةَ، عن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «اقرأ يا جابرُ!» قلتُ: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. فَقَرَأْتُهما، فقال: «اقرأ بهما، ولن تَقرأ بمثلهما»[٤].

[٧٦١١] وتقدَّم حديثُ عائشةَ أن رسولَ الله ﷺ كان يقرأُ بهنَّ، وينفُثُ في كَفَّيه، ويمسَحُ بهما رأسه وَوَجْهَه، وما أقبلَ مِن جَسَده[٥].

[٧٦١٢] وقال الإمامُ مالكٌ، عن ابن شهابٍ، عن عُرْوَة، عن عائشةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأُ على نفسِه بالمُعَوِّذتَينِ وينفُث، فَلَمَّا اشتدَّ وَجَعُه كنتُ أقرأُ عليه، وأمسحُ بيده عَلَيه، رجاءَ بَرَكَتِها[٦]. وَرَواه البخاري عن عبد الله بن يُوسُفَ، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داودَ عن القَعْنَبِيّ، والنَّسائي عن قتيبة ـ ومن حديث ابن القاسم، وعيسى بن يونس ـ وابنُ ماجه من حديث مَعْنٍ وبشر بن عُمَر، ثمانيتُهم عن مالك، به.

---

(١) تقدم عن صدي بن عجلان وهو: أبو أمامة ـ عن عقبة. وعن فروة بن مجاهد عن عقبة.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٥/ ٧٩ والنسائي ٧٨٥٩ ورجاله ثقات، وله طرق.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٤٥ ورجاله ثقات، وهو حسن إن كان يزيد سمعه من عقبة، حيث لم أجد من ذكر أنه روى عنه. وأصل الحديث محفوظ لكن عن عقبة.

(٤) حسن. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٧٨٥٤ وإسناده حسن، رجاله ثقات.

(٥) تقدم تخريجه وهو صحيح.

(٦) صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٦ ومسلم ٢١٩٢ ح ٥١ وأبو داود ٣٩٠٢ والنسائي ٧٥٤٩ في «الكبرى» وابن ماجه ٣٥٢٩ ومالك في «الموطأ» ٢/ ٩٤٢ وأحمد ٦/ ١٠٤ و ١٨١ وابن حبان ٢٩٦٣.

[٧٦١٣] وتَقَدَّم في آخر سورة: ﴿نٓ﴾، من حديث أبي نَضْرَة، عن أبي سَعِيدٍ: أن رسولَ الله ﷺ كان يَتَعوَّذ من أعين الجانِّ وعَين الإنسان، فلما نَزَلت المعوِّذتان أخَذ بهما، وتَرَك ما سواهما[1]. رواه التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه، وقال التِّرمذِيُّ: «حَسَنٌ».

(١) تقدم تخريجه في آخر سورة القلم، وهو صحيح.

سُورَةُ الفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أحمدُ بن عِصام، حدَّثنا أبو أحمد الزبَيريُّ، حدَّثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابرٍ قال: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبحُ. وقال العَوْفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾، الصُبح. ورُوِي عن مجاهدٍ، وسعيدِ بن جُبَير، وعبدِ الله بن محمد بن عَقِيل، والحسنِ، وقتادةَ، ومحمدِ بن كعبٍ القُرَظي، وابنِ زَيدٍ، ومالكٍ عن زيد بن أسلَمَ، مثلُ هذا. قال القُرَظِيُّ، وابنُ زيدٍ، وابنُ جريرٍ: وهي كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الخلْقُ. وكذا قال الضحَّاك: أمر الله نَبيَّه أن يتعوَّذ من الخلْقِ كُلِّه. وقال كعبُ الأحبار: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: بيتٌ في جَهنَّم، إذا فُتِح صاح جميعُ أهل النار من شدَّة حَرِّه. رواه ابنُ أبي حاتم، ثم قال: حدَّثنا أبي، حدَّثنا سُهَيل بن عثمان، عن رجل سمَّاه، عن السدِّي، عن زيد بن علي، عن آبائه أنهم قالوا: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: جبٌّ في قَعرِ جَهنَّم، عليه غطاءٌ، فإذا كُشِف عنه خرجت منه نارٌ تَصِيح منه جَهنَّم، من شدَّة حرِّ ما يخرُج منه. وكذا رُوِي عن عَمْرو بن عَبَسَة، والسدِّي، وغيرهم. وقد وَرَد في ذلك حديثٌ مرفُوعَ مُنكَرٌ.

[٧٦١٤] فقال ابن جريرٍ: حدَّثني إسحاقُ بن وهب الواسطي، حدَّثنا مسعود بن موسى بن مُشكان الوَاسطيُّ، حدَّثنا نَصرُ بن خُزَيمة الخُراسانيُّ، عن شُعيب بن صفوان، عن محمد بن كعب القُرَظي، عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ «جُبٌ في جهنم مُغطًى»(١). إسنادُه غريبٌ ولا يَصِحُّ رفعُه. وقال أبو عبد الرحمن الحُبُلي: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: من أسماء جَهنَّم. قال ابنُ جرِيرٍ: والصوابُ القولُ الأوَّلُ، أنَّه فَلَقُ الصُبح. وهذا هو الصَّحيحُ، وهو اختيار البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه. وقولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، أي: من شَرِّ جميع المخلوقاتِ. وقال ثابتٌ البُنَانيُّ، والحسن البصريُّ: جَهنَّم وإبليسُ وذُرِّيته مما خَلَق. ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾، قال مجاهدٌ: غاسقُ الليل إذا وقَبَ: غُروبُ الشمس. حكاه البخاريُّ عنه. وَرواه ابن أبي نَجيح، عنه. وكذا قال ابنُ عباسٍ، ومحمد بن كعب القُرظي، والضَّحاك، وخُصَيفٌ، والحسنُ، وقتادةُ: إنه الليل إذا أقبل بِظَلامه. وقال الزُّهريُّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: الشمسُ إذا

---

(١) المرفوع باطل. أخرجه الطبري ٣٨٣٤٨. وفيه شعيب بن صفوان، وهو غير حجة. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه اهـ وفيه مجاهيل. وأخرجه الطبري ٣٨٣٤٥ و ٣٨٣٤٦ و ٣٨٣٤٧ عن السدي من قوله، وهو الصحيح، كونه من كلام السدي، وأمثاله.

غرَبت. وعن عَطِيَّةَ وقتادة: إذا وَقَب الليلُ: إذا ذَهَب. وقال أبو المُهَزِّم، عن أبي هُرَيرةَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝﴾ الكوكب. وقال ابنُ زيدٍ: كانت العربُ تقولُ: الغاسقُ: سقُوط الثُّريا، وكانت الأسقامُ والطواعينُ تكثر عند وُقُوعها، وترتفع عند طُلُوعها.

[٧٦١٥] قال ابنُ جريرٍ: ولهؤلاء من الأثر ما حَدَّثني نصر بن علي، حَدَّثني بكار بنُ عبد الله، ابن أخي هَمَّام، حدَّثنا محمد بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عَوفٍ، عن أبيه، عن أبي سَلَمة، عن أبي هُرَيرة، عن النبيِّ ﷺ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝﴾، قال: «النجمُ الغاسِقُ»[١]. قلتُ: وهذا الحديثُ لا يَصِحُّ رفعُه إلى النبيِّ ﷺ. قال ابنُ جريرٍ: وقال آخرون: هو القمرُ.

[٧٦١٦] قلت: وعُمدة أصحاب هذا القولِ ما رواه الإمام أحمدُ: حدَّثنا أبو داودَ الحَفرِيُّ، عن ابن أبي ذِئبٍ، عن الحارث عن أبي سَلَمة قال: قالت عائشةُ رضي الله عنها: أخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِي فَأراني القمَرَ حين طَلَع، وقال: «تَعَوَّذِي بالله من شرِّ هذا الغاسقِ إذا وَقَب»[٢]. ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سُنَنيهما، من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذِئبٍ، عن خالِه الحارث بن عبدِ الرحمن، به. وقال الترمذيُّ: «حَسَنٌ صحيحٌ». ولفظُه: «تَعوَّذِي بالله من شرِّ هذا، فإن هذا الغاسقُ إذا وَقَب». ولفظ النسائي: «تعوذي بالله من شرِّ هذا، هذا الغاسقُ إذا وَقَب». قال أصحابُ القولِ الأولِ ـ وهو أنَّه الليلُ إذا وَلَج ـ: هذا لا يُنافي قولَنا، لأن القمرَ آيةُ الليلِ، لا يُوجَد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تُضِيءُ، إلا في الليل، فهو يرجعُ إلى ما قلناه، والله أعلم.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝﴾، قال مجاهدٌ، وعِكْرمةُ، والحسنُ، وقتادةُ، والضحَّاكُ: يعني السواحر. قال مجاهدٌ: إذا رَقَينَ ونَفَثْنَ في العُقَد. وقال ابنُ جريرٍ: حَدَّثنا ابنُ عبد الأعلى، حَدَّثنا ابنُ ثورٍ، عن معمَرٍ، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: ما مِن شيءٍ أقربَ من الشرك من رُقية الحَيَّةِ والمَجانين.

[٧٦١٧] وفي الحديث الآخر: «أنَّ جبريلَ جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اشتكيتَ يا محمَّد؟ فقال: «نعم». فقال: باسم الله أرْقِيك، من كُلِّ داءٍ يُؤذِيكَ، ومن شرِّ كُلِّ حاسدٍ وعين، الله يَشْفِيكَ»[٣]. ولعلَّ هذا كان من شَكْواه ـ عليه السلام ـ حين سُحِر، ثم عافاه الله تعالى وشَفَاه، وردَّ كيدَ السحَرةِ الحُسَّاد من اليهود في رُؤوسهم، وجَعَل تَدْميرَهُم في تَدْبيرهم وفَضَحَهم، ولكن مع هذا لم يُعاتبه رسولُ الله ﷺ يوماً من الدهر، بل كَفَى الله وشَفَى وعافَى.

[٧٦١٨] قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو مُعاوية، حدَّثنا الأعمشُ، عن يزيدَ بن حَيَّانَ، عن زيدِ بن أرْقَمَ قال: سَحَرَ النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، قال: فجاءه جبريلُ فقال: إنَّ رجلاً من اليهود سَحَرك، عَقَد لك عُقَداً في بِئرٍ كذا وكذا، فَأرْسِل إليها مَن يجيءُ بها. فَبعثَ رسولُ الله ﷺ عليًا، رضي الله

---

(١) أخرجه الطبري ٣٨٣٧٥. وهو ضعيف، فيه محمد بن عبد العزيز، وهو متروك الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٦٦ والنسائي في «الكبرى» ١٠١٣٨ وأحمد ٦/ ٦١ والحاكم ٢/ ٥٤٠ وإسناده حسن لأجل الحارث وهو ابن عبد الرحمن، لكن في المتن غرابة، والله أعلم، وهو في «الصحيحة» ٣٧٢.

(٣) تقدم في آخر سورة القلم.

تعالى عنه فاستخرَجها، فجاء بها فَحَلَّلها، قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نُشِط من عِقَالٍ، فما ذكر ذلك لليهوديّ، ولا رآه في وَجْهِهِ حتى مات[١]. وَرَواه النسائيُّ عن هَنَّادٍ، عن أبي معاويةَ محمد بن حازم الضرير.

[٧٦١٩] وقال البخاريُّ في «كتاب الطبِّ» من صَحيحه: حدَّثنا عبد الله بن محمد قال: سَمِعتُ سفيان بن عُيَينة يقول: أَوَّلُ مَن حَدَّثنا به ابن جُرَيج، يقول: حَدَّثني آل عُرْوةَ، عن عُروة، فسألت هِشاماً عنه، فَحدَّثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساءَ ولا يأتِيهنَّ ـ قال سفيان: وهذا أَشَدُّ ما يكونُ من السِّحرِ، إذا كان كذا ـ فقال: «يا عائشةُ! أَعَلِمْتِ أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فَقَعد أحدُهما عند رأسي، والآخرُ عند رجلي، فقال الذي عندَ رأسي للآخرِ: ما بالُ الرجل؟ قال: مطبوبٌ. قال: ومَن طَبَّه؟ قال: لَبِيدُ بن أَعْصَمَ ـ رجلٌ من بني زُرَيق حَليف لِيَهُودَ، كان منافقاً ـ قال: وفيم؟ قال: في مُشط ومُشاقَةٍ قال: وأين؟ قال: في جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَر تحت رَعُوفةٍ في بئر ذَرْوان». قالت: فأتى ـ النبيُّ ﷺ البئر حتى استخرجه فقال: هذه البئرُ التي أُرِيتُها، وكأنَّ ماءَها نُقَاعةُ الحِنَّاء، وكأنَّ نخلَها رُؤوس الشياطين. قال: فاستُخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ أي: تَنَشَّرْتَ فقال: «أمَّا اللَّهُ فقد شَفَاني، وأكره أن أُثِير على أحدٍ من الناس شرًّا»[٢].

[٧٦٢٠] وأسندَه من حديثِ عيسى بن يُونُسَ، وأبي ضَمْرَة أنسِ بن عِياض، وأبي أسامة، ويحيى القطان وفيه: «قالت: حتى كان يُخَيَّل إليه أنه فَعَلَ الشيء[٣] ولم يَفْعَلْه». وعنده «فأمر بالبئر فَدُفِنَت»[٤]. وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبي الزناد والليث بن سعد. وقد رواه مسلم، من حديث أبي أسامة حَمَّاد بن أسامة وعبد الله بن نُمَير، ورواه أحمد، عن عَفَّان، عن وُهَيب، عن هشام، به.

[٧٦٢١] وَرَواه الإمام أحمدُ أيضاً عن إبراهيم بن خالد، [عن رباح بن زيد][٥] عن مَعْمَرٍ، عن هِشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لَبِث رسولُ الله ﷺ ستةَ أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي، فأتاه مَلَكان، فجلس أحدُهما عند رأسِه، والآخرُ عند رِجْلَيهِ، فقال أحدُهما للآخر: ما بالُه؟ قال: مَطبُوبٌ. قال: وَمَن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم . . . وذكر تمام الحديث[٦].

---

(١) أخرجه النسائي ٣٥٤٣ في «الكبرى» وأحمد ٤/٣٦٧ ورجاله ثقات.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٦٥.

(٣) هذه كناية. والمراد إتيانه عليه السلام نساءه. وهذا أشد ما حصل له عليه السلام من ذلك السحر. وقد ذهب بعض أهل العلم قديماً وحديثاً إلى نفي خبر سحره عليه السلام، وما ذلك إلا بسبب أنهم لم يتدبروا ما ذكرته عائشة فإن قولها «حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء، ولم يفعله»، أشكل ذلك على هؤلاء حيث ظنوا أن النبي ﷺ صار ينسىٰ، وضعف جسمه، وتغير حاله إلى ما هنالك. والصواب أن ذلك يفسر بالروايات المتقدمة منها المتقدم عن عائشة وفيه «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهنَّ» فهذا هو المراد من قولها «يخيل إليه . .» والدليل على أنه عليه الصلاة والسلام بقي سليماً ما عدا ذلك. هو أنه لو لوحظ عليه شيء غير عادي، لجاء ذلك عن جماعة من الصحابة، ولذكروا ذلك. ولكن كل ذلك لم يكن، بل إن النبي ﷺ كان يؤم الناس فيقرأ القرآن بصوت مرتفع في الفجر والمغرب والعشاء، فلو صار ينسىٰ أو نحو ذلك لنقل أيضاً، ولجاء متواتراً. ولم يستمر ذلك سوى أيام فقط أي عدم إتيانه لنسائه. والله تعالى أعلم.

(٤) صحيح. أخرجه البخاري ٥٧٦٦ و ٦٠٦٣ و ٦٣٩١ ومسلم ٢١٨٩ ح ٤٣.

(٥) زيادة عن «المسند» و «تهذيب التهذيب».

(٦) لفظ «ستة أشهر» منكر في هذا الحديث تفرد به معمر، وهو ثقة من رجال البخاري ومسلم إلا أن في روايته عن هشام ضعفاً، راجع التهذيب والتقريب وكتب الرجال، وقال الذهبي: له أوهام اهـ وقد خالفه ابن جريج فلم يذكر فيه مدة محددة. في حين =

[٧٦٢٢] وقال الأستاذُ المفسِّرُ الثعلَبِيُّ في تفسيره: قال ابنُ عَبَّاس وعائشةُ رضي الله عنهما: كان غلامٌ من اليهود يخدُم رسولَ الله ﷺ فَدَبَّت إليه اليهودُ، فلم يزالُوا به حتى أَخَذ مُشَاطَة رأسِ النبيِّ ﷺ وعِدَّة أسنانٍ من مُشطِهِ، فأعطاها اليهودَ، فَسَحرُوه فيها. وكان الذي تَوَلَّى ذلك رجل منهم، يقال له: لَبِيدُ ابن أعْصَمَ، ثم دَسَّها في بئر لبني زُرَيقٍ، يقال لها: ذَرْوانَ، فَمَرِض رسولُ الله ﷺ وانتثر شعرُ رأسِهِ، ولَبِثَ ستةَ أشهرُ يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهنَّ، وجَعَل يَذُوبُ ولا يَدْرِي ما عَرَاه. فبينما هو نائمٌ إذْ أتاه مَلَكانِ فَقَعد أحدُهما عندَ رأسِه والآخرُ عند رجلَيهِ، فقال الذي عند رجلَيه للذي عند رأسه: ما بالُ الرجل؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَّ؟ قال: سُحِرَ. قال: ومَن سَحَره؟ قال: لَبِيدُ بن أَعْصَمَ اليهودي. قال: وَبِمَ طَبَّه؟ قال: بِمُشْطٍ ومُشاطَةٍ. قال: وأينَ هو؟ قال: في جُفِّ طَلْعَةٍ تحتَ راعُوفَةٍ في بئرِ ذَرْوانَ ـ والجُفُّ: قِشرُ الطلع. والراعوفة: حَجَرٌ في أسفلِ البئر ناتىءٌ يقومُ عليه الماتحُ ـ فانتبه رسولُ الله ﷺ مذعُوراً، وقال: «يا عائشةُ! أما شَعَرتِ أنَّ الله أخبرني بدائي؟» ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عليًا والزبيرَ وعَمَّار ابن ياسر، فَنَزحُوا ماءَ البِئْرِ كأنه نُقَاعَةُ الحناء، ثم رَفَعُوا الصخرةَ، وأخرجُوا الجُفَّ فإذا فيه مُشَاطةُ رأسِه وأسنانٌ من مُشطِه، وإذا فيه وَتَرٌ معقودٌ، فيه اثنتا عَشْرَةَ عقدةً مَغْرُوزَةً بالإبَرِ. فأنزل الله تعالى السورتَين، فجعَلَ كُلَّما قرأ آيةً انحلَّت عُقدةٌ، وَوَجد رسولُ الله ﷺ خِفَّةً حين انحلَّت العقدةُ الأخيرةُ، فقام كَأنما نُشِطَ من عِقَالٍ، وجعل جبريلُ ـ عليه السلام ـ يقول: باسم الله أرْقِيكَ، من كلِّ شر يُؤْذيكَ، من حاسد وعين، اللَّهُ يشفيكَ. فقالوا: يا رسولَ الله! أفلا نأخذُ الخَبيثَ نَقتُله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فقد شَفَاني الله، وأكرَهُ أن أُثيرَ على الناس شرًّا»(١). هكذا أَوْرَده بلا إسنادٍ، وفيه غرابة، وفي بعضِه نكارةٌ شَدِيدَةٌ، ولِبَعضِه شواهدُ مما تَقدَّم، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

= ذكر زيد بن أرقم في حديثه المتقدم «أن ذلك كان أياماً فقط». والحديث أخرجه أحمد ٦/٣٦. ورجاله ثقات.

(١) ساقه الثعلبي بدون إسناد، مع أن الثعلبي كثيراً ما يروي الموضوعات في حال وصل الحديث فكيف إذا أرسله أو ذكره تعليقاً، ولبعضه شواهد كما ذكر ابن كثير، وكما تقدم، والمنكر فيه لفظ «وانتشر شعر رأسه» و «جعل يذوب» فهذا وما قبله باطل لا أصل له، وترك الثعلبي لإسناد هذا الحديث، يدل على أنه إما من رواية مقاتل بن سليمان أو الكلبي محمد بن السائب وكلاهما متهم. والله تعالى أعلم.

سورة الناس

ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

هذه ثلاث صفات من صفاتِ الربِّ ـ عزَّ وجلَّ ـ: الرُبوبيَّةُ، والمُلْكِ، والإِلَهيَّة. فهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكه وإلهُه، فجميعُ الأشياءِ مخلوقةٌ له، مملوكةٌ، عبيدٌ له، فأُمِر المستعيذُ أن يَتعوَّذ بالمُتَّصِفِ بهذه الصفاتِ، من شَرِّ الوسواس الخنَّاس، وهو الشيطانُ الموكَّل بالإنسان، فإنه ما مِن أحدٍ من بني آدم إلا وله قَرينٌ يُزَيِّن له الفواحِشَ، ولا يألُوه جهداً من الخَبَالِ. والمعصومُ من عَصَم الله.

[٧٦٢٣] وقد ثَبَت في الصحيح أنه: «ما منكم من أحدٍ إلا قد وُكِّل به قرينُه». قالوا: وأنتَ يا رسول الله؟! قال: «نَعَم، إلا أنَّ الله أعانني عليه، فأسلَمَ، فَلاَ يأمُرُني إلاَّ بخير»(١).

[٧٦٢٤] وثبت في الصحيحين، عن أنس في قِصَّةِ زيارةِ صَفيَّةَ النبيَّ ﷺ وهو مُعتكِفٌ، وخروجُه معها ليلاً ليردَّها إلى منزلها، فَلَقِيه رجلان من الأنصار، فلمَّا رأيا رسولَ الله ﷺ أَسْرَعا، فقال رسولُ الله: «على رِسْلِكُما، إنها صَفِيَّةُ بنت حُيَيٍّ». فقالا: سُبحانَ الله يا رسولَ الله!! فقال: «إن الشيطانَ يجرِي من ابن آدَمَ مجرى الدم، وإني خَشِيت أن يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما شيئاً، أو قال: شرًّا»(٢).

[٧٦٢٥] وقال الحافظ أبو يعْلَى الموصِليُّ: حدَّثنا مُحمَّد بن بَحْرٍ، حدَّثنا عَدِيُّ بن أبي عُمارَة، حدَّثنا زِيادٌ النُّمَيرِيُّ، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الشيطان واضِعٌ خَطْمَه على قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فإن ذَكَر خَنَسَ، وإن نَسِي التقَمَ قَلْبَه، فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخنَّاسُ»(٣). غريبٌ.

[٧٦٢٦] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شُعبَةُ، عن عاصم، سَمِعت أبا تَمِيمَة يُحدِّثُ عن رَدِيفِ رسولِ الله ﷺ قال: عَثَر بالنبيِّ ﷺ حِمارُه، فقلت: تَعِسَ الشيطانُ! فقال النبيُّ ﷺ: «لا تَقُل: تَعِس الشيطانُ، فإنك إذا قلتَ: تَعِسَ الشيطان، تعاظَمَ، وقال: بِقُوَّتي صَرَعتُه. وإذا قلت: باسم الله،

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الرعد آية ١١.

(٢) تقدم تخريجه في سورة البقرة آية ١٨٧.

(٣) أخرجه أبو يعلى ٤٣٠١. وإسناده ضعيف لضعف زياد النميري، وعدي بن أبي عمارة. وكذا ضعفه الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٤٩ والحافظ في «الفتح» ٨/ ٧٤٢. وانظر الحديث الآتي.

تَصاغَرَ حتى يصيرَ مثل الذبابِ»(١). تَفَرَّد به أحمدُ، إسنادُه جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وفيه دلالةٌ على أن القلب متى ذَكَر الله تصاغَرَ الشيطان وغُلِبَ، وإن لم يَذْكرِ الله تعاظَمَ وغَلَبَ.

[٧٦٢٧] وقال الإمام أحمد: حَدَّثنا أبو بكر الحَنَفِيُّ، حدَّثنا الضحَّاك بن عثمان، عن سَعيد المَقْبُرِيِّ، عن أبي هُرَيْرَة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أحدكُم إذا كان في المسجدِ جاءه الشيطان فَأَبَسَّ به كما يَبُسُّ الرجل بدابته، فإذا سَكَن له زَنَقَه ـ أو: أَلْجَمَه». قال أبو هُريرة: وأنتُم تَرَون ذلك، أما المزنوق فتراه ماثلاً ـ كذا ـ لا يذكُر الله، وأما المُلْجَمُ ففاتِحٌ فاه، لا يَذكُر الله عزَّ وجلَّ(٢). تَفَرَّد به أحمد.

وقال سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾، قال: الشيطان جاثمٌ على قلبِ ابن آدم، فإذا سَهَا وغَفَل وَسْوَس، فإذا ذَكَر الله خَنَسَ. وكذا قال مجاهد، وقتادةُ.

وقال المُعتَمِرُ بنُ سُلَيمان، عن أبيه: ذُكِرَ لي أنَّ الشيطانَ، أو: الوَسْوَاس، ينفُث في قَلْبِ الإنسان عند الحُزنِ وعند الفَرَح، فإذا ذَكَر الله خَنَس

وقال العَوفِيُّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، قال: هو الشيطانُ يأمُر، فإذا أُطِيعَ خَنَس.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾، هل يختص هذا ببني آدم ـ كما هو الظاهر ـ أو يَعُمُّ بني آدم والجنَّ؟ فيه قولان، ويكونُون قد دَخلُوا في لفظ الناسِ تَغْليباً. وقال ابنُ جرِيرٍ: وقد استعمل فيهم: «رجال من الجن» فلا بِدْعَ في إطلاقِ الناسِ عليهم.

وقولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، هل هو تفصيلٌ لقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾، ثم بَيَّنهم فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. وهذا يُقوِّي القول الثاني. وقيل: قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، تفسير للذي يُوسوس في صُدور الناس، من شياطين الإنس والجنّ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

[٧٦٢٨] وكما قال الإمام أحمد: حدَّثنا وكيعٌ، حدَّثنا المسعودِيُّ، حدَّثنا أبو عُمَر الدِّمشقِيُّ، حدَّثنا عُبَيد بن الخَشْخاشِ، عن أبي ذرٍّ قال: أتيتُ رسُولَ الله ﷺ وهو في المسجدِ، فجلستُ، فقال: «يا أبا ذرٍّ! هل صَلَّيت؟» قلت: لا. قال: «قم فَصَلِّ». قال: فَقُمتُ فَصلَّيتُ، ثم جلستُ، فقال: «يا أبا ذرٍّ! تَعَوَّذ بالله من شرِّ شياطين الإنسِ والجنِّ». قال: قلت: يا رسولَ الله! وللإنس شياطينُ؟ قال: «نَعَم». قال: قلت: يا رسولَ الله! الصلاةُ؟ قال: «خيرُ موضوعٍ، من شاءَ أقلَّ، ومن شاء أكثَرَ». قلتُ: يا رسولَ الله! فالصومُ؟ قال: «فرضٌ مُجزِىءٌ، وعند الله مزيد». قلتُ: يا رسولَ الله، فالصدقةُ؟ قال: «أضعافٌ مضاعَفَةٌ». قلتُ: يا رسولَ الله! أيُّها أفضلُ؟ قال: «جُهْدٌ من مُقِلٍّ، أو سِرٌّ إلى فقير». قلتُ: يا رسولَ الله! أيُّ الأنبياء كان أوَّلَ؟ قال: «آدم». قلتُ: يا رسولَ الله! ونبيًّا كانَ؟ قال: «نعم، نَبِيٌّ مُكَلَّم». قلتُ: يا رسولَ الله! كَم المُرْسَلُون؟ قال: «ثلاثمئةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ، جَمًّا غفيراً». وقال مَرَّة: «خَمْسَةَ عَشَر». قلت: يا رسولَ الله! أيُّما أُنزِلَ عليكَ أعظمُ؟ قال: «آيةُ الكُرسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾»(٣). وَرَواه النَّسائيُّ من حديث أبي عُمَر الدِّمَشقي، به.

---

(١) جيد. أخرجه أحمد ٥/ ٧١ وإسناده قوي كما قال المصنف، ولعله تقدم.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٠ وإسناده حسن لأجل الضحاك، فإنه صدوق. والمزنوق: المربوط بحبل يمنع من الجماح.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٧٨ وإسناده ضعيف، فيه المسعودي اختلط، وتقدم في الأنعام.

وقد أخرج هذا الحديث مُطَوّلاً جدًا أبو حاتم بنُ حِبّانَ في صَحِيحِه، بطريق آخَر، ولفظٍ آخَرَ مُطَوّلٍ جدًا، فالله أعلم.

[٧٦٢٩] وقال الإمام أحمدُ: حدَّثنا وَكِيعٌ، عن سُفيان، عن مَنصُورٍ، عن ذَرِّ بن عبد الله الهَمْدانِيِّ، عن عبد الله بن شَدَّادٍ، عن ابن عباس قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إني أُحَدِّث نفسي بالشيء لأن أخِرَّ من السماء أحبُّ إليَّ مِن أن أتكلَّم به. قال: فقال النبيُّ ﷺ: «الله أكبرُ الله أكبرُ، الحمدُ لله الذي رَدَّ كيدَه إلى الوسوسة»[١]. ورواه أبو داود والنسائي، من حديث منصور ـ زاد النسائي: والأعمش ـ كلاهما عن ذَرّ، به.

آخر التفسير، ولله الحمدَ والمنّةُ، والحمدُ لله رب العالمين

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٣٥ والطيالسي ٢٧٠٤ وأبو داود ١١٢، وابن حبان ١٤٧ وإسناده صحيح على شرطهما.

فهرس الأحاديث القدسية

فهرس الأحاديث والآثار النبوية

ـ النون ـ

ـ الواو ـ

فهرس المحتويات